الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة

كلية: الآداب والحضارة الاسلامية

قسم: التاريخ

السلطة والعنف

في الشرق الإسلامي في العهد الأموي

41_132هـ/661_749م

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي

تخصص: المشرق الإسلامي–تاريخ وحضارة– إلى القرن السابع الهجري

إعداد الطالب:

فريد فوغالية

إشراف:

أد: إبراهيم بن مهية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
علاوة عمارة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	رئيسا
إبراهيم بن مهية	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	مشرفا ومقررا
يوسف عابد	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا مناقشا
مراد لكحل	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف –المسيلة–	عضوا مناقشا
رضا بن النية	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد لمين دباغين –سطيف 2–	عضوا مناقشا
خميسي بولعراس	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد لمين دباغين –سطيف 2–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442–1443هـ/ 2021–2022م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــداء

إلى والديّ العزيزين

إلى جميع أفراد عائلتي خاصة أخـــوي وأختي

إلى الكتاكيت: رحمة، بتول، فاطمة

إلى الأميرات الثلاث:

عـــــديل

ديـــــنا

ريـــــم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ المشرف الدكتور " إبراهيم بن مهنة" الذي قبل الإشراف على البحث بعد أن قطعت فيه شوطا كبيرا، فله مني جزيل الشكر وعظيم العرفان والامتنان.

كما أشكر المشرف السابق الدكتور محمد فرقاني الذي تعذر عليه مواصلة الإشراف على البحث.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد.

والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذه الرسالة وتقييمها وتصويبها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الـمقـدمـة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انتهت مرحلة صدر الإسلام التي تمثل أولى مراحل التاريخ الإسلامي بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والي الشام عام41هـ/661م فيما عُرف بـ "عام الجماعة"، وبقيام الدولة الأموية استعادت دار الإسلام شيئا من الوحدة السياسية واستقرار نظام الحكم بعد الفتنة الكبرى التي أدخلت الجماعة الاسلامية في دوامة من العنف لم تنجل إلا وقد نتج عنها مقتل خليفتين وكثير من الصحابة والتابعين، كما أحدثت شرخا في الأمة لا زلنا نتجرّع آثاره حتى زمننا هذا.

كان من نتائج وصول الأسرة الأموية إلى الحكم انتقال مركز ثقل الدولة الإسلامية من الحجاز إلى الشام، وبهذا انتهى الدور القيادي للمدينة المنورة العاصمة التاريخية للإسلام لصالح عواصم الأمصار، دمشق في العصر الأموي وبغداد في العصر العباسي والقاهرة عند الفاطميين.

والناظر في قيام الدولة الأموية يُدرك أن هذا الحدث يُشكِّل بداية نظام سياسي مختلف بشكل كبير عما أسَّسَه الخلفاء الراشدون من قبل؛ فبعد أن كانت الخلافة بمثابة عِقد اجتماعي بين الخليفة والرعية، تُفَوِّض بموجبه الأمة للخليفة تدبير أمورها وتسيير شؤونها على أساس الكتاب والسنة، تحوَّلت مع معاوية بن أبي سفيان إلى مَلَكيَّة سُلالية، ما على الرعية فيها إلا السمع والطاعة لولاة الأمر.

وبما أن قيام هذه الدولة كان بِالدّهاء وحَدِّ السيف، فإن مسألة "الشرعية" كانت نقطة الضعف الرئيسية التي عانى منها الخلفاء الأمويون، مما اضطرّهم إلى استحداث معايير جديدة للشرعية، ومع العجز عن إقناع قسم معتبر من الجماعة الاسلامية بصحة خلافتهم وشرعية سلطتهم فإن اللجوء إلى القوة والعنف سيكون هو الوسيلة الضرورية والمثلى–وليست الوحيدة– للحفاظ على السلطة وحماية النظام، إذ أن "...أي نظام يُشاد بالسيف لا بد أن يحميه السلاح نفسه، أو كان عرضة للانهيار"[1]، فطبيعة التأسيس اذن مَثَّلت مُحَدِّدا رئيسيا في طبيعة الممارسة السلطوية وجوهر العلاقة بين السلطة والرعية جماعات وأفراد، ومن هنا كان اختياري لموضوع:

[1] - إبراهيم بيضون: **ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري**، ص 149.

السلطة والعنف في الشرق الإسلامي في العهد الأموي

41_132هـ/661_749م

وبذلك تركز هذه الدراسة على العنف الممارس من قبل السلطة السياسية الحاكمة ضد الرعية، متلافيا بذلك العنف الممارس من الأسفل إلى الأعلى، أي من المحكومين ضد الحكام، أو من قبل الحركات السياسية الكبرى المعارضة على غرار الشيعة والخوارج وغيرهم، وموقف السلطة الحاكمة منها، ورد فعلها ضدها، حيث أُفردت لها الكثير من الدراسات[1]، كما أنها لن تكون دراسة سياسية صرفة، بل سيكون تركيزي مُنْصبًّا حول دراسة الخلفية الفكرية والاجتماعية لظاهرة العنف السلطوي ومظاهره خلال هذه الفترة، وتحديدا ما تعلق بأشكال العنف المختلفة الممارسة ضد الأفراد من "قتل وتعذيب وتمثيل بالجثث وسجن وصلب ونفي"، وهي المظاهر التي تم تغييبها في مختلف الدراسات التي تطرقت إلى هذا الموضوع.

والعنف ظاهرة قديمة قِدم الإنسانية نفسها، وفيما يتعلق بالتعريف اللغوي فالمعاجم العربية تُجمع على أن العنف هو المبالغة في الأمر، فهو "ضد الرِّفق"[2]، غير أنه كمفهوم حديث نسبيا، فأول من حاول التفكير في العنف والتنظير له هو "جورج سوريل" في كتابه "تأملات حول العنف" في القرن التاسع عشر[3].

وتختلف تعاريف العنف باختلاف الحقل المعرفي الذي يبحث فيه ويُعالجه، فهو وفق الطرح القانوني يعني "الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي أو البدني ابتغاء تحقيق غايات شخصية

---

[1] – من بين الدراسات التي عالجت مختلف الثورات التي قامت ضد الأمويين وأسبابها ونتاجها، والعنف الذي مارسته أو الذي واجهته السلطة الأموية به نذكر: يوليوس فُلْهَوْزَن: **تاريخ الدولة العربية**. ابراهيم بيضون: **ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري**. زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام بحث في الاشكالية الفكرية والاجتماعية**. رياض عيسى: **الحزبية السياسية منذ قيام الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية**. نايف معروف: **الخوارج في العصر الأموي**. لطيفة البكاي: **حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي(37هـ–132هـ)**.

[2] – **يُنظر**: الفراهيدي: **كتاب العين**، ج3، ص239. (باب العين). الأزهري: **تهذيب اللغة**، ج3، ص3. (باب العين والنون). الجوهري: **الصحاح**، ج4، ص1407. (مادة: عنف). ابن منظور: **لسان العرب**، ج9، ص257، 258. (مادة: عنف).

[3] – عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **موسوعة السياسة**، ج4، ص255.

أو جماعية"[1]، ويُعرّفه باحث آخر بأنه "استخدام الضغط أو القوة استخداما مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما"[2]، أو هو "استخدام القوة المادية لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والممتلكات"[3]، وما يلاحظ على هذا الطرح هو التركيز على الجانب الفيزيائي للعنف مع إهمال الجانب المعنوي–الرمزي له، وتناوله من زاوية مطابقة هذا الفعل للقانون أم لا.

أما الطرح البسيكولوجي للعنف فيحمل معنى آخر مغاير للطرح القانوني، فالعنف يحمل "معنى من معاني التوتر والانفجار يُسهم في تأجيجها في داخل الفرد أو الجماعة عوامل كثيرة"[4]، وبهذا المعنى فالعنف ناتج عن عوامل نفسية بحتة، مصدره ذاتٌ مَرَضية أو حتى سوية، وهو لا يحمل أي مؤشرات اجتماعية في جوهره، وإن كان له بُعد اجتماعي في عدة جوانب خاصة من حيث طبيعته ومصدره أو عوامله ومسبباته، أو امتداد تأثيراته ليشمل عددا كبيرا من الأفراد[5].

أما من منظور سوسيولوجي فيعرِّفه "خليل أحمد خليل" بأنه "الايذاء باليد أو اللسان، بالفعل أو بالكلمة"[6]، فهو اذن، سلوك إيذائي قائم على "...إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا أو للنحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام، ومُرتَكزُه استبعاد الآخر عن حلبة التغالب، إما بخفضه إلى تابع، وإما بنفيه خارج الساحة...وإما بتصفيته معنويا أو جسديا"[7].

وبالنسبة لأشكال العنف وصوره فهي متعددة أيضا، وحسب الأثر يبرز نوعين رئيسيين هما:

أ– العنف المادي: وهو العنف الذي يُلحق الضرر بالموضوع الذي يُمارس عليه العنف فيزيائيا، بحيث يمس البدن، أو الحقوق، أو المصالح...

ب– العنف الرمزي: وهو الذي يُلحق الأذى أو الضرر بالموضوع سيكولوجيا، أي في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار...وهو لا يقل عن العنف المادي

---

(1) – محمد جواد رضا: **ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة تفسير سوسيو–سايكولوجي**، ص147.

(2) – أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ص441.

(3) – علي أسعد وطفة: **بين السلطة والتسلط**، ص131.

(4) – محمد جواد رضا: **ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة تفسير سوسيو–سايكولوجي**، ص147.

(5) – عبد الحق مجيطنة: **مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية**، ص143.

(6) – خليل أحمد خليل: **سوسيولوجيا العنف**، ص19.

(7) – **نفس المرجع والصفحة**.

في آثاره السلبية، فهو وإن لم يمس حق الحياة لدى الفرد أو الجماعة، إلا أنه يصيب المتعرِّض له فيما قد يكون مقدسا لديه، بل قد يكون هذا العنف مرحلة نحو ممارسة العنف المادي[1].

وفيما يخص العلاقة بين "السلطة"[2] و"العنف" فإن "ميشال فوكو" ينفي أن تكون السلطة مساوية للعنف والإخضاع والهيمنة، كقاعدة أساسية، إذ لا يمكن القول أن دورها الوحيد يتلخص في العنف، أي ما هو سلبي فحسب؛ بل لها أدوار إيجابية أيضا[3]، بينما ترى "حَنّة أَرَنْدت Hannah Hannah arandt" أنه على الرغم من كونه الملجأ الأخير للسلطة في مواجهة من يحاول المساس بها، فإنه يبدو الشرط الأولي لوجودها[4]، ولهذا فالعنف "هو أول مصادر السلطة، وأول أدواتها، وأكثرها بدائية ووحشية"[5]، ورغم طابعه "الأدواتي"[6] فإن استعماله حسب ما يؤكده "ماكس فيبر" لابد أن يكون متلازما مع شرعنته، وهو ما يُشرعن أيضا مفهوم السيطرة، وبالنهاية يصبح استخدام القوة والعنف مسألة شرعية تمتلك الدولة وحدها الحق في استخدامهما[7].

– دوافع اختيار الموضوع:

توجه اهتمامنا نحو موضوع السلطة والعنف في الاسلام بعد اطلاعي على دراسة للباحث المغربي حميد الحداد حول "**السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**" والذي أكَّد من خلال بحثه قِلة الأبحاث التي اهتمت بمثل هذه الاشكاليات، فتولَّد لدي الدافع للبحث في هذا الموضوع، مبتدءا بالسؤال والاستشارة عن الدراسات التي عُنيت بدراسته في المجال المشرقي تحديدا، وبعد البحث

---

[1] – عبد الإله بلقزيز: **العنف السياسي في الوطن العربي**، ص72.

[2] – يؤكد علي أسعد وطفة على ضرورة التفريق بين مصطلح "السلطة autorité" الذي يُحيل إلى النصح والمساعدة وحتى القدرة على التحكم والإخضاع واتخاذ الأوامر، وبين مصطلح "السلطة pouvoir" الذي يُحيل إلى معنى القوة والنفوذ. ونجد نفس الرأي عند "باري هندس" الذي يؤكد أن معنى "السلطة power" "يعني القدرة على تحقيق ما هو مرغوب فيه سواء وجدت مقاومة أو لا". يُنظر: علي أسعد وطفة: **بين السلطة والتسلط**، ص126، 127. باري هندس: **خطابات السلطة**، ص13، 14.

[3] – الزواوي بغورة: **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، ص232، 233.

[4] – **في العنف**، ص42.

[5] – سالم القمودي: **سيكولوجية السلطة**، ص39.

[6] – حنة أرندت: **في العنف**، ص45.

[7] – إكرام عدنني: **سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر**، ص144، 145.

والاطلاع-في حدود ما استطعت آنذاك- وصلت إلى نفس النتيجة التي وصل إليها حميد الحداد حول دراسة العنف في المجال المغاربي.

ومع توسع المطالعة والبحث وصلت إلى استنتاج مفاده الارتباط الوثيق بين "السلطة" و"الشرعية" وممارسة "العنف" خاصة في العهد الأموي الذي شهد تحولات عميقة في تاريخ الجماعة الاسلامية سواء على مستوى السلطة أو الرعية، وما شدَّ انتباهي أيضا أن الباحثين الذين اهتموا بقضية العنف خلال هذه المرحلة قاموا بمعالجته في إطار دراستهم للصراع الدائر بين السلطة والمعارضة، أما تفسيراتهم له فإنها لم تخرج عن جدلية "العنف والعنف المضاد"، أو جدلية الصراع بين "الدولة" و"القبيلة".

أمام هذه المعطيات قررت خوض غمار البحث في هذا الموضوع ودراسته، مع اتخاذي مسارا يختلف عن المسار الذي اتبعته الدراسات الأخرى التي تناولته.

- أهمية الموضوع:

إن البحث في موضوع السلطة والعنف خلال العصر الأموي يكتسي أهمية بالغة؛ كيف لا وقد شهدت هذه الفترة تحولا كبيرا في جوهر السلطة في الاسلام، وأُسس شرعية هذه السلطة وعلاقتها برَعيَّتها، هذه العلاقة التي تحولت تدريجيا من علاقة راعي برعيته، إلى علاقة أساسها "السيادة والتبعية" كان للقوة والبطش دورا مهما في فرضها.

كما تبرز أهمية هذا الموضوع في محاولة بناء تصور شامل حول الأسباب الكامنة وراء عنف الدولة في العصر الوسيط، وآليات إنتاجه، وتجلياته، ودور الأخطار الايديولوجية والسياسية والعسكرية الداخلية والخارجية والتي هددت كيان الدولة الأموية في استفحال ظاهرة العنف السلطوي خلال هذه الفترة.

- الدراسات السابقة:

من خلال ما اطلعنا عليه من دراسات وأبحاث فإنني لم أجد حول هذا الموضوع دراسة مستوفية تتعرض إليه بشكل مباشر وشامل، إذ أن جميع الدراسات التي تمكنت من الرجوع إليها تطرقت إليه بشكل عرضي ضمن محاور أخرى ودون التعمق في دراسته، أو أن هذه الدراسات تناولته

من خلال دراسة سياسات الحكام أو السلطة الحاكمة وعلاقتها بالحركات المعارضة والثورية، أي أن معالجتها لهذه الظاهرة كانت سياسية صرفة، وفي إطار الصراع بين "الدولة" و"القبيلة"، ودون الخروج عن جدلية العنف والعنف المضاد، كما أهملت العنف الموجه ضد الأفراد بمختلف أنواعه ومظاهره، أما بعض الدراسات فقد اتجهت صوب دراسة مظهر واحد من مظاهر العنف السلطوي على غرار السجن أو نموذج محدد من التعذيب.

من بين الدراسات التي أثارت موضوع العنف في العصر الأموي دراسة أيمن إبراهيم الموسومة بـــ: "**الإسلام والسُلطان والمُلْك دراسة تاريخية في العلاقة بين ظهور الإسلام وتأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في مرحلة صدر الإسلام1_60هـ/622_680م**"، يتناول أيمن إبراهيم _دون تعمق_ ظاهرة العنف مستخدما عبارة "البطش" مركزا على سياسة الوالي الأموي القوي زياد بن أبيه، والتي تعكس حسبه أمرين:

– الأول: وجود حكومة مركزية لديها القدرة العملية اليومية على البطش **لفرض الأمن**.

– الثاني: أن هذا البطش يُشكِّل "ظاهرة" يجب دراستها وفهمها "...وفق سياق التطور الاجتماعي والعمراني لأمة محمد، هذا يعني أن البطش كان وسيلة السلطة السياسية الجديدة **لإنهاء حالة الفوضى القَبَلية السائدة في الأمصار**"[1].

وما يميز هذه الدراسة هو التركيز على حاضرتي الكوفة والبصرة ودراسة جهود السلطة الأموية ممثلة في والي العراق زياد بن أبيه في فرض نمط معيشة "مديني" على القبائل البدوية النازحة إلى هذا الإقليم، ودور "البطش السلطوي" في ذلك، بعبارة أخرى إن عنف السلطة هنا هدفه فرض منطق الدولة في مواجهة الذهنية القبلية لدى قبائل العراق خاصة.

أما كتاب : "**السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11_132هـ/612_750م** لصاحبه زهير هواري، فقد عرض بالتحليل والمناقشة الأسس الاجتماعية والفكرية لقيام الدولة الأموية، ومسألة ولاية العهد، والتحول الحاصل في طبيعة السلطة من الخلافة إلى المِلَكية، وحركات المعارضة الخارجية والشيعية خاصة، مُعْتَبِرا أن أساس المنازعات التي عرفتها الدولة الأموية هو اتجاه السلطة الأموية على يد عبد الملك بن مروان نحو "الاستبداد

[1] – أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص 335.

والتسلط"[1]، ومُعَرِّجا على محاولات الاصلاح التي قام بها كل من الخليفة عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد بن عبد الملك.

وعلى الرغم من جهوده المعتبرة في تحليل أصول الاستبداد السلطوي الأموي فإنه تناوله وفق رؤية "العنف والعنف المضاد"، ومركزا اهتمامه على قوى المعارضة الكبرى ممثلة في "الخوارج" و"الشيعة"، وسياسة "الضبط" ضد قبائل البصرة والكوفة خاصة، مع تأكيده على العلاقة المفصلية بين طبيعة الدولة الاسلامية الناشئة والقائمة على قاعدة "أقلية قَبَلية" سواء قرشية أو أموية تملك جيوشا وإدارة قمعية وبين تنامي حركات المعارضة[2]، وأمام هذا الايغال السلطوي في عملية الضبط المجتمعي لم يكن أمام هذه الحركات المعارضة إلا أن تغرف "من الموروث القبلي والاسلامي لتقديم نفسها وتبرير سلوكها"[3]، فكانت النتيجة المنطقية حسبه أن السيف كان وسيلة التعامل الغالبة بين السلطة والمعارضة بينما تم تغييب لغة الحوار إلا في حالات معدودة.

إلى جانب الباحثين العرب كان للباحثين الغربيين اهتمام كبير بظاهرة العنف السلطوي خلال العصر الأموي، ويبرز هذا من خلال مجموعة من المقالات التي تمكنت من الرجوع إلى بعضها، ومن أهمها مقال:

Steven C Judd :"**Muslim Persecution of Heretics during the Marwānid Period (64–132/684–750)"**

فقد بحث من خلاله فيما أسماه اضطهادا اسلاميا لأصحاب البدع، والمحن التي تعرضوا لها في ظل حكم الخلفاء المروانيين وتحديدا عبد الملك بن مروان وابنه هشام، حيث سعى عبد الملك إلى فرض رؤيته الخاصة للعقيدة الاسلامية على المجتمع المسلم والتضييق على أصحاب المذاهب المخالفة، مع استحضاره لتعامله مع شخصيتين نموذجيتين وهما: الحارث بن سعيد الكذاب، ومعبد الجهني، وقد بلغت هذه السياسة غير المتسامحة —حسبه– ذروتها في عهد هشام بن عبد الملك الذي فاق والده عزيمة في اضطهاد أصحاب المذاهب المخالفة، وخاصة رؤوس القدرية وفي مقدمتهم الجعد بن

---

[1] – زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص13.

[2] – **نفسه**، ص 535.

[3] – **نفس المرجع والصفحة**.

درهم وغيلان الدمشقي، وقد خلص الباحث إلى أن قرارات هذين الخليفتين تمثلان جهودا متظافرة ومنظمة لفرض العقيدة السنية والتأكيد على حق الخليفة في فرض النظام العقائدي الملائم من خلال تحديد الحد الفاصل بين "السُنَّة" و"البدعة".

ومن الباحثين الغربيين الذين عالجوا قضية العنف السلطوي في العصر الأموي خاصة نجد الباحث Andrew Marsham وذلك في مقالين له: تطرق في المقال الأول الموسوم بـ:

Attitudes to the use of fire in executions in late antiquity and early Islam, Violence in Islamic Thought from the Qur'an to the Mongols.

إلى استعمال النار كوسيلة للعقاب أو لتشويه والتخلص من جسد الضحايا، سواء في الفترة السابقة للإسلام أو بدايات الاسلام والعصر الأموي تحديدا، مستعرضا أربع حالات لكل من: "المغيرة بن سعيد"، "بيان بن سمعان"، "وزير الخارجي"، وأخيرا "زيد بن علي"، ومُعرجا على دور كل من الخليفة هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك في الأمر باستخدام هذه الممارسة العقابية، مع تبيان موقف الشرع منها، والغاية من استخدامها سواء في عقاب الضحايا أو التخلص من أجسادهم بعد مماتهم.

أما مقاله الآخر والموسوم بـ:

Public Execution in the Umayyad period: Early Islamic punitive practice and its late antique context.

فقد عالج فيه الباحث قضية الإعدام العلني بين النظرية والتطبيق خلال العصر الأموي، مع بحث حضور النص القرآني –آيات الحرابة تحديدا– في تبرير عمليات الاعدام التي قام بها الحكام الأمويون، ليصل إلى نتيجة مفادها أن هؤلاء الحكام لم يستندوا في خطابهم السياسي إلى آيات الحرابة كمبرر لأوامر القتل إلا في حالات نادرة ودون توظيف مباشر لها، وإنما كانت مبررات أوامر القتل قائمة على نقض العهد أو البيعة والفساد في الأرض.

– الإشكالية:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة في محاولة فهم طبيعة العلاقة بين "السلطة" و "العنف" في تاريخ الاسلام المبكر، وتحديدا خلال العصر الأموي الذي شهد انقلاب الخلافة إلى ملك وما نتج عن ذلك من تغير في جوهر السلطة وعلاقتها برعاياها، وتتفرع عنها عدة تساؤلات هي:

– كيف نجح معاوية بن أبي سفيان في الوصول لحكم دار الاسلام؟ وما هو موقف الجماعة الاسلامية من ذلك؟

– ما هي المعايير التي استندت إليها الجماعة الاسلامية في إطلاق لقب الملوك على الخلفاء الأمويين؟ وهل تم اعتبار جميع هؤلاء الخلفاء ملوكا أم لا؟

– ما هو التحول الذي أحدثه الأمويون في ماهية الحكم مقارنة بعصر الخلافة الراشدة؟ وهل أثرت الصورة النمطية التي ترسخت في الذاكرة الجماعية للجماعة الاسلامية حول الخلافة الراشدة في تحديد موقفها من الأمويين وحكمهم؟

– هل يمكن اعتبار اتساع المِلْكية العقارية والمالية لأفراد البيت الأموي وجها من أوجه المَلَكية المنبوذة عند العرب آنذاك؟

– كيف نظر الأمويون إلى أنفسهم وسلطانهم؟ وهل يمكن للألقاب التي اتخذوها أن تشكل أساسا لفهم طبيعة سلطتهم؟

– إذا كان هاجس الشرعية ماثلا أمام أعين الحكام الأمويين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان فماهي الأسس التي اعتمدها الأمويون لإثبات شرعية سلطتهم؟ وهل أدى استحداثهم لأسس جديدة للشرعية إلى التعتيم على الأسس السابقة التي اعتُمدت خلال العصر الراشدي؟

– ما هي المعايير التي يُمكن من خلالها اعتبار الممارسات العقابية السلطوية عنفا؟ وما هي نظرة الضحايا لعنف السلطة؟ وفي المقابل كيف فسّرت السلطة عنفها ضد رعاياها؟

– لماذا لجأت السلطة الحاكمة إلى العنف في فرض سيطرتها على الرعية؟ وما أثر التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها المجتمع الإسلامي في ذلك؟

– هل يمكن القول أن تطور تنظيم الدولة في العصر الأموي كان موازيا لحالة من القمع المنفلت من أي ضوابط؟

– وما هي مظاهر هذا العنف وأشكاله والفئات الأكثر تعرضا له؟ وهل كانت السلطة تصل إلى مبتغاها عن طريق العنف؟

– ما هو تأثير العوامل السيكولوجية المرتبطة بشخصية الخلفاء والولاة في تحديد طبيعة موقفهم من ضحاياهم وسلوكاتهم العنيفة تجاههم؟

– ما هو دور القضاء في الحد من تجاوزات السلطة في حق رعاياها؟ وهل امتلك النظام القضائي القدرة على حماية الأفراد من بطش رجل السلطة؟

– المنهج المُعتمد:

لقد حاولنا دراسة الموضوع والإجابة على التساؤلات التي يعالجها عبر توظيف مقاربات منهجية متعددة تجمع بين مناهج السرد، والوصف، والمقارنة، إضافة إلى المنهج الكمي الاحصائي.

فكان استخدامنا المنهج السردي لعرض الأحداث التاريخية وفق تاريخ وقوعها، خاصة في الفصل الأول حيث تم بحث عملية انتقال السلطة إلى الأسرة الأموية، وأهم الخطوات التي اتخذها الخلفاء الأمويون في سبيل فرض سلطانهم على الجماعة الاسلامية، مع إخضاع الروايات التاريخية للنقد والتمحيص.

أما توظيف المنهج الوصفي القائم على جمع الأخبار وتصنيفها وقراءتها قراءة وصفية تحليلية لمحاولة تفسيرها واستخلاص النتائج الخاصة بالظاهرة محل الدراسة، فيبرز بالأساس في الفصول المتعلقة بالممارسات العقابية التي اتخذتها السلطة الأموية في حق ضحاياها، واصفا أنواع تلك العقوبات، ومظاهرها، وآثارها على أجساد الضحايا، وآثارها النفسية عليهم.

كما اعتمدنا على المنهج المقارن في المقارنة بين النصوص الاخبارية المتعددة والمتباينة للحادثة التاريخية الواحدة، وفي حالة الاختلاف أو التناقض نحاول القيام بعملية الترجيح بين النصوص اعتمادا على النقد والتحليل بغية الوصول إلى أقرب تصور للحادثة.

أما المنهج الكمي الاحصائي فتم اعتماده في إحصاء عدد ضحايا السلطة من الأفراد من خلال القيام بعملية مسح شامل لكل ما وقعت عليه أيدينا من المصادر المتنوعة، ثم تصنيف هؤلاء الضحايا حسب مراتبهم الاجتماعية أو وظائفهم، أو نوع العقوبات المسلطة عليهم.

– عرض الخطة:

لمعالجة إشكالية البحث والأسئلة المتعلقة بها وضعت خطة بحث اشتملت على مقدمة عرفت فيها بالموضوع وأهميته، مع عرض أهم الدراسات السابقة التي بحثت فيه، ثم طرحت إشكاليته والأسئلة المتفرعة عنها، مع عرض أهم المصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها، ثم عرض منهجية العمل وهيكله، وأخيرا الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث والخروج به في شكله النهائي.

أما متن الدراسة فهو مقسم إلى ستة فصول، وقبل عرضها لا بد من الاشارة إلى بعض الملاحظات العامة المتعلقة بخطوات العمل:

أولا: لقد تم اعتماد تقسيم قائم على نوع العقوبة، وبما أن هناك من الضحايا من تعرض لأكثر من عقوبة فإنه سيتكرر ذكر أسمائهم في أكثر من موضع ضمن الدراسة.

ثانيا: تجنب الاشارة إلى قتلى الحروب بسبب استحالة رصد عدد القتلى إضافة إلى المبالغات الكبيرة للمصادر في ما يخص أعداد ضحايا الحروب[1]، كما أن غاية البحث هي الكشف عما

[1] – لإعطاء مثال حول مبالغات المصادر العربية في ذكر الأرقام نورد بعض الأرقام التي ذكرتها هذه المصادر حول ضحايا الحجاج بن يوسف الثقفي مما ساهم في ترسيخ تلك الصورة "المخيفة" حول شخصية الحجاج ودمويته، في رواية للطبري فإن عدد قتلى الحجاج "صبرا" في فتنة ابن الأشعث فقط قد بلغ ما بين مائة وعشرين ألفا ومائة وثلاثين ألفا. أما المسعودي فيذكر ما يلي عن ضحايا الحجاج: "وأحصي من قتله صبرا سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا، ومات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف إمرأة، منهن ستة عشر ألفا مجردة"، وهي نفس الرواية التي نقلها ابن العبري في تاريخه، أما ياقوت الحموي والقزويني فذكرا نفس عدد الضحايا دون الاشارة إلى قتلى السجون، ونجد عند العسكري وابن نباتة المصري أن عدد ضحاياه بلغ أكثر من مائة ألف. وفي رواية أخرى للقزويني ذكر أنه "مات في حبسه واحد وعشرون ألفا صبرا، ومن قتله بالسيف فلا يعد ولا يُحصى". حول هذه الأرقام **يُنظر:** الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص381، 382. المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج3، ص175. ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، ص100. العسكري: **الأوائل**، ص329. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص349. القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص100، 478. ابن نباتة المصري: **سرح العيون**، ص180.

تعرّض له مختلف الأفراد على يد السلطة الأموية وهو الأمر المغَيَّب في كثير من الدراسات الحديثة.

ثالثا: فيما يخص الممارسات العقابية التي تدخل ضمن دائرة العنف السلطوي فقد اقتصرنا على ما قام به الخلفاء والولاة الأمويين فقط اعتمادا على إشكالية البحث وأهدافه؛ أي أننا لم نتناول ما قام به عبد الله بن الزبير وولاته، أو المختار بن عبيد الثقفي، أو غيرهم من الخارجين على السلطة الأموية.

رابعا: بخصوص التباين في عدد الصفحات بين الفصول فإن المادة العلمية المتوفرة هي التي تحكمت في عدد الصفحات، ولهذا اختلفت من فصل لآخر بحسب ما توفر لي من معلومات.

في الفصل الأول عالجت قضية انقلاب الخلافة إلى ملك مع وصول معاوية بن أبي سفيان لحكم دار الاسلام، فكان المبحث الأول للإجابة على سؤال محوري هو: هل كان معاوية بن أبي سفيان باعتباره مؤسس الدولة الأموية خليفة أم ملكا؟ أما المبحث الثاني فتطرقت فيه إلى أحد مظاهر "الملكية الأموية" وهو ابتداع المبدأ الوراثي كنمط جديد لانتقال السلطة في تاريخ الدولة الاسلامية الناشئة، وهو الأمر الذي اعتبره المعارضون للحكم الأموي قطيعة مع نمط انتقال السلطة خلال العصر الراشدي والقائم على الشورى والبيعة العامة، فوضحت أسباب هذه الخطوة، والاجراءات التي اتبعها معاوية في سبيل فرضها على أرض الواقع، وموقف الجماعة الاسلامية منها خاصة أبناء الصحابة وأشراف العراق والشام، أما المبحث الثالث فتناولت فيه فلسفة الحكم الأموي ودور بعض المؤسسات الادارية المطَوَّرة والمسْتَحدَثة في فرض الرؤية الأموية للحكم والعلاقة مع الرعية، بينما تم تخصيص المبحث الرابع لدراسة مسألة الارتباط بين صفة الملك والتوسع العقاري والمالي لبني أمية، وإبراز كيف استغل أفراد الأسرة الأموية نفوذهم السياسي في سبيل توسيع ملكياتهم العقارية والمالية.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه مسألة شرعية السلطة الأموية، ذلك أن الانقلاب السلطوي الذي أحدثه استفراد الأمويين بحكم دار الاسلام استلزم استحداث أسس جديدة للشرعية، وهو ما أدركه الخلفاء الأمويون منذ عهد المؤسس معاوية، فاجتهدوا في إثبات أحقيتهم بحكم دار الاسلام وشرعية سلطتهم من خلال التأكيد على أن مصدر شرعيتهم ليس الجماعة الاسلامية فحسب على غرار ما كان زمن الخلفاء الراشدين؛ بل إن مصدر شرعية سلطتهم هو الله عز وجل، فاعتبروا

أنفسهم خلفاء لله عز وجل، ويحكمون بقضائه وقدره، معتمدين أساليب متعددة في نشر هذه الايديولوجيا كالخطابة، والرسائل المرسلة إلى الأفراد والرعية في الأمصار، كما وظفوا الشعر، والنقود، وحتى الهياكل العمرانية.

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل تناولت بالدراسة تطور مفهومي "الطاعة" و"الجماعة" والارتباط بينهما، وكيف أن الأمويين لم يكونوا مجرد طالبين للطاعة بل إنهم عملوا على فرضها بالقوة والعنف، مع إلباسها لبوس القداسة من خلال التأكيد على أن طاعة الخليفة من طاعة الله عز وجل، وأن عصيانه والخروج عليه عصيان لله عز وجل وشق لوحدة الجماعة وإضعاف لها. فيحين تطرقت في المبحث الثالث إلى حضور هاجس الشرعية في الخطاب السياسي الأموي، فبعد مطلب تأصيلي لمفهوم الخطاب في الثقافتين الغربية والعربية حددت أسس الشرعية الموظفة في الخطاب السياسي الأموي وهي أربعة فيما أزعم وتتمثل في: توظيف القرآن الكريم، والقُرَشية، وولاية دم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أما مبدأ الجبر وهو من أهم أسس الشرعية التي وظفها الأمويون في خطابهم السياسي فقد ارتأيت عدم إدراجه في هذا المبحث تجنبا لتكرار المعلومات، وقد أشرت إلى اتخاذه من قبل الحكام الأمويين في مواضع كثيرة من الدراسة. أما المبحث الرابع فقد خصصته لدراسة التوظيف السياسي للحديث النبوي موضحا كيف استعان الأمويون بالنص الحديثي للدفاع عن سلطتهم وإثبات أحقيتهم في الخلافة ونسف طروحات مخالفيهم والمعارضين لهم وعلى رأسهم الشيعة والخوارج.

وفي الفصل الثالث تناولت حضور العنف في الخطاب السياسي الأموي خلال العهد السفياني ثم المرواني، مُبرزا أهم أسبابه، وتجلياته من خلال دراسة وتحليل خطب ورسائل الخلفاء والولاة الأمويين، مع تحديد أهم المصطلحات والمفاهيم المتداولة في سبيل تفكيك بنية هذا الخطاب وفهم أطره وغاياته، وأخيرا قمت بجمع مختلف الألفاظ التي تدخل في خانة "العنف اللفظي" من نعوت تحقيرية وغيرها أطلقها الأمويون على معارضيهم ووظفوها في خطبهم ومراسلاتهم.

وعُني الفصل الرابع بدراسة مؤسسة السجن وواقع السجناء، وللضرورة المنهجية قمت بالعودة للوراء لبحث تاريخ السجون عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، وتاريخ ظهور مؤسسة السجن في الاسلام، وأنواع السجون وخصائصها قبل العصر الأموي، وفي المبحث الثاني تطرقت إلى أصناف السجناء خلال العصر الأموي، وقد تعددت وتنوعت فشملت أمراء البيت الأموي والمعارضين والثوار والولاة والكُتَّاب والشعراء والأشراف والعلماء والزهاد والنساء والأبناء، واعتمادا على دراسة

أسباب سجن كل حالة على حِدة وصلت إلى تحديد أسباب السجن وقد تمثلت في الأسباب السياسية خاصة، والأسباب الاقتصادية والاجتماعية والمذهبية، بل وحتى الحزازات الشخصية.

أما المبحث الثالث فكان لاستقصاء أحوال السجناء ومعاملتهم داخل السجون، وظروفهم من مأكل وملبس ونظافة وزيارة وغيرها، وهي الظروف التي أكدنا على أنها كانت سيئة بالنسبة لغالبية السجناء باستثناء أقلية قليلة حظيت بامتيازات معينة داخل السجن، ثم تطرقت إلى الجهود الاصلاحية التي قام بها الخليفة عمر بن عبد العزيز لإصلاح واقع السجون وتحسين أوضاع المساجين، وهي الجهود التي توقفت بعد وفاته حيث أهمل خلفاءه سياسته وعاد واقع السجون الأموية إلى ما كانت عليه. وفي المبحث الرابع بحثت في أنواع السجون وتوزيعها الجغرافي ومدة السجن وكيفية الخروج منه سواء بإطلاق السراح أو الفرار منه.

وفي الفصل الخامس تم دراسة مشاهد العنف واستباحة الأجساد والأرواح بصنوف العذاب المختلفة، تطرقت في المبحث الأول لمظاهر التعذيب خلال فترة الدراسة من تقييد وتكبيل وضرب وجلد، وأشكال أخرى تعددت وتنوعت بتنوع الجُرم المقترف من الضحايا، وشخصية الآمر بالتعذيب وموقفه من الضحية وحتى مزاجيته، مع استعراض بعض النماذج التي نالت نصيبا كبيرا من التعذيب. وفي المبحث الثاني تناولت مظهرا فظيعا وقاسيا من مظاهر التسلط على الجسد وانتهاك حرمته وهو "المثلة" التي لم يسلم منها لا أجساد الأحياء ولا جثث الأموات، وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين، تناولت في المطلب الأول المثلة بالأحياء والتي تدرجت في شدتها من العقاب المعنوي بحلق اللحية والرأس، إلى العقاب الجسدي الذي تعددت أساليبه لتشمل قطع الأطراف والألسن وسمل الأعين وقلع الأضراس وغيرها، أما المطلب الثاني فخصصته للمثلة بجثث الضحايا، وأهم أشكالها: قطع الرؤوس ونصبها على الرماح أو أبواب المساجد والمدن وغيرها من الأماكن العامة، والطواف بالأعضاء المقطوعة وصولا إلى نبش القبور وإحراق جثث الموتى، وغيرها من الأساليب التي هدفت السلطة الأموية من خلالها إلى إبراز سطوتها وقدرتها على التنكيل بضحاياها مهما كانت صفاتهم ومكانتهم. أما المبحث الثالث فخصصته لدراسة عقوبات "الصلب" و"التشهير" و"النفي".

فيحين جاء الفصل السادس لبحث عمليات القتل الحادثة خلال فترة الدراسة، وقد قسمت هذا الفصل إلى تسعة مباحث، تناولت في المباحث الثمانية الأولى أصناف القتلى وأسباب قتلهم وهي متعددة ومتنوعة، والأساليب المتبعة في ذلك، أما المبحث التاسع فكان دراسة إحصائية

اشتملت على مقارنة عدد القتلى بين العهدين السفياني والمرواني، ومحاولة تفسير أسباب التباين بينهما، وكذا التوزيع الجغرافي لعمليات القتل، وأخيرا أساليب القتل.

أما خاتمة الدراسة فتضمنت أهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

– تحليل المصادر والمراجع:

أولا– الوثائق:

1– المسكوكات:

تمثل المسكوكات مصدرا مهما لدراسة المرحلة المبكرة من التاريخ الاسلامي عموما، والتاريخ الأموي خصوصا، وذلك لما تحتويه من معطيات هامة جدا حول تاريخ هذه المرحلة، والتغيرات الحاصلة فيها سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو المذهبي، وقد أفاد البحث منها في تتبع ألقاب الخلفاء الأمويين وتحديدا لقب "أمير المؤمنين" ولقب "خليفة الله"، وهما يمثلان مظهران رئيسيان للتحول في طبيعة السلطة خلال هذه المرحلة مقارنة مع المرحلة السابقة، سواء من حيث أسس الشرعية أو نمط الممارسة.

ومن أهم الأعمال التي استندت إليها في هذا الجانب أعمال John Walker وهي:

_**A Catalogue of the Arab-byzantine and post-reform Umaiyad coins,** the trustees of the British museum, London, 1956.

_ **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins**, the trustees of the British museum, London, 1941.

وقد اعتنى في هذين العملين المهمين بجمع وفهرسة مختلف أنواع المسكوكات الأموية وغيرها ذات النمط العربي البيزنطي أو العربي الساساني.

إضافة إلى هذين العملين المهمين، تشكل أعمل كل من محمد عبد الستار عثمان[1]، Henri

[1] – **دلالات سياسية دعائية للآثار الاسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.**

Miles, ، Adam R Gaiser[3]، Jere L Bacharach[2] ،[(1)] Lavoix George C[4]، مرجعا مهما في ما يخص تطور المسكوكات في هذه المرحلة والتغيرات الطارئة عليها ودلالاتها السياسية والاقتصادية والمذهبية.

2- النقوش:

إلى جانب المسكوكات، تحتل النقوش والشواهد الأثرية أهمية قصوى في دراسة تاريخ هذه المرحلة، وقد تم التركيز في ما يخص هذا الجانب خاصة على البحث في حضور ألقاب الخلفاء الأمويين في هذه النقوش، ودلالات هذه الألقاب، وقد استفاد البحث في هذا الجانب خاصة من أعمال [(5)]Robert Hoyland، و [(6)]Fréderic Imbert، ومحمد أبو الفرج العش[(7)].

3- البرديات:

وإلى جانب النوعين السابقين شكلت البرديات مصدرا على درجة كبيرة من الأهمية والموثوقية بالنسبة لهذه الدراسة، رغم قلة المعلومات التي تم الاستفادة منها، وتبرز أهميتها خاصة في تتبع حضور لقب "أمير المؤمنين" في المراسلات الأموية، وإيرادها بعض الممارسات العقابية التي كانت منتشرة خلال هذه المرحلة في مصر تحديدا، وهذا ما تؤكده مراسلات قرة بن شريك العبسي[(8)].

---

(1) - **Catalogue des Monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale khalifes orientaux.**

(2) - **signs of sovereignty: The Shahāda, Qur'anic verses, and the coinage of ʿAbd al-Malik.**

(3) - **What Do We Learn About the Early Khārijites and Ibāḍiyya from Their Coins?.**

(4) - **A unique Umayyad dinar of 91 H/A.D. 709-710.**

(5) - **Khanāṣira and Andarīn (Northern Syria) in the Umayyad Period and a New Arabic Tax Document. - new documentary texts and the early Islamic state**

(6) - **Califes, princes et compagnons dans les graffiti de l'islam. - L'Islam des pierres : l'expression de la foi graffiti arabes des premiers siècles.**

(7)- **كتابات عربية غير منشورة في جبل أسيس.**

(8) – حول البرديات الأموية ينظر أعمال:

– مغاوري محمد، سعيد: **الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية.**– أبو صفية، جاسر بن خليل: **برديات قرة بن شريك العبسي دراسة وتحقيق.** – Donner, Fred M.: **Fragments of Three Umayyad Official Documents**.

ثانيا– المصادر الاخبارية:

– "**تاريخ الرسل والملوك**" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ/922م) والذي نقل لنا كمًّا هائلا من الروايات التاريخية المتعلقة بفترة الدراسة، خاصة ما تعلق منها بالجانب السياسي، والناظر في كتاب الطبري يلفت انتباهه الفرق بين دور الطبري كمؤرخ أو محرر، وبين نِتاج عمله، أي تاريخ الطبري ككُل، وهو عمل ساهم في تأليفه كُتَّاب ورُوَّاة كثيرون[1]، ذلك أنه اعتمد في نقل أخباره على منهج المحدِّثين في الاسناد، وبروايات متعددة، مُحَمِّلا الرواة مسؤولية عدم الدقة في نقل الأخبار[2]، وهذه "المعرفة الناقصة"[3] سواء من قِبَل الطبري أو رواته لا تنقص من القيمة العظيمة لهذا المصدر التاريخي.

يمثل هذا المصدر–إلى جانب أنساب الأشراف للبلاذري – أهم دعائم الدراسة لما احتواه من أخبار عن تاريخ الدولة الأموية، سواء في مرحلة التأسيس، أو سياسات الخلفاء وموقفهم من رعيتهم بشكل عام ومعارضيهم والثائرين عليهم بشكل خاص، كما تضمن كثيرا من أخبار وصور الممارسات العقابية التي تعرض لها ضحايا الأمويين.

– "**كتاب المحن**" لأبي العرب التميمي(ت333هـ/944م): وقد جمع فيه صاحبه المحن التي أصابت كثير من أعلام الأمة من خلفاء، وصحابة، وأبناء الصحابة، والتابعين، والفقهاء، والقضاة...، وقد أفاد البحث كثيرا بما احتواه من أخبار القتل والسجن والضرب والتعذيب والصلب وغيرها من أشكال المحن، ولا بد من الاشارة إلى أنه اقتصر في أخباره على ذكر محن أهل السنة، مُعتمدا على منهج المحدثين في نقل أخباره، ورغم ذلك تميزت أخباره بالمبالغة والتحريف أحيانا[4].

---

[1] – بواز شوشان : **شعرية التأريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري**، ص18، 19.

[2] – يقول الطبري في هذا الشأن: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدركَ بحجج العقول، واستُنبطَ بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه...فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يُؤْتَ في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، أنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا". أنظر: **تاريخ الطبري**، ج1، ص7، 8.

[3] – بواز شوشان: **شعرية التأريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري**، ص73.

[4] – عروسي لسمر: **العنف والمقدس في الاسلام**، ص98.

وحسب أحد الباحثين فإنه على الرغم من تخصيص هذا الكتاب للمحن فإن غايته الفعلية لم تكن "الوقوف على درامية التاريخ الاسلامي بل للبحث عن تبريراتها"[1]، ولهذا نجده يتوسع كثيرا في توظيف المدونة الحديثية الحافلة بالنصوص المحاصِرة للخلافات، والمؤَوِّنة للأحداث "بطابع قَدري يسيطر على الارادة الانسانية ويوجهها"[2]، بمعنى أن عنف السلطة المسلط على الضحايا لا يمكن تفسيره إلا بكونه قضاء وقدر من الله عز وجل نزل على هؤلاء الضحايا.

هذا بالإضافة إلى مصادر أخرى تم الاعتماد عليها في الدراسة ولو بدرجة أقل، لكن هذا لا ينقص من قيمتها التاريخية، على غرار مؤلفات ابن حبيب(ت245هـ/859م) وتحديدا كتاب "**أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام**"، و"**كتب المحبر**"، و"**تاريخ خليفة بن خياط**" (ت240هـ/854م)، و"**تاريخ اليعقوبي**"(ت284هـ/897م). و"**مروج الذهب ومعادن الجوهر**" للمسعودي (ت346هـ/957م)، و"**العيون الحدائق في أخبار الحقائق**" لمؤلف مجهول.

إلى جانب المصادر العربية، استفاد البحث من مصادر غير عربية مسيحية وسريانية على غرار "**كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**" لابن البطريق، و"**تاريخ مختصر الدول**" لابن العبري، و"**تاريخ البطاركة**" لساويرس بن المقفع، وديونوسيوس دي تلمحري في كتابه "**الوقائع التاريخية السريانية**"، و"**المنتخب من تاريخ المنبجي**" للمنبجي، إضافة إلى كتاب ميخائيل السرياني الكبير المسمى "**تاريخ مار ميخائل السرياني الكبير**"، وأخيرا "**الوقائع التاريخية المارونية**"[3]، وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة في هذه المصادر حول موضوع الدراسة وضرورة الحذر في التعامل مع ما تورده من أخبار فإن لها أهميتها الخاصة؛ ذلك أنها تمثل نظرة الشعوب المغلوبة للمسلمين وللسلطة الاسلامية عموما والأموية خصوصا، كما أنها غير خاضعة لنفس المؤثرات التي خضعت لها الكتابة التاريخية الاسلامية.

---

[1] – **نفسه**، ص97.

[2] – **نفس المرجع والصفحة**.

[3] – أورد نتف منها Robert C Hoyland، في كتابه: **seeing Islam as others saw it A survey and evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian writings early Islam**.

ثالثا– كتب الأنساب والتراجم والطبقات:

– "**كتاب جُمل من أنساب الأشراف**" لأحمد بن يحي بن جابر البلاذري(ت278هـ/ 891م)، يُعتبر من أهم مصادر التأريخ للقرون الهجرية الثلاث الأولى، ذلك أنه إذا كانت كتب الأنساب الأولى قد ركزت على قبيلة قريش باعتبارها قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، فإن البلاذري اتخذ نهجا مغايرا تماما؛ حيث اتسعت أخباره إلى الحد الذي جعله يبدو "أشبه بتاريخ شامل، مرتب تقريبا حول بعض الأُسر البارزة منه بكتاب أنساب بالمعنى الحصري الدقيق"[1]، حيث جمع فيه مؤلفه أخبار الخلفاء والولاة وسياساتهم والقادة العسكريين وإنجازاتهم والعلماء وأخبار الحركات الثورية الخارجية والشيعية وغيرها طيلة القرون الهجرية الأولى، وما عزز من قيمته أكثر هو "تحرر المؤلف الظاهر من كل الانتماءات الايديولوجية"[2].

شكَّل هذا الكتاب مصدرا خصبا للمعلومات عن تاريخ الدولة الأموية منذ جهود التأسيس التي قام بها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى سقوطها على يد العباسيين، وقد غطت أخباره جميع فصول ومباحث الدراسة تقريبا، حيث أفادني في معرفة ظروف وملابسات تأسيس هذه الدولة، وسياسات الخلفاء والولاة في تسيير شؤونها، وعلاقتهم برعيتهم، فضلا عن الحركات الثورية خلال هذا العصر، كما شكل رافدا مهما بما أورده من أخبار العنف السلطوي الممارس ضد الأفراد سواء بالقتل أو التعذيب أو المثلة أو السجن أو الصلب أو النفي.

– "**تاريخ مدينة دمشق**" لابن عساكر(ت571هـ/1175م)، على الرغم من كونه متأخر نسبيا عن فترة الدراسة إلا أنه يُعتبر مصدرا مهما وثريا، لغناه بالأخبار التاريخية خاصة ما تعلق منها بأخبار السجن والقتل والتعذيب...وغيرها من صنوف المحن التي تعرض لها أصناف مختلفة سواء من عوام الناس أو خواصهم.

إلى جانب هذين المصدرين شكل "**كتاب الطبقات**" لمحمد بن سعد(ت230هـ/844م)، و"**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" لأبي نعيم الأصفهاني(ت430هـ/1038م)، مصدرا مهما عن سير الأعلام المترجم لهم وخاصة علاقتهم بالسلطة الأموية وتفاعلهم معها سلبا أو إيجابا.

---

[1] – طريف الخالدي: **فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة**، ص117.

[2] – **نفسه**، ص119.

رابعا– كتب الحديث والآثار:

تم توظيف متون الحديث وشروحها في الفصل الثاني بشكل أساسي في المبحث الخاص بالتوظيف السياسي للحديث النبوي الشريف، وتكم أهميتها في إيرادها للكثير من الأحاديث النبوية التي يمكن توظيفها في الدفاع عن شرعية الخلفاء الأمويين وتبرير العنف الممارس ضد الثائرين عليهم باعتبارهم مفقرين للجماعة الاسلامية، ومن أهم مصادر الحديث التي اعتمدت عليها: كتاب "**المصنف**" لعبد الرزاق الصنعاني (ت211هـ/ 826م)، و"**المصنف**" لابن أبي شيبة (ت235هـ/ 849م)، و"**مسند**" الإمام أحمد(ت241هـ/855م)، و"**صحيح البخاري**" (ت256هـ/ 869م)، و"**صحيح مسلم**"(ت261هـ/874م) ... وغيرها.

خامسا– الدواوين الشعرية:

مَثَّل الشعر سلاحا ذو حدين، ففي الوقت الذي وظَّف فيه الحكام الأمويون الشعر والشعراء لخدمة مصالحهم السلطوية وإثبات شرعيتهم في الخلافة والانتقاص من شأن معارضيهم، بحيث أصبحت أعمالهم الشعرية تمثل "دعائم ايديولوجية"[1] لهؤلاء الحكام، على غرار أشعار كل من الفرزدق، وجرير، والأخطل...، فإنه في المقابل؛ مثَّل الشعر أيضا وسيلة المعارضين –جماعات وأفراد– لفضح تجاوزات الأمويين في حق رعيتهم والمتنافية مع تعاليم الاسلام، والتأكيد على فقدانهم للشرعية في حكم دار الاسلام، خاصة بالنسبة لشعراء الخوارج والشيعة، إضافة إلى ذلك مثلت دواوين الشعراء مصدرا خصبا لأخبار المسجونين والمعذبين والمنفيين، خاصة وأن هذا الشعر هو نتاج تجارب فردية عاشها هؤلاء الشعراء، فكانت قصائدهم–رغم أسلوبها الأدبي وما قد يعتريها من مبالغات– شهادات حية عن علاقة السلطة الأموية برعيتها وتعاملها معها، والأثر الجسدي والنفسي لتجاربهم المريرة.

ومن أهم الدواوين الشعرية التي اعتمدت عليها: "**ديوان الفرزدق**"، و"**ديوان جرير**"، و"**ديوان الأخطل**"، و"**ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**"، و"**ديوان يزيد بن مفرغ**"، و"**ديوان يزيد بن الطثرية**"، و"**ديوان هُدْبَة بن الخشرم**"...وغيرها.

[1] – محمد أركون: **الفكر الاسلامي، قراءة علمية**، ص171.

سادسا– المصادر الأدبية وكتب الوعظ:

تتفاوت في أهميتها وتوظيفها حسب الأخبار الواردة فيها والمتعلقة بموضوع الدراسة، ومن أهمها كتابَي ابن أبي الدنيا(ت281هـ/894م): "**الفرج بعد الشدة**"، و"**الصبر والثواب عليه**"، وقد جمع فيهما أخبار بعض "الممتَحَنين" سواء من عامة الناس أو خاصتهم، وما تعرضوا له من محن على يد الخلفاء والولاة الأمويين، وتعاملهم معها.

وعلى غرار ابن أبي الدنيا ألَّف المحسِّن بن علي التنوخي(ت384هـ/994م) كتابه "**الفرج بعد الشدة**" وجمع فيه –هو الاخر– الشدائد والمحن التي واجهت أصناف متعددة من الناس، وقد شملت أخباره الأنبياء والخلفاء والوزراء والكُتَّاب والولاة والعمال والقضاة وعامة الناس رجالا ونساء، وتنوعت هذه المحن بين القتل والتعذيب والنفي والسجن والمثلة وغيرها، فكان كتابه حافلا بصور المعاناة الجسدية والنفسية للضحايا، كما رسم لنا صورة قاتمة –في غالب الأحيان– عن الحكام، خلفاء وولاة، والذين لم يتوانو في البطش بضحاياهم لأسباب سياسية في الغالب، بل وحتى لدوافع شخصية بحتة.

ومن المصادر الأدبية الأخرى التي تم توظيفها كتاب "**الكامل**" للمبرد(ت285هـ/898م)، ومؤلفات الجاحظ(ت255هـ/868م) وعلى رأسها "**البيان والتبيين**"، و"**رسائل الجاحظ**"، و"**العقد الفريد**" لابن عبد ربه الأندلسي(ت328هـ/939م)، وكتاب "**الأغاني**" لأبي الفرج الأصفهاني(ت356هـ/ 976م)...وقد زخرت هذه المصادر بالأخبار التاريخية خاصة ما تعلق منها بتعامل السلطة مع بعض الأفراد، كما حفظت لنا رسائل الخلفاء والولاة الأمويين والتي مكنتنا دراستها وتحليلها من تتبع حضور "العنف" في الخطاب السياسي الأموي.

– المراجع والدراسات الحديثة:

يمكن تقسيم المراجع المعتمدة إلى صنفين: يندرج تحت الصنف الأول الدراسات التي اهتمت ببحث إشكالية السلطة والشرعية في تاريخ الاسلام المبكر، وفي هذا الاطار تُشكِّل دراسات وأبحاث

رضوان السيد[1] مرجعا لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ القرون الهجرية الأولى، خاصة مع ما أدخله من مقاربات ومناهج جديدة في "كتابة تاريخ مفهومي للفكر الاسلامي الوسيط أو تاريخ للأفكار في مجالات التفكير بالجماعة والمجتمع والدولة"[2]، حيث وجه اهتمامه إلى بحث أسس السلطة في الاسلام وبنية الدولة الاسلامية الأولى، ودراسة مسألة السلطة والشرعية في التجربة السياسية الاسلامية خلال العصر الوسيط، فكانت دراساته من أهم ما استفدت منه خاصة ما تعلق بالفصل الأول والثاني.

من جانبه، الباحث عمار العشي[3] من خلال بحثه في الجذور العميقة للفتنة الثالثة، وتحليل طبيعة الصراع القيسي-اليمني بإقليمي الشام والجزيرة الفراتية منذ زمن الفتح، ثم تشريح طبيعة السلطة الأموية، يطرح تساؤلا مركزيا هو: هل هي(السلطة الأموية) تَواصل لمبدأ الملك أم انقلاب مُدَبَّر للخلافة؟ ليؤكد من خلال بحثه حتمية التباس الملك بالخلافة الأموية، وأن وصول معاوية بن أبي سفيان يعتبر أبرز حجة على أن مصير الخلافة هو "الالتحام الحتمي" بالملك باعتباره سلطانا زمنيا، أما قضية الشرعية السياسية للدولة الأموية فهي حسب رأيه قضية يصعب البت فيها ولا يُمكن الاجابة عنها إجابة قطعية.

أما بثينة بن حسين[4] فقد بحثت من خلال أطروحتها الجامعية في طبيعة المؤسسات الادارية الأموية والمقومات الاجتماعية والايديولوجية التي قام عليها الحكم الأموي، وكيف اجتهد الأمويون

---

[1] – أهم كتبه التي اعتمدت عليها كتاب: **الأمة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر السياسي العربي الاسلامي**. وكتاب: **الجماعة والمجتمع والدولة سلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الاسلامي**. أما المقالات فاعتمدت على: **السلطة في الاسلام دراسة في نشوء الخلافة**. ومقال: **الكاتب والسلطان دراسة في ظهور كاتب الديوان في الدولة الاسلامية**. ومقال: **مسألة الشورى والنزوع الإمبراطوري في ضوء التجربة التاريخية للأمة**. وأخيرا: **المشروعية والشرعية والحقوق في التجربة التاريخية للأمة**.

[2] – مجموعة مؤلفين: **الأمة والدولة والتاريخ والمصائر دراسات مهداة إلى الأستاذ رضوان السيد بمناسبة بلوغه الستين**، ص15.

[3] – طبعت أطروحته الجامعية لأول مرة بعنوان: **تاريخ بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري جذور الفتنة الثالثة وسقوط الدولة الأموية125–132هـ/743–750م**، أما الطبعة الثانية فحملت عنوان: **الفتنة الثالثة بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري**.

[4] – طبعت هذه الأطروحة التي ناقشتها في جامعة تونس الأولى في كتاب بعنوان: **الدولة الأموية ومقوماتها الاجتماعية والايديولوجية**.

من خلال استحداث مقومات جديدة للشرعية في "التعتيم" على أسس الشرعية التي تم اعتمادها خلال العصر الراشدي.

ومن أهم الدراسات التي تصدت لبحث مسألة شرعية السلطة في الاسلام خلال القرون الهجرية الأولى نجد دراسات كل من: باتريشيا كرون ومارتن هيندز[1]، وحياة عمامو[2]، وعبد الجواد ياسين[3]، وعبد الرؤوف بولعابي[4]، والفضل شلق[5]، وأوري روبين[6]، حيث عالج هؤلاء الباحثون كل حسب مُنْطَلَقاته وأهدافه البحثية، ومقارباته المنهجية، أسس بناء الدولة في الاسلام، وتطور الفكر السياسي الاسلامي، وكيف تعامل الحكام المسلمون مع مأزق الشرعية الذي واجههم خصوصا في مواجهة الحركات المعارضة التي ما فتأت تؤكد على عدم شرعية هؤلاء الحكام.

أما الصنف الثاني فقد اختص بدراسة الممارسات العقابية للسلطة الأموية وأغلبها توجهت نحو دراسة مجال السجن في العصر الأموي، من حيث بحث أسباب السجن وتاريخ ظهور مؤسسة السجن وتطورها منذ العصر الراشدي إلى نهاية العصر الأموي وما بعده، وأصناف السجناء، وظروف السجن وغيرها.

من أهم هذه الأبحاث دراسة أحمد مختار البرزة[7] التي تطرق فيها إلى ظاهرتي الأسر والسجن عند العرب منذ الجاهلية وعلى مدار الثمانية قرون الهجرية الأولى، وقد قسمت دراسته إلى قسمين، قسم تاريخي ثم قسم أدبي، والقسم التاريخي –وهو الذي يعنينا في دراستنا– ينقسم بدوره إلى فصلين، تم تخصيص الفصل الأول لظاهرة الأسر في الجاهلية والاسلام مع عرض أسبابها ومظاهرها وآثارها، أما الفصل الثاني فعالج فيه ظاهرة السجن في الجاهلية والاسلام أيضا، مُعرِّجا على أماكن السجون وأنواعها وخصائصها، ثم دراسة مجتمع السجن من سجانين وسجناء، وأحكام السجن، والزيارات وغيرها، وأخيرا أسباب السجن وهي في رأيه تنحصر في أربعة أسباب رئيسية، هي الأسباب

---

(1) – **خليفة الله: السلطة الدينية في العصور الاسلامية الأولى.**

(2) – **السلطة وهاجس الشرعية في صدر الاسلام.**

(3) – **السلطة في الاسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ.**

(4) – **السلطة في الاسلام مقاصد الشريعة وشرعية السلطة.**

(5) – في مقال له بعنوان: **الجماعة والدولة جدليات السلطة والأمة في المجال العربي الاسلامي.**

(6) – في مقال له بعنوان: **الأنبياء والخلفاء: الأسس التوراتية للسلطة الأموية.**

(7) – **الأسر والسجن في شعر العرب.**

السياسية، والأسباب المرتبطة بالخيانة والعصيان، ثم الأسباب المرتبطة بانتهاك حرمة الآداب العامة والاستهتار الأخلاقي، وأخيرا الأسباب العقائدية.

كما قدم "مصطفى بن واز"[1] رسالة جامعية حول السجون الأموية، تطرق فيها إلى أسباب السجن، وأنواع السجون، وإدارتها، وأصناف السجناء، وأوضاعهم داخل السجن، خاتما بحثه بدراسة لأدب السجون، لكن ما يميز هذه الدراسة أنها موغلة في السطحية، وبلغة ركيكة جدا، وأسلوب ضعيف للغاية، كما فشل في الإلمام بجميع جوانب الموضوع، فضلا عن الاستنتاجات الغريبة[2]، والأخطاء التي وقع فيها[3].

أما أبحاث " Sean W Anthony"[4]، فاتخذت من الفضاء الحجازي مجالا لها، حيث حيث بحث في نشأة السجون الاسلامية في الحجاز خلال العصر الراشدي، وتطورها من فكرة "الدار-الحبس" إلى مؤسسة حبسية قائمة بذاتها، ثم انتشارها في الأمصار المفتوحة بالتوازي مع توسع المجال الجغرافي للدولة الاسلامية مع حركة الفتح، مع البحث في نمط إدارتها والتجاوزات الحاصلة فيها في حق نزلائها.

- الصعوبات:

من أهم الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذه الدراسة نذكر:

---

[1] - **السجون في الدولة الأموية41-132هـ/661-750م**، وهي أطروحة دكتوراه ناقشها بجامعة وهران سنة 2014.

[2] - من بينها قوله: "إن السجون أصبحت الوسيلة المثلى للأمويين كي يضعوا حدا لنشاط معارضيهم..."(ص25)، ثم يناقض نفسه بالقول: أن السجون في العصر الأموي كانت "غاية وليست وسيلة"(ص197) دون أن يقدم أدلة مقنعة على رأيه هذا. وقوله: "إن الحكام في العصر الأموي استخدموها ضد خصومهم قصد تصفيتهم..."(ص197)، فإذا كان هذا هو المنطق الأموي في استحداث السجون واستعمالها أليس من الأصح القول أن الأمويين استخدموا السجن كوسيلة للحد من نشاط معارضيهم وتصفيتهم، فالوسيلة هي السجن أما التصفية فهي الغاية، ومن أغرب استنتاجاته أيضا قوله: "إن السلطة لم تكن جادة في أهدافها من السجن لأنها –كما أعتقد- أصيبت بسكر السلطان وهو من أخطر أنواع السكر"(ص198)، ولست أدري تحديدا مالذي يقصده من قوله هذا.

[3] - من بين الأخطاء التي وقع فيها جعله كل من المختار بن عبيد الثقفي، ومصعب بن الزبير من ولاة الأمويين على العراق؟. **أنظر**: ص204.

[4] - **The Domestic Origins of Imprisonment: An Inquiry into an Early Islamic Institution.**
- The Meccan Prison of ʿAbdallāh b. al-Zubayr and the Imprisonment of Muḥammad b. al-Ḥanafiyya.

– صعوبة متعلقة بالموضوع في حد ذاته الذي يعالج إشكاليات متعلقة بـ "السلطة" و"الشرعية" و"العنف"، وتداخل الحقول المعرفية المهتمة بهذه المواضيع.

– هيمنة روايات الحوادث السياسية، وأخبار الحروب والثورات على المصادر الاخبارية التقليدية، وتركيز كتب الأنساب والتراجم والطبقات على سِيَر الأعلام وأخبارهم، بينما تم إهمال ذكر أخبار عامة الناس وفئاتهم الدنيا المصنّفين في خانة المهمّشين، ومواقفهم باعتبارهم "شهود عيان" على العنف السلطوي الأموي، رغم أهمية مواقفهم، ذلك أنه لا يمكن التغاضي أو إلغاء أهمية الآراء التي لا يُعلن عنها من قبل المصادر.

– قلة المعلومات التاريخية المتعلقة بالأمصار البعيدة وتركيز المصادر التاريخية على الأقاليم المركزية على غرار العراق والشام والحجاز ومصر.

– تعرّض الكتابة التاريخية الاسلامية لعوامل مختلفة حددت موقفها السلبي من الأمويين، خاصة وأنها كتبت زمن العباسيين المعادين للأمويين، وتأثير العامل المذهبي على الروايات التاريخية، إضافة إلى النظرة السائدة –قديما وحتى حديثا– عن غالبية الحكام الأمويين واعتبارهم ملوكا دنيويين بعيدين عن بساطة الاسلام، ومقارنة عصرهم بعصر الخلفاء الراشدين.

– قلة الدراسات التاريخية حول ظاهرة العنف السلطوي وتجلياته خلال فترة الدراسة مما صعب علينا التعامل مع العديد من جوانب الموضوع، إضافة إلى سيطرة التقليد والنظرة التقديسية لتاريخ الاسلام المبكر من قبل الكثير من الباحثين المسلمين.

في الأخير، وكأي عمل بشري يبقى هذا العمل مُعَرَّضا للخطأ والقصور والنقص، فالكمال لله وحده عز وجل، فما أصبت فمن الله وما أخطأت فمن نفسي والشيطان.

تمهيد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مع نزول الوحي عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر تعاليم الدين الجديد في مكة، وبما أن النُبوة مَثَّلت حركة ثورية بالمعنى العميق للكلمة[1] في قلب الجزيرة العربية، فإن هذه الحركة جعلت النبي قائدا روحيا وسياسيا وعسكريا بعد هجرته إلى يثرب في السنة الثالثة عشر للبعثة. غير أن هذا الموقع القيادي للرسول صلى الله عليه وسلم لم يَتم بِناؤه خلال مدة قصيرة، ولم يَتَأَتَّ من صحيفة المدينة[2] فحسب؛ التي مَثَّلت كتاب "تَعاقُد" مَكَّن من إقامة مجتمع سياسي في المدينة[3]، وإنما جاء هذا الموقع أساسا من كونه صلى الله عليه وسلم يحمل رسالة سماوية مُرسل لتأديتها، فكانت قيادته تختلف اختلافا جذريا عن القيادات القبلية التي عرفتها مجتمعات مكة أو يثرب أو غيرهما[4].

وبوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم طرحت مشكلة خلافته في تسيير أمور الجماعة الإسلامية، خاصة وأن الخطاب القرآني لم يُحدد تَسمية النظام النموذجي الممثِل لنظريته السياسية، وامتنع على نحو مقصود عن بناء نظرية في الدولة، وبقي محافظا في تركيز اهتمامه على بنية السلطة[5]، وهكذا السنة النبوية. فترك المجال مفتوحا أمام الجماعة الإسلامية الناشئة لِتُحدد طبيعة النظام الذي تراه ضروريا ويتماشى مع مُتطلبات وجودها ورسالتها. كان هذا النظام هو "الخلافة"، أي خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم في قيادة الأمة الإسلامية وهو ما اصطلح على تعريفه في الأدبيات السياسية الإسلامية بـ " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[6]، أما النبوة فإنها ختمت بوفاته صلى الله عليه وسلم.

كان اجتماع سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار هو الذي حَسم مشكلة خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم لصالح قريش أمام مطالب الأنصار في الاستئثار بالحكم أو مُقاسمته،

---

(1)- برهان غليون: **نقد السياسة الدين والدولة**، ص56.

(2)- يعتبرها البعض دستورا وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى يثرب(المدينة) لتنظيم العلاقة بين المسلمين(مهاجرين وأنصارا)، وبينهم وبين الكافرين والجماعات اليهودية في المدينة، ومن خلالها أصبح الرسول حَكَما في المدينة وقد أورد نصها ابن هشام في سيرته.

(3)- رضوان السيد: **مسألة الشورى والنزوع الإمبراطوري في ضوء التجربة التاريخية للأمة**، ص34.

(4)- زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الإسلام**، ص 88.

(5)- عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص245.

(6)- الماوردي: **كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ص13. ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص563.

فكان الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو الشخصية التَوافُقية، حيث تَمت مُبايعته كخليفة للرسول، فما هي المقاييس التي سمحت لأبي بكر بتولي سلطة المسلمين؟ هل هي مقاييس المشيخة والرئاسة المعروفة في الجاهلية؟ أم أنها مقاييس إسلامية مستحدثة؟ أم هما معا؟.

كانت مقاييس الشرف والرئاسة في فترة ما قبل الإسلام قائمة على تحقيق الرئيس/الشيخ لـ "التطلعات العميقة للمثال الجماعي، الذي يكون هو رمزه الحي"[1]، لذلك يجب أن تتوفر فيه صفات هي في الواقع صفات خُلقية تعد حيوية للمجتمع البدوي[2]، منها: أن يكون من بيت عصبية غالبة، ويكون من ذوي الأسنان(شيخ = مسن)، متميزا بالكرم، ومساعدة الفقراء، وقِرى الضيف، والشجاعة، والحنكة، والتجربة، وتحمل الأذى...[3]، وبتطبيق هذه المعايير فإن من يجب أن يتولى سلطة المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان صخر بن حرب سيد عشيرة بني أمية أقوى عشائر قريش[4]، الذي اجتمعت له رئاسة قريش في بداية الدعوة المحمدية[5]، وبدرجة أقل العباس بن عبد المطلب الهاشمي[6]، وبما أن أبا بكر الصديق ينتمي لعشيرة "تَيم بن مرة" والتي لم تكن من العشائر المتنفذة في قريش[7]، فهذا يعني أن المنطق القبلي قد اشتغل جيدا لحسم الجدال بين قريش(المهاجرين) من جهة، والأوس والخزرج(الأنصار) من جهة أخرى، لصالح قريش، غير أنه–هذا المنطق– لم يشتغل كما كان متوقعا داخل قبيلة قريش بالذات بين عشائرها المكونة لها، كان المنطق القبلي قد اشتغل، إذا، على مستوى القبيلة، غير أنه لم يشتغل على مستوى العشيرة[8].

أما في الإسلام فإن أساس المفاضلة بين المسلمين هو "التقوى"، حيث ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا المعنى في قوله عز وجل: ﴿يا أَيُها الناس إنا خَلَقْناكُم من ذَكر وأُنثى وجَعَلْناكُم شُعوبا

---

(1)– يوسف شلحت: **مدخل إلى علم اجتماع الإسلام**، ص 68.

(2)– خالد العسلي وآخرون: **الشورى في الإسلام**، ص 19.

(3)– ابن قتيبة الدينوري: **عيون الأخبار**، ج1، ص225، 256. الشريف المرتضى: **أمالي المرتضى**، ج 1، ص113. ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص485، 486. عبد العزيز الدوري: **النظم الإسلامية**، ص 16.

(4)– حسين مؤنس: **تاريخ قريش**، ص343، 344.

(5)– ابن حبيب: **كتاب المحبر**، ص 246.

(6)– حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص16.

(7)– الطبري: **تاريخ الطبري** ، ج3، ص209.

(8)– عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الإسلام**، ص 152.

وقَبائل لِتَعارفوا إن أَكرمكم عند الله أَتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [سورة الحجرات. 13]، ويُعلق الطبري في تفسيره على هذه الآية بالقول: "إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أَشدكم اتقاءً له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أَعْظَمَكم بَيتا ولا أكثركم عشيرة"[1]، وإلى جانب التقوى هناك "السابقة في الإسلام"[2]. صحيح أن أبا بكر أفضل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأول من أسلم من الرجال حسب بعض الروايات[3]، ومن العشرة المبشرين بالجنة[4]، إلا أن هذا لم يكن كافيا له ليفرض سلطته على عموم المسلمين خاصة الأنصار منهم الذين احتجوا في سقيفة بني ساعدة بسابقتهم في نصرة الرسول ورسالته، وإيواء المهاجرين[5].

إذن فالمعايير التي خولت لأبي بكر تولي خلافة المسلمين كانت نتاج تداخل عوامل ثلاث، **إسلامية** أساسا: لأنه من الاِسْتِحالة بمكان أن تَنْبَني السلطة إلا على أساس السابقة الإسلامية[6]. **والقُرَشية**: لاحتجاج المهاجرين في سقيفة بني ساعدة بأن الخلافة لا تكون إلا في قريش حيث قال أبو بكر الصديق مُخاطِبا الأنصار: "وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، وهم أوسط العرب دارا ونسبا"[7]. وقول عمر بن الخطاب أيضا:" والله لا ترضى العرب أن يُؤَمّروكم ونَبيها من غيركم، ولكن العرب لا تَمْتنع أن تُولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وَوَلي أمرهم منهم، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته"[8]. وأخيرا هناك المعايير **القبلية**: مثل السن والتجربة والكفاءة القيادية[9].

---

(1)- الطبري: **تفسير الطبري**، ج7، ص86.

(2)- المسعودي: **مروج الذهب**، ج2، ص306.

(3)- ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص157.

(4)- **نفسه**، ج3، ص160.

(5)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج3، ص218، 219.

(6)- **نفسه**، ج3، ص221. الهواري: **السلطة والمعارضة**، ص178. خير الدين يوجه سوي: **تطور الفكر السياسي عند أهل السنة**، ص45.

(7)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج3، ص205، 206.

(8)- **نفسه**، ج3، ص220. يبدو أن بعض الأنصار أيضا كان لهم هذا الرأي في أحقية قريش بالأمر منهم، مثل بشير بن سعد الأنصاري أبو النعمان بن بشير الأنصاري الذي قال في اجتماع السقيفة: " ألا إن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش، وقومه أحق به وأولى". **نفسه**، ج3، ص221.

(9)- المسعودي: **مروج الذهب**، ج2، ص 304.

بعد مبايعته بالخلافة خطب أبو بكر خطبة وضح فيها الخطوط العامة لسياسته، وطبيعة سُلطته، وحقوق الرعية وواجباتها، فحسب أبي بكر فإن الجماعة الإسلامية هي من أَوصلته إلى السلطة، وهو فرد من الأمة يُخطئ ويُصيب، والمطلوب من الرعية مساعدته في تسيير أمورهم وتدبير مصالحهم، وبالمقابل لها الحق في تقويم الخليفة إن أخطأ في أمور السياسة. يقول أبو بكر: " أيها الناس قد وُليت عَليكم ولست بِخَيْرِكم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أَسأت فَقَوِّمُوني"[1]، واضح إذن أن علاقته بهم هي "علاقة تعاقدية"، وفي هذه الصيغة من التعاقد يتعهد الخليفة بأداء واجباته حسبما تقتضيه الشريعة من الدفاع عن الإسلام وحماية بيضة المسلمين، وقمع الفتنة وجهاد أعداء الله[2].

وفي الواقع فإن علاقة من هذا النوع ليست ممكنة إلا بين أفراد متساوين في الحقوق وفي المصلحة، فالفرد في هذه العلاقة لا يقبل التنازل عن حقوقه في كل شيء إلا إذا كان يقف في البداية على صعيد الطرف المتعاقد الثاني ذاته، وليس من مصلحته التخلي عن جزء من حقوقه إلا إذا تخلى الآخرون عن نفس الجزء[3]. وانطلاقا من هذا الرأي يبدو أن الخليفة أبا بكر فهم خلافته على أنها "توكيل وتفويض"[4] من الأمة التي تعتبر مصدر شرعية السلطة، لأنها المصْطَفاة والمعصومة وليس إمام المسلمين[5]، وبالتالي فهو يَنزع القداسة عن السلطة ويُبرز طابعها الزمني، وهنا يكمن الفرق الرئيسي بين سلطته وسلطة الرسول المعصومة[6].

وإذا كان مصدر شرعية السلطة وفق الخليفة أبي بكر هو "الأمة"، فإن معيار الحكم عليها (السلطة) يبقى دينيا بالأساس حيث يقول: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عَصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[7]، أي أن سَرَيان العقد القائم بين الخليفة والأمة مشروط بمدى التزام الخليفة

---

(1)- ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص661. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج1، ص591. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج3، ص210.

(2)- اروين روزنتال: **دور الدولة في الإسلام**، ص 48.

(3)- فرانسوا رانجون: **السلطة والعنف**، ص81.

(4)- أيمن إبراهيم: **الإسلام والسلطان والملك**، ص 126.

(5)- رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص 85.

(6)- بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص177. محمد عبد الحي محمد شعبان: **صدر الإسلام والدولة الأموية**، ص 29.

(7)- ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص661. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج1، ص591. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج3، ص210.

بطاعة الله ورسوله، هنا يصبح الكتاب والسنة أساس الحكم والحد الفاصل بين الطاعة والمعصية (=خلع الخليفة)، لكن الأمر المهم الذي يطرحه أبو بكر هو حق الرعية في إلغاء العقد القائم بينها وبين الخليفة وهو ما يعني "الخَلع". هكذا يمكن للرعية أن تتجاوز عن خيار سياسي خاطئ من قِبَل الخليفة، وتَكتفي بالتقويم دون المطالبة بالعزل، وفي المقابل لا يمكن أن يُسامَح أبدا في حال تجاوزه نصا مقدسا(الكتاب والسنة)، وينبغي أن يُعزل عندئذ على الفور[1].

بعد الخليفة أبي بكر الصديق، وبعهد منه، تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة سنة13هـ/634م، وهو ينتمي إلى عشيرة "عدي"[2] وهي ليست من العشائر المتنفذة في قريش على غرار بنو أمية وبنو مخزوم[3]، وهذا ما جعل سياستهما –أبو بكر وعمر– "إسلامية قائمة على عُلْوَيَّة الإيمان أكثر من الاعتماد على رابطة الدم"[4]، ومثل سابقه كان عمر –الذي اتخذ لقب أمير المؤمنين– ينظر إلى منصبه كتفويض من الجماعة الإسلامية لتسيير أمورها، له ما لها، وعليه ما عليها، فعلاقته بها هو الأخر علاقة تعاقدية وليست "سيادة وتبعية"، فَهُم متساوون في الحقوق والواجبات، لا سلطان عليهم إلا سلطان الله، وأمرهم شورى بينهم، وبهذا تتطابق سلطة أمير المؤمنين عمليا مع إرادة الجماعة ومصالحها، ولم تكن إمارة المؤمنين إلا الوسيلة لتحقيق هذه الإرادة وتدبير تلك المصالح، وهذا يجعل أمير المؤمنين عمر يقف تماما مع التقاليد السياسية للرسول وأبي بكر[5].

ولعل خطبته التي ننقل نصها عن الطبري توضح هذه الرؤية العُمَرية للسلطة، يقول عمر: "وإني امرؤ مُسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يُغَيِّر الذي وُليت من خلافتكم من خُلُقي شيئا إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء، فلا يَقولَن أحد منكم: إن عمر تَغير منذ ولي، أَعقل الحق من نفسي وأتقدم، وأُبَين لكم أمري، فأيما رجل كانت له حاجة أو

---

(1)– بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص180.

(2)– عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك من قريش البطاح. الزبيري: **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، ج1، ص549.

(3)– كانت عشيرتا "بنو أمية" و " بنو مخزوم" الأكثر نفوذا في قريش عند البعثة النبوية، وأن نفوذهما تجاوز نفوذ بني هاشم، حتى أن أبا قحافة والد أبا بكر الصديق استغرب تولي ابنه الخلافة دون أفراد العشيرتان حيث قال لما تولى أبو بكر الخلافة: "أرضيت بذلك بنو عبد شمس وبنو المغيرة؟". ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص168.

(4)– هشام جعيط: **بناء الدولة الإسلامية: الدولة النبوية**، ص 60.

(5)– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص220.

ظلم مظلمة، أو عتب علينا في خلق، فَلْيُؤْذِنِّي، فإنما أنا رجل منكم..."[1]، ثم يضيف قائلا: "...وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومُطَّلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أَكِلُه إلى أحد، ولا أستطيع ما بعُد منه إلا بالأُمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله"[2].

إن رؤية الخليفة عمر هذه تبرز أيضا من خلال السياسة التي فرضها على عماله والقائمة على الإحسان إلى الرعية، وتَفَقُّد أمورهم، ورعاية حقوقهم، وإقامة العدل بينهم، وإقامة شعائر الدين، والنصح لهم، حيث كان يخرج مع عُماله مُشَيِّعا إياهم وقائلا لهم: "إني لم أَسْتعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أَشعارهم، ولا على أَبشارهم، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل... لا تجلدوا العرب فتذلوها، ولا تُجَمِّروها[3] فَتَفتنوها، ولا تغفلوا عنها فتحرموها..."[4]، وهذا الحرص هو ما دفع الخليفة عمر إلى القول: "لَئِن عِشت إن شاء الله لَأَسيرَن في الرَعَية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تُقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون إلي..."[5]، ولعل هذا ما دفعه أيضا إلى عدم الاحتجاب عن رعيته[6]، ونهي عماله عن الاحتجاب عنهم، والتشديد في محاسبتهم[7].

وإذا كانت الصورة التاريخية المتداولة في المصادر عن الخليفة عمر تجعله حاكما بالغ القوة ونفاذ الأمر، فإنه في الواقع لم يكن أكثر من "مُوازِن" بين عصبيات الأمة وفئاتها المختلفة[8]، حيث افتقدت سلطته إلى معنى الهيمنة والقوة، وذلك لغياب الوسائل التي من شأنها تكريس ذلك[9]، فهو لم يملك سلطة تفوق سلطة سلفه، ولعل الفارق الوحيد أن الخليفة عمر استخدم حيويته الكبيرة وقوة

---

(1)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص215.

(2)- **نفس المصدر والصفحة**.

(3)- تجمير الجيش: "أن تحبسهم في أرض العدو ولا تقفلهم من الثغر". الجوهري: **الصحاح**، ج2، ص616، (جمر).

(4)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص204.

(5)- **نفسه**، ج4، ص201، 202.

(6)- **نفسه**، ج4، ص202.

(7)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص204.

(8)- رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص163.

(9)- حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص07.

شخصيته لدعم صلاحيات منصبه المحدودة، ومع ذلك فإن جميع أعماله وأقواله المدونة توضح أنه كان يَعي جيدا حدود صلاحياته[1].

وانطلاقا من هذا الوعي بحدود صلاحيات منصبه، فقد نظر عمر إلى المال على أنه مال المسلمين، وأنه واحد منهم، ليس له من مالهم إلا عَطاؤه الذي هو أجر له على وظيفته وما يقدمه من خدمات، وأن مقياس التفاضل في هذا المال هو السابقة في الإسلام والبلاء فيه، وهذا ما توضحه هذه الرواية التي ينقلها الطبري عن السائب بن يزيد قال: "سمعت عمر بن الخطاب يقول: والله الذي لا إله إلا هو، ثلاثا، ما من أحد إلا له في هذا المال حق أُعْطِيَهُ أو مُنِعَهُ، وما من أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كَأَحَدِهم، ولَكنَّا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقَدَمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت لَيَأْتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه"[2].

اتضح لنا إذن كيف عمل الخليفة عمر على دعم صلاحيات منصبه المحدودة من خلال شدته وقوة شخصيته، ولعل إدراكه لعمق التحولات الحاصلة في المجتمع الإسلامي مع توالي تدفق غنائم الفتوحات خاصة في المدينة مركز الحكم، حيث تنتهي إليها ثروات ضخمة، هو ما دفعه إلى إتباع هذه السياسة المتشددة، فقد كان يرى أن كثرة الأموال والثروات وانتشار قريش في الأمصار المفتوحة يمكن له أن يفتح أفاق جديدة في تطور المسلمين تُبعدهم عن الأجواء الأولى لظهور الإسلام، ولذلك فقد حاول عن طريق الضغط من فوق كَبح جماح هذا التطور الذي كان يراه خطيرا[3]، ولعل سياسته في التضييق على قريش –المهاجرين تحديدا– وحصرها في المدينة ومنعها من الانتشار في الأمصار المفتوحة تنسجم مع رؤيته لهذا التطور، فقد "استأذن قوم من قريش عمر في الخروج للجهاد فقال: قد تَقَدَّم لكم مع رسول الله. قال: إني آخذ بِحَلاقيم قريش على أفواه هذه الحَرَّة، لا تخرجوا فَتَسللوا بالناس يمينا وشمالا"[4].

---

[1]– عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام والدولة الأموية**، ص68، 69.

[2]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص211.

[3]– أيمن إبراهيم : **الاسلام والسلطان والملك**، ص232

[4]– اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص157، 158.

لم يكن لهذه السياسة العمرية أن تستمر دون أن تصطدم مع قوى اجتماعية ناشئة –تمثلت أساسا في الرجال الذين بدؤوا يغتنون من الفتح الاسلامي– رأت فيها عائقا أمام طموحاتها الاقتصادية والسياسية، لِتَأتي حادثة الاغتيال التي لم تُمثل تغييبا لجسد الخليفة فحسب؛ وإنما لأفكار، ولنهج سياسي كان جسد هذا الخليفة وعاء له طيلة عشر سنوات من خلافته، ورغم اعتبار البعض حادث اغتيال الخليفة عمر رضي الله عنه "تصفية حاسمة لامتداد وهج النبوة السلطوي في الدولة إبان حكم الخليفتين الأولين"[1]، فإن هذا لم يصح بالضرورة لأن الخليفة الموالي عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يُحدث قطيعة تامة مع الارث السياسي للخليفتين الأولين.

لقد دفعت القوى التي أشرت إليها سابقا من أجل إحداث تغيير حاسم في رأس السلطة، ومنع تولي عمر ثان الخلافة، لذلك فإن ما حدث في اجتماع مجلس الشورى لم يكن عملية مفاضلة بين شخصيات صحابية، وإنما هو في الواقع مفاضلة بين نموذجين سياسيين، الأول مثَّله علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي قال فيه الخليفة عمر قبل موته: "هو أحراكم أن يحملكم على الحق"[2]، والثاني مثَّله عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان "أحبَّ إلى قريش من عمر لشدة عمر ولين عثمان"[3].

إذن فقد اختير عثمان بن عفان خليفة للمسلمين بعد عمر بن الخطاب لأن أكثرية المسلمين كانت تريده أن يكون في ذلك المنصب[4]، كما أنه كان يفهم–وهو الخبير بالتجارة– المصالح القرشية فهما جيدا[5]، وسَتُشَكِّل خلافته إفرازا لانعطافة جديدة في الأجواء الاجتماعية للأمة الإسلامية كانت تدفع نحو "انفراج حياتي ومعاشي واجتماعي على قاعدة البيئة الجديدة التي خلقها الفتح" من جهة[6]، كما ستقوم بدورها بقولبة وتنمية هذه الأجواء من جانب آخر[7].

---

(1)– فؤاد خليل: **الإقطاع الشرقي**، ص 92.

(2)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص228.

(3)– ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص60. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص133.

(4)– هشام جعيط: **الفتنة**، ص59.

(5)– عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام والدولة الأموية**، 75.

(6)– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص233.

(7)– **نفس المرجع والصفحة**.

وإذا كانت علاقة الخليفتين الأولين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالجماعة الإسلامية علاقة تعاقد مشروطة بضرورة التزام الخليفة بكتاب الله وسنة نبيه، فإن بيعة عثمان قامت على هذا الأساس مع إضافة شرط جديد هو الالتزام بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر[1]، وهكذا فقد تضمنت المرجعية العليا للحكم والتشريع في الإسلام لأول مرة إلى جانب "النص الإلهي" المقدس مصدرا بشريا مفارقا له، هو أفعال أبي بكر وعمر[2]، لكن الخليفة عثمان سيعمل خلال سني خلافته على تطوير هذا العقد الاجتماعي بينه وبين الرعية لصالح تصور جديد للخلافة.

نظر الخليفة عثمان بن عفان للخلافة على أنها "خلافة لله"، حيث ترد في المصادر إشارات إلى هذه النظرة، يقول عثمان مخاطبا رجال القبائل المطالبين باعتزاله الخلافة: "ما كُنت لِأَنْزع قميصا قَمَّصَنيه الله أو قال: سَرْبَلنيه الله"[3]، وقال في موضع آخر: أما أَنْ أَتَبرَّأَ من الإمارة، فان تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته"[4]، من خلال هذه الأقوال يتضح بداية بروز نظرية سياسية ترى أن الأمة ليست مصدر سلطة الخليفة وإنما الله عز وجل –ولو أن عثمان لم يملك الآليات التي تُمكنه من فرضها على أرض الواقع– فعثمان يحكم بتفويض من الله عز وجل عكس الخليفتين السابقين أبو بكر وعمر اللذين كانا يحكمان بتفويض وتوكيل من الأمة، وهذا الفهم للسلطة يستلزم تغيرا في طبيعة العلاقة بين الخليفة والأمة، فبعد أن كانت علاقة تعاقدية بين طرفين متساويين، أخذت مع الخليفة عثمان تتطور باتجاه "علاقة سيادة وحكم" ما على الرعية فيها إلا السمع والطاعة.

على أساس هذه الرؤية فإن السلطة السياسية تمتزج بصفات هي من صلب الدين، مثل الفوقية والقُدسية، وتغدو الطاعة السياسية معها واجبا دينيا[5]، وسيتضح هذا التطور من خلال رسالة عثمان إلى الحُجّاج سنة35هـ/655م التي بعثها مع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حيث ربط بين "السمع والطاعة" للخليفة و"الحفاظ على الجماعة" وما يستتبع ذلك من الأمن والخير وحفظ الدين ورفع كلمة الله، وبالمقابل ربط بين المعصية(=خلع الخليفة) والفُرْقَة، وتَغَيُّر النِعم، وسفك الدماء

---

(1)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص128.

(2)– عبد الجواد ياسين: **السلطة في الإسلام**، ص67.

(3)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص182. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص371.

(4)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص377.

(5)– ناصيف نصار: **منطق السلطة**، ص148.

وتعطيل الأحكام، وتَسلُّط العدو واستحلال الحُرمات، وحث جموع المسلمين على أخذ العبرة من الأمم السابقة التي كان اختلاف كلمتها سبب هلاكها، فيقول: " أما بعد، فإنَّ الله عز وجل رَضي لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذركم المعصية والفُرقة والاختلاف، ونَبَّأَكم ما قد فعله الذين من قبلكم، وتَقَدَّم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عَصيتموه، فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا بعد أن تختلف، إلا أن يكون لها رأس يجمعها، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تُقيموا الصلاة جميعا، ويُسَلَّط عليكم عدوكم، ويَسْتَحل بعضكم حرم بعض، ومتى ما يفعل ذلك لا يقم لله سبحانه وتعالى دين، وتكونوا شِيَعًا..." [1].

لعل هذا التصور من قبل الخليفة عثمان بن عفان يوضح أمرين مهمين:

الأول: أن منصبه كخليفة –وهو أحد كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة– يُخَوِّلُه شرعية أسمى من الشرعية التاريخية للصحابة الذين يُمَثِّلون ضمير الأمة وقادتها الطبيعيين[2].

الثاني: انطلاقا من المنصب الذي يَتَبَوَّأه فانه لا يستطيع ترك المبادرة بأيدي رجال القبائل في الأمصار المفتوحة مُكْتَفيا بمنح اعترافه الرسمي بقراراتهم، لقد كان عليه أن يفرض نفسه ويُوَطِد سيطرته على الولايات من خلال ممارسة سلطة تفوق السلطة التي يُفترض أن يمتلكها[3]، ولا يكون ذلك إلا برفع الخلافة "من منزلة الإمارة المتعالقة مع المنظومة الرَّعَوية والقيمية القبلية إلى مؤسسة مدنية مستقلة بعيدة عن التبعية لجمهور القبائل"[4].

لقد كانت نظرة الخليفة عثمان للمال ترجمة لنظرته للخلافة، فبما أنه يحكم بتفويض من الله عز وجل، والأرض أرض الله، والعباد عباد الله، فالمال إذن مال الله، ومن حقه التصرف في هذا المال باعتبار ذلك جُزءا من صلاحياته التي يمنحها إياه منصبه، لذلك كان يقول: "هذا مال الله، أُعطيه من شئت، وأمنعه من شئت، فَأَرْغَم الله أنف من رَغم"[5]، ولعل قصة الوليد بن عقبة عامل الخليفة على الكوفة تُوضح هذه النظرة، فقد استقرض الوليد من بيت مال الكوفة، فأقرضه عبد الله ابن

---

[1]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص409.

[2]– هشام جعيط: **الفتنة**، ص77. 91، 92.

[3]– عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام والدولة الأموية**، ص75، 76.

[4]– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص244.

[5]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص209.

مسعود[1] رضي الله عنه خازن بيت المال بِأَجَل، ثم اقتضاه إياه، فكتب الوليد بذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: "إنما أنت خازن لنا فلا تَعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين، فأما إذا كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك"[2].

ويبدو أن هذه النظرة للمال على أنه مال الله قد شاركه إياها عماله، يتضح هذا من الحوار الذي نقله لنا الطبري بين أبي ذر الغفاري ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال أبو ذر لمعاوية: "ما يدعوك أن تُسمي مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذر، أَلَسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره، قال: فلا تقله." [3].

كما أغدق الخليفة عثمان على أهل بيته وعشيرته بالمِنَح والهبات مُتَنَوِّلًا في ذلك صلة رحمه حيث كان يقول: "إن أبا بكر وعمر كانا يَتَأَوَّلان في هذا المال ظِلْف أنفسهما وإني تأولت فيه صلة رحمي"[4]، من ذلك منحه خمس غنائم افريقية لمراون بن الحكم[5] سنة27هـ/647م[6]، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص[7] ثلاثمائة ألف درهم[8]، ولما قدم عبد الله بن خالد ابن أسيد[9] وقوم معه غُزَاة من مكة إلى المدينة أمر له عثمان بثلاثمائة ألف درهم، ولكل رجل من القوم مائة ألف درهم[10].

كما أعطى الخليفة عثمان سعيد بن العاص مائة ألف درهم[11]، ووهب للحكم بن أبي

---

(1)- بعض الروايات تجعله عبد الله بن الأرقم. **أنظر** البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 6، ص173.

(2)- **نفسه**، ج6، ص140.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص283.

(4)- **نفسه**، ج4، ص 133.

(5)- مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان كاتبا لعثمان في خلافته، وولي إمرة المدينة لمعاوية، بويع بالخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية سنة 64هـ/683م. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج57، ص224، 225.

(6)- ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص60.

(7)- الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أخ مروان بن الحكم. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج11، ص412.

(8)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج6، ص166.

(9)_ عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص32.

(10)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص173.

(11)- نفسه، ج5، ص137.

العاص[1] صدقات قُضاعة حين أتاه بها وقد بلغت ثلاثمائة ألف درهم[2]، ولما زوّج ابنته من خالد بن أسيد أمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر[3] أن يدفعها له من بيت مال البصرة[4]، كما أعطى لبعض أهله من حلي وجوهر كانت في بيت مال المدينة[5]. واضح إذن وجه الاختلاف بين نظرة عثمان بن عفان للمال انطلاقا من نظرته للخلافة، ونظرة كل من أبي بكر وعمر للمال والقائمة على أنه مال المسلمين لا يجوز التصرف فيه إلا بإذنهم وأنهم متساوون فيه، وهي النظرة المتأتية من تصورهم للخلافة والقائم على أنها تفويض من الجماعة الإسلامية.

إن الخليفة عثمان بن عفان سيتخذ قرارا آخر نُظر إليه من قبل قوى المعارضة لسياسته على أنه تعزيز للسيطرة القرشية على الحكم، وبناء موقع مركزي متميز للخليفة بالنسبة للولاة والقبائل في الأمصار[6]، مما يسمح له بالوصول إلى طموحه في تحقيق التكامل بين النفوذ السياسي والديني[7]، وهذا القرار هو "جمع القرآن الكريم في مصحف واحد"، وكان السبب الكامن وراء قراره هذا حسب الرواية التاريخية هو تحذير حُذيفة بن اليمان[8]رضي الله عنه للخليفة من اختلاف الناس في القراءة، وقد كان من ضمن انتقادات ثوار الأمصار للخليفة عثمان "إحراقه المصاحف" فرد عليهم بقوله: "اختلف الناس في القراءة فقال هذا: قرآني خير من قرآنك، وقال هذا: قرآني خير من قرآنك، وكان حذيفة أول من أنكر ذلك وأنهاه إلي"[9].

---

(1)- الحكم بن أبي العاص بن أمية، من مسلمة الفتح، نفاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ويقال أنه لعنه، وقد أعاده عثمان في خلافته، مات سنة 31هـ/651م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص107، 108.

(2)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص137.

(3)- عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، استعمله عثمان على البصرة، كان كثير المناقب، وفي عهده افتتحت خراسان. المصعب الزبيري: **كتاب نسب قريش**، ص 148.

(4)- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص168.

(5)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص161.

(6)- زهير الهواري: **السلطة والمعارضة**، ص183.

(7)- **نفس المرجع والصفحة**.

(8)- حذيفة بن اليمان: حليف بني عبد الأشهل، أسلم هو وأبوه، استعمله عمر بن الخطاب على المدائن، وشارك في فتح مناطق عديدة، وتفي سنة 36هـ/657م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج1، ص367.

(9)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص186، 187.

ويُوضح البخاري هذه المسألة أكثر فيقول: " حدثنا موسى حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه: أن حذيفة بن اليمان قَدم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أَدْرِك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"[1].

ومعلوم أن أَوَّل محاولة لجمع القرآن الكريم كانت في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، وذلك بعد مقتل الكثير من القُرّاء في موقعة اليمامة[2]، وقد كَلف الخليفة أبو بكر زيد بن ثابت[3] رضي الله عنه بهذه العملية، ويذكر زيد تفاصيل عمله بقوله: "فَتَتَبَّعْت القرآن أجمعه من العُسُب–جريد النخل– واللِّخاف–الحجارة المسطحة– وصدور الرجال"[4]، ويُفهم من هذه الرواية أنه كان هناك فعلا محاولات محدودة لتدوين القرآن على ما توفر لهم من مواد آنذاك، وبعد الانتهاء من التدوين كانت الصحف المكتوبة عند أبي بكر الصديق ثم عند عمر بن الخطاب وبعد مقتله كانت عند ابنته السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها[5].

وقد كان لابد لهذه العملية التوحيدية التي قام بها الخليفة عثمان بن عفان أن تكتسب أهمية سياسية بالغة في مثل هذه الظروف[6]، خاصة أن اللجنة المكلفة بعملية الجمع والمكونة من مديني(من المدينة) هو "زيد بن ثابت" وثلاثة قرشيين هم "سعيد بن العاص[7]، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[8]، وعبد الله بن الزبير"[9] قد اعتمدت "لسان قريش" مَرجعية لها بناء على أوامر

---

[1]– البخاري: **صحيح البخاري**، ص1275. ابن شبة: **تاريخ المدينة المنورة**، ج3، ص991، 992.

[2]–البخاري: **صحيح البخاري**، ص1274. **يُنظر**: ابن أبي داود السجستاني: **كتاب المصاحف**، ج1، ص201. وكانت موقعة اليمامة ضد قوات مسيلمة الكذاب.

[3]– زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري: من بني النجار، قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن أحد عشر سنة، وكان يكتب له الوحي، واتلف في سنة وفاته بين سنة 48هـ و51هـ و55هـ. ابن حجر: **تهذيب** التهذيب، ج1، ص659، 660.

[4]– البخاري: **صحيح البخاري**، ص1275. ابن أبي داود السجستاني: **كتاب المصاحف**، ج1، ص202.

[5]– البخاري: **صحيح البخاري**، ص1275. ابن أبي داود السجستاني: **كتاب المصاحف**، ج1، ص202.

[6]– دي بريمار: **تأسيس الاسلام**، 324. الهواري: **السلطة والمعارضة**، 182.

[7] – سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، والي الكوفة لعثمان بن عفان، وولاه معاوية المدينة والموسم، توفي سنة 59هـ/678م.البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص48.

[8]– هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص6.

[9] – البخاري: **صحيح البخاري**، ص1275.

الخليفة الذي قال لهم: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"[1] وبعد نَسْخ المصاحف باعتماد نسخة أبي بكر التي كانت عند السيدة حفصة "بعث عثمان إلى كل أُفُق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا، وأمر بسوى ذلك من صحيفة أو مصحف أن يُحرق"[2].

لكن فرض هذه القراءة الموحدة وفق لسان قريش كان مرتبطا بعدة مشكلات ذات طبيعة سياسية واجتماعية[3]، في ظل تداخل الميدان الفكري-الثقافي بالميدان السياسي الذي أَرْسَتْهُ سَقيفة بني ساعدة والذي حصر الخلافة في المهاجرين دون سواهم، وهذا الامتياز الجديد الذي حَصَّلَته قريش- إلى جانب الامتيازات السياسية والاقتصادية الأخرى- سيكون مثار اعتراض من القبائل التي رأت فيه استبعادا لتأثر النص بموروثها اللغوي والكلامي[4]، وكان قرار عثمان في فرض قراءة موحدة مثار اعتراض من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيضا، والذي كانت له قراءته الخاصة والمنتشرة في البصرة، فكان يقول: "...كيف يأمروني أن أقرأ قراءة زيد، ولقد قرأت من فِيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِضْعا وسبعين سورة"[5].

أما نسخة السيدة حفصة رضي الله عنها فقد سألها مروان بن الحكم إياها لإحراقها بعد أن "خشي أن يُخالف بعض الكتاب بعضا فمنعته إياها"[6]، وبعد وفاتها أرسل مروان مجددا في طلب نسختها فأرسل بها أخوها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى مروان "ففشاها وحرقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان"[7].

لم يكن من السهل على الخليفة الأموي عثمان بن عفان جعل تصوراته السياسية مَوْضع تطبيق نظرا للانتقادات التي وجهها له صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعارضة الشديدة التي لَقيها من القبائل في الأمصار المفتوحة، أما فيما يخص الانتقادات التي وجهها الصحابة رضوان الله عليهم

---

(1)- البخاري: **صحيح البخاري**، ص1275.

(2)- **نفس المصدر والصفحة**.

(3)- ألفريد لويس دي بريمار: **تأسيس الاسلام**، ص321، 322.

(4)- الهواري: **السلطة والمعارضة**، ص 182.

(5)- أبو داود السجستاني: **كتاب المصاحف**، ج1، ص186.

(6)- **نفسه**، ج1، ص202، 203.

(7)- **نفسه**، ج1، ص203.

للخليفة عثمان رضي الله عنه فهي تبرز خاصة من خلال مواقف ثلاثة من كبار الصحابة حسب ما تذكره الأخبار وهم:

- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الذي نُقل عنه أنه كان يقول في عثمان بن عفان: "يَسْتَعمل الصبيان، ويحمي الحِمَى، ويُقرِّب أولاد الطلقاء"[1]، وكان رد فعل الخليفة عثمان أن حرمه عطاءه[2].
- عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي عارض سياسة عثمان في تخصيص أهله بالمنح[3]، وقد تعرض للضرب حين عارض قول عثمان: "هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم، فقال عمار: أنا والله أول من رغم أنفه من ذلك، فقال عثمان: لقد اجترأت علي يا ابن سمية، وضربه حتى غشي عليه"[4]. ثم عزم الخليفة عثمان رضي الله عنه على نفيه غير أنه تراجع عن قراره بعد أن واجه الصحابة قرار عثمان هذا برفض شديد قائلين له: "إن كنت كلما كَلَّمَك رجل سَيَّرْتَه ونَفَيته فإن هذا شيء لا يسوغ، فَكَف عن عمار"[5].
- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي اعتزل بيت مال الكوفة بسبب سياسة عثمان في منح الهبات المالية لأفراد عشيرته فكان يتهمه بأنه "غَيَّر وَبَدَّل"[6]، أي أنه لم يلتزم في نهجه السياسي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما التي أصبحت مرجعية للحكم على شرعية السلطة، وكان ابن مسعود يقول: "من غَيَّر الله ما به، ومن بَدَّل أسخط الله عليه"[7]، فكتب عثمان للوليد بن عقبة بتسييره إلى المدينة، فوفد إليها وعثمان يخطب فلما رآه قال: "ألا أنه قد قَدِمت عليكم دُوَيبة سوء من تَمْش على طعامه يَقيء ويَسْلَح، فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان...ثم أمر عثمان به فأخرج

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص167.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**.

(3) – **نفسه**، ج6، ص169.

(4) – **نفسه**، ج6، ص161.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**.

(6) – **نفسه**، ج6، ص146.

(7) – **نفس المصدر والصفحة**.

من المسجد إخراجا عنيفا...فَدُق ضِلعه"[1].

واعتمادا على هذه الأخبار وصل بعض الباحثين إلى نتيجة مفادها أن ممارسات الخليفة عثمان بن عفان تطورت إلى الحد الذي أخذت فيه أعمال الضرب والقمع والقهر تَتَبلور تدريجيا لتصبح جزءا عضويا من وظيفة الطاقم الإداري للأمة[2]، وكان اعتماد هذا الباحث على روايات محددة وإقصاء أخرى ذات توجه مخالف هو ما أوصله لهذه النتيجة؛ ذلك أن العديد من الروايات التي تضمنتها المصادر التاريخية وكتب الحديث تعطي تصورا مخالفا تماما لمنهج عثمان في تعامله مع انتقادات الصحابة لتوجهاته السياسية وهو منهج بعيد كل البعد عن الطابع العنيف الذي يحاول البعض إلصاقه بالخليفة عثمان[3].

أما القبائل العربية في الأمصار فإنها كانت ترى في الخلافة نموذجا أعلى للمشيخة والرئاسة القبلية، ويتضح ذلك من خلال تعاملها مع السلطة الحاكمة، من رفض لقراراتها ومطالبتها بعزل عمال الخليفة بل والخليفة نفسه. ففي سنة 30هـ/650م نَفَّذ الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط[4] عامل الكوفة بأمر من الخليفة عثمان حد القتل على شباب من أهل الكوفة قتلوا رجلا ظلما، فكان هذا سبب حقد أوليائهم على الوليد بن عقبة[5]، ويمكن تفسير عدم قبول أهالي الأفراد الذين قتلهم الوليد لهذا الحكم بأنه مؤشر على رفض القبائل البدوية المستقرة حديثا التسليم بتدخل السلطة في قضايا الدم، وبدور الدولة العدلي عموما[6]، فهي تُبدي رفضها لِتَغَلْغُل قوانين الدولة مُعتبرة أن أي تنازل في هذا الصدد يُهدد كيانها، وبالتالي استمرارها كوحدة سياسية، وتظهر أشكال المقاومة هذه من قِبَل القبائل أول ما تظهر في موقفها الرافض لشرعية استعمال العنف –ولو كان لتطبيق حد من

---

(1) – **نفسه**، ج6، ص147.

(2) – أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص240.

(3) – حول مواقف الصحابة رضوان الله عليهم من الفتنة يُنظر دراسة الباحث المغربي **محمد أمحزون** والموسومة بـ "**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الامام الطبري والمحدثين**"، وفيها عرض واف لمختلف الروايات التي تبرز معارضة الصحابة لسياسة الخليفة عثمان ورد هذا الخليفة على ما وجه له من انتقادات وأيضا توضيح لما اعترى هذه الروايات من تحريف وتزييف.

(4)– هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم فتح مكة. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص412، 413.

(5)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص271، 272.

(6)– هشام جعيط: **الفتنة**، ص 80.

حدود الله– كحق من حقوق الدولة[1].

أما المثال الثاني فيتعلق بصدام "الجَرعة"[2] سنة 34هـ/654م بين سعيد بن العاص[3] عامل الكوفة والذي حل محل الوليد بن عقبة، حيث رفض أهل الكوفة بتأطير من القيادات القبلية الرافضة لتنامي سلطة الخليفة –هذا التنامي الذي كان على حساب سلطتهم ونفوذهم في الأمصار المفتوحة– دخول عامل الخليفة إلى الكوفة بعد عودته من المدينة عاصمة الخلافة[4]، وكان هذا الرفض يعني الخروج عن طاعة الخليفة وإنكار للبيعة، وهو في نهاية الأمر تقويض للأمة، هذه الأمة المجسدة برأس واحد، هو "الإمام"[5].

تنامت اذن معارضة القبائل للخط السياسي الذي انتهجه الخليفة عثمان بن عفان والقائم على فصل الخلافة عن الأعراف المشيخية القبلية، وهذا ما تبرزه مطالبة هذه القبائل الخليفة بالتنحي عن منصبه واعتزال الخلافة، فقد وصف مالك الأشتر النخعي[6] الخليفة عثمان في كتاب بعثه إليه بالخليفة "...المبْتَلى الخاطئ الحائِد عن سُنَّة نبيه، النابِذ لحُكم القرآن وراء ظهره"[7]، وهذا ما يُخَوِّل للقبائل عزل الخليفة واستبداله بآخر يرضون عنه[8].

ثم إنهم –القبائل– يُدركون حقيقة طبيعة منصب الخليفة واعتباره قائدا للمسلمين خلفا للرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا كانت اعتراضاتهم على عثمان قائمة على مشروعيته في قيادة الأمة وليس اعتراضا على مبدأ خلافة النبي[9]، وقد رفض عثمان هذه المطالب كون الخلافة كَرامة خَصَّه الله بها

---

[1]– شوقي الدويهي: **الدولة والعشيرة في مجتمع محلي**، ص 199.

[2]– الجرعة: موضع قرب القادسية. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص335.

[3]– سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، ولي الكوفة لعثمان بن عفان، وولاه معاوية المدينة والموسم، توفي سنة 59هـ/ 678م. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص48.

[4]– نفسه، ج6، ص157، 158. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص335.

[5]– هشام جعيط: الفتنة، ص95. عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام والدولة الأموية**، ص79.

[6]– مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي الكوفي، يُعرف بالأشتر، من كبار أصحاب علي بن أبي طالب، شهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، ولاه على مصر، ولما كان في الطريق إليها مات مسموما سنة 37هـ/657م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج4، ص9، 10.

[7]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص159.

[8]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص377.

[9]– ألفريد لويس دي بريمار: **تأسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ**، ص324.

دون سائر عباده، فالرعية لا يمكنها المطالبة بعزل الخليفة مادام الله هو الذي أوصله إليها وهو لم يحدث ما فيه سخط الله ويَسْتَوْجِب عزله بسببه[1]، هنا وبِانْتِفاء الخليفة عثمان لحق الرعية في محاسبة الخليفة، فإنه كان يرفض أي شكل للاحتجاج على سياسته أو النقد لها[2]، باعتباره خليفة لله في أرضه.

لهذا استبدل الخليفة عثمان الطاقم القيادي للأمة بشخصيات أموية مُصْطَنِعا لنفسه بذلك وَلاءات شخصية، تمكنه من تعزيز مركزه كخليفة أمام القيادات القبلية في الأمصار[3]، وفرض رؤيته السياسية القائمة على اعتبار الخلافة مؤسسة قائمة بذاتها وليس مجرد أداة مركزية للتنسيق بين مصالح القبائل[4]، ففي سنة 25هـ/645م عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وعين مكانه الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخوه لأمه[5]، وفي سنة27هـ/647م عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح[6]، وهو أخوه من الرضاعة[7].

وفي سنة29هـ/ 649م عزل أبا موسى الأشعري عن ولاية البصرة واستعمل عليها عبد الله ابن عامر بن كُريز وهو ابن خال عثمان[8]، وفي سنة29هـ/649م عزل عثمان الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة وعين مكانه سعيد بن العاص[9]، إضافة إلى ذلك جعل مروان بن الحكم كاتبا له[10].

كما قام الخليفة عثمان بن عفان باتخاذ إجراءات أكثر تشددا في حق العناصر المعارضة لسياسته، ففي سنة 34هـ/654م اجتمع بعماله وشاورهم في السياسة الواجب إتباعها بعد كثرة

---

(1)-الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص395.

(2)- إبراهيم بيضون: **تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام**، ص 109.

(3)- هشام جعيط: **الفتنة**، ص 119، 120. عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام والدولة الأموية**، ص76، 77.

(4)- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص245.

(5)- ابن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص 90.

(6)- عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي، من عامر بن لؤي بن غالب، هو أخو عثمان من الرضاعة، ولي مصر، يقال أنه ارتد فأهدر النبي دمه. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص33.

(7)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص 253.

(8)- **نفسه**، ج4، ص264.

(9)- ابن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص94.

(10)- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج57، ص225.

الانتقادات له ولعماله، ثم أمرهم "بالتضييق على من قِبَلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه"[1]، وكان غرضه من هذه السياسة هو إبعاد العناصر المعارضة لنهجه السياسي عن أمصارها وشغلها بعمليات الفتح عن السياسة، وكذا حرمانها من قاعدتها الاقتصادية بهدف إضعافها والحد من قدرتها على الحركة. كما نفى العناصر الرافضة لسياسته من الكوفة والبصرة إلى بلاد الشام حيث الوالي القوي معاوية بن أبي سفيان[2]. غير أن التطور المتسارع للأحداث وازدياد حدة تذمر العناصر القَبَلية من سياسة الخليفة عثمان سوف يُعجِّل بثورتها عليه وقتله في داره سنة35هـ/655م.

وهكذا فمنذ عهد الخلفاء الراشدين بدأت ملامح التغير في طبيعة السلطة في الاسلام توازيا مع تغير مصدر شرعيتها، وقد بدأ هذا التغير منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي اعتبر أن الخلافة قميص ألبسه الله إياها وهو ما يُمثل توجها مغايرا لرؤية الخليفتين أبي بكر وعمر اللذين اعتبرا الأمة هي مصدر السلطة في الاسلام، لكن افتقاد الخليفة عثمان للآليات السلطوية اللازمة لفرض نهجه السياسي أفشلت خططه وعجلت بمقتله على يد ثوار الأمصار، وستوضع رؤيته السياسية موضع تنفيذ على يد قريبه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي تمكن من الوصول إلى الخلافة بعد صراع عسكري طويل ومرير ضد الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي قضى مدة خلافته في قتال معارضيه والخارجين عليه.

---

[1]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص335.

[2]- **نفسه**، ج4، ص318.

الفصل الأول: بنو أمية من الخلافة إلى المُلْك

أولا- معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء الملوك

ثانيا- فرض المبدأ الوراثي كنمط جديد لانتقال السلطة

ثالثا- ماهية الحكم الأموي

رابعا- الارتباط بين صفة الملك والتوسع العقاري والمالي لبني أمية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا– معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء الملوك

بعد مبايعته بالخلافة في مسجد المدينة عام 35هـ/655م اتخذ الخليفة الجديد علي بن أبي طالب خطوات رأى أنّ من شأنها تهدئة الأجواء وإعادة الأمور إلى نصابها بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، فعمل على عزل ولاة سَلَفه الذين رأى فيهم سبب نِقْمة جمهور القبائل عليه، وثورتهم التي أدت إلى مقتله[1]، لكن قراره هذا قوبل بالرفض من قِبل والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي كان رَدُّه على كتاب العزل من قِبل علي "صحيفة بيضاء، لا كتاب فيها ولا عليها خاتم –ويُقال كانت مختومة– وعنوانها: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب"[2].

كان هذا أَوَّل ردٍّ من معاوية على اختيار علي خليفة، هنا يتعامل معاوية بِندِيَّة معه رافضا الاعتراف بِسُلطته وأَحَقِّيَته بالخلافة، ولو كان اعترف بخلافته لكان الجواب مُغايرا، خاصة وأن الشاميين قد رَدُّوا –ربما بقرار من معاوية– سَهْل بن حنيف[3] الذي أرسله الخليفة علي والٍ على الشام خلفا لمعاوية[4]، رغم ذلك فإنه –كما يقول هشام جعيط– مهما أَمكن لمعاوية أن يكون ثائرا في داخله، أو معاديا لعلي، فإنه لم يكن في مقدوره أن يُجابهه في هذه المرحلة، لهذا تَعَيَّن عليه أن ينتظر رد فعل الأمصار الأخرى، ثم كان عليه أن ينتظر تطور الأمور، ورد فعل الصحابة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم –تحديدا السيدة عائشة رضي الله عنها– هؤلاء الذين كانوا يستطيعون، أكثر منه، التكلم باسم الإسلام والتأثير على المواقف والأحداث[5].

أجَّل معاوية إذن اتخاذ أي إجراء إلى ما بعد معركة الجمل36هـ/656م بين علي من جانب وطلحة والزبير والسيدة عائشة من جانب آخر، ولما بلغه انهزام ثلاثي الجمل، ومقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما: "دعا أهل الشام إلى القتال على الشورى والطلب بدم عثمان فبايعوه أميرا غير

---

[1]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص439.

[2]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص13.

[3]– سهل بن حنيف الأوسي الأنصاري، شهد بدرا، وكان من أمراء علي، مات بالكوفة سنة 38هـ/658م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص325.

[4]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص442.

[5]– هشام جعيط: **الفتنة**، ص 181، 182. أنظر أيضا: حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص110.

خليفة"[1]، أي أنه بُويع بالإمارة فقط لتحقيق الشورى والقصاص من قتلة عثمان ولم يُظهِر أي نية في تولي الخلافة في تلك المرحلة بالذات، ثم هو ما كان يستطيع ذلك في الظروف الراهنة في ظل أفضلية السبق إلى الإسلام المطلقة لعلي بن أبي طالب، كما أنه ربط بين القصاص من قتلة عثمان والشورى، وهو ما يعني ضرورة اعتزال علي الخلافة، ومطالبته بالشورى هو في الواقع حكم بعدم شرعية خلافة علي الذي يبدو وكأنه –بالنسبة لمعاوية– استبد بالأمر واغتصب الحكم دون رضى جميع الأمة.

مع أنه هناك روايات أخرى تُشير إلى ربط معاوية بين القصاص من قتلة عثمان وتسليم الأمر لعلي، إذ بعث بكتاب إلى علي قال فيه: "وقد ذُكر لي أَنك تَتَنَّصل من دمه، فإن كنت صادقا فَأَمْكِنا من قَتَلَتِه ونحن أسرع الناس إليك"[2]، وهي رواية بعيدة عن التصديق في الواقع، وإذا كان ابن قتيبة(ت276هـ/889م) يذكر في رواية له أن معاوية لما أرسل إلى شُرحبيل بن السِّمْط الكندي[3] يأمره أن يبايع له بحمص كما بايعه أهل دمشق أميرا غير خليفة رفض مبايعته أميرا وطالب بمبايعته كخليفة وحجته في ذلك أنه لا يُمكن أن "نطلب بدم عثمان مع غير خليفة"[4]، فجمع معاوية الناس ودعاهم إلى بيعته بالخلافة "فأجابوه ولم يختلف منهم أحد"[5]، فإن تطور الأحداث فيما بعد يجعل من الصعب قبول هذه الرواية أيضا.

لكن كيف يمكن تفسير جرأة معاوية وهو الوالي على الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب؟ وكيف تمكَّن من تَجييش إقليم بأكمله خلف ادعاءاته ومطالبه؟ يمكن رد ذلك إلى:

– يبدو أن معاوية لم يتجرأ على الخليفة علي لأن ثلاثي الجمل خرج عليه فحسب؛ وإنما أيضا لِكَون الإمام علي لم يتمكن من تحقيق الإجماع العام على بيعته في المدينة أيضا، فقد رفض مبايعته

---

[1]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص82، 103.

[2]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص 152. **أنظر**: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص67.

[3]– شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي، اختلف في صحبته، تولى حمص لمعاوية، وشهد معه صفين، توفي سنة 40هـ/660م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج2، ص158.

[4]– **الإمامة والسياسة**، ج1، ص74.

[5]– **نفس المصدر والصفحة**.

بعض كبار الصحابة[1]، ولهذا راسل–معاوية– كلا من سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهم– يَطلُب منهما دعمه في قتال الخليفة علي[2].

– كان علي بن أبي طالب رجل لا هوادة له في تطبيق الحق لكن سياسته هذه مَثَّلَت تهديدا مباشرا للمصالح الاقتصادية والسياسية لبني أمية الذين تَوسعت سلطتهم ونفوذهم في ظل خلافة عثمان بن عفان[3]، هذا الأخير الذي أدى وصوله للخلافة إلى تنامي نفوذهم السياسي والاقتصادي بشكل ظاهر، فرأوا أن من الخطر عليهم أن يتولى علي أمور المسلمين مع ما عُرف عنه من اتهام لهم بدورهم السلبي في الفتنة، وأنهم سبب نقمة الأمصار واهتياجها الذي أدى إلى مقتل الخليفة عثمان[4]، لذلك فقد شحذ مقتل هذا الأخير لدى معاوية–ومن ورائه عشيرته والمتحالفين معهم– رَغباتهم الأشد عُمقا في تَأبيد سيطرتهم السياسية والاقتصادية، ليس على العرب فقط، بل على مُجْمَل أراضي "دار الإسلام"[5] التي اتسعت كثيرا بسبب حركة الفتح النشطة[6].

– إن ربط معاوية بين القصاص من قتلة عثمان والشورى لا يعني إنكاره فضل علي وسَابِقَته؛ بل هو إعلان عن رفض لسلطة علي وخلافته، فهو يُدرك جيدا أنه لا يمكن مقارنته من حيث الفضل والسابقة –وهو مسلم الساعة الأخيرة– بعلي بن أبي طالب، ويظهر هذا من خلال جوابه

---

[1]– يجعلهم الطبري في رواية له سبعة نفر وهم: سعد بن أبي وقاص، عبد الله بن عمر بن الخطاب، صهيب الرومي، زيد بن ثابت، محمد بن مسلمة، سلمة بن وقش، أسامة بن زيد. لكنه في روايات أخرى يجعل كلا من: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، والنعمان بن بشير الأنصاري، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عُجرة، ممن لم يبايع علي بن أبي طالب. **أنظر: تاريخ الطبري**، ج4، ص429، 430، 431. أما ميمون بن مهران فيجعلهم عشرة آلاف من الصحابة والتابعين دون أن يذكر عدد الصحابة بالتحديد. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج39، ص496.

[2]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص71، 72، 74.

[3]– فؤاد خليل: **الاقطاع الشرقي**، ص82، 89.

[4]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص338.

[5]– أطلق الفقهاء المسلمون مصطلح "دار الاسلام" على الأقاليم التي تسري عليها أحكام الاسلام وتطبق فيها شريعته، ويأمن من من يقطنها من المسلمين والذميين، وهي تتميز بأربعة عناصر: **عنصر مكاني**: وهو يعني وجود الإقليم. **عنصر تنفيذي**: يعني وجود حكام ينفذون شريعة الاسلام. **عنصر قاعدي**: أي سريان أحكام الاسلام في هذا الاقليم. **عنصر بشري**: أي سكان الاقليم. وحسب أبي حنيفة فإن شروط دار الاسلام ثلاث وهي: ظهور الأحكام الإسلامية فيها، وأن تكون متاخمة لديار المسلمين، فإذا كانت متاخمة لديار غير المسلمين فهي دار حرب؛ لأنها بهذا الاتصال الجغرافي تكون ممنوعة على المسلمين، أخيرا، أن يأمن سكانها بأمان المسلمين. **أنظر**: أحمد أبو الوفا: **دار الاسلام والنظام الدولي ومنظمة التعاون(المؤتمر) الإسلامي**، ص95، 96.

[6]– عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص 211.

على سؤال أبي مسلم الخولاني[1] حين قال له: "على ما تُقاتل عليا وليس لك مثل سابقته وهجرته؟ فقال معاوية: ما أُقاتله وأنا أَدَّعي في الإسلام مثل الذي ذكرت أنه له ولكن ليدفع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به فإن فعل فلا قتال بيننا وبينه"[2].

مع ذلك فإن معاوية كان حريصا على إبراز ما رآه هو "فضائل كثيرة" يَتَميَّز بها حسب رواية يُوردها البلاذري(ت279هـ/892م) فيقول: "وزعموا أن معاوية كتب إلى علي رضي الله تعالى عنهما: يا أبا الحسن، إنَّ لي فضائل كثيرة، كان أبي سيدا في الجاهلية، وَوَلَّاني عمر في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخال المؤمنين[3]، وأحد كُتَّاب الوحي"[4]، إذن فانحداره من بيت شرف في الجاهلية، وتولية الخليفة عمر له رغم ما عرف عنه من شدة في محاسبة عماله وعزلهم لأي شُبهة مهما كانت صغيرة، ومُصاهرته للرسول –صلى الله عليه وسلم– حيث كانت أم حبيبة بنت أبي سفيان[5] رضي الله عنها زوجة للرسول، وثِقَته فيه بأن جعله كاتبا للوحي، كل هذا هو في نظر معاوية يرفع منزلته أمام الصحابة وعموم المسلمين ويُعَوِّض عن تأخر إسلامه، وربما يَمنحه الحق في تولي الخلافة.

---

[1]– أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب الداراني الزاهد، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية وأسلم أيام النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يلقه، ودخل المدينة أيام أبي بكر الصديق، ونزل داريا بأرض الشام، وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية. المزي: **تهذيب الكمال**، ج34، ص290، 291.

[2]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص66.

[3]– كان للكتابة التاريخية السُنَّيَّة دورا في اشتهار معاوية بلقب خال المؤمنين دون غيره من أشقاء أمهات المؤمنين انطلاقا من أن أخته أم حبيبة زوجة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهذا في مواجهة الكتابات المناهضة لمعاوية خاصة الشيعية منها.

[4]– **أنساب الأشراف**، ج5، ص119. كان للدعاية المنظمة التي قام بها معاوية وأنصاره، ثم أهل السنة لاحقا في الرفع من مكانة مكانة معاوية كزعيم إسلامي تولى حكم دار الاسلام في مرحلة حرجة للغاية ولإضفاء الشرعية على حكمه في مواجهة ادعاءات معارضيه وخاصة الشيعة منهم دورا مهما في اشتهار معاوية ككاتب للوحي رغم إسلامه المتأخر، وهذا ما يوضحه القول التالي للمسعودي: "...ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور، فأشادوا بذكره، ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحي، وعظّموه بهذه الكلمة وأضافوه إليها، وسلبوها عن غيره، وأسقطوا ذكر سواه، وأصل ذلك العادة والإلف وما ولدوا عليه وما نشؤوا فيه". المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص45. ورغم تحفظاتي حول بعض ما ورد في هذا النص من قبيل جعل أهل السنة لمعاوية كاتبا للوحي بينما الرسول –صلى الله عليه وسلم– هو الذي اِسْتَكْتَبَه، وقوله بإسقاط ذكر سواه من كُتّاب الوحي وهذا مجانب للصواب، إلا ان النص يعطينا فكرة عن الدعاية الممارسة لرفع مكانة معاوية كما ذكرنا سابقا.

[5]– أم المؤمنين أمة حبيبة: رملة بنت أبي سفيان، كانت تحت عبيد الله بن جحش الذي مات عنها بعد هجرتهما إلى الحبشة، تزوجها بعده الرسول صلى الله عليه وسلم. المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص123، 124.

ثم إن بنو أمية لم يكونوا غرباء عن الزعامة والقيادة في البيئة العربية، فحرب بن أمية بن عبد شمس [1] كان رئيسا لقريش[2]، كما اجتمعت لأبي سفيان صخر بن حرب[3] والد معاوية رئاسة قريش عند بداية ظهور الدعوة المحمدية[4]، ويقول عنه ابن حبيب أنه من "الجَرَّارين"[5]، وبما أن معاوية قد وُلد في صميم فكرة الرياسة والسؤدد فمن الطبيعي أن لا يقطع مع هذا الإرث ويسعى لتطويره وتوظيفه، وسَتَتمثَّل في شخصه تلك الجدلية الجامعة للشرف الجاهلي الذي ولد فيه، والشرف الإسلامي الذي التحق به[6]، إضافة إلى ما حققه من إنجازات في فتوح الشام خلال ولايته الطويلة عليها.

– كان معاوية يدرك الوضع المضطرب لعلي بن أبي طالب والمستَنِد على قاعدة اجتماعية أساسها قبائل الكوفة المُنْغَمِسة في السياسة وصراع السلطة منذ خلافة عثمان إلى جانب قبائل البصرة، وهذا مقارنة بقبائل الشام التي كانت بعيدة عن أي صراع سياسي، مع ولائها التام لمعاوية، وهذا ما يُوَضحه قول الحجاج بن خُزيمة بن الصمة[7] قبل صفين(37هـ/657م) لمعاوية واصفا حال حال أهل العراق مع علي وحال أهل الشام مع معاوية: "...إنك تَقْوى على علي بدون ما يقوى به عليك، لأن معك قوما لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا أمرت، وإن مع علي قوما يقولون إذا قال، ويسألون إذا أمر، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه"[8]، ولهذا كان سوء طاعة كثير من أهل العراق للخليفة علي أحد أسباب عدم تمكنه من تحقيق نصر حاسم على معاوية.

– لم يكن الخليفة علي بن أبي طالب يعترف بأي دور للأمصار في اختيار الخليفة، هذا الدور

---

[1]– حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، من سادات قريش في الجاهلية. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص8، 9.

[2]– ابن حبيب، **كتاب المحبر**، ص165.

[3]– أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، انتهت له رئاسة قريش في بداية الدعوة الإسلامية، ثم أسلم عام الفتح. المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص122.

[4]– ابن حبيب: **كتاب المحبر**، ص 246.

[5]– حسب ابن حبيب فإنه لا يقال للرجل "جرارا" حتى يرأس ألف رجل، وقد قاد أبو سفيان قريش وكنانة يوم أحد ويوم الخندق في الحرب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم. **نفس المصدر والصفحة**.

[6]– عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص35، 36.

[7]– لم أقف على ترجمة له ويبدو أنه من أشراف الشام.

[8]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص78. الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص 146.

الذي نادت به منذ الثورة على الخليفة عثمان حين طالبت باعتزاله الخلافة واختيار خليفة غيره، وسَنَبْرُز مجددا هذه المطالب مع معاوية الذي كان يقول عن علي: "...ماله ابْتَزَّ الأمر دوننا على غير مشورة منا ولا ممن ههنا معنا"[1]، أما الخليفة علي فكان يرى أن حق اختيار الخليفة هو للمهاجرين والأنصار في المدينة الذين يمثلون شهودا للمسلمين في بقية الأقاليم على أمر الخلافة والدين[2]، وعند وعند احتجاج معاوية بالمهاجرين والأنصار المستقرين بالشام والذين لم يبايعوا علياً كان رد هذا الأخير أن اختيار الخليفة هو "للبدريين دون الصحابة"[3]، أي أنه حَصر اختيار الخليفة ومبايعته في أهل بدر فقط وبيعتهم له مُلْزمةٌ للبقية.

ليس هذا فقط بل إن الخليفة علي لم يكن يرى لمعاوية أي حق في اختيار الخليفة حيث خاطب جماعة من القراء الذين مشوا في الصلح بينه وبين معاوية قبل صفين قائلا: "لستُ أَسْتحلُّ أن أدع ضرب معاوية يحكم على الأمة ويركبهم ويَشُق عَصاهم"[4].

وإذا كان معاوية وفق نظرة الخليفة علي ليس له حق في اختيار الخليفة وأنه شاق لوحدة الأمة برفضه الاعتراف به خليفة، فإن الخلافة أبعد ما تكون عنه لأنه ليس له أي سابقة في الاسلام، فهو من الطُلقاء الذين أطلقهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، ثم إن عداءهم للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في بداية الدعوة ومُحاربتهم لهم يمنع عنه تولي رئاسة المسلمين، فمن غير المنطقي في تصور علي –هو التصور السائد آنذاك وليس رأي علي وحده– أن يتولى خلافة المسلمين من كان عدوا لهم وحاربهم، لهذا كان يقول في معاوية أنه "...لم يَجْعَل الله عز وجل له سابقة في الدين، ولا سَلَف صِدْق في الإسلام، طليق ابن طليق، حِزْبٌ من هذه الأحزاب، لم يَزل لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين"[5]، ولذلك ولذلك ازداد معاوية نفورا وتصلبا في رفض سلطة علي بن أبي طالب وحربه.

---

[1]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص 189.

[2] – **نفس المصدر والصفحة.**

[3]– **نفس المصدر والصفحة.**

[4]– **نفس المصدر والصفحة.**

[5]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص8. ونجد نفس الرؤية عند الصحابي الجليل عمار بن ياسر أحد أنشط أصحاب علي بن أبي أبي طالب في كلام له مخاطبا جيش علي رضي الله عنه في صفين حيث قال: "...ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم". **نفسه**، ج5، ص39.

– حسب رأي معاوية فإن علي بن أبي طالب قد فَقَد شرعيته وحقه في الخلافة والمطالبة بالبيعة بسبب ما يراه من دور له في مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وتفريق جماعة المسلمين، ويظهر هذا من قوله: "ولَعُمْري ما مَضى لك من السابقات لَشَبيه أن يكون مَمْحوقًا، لما اجْتَرَأْت عليه من سَفك الدماء وخِلاف أهل الحق"[1]، لهذا فقد رفض الاعتراف بخلافته[2]، لكن هذا القول من معاوية قائم على دعاية كاذبة ضد الخليفة علي بن أبي طالب وهدفها تحميله مسؤولية مقتل الخليفة عثمان وإنكار أي حق له في الخلافة.

– ضمن رُؤية مغايرة يرى عبد الحي شعبان أن معاوية ما كان لِيَتَجرَّأ على الخليفة علي بن أبي طالب لولا القوة العسكرية الشامية الداعمة له، والموالية له ولاء مطلقًا، لكن رفع شعار القصاص من قتلة عثمان كان سِتارا لخلافات أَشد واقعية بين علي ومعاوية، هذا الأخير الذي كان يَضغط ومنذ وقت مبكر من أجل إبقاء ولاية الشام بعيدة عن الهجرة غير المحدودة إليها، كالتي كانت بالعراق، وذلك لضمان استقرارها وسلامتها في وجه الخطر البيزنطي، غير أن الخليفة علي بن أبي طالب لم يكن يرى سببا لمنح هذا الإقليم مركزا مميزا لِمُجَرد أنه يقوم بواجبه الجهادي، فإذا تصرفت كل ولاية مثل تصرف الشام فإن هذا يؤدي إلى انسداد كل مجال أمام أي نازحين جُدد، فكان لابد أن يُساهِم الشام في حلِّ مشاكل الأمة –على غرار العراق الذي يعرف هجرة كبيرة إليه– ولو كان يعني ذلك فُقدان امتيازات عزيزة، وهدم ما حققه معاوية خلال ولايته الطويلة على هذا الإقليم[3].

في الواقع يمكن قبول فكرة أن تجرأ والي الشام معاوية بن أبي سفيان على الخليفة علي بن أبي طالب نابع من ثقته بقواته العسكرية الموالية له ولاء مطلقا والداعمة له في سبيل تحقيق غاياته السلطوية، غير أن القول بأن خلفية الصراع هو رغبة معاوية في إبقاء ولايته بعيدة عن ضغط الهجرة غير دقيق بالمرة؛ ذلك أن الهجرة من الجزيرة العربية كانت أيام بداية الفتوح في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، واستمرت في عهد الخليفة عمر حيث بلغت ذروتها في عهده، وتواصلت من بعده في عهد الخليفة عثمان مع قليل من الزخم لتمام فتح الشام وتنظيم ما فتح وتدوين دواوين العطاء، بينما

---

[1]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص110.

[2]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص66.

[3]– **صدر الاسلام**، ص84، 85. ضمن نفس الرؤية تقريبا يرى براين تيرنر أنه كان هناك صراع مصالح بين إقليم العراق وإقليم الشام وهو الذي أدى إلى تقابل هاتين القوتين في صفين سنة 37هـ/657م. **أنظر**: براين تيرنر: **علم الاجتماع والإسلام دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر**، ص124.

استمرت عمليات الهجرة إلى إقليم العراق بسبب استمرار توسعه على حساب أقاليم فارس وما وراء النهر وغيرها وهذا ما تطلب قوات عسكرية إضافية.

– أما بالنسبة لتجييش أهل الشام خَلْف مطالبه وادعاءاته، فإن معاوية اعتمد على دعاية قوية للغاية أَساسُها اتهام الخليفة علي بن أبي طالب بالمشاركة في قتل عثمان بن عفان وإيواء قَتَلَتِه، وأنه وَليُّ دمه والطالب به في ظل تخاذل علي، وعدم اعترافه–معاوية– بسلطته[1]، ويبدو أن لعمرو بن العاص رضي الله عنه يدا في تنظيم هذه الدعاية في وسط أشراف الشام حيث قال لمعاوية: "...لَستُ أرى لك أن تدعو أهل الشام إلى الخلافة فإن ذلك خطر عظيم، حتى تَتَقَدَّم قبل ذلك بِالتَّوطين للأشراف منهم، وإشراب قلوبهم اليقين، بأن علياً مالأ على قتل عثمان، واعلم أن رأس الشام شرحبيل بن السمط الكندي، فأرسل إليه ليأتيك، وَوَطِّن له الرجال على طريقه كله، يُخبرونه بأن عليا قتل عثمان، وَلْيَكونوا من أهل الرضا عنده، فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام"[2]،

إذن فاختيار شرحبيل بن السمط الكندي ليقوم بهذه الدعاية لم يكن من باب الصدفة، إذ كان رأس الشام كله، وصاحب الكلمة المسموعة فيه، لقد كان "مأمونا في أهل الشام ناسكا متألها"[3]، وقد اضطلع شرحبيل بهذه المهمة على أكمل وجه، مُعْتمدا على خطاب ديني–سياسي تمكن من خلاله من جمع كلمة الشام خلف معاوية، إذ قام بجولة في المدن الشامية حَاثًّا الناس على مساندة معاوية بن أبي سفيان الطالب بدم الخليفة المقتول عثمان بن عفان، والمدافع عن المصالح الشامية في وجه علي بن أبي طالب الذي كان السبب في قتل عثمان[4].

بهذا تمكن معاوية الذي التقت مصالحه مع مصالح أهل الشام من تشكيل قوة متجانسة، ذات

---

[1]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص127، 128. الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص134. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص84. الطبري: **تاريخ الطبري**: ج4، ص562. يذكر الطبري أن معاوية لما قدم عليه النعمان بن بشير الأنصاري من المدينة بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضبا بدمه وضع القميص على المنبر وعلق أصابع نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان فيه، وكتب بالخبر إلى الأجناد، فجاء الناس من أنحاء الشام المختلفة، وبكوا على المنبر سنة، وهذا الفعل المشبع بالرمزية من معاوية –إن صح– يبدو أن غايته هي شحن مشاعر الشاميين ضد قتلة عثمان بن عفان وتجييشهم خلف معاوية في مطالبته بالقصاص من قتلته خاصة بعد أن اتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بدوره في حادثة المقتل. **نفس المصدر والصفحة.**

[2]– الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص150. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص561.

[3]– نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص50.

[4]– الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص150، 151. ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج3، ص82.

ولاء مطلق له ولمشروعه، مَكَّنَته من مواجهة الخليفة علي بن أبي طالب في معركة صفين، هذه المواجهة التي يراها البعض رمزا لتساوي علي ومعاوية في الوزن والقيمة في نظر الأمة، لأن علي بِسابِقَته ومَجْده الإسلامي وقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم وأُبُوته لِسِبْطَيْه الحسن والحسين لم يتمكن من ثَنْي معاوية ومن معه من محاربته بتهمة المشاركة في قتل عثمان، وهذا ما جعل مركز علي بوصفه أحد كبار الصحابة يتضاءل[1].

وفي الواقع لا يمكن قبول هذا الرأي لأن أساس المفاضلة بين الناس في تلك الفترة هو السابقة في الإسلام، ثم لو كان الرجلان متساويان في الفضل والسابقة في نظر الأمة فكيف نُفسر بيعة غالبية الأقاليم لعلي بن أبي طالب واقتصار معاوية على الشام فقط[2]؟ ثم معاوية مساوٍ لعلي –بل أفضل منه– في نظر قسم من الأمة فقط وهم أهل الشام، والذين كان للدعاية الأموية تأثير كبير على توجهاتهم، في الحقيقة لقد ظل علي رمزا من رموز الإسلام وما لَعْن الأمويين له على المنابر منذ أيام معاوية بن أبي سفيان إلا محاولة منهم للتَّعْتيم على فَضله وسابقته.

من جانب آخر فإن معركة صفين لم تكن مُجَرد خلاف بخصوص ما الذي يجب إعطاؤه الأولوية، القصاص لعثمان بِحَسَب معاوية، أو تأجيل ذلك حتى تستتب الأوضاع بِحَسب علي، ذلك أن جمع عشرات الآلاف من الرجال من كلا الجانبين، مع المجازفة بالانخراط في حرب أهلية دموية، كل ذلك لا يمكن تفسيره بمجرد اختلاف في وجهات النظر، إنه صراع مُستميت من أجل السلطة من كلا الجانبين[3]، فمعاوية –ومعه أنصاره– كانوا يُقاتلون من أجل الوصول إلى السلطة ومنافعها وضمان ديمومة المكاسب التي حققوها زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه والحفاظ على نفوذهم، أما الخليفة علي –ومعه أنصاره– فكانوا يُقاتلون من أجل الحفاظ على السلطة التي اجتمعت له بفضل شرعيته التاريخية وسابقته.

إذن فَفي الوقت الذي كان الخليفة علي يرْكِّز على سابقته في الإسلام، فإن معاوية كان يتحرك وِفق الظرفية التاريخية الراهنة، ويُحدد موقفه على أساسها، فبعد حادثة رفع المصاحف في معركة

---

[1]– حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص117.

[2]– اجتمع لعلي بيعة أهل الحجاز، والعراق، واليمن، ومصر، وعمان، والعروض، والبحرين، واليمامة، ولم يبق إلا أهل الشام وبعض أهل مصر وبعض الصحابة.

[3]– عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص219.

صفين37هـ/657م[1]، واجتماع الحكمين(أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص)، تَمَكَّن معاوية من تحقيق نصر معنوي مهم ضد الخليفة علي[2].

لقد استغل معاوية نتائج التحكيم إلى أبعد حد من أجل إضفاء الشرعية على سلطته في نظر أنصاره على الأقل، ولكي يرَفع مقامه الشخصي من وال إلى خليفة، أو مرشح للخلافة، فهو لم يَعُد يَعتبر نفسه محصورا بِأُفق الشام وحده، بل إنه مَدْعَوٌ للوصاية على الإسلام كله، وبالتالي للتنازع مع علي حول أمصاره التابعة له[3]، وهو ما لم يتردد في العمل على تحقيقه مُسْتَغِلا ظروف علي الداخلية بعد خروج "المحَكِّمَة"[4] عليه[5]، وما أَسْفرت عنه معركة "النَّهْرَوان"[6] من تخاذل للعراقيين عنه في قتاله ضد معاوية وأهل الشام[7]، فاتخذ قرارا بتوسيع نفوذه عبر عمليات عسكرية شملت مناطق تابعة لعلي بن أبي طالب[8].

شاءت الأقدار أن يكون الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب ضحية حادثة اغتيال

---

[1]- يذكر البلاذري أن عمرو بن العاص هو صاحب فكرة رفع المصاحف حين رأى تراجع أهل الشام أمام ثبات العراقيين، فرفع أهل الشام المصاحف على أسنة الرماح وقالوا: "هذا كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق". **أنظر: أنساب الأشراف**، ج3، ص98.

[2]- حسب الرواية التاريخية فإن عمرو بن العاص تمكن من خديعة أبي موسى الأشعري ممثل علي في التحكيم، والذي خلع عليا بقوله: "وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا"، أما عمرو بن العاص ممثل معاوية فكان قراره: "وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه". الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص 70، 71. وعن الدور الذي لعبته الرواية التاريخية -خاصة الكوفية- في ما يمكن اعتباره تضخيما لدور عمرو بن العاص في الفتنة بحيث تجعله صاحب الدور الأبرز في أحداث الفتنة من الجانب الشامي مقارنة بمعاوية بن أبي سفيان **أنظر**: إيلرلينغ ليروك بيترسن: **علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة**.

[3]- هشام جعيط: **الفتنة**، ص 240.

[4]- المحَكِّمة هم مجموعة من أنصار علي بن أبي طالب خرجوا عليه في صفين رافعين شعار "لا حكم إلا لله"، وحسب رضوان السيد فإن هدفهم لم يكن إلغاء السلطة بقدر ما أرادوا أن تكون الشريعة هي السلطة والحاكم، بينما الخليفة ليس سوى أول بين أنداد، وقد عرفوا بتسميات مختلفة "القراء" "أهل حروراء" "الخوارج". **أنظر**: رضوان السيد: **مفاهيم الجماعات في الاسلام**، ص47، 48، 49.

[5]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص72-75.

[6]- النهروان: منطقة واسعة بين بغداد وواسط. الحموي: **معجم البلدان**، ج 5، ص325. وفي هذه المعركة قاتل علي رضي الله عنه رجال "المحكّمة" الذين خرجوا عليه وكاد يُبيدهم وذلك في سنة 38هـ/658م.

[7]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص90، 91.

[8]- **نفسه**، ج5، ص133، 136.

هو الأخر نفذها عبد الرحمن بن مُلْجم المرادي[1]، أحد الخوارج سنة 40هـ/ 660م[2]، وهكذا فحقيقة أن ثلاثة خلفاء راشدين من أصل أربعة قد ماتوا في حوادث اغتيال كاف للشهادة كما يقول محمد أركون: "على رُسوخ ظاهرة العنف الجذري والأولي السائدة في المجتمعات البشرية كافة"[3].

وبعد حادثة الاغتيال بايع أهل الكوفة "الحسن بن علي" خليفة مكان أبيه[4]، بينما بُويع معاوية بن أبي سفيان خليفة في نفس العام واتخذ لبيعته مكانا يفيض بالرَّمزية الدينية وهو "إيلياء"(بيت المقدس)[5]، ولم يَكُن هذا الاختيار اعتباطيا، فهو يدرك الرَّمزية الدينية التي يتمتع بها هذا المقام، ومكانته عند المسلمين، ولعله كان يقصد بهذا الفعل إضفاء شرعية دينية على خلافته، وذلك للتأثير على مُسلمي الشام، وتثبيت عرش خلافته في بلاد الشام أولا، تمهيدا لتثبيتها من بعد في سائر أقطار البلاد الإسلامية[6].

وبهذا أضحت دار الإسلام مجددا برأسين؛ الحسن بالعراق، ومعاوية بالشام، لكن الجبهة العراقية سرعان ما انهارت تحت الضغط الذي مارسه معاوية عسكريا، أو بوسائل الترغيب والترهيب، خاصة وأن الأجواء التي سادت العراق في تلك الفترة لم تكن مشجعة على القتال بعد نحو خمسة أعوام من التعبئة العسكرية والنفسية، فالظروف التي قهرت عَلِيًا كانت ما تزال قائمة في عهد ابنه الحسن وربما أشد سُوءا، إضافة إلى هذا لم يَكُن للحسن مثل ذلك الحضور الشخصي الطاغي الذي كان لوالده، رغم أنه سبط الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي مَكَّن والده من استيعاب التناقضات القبلية في الكوفة والتقليل منها[7]، فاضطر تحت وقع الظروف أن يتنازل عن الخلافة

---

[1]- عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي(بني تدؤل) الحميري، أدرك الجاهلية وشهد فتح مصر وسكنها، كان من أنصار علي بن أبي طالب ثم خرج عليه مع من خرج من المحكمة، ثم قتله في 17 رمضان 40هـ/660م، ولما مات علي قتل ثم أحرق جسده. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص339.

[2]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص143.

[3]- **الفكر الاسلامي**، ص167.

[4]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص158.

[5]- **نفسه**، ج5، ص161. وهذا ما يؤكده أيضا صاحب الوقائع المارونية. **أنظر**: Robert c. hoyland**: seeing Islam as others saw it**, p136.

[6]- حسين مروة: **النزعات المادية في الفلسفة العربية – الإسلامية**، ج2، ص9، 10.

[7]- إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص141.

لمعاوية بن أبي سفيان سنة 41هـ/661م[1].

كانت خطوة التنازل نتيجة لإدراك الحسن حالة قبائل العراق وخاصة الكوفة التي لم يكن لديها الروح القتالية الكافية لمواجهة الشاميين، وبالتالي استوعب أن ميزان القوى يميل ميلا تاما لصالح معاوية وقبائل الشام، ويبدو أن النزعة السلمية للحسن وكُرْهِه لإراقة الدماء من غير طائل كان لها دور في اتخاذه قرار المصالحة، وأن اجتماع كلمة الأمة على معاوية خير من أن تبقى على تَمَزُّقها وانقسامها[2].

لقد مثل وصول معاوية بن أبي سفيان للخلافة تواصلا لعملية الفصل بين مؤسسة الخلافة والأعراف السلطوية القَبَلية، والتي كانت ملامحها قد برزت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي حاول رفع مؤسسة الخلافة فوق الاعتبارات القبلية للمشيخة والرئاسة، غير أن افتقاده للآليات السلطوية التي تُمَكِّنُه من تحقيق مشروعه، وعدم تَهَيُّؤ الظروف لمثل هذا التطور، قد أدى إلى اهتياج القبائل وثورتها عليه، ومقتله في النهاية، لكن بِوُصُوله للخلافة عمل معاوية على إنهاء الازدواجية القائمة في حياة الأمة وتصفية دور المنظومة العُرفية والقِيَمِيَّة القبلية في صياغة وترتيب مصالح الأمة وإدارتها العامة[3]، وهذا لصالح أسس جديدة عمل على ترسيخها خلال خلافته.

هذا التطور الذي أحدثه الخليفة الأموي الأول لم يكن ممكنا لولا تَوفُّر الأدوات السُلطوية القاهرة التي تُمَكِّن من فرضه، والمتمثلة أساسا في الكتائب العسكرية الشامية، وفِرق الشرطة في العاصمة والولايات والخاضعة للسلطة المباشرة للخليفة وولاته، وذات ولاء مُطْلق لهم بعيدا عن أي

---

[1]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص162. بعد تنازل الحسن لمعاوية وفق مجموعة من الشروط خطب في أهل العراق قائلا: "يا أهل العراق إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي". **نفسه**، ج5، ص159.

[2]- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص290. هشام جعيط: **الفتنة**، ص316. تبدو النزعة السلمية في شخصية الحسن واضحة من خلال البيعة التي أخذها على الناس، حيث يذكر البلاذري أن الحسن كانت بيعته التي أخذها على الناس "أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم". **أنساب الأشراف**، ج3، ص279. كما يذكر الطبري أن قيس بن سعد كان أول من بايع الحسن بالخلافة قائلا له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه، وقتال المحلين"، لكن الحسن قال له: "على كتاب الله وسنة نبيه". **تاريخ الطبري**، ج5، ص158. وفي حديث للرسول صلى الله عليه وسلم إخبار بانقسام المسلمين إلى فئتين واقتتالهم ودور الحسن رضي الله عنه في إيقاف القتال والإصلاح بينهما حيث يقول: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". البخاري: **صحيح البخاري**، (كتاب الصلح)، ص661.

[3]- أيمن إبراهيم : **الاسلام والسلطان والملك**، ص291.

ولاء قبلي، وقد كان هذا الجيش الأداة الفاعلة التي اعتمد عليها معاوية –والخلفاء الأمويين من بعده– في تثبيت النظام وضرب الحركات الثورية المعادية له[1].

أما جهاز الشرطة فقد برزت أهميته كثيرا مع تولي زياد بن أبي سفيان ولاية البصرة والكوفة، حيث شَكَّل قوة شرطة تابعة له بلغ عددها أربعة آلاف(4 000) رجل[2]، وفي ظل الأوضاع الأمنية غير المستقرة برزت أهمية الشرطة وأصبحت الحاجة إليها أكثر لقمع الثورات والاضطرابات، وفرض النظام والأمن بما يَتلاءم ومصلحة الخلافة[3].

لم تكن الكتائب المسلحة المنظمة، وَفِرَق الشرطة، هي المقَوِّم الوحيد لفرض الرُّؤْية السياسية التي بَلْوَرَها معاوية، ذلك أن تغيير طبيعة النظام السياسي كان قد سبقه في الواقع استبدال القاعدة الاجتماعية التي يَقُوم عليها هذا النظام، ومعه تغيير مقر الخلافة إلى دمشق بدلا من المدينة العاصمة التاريخية للإسلام أو الكوفة التي اتخذها الخليفة علي بن أبي طالب عاصمة له، وكانت هذه الخطوة نتيجة إدراك معاوية أنه من غير المنطقي وجوده في مكان يجد فيه من المعارضين أكثر مما يجد من المؤيدين[4].

إضافة لِمَا تميزت به القبائل الشامية من طاعة وولاء، وما تَرسَّخ لديها عبر القرون من تقاليد في خدمة السلطان، كما كانت الطِّباع المدنية لدى هذه القبائل أقوى وأَمْتَن بما لا يُقاس مقارنة مع القبائل البدوية في الجزيرة العربية، بالإضافة إلى هذا كانت هذه القبائل ذات خبرات سياسية عريقة في التعامل مع الدول(الغساسنة أو البيزنطيين)، وفي الوقت الذي كان على قبائل الجزيرة العربية أن تَمُرَّ بتجارب تاريخية طويلة حتى تعتاد وتَتأقلم مع علاقة الخُضوع السلطوي كانت قبائل الشام قد مَرَّت بهذه التجارب قبل أحقاب كثيرة وخَلَّفتها وَرائها، لتغدو علاقة الطاعة والخضوع علاقة حياتية يومية

---

[1]– تناولت الباحثة نجدة خماش دور الشاميين في دعم الحكم الأموي بالتفصيل سواء في بلاد المشرق أو المغرب، خاصة ما يتعلق بالقضاء على الحركات الثورية التي قامت ضد الأمويين. **أنظر**: نجدة خماش: **الشام في صدر الإسلام**، ص157–194.

[2]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص222.

[3]– **نفس المصدر والصفحة**. محمد إبراهيم الأصيبعي: **الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية**، ص 166، 167.

[4] – عبد الهادي العجمي: **المشهد السياسي بين المدينة المنورة والقدس وامتداده في العهد الأموي دراسة مقارنة**، ص69.

بالنسبة لها[1]، وهذا ما سَهَّل من مهمة معاوية في حربه ضد علي أو في فرض سلطته وتثبيتها.

من جانب آخر كان لعشيرة بني أمية ارتباط تاريخي بإقليم الشام، وكان لها مصالح تجارية فيه، كما كان لأفراد هذه العشيرة دور مهم في عملية الفتوح بالمجال الشامي، فقد كان يزيد بن أبي سفيان[2] من قادة فتوح الشام منذ عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه وتَولى إمارة دمشق في عهده[3]، وبعد وفاته سنة 18هـ/639م عَيَّنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكانه على إمارة دمشق أخاه معاوية[4].

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه توسعت سلطة معاوية لتشمل الشام كلها، فهو الذي وَسَّع عليه في الولاية، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة، وهو ما مهَّد له تولي الخلافة فيما بعد[5]، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين وأكثرها تنظيما، ثم مَدَّ له في الولاية أثناء خلافته كلها كما فعل عمر بن الخطاب، وأطلق يده في تسيير أمور الشام أكثر مما فعل عمر، فلما وقعت الفتنة كان معاوية أطول الأمراء ولاية، وأقواهم جندا، وأملكهم لقلوب رعيته[6]، وفي ظل ولايته كان الشام محفوظا من كل أشكال العدوى الخارجية، وإغراءات التحريض والاهتياج، ومَحْمَيا من تيارات الهجرة الوافدة من الجزيرة العربية، لقد كان عالما على حِدة تنامت خصوصيته بشدة مع معاوية[7].

ولتثبيت سلطته أكثر ببلاد الشام أقام معاوية علاقة مصاهرة مع قبيلة كلب اليمنية بزواجه من

---

(1)- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص317، 318.

(2)- يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أسلم يوم الفتح، وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم حنينا، عقد له أبو بكر مع أمراء الجيوش على الشام، ثم ولاه عمر بن الخطاب دمشق، فلم يزل واليا عليها حتى وفاته في طاعون عمواس سنة18هـ/639م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص409، 410.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج3، ص394.

(4)- **نفس المصدر والصفحة**.

(5)- قسم الحكام العرب في بلاد الشام نظام الأجناد(مقاطعة)، ويقال أن سبب تسمية أن كل ناحية لها جند يقبضون أرزاقهم بها سميت "جندا"، وهي أربع أجناد: جند فلسطين، جند الأردن، جند دمشق، جند حمص، وفي عهد معاوية أو ابنه يزيد أصبحت "قنسرين" جندا مستقلا عن جند حمص، ثم فصلت الجزيرة الفراتية في أيام عبد الملك عن جند قنسرين لتصبح هي الأخرى جندا مستقلا. **أنظر**: حسين عطوان: **الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي**.

(6)- طه حسين: **الفتنة الكبرى–عثمان**، ج1، ص120.

(7)- هشام جعيط: **الفتنة**، ص196، 197.

مَيْسون بنت بَحْدَل[1] الكَلْبيَّة[2]، وكانت قبيلة كلب هذه تمثل أعظم تَرَكُّز قَبلي عربي يتحكم في توجيه العلاقات بين عرب الحجاز ووسط الجزيرة وعرب الشام لقرون عديدة، ولعل الصلات التجارية القديمة بين الأمويين وقبيلة كلب يفسر إلى حد كبير الحلف السياسي-الاجتماعي بين معاوية بن أبي سفيان وهذه القبيلة[3].

إن وصول معاوية لحكم دار الاسلام وما نتج عنه من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية أدى إلى اعتبار الجماعة الاسلامية وُصوله للخلافة لا يعني في الواقع سوى انقلابها إلى مُلك، فعلى أي أساس اعتُبر معاوية مَلِكا؟ للإجابة على هذا الإشكال اعتمدنا القاعدة الثلاثية التالية:

نمط إرساء السلطة.

نمط ممارسة السلطة.

نمط نقل السلطة[4].

*** نمط إرساء السلطة:**

مَثَّل وصول معاوية بن أبي سفيان إلى الخلافة خروجا عن مبادئ الشورى والبيعة الحُرة التي لا إكراه فيها، وهي المبادئ السائدة زمن الخلافة الراشدة، لقد اختلف الأمر الآن، فمعاوية وصل إلى الخلافة عبر صراع عسكري مع الخليفة علي بن أبي طالب رافضا الدخول في طاعته، وقد أشرنا سابقا إلى أن صراعه مع علي لم يكن مجرد خلاف حول أولوية القصاص للخليفة المقتول عثمان بن عفان أم تأجيله؛ بل كان صراعا حول السلطة، بهذا يكون معاوية قد وصل للخلافة بالقوة والغَلَبة، وهذا ما يتضح من خلال محاربته لعلي، وأيضا من خلال خطبة له في المدينة سنة41هـ/661م حيث يقول: "أما بعد، فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مَسَرَّةً بِوِلايتي،

---

[1]- ميسون بنت بحدل بن أنَيف بن ولجة بن قنافة بن عد بن زهير بن الحارثة بن جناب الكلبي، وهي أم يزيد بن معاوية. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص329.

[2]- الزبيري، **نسب قريش**، ص127.

[3]- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص122.

[4]- وظف "عبد الرؤوف بولعابي" هذه القاعدة في دراسته لمسألة شرعية السلطة الأموية، أما توظيفي لها فكان لبحث خلفية اعتبار الجماعة الاسلامية وصول معاوية بن أبي سفيان للخلافة انقلابها إلى ملك. أنظر: عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص20.

ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة"[1].

كما يتضح من خطبة أخرى لمعاوية أنه لم يُقاتل أهل العراق من أجل إقامة شعائر دينية ضَيَّعوها، أو حقًّا أَماتوه، وإنما قاتلهم لِيَتَأَمَّر عليهم، أي أن السلطة هي غايته النهائية، فيقول: "يا أهل العراق أَتَروني قاتلتكم على الصيام والصلاة والزكاة، وأنا أعلم أنكم تقومون بذلك، وإنما قاتلتكم على أن أَتأمَّر عليكم، وقد أَمَّرني الله عليكم"[2]، إذن فقد وجد التبرير الشرعي لهذا الإكراه بقوله "قد أَمَّرني الله عليكم"، وهذا ضِمن الرؤية الأموية التي أوجدها معاوية والقائمة على نظرية في الجبر تُبرر أفعالهم.

إن من مدلولات مصطلح "الملك" في تلك الفترة التَّغَلُّب والوصول إلى الحكم عن طريق القوة والإكراه، وهذا ما يتضح من قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مخاطبا مسروق بن الأجدع[3] بعد اجتماع التحكيم: "إن الإمرة ما ائتُمر فيها وإن الملك ما غُلب عليه بالسيف"[4].

كما يظهر هذا المدلول من خلال المحاورات التي كانت بين معاوية ورجال من المعارضين لوصوله للخلافة وهذا ما دفعهم لِنَفي صفة الخلافة عن حكمه واتهامه بالملوكية المتعارضة مع نمط إرساء السلطة المتعارف عليه زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، في رواية له أورد المسعودي (ت346هـ/957م) قولا لِصَعْصَعَة بن صوحان[5] يتعجب من اعتبار معاوية نفسه خليفة مع ما

---

[1]- حسب ابن عبد ربه فإن هذه الخطبة كانت بعد توليه الخلافة مباشرة وقدومه على المدينة سنة 41هـ/661م، وتبعه في ذلك ابن كثير. **أنظر**: ابن عبد ربه الأندلسي: **العقد الفريد**، ج4، ص171. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 5، ص548. أما الطبري فإنه لا يذكر هذه الخطبة وأول ذكر له لقدوم معاوية على المدينة كان سنة44هـ/665م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص215. مع أني أرجح أن يكون قدوم معاوية إلى المدينة بعد توليه الخلافة مباشرة سنة41هـ/661م نظرا لأهمية المدينة ورمزيتها الدينية ومعارضة الصحابة بها لتوليه الخلافة حيث وقف قسم كبير منهم إلى جانب علي بن أبي طالب ضده.

[2]- القاضي عبد الجبار: **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، ص143. في رواية ابن كثير قال لهم معاوية: "فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون". ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص547.

[3]- مسروق بن عبد الرحمن -وهو الأجدع- بن مالك بن أمية، من فقهاء الكوفة وعُبّادها، شارك مع علي بن أبي طالب في حروبه، كانت وفاته سنة 62هـ/681م أو 63هـ/682م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج4، ص59.

[4]- ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج4، ص106.

[5]- صعصعة بن صوحان: من أنصار علي بن أبي طالب، شهد معه حربه ضد معاوية، توفي بالكوفة في خلافة الأخير. المزي: **تهذيب الكمال**، ج13، ص169.

اقترفه في سبيل ارتقاء الحكم فيقول: "...أَنَّى يكون خليفة من مَلك الناس قهرا، ودانَهم كِبْرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا؟"[1].

ونجد نفس الرُّؤْية عند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي ربط بين وصول معاوية للخلافة وصفة الملك، حيث قال له لما وفد عليه: "السلام عليك أيها الملك، فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق رحمك الله لو قُلت أمير المؤمنين، فقال: أَتَقُولُها جَذْلانَ[2] ضاحكا؟ والله ما أُحِّب أَنِّي وليتُها بما وليتَها؟"[3].

غير أن اليعقوبي(ت284هـ/897م) ذكر أن سعد بن أبي وقاص لما دخل على معاوية سلّم عليه بالملك، وكان هذا سبب غضب معاوية الذي رد عليه قائلا: "ألا قُلْتَ السلام عليك يا أمير المؤمنين؟"[4]، فقال سعد: "ذاك إن كنا أَمَّرْناك، إنَّما أنت مُنْتَزِ[5]"[6]، بهذا يكون معاوية قد وصل للخلافة حسب هذا القول المنسوب لسعد بن أبي وقاص غصبا من غير شورى فارضا الأمر الواقع على المسلمين.

ونجد وصف الانتزاء لخلافة معاوية أيضا عند الحسن البصري[7] أحد كبار فقهاء التابعين، فقد فقد روى أبو مخنف أن الحسن قال: "أربع خصال كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه مِنْهُنَّ إلا واحدة لكانت مُوبِقة[8]: اِنْتِزاؤُه على هذه الأمة بالسُّفهاء حتى ابْتَزَّها أَمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة ..."[9]، انطلاقا من خلفيته كفقيه نظر الحسن البصري إلى محاربة معاوية

---

[1]- **مروج الذهب**، ج3، ص50. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص125.

[2]- الجذل: الفرح، واجتذل أي ابتهج. الجوهري: **الصحاح**، ج4، ص1654، مادة (جذل).

[3]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص31.

[4]- **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص217.

[5]- نزوت على الشيء أنزو نزوا، إذا وثبت عليه، وقد يعني أيضا تسرع الانسان إلى الشر. ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج 5، ص44.

[6]- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص217.

[7]- الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من سادات التابعين وكبرائهم، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه "خيرة" مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ولد في خلافة عمر بن الخطاب وتوفي في خلافة هشام بن عبد الملك. ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج 2، ص69.

[8]- الموبق: المهلك. الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج 26، ص448، 449. مادة (و ب ق).

[9]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص279.

للخليفة علي بن أبي طالب من أجل الوصول إلى الحُكم من الموبقات، خاصة وأنه استعان بمن وصفهم بالسفهاء في سبيل تحقيق مبتغاه، فارضا حكمه بالقوة ومن غير مشورة للأمة، مع أنه لا تتوفر فيه شروط الخلافة في ظل وجود من هو أهل لها وأحق بها منه من الصحابة وذوي الفضل والسابقة، وهذا دليل على استمرار حضور شرط السابقة والفضل الاسلامي لتولي أمر الجماعة الاسلامية رغم محاولات الأمويين طمسه لصالح معايير جديدة للشرعية.

أما الجاحظ –وهو معتزلي– فيصف عام تولي معاوية الخلافة(41هـ/661م) بقوله: "فعندها استوى معاوية على المِلك، واسْتَبَدَّ على بَقِيَّة الشورى وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سَمُّوه عام جماعة، وما كان عام جماعة، بل...العام الذي تحولت فيه الإمامة مُلْكًا كِسْرَويا، والخلافة غَصْبًا قَيْصَرِيًا"[1].

وهذا القول من الجاحظ فيه نفي لصفة الخلافة عن سلطة معاوية واعتبارها مُلكا، كما ينفي أن يكون عام وصول معاوية للخلافة عام اجتماع لكلمة الأمة بعد تَفَرُّقها زمن الفتنة، بل هو عام تحولت فيه الخلافة إلى ملك قائم على الغصب والإكراه والقوة، مماثِلا للنموذجين البيزنطي والفارسي، فالأمويون لم يصلوا للحكم بطريقة شرعية، أي بالشورى، بل اتخذوا العنف وسيلة لهم في ذلك، وهي وسيلة غير أخلاقية ليس لأنها استُعملت ضد المسلمين وهم إخوة في الدين لا يجوز معهم ذلك فحسب؛ وإنما أيضا لأنها مَثَّلَت ارتدادًا إلى أسلوب الدولة الملكية: البيزنطية والفارسية، وهي دول لا أخلاقية، لأنها لا تعتمد على شرع الله في الحكم[2]، وَيَنْدَرِجُ تَصَوُّرها للسلطة ضمن المنظور "الأُوتُوقْراطي" الذي يُسَلِّم بِأَنَّ المِلك ظل الله في الأرض، فهو يمتلك الأرض كما يمتلك الله العالم بأسره، وهو الآمر الناهي، مُدبِّر السلم والحرب[3].

*** نمط ممارسة السلطة:**

قبل تحديد النمط الذي اتبعه معاوية في ممارسة سلطته نوضح الفروقات القائمة بين "الخلافة" و"الملك" في لغة العرب آنذاك:

---

[1]– **رسالة الجاحظ في بني أمية**، نشرها حسين مؤنس ضمن كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي. **أنظر**: المقريزي: **كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم**، ص 124.

[2]– محمد الجويلي: **الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي**، ص 52، 53.

[3]–كمال عبد اللطيف: **في الاستبداد**، ص، 178.

قال يزيد بن قَيْس الأَرْحَبي وهو من أنصار الخليفة علي يصف أهل الشام: "...إن هؤلاء القوم والله إن يُقاتِلوننا على إقامة دين رأونا ضَيَّعناه، وإحياء حق رَأونا أَمَتْناه، وإن يُقاتلوننا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها مُلوكا"[1].

خاطب معاوية بن أبي سفيان الحسن بن علي قائلا: "يا حسن قد كنت تَرجو أن تكون خليفة ولست هناك، فقال الحسن: إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل بطاعة الله، وليس الخليفة من دان بالجور وعَطل السُّنَن، واتخذ الدنيا أبا وأما، ولكن ذلك مَلِك أصاب مُلكا"[2].

في خطبة لمعاوية قال: "الأرض لله وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فَبِالفضل مني، فقال صعصعة بن صوحان: ما أنت وأقصى الأمة في ذلك إلا سواء، ولكن من مَلك اسْتَأثر"[3].

واضح إذن من خلال هذه الأخبار أن مدلول الملك في لغة العرب في تلك الفترة مُرتَبط أيضا بالتجبر والجور في الأحكام، والغلبة والاستئثار، ولعل هذا الفهم هو ما دفع اليعقوبي(284هـ/ 897م) إلى وصف أيام معاوية ومن جاء بعده من الأمويين بـ "الملك"[4]، أما القاشي(510هـ/ 1116م) فيعتبر أن: "معاوية هو أول من غَيَّر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسار في الناس بسيرة الأكاسرة والقياصرة، وهو أول ملوك بني أمية"[5]. وحسب القلقشندي(821هـ/1418م) فإنه: "أول من رَتَّب الخلافة وأقام أُبَّهَتَها وأَجراها على قاعدة الملك"[6].

فالملك إذن هو نقيض الخلافة التي من معانيها "الأخذ والوضع في الحق"[7]، وما يُفهم من

---

[1]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص17، 18.

[2]- البيهقي: **المحاسن والمساوئ**، ص 84.

[3]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص27.

[4]- **أنظر** وصف اليعقوبي لبداية حكم كل خليفة أموي.

[5]- **رأس مال النديم**، ص 325.

[6]- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، ص 111.

[7]- رضوان السيد: **السلطة في الاسلام دراسة في نشوء الخلافة**، مج3، ص406.

قول الحسن بن علي السابق أن الخليفة من سار بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتزم طاعة الله عز وجل في سياسته وسار بالعدل في رعيته، فما يُميز الخلافة اذن أنها تَستند إلى سياسة دينية تهدف إلى خير الدنيا والآخرة، أما الملك فإنه يَتَوخَّى مصالح الدنيا فقط، والأصل في الخلافة الدين والشورى وتقوى الله والسير في الرعية بالرَّأفة والعدل والرحمة، أما أصل الملك فهو القوة والقهر والتغلب بالسيف[1]، ولعل هذا هو معنى قول ابن خلدون(808هـ/1405م): "أنَّ الملك الطبيعي هو حَمل الكافَّة على مُقتضى الغرض والشهوة، والسياسي هو حمل الكافة على مُقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية، ودفع المضار، والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأُخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة"[2].

وحسب عبد الله العروي فإن ما يفصل الملك عن الخلافة ليس تطبيق الشرع بل هو الهدف من هذا التطبيق، ذلك أنه قد يُجدد ملك معالم الدين لأسباب سياسية عقلية، لِيَحفَظ الأمن، ويُنشط الاقتصاد، ما يؤدي إلى زيادة عمر دولته، فيحين أن الخلافة هي تطبيق الشرع لتحقيق مقاصده، وهذه المقاصد هي: "مكارم الأخلاق"[3]، إذن فتحقيق مقاصد الشريعة هو الفاصل بين الخلافة وبين تحولها إلى ملك، ثم إنه في ظل الملك فإن الشريعة تخدم أهداف الدولة، بينما في ظل الخلافة فإن الدولة هي من تخدم أهداف الشريعة[4]، ورغم ذلك فإنه لا يمكن عزل المقاصد الدنيوية عن غايات الخلافة.

يبدو أن التصرُّف الملكي لمعاوية بن أبي سفيان كان أيضا نتاج الإطار الجغرافي الشامي الذي شَكَّل رَحِما لدولته الجديدة، هذا الإطار المتَمَيِّز بامتداد مجتمع تاريخي اعتاد على الخضوع لسلطة مركزية مَلَكية مَثّلتها الدولة البيزنطية، فلم يكن أمام معاوية إلا التصرف على شاكلة الملوك[5]، ويظهر ويظهر أنه بدأ يتصرف على هذا المنوال منذ أن كان واليا على الشام للخليفة عمر بن الخطاب، هذا

---

[1]- فهمي جدعان: **المحنة**، ص 408. برنارد لويس: **لغة السياسة في الإسلام**، ص 87، 88.

[2]- **المقدمة**، ج2، ص563.

[3]- **مفهوم الدولة**، ص 103.

[4]- **نفسه**، ص104.

[5]- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص287، 288. إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص146، ص146، 147.

الأخير لما أتى الشام تَلَقَّاه معاوية في موكب فكان هذا الفعل محل اعتراض من الخليفة عمر، لكن معاوية دافع عن نفسه بالقول: " يا أمير المؤمنين إنا بأرض عدونا قريب منها، وله علينا عيون ذاكية، فأردت أن يروا للإسلام عِزا"[1]، فحالة الصدام النَّاشئة عن مواجهة تهديد خارجي مُعاد، تتطلب تنظيما مشابها لتنظيم العدو من أجل معادلة قوته المهددة، ويبدو أن هذا ما فهمه معاوية –وهو وال بَعْدُ ثم خليفة– من خلال استحداثه سلطة وُصفت بالملكية في المجال العربي الإسلامي كأداة تنظيمية للبقاء الجماعي في الحالات الاجتماعية الأكثر تعقيدا[2].

*** نمط نقل السلطة:**

استحدث معاوية بن أبي سفيان نمطا جديدا في نقل السلطة إلى خليفته وهو "التوريث"، هذا الفعل المخالف لسُنّة الخلفاء الراشدين القائمة على الشورى والبيعة الحرة اعتُبر من قبل أبناء الصحابة –وتحديدا عبد الرحمن بن أبي بكر– نزوعا نحو الهرقلية والكسروية، أي أن قيام معاوية بالبيعة ليزيد اعتبرت ضربا من الملوكية، خاصة في ظل ما رافقها من بذل للأموال(=ترغيب)، وإكراه(=ترهيب) في فرضها[3].

وإذا كان معاوية قد علل خطوته هذه بضمان وحدة الجماعة الإسلامية وحمايتها من الاختلاف، إلا أن الاهتمام بهذا الهدف وحده لا يكفي؛ لأنه لا بد من الاهتمام بطريقة الوصول إليه بالقدر نفسه الذي نهتم بالهدف، أي أن محور الأمر هو "الشرعية" القائمة على القاعدة الإسلامية "الشورى–العقد–البيعة"، فالوحدة التي حققها معاوية إذن هي في الواقع "وحدة هرقلية أو كسروية" كما لاحظ ذلك أبناء الصحابة وهي قائمة على "القوة والتسلط المجَرَّدَيْن" وليست "وحدة إسلامية"[4].

كان التفكير السياسي للخليفة معاوية بن أبي سفيان نتاج جمع بين الرؤية السياسية القَبَلية الجاهلية، وبين الفكر السياسي البيزنطي–الفارسي، وتعاليم الاسلام، حيث ترد في المصادر إشارات

---

[1]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص155. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص331.

[2]– فريد صقري: **الحكام والمحكومون**، ص 54.

[3]– ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج 4، ص335.

[4]– رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص150، 151.

إلى اهتمام معاوية بأخبار القبائل العربية وصفاتها، وأنسابها، ومعايير الرياسة والسؤدد[1]، فكان من أخلاقه أنه "...إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قَصصه ...ويَستمر إلى ثُلث الليل في أخبار العرب وأيامها..."[2]، كما أن معاوية استقدم عُبيد بن شِرية الجرهمي[3] من اليمن "فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم...فأجابه إلى ما أمر، فأمر معاوية أن يُدوَّن ويُنسب إلى عبيد بن شرية"[4]، وفي الواقع فإن غاية معاوية من الاطلاع على الموروث الجاهلي ليس إحياءا لتقاليد جاهلية كما تذهب إليه إحدى الدراسات[5]، وإنما الغاية منه كسب معرفة سياسية تُمكنه من التعامل مع المجتمع الإسلامي الذي تخترقه القبلية في الصميم.

أما تأثر معاوية بالموروث السياسي الفارسي–البيزنطي فالراجح أنه يعود إلى زمن ولايته على الشام في عهد عمر بن الخطاب، هذا الأخير الذي كان يصف معاوية بقوله: "هذا كِسرى العرب"[6]، وبعد وصوله للخلافة أصبح للخليفة معاوية رغبة في الاطلاع على تاريخ الأمم الأخرى وسياستها لرعيتها، إذ كان ضمن البرنامج اليومي له أن "...يستمر إلى ثلث الليل في أخبار ...العجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وسير ملوك الأمم وحروبها ومَكايدها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة...ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون، وقد وُكِّلوا بِحفظها وقراءتها، فَتَمُرُّ بِسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسِّيَر والآثار وأنواع السياسات"[7].

كانت الغاية من استعانة الخليفة معاوية والخلفاء الأمويين من بعده بالموروث السياسي الجاهلي والفارسي–البيزنطي تدعيم سيطرتهم السياسية وتسويغها إيديولوجيا[8]، وبما أن البشر يصنعون

---

(1)– الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص 163، 164.

(2)– **مروج الذهب**، ج3، ص

(3)– عبيد بن شرية الجرهمي: راوية من المعمرين، من الخطباء الحكماء في الجاهلية والإسلام، عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص189.

(4)– **الفهرست**، ص 132.

(5)– بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها الايديولوجية والاجتماعية**، ص 312.

(6)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص155.

(7)– المسعودي: **مروج الذهب**، ج3،

(8)– رضوان السيد، **الأمة والجماعة والسلطة**، ص109، 110. Abdulhadi Alajmi, Khaled Keshk: **Umayyad Ideology and the Recurrence of the Past**, p10, 12.

أقدارهم بكثير من التشابه، فهم مطالبون باستيعاب آثار الآخرين وتجاربهم، ليستعينوا بها فيما يساعدهم على امتلاك القوة والعظمة والمجد[1]، لأنه مهما كانت فَرادة الإنسان أو تَمَيُّزه بِمَلَكات خارقة للعادة فإنه لا بد أن يتأثر بالنسق الاجتماعي والنظام الحضاري السائدين في محيطه، فالعلاقة بين الفرد –مهما سما قدره– والمجتمع هي علاقة تبادلية تكاملية[2].

من جانبها تجادل "باتريشيا كرون Patricia Crone" على أن الاستنكار الموجه ضد الأمويين أنهم مجرد ملوك قد بدأ في العراق تحديدا في منتصف الفترة الأموية، حينما أصبحت السلطة الأموية استبدادية بشكل أكبر مما كانت عليه في أيام معاوية[3]، في الواقع إن هذا الرأي قاصر نوعا ما ولا يمكن قبوله؛ ذلك أنها ربطت بين اعتبار المعارضة –السياسية والدينية– للحكم الأموي ملكا وبين الممارسة السلطوية الاستبدادية في أواسط العصر الأموي، بينما أغفلت نظرة المسلمين –سواء في العراق أو المدينة– للنمط الذي اتبعه معاوية في وصوله لحكم دار الاسلام، وهو قائم على حد السيف، كما أنها أغفلت موقف الجماعة الاسلامية من سياسة معاوية وولاته وتعاملهم مع المعارضة وعلى رأسهم حجر بن عدي[4]، وأخيرا فإن معاوية هو مُبتدع فكرة التوارث في السلطة وحصرها في في السلالة الأموية وهذا أبرز انتقاد وجهته المعارضة لمعاوية والمبدأ الذي اعتبرت على أساسه خلافته ملكا وفق النموذجين الفارسي والبيزنطي.

إضافة إلى ذلك تذكر بعض الأخبار قولا لمعاوية يصف نفسه بأنه "أول الملوك"[5]، ورغم إيراد إيراد المصادر إشارات تدعم هذا التوجه الملكي، مثل حادثة إعدام حجر بن عدي الكندي وأصحابه والتي هي مثال عن تقديم السياسي على الديني[6]، والمظاهر الملكية في الحكم[7]، وأيضا

---

[1]– كمال عبد اللطيف: **في الاستبداد**، ص78.

[2]– خليل عبد الكريم: **الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية**، ص107.

[3] - Patricia Crone: **God's rule Government and Islam**, p44.

[4]– حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي، يعرف بحجر الخير، كان جاهليا إسلاميا، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد القادسية وفتح مرج عذراء، وكان من كبار أنصار علي بن أبي طالب، قتله معاوية بإلحاح من زياد بن أبيه بعدما كثرت معارضته للسياسة الأموية وخاصة لعن علي بن أبي طالب. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص337-340.

[5]– اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232. ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج10، ص398.

[6]– أنظر الفصل السادس.

[7]– أنظر المبحث الثالث من هذا الفصل.

الأخبار الواردة حول استئثار معاوية –ومن جاء بعده– بالمال[1]، إلا أنه لا يمكن القول أنه نظام مستنسخ عن الأنظمة الملكية البيزنطية والفارسية وذلك لأسباب منها:

– إن معاوية لم يكن في الواقع سوى أول بين أنداد بالنسبة لزعماء العرب الآخرين[2]، وهذا ما توضحه سجالاته مع أشراف القبائل والتي حفظتها المصادر[3]، ثم هو يُدرك النظرة السلبية التي يحتفظ بها المخيال العربي والاسلامي للمُلْك في تلك الفترة ولهذا فإنه ما كان ليعتبر نفسه ملكا ولا ليتخذ أبهة الملك ، وهذا ما يؤكده صاحب "الوقائع المارونية" حين وصف مراسم مبايعة معاوية "مَلِكا" على حد قوله في القدس[4]، غير أنه لم يفته التعليق على مظهر معاوية "المِلك" بدون "تاج" قائلا: "علاوة على أن معاوية لم يلبس تاجا مثل ملوك آخرين في العالم"[5]، بالنسبة لكاتب الوقائع المارونية فإن عدم ارتداء معاوية للتاج عند إعلان نفسه "ملكا" سنة40هـ/ 660م أمر لا يمكن تجاوزه، فقد كان أهم شعار للملكية مفقود، في الواقع إن هذا الفعل من معاوية يعكس نظرته لمسؤولياته القيادية ورؤيته لنفسه كأمير للمؤمنين أو خليفة لله ولكن ليس ملكا[6].

– في خطبته بالمدينة عام41هـ/661م حَدَّد معاوية أن سياسته مع رَعيته قائمة على المنفعة المتبادلة: "مُؤاكلة حسنة، ومُشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفي به القائل بِلِسانه، فقد جعلت ذلك له دُبُر أذني، وتحت قدمي..."[7].

يُؤيد هذه الرؤية ما ورد من أخبار حول "حِلْمه" وعفوه عن رعيته والمعارضين له، فقد كان

---

[1]– أنظر المبحث الرابع من هذا الفصل.

[2]– عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام**، ص 90، 91. حسب "حميد دباشي" فإن هذا لا يعني أن سلطته كخليفة محدودة ومحصورة مثل سلطة السيد، ذلك أن الطبيعة المعقدة للغاية للتنظيم السياسي الناشئ في فترة ما بعد الدعوة المحمدية وتوسع مجال الدولة الاسلامية حال دون هذا التقييد. Hamid Dabashi: **Authority in Islam From the Rise of Muhammad to the Establishment of the Umayyads**, p91.

[3]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص27، 115، 116. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ص84.

[4] - Robert G. Hoyland: **Seeing Islam as others saw it,** p136.

[5] - **Ibid**. p136.

[6] - Andrew Marsham**: Rituals of Islamic Monarchy Accession and succession succession in the first Muslim empire,** p88, 89.

[7]– ابن عبد ربه الأندلسي: **العقد الفريد**، ج4، ص171.

يقول: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: كانوا إذا مَدُّوها خَليتها، وإذا خَلَّوها مَدَدتُّها"[1]، وكان يقول أيضا: "إني لا أَحُول بين الناس وألسنتهم ما لم يَحُولوا بيننا وبين ملكنا"[2]، إذن فقد حدد معاوية هامش كلامي للمعارضة السياسية لحكمه، ويظل هذا الهامش قائما ما لم تتجاوز هذه المعارضة حدود الكلام إلى الفعل، فهو لن يحول بين الناس والكلام أو انتقاد حكمه ما لم يُظهروا عصيانا وخروجا عن طاعة الخليفة ورغبة في إسقاط النظام الأموي القائم.

– حسب ما ورد في الوقائع المارونية فإن معاوية قام بسك نقود ذهبية وفضية خالية من الصليب غير أن هذا الفعل لم يُقبل من السوريين فاضطر لسحبها[3]، ويرى "أندرو مارشام" "Andrew Marsham" أن هذه الخطوة الواثقة من نفسها من قبل معاوية تشير إلى رفض المسيحية بشكلها الحالي على غرار ما هو مذكور في القرآن الكريم[4]، لكن الراجح أن معاوية كان يحاول التأكيد على الهوية الدينية الاسلامية لدولته وليس رفض المسيحية تحديدا.

أخيرا، فإن تصور معاوية لسلطته على أنها تفويض من الله لتسيير شؤون عباده، وتأثره بالمجال الجغرافي الذي ينشط فيه، والموروث السياسي المحلي والأجنبي، إضافة إلى عوامل أخرى قد دفعته إلى اتخاذ خطوة اعتبرت بمثابة تصرف ملكي هي الأخرى، وهي توريث الخلافة لابنه يزيد.

---

[1]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص93. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص238.

[2]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص28.

[3] – Robert G. Hoyland: **Seeing Islam as others saw it,** p136.

[4] - Andrew Marsham: **Rituals of Islamic Monarchy Accession and succession succession in the first Muslim empire,** p88.

ثانيا– فرض المبدأ الوراثي كنمط جديد لانتقال السلطة

اهتم الخليفة معاوية بن أبي سفيان ببقاء السلطة في يد عشيرة بني أمية، وتحديدا في نسله هو، وهذا الاهتمام باحتكار السلطة يبدو أنه يعود إلى زمن مبكر منذ تولي عثمان بن عفان الخلافة حيث برز أفراد هذه العشيرة في قيادة دار الاسلام من خلال تسييرهم لشؤون الولايات في عهد هذا الخليفة، ومع تولي معاوية الخلافة ترسخت السيطرة السياسية لبني أمية واشتدت الرغبة في تأبيدها، هذه الرغبة هي التي دفعت معاوية إلى تولية العهد من بعده لابنه يزيد، فيكون معاوية بذلك واضع أسس المبدأ السلالي وتوارث الحكم في التاريخ الإسلامي.

تذكر الروايات التاريخية أنَّ المغيرة بن شعبة[1]رضي الله عنه هو من اقترح على معاوية تولية العهد من بعده لابنه يزيد[2]، لكن المغيرة لم يكن ليطرح هذا الأمر على معاوية لو لم يجد لديه تقبُّلا للفكرة واستعدادا لتنفيذها، وربما كانت له رغبة في تنفيذها من قبل، لكنه طوى الفكرة زمنا، وجعل ينتظر الفرصة ليُعلن قرار الاستخلاف ويسعى فيه، فلما أشار المغيرة عليه بذلك، راح يقدر لبلوغه بحذر شديد ودهاء كبير[3].

وإن كانت تلك الروايات تجعل دافع المغيرة لهذا الاقتراح هو دوافع شخصية مصلحية بحتة تتمثل في ضمان بقائه على رأس إمارة الكوفة بعد أن عزم معاوية على عزله وتولية عبد الله بن عامر أو سعيد بن العاص مكانه[4]، فإنه من الصعب قبول هذه الرواية، بل الراجح هو رغبة المغيرة في حفظ الأمة من الاختلاف مرة أخرى بسبب مسألة الصراع حول الخلافة، خاصة وأنهم كانوا على عهد قريب بالفتنة الكبرى التي أودت بحياة اثنين من الخلفاء الراشدين.

فإذا كان المغيرة بن شعبة هو صاحب فكرة البيعة ليزيد فإن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة

---

[1]– المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، من الصحابة، شهد فتوح الشام والعراق، وتولى الأعمال لعمر بن الخطاب، ثم تولى الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان حتى وفاته سنة 50هـ/670م. المزي، **تهذيب الكمال**، ج28، ص369-374.

[2]– اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص219، 220. ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص142. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص301، 302.

[3]– حسين عطوان: **نظام ولاية العهد**، ص08.

[4]– اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص219، 220. ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص142. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص301، 302.

هو: لماذا يزيد بن معاوية تحديدا هو الشخصية المقترحة لتولي منصب الخلافة؟

إن الأسس والدوافع التي بنى عليها معاوية بن أبي سفيان دعوته لاستخلاف ابنه هي:

– انطلاقا من تصوره للخلافة التي رأى فيها معاوية تفويض من الله عز وجل كان توريث الحكم لابنه يزيد نتيجة طبيعية لهذا التصور، فإذا كان الله قد أعطاه الملك، فكيف لا يحق له التصرف فيه وفق ما يشاء، وبما أن الجماعة الإسلامية ليست هي المفوض والمؤَكِّل فما المانع من امتلاك الحاكم حرية التصرف الكاملة وغير المقَيَّدة في اختيار خليفته[1]، وبهذا تنتقل السلطة باعتبارها حق فردي إلى الابن أو أحد الأقارب بوصفها واحدا من المنقولات أو الأملاك القابلة للنقل من شخص لآخر[2].

– سياسي وظيفي يتمثل في رغبته في حفظ الأمة من الاختلاف وسط التطاحن والعصبيات وشتى ألوان التناقضات الحافلة بها، فهي مشكلة فراغ لا بد أن تتزامن مع غياب شخصية المؤسس الذي جمع في يده مقاليد السلطة، وارتبط ارتباطا تاريخيا بجميع مراحل تكوينها، وانطبعت بصماته في جميع نواحي الحياة في الدولة[3].

ويبرز هذا المنطق الأموي الرابط بين "وحدة الجماعة" و "ولاية العهد" في قول معاوية مخاطبا أبناء الصحابة: "وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية من سد الخلل، ولمِّ الصدع بولاية يزيد"[4]، وقوله أيضا: "أيها الناس قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر...فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر...فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الإنصاف"[5].

---

[1]– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص323، 324.

[2]– عبد الإله بلقزيز: **الدولة والسلطة والشرعية**، ص 111.

[3]– حسين عطوان: **نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي**، ص9. إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص155.

[4]– ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص.

[5]– **نفسه**، ج1، ص163.

وبهذا المعنى فإن كلا من المغيرة بن شعبة والخليفة معاوية قد أدركا محدودية نظام الشورى الذي كان قائما خلال العهد الراشدي في منع الاختلاف والفرقة بين المسلمين وتجنيبهم الاقتتال مجددا حول الخلافة، وهذا الادراك هو ناتج في الواقع عما يبدو أنه فهم دقيق لطبيعة التحولات الاجتماعية والثقافية الحاصلة في المجتمع الاسلامي مع توسع الفتوحات الاسلامية ودخول عناصر إثنية جديدة تحت راية الدولة الاسلامية، مع ما أدخلته هذه العناصر من أفكار يمكن أن تكون قد أثّرت على قرار معاوية في اختيار ابنه تحديدا وليا للعهد.

وتبرز هذه الرؤية –التبريرية في الواقع– أيضا في أقوال بعض رجالات الدولة الأموية، حيث قال الضحاك بن قيس[1] عند اجتماع وفود الأمصار في دمشق للبيعة ليزيد بن معاوية: "...إنا قد بلونا الجماعة والألفة، والاختلاف والفرقة، فوجدناها أَلَمَّ لشعثنا، وأمنة لسبلنا، وحاقنة لدمائنا، وعائدة علينا في عاجل ما نرجو وآجل ما نؤمل، مع ما ترجو به الجماعة من الألفة...وقد رأينا من دعة يزيد وحسن مذهبه، وقصد سيرته، ويُمن نقيبته...ما دعانا إلى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا"[2].

لكن هذه المعادلة الرابطة بين وحدة الجماعة وتولية العهد ليزيد ستوضع في نصابها السافر "ولاية العهد أو السيف"[3] من قبل يزيد بن المقنع الكندي –هو أحد أشراف الشام – حين قال مخاطبا وفود الأمصار: "أيها الناس، إن أمير المؤمنين هذا –وأشار بيده إلى معاوية–... فإذا مات فوارث الملك هذا –وأشار بيده إلى يزيد– فمن أبى فهذا –وأشار بيده إلى السيف"[4].

– حسب معاوية فإن الصحابة ومعهم أبناءهم قد فقدوا أي حق في المطالبة بالخلافة بعد أن سَلَّموا الخليفة عثمان رضي الله عنه لمصيره ولم ينصروه، وبما أنه ولي دمه والطالب به فمن حقه تولي الخلافة واحتكارها في عشيرته، لأن مقياس شرعية السلطة القائم على الشرف الإسلامي قد تلقى

---

[1]– الضحاك بن قيس القرشي الفهري، يقال أنه ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسبع سنين، كان على شرطة معاوية، ثم ولاه الكوفة بعد وفاة زياد بن أبيه سنة(53ه/672م) وعزله سنة(57ه/676م)، بعد موت يزيد بن معاوية بايع الضحاك ابن الزبير ومعه كثير من أهل الشام، قتل بمرج راهط سنة (64ه/683م) في قتاله ضد مروان بن الحكم والقبائل اليمنية. الصفدي: **كتاب الوافي بالوفيات**، ج 16، ص202، 203.

[2]– ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص143. زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص264.

[3]–زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص284.

[4]– ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص333.

ضربة قاسية نتيجة الاقتتال على السلطة بين الصحابة، وهذا ما دفع معاوية لاستحداث معايير جديدة لتولي السلطة تقوم على الخصال الفردية والقدرة على الحكم، وهي المعايير التي برر معاوية من خلالها فرض "شرعية الأمر الواقع" لما تولى الخلافة سنة 41هـ/661م وهي نفس المبررات التي اتخذها في فرض ابنه يزيد وليا للعهد.

مع ذلك فإن معاوية لم يقم بإلغاء معايير الشرف الإسلامي إلغاء تاما إذ احتج أمام أبناء الصحابة بتوفر هذه المعايير في ابنه يزيد؛ ويتضح هذا من قوله للحسين بن علي وعبد الله بن عباس: "...وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما، وعند غيركما، مع علمه بالسنة، وقراءة القرآن، والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب"[1].

– عاطفي شخصي مرتبط برغبته في توريث ابنه الحكم من بعده لأنه آثر عنده من أبناء الصحابة[2].

– أخيرا، علل معاوية بيعته ليزيد بأنه قضاء وقدر من الله عز وجل(عقيدة الجبر التي روج لها الأمويون) وأنه ليس للعباد خيرة من أمرهم فيما قدر الله حيث قال للسيدة عائشة رضي الله عنها لما وفد على المدينة لعرض البيعة ليزيد على أبناء الصحابة: "...وإن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم"[3]، ومعنى هذا أن اعتراض هؤلاء على بيعة يزيد هو في الواقع اعتراض على قضاء الله الذي قدر لابنه يزيد تولي الخلافة بعده.

يمكن القول أن المغيرة قدّم هذا الاقتراح في الفترة الفاصلة بين موت الحسن بن علي بن أبي طالب سنة 49هـ/ 669م ووفاته –المغيرة– سنة 50هـ/670م، لأنه ما كان للمغيرة أن يقترح هذا الأمر والحسن حي، كما أنه ما كان معاوية يستطيع أن يعهد بالخلافة لابنه يزيد ويعدل بها عن الحسن، وهو الذي اشترط عليه حسب بعض الروايات–إن صحت– في شروط الصلح سنة

---

[1]– ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص160.

[2]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص35.

[3]– ابن قتيبة: **الامامة والسياسة**، ج1، ص158.

41هـ/661م أن يجعل أمر الخلافة شورى بين المسلمين بعد وفاته[1].

حسب اليعقوبي فإن معاوية بعد عرض فكرة البيعة ليزيد من قبل المغيرة بن شعبة أمر زياد بن أبيه[2] بالسعي في بيعة يزيد في أهل البصرة على غرار المغيرة بالكوفة[3]، غير أن زياد نصحه بالتأني في العهد ليزيد نظرا لما عُرف عنه من لهو ومجون، مع وجود أبناء كبار الصحابة ووجوه الاسلام مثل الحسين بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير رضوان الله عليهم، ونصحه بضرورة حمل يزيد على التخلق بأخلاق هؤلاء الأعلام والتشبه بهم لتحسين صورته أمام الناس ويقبلوا به خليفة عليهم[4].

أما رواية الطبري(ت310هـ/922م) فتذكر أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد استشار زياد في ذلك فنصحه هذا الأخير بالتأني مخافة رفض الناس للفكرة بسبب أمور ينقمونها على يزيد، ويرى ضرورة إعداد يزيد لهذا الأمر أولا وتحسين صورته عند الناس، ثم إظهار البيعة له، كما بعث زياد إلى يزيد رسولا ينصحه بالتخلي عما نقم عليه الناس من تصرفات بعد أن أظهر له عزم والده معاوية توليته العهد من بعده[5].

يبدو أن معاوية قد أخذ بنصيحة زياد وحرص على إظهار يزيد بمظهر المجاهد، والمحافظ على تعاليم الاسلام، والقائم على شعائره، فعيّنه قائدا على حملة إلى بلاد الروم سنة50هـ/670م[6]، كما ولّاه إمارة الحج سنة50هـ/670م أو51هـ/671م[7]، بعدها عمل معاوية على تحضير الجماعة

---

[1]- ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص290، 291.

[2]- زياد بن أبي سفيان: يعرف أيضا بزياد بن أبيه أو زياد بن سمية، وسمية هي جارية الحارث بن كلدة الثقفي، ادعاه معاوية في نسب أبي سفيان لاعتبارات سياسية، وولاه البصرة والكوفة، كان من الساسة المشهورين ومن أبرز ولاة الأمويين، ولد بالطائف عام الفتح ومات بالكوفة سنة 53هـ/672م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص98، 99.

[3]- **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص220.

[4]- **نفس المصدر والصفحة**.

[5]- **تاريخ الطبري**، ج5، ص302، 303.

[6]- ابن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، ص129.

[7]- تختلف المصادر في تحديد السنة التي حج فيها يزيد، فخليفة بن خياط في تاريخه يذكر أن يزيد حج سنة 50هـ/670م، لكنه يعود ليذكر أن من أقام الحج هذه السنة هو معاوية، وفي خبر آخر يذكر أن معاوية أقام الحج سنة 51هـ/671م. أما ابن سعد فيذكر أن معاوية حج سنة 50هـ/670م ثم ولى ابنه الحج سنة 51هـ/671م ثم اعتمر معاوية سنة 56هـ/675م. أما الطبري

الاسلامية نفسيا لبيعة يزيد من خلال: دعوة وفود الأمصار إلى دمشق ليعرض عليهم البيعة له، ثم إرسال كتب إلى عماله لجمع الناس على البيعة ليزيد.

*** دعوة معاوية وفود الأمصار إلى دمشق:**

استقدم معاوية بن أبي سفيان وفودا من أهل الأمصار إلى دمشق ليعرض عليهم أمر مبايعة يزيد وليا للعهد بعده، وتختلف المصادر في سنة اجتماع هذه الوفود في دمشق، فابن قتيبة(ت276هـ /889م) ينفرد بجعل ذلك قبل وفاة الحسن بن علي[1]، وهو في الواقع أمر مستبعد للمعارضة التي يمكن أن تواجه هذه الخطوة مع وجود الحسن بن علي حياً.

أما ابن أعثم(ت314هـ/926م) وابن عبد ربه(ت328هـ/ 936م) فيجعلان ذلك في سنة 55هـ/674م[2]، ويذكر المسعودي أن وفود الأمصار قدمت على معاوية في سنة59هـ/678م[3]، فيحين في رواية الطبري كان ذلك في سنة 60هـ/679م بالنسبة للوفد العراقي دون إشارة لوفود الأقاليم الأخرى[4].

وتتفق الروايات أن غاية معاوية من استقبال هذه الوفود هي عرض مسألة البيعة ليزيد عليهم[5]، ويبدو أن معاوية قد عمل على التحضير النفسي لهؤلاء قبل مطالبتهم بالبيعة ليزيد، من خلال إبراز فضائله التي تؤهله لتولي الخلافة، ومعتمدا على أشراف الشام في مبتغاه هذا بمطالبتهم إياه بتولية يزيد، حيث قال للضحاك بن قيس: " إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك، وادع إلى بيعته، فإني قد أمرت عبد الرحمن ابن عثمان الثقفي، وعبد الله بن عضاة الأشعري، وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك، وأن

فيشير إلى الاختلاف بين الرواة فيمن ولي الحج سنة 50هـ/670م بين من يقول حج معاوية ومن يقول حج يزيد. **أنظر**: ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج 6، ص27. خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص129، 130، 134. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص240.

[1]- **الإمامة والسياسة**، ج1، ص145، 146.

[2]- **كتاب الفتوح**، ج4، ص332. **العقد الفريد**، ج5، ص118.. وقد استقبل معاوية حسب روايتهما وفد المدينة والعراق إضافة إلى رجال من البيت الأموي وأشراف الشام.

[3]- **مروج الذهب**، ج3، ص36.

[4]- **تاريخ الطبري**، ج5، ص322.

[5]- ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص153. ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص332، 333. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص322. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص36، 37.

يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه"[1].

ويواصل المسعودي في روايته: "فلما كان من الغد قعد معاوية فأعلم الناس بما رأى من حسن رعية ابنه وهديه، وأن ذلك دعاه إلى أن يوليه عهده، ثم قام الضحاك ابن قيس فأجابه إلى ذلك، وحض الناس على البيعة ليزيد، وقال لمعاوية: اعزم على ما أردت، ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وعبد الله بن عضاة الأشعري، وثور بن معن فصدقوه"[2].

لكن هذا العرض الذي يورده المسعودي يضعنا أمام إشكال هو: هل كان أهل الشام على علم بخطوة معاوية هذه من قبل أم لا؟ يبدو من خلال الروايات أن أشراف الشام على الأقل كانوا على علم بخطوة معاوية هذه خاصة وأنه في رواية المسعودي السابقة ترد عبارة يقول فيها أن معاوية: "أَعلَمَ الناس بما رأى من حُسْن رِعية ابنه وهديه، وأن ذلك دعاه إلى أن يوليه عهده"، وهي في الواقع تحتمل تأويلين: أن يكون قصد معاوية من كلامه أنه قد بايع ليزيد في أشراف الشام فعلا لتوفر شروط الخلافة فيه، وأن على بقية الوفود مبايعته، أو أنه يرى أن يزيد يستحق الخلافة لما يتمتع به من مؤهلات فعزم على جعله وليا للعهد خلفا له، والراجح –بالنسبة لي– أن معاوية عرض عليهم البيعة ليزيد واضعا إياهم أمام الأمر الواقع الذي سبق إمضاءه، وأن أشراف الشام وعلى رأسهم الضحاك بن قيس حرَّضوا الوافدين على قبول البيعة ليزيد والتي سبق لهم أن وافقوا عليها.

* إرسال معاوية الكتب إلى عمال الأمصار:

قبل الادلاء بِدَلوِنا في مناقشة هذه الخطوة من قِبَل معاوية سوف نستعرض مختلف الروايات التي ذكرتها المصادر وفق التسلسل الزمني لظهور هذه الكتابات ثم نقوم بمناقشتها للوصول إلى بناء أقرب تصور لما يمكن أن يكون قد حدث بالفعل. يذكر ابن قتيبة أن معاوية بايع ليزيد بالشام سنة 50هـ/670م ثم كتب ببيعته إلى بقية الأمصار[3]، لكنه لا يورد سوى خبر كتاب بعثه إلى مروان بن الحكم والي المدينة من قِبَله يأمره فيه بدعوة أهل المدينة لبيعة يزيد[4]، ولما قرأ مروان الكتاب أبى

---

[1]– المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص36.

[2]– **مروج الذهب**، ج3، ص36، 37. **يُنظر أيضا**: ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص143. ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص333. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص352.

[3]– **الإمامة والسياسة**، ج1، ص151.

[4]– **نفس المصدر والصفحة**.

ذلك، كما أبته قريش وكتب إلى معاوية: "إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فارأ رأيك"[1]، وكان هذا سبب عزله عن المدينة وتولية سعيد بن العاص خلفا له[2].

أما ابن أعثم الكوفي فيذكر –هو الآخر– أن معاوية أرسل إلى مروان كتابا يأمره بدعوة أهل المدينة إلى بيعة يزيد وكان ذلك سنة55ه/674م[3]، فجمع مروان وجوه أهل المدينة فحضّهم على الطاعة وحذّرهم الفتنة ثم عرض عليهم أولا رغبة معاوية في العهد بالخلافة لرجل من اختياره هو درء للفتنة وحفظا للأمة الاسلامية من الاختلاف والفرقة وسفك الدماء، فلما رأى عندهم تقبلا للفكرة طرح عليهم اسم المرشح للخلافة وهو يزيد بن معاوية[4]، وكان هذا الإعلان محل اعتراض شديد من قبل عبد الرحمن بن أبي بكر الذي رأى فيه سيرا على النموذج البيزنطي في وراثة الحكم[5].

فيحين يذكر صاحب العقد الفريد أن معاوية أرسل إلى مروان كتابا يأمره فيه بدعوة أهل المدينة إلى بيعة يزيد بعد أن بايعه أهل الشام والعراق وكان ذلك سنة 55ه/674م[6]، "فخطبهم مروان فحضّهم على الطاعة وحذرهم الفتنة، ودعاهم إلى بيعة يزيد"[7]، غير أن عبد الرحمن بن أبي بكر والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر أنكروا ذلك ورفضوا البيعة ليزيد فتفرق الناس عن مروان[8].

من جهته يذكر المسعودي أن معاوية استقبل وفود الأمصار سنة 59ه/678م لعرض البيعة

---

[1]– **نفس المصدر والصفحة.**

[2]– **نفس المصدر والصفحة.**

[3]– **كتاب الفتوح**، ج4، ص334، 335.

[4]– **نفسه**، ج4، ص335. حسب رواية ابن الأثير فإن معاوية أرسل رسالة أولى إلى مروان والي المدينة يخبره فيها برغبته في تعيين خليفة له من بعده بسبب كبر سنه وضعفه، وحماية للجماعة الاسلامية من الافتراق والفتنة، فعرض مروان الأمر على أهل المدينة فلقي رضا من قبلهم، فكتب إلى معاوية بذلك فكتب معاوية بكتاب آخر إلى مروان يخبره بتسمية ابنه يزيد، فكان هذا محل معارضة من عبد الرحمن بن أبي بكر. **أنظر**: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص351.

[5]–ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص335.

[6] – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص119.

[7]– **نفس المصدر والصفحة.**

[8]– **نفس المصدر والصفحة.**

ليزيد عليهم[1]، ولما بايعوه بعث معاوية بكتب البيعة إلى الأمصار[2]، غير أنه لم يذكر هو الأخر سوى كتاب بعث به إلى مروان بن الحكم والي المدينة يخبره بمبايعة يزيد وليا للعهد، ويأمره بمبايعته وأخذ البيعة له على من قبله، وكان هذا العمل سببا في غضب مروان وخروجه في أخواله من بني كنانة[3] إلى دمشق، واحتج على معاوية قائلا: "أقم الأمور يا ابن أبي سفيان، واعدل عن تأميرك الصبيان، واعلم أن لك من قومك نظراء، وأن لك على مناوئتهم وزراء، فقال له معاوية: أنت نظير أمير المؤمنين، وعدته في كل شديدة، وعضده، والثاني بعد ولي عهده"[4]، لكن معاوية لم يَفِ لمروان بما جعل له من ولاية العهد بعد يزيد، وعزله عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[5].

إن رواية إرسال معاوية كتاب إلى مروان يطالبه فيه بالبيعة ليزيد يمكن مناقشتها من عدة أوجه:

أولا: إن رواية ابن قتيبة التي يذكر فيها أن معاوية قد بعث بكتاب إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم ليأخذ البيعة له من أهلها في سنة50هـ/670م يمكن رفضها لأن مروان كان قد عزل عن المدينة سنة48هـ/668م[6]، أو سنة49هـ/669م[7]، وولى مكانه سعيد بن العاص، ثم إن إن مروان عزل عن المدينة في حياة الحسن وليس بعد وفاته[8].

ثانيا: أما رواية ابن عبد ربه ففيها الكثير من الغموض والتناقض، فهو يشير أولا إلى إظهار معاوية "عهدا مُفتعلا" فيه عقد الولاية ليزيد بعده وذلك بعد وفاة زياد بن أبيه سنة53هـ/672م، ثم عمل معاوية على إقناع الناس لبيعته مدة سبع سنين[9]، لكنه يعود ليذكر أن معاوية أرسل في سنة

---

[1]- **مروج الذهب**، ج3، ص36، 37.

[2]- **نفسه**، ج3، ص38.

[3]- كنانة: كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قبيلة ضخمة من العدنانية، كانت ديارهم بجهات مكة، وتنقسم إلى عدة بطون منها: قريش، عبد مناة، بنو الليث، بنو مالك، بنو ضمرة، بنو فراس. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، ج3، ص996.

[4]- المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص38.

[5]- **نفس المصدر والصفحة**.

[6]- خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص127.

[7]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص232.

[8]- يذكر ابن سعد أن الحسن بن علي صلى عليه سعيد بن العاص. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص390، 391.

[9]- ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص117.

55هـ/674م كتبا إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه[1]، وبعد عرض فكرة البيعة ليزيد على وفود الأمصار تفرق الناس لكن دون ذكر لمبايعة يزيد من عدمه[2]، غير أن الرواية تعود لتذكر بيعة "الناس" ليزيد دون تحديد هوية هؤلاء "الناس" ولا تاريخ مبايعتهم له[3].

وبعد هذه البيعة بعث معاوية كتابا إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم لدعوة أهلها لبيعة يزيد ويُخبره بمبايعة أهل الشام والعراق، وعلى الرغم من أن الرواية تشير إلى تردد محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري[4] وكان ضمن وفد أهل المدينة في بيعة يزيد لما خلا به معاوية فإنها لم تُشر أبدا لموقف وفد المدينة لما اجتمع بهم معاوية[5]، وإذا افترضنا أن وفد المدينة لم يبايع انطلاقا من موقف محمد بن عمرو بن حزم المتردد فإن هذه الرواية لم تُشر أيضا لبيعة وفود أهل الشام والعراق وإنما تأكيد أشراف الشام على ضرورة البيعة ليزيد فقط[6]، فَلِمَ يُرسل معاوية كتابا إلى مروان عامل المدينة المدينة ولم يُرسل إلى بقية الأقاليم؟ ثم لِمَ تم تغييب موقف أهل مصر رغم أهمية هذا الاقليم وثقله؟

ثالثا: إن تركيز المصادر التاريخية على إقليم الحجاز وتحديدا المدينة المنورة يؤكد الثقل السياسي الذي لازال يتمتع به هذا الاقليم رغم فقدانه لمركزه كعاصمة للدولة الاسلامية، وأما إلحاح معاوية في الحصول على مبايعة أهل المدينة وخاصة أبناء كبار الصحابة فإنه يُمثل وعيا جيدا من قبله بأهمية هذا الاقليم في كسب الشرعية لخطوته خاصة أن الروايات تذكر ذهاب معاوية إلى الحجاز فقط لأخذ البيعة من أهلها لابنه يزيد خاصة أبناء الصحابة الأربعة[7].

رابعا: إن رواية المسعودي التي يقول فيها أن معاوية بعث بكتاب بيعة وفود الأمصار إلى مروان

---

[1]- **نفسه**، ج5، ص118.

[2]- **نفسه**، ج5، ص119.

[3]- **نفس المصدر والصفحة**.

[4]- محمد بن عمرو بن حزم يرجع نسبه إلى بني النجار من الخزرج، كان أبوه عمرو عاملا للرسول صلى الله عليه وسلم على نجران نجران باليمن وبه ولد محمد ابنه سنة 10 للهجرة، ثار على الخليفة يزيد بن معاوية مع أهل المدينة فقتل في موقعة الحرة سنة 63هـ/ 682م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص72، 73.

[5] - ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص118، 119.

[6] - **نفسه**، ج5، ص119.

[7]- خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص131، 132. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص27. ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ج1، ص149، 150.

سنة59هـ/678م يمكن رفضها هي الأخرى لأنه إذا كان معاوية قد استقبل وفود الأمصار لمبايعة يزيد ثم بعث بكتب البيعة في هذه السنة، فإن مروان لم يكن وال المدينة خلال هذه السنة بل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[1]، الذي تولى إمارة المدينة منذ سنة57هـ/676م أو 58هـ/677م إلى وفاة معاوية وبداية خلافة ابنه يزيد[2]، ذلك أن مروان كانت ولايته الثانية على المدينة في الفترة الممتدة بين 54هـ/673م و57هـ/676م أو 58هـ/677م[3]، والكتاب كان بعدها.

ثم إن معاوية ما كان ليعهد بالخلافة إلى مروان وهو الحريص على حفظ الخلافة في آل أبي سفيان، وقد انفرد المسعودي بذكر هذا الخبر ولم نجد له سندا في أي مصدر آخر، وحتى لما ولى يزيد العهد لابنه معاوية بن يزيد لم نعثر على ما يشير إلى احتجاج مروان على هذه التولية، وإذا كان معاوية قد عزله عن منصبه بسبب احتجاجه على بيعة يزيد وولى مكانه الوليد بن عتبة فهذا يجعل القول بأن معاوية استقبل وفود الأمصار وإرساله الكتب بالبيعة ليزيد سنة59هـ/678م محل رفض.

لكن، إذا كانت فكرة البيعة ليزيد قد ظهرت حسب المصادر قبل نهاية سنة50هـ/670م، فإن تاريخ الإعلان عنها هو محل خلاف بين هذه المصادر، حيث نصطدم بروايات عديدة وتواريخ متعددة حول هذه الحادثة؛ حسب خليفة بن خياط(ت240هـ/854م) فإن معاوية بن أبي سفيان دعا أهل الشام إلى بيعة يزيد سنة 50هـ/670م، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه[4]، ويوافقه في ذلك ابن قتيبة لكن دون تحديد التاريخ بدقة واكتفى بالقول أن ذلك حصل بعد وفاة الحسن بوقت يسير[5]، أما اليعقوبي فيذكر هو الأخر أن معاوية بايع لابنه يزيد بولاية العهد بعد وفاة الحسن بن علي ولا يذكر إن كان بايعه بالشام فقط[6].

أما عند الطبري فنجد الربط بين إعلان البيعة ليزيد وموت زياد بن أبي سفيان سنة 53هـ/ 672م، حيث يقول: "لما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد إن

---

[1]- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: ولي المدينة لعمه معاوية ثم لابن عمه يزيد، وكان جوادا حكيما، أنكر بيعة الضحاك بن قيس لابن الزبير فحبسه الضحاك، مات سنة 64هـ/683م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج63، ص206.

[2]- خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص138.

[3]- **نفس المصدر والصفحة**. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص308، 309.

[4]- **تاريخ خليفة بن خياط**، ص129.

[5]- **الإمامة والسياسة**، ج1، ص151.

[6]- **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص228.

حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهد، فاستوسق له الناس على البيعة غير خمسة نفر"[1]، وهؤلاء النفر المعارضين هم: الحسين بن علي، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عبد الله بن الزبير، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[2]، وتضيف الرواية أن معاوية سار إلى الحجاز ليناظرهم في أمر البيعة ليزيد[3]، لكن التناقض الحاصل في روايات الطبري أنه هو نفسه وليس رُوَاته أورد في بداية الرواية أن معاوية دعا الناس إلى مبايعة ابنه يزيد سنة56هـ/675م[4].

ومثل الطبري ربطت رواية صاحب العقد الفريد بين موت زياد سنة53هـ/672م وإظهار كتاب العهد ليزيد حيث يقول: "لما مات زياد، وذلك سنة ثلاث وخمسين، أظهر معاوية عهدا مفتعلا، فقرأه على الناس، فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد"[5]، فإذا كان معاوية حسب ابن عبد ربه قد أظهر هذا الكتاب بمبايعة يزيد لتسهيل عملية البيعة، فإنا لا ندري لما تم الربط بين موت زياد وإظهار هذا الكتاب في رواية كل من الطبري وابن عبد ربه، وربما يكون ذلك راجع إلى معارضة زياد لبيعة يزيد التي أشرنا إليها سابقا.

يَظهر أن معاوية عمل على تهيئة ظروف البيعة لابنه يزيد من أهل الشام أولا، وهم المعروفون بولائهم الشديد له والمعتادين على النظام الوراثي في الحكم الذي كان سائدا عند الغساسنة والبيزنطيين، ثم اتخذ خطوة ثانية باستقباله وفود الأمصار حيث عرض عليهم مبايعة يزيد بعد مبايعة أهل الشام له، أما الخطوة الثالثة التي عمل من خلالها معاوية على إقناع بقية الأمصار بفكرة البيعة ليزيد خاصة الحجاز حيث أبناء الصحابة وما يملكونه من شرعية تاريخية ودينية تجعلهم مؤهلين لتولي منصب الخلافة، وأيضا العراق حيث القبائل العربية –المنتقلة من الجزيرة في غالبيتها– غير المعتادة على التقليد السلالي في الحكم والمعروفة بولائها للبيت العلوي(الكوفة خصوصا)، فقد تمثلت هذه الخطوة في الكتب التي أرسلها إلى الأقاليم لمبايعة يزيد[6].

---

(1)– **تاريخ الطبري**، ج5، ص303.

(2)– **نفس المصدر والصفحة**.

(3)– **نفسه**، ج5 ، ص303، 304.

(4) – **نفسه** ، ج5، ص301.

(5)– **العقد الفريد**، ج5، ص117.

(6)– ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص151. ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص339.

وفي الواقع فإن استعراض الروايات المختلفة للحوار الذي دار بين معاوية والنفر الأربعة المعارضين لتولية يزيد يدفعنا لاستنتاج أن غاية معاوية من الذهاب إلى الحجاز كان الحصول على موافقة هؤلاء الأربعة على البيعة ليزيد، وأنها قد قررت سلفا[1].

وعلى العموم فإنه بالرغم من التضارب بين الروايات والأخبار التاريخية والاختلاف الشديد في التواريخ بحيث لا يمكننا من تحديد تاريخ دقيق لكل خطوة اتخذها معاوية في سبيل تحقيق غايته في توريث الحكم لابنه يزيد فمن المؤكد أنَّ حمل القبائل العربية على القبول بتوريث معاوية الحكم لابنه يزيد كان يحتاج حملة إقناع واسعة لا تكتفي بالوسائل التقليدية بل تجمع –حسب طريف الخالدي– إلى جانب السطوة والرشوة، استحداث نوع جديد من الخطابة السياسية يقوم بنشره الخليفة بنفسه، والشعراء، وكتاب الدواوين، والندماء، وحتى علماء الدين، حيث يُعمل على إقناعهم لتبديد ارتيابهم من هذا النظام، إضافة إلى هذا كانت سير الملوك السابقين وأخبارهم التي كان معاوية يطلع عليها تمثل في رأيه جزءا مهما من عملية الإقناع لأن غايتها ليس إلهام الخليفة نفسه فحسب؛ بل أيضا تعريف رعيته بالنظائر التاريخية وتعويدها على فكرة توارث الحكم خصوصا أشراف القبائل الوافدين عليه من الأقاليم الأخرى[2].

لكن قرار الاستخلاف لم يكن ليمر دون احتجاج أو رفض، فقد أبدى الأحنف بن قيس[3] وهو من أشراف العراق احتجاجه على هذه الخطوة أمام معاوية، غير أنه احتجاج أقرب للنصح منه لرفض قرار معاوية، حيث قال لمعاوية لما استقبل وفود الأمصار في دمشق لعرض البيعة ليزيد عليهم: "إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان يُؤتنف، ويزيد حبيب قريب، فإن توله عهدك فعن غير كِبرٍ مفن، أو مرض مضن، وقد حلبت الدهور، وجربت الأمور، فاعرف من تسند إليه عهدك، ومن توليه الأمر من بعدك، واعص أمر من يأمرك ولا يقدر لك، ويشير عليك ولا ينظر

---

[1]– خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص131، 132، 133. ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص158، 159. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص303، 304.

[2]– **فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة**، ص 161.

[3]– الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، كان سيد تميم، أسلم زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، كان من قواد جيش علي رضي الله عنه يوم صفين. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص86، 87.

لك"[1].

يبدو من خلال كلام الأحنف أن هناك إقرارا بأمرٍ واقع، وأن معاوية ماض في عزمه على بيعة يزيد، ولا سبيل لرفض هذا القرار أو مقاومته، لذلك نجد الأحنف في كلامه يظهر بمظهر الناقد الناصح وليس المقاوم لقرار التولية، وقد أشرنا سابقا إلى الإكراه الذي مورس على وفود الأمصار في دمشق والذي عبّر عنه قول يزيد بن المقنع الكندي، هذا الإكراه الممارس على الأشراف تحديدا لأنهم الذين يُضفون الشرعية السياسية على السلطة الجديدة في حال مبايعتهم، وبذلك يتبين أن أداء البيعة لم يكن فعلا حرا وإنما كان فعلا مقيدا سيتحول شيئا فشيئا إلى مجرد عملية تأخذ صبغة الواجب الديني حيث يتم اتهام كل معارض للبيعة أو خالع لها بتفريق الجماعة ويكون جزاؤه القتل[2].

أما الرفض الحقيقي لقرار معاوية فكان في الحجاز، حيث أبناء الصحابة رضوان الله عليهم، وتحديدا: الحسين بن علي بن أبي طالب، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[3]، وتضيف بعض الروايات اسم عبد الله بن عباس إلى هؤلاء الأربعة[4].

ويرى حسين عطوان أن إيراد اسم عبد الله بن عباس إلى المعارضين لقرار معاوية من عمل الأخباريين من شيعة العباسيين، حيث أضافوه لهم مجاملة للحكام العباسيين بعد قيام دولتهم، فهولوا شخصيته السياسية تهويلا كبيرا، ونفخوا فيها حتى جعلوه بطلا مناضلا عن حق الهاشميين في الخلافة، ومجادلا للأمويين والزبيريين الذين اغتصبوا حقهم، وفي الواقع فإن ابن عباس قد اعتزل السياسة منذ مقتل علي وتفرغ للعلم حيث نال فيه شهرة واسعة، وبايع معاوية وابنه يزيد من بعده، وحث أهله على مبايعتهما، وثبط الحسين بن علي عن الخروج إلى العراق[5].

كانت معارضة أبناء الصحابة قائمة على:

---

[1]- المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص36، 37.

[2]- حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص60.

[3]- خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص131، 132، 133. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص288. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص303.

[4]-الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص303. ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص149، 163.

[5]- **نظام ولاية العهد**، ص15.

– رأوا في تولية معاوية لابنه تقويضا لمبدأ الاستخلاف المتعارف عليه سابقا، وانتفاءً لدور الأمة في عملية اختيار الخليفة، وهو ما يمثل حسبهم نزوعا نحو السلالية في الحكم على غرار الدولتين الفارسية والبيزنطية، لذلك وصفوا قرار معاوية بالكسروية والهرقلية[1]، كما طالبوه بالعودة إلى طريقة السابقين في الاستخلاف مخيرين إياه بين ترك الأمر للأمة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يعهد بالخلافة لأحد، فتختار الأمة من تراه الأحق والأجدر بتولي الخلافة، أو يصنع كما صنع أبو بكر الصديق لما عهد بالخلافة لرجل ليس من عشيرته رآه أهلا لتولي أمور المسلمين، أما الاقتراح الثالث فهو أن يصنع مثل عمر بن الخطاب الذي ترك الأمر شورى في ستة نفر من قريش ليس فيهم أحد من ولده أو عشيرته ليختاروا الخليفة من بينهم[2].

– إن تنافي فكرة الوراثة مع مبدأ الشورى الإسلامي[3]، قد جعل هذا الأخير مُرتكزا مهما في معارضة أبناء الصحابة لأنه الوسيلة الوحيدة الضامنة لحرية الجماعة الإسلامية ومشاركتها في الشؤون العامة، وأيضا حمايتها من عسف السلطة[4]، وعلى الرغم من الغموض في الكثير من أصولها وجوانبها (الشورى) فإنها عدت متحققة زمن الراشدين، وهو ما أعطاها قوة منقطعة النظير فصارت مثالا تتطلع له الأجيال اللاحقة وتشرئب له الأعناق، لأنها كرست حق الأمة في اختيار الحاكم، ولما انقطع ظهورها في التجربة التاريخية الإسلامية ظلت مثالا يحمله المعارضون للسلطة القائمة[5]، وأحد الأعمدة الكبرى لشرعية الحكم والحاكم في ظل تلبس شرعية السلطة، أو كيفية الوصول إليها لبوسا دينيا[6].

– لم يعترض أبناء الصحابة على قرار معاوية العهد بالخلافة لأنه في الواقع لم يبتدع أمرا جديدا في هذا الخصوص؛ إذ عهد أبو بكر بالخلافة لعمر، وعهد عمر بها لستة أشخاص من أصحاب

---

[1]– ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص150. ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص335. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص351.

[2]– خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 132، 133. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص120، 121.

[3]– عبد العزيز الدوري: **التكوين التاريخي للأمة العربية**، ص 40.

[4]– عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص106.

[5]– رضوان السيد: **المشروعية والشرعية والحقوق في التجربة التاريخية للأمة**، ص23. يوجه سوي: **تطور الفكر السياسي**، ص 83، 84.

[6]– شمس الدين الكيلاني: **الجماعة وتحولاتها التجربة السياسية العربية–الإسلامية في فكر رضوان السيد**، ص32.

الرسول صلى الله عليه وسلم يتشاورون في اختيار من يولونه أمور المسلمين، لكن الاعتراض قائم على تولية معاوية ابنه تحديدا الخلافة، مع ما عرف عنه من لهو ومجون وتهاون في أمر الدين، وإبعاد مستحقيها من أبناء الصحابة عنها[1]، خاصة وأن العرب في غالبيتها لم تألف المبدأ الوراثي في الرئاسة وإنما كانت الرئاسة لأقدر أبناء القبيلة وأجدرها[2].

– مسألة ثالثة تتعلق بمبايعة يزيد بالخلافة في حياة أبيه، ولمن تُقدم فروض الطاعة في حال مبايعة يزيد للأب أم للابن، حيث خاطب عبد الله بن الزبير معاوية قائلا: "أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لِأَيِّكُما نسمع؟ لِأَيِّكُما نطيع؟، لا نجمع لكما البيعة والله أبدا"[3].

تختلف الروايات التاريخية حول ما إذا كان معاوية قد نجح في الحصول على بيعة هؤلاء النفر ليزيد من عدمه، تذكر بعض الروايات أن معاوية ألزمهم بالمبايعة بالإكراه بحد السيف، حيث رد على مقترح ابن الزبير بإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أو أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما في الخلافة قائلا: "...إني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر، وإنه قد كان يقوم منكم القائم إلي فيكذبني على رؤوس الناس، فأحتمل له ذلك وأصفح عنه، وإني قائم بمقالة إن صدقت فلي صدقي، وإن كذبت فعلي كذبي، إني أقسم لكم بالله لئن رد علي منكم إنسان كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلي رأسه، فلا يرعين رجل إلا على نفسه"[4]، ثم إن معاوية خطب في في الناس بمبايعة هؤلاء الأربعة بولاية العهد ليزيد ودعا الناس إلى بيعته[5].

في الواقع هناك أخبار أخرى تنقض هذه الرواية فاليعقوبي يذكر أن معاوية "تألف القوم ولم يكرههم على البيعة"[6]، ثم إن رواية ابن قتيبة تشتمل على عدة تناقضات، ففي الوقت الذي يصرح فيه أن معاوية فرض على أبناء الصحابة هؤلاء مبايعة يزيد يعود ويذكر في رواية أخرى أن معاوية بعد

---

[1]– ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**: ج1، ص162، 163. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص228.

[2]– فارس اشيتي: **مفهوم السياسة عند العرب قبل الاسلام**، ص35، 36.

[3]– **تاريخ خليفة بن خياط**، ص131.

[4]– خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 133.

[5]– **نفس المصدر والصفحة**. ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص163، 164. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص121.

[6]– **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص229.

أن خطب في الناس بمبايعتهم أعطى الناس أعطياتهم ولم يكره أبناء الصحابة على مبايعة يزيد[1].

من جهة أخرى يتضح من وصية معاوية لابنه يزيد أن هؤلاء الأربعة لم يبايعوا له، وأن معاوية لم يكرههم على البيعة، فإن كان أكرههم على البيعة حسب الروايات السابقة فَلِمَ يُوصِ ابنه بضرورة أخذ البيعة منهم؟ حتى أن الطبري يصرح في حوادث سنة 60هـ/679م قائلا: "وعهد-معاوية- إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه في النفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البيعة"[2]، ويرد في وصية معاوية لابنه: "...وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر، فليس يخالف عليك غير الحسين وابن الزبير، فأما ابن عمر فقد وقذه الاسلام"[3]، وفي هذا دليل على أن أبناء كبار الصحابة لم يبايعوا يزيد.

ما يؤكد أيضا أن أبناء الصحابة المذكورون سابقا لم يبايعوا ليزيد في حياة أبيه هو إلحاح يزيد في أخذ البيعة منهم عند توليه الخلافة بعد وفاة معاوية إذ لم يكن له "...همة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته"[4]، فكتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة كتابا بموت معاوية وكتابا آخر فيه: "أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليس فيه رخصة ولا هوادة"[5]، لعل السؤال الذي يُطرح هنا هو: لما كل هذا الإصرار على بيعة أبناء الصحابة هؤلاء من معاوية أولا ثم من يزيد ثانيا؟ في الواقع، لقد كانا مدركان لخطورة المعيار الديني في شرعية الحاكم والحكم وقدرته على تقويض الشرعية السياسية للسلطة الأموية[6]، ثم إن هذا النفر القليل من خاصة المدينة مع ما يتميز به هو الذي يضفي الشرعية الدينية على حكم يزيد رغم امتلاكه للشرعية السياسية -وهي في الواقع شرعية هشة لأنها فرضت على الجماعة بالقوة- من

---

[1]- ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص164.

[2]- **تاريخ الطبري**، ج5، ص322.

[3]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص109. يرد في روايات أخرى لوصية معاوية لابنه يزيد اسم عبد الرحمن بن أبي بكر إلى جانب الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وهذا خطأ صريح لأن عبد الرحمن مات في حياة معاوية. **أنظر: نفسه**، ج5، ص152. الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص209. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص322، 323.

[4]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص377.

[5]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص313.

[6]- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص265.

خلال وفود الأمصار التي بايعته في حياة أبيه[1].

يتضح مما سبق أن قوة الوقائع التاريخية التي كرّسها معاوية منذ تسلمه للخلافة جعلت المعارضة من الهزالة والهشاشة بحيث أنها لم تؤثر تأثيرا يذكر في خطة تولية العهد لابنه يزيد، فهو لم يبحث عن إقناع الأمة وكسب موافقتها، أو الفوز بإجماعها، وإنما عقد أمرا، وحمل الناس عليه[2]، ثم إنه لم يكن ليقوم بهذه الخطوة لو لم يكن متأكدا من امتلاكه الأدوات اللازمة لفرضها، وأيضا ترسخ سلطته إلى الحد الذي يمكنه من فرض هذا الأمر المستحدث في التاريخ الإسلامي لأنه في اللحظة التي يتم فيها وجود حكومة مركزية يستطيع الحاكم أن يفرض سلطته على المحكومين ويورث سلطته لمن يشاء ابنا كان أو أخا[3].

إذن، فمعاوية بن أبي سفيان في سبيل تحقيق شرعية نظام الوراثة الذي استحدثه قد عمل على الجمع بين آليات الإقناع والإكراه، غير أن ابنه يزيد لم يتوان في توظيف قوة العنف الدموي في مواجهة خصومه السياسيين في سبيل فرض سلطته الموروثة ليصل معه بذلك المنطق الأموي إلى مداه الأقصى[4]، فقد دشن عهده بواقعة كربلاء 61هـ/680م التي راح ضحيتها الحسين بن علي وكثير من أفراد البيت الهاشمي[5]، كما أقسم على إتيان عبد الله بن الزبير إلى البيعة وفي يده جامعة(سلسلة) جامعة(سلسلة) من فضة[6]، ثم استباح مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بعد خلع أهل المدينة طاعته وهزيمة جيشهم في موقعة الحرة سنة 63هـ/682م[7].

لقد تأكد المبدأ الوراثي مع تولية يزيد بن معاوية العهد لابنه معاوية بن يزيد[8] بن معاوية ابن

---

[1]- رضوان سليم: **نظام الزمان العربي دراسة في التاريخيات العربية الإسلامية**، ص 122.

[2]- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص324.

[3]- خليل عبد الكريم: **الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية**، ص117.

[4]- وفيق رؤوف: **العرب وطبائع السلطة كواليس الشرعية المتضاربة**، ص 40.

[5]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص400-470.

[6]- خليفة بن خياط: **تاريخ**، 156. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص344.

[7]- خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص147-155.

[8]- معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: بويع بالخلافة سنة 64هـ/683م بعد وفاة أبيه وكان مريضا فلم تدم خلافته إلا أياما أياما يسيرة. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص296، 297.

أبي سفيان[1]، ويتم إبعاد مبدأ الشورى العام في اختيار الخليفة، ورفض أي مطالب من جهة أهل المدينة حول هذا المبدأ خاصة بعد خذلانهم للخليفة الأموي عثمان بن عفان وتسليمه للقتل على يد ثوار الأمصار، ويتضح هذا في قول الشاعر عبد الله بن همام السلولي[2] يحث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد:

ولا لمن سالك الشورى مشاورة إلا بطعن وضرب صائب خذم

أنى تكون لهم شورى وقد قتلوا عثمان ضحوا به في أشهر حرم[3]

ومع انتقال الخلافة إلى الفرع المرواني من البيت الأموي سنة64هـ/683م وتحقيق الانتصار في معركة مرج راهط[4] تَدَعَّمَت قاعدة الحكم الأسروي أكثر فأكثر مع الخليفة مروان بن الحكم الذي ابتدع أمرا جديدا فيما يخص مسألة نقل السلطة ، وهو العهد بالخلافة لأكثر من واحد، حيث عهد بها لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز[5]من بعده[6]، وهي القاعدة التي سار عليها عبد الملك وخلفاءه من بعده، لينحصر الحكم الأسروي بعدها في أبناء عبد الملك بن مروان ماعدا عمر بن عبد العزيز ومروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين.

ويُعلل ابن خلدون عملية التوريث التي استحدثها معاوية واتبعها خلفاؤه من بعده بنظريته في العصبية وانقلاب الخلافة إلى ملك وعدم قدرة "الوازع الديني" على ضبط أمور الجماعة مما يستلزم وازعا أقوى وأضبط لها وهو "الوازع السلطاني" والذي كان من نتائجه أن أصبحت الخلافة وراثية – وهذا من مميزات الملك– في عشيرة بني أمية فيقول: "...ولا يُعاب عليهم إيثار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء، فإنهم كانوا على حين

---

[1]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص379.

[2]– عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح بن مالك بن الهجيم بن حوزة بن عمرو بن مرة الشاعر، كان يقال له من حسن شعره العطار، وهو من فحول شعراء الاسلام. ابن الكلبي: **جمهرة النسب**، ج2، ص64.

[3]– الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، ج2، ص630، 631.

[4] – مرج راهط: بنواحي دمشق. الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص101. وبه دارت معركة بين أنصار بني أمية خصوصا القبائل القبائل اليمنية وأنصار ابن الزبير من قيسية الشام بزعامة الضحاك بن قيس.

[5]– عبد العزيز بن مروان بن الحكم: أمير مصر في عهد أبيه مروان ثم أخيه عبد الملك، ولاه أبوه العهد بعد عبد الملك، وقد ثقل على عبد الملك فأراد خلعه ليبايع لابنيه الوليد وسليمان بالخلافة، ثم كف عن ذلك، وتوفي عبد العزيز بمصر سنة 85هـ/704م. **ابن عساكر**: **تاريخ مدينة دمشق**، ج34، 346-359.

[6]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص57، 58.

لم تحدث طبيعة الملك، وكان الوازع دينيا...فعمدوا إلى من يرتضيه الدين فقط، وآثروه على غيره"[1] ويضيف قائلا: "وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك، والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني، فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد، وانتقض أمره سريعا، وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف"[2].

وهكذا لم يكتف الأمويون منذ عهد المؤسس معاوية بإحداث تغيير في نمط إرساء السلطة أو ممارستها، بل فرضوا المبدأ الوراثي كنمط جديد لانتقال السلطة محدثين بذلك قطيعة مع ما كان سائدا في الفترة الراشدية في هذا الجانب، وكان من شأن هذه الإجراءات أن تعيد صياغة طبيعة العلاقة القائمة بين السلطة والجماعة خلال هذا العصر.

ثالثا– ماهية الحكم الأموي

أدى وصول معاوية بن أبي سفيان للخلافة إلى إحداث تغير كبير على المستوى السياسي مع ما كان سائدا خلال الفترة الراشدية، فإذا كانت طبيعة العلاقة القائمة خلال تلك المرحلة بين الخليفة وجمهور المسلمين هي في حقيقتها علاقة توكيل وتفويض من الأمة التي هي صاحبة السلطة ومصدر شرعيتها، بحيث لم يكن الخليفة سوى نائب عن الأمة وموكل من قبلها في تسيير شؤونها، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، فإن تأسيس حكم البيت الأموي لم يكن يعني في الواقع سوى "تحويل الإدارة السياسية المركزية للأمة إلى مؤسسة سلطوية مستقلة بذاتها مثلت نواة تنظيم سياسي آخر للمجتمع العربي، هو تنظيم الدولة، أو بعبارة أخرى، كَفَّت الخلافة عن كونها مجرد شكل راق للإمارة القبلية وتحولت إلى سلطان وملك"[3].

وبمجرد وصوله للحكم عمل الخليفة معاوية على ترسيخ فكرة الدولة[4]، معتمدا في المقام الأول على موهبة فذة في السياسة والحكم، إذ كان على درجة عالية من الذكاء والمرونة، وخبيرا في صناعة العلاقات الاجتماعية التي أتقنها جيدا، وقدرته على استقطاب الأنصار والحلفاء وعلى

---

[1]– ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص593.

[2]– **نفس المصدر والصفحة**.

[3]– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص313.

[4]– الفضل شلق: **الجماعة والدولة**، ص31.

إضعاف الخصوم والإيقاع بهم، بل إنه لم يكن يتورع –حتى في هذا الوقت الذي كان فيه الدين يسكن وجدان الناس– عن استخدام الوسائل المشروعة وغير المشروعة في سبيل تحقيق غاياته وأهدافه[1]، ولعل هذا هو ما يُعبر عنه قول ابن الطقطقا (ت709هـ/1309م):"وكان معاوية رضي الله عنه، مصروف الهمة إلى تدبير أمر الدنيا، يهون عليه كل شيء إذا انتظم أمر الملك"[2].

ومع توالي الفتوحات الإسلامية واتساع المجال الجغرافي للدولة الاسلامية حيث صبَّ في خزائن المسلمين ثروات هائلة، والاحتكاك بالحضارتين الفارسية والبيزنطية بعد الاستيلاء على ممتلكاتهما، وتطور طرق وأدوات وعلاقات الإنتاج، والتغيرات الجغرافية في أماكن الإقامة، جعل من المستحيل أن يظل الحكم كما كان في عهد الخلفاء الراشدين[3]، ومع تواصل النظرة القبلية في الحجاز للخليفة على أنه مجرد شيخ قبيلة فإن هذا قد مكّن معاوية من تحقيق مشروعه السياسي ضمن مجال جغرافي آخر، فكانت بلاد الشام سندا اجتماعيا، ومقرا لاحتضان مركز هذه الدولة[4]، وقد كانت تلك النظرة التي ذكرناها سابقا متوارثة منذ الجاهلية حيث كان العرب يعيشون جماعات متنافرة تقوم الرابطة بينها على النسب الذي يجمع بين الأفراد ويُفرق بين المجموعات[5]، واعتبار أفراد القبيلة متساوين بينما شيخ القبيلة أول بين أنداد[6].

كان هذا المجال الجغرافي الواسع الناشئ عن حركة الفتح النشطة للغاية يحتاج إلى سلطة نافذة تستند إلى آلة إدارية متطورة تستطيع تحقيق السيطرة التامة على أراضي الخلافة الشاسعة، ومنذ عهد الخليفة معاوية بدأ التوجه نحو انفراد الخليفة باعتباره المسؤول الأعلى في التنظيم السياسي[7]، وتعزيز عملية مركزة السلطات بيده[8]، لكن هذا لا يعني استحواذه على السلطة كلها بل منح حرية واسعة للولاة في تسيير شؤون ولاياتهم الادارية والمالية والعسكرية.

---

[1]– إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص145، 146.

[2]– **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، ص 107.

[3]– خليل عبد الكريم: **الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية**، ص117.

[4]– عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص234.

[5]– محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون العصبية والدولة**، ص 255.

[6]– الفضل شلق: **الجماعة والدولة**، ص 32، 33.

[7]– يوجه سوي: **تطور الفكر السياسي**، ص57.

[8]– عبد الحي شعبان: **صدر الاسلام**، ص91. بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص288.

وكان لمؤسستي "ديوان الخاتم" و"ديوان البريد" دورا محوريا في هذه العملية التنظيمية، وكان الخليفة معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم[1]، وصاحبه مسؤول عن خاتم الخليفة، تتمثل مهامه في ختم الكتب التي ترسل إلى هذا الديوان بخاتم الخليفة وتُثبت فيه، ثم تُرسل نسخة منه إلى صاحب الكتاب للعمل بما أمر به الخليفة[2]، أما المؤسسة الثانية(البريد) فقد كان لها هي الأخرى دورا مهما في تقوية قبضة الخليفة في جميع أنحاء الدولة، وعلى الرغم من أسبقية الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان أول من استعمل هذا النوع من الخدمات للوقوف على أخبار الأمصار المفتوحة وشؤون الفاتحين، فإن ديوان البريد اتخذ مضمونا أكثر تطورا وانتظاما في عهد الخليفة الأموي معاوية[3].

ومع وصول الفرع المرواني للحكم أدت التطورات السياسية الحاصلة داخل البلاد الإسلامية وخارجها من ثورات للخوارج والشيعة، وثورة عبد الله بن الزبير، والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، والتهديد البيزنطي المستمر، إلى تعزيز سيطرة الحكومة المركزية أكثر فأكثر وخاصة منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فتقوّى الحكم الأموي في هذه الفترة حتى أصبحت الإدارة الأموية على درجة كبيرة من التراتبية[4]، وجاءت عملية تعريب النقد[5]، وتعريب الدواوين[6] خطوات هامة في هذا الجانب تمكن من خلالها عبد الملك بن مروان من فرض هوية خاصة للدولة الأموية.

من جانب آخر كان لا بد للمعادلة التي وضعها الخلفاء الأمويون منذ عهد معاوية والقائمة على "خلافة الله" أن تنهض على مركزية فعلية لها قواها العسكرية[7]، خاصة أن "الانقلاب الأموي" الأموي" نتج عنه انقلاب الخلافة إلى ملك مثاله خارجي (الكسروية والقيصرية) بعد أن كان مثال

---

(1)- الجهشياري: **كتاب الوزراء والكتاب**، ص 24. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص330.

(2)- قدامة بن جعفر: **كتاب الخراج وصناعة الكتابة**، ص 55.

(3)- إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص 150. Clive Foss : **Mu'āwiya's State**, p81.

(4)- بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص283.

(5)- عن هذه العملية **أنظر**: البلاذري: **فتوح البلدان**، ص651-659. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص256. بثينة ابن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص236-241.

(6)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص271-272، 421-422. الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص38.

(7)- زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص268، 269.

الخلافة في العهد الراشدي داخليا(القيادة النبوية)[1]، ولكن هذا لا يعني أن الأمويين قد أحدثوا قطيعة مع المرحلة السابقة لهم أو أنهم استنسخوا التجربة الملكية الفارسية أو البيزنطية.

لقد وفرت أجناد الشام الآلة العسكرية اللازمة لإسناد وحماية مُلك معاوية الذي تضخمت رئاسته من مرتبة السيد القرشي-القيسي إلى مرتبة الأمير، ثم مرتبة الخليفة-الملك[2]، فكان الجيش الشامي الأداة الفاعلة التي اعتمد عليها معاوية والخلفاء الأمويون من بعده في تثبيت النظام والقضاء على الحركات الثورية المعادية، وهذا ما جعل الطابع العسكري أكثر سمات هذه الدولة تجليا بعد أن زامنها في جميع مراحلها، من الولادة التي تمت بالقوة وعبر صراع عسكري ضد الخليفة علي بن أبي طالب، إلى النهج القمعي في التعامل مع الحركات المعارضة وخصوم النظام، وأخيرا إلى السقوط الذي تم بالقوة أيضا وبوسائل أكثر تطرفا من وسائل الأمويين[3].

وإلى جانب الجيش الشامي أدَّت قوات الشرطة دور بالغ الأهمية في فرض التصورات السياسية للسلطة المركزية، وكان للخليفة معاوية دور بارز في تنظيم هذا الجهاز[4]، وقد كانت هذه القوات منفصلة تماما عن الفرق العسكرية المقاتلة، فكان اختصاصها الأمن الداخلي فقط، وترتيب الأوضاع السياسية والأمنية في العاصمة ومدن الأقاليم على الصورة والطريقة التي تراها وتفرضها مصالح الخلافة، وتحويل القرار السياسي إلى واقع حياتي[5].

يُمكن القول إذن، أن الانقلاب الذي أحدثه وصول البيت الأموي للحكم يمثل لحظة جسّدت ميلاد التاريخ السياسي الفعلي باعتباره تاريخا للصراع الدنيوي المعتمد على آليات القهر والجبروت[6]، والجبروت[6]، وهذا يعني أن الخلفاء الأمويين -باستثناء عمر بن عبد العزيز- قد استندوا إلى السياسة السياسة أولا ثم إلى الدين ثانيا لأنهم كانوا يُقدّمون المصلحة السياسية على الاعتبارات الدينية[7]،

---

[1]- خليل أحمد خليل: **العرب والقيادة بحث اجتماعي في معنى السلطة ودور القائد**، ص 99.

[2]- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص267.

[3]- إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص156. هاملتون جب: **دراسات في حضارة الاسلام**، ص45، 46.

[4]- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232.

[5]- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص325، 326.

[6]- كمال عبد اللطيف: **في الاستبداد**، ص181. محمد زنيبر: **مفهوم الدولة والأمة في العصر الوسيط**، ص 66.

[7]- نجدة خماش: **الإدارة في العصر الأموي**، ص26.

وقد أفضى هذا التحول إلى توحيد إخضاعي كانت نتيجته استبدال "الاستيعاب السياسي الإيديولوجي لتناقضات الجماعة بإلحاق قسري"[1]، خاصة في ظل تحول الجند(الفرق العسكرية الشامية تحديدا) عن وظيفته الرئيسية وهي الجهاد، إلى أداة أمنية تباشر القمع الداخلي وتأخذ على عاتقها حماية النظام السلطوي الجديد[2]، فقد ورد في وصية معاوية لابنه يزيد في مرض موته: "فانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعَيْبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم"[3]، كما بنى الحجاج مدينة "واسط" بالعراق معسكرا للجند الشامي الذي كانت وظيفته ضبط الأوضاع في هذا الاقليم المضطرب[4].

لقد كان هناك إدراك من قبل الخلفاء الأمويين لمحدودية قدرة سلطة الخلافة الروحية في فرض النظام وتحقيق غايات الاجتماع الإسلامي، وأنه من الضروري تحصين الأمة بأدوات السلطان، ويبدو أن هذا الإدراك يعود إلى أيام الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي يُنسب إليه قوله: "ربما يزع السُلطان الناس أشد مما يزعهم القرآن"[5]، ولا يخفى ما في هذا القول من إشارة إلى دور الوازع السلطاني في دعم الوازع الديني ورفده، وبهذا يكون للسلطة القاهرة وظيفة مكملة للإيمان ومساعدة له في فرض الشريعة والقانون[6]، وتتمثل هذه الأدوات التي أشرنا إليها آنفا في القوة القوة والقهر والغلبة، وقد وجدت تبريرها الأيديولوجي في نظرية "خلافة الله".

وإذا كان الخليفة المؤسس معاوية بن أبي سفيان قد اعتمد على طريق وسطي قائم على المشاركة في ثمرات السلطة المتمثلة في الغنيمة وليس في السلطة ذاتها التي تظل احتكارا مطلقا له[7]، فإن كلا من الخليفة عبد الملك وابنه الوليد سيبلغان بالمنطق الأموي مداه الأقصى، فالأول أعلن أن العلاقة بينه وبين الرعية يحددها السيف وحده[8]، ونجده يقول بعد قتل مصعب بن الزبير "هذا الملك

---

(1)- فؤاد خليل: **الإقطاع الشرقي**، ص94.

(2)- **نفس المرجع والصفحة**.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص323.

(4)- **نفسه**، ج6، ص383، 384. وقد بدأ ببنائها سنة 83هـ/702م وانتهى منها حوالي 86هـ/705م.

(5)- ابن شبة، **تاريخ المدينة المنورة**، ج3، ص988.

(6)- برهان غليون: **نقد السياسة**، ص95، 96.

(7)- الجابري: **العقل السياسي**، ص237.

(8)- أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب**، ج2، ص180، 181.

الملك عقيم"[1]، ومعنى ذلك "قطع الأرحام بالقتل والعقوق" في سبيل الحفاظ على الملك[2]، أما الوليد الذي اتبع سياسة غلب عليها البطش والعنف إلى حد وصفه من قبل بعض الأخبار بأنه "جبار عنيد"[3]، فقد خطب قائلا لما تولى الخلافة: "أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه"[4]، ومعنى هذا هو ضرورة خضوع الرعية للخليفة والرفض التام لأي معارضة منها مهما بلغت درجتها، حيث يصبح الافصاح عن مكنونات النفس اتجاه السلطة وسلبياتها نتيجته القتل مباشرة.

إذن فقد مثل وصول الأمويين للحكم بداية الدولة الزمنية القائمة على السلطان، ويرجع الاشتقاق اللغوي لهذه اللفظة إلى الجذر "سلط"[5]، و نجد عند ابن منظور (ت711هـ/1311م) حول هذا اللفظ ما يلي: "سلط: السلاطة القهر، وقد سلطه الله فتسلط عليهم، والاسم سُلطة بالضم، والسلط والسليط: الطويل اللسان...والسلطان: الحجة والبرهان...والسلطان إنما سمي سلطانا لأنه حجة الله في أرضه...والسلطان الوالي...والجمع السلاطين...والسلطان قدرة الملك"[6] .

وترد معاني السلطان هذه أيضا في القرآن الكريم، فترد بمعنى **الحجة والبرهان**[7] في قوله تعالى: تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[يونس _68]، وقوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف_40]، كما ترد بمعنى **القدرة والقوة**[8] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى

---

[1]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص161.

[2]- ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص413.

[3]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص423.

[4]- **نفس المصدر والصفحة**.

[5]- ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، 320.

[6]- **نفسه**، ج 7، ص320، 321.

[7]- **أنظر** تفسير الآية بهذا المعنى في: الطبري: **تفسير الطبري**، ج4، ص227. و ج4، ص358. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج 11، ص351.

[8]-القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج 12، ص426. و ج17، ص305.

الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[النحل _ 99-100]، وقوله أيضا: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ_21]، وترد كلمة "سلطان" أيضا بمعنى **القهر والغلبة**[1] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[الحجر_42]، وأخير يرد هذا اللفظ أيضا بمعنى **التصرف المطلق**[2] في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء_144].

كما ترد كلمة "سلطان" في خطب القادة الأمويين مُعبّرة عن التغير الحاصل في ماهية الحكم مع وصول الأمويين للسلطة وهو التغير الذي رافق التغيرات الحاصلة في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد الاسلامية، فالمغيرة بن شعبة كان يُحذر صعصعة بن صوحان من إظهار فضائل علي بن أبي طالب للناس علنا قائلا له: "فإنك لست بذاكر من فضل علي شيئا أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر"[3].

ومع زياد بن أبيه ستتضح جليا طبيعة هذا التغير في ماهية الحكم الذي تحول إلى سلطان وملك، وأيضا في طبيعة العلاقة القائمة بين الجماعة الإسلامية والسلطة الحاكمة التي أصبحت علاقة سيادة وتبعية مطلقة، حيث يقول في خطبته التي عُرفت بالبتراء إذ لم يبدأها بالبسملة: "...أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا"[4]، وفي هذا القول تأكيد على مصدر شرعية السلطة الأموية وهو قضاء الله وقدره، ثم إن الولاة مسؤولون أمام الخلفاء وهؤلاء مسؤولين أمام الله فقط[5]، ومعنى هذا فإن حقيقة السلطان كما يتمثل من خلال هذا هذا الفهم الذي عمل زياد على تثبيته بواسطة خطابه قائمة على اعتباره شرطا ضروريا ولازما لسياسة الناس وتسيير أمور الدولة، وللمرور من وضع الفتنة –وهو بالضرورة وضع غير طبيعي– إلى

---

(1)– ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ص 761.

(2)– جميل منيمنة: **نماذج من تطور المصطلح السياسي العربي(السلطان/الشورى/الأمة)**، ص 92.

(3)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص189.

(4)– الجاحظ: **البيان والتبيين**، مج1، ج2، 64.

(5) - Clive Foss : **Mu'āwiya's State**, p77.

وضع الاستقرار الذي يمكن من ضمان وحدة الجماعة واستمرارها[1]، وقد كان للعنف السلطوي دورا كبيرا في محاولة الأمويين لضمان وحدة الجماعة الاسلامية واستمرارية حكمهم، وضمان سيطرتهم على رعيتهم وضبط أمورها خاصة مع نتائج الفتنة الكبرى التي جعلت القبائل في الأمصار تعيش حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار.

وهكذا، نجد أن مصطلح "السلطان" ارتبط في الواقع التاريخي بمعنى القوة المجردة والحكم بالعسف والقهر، وتطابقت مقاصده مع ما كان يفهمه المسلمون على أنه حكم الطبيعة أو الدولة الذي كان متبعا في المثالين الفارسي والبيزنطي[2]، لهذا لا نستغرب –حسب عبد المجيد الصغير– إذا وجدنا نصوص أغلب الكُتّاب السياسيين في الاسلام حول مفهوم السلطان تُجمع على وضع مقابلة بين مفهوم "السلطان" ومعنى "العنف"؛ "الذي يُشَكِّل بُعدا أساسيا في مفهوم السلطان يكاد يبلغ مرتبة الهوية"[3]، ولتوضيح هذا الترابط العضوي بين مفهوم السلطان ومعنى العنف لم يجد أصحاب تلك النصوص خيرا من الاستعانة بأكثر الصور دلالة في المخيال الإنساني حول البطش والقوة والمتمثلة في صور عنف الطبيعة وأخطارها وضرورة الخضوع لها رغم تناقضات أحوالها[4].

كان التوحيد الإخضاعي الذي وضحناه سابقا والمستند على قاعدة عسكرية قوامها الفِرق العسكرية الشامية وقوات الشرطة المتمركزة في العاصمة والأقاليم هو ما عبّر عنه المعارضون للسلطة الأموية بـ "المِلَكية"، خاصة في ظل ما رافقه من مظاهر ورموز ملكية على شاكلة ما كان سائدا أيام الفرس والبيزنطيين[5]، بعبارة أخرى فإن وصف الملوكية كتعبير عن الحكم الاستبدادي الفردي في القرون الإسلامية الأولى كان يمثل النقيض للخلافة التي ترمز للحكومة الإسلامية الملتزمة بالشريعة[6]، بالشريعة[6]، ولهذا فمفهوم "الخلافة" في الفترة الأولى من تاريخ الاسلام "يدين في كثير من معانيه للملك من حيث إن الناس آنذاك حاولوا أن يجعلوا من خلافتهم المستجدة مقابلا للملك أو بعبارة أدق

---

[1] – عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص198.

[2]– برهان غليون: **نقد السياسة**، ص57.

[3]– **المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية**، ص 97.

[4]– **نفس المرجع والصفحة**. كمال عبد اللطيف: **في الاستبداد**، ص167، 168.

[5]– محمد جمال طحان: **ماهية الاستبداد(مقارنة أولية لتحديد المصطلح)**، ص 132.

[6]– برنارد لويس: **لغة السياسية**، ص87، 88.

لسلبيات الملك في كل شيء"[1].

إن ما يجعل الملك يستحق الإدانة عند العرب في تلك الفترة هو ما رسخ في ذاكرتهم الجماعية حول صور الظلم والاضطهاد والقهر والتسلط والاستبداد، والانغماس في النزوات والترف[2]، وهذا ما يعبر عنه قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم[3]:

إذا ما المِلْك سام الناس خَسفا أَبينا أن نُقر الذُّل فينا

وقد كان الملك معروفا في المجتمع العربي قبل الاسلام، وكان يتخذ شكلا عبوديا في اتجاهين: أحدهما سياسي يجد تعبيره في السلطة السياسية الاستبدادية، وثانيهما ديني قد يكون ملكا كاهنا، وهذا الشكل العبودي للسلطة الدينية كان يقوم عمليا على السيطرة الطبقية الصريحة، ويجد تبريره النظري في اعتقاد إيديولوجي يتراوح بين الأسطورة والدين[4]، إضافة إلى هذا يُمكن الإشارة إلى الصلة الصلة القائمة بين لفظة "مَلِك" التي تعني إله، وبين لفظة "مَلِك" المالك على الأرض، أي الملك الدنيوي، فالإله مالك، والملك الدنيوي مالك أيضا، فهو مالك لشعبه، ولهذا ليس من الغريب ميل الجاهليين لتقديس وتأليه ملوكهم، واعتبارهم أبناء الآلهة، هذه الأخيرة التي تعتبر قوى خارقة، والملوك أيضا قوة مسيطرة تفعل في القديم ما تشاء بغير حساب إذ سلطتهم إلهية[5].

أما في القرآن الكريم فإن الملك كثيرا ما يرتبط بمعنى سلبي؛ مثل الشرك بالله عز وجل والعلو والاستكبار أو الفساد في الأرض وقد يصل في بعض الأحيان إلى حد التأله وادعاء الربوبية المطلقة[6]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[النمل_23، 24]، وقوله تعالى أيضا: ﴿ **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ**

---

[1]- رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص269.

[2]- عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص66. رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص269.

[3]- عمرو بن كلثوم: **ديوان عمرو بن كلثوم**، ص 90.

[4]- خليل أحمد خليل: **جدلية القرآن**، ص41، 42.

[5]- جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ج6، ص172، 173. مصطفى الجوزو: **الأبعاد السياسية للأساطير للأساطير العربية الجاهلية**، ص 232.

[6] - عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص157.

فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الزخرف_51]، ويقول أيضا: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص_4]، وفي حالة الفساد في الأرض قوله تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل_34]، وفي حالة ادعاء الربوبية يُخبر الله عز وجل عن حال فرعون الذي خاطب موسى عليه السلام قائلا: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء_29]، وقوله أيضا: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[القصص_38].

ومع ذلك فإن الخطاب القرآني لم يشر دائما إلى الملك بمعنى سلبي، بل نجده يثني على الملك العادل في آيات عدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة_247]، ويقول أيضا: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[النساء_54]، ويقول عن النبي داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[ص_20]، هكذا فإن الملك منح الشرعية في الخطاب القرآني على نحو استثنائي في حالة واحدة فقط، وهي الحالة التي يكون فيها قائما على الطهارة من الشرك، وعلى أساس اصطفاء وتوجيه من الله، وعلى الكتاب والحكمة والعدل، أما ما دون ذلك فإن القصص القرآني لم يثبت في الملك إلا سيرا سيئة وشريرة ومشركة تضفي على نفسها القداسة التي تصل في بعض الأحيان حد التأله وادعاء الربوبية المطلقة[1].

هذا، وقد كان فرض النظام الوراثي كنمط جديد لانتقال السلطة أحد مظاهر انقلاب الحكم إلى الملكية في عهد بني أمية وهو ما عبّر عنه قول عبد الرحمن بن أبي بكر واصفا هذه الخطوة بـ "الهرقلية والكسروية"، وفي الواقع لم تكن عملية توريث السلطة إلى الابن أو الأخ هي الوحيدة التي تدل على النزعة الملكية لدى الحكام الأمويين، بل إن محاولاتهم عزل إخوتهم عن ولاية العهد وتولية

[1]- عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص157.

أبناءهم مكانهم يُمكن اعتباره أيضا نزوعا ملكيا من قبلهم[1]، فقد حاول عبد الملك الضغط على أخيه عبد العزيز بن مروان للتنازل عن ولاية العهد لصالح الوليد بن عبد الملك لكن عبد العزيز رفض ذلك ولم تَزُل هذه العقبة أمام تولية العهد للوليد حتى وفاة عبد العزيز[2].

وبعد توليه الخلافة حاول الوليد ابن عبد الملك عزل أخيه سليمان بن عبد الملك الذي كان وليا للعهد وتولية ابنه عبد العزيز خاصة في ظل الدعم الذي لقيه لفكرته من قبل الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم[3] وبعض كبار رجال الدولة، لكن وأمام تباطؤ سليمان في القدوم على الوليد ووفاة هذا الأخير فقد آلت الخلافة إلى سليمان[4].

وبعد وصوله للخلافة نقض سليمان العهد الذي أخذه عبد الملك عليه-سليمان- وعلى الوليد بتولية يزيد بن عبد الملك ومروان بن عبد الملك[5] ولاية العهد من بعدهما، فقد استغل وفاة أخاه مروان سنة98هـ/716م وجعل ولاية العهد في ابنه أيوب[6] منصرفا بها عن أخيه يزيد، لكن أيوب توفي في حياة أبيه[7]، فجعل سليمان الخلافة في عمر بن عبد العزيز وبعده يزيد بن عبد الملك حفاظا على وحدة البيت الأموي الذي ما كان ليرضى بخروج الخلافة من أبناء عبد الملك[8]، واستمرت محاولات عزل ولي العهد في خلافة هشام بن عبد الملك حيث عمل على عزل الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي كان وليا للعهد بعده نظرا لفسقه ومجونه وتولية ابنه مسلمة[9] الخلافة لكنه

---

(1) – د. م. إ: (**مادة أمية**)، ج4، ص474.

(2)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص413.

(3) – قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي، قائد إسلامي، هو الذي فتح خُوارزم وبُخارى وسَمَرقند وغيرها من بلاد الترك، ولاه الحجاج خراسان، ولما بلغه وفاة الوليد بن عبد الملك خلع طاعة الخليفة سليمان، فاختلف عليه جيشه وقتلوه وذلك سنة96هـ /714م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص410.

(4)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص498، 499.

(5)– مروان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج57، ص310.

(6)– أيوب بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، ولي غزو الصائفة لأبيه، وقد رشحه لولاية العهد من بعده، فمات في حياة أبيه. **نفسه**، ج10، ص102.

(7)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص531، 532.

(8)– **نفسه**، ج6، ص550، 551.

(9)– مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولي الموسم في أيام أبيه، وغزو الصائفة. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج58،ص65. ج58،ص65.

عدل عن قراره وأبقى ولاية العهد في الوليد بن يزيد[1].

من جهة أخرى فإنه منذ عهد الخليفة معاوية تحولت تقاليد القصور وأجوائها إلى مجتمع خاص مستقل له سُنَنُه وقوانينه وتقاليده ونظامه وأُناسه، ولعل أبرز وأهم تحول هو ظهور وظيفة "الحاجب"[2]، والتي يعتبرها ابن خلدون من مظاهر انقلاب الخلافة إلى ملك، ويوضح هذه المسألة قائلا: "فلما انقلبت الخلافة إلى ملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بدء به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم، كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات، فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب"[3].

وكان الخليفة معاوية هو أول من اتخذ حاجبا في الاسلام[4]، ويذكر الطبري أن معاوية اتخذ حجابا دون أن يحدد عددهم وكان عليهم سعد مولاه[5]، وسار عبد الملك على نهجه واتخذ هو الأخر عدة حجاب[6]، وكان هذا الموظف يعين من موالي الخلفاء الأكثر أمانة وتعقلا وفهما وصدقا وصدقا وحسن أداء لمهامه[7]، ومعه أصبح الدخول لمجلس الخليفة يخضع لتراتبية معينة قائمة على الشرف القبلي[8]، ولعل الجديد الذي يمثله ظهور هذا المنصب من الناحية السلوكية والقيمية والاجتماعية هو إنهاء الطابع المباشر للعلاقة بين الخليفة وبين الناس، فالأيام التي كان ينام فيها الخليفة في المسجد أو خارجا، والتي كان بابه يبقى مفتوحا للجميع دون استثناء، قد ولّت إلى حيث لا رجعة[9].

وحسب الجاحظ(ت255هـ/868م) أن أغلب الخلفاء الأمويين اتخذوا ستارة حاجبة بينهم

---

[1]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص213، 214.

[2]- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص326.

[3]- ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص637.

[4]- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232.

[5]- **تاريخ الطبري**، ج5، ص330.

[6]- **نفسه**، ج6، ص412.

[7]- بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص231.

[8]- **نفسه**، ص232.

[9]- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص326. الفضل شلق: **الجماعة والدولة**، ص32، 33.

وبين ندمائهم لكيلا يطلع هؤلاء الندماء على طَرب هؤلاء الخلفاء عند غناء المغنين والجواري[1]، لحفظ هيبتهم في نفوس العامة والخاصة كما يبدو.

ومن مظاهر الفصل والإبعاد بين الخليفة والناس أيضا اتخاذ المقصورة للصلاة والتي ظهرت منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وهي في الواقع تُعَبِّر عن تطور مظاهر السلطة الملكية لدى الخلفاء الأمويين[2]، فبعد حادثة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم ملجم المرادي ونجاة معاوية وعمرو بن العاص من القتل على يد أفراد من "المحَكِّمة" أيضا، أمر معاوية سنة 40هـ/660م باتخاذ المقصورة وقيام الشرطة على رأسه إذا قام للصلاة[3]، وهو أول من اتخذ الحرس من الخلفاء[4]، وكان هذا شأن الولاة في الأمصار أيضا، فقد اتخذ والي العراق زياد بن أبيه فرقة من الحرس بلغ عددها خمسمائة رجل لا يُفارقون المسجد[5].

ولم يقتصر الأمر على الفصل أو الإبعاد الجسدي بين الخليفة وعموم الناس، بل تعداها إلى الإبعاد على مستوى التسمية التي اتخذت شكلا ملكيا صارما منذ عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[6]، حيث كان هذا الخليفة يقول: "لا ينبغي لخليفة أن يُناشد، ولا يُكذَب، ولا يُسميه أحد باسمه، وعاقب على ذلك"[7]، كما خطب قائلا: "إنكم كنتم تكلمون من كان قبلي من الخلفاء بكلام الأكفاء وتقولون: يا معاوية، ويا يزيد، وإني أعطي الله عهدا يأخذني الوفاء به، لا يكلمني أحد منكم بمثل ذلك إلا أتلفت نفسه، فلعمري إن استخفاف الرعية براعيها في مثل ذلك سيدعوها إلى الاستخفاف بطاعته والاستهانة بمعصيته"[8]، وبهذا يكون الوليد قد ربط بين مناداة الخليفة باسمه

---

(1) – **كتاب التاج**، ص32.

(2)– بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص236.

(3)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص149. ابن الطقطقا: **الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية**، ص106.

(4)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص165، 166.

(5)– **نفسه**، ج5، ص229. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص224.

(6)– بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص232.

(7)– اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص290. حسب الجاحظ فإن من حق الملك على رعيته: "أن لا يُسمَّى ولا يُكنَّى في جد ولا هزل ولا أُنس ولا غيره". الجاحظ: **كتاب التاج**، ص83.

(8)– مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده**، ص178.

باسمه وبين الانتقاص من قدره والاستخفاف بطاعته باعتباره خليفة لله في أرضه ومصير من يفعل ذلك هو

قتله عقوبة له وزجرا للناس وتأديبا لهم في مخاطبة الخلفاء.

إن التغير الحاصل في السلطة الحاكمة قد وجد انعكاساته أيضا في رموز وشارات الخلافة، وبهذا تكون السلطة الجديدة قد بدأت تخلق لنفسها أشكال ظهورها الملائمة والموافقة لها[1]، ولعل من أبرزها اكتساب الخليفة لبرنامج عمل يومي، مثل الخليفة معاوية الذي كان له برنامجه اليومي الخاص والذي حفظه لنا المسعودي[2]، كما كان للولاة بالأقاليم برنامج عمل يومي على شاكلة الخلفاء[3]، فكان زياد بن أبيه يجلس كل يوم للنظر في عمله إلا يوم الجمعة[4]، وكان إحداث الخلفاء الأمويين للمراسم أو التشريفات على شاكلة ملوك الفرس أو بيزنطة يمثل قطيعة مع عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في هذا الجانب على الأقل[5].

كما اتخذ الخلفاء الأمويون "السرير" مكانا لجلوسهم بمعزل عن الحاضرين بمجلس الخليفة، وكان معاوية أول من اتخذ سريرا جلس عليه والناس تحته[6]، واتخذ عبد الملك أيضا سريرا يجلس عليه[7]، كما اتخذ الخلفاء بعد عبد الملك السرير أيضا، فكان ليزيد بن عبد الملك سرير يجلس عليه في مجلس الخلافة[8]، واتخذ هشام بن عبد الملك سريرا هو الآخر[9].

واستعمل الخلفاء الأمويون أيضا العصا أو قضيب الخيزران كشعار من شعار الملوك على شاكلة الملوك الفرس أو البيزنطيين[10]، فكان ليزيد بن معاوية قضيب من الخيزران يحمله في يده[1]،

---

[1]- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص326. عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص269.

[2]- المسعودي: **مروج الذهب**، 3/

[3]- بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص255.

[4]- الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص25.

[5]- بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص233.

[6]- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232.

[7]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص143.

[8]- **نفسه**، ج7، ص13.

[9]- **نفسه**، ج7، ص204.

[10]- بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص234.

ومثله كان للوليد بن عبد الملك قضيب خيزران يحمله[2]، كما اتخذ يزيد بن عبد الملك قضيب خيزران يحمله في يده هو الآخر[3].

كما كان للخلفاء الأمويين اهتمام خاص بمظهرهم ولباسهم منذ أيام الخليفة معاوية، هذا الأخير الذي كان يصفه عمر بن الخطاب قائلا: هذا كسرى العرب "لأنه يجمع بين سخاء العرب وتأنق ملوك العجم في الرياش والمطعم"[4]، واتخذ الخلفاء الأمويون لباسا خاصا بهم باستحداث "ديوان الطراز"[5]، ويبدو أنه هذا الديوان قد عرف تطورا معتبرا في عهد هشام بن عبد الملك الذي كانت كسوته تُحمل على سبعمائة جمل[6]، وكان لهذا الخليفة اهتمام خاص بمختلف أنواع اللباس والفرش والآنية، فعُمل في أيامه "...الخز الرقم[7] وغيره، والوشي[8] والأرمني[9]، وأصناف الثياب ... وكتب إلى سائر الأفاق في كل صنف من الثياب والفرش والآنية والآلة أن يُتخذ له شيء بصفته، فقيل أن كل شيء عُمل يومئذ له هو أجود شيء يراه الناس"[10].

وكان اتخاذ الخليفة الأموي لهذه الملابس الفخمة يرمز إلى عظمة الملك الأموي، وفي نفس الوقت يعطي له طابعا إسلاميا باحتوائه آيات قرآنية[11]، وبهذا يمكن القول أن الانفراج الحياتي الناتج

---

(1)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص465.

(2)- **نفسه**، ج6، ص496.

(3)- **نفسه**، ج7، ص13.

(4)- الثعالبي: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ج 1، ص136، 137.

(5) - ديوان الطراز: يهتم بنسج وطرز الثياب السلطانية. محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص350.

(6)- القاضي الرشيد بن الزبير: **كتاب الذخائر والتحف**، ص 211.

(7)- الخز: كلمة فارسية معربة، وأصلها في الفارسية "كز"، ومعناها ضرب من ثياب الحرير، وقيل ثياب تنسج من صوف وحرير. رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص 148.

(8)- الوَشْي: هو نسيج من الحرير المطرز برسوم الأشخاص والحيوان وأغصان النبات المتوجة والمزينة بخيوط الذهب. **نفسه**، ص529.

(9)- الأرمني: نسيج من الحرير الخالص، اشتهرت بصناعته مدينة أرمينية فنسب لها. **نفسه**، ص30.

(10)- القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص211.

(11)- بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص29.

عن حركة الفتوح قد أحدث تغييرا جذريا في المجتمع الإسلامي بحيث أصبح الترف وليس الزهد أمرا يدعو إلى الفخر عند الكثير من الناس[1].

كان الخليفة عبد الملك أول من فرض نظاما خاصا داخل قصر الخلافة على شاكلة ملوك الفرس، حيث نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء إلا بإذن، وكان الناس قبله ومنذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يُراجعون الخليفة فيما يقول ويعترضون عليه في أقواله وأفعاله، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان احتمل منهم ذلك تحلما وإبقاء على ملكه، فلما صار الأمر إلى عبد الملك "أخذ الناس مأخذ الملوك الأعاجم، فنهاهم عن الكلام بحضرته، والمنازعة في مجلسه، وتوعدهم على مخالفة رسمه في ذلك"[2].

من جهته يرى "فْرِد دُونر" أن العمائر التي خلّفها الخلفاء المروانيون –عبد الملك وابناه الوليد وهشام– يمكن أن تكون الدليل الأوضح على وجود الدولة أيام الأمويين[3]، ثم إن هذه العمائر ولعل ولعل أبرزها مسجد قبة الصخرة بالقدس الذي بناه عبد الملك بن مروان، وإنشاءات الوليد بن عبد الملك المختلفة مثل "قصير عمرة"[4]، و"قصر الحير الغربي"[5]، وقصر هشام بن عبد الملك في "خِرْبة "خِرْبة المفجر"[6] بأريحا[7] تتضمن "مُخَيّلة مَلَكية تؤكد على إحساس الأمويين بأنفسهم بوصفهم ملوكا مستقلين بطريقة لابد أنها كانت ظاهرة لمعاصريهم"[8].

---

[1]– فريد صقري: **الحكام والمحكومون**، ص52، 53. **أنظر**: ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص497.

[2]– أبو هلال العسكري: **الأوائل**، ص251.

[3]– فرد دونر: **تَكَوُّن الدولة الإسلامية**، ص 81.

[4]– حمَّام يقع بالأردن على بعد خمسين كيلومتر من البحر الأحمر في وسط طبيعي تغلب عليه القحولة والجفاف، ويتميز باحتوائه على رسوم جدارية لا نظير لها في المعالم العمرانية الأموية الأخرى وحتى الاسلامية. فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص180.

[5] – يقع في الجنوب الغربي من "تدمر" على بعد ستين كيلومترا في بادية الشام عند تقاطع الطرق التجارية بين الرقة ودمشق وحمص وشبه الجزيرة العربية، وهو من أهم المواقع التاريخية الأموية وقد تم بناؤه على ما يبدو على أنقاض دير يعود إلى العهد الروماني وذلك في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 109هـ/727م وهذا ما تثبته نقيشتين بالموقع. **نفسه**، ص 144.

[6]– بُني هذا القصر ليكون مقرا للخليفة هشام بن عبد الملك في فصل الشتاء، وقد سكن قبل أن يكتمل بناؤه، ولكن زلزالا دمره دمره في سنة 130-131هـ/747-748م. فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء** ، ص156.

[7] – تقع بالأردن من أرض الشام. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص165.

[8]– فرد دونر: **تكون الدولة الإسلامية**، ص81، 82.

من جانب آخر يرى "دونر" أن تصورات القانون والشرعية والسلطة أهم العناصر الايديولوجية للدولة بعد مفاهيم استقلالية الدولة ووجودها المتميز، فالسلطة تعتبر نفسها القائمة على تطبيق القانون، ويبدو أن الأمويين من خلال استخدام رموز ملكية ساسانية وبيزنطية مثل الخيول المجنحة، والتيجان[1]، والتزيينات الأخرى، في قبة الصخرة أو خربة المفجر، قد نظروا إلى أنفسهم باعتبارهم ورثة السلطتين الملكيتين الساسانية وبدرجة أقل البيزنطية[2].

وبما أن مصدر شرعية ملوك الدولتين الفارسية والبيزنطية كان إلاهيا، فإنه من وجهة نظرهم لم تكن سلطتهم قائمة على القوة والرهبة فحسب، وإنما اقترن ذلك أيضا بأنهم أشخاص مُلهَمون وناشرون للعدالة والسلام، سواء في فترات ازدهار سلطتهم أو تراجعها، وهكذا —حسب دونر– فإن الخلفاء الأمويين الذين تبنّوا رموزا خارجية مستوحاة من التراث الفارسي والبيزنطي ربما كانوا يضعون أنفسهم ضمن السلسلة الملكية للعدالة والمشروعية، ولم يكونوا يقصدون الاكتفاء بالإشارة إلى قوتهم الملكية فقط[3].

في الواقع لا يمكن إنكار تواجد العناصر العربية–الإسلامية–الأسيوية في نموذج الدولة الإسلامية، ذلك أن الدولة التاريخية التي نشأت في آسيا والمبنية على حق الملوك الإلهي وسلطة فردية مطلقة مستهدفة الشهرة والقوة والاستئثار والرفاهية، قد عمت العالم المتحضر آنذاك، بعد غزوات الاسكندر المقدوني، واختفاء نظام المدينة في بلاد اليونان، وبعد قرون حصل نفس التطور عند الرومان، وانقلب الحكم القنصلي إلى نظام إمبراطوري متأثر بأجهزة الدولة الأسيوية، ولما ظهر الاسلام وجد نفسه في عالم لا يعرف سوى تلك الأجهزة فورثها العرب تلقائيا بعد احتكاكهم بالمجال الفارسي والبيزنطي نتيجة الفتوحات[4]، ونتيجة الملابسات التاريخية والثقافية التي صاحبت تطور الفكر السياسي في تاريخ الاسلام[5].

---

[1] – يرد في الشعر الأموي وصف للخليفة عبد الملك وفوق رأسه التاج كما يتضح من خلال بيت للشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات ولا ندري حقيقة هذا التاج الذي ارتداه هذا خليفة، حيث يقول: يعتدل التاج فوق مَفْرِقِه على جبين كأنه الذهب
أنظر: عبيد الله بن قيس الرقيات: **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، ص73. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص194.

[2]– فرد دونر: **تكون الدولة الإسلامية**، ص82، 83.

[3]– **نفسه**، ص83.

[4]– عبد الله العروي: **مفهوم الدولة**، ص91، 92.

[5]–كمال عبد اللطيف، **في الاستبداد**، ص197.

لكن هذا لا يعني أن نظام الحكم الأموي هو نسخة طبق الأصل للمثالين الفارسي أو

البيزنطي كما ذكرنا سابقا وكما تذهب إلى ذلك بعض الدراسات[1] على الرغم من التأثر الواضح بالتقاليد السياسية الفارسية والبيزنطية، ولعله من قبيل التناقض -كما يقول هاملتون جب- أن يُلصق بالأمويين "تهمة" تحويل الخلافة إلى مُلك مع أنه لم يحدث أن مارس أي خليفة أموي تلك السلطة التي مارسها الخلفاء العباسيون، أو ظهر بمثل تلك الأُبَّهة الملكية التي ظهروا بها[2].

ثم إن فكرة "الدولة العضوض" لا ينبغي أن تخفي حقيقة أن هذه الدولة رغم إنهائها لنموذج معين في السياسة الدينية، هي أيضا دولة إسلامية، إذ تستمد قوتها الروحية والفكرية ودستورها من الاسلام حتى لو أنها لم تكن دولة دينية بحتة، والذي حصل في الواقع ليس فصل الدين عن الدولة أو القضاء على الفكرة الدينية في السياسة، وإنما هو إخضاع الدين والعقيدة لمنطق السياسة والدولة وتوظيفه فيها[3]، بل لقد وجدت في الواقع حدودا خطيرة جدا كانت أصلا من أصول انحلالها فيما بعد، وهما حد القبيلة بالتوازي مع حد العقيدة أو الدين[4].

إن التحول الذي طرأ على ماهية السلطة بوصول البيت الأموي إلى الحكم يجد ترجمته أيضا في طبيعة العلاقة بين "السلطة و"المال"، حيث وُضعت قواعد جديدة وجدت سندها الشرعي في نظرية خلافة الله، لكنها اعتُبرت من قبل المسلمين آنذاك نزعة ملكية جسدتها عمليات الاستئثار بالأموال والعقارات.

---

[1]- نجد مثل هذا الفهم عند: حنا ميخائيل: **السياسة والوحي الماوردي وما بعده**، ص65. إبراهيم بيضون: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك**، ص146، 147.

[2]- هاملتون جب: **دراسات في حضارة الاسلام**، ص 48.

[3]- برهان غليون: **نقد السياسة**، ص80، 81.خليل أحمد خليل: **العرب والقيادة**، ص99.

[4]- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص200.

رابعا– الارتباط بين صفة الملك والتوسع العقاري والمالي لبني أمية

1– التملّك العقاري:

1–1– الأراضي الزراعية:

كان امتلاك الضياع محل اهتمام كبير من قبل الخلفاء الأمويين، وتبعهم في ذلك ولاتهم على الأقاليم، حيث توزعت ممتلكاتهم في مختلف أقاليم الدولة، وترجع رغبة التملك هذه إلى أيام الخليفة المؤسّس معاوية بن أبي سفيان الذي امتلك ضياعا كثيرة في مناطق مختلفة من البلاد الاسلامية[1]، وقد كان له اهتمام خاص بأراضي الصوافي[2] منذ وقت مبكر يعود إلى أيام ولايته على الشام زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث ذكر ابن عساكر(571هـ/1175م) أن معاوية كتب إلى الخليفة عثمان "أنّ الذي أجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بِمُؤن من يَقْدم عليه من وفود الأجناد ورسل أمرائها، ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها، ووصف في كتابه هذه المزارع الصافية وسماها له يسأله أن يُقْطِعَه إياها لِيَقوى بها على ما وَصف له، وإنها ليست من قرى أهل الذمة ولا الخراج، فكتب إليه عثمان بذلك كتابا"[3]، ولما أفضى إليه أمر الخلافة أقرّها على حالها، "ثم جعلها من بعده حُبسا على فقراء بيته والمسلمين"[4].

أما اليعقوبي فيذكر أن معاوية أمر بإحصاء أراضي الصوافي بالعراق والشام والجزيرة واليمن وصَيَّرها لنفسه خالصة له، وأقطعها أهل بيته وخاصته[5]، وبذلك كان "أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا"[6]، وترى "غيداء كاتبي" أن هذه الرواية تلفت الانتباه نظرا للالتباس الواضح في لغتها،

---

(1) - Donald Whitcomb : **Notes for an Archaeology of Muʿāwiya: Material Culture in the Transitional Period of Believers,** p15.

(2)– الصوافي هي كل أرض لم يكن لها مالك عند الفتح، فاعتبرت فيئا للمقاتلة ابتداء، وتدخل ضمن هذا المفهوم أراضي الأسر الحاكمة والنبلاء وأراضي من قتل أو هرب في الحرب، إضافة إلى أراضي البريد، والأراضي المخصصة لبيوت النار. **أنظر**: غيداء خزنة كاتبي: **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث**، ص295.

(3)– ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج2، ص206.

(4)– **نفس المصدر والصفحة**.

(5)– **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص234.

(6)– **نفس المصدر والصفحة**.

وللمبالغة الواردة فيها أيضا[1]، خاصة وأن رواية ابن عساكر توضح أن معاوية لم يتصرف في كل أراضي الصوافي وإنما في جزء منها فقط وهي التي أقطعه إياها الخليفة عثمان، ثم إنه ترك تلك الأراضي على حالها بعد وفاته موقوفة لفقراء بيته والمسلمين كما كانت ابتداء[2].

هذا وكان للخليفة معاوية أرض بمكة جعل فيها غرسا وزرعا[3]، كما كانت له أراض بالمدينة وَكَّل عليها عاملا يُدعى "ابن مينا" وكان يحمل إليه غلتها من الحنطة والتمر[4]، وله أرض بالمدينة أيضا[5]، كما أن معاوية اشترى "ثنية الشريد" وهي أرض قرب المدينة كانت لرجل من بني سُلَيْم "وكانت أعنابا ونخلا لم يُر مثلها"[6]، وكانت له أيضا صوافٍ كثيرة حول المدينة[7]، ولعل بناء معاوية معاوية لِسَدَّين في كل من المدينة[8] والطائف[9] هدفه ريُّ ممتلكاته الزراعية في هاتين المنطقتين.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الهدف من حرص معاوية على امتلاك الأراضي في الحجاز هو السيطرة على اقتصاديات هذا الاقليم الذي يُعد من أهم مراكز المعارضة ضد السلطة الأموية[10]، ويبدو أنه اتبع أساليب ملتوية في السيطرة على تلك الأراضي، حيث حرم أهل المدينة من عطائهم بسبب مواقفهم السياسية المعادية له وأضرّ بهم ذلك كثيرا مما دفعهم إلى بيع تلك الأراضي فاشتراها منهم بثمن بخس، وهذا ما تظهره رواية ابن قتيبة عن اجتماع جماعة من أهل المدينة إلى واليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان[11] قائلين: ""قد علمت أن هذه الأموال-الأراضي- كلها لنا، وأن معاوية

---

(1)- **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث**، ص307، 308.

(2)- **تاريخ مدينة دمشق**، ج2، ص206. غيداء كاتبي: **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث**، ص308.

(3)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص26.

(4)- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص250.

(5)- البلاذري: **أنساب الأشراف** ، ج5، ص60.

(6)- السمهودي: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ج3، ص1066، 1067.

(7)- **نفسه**، ج1، 127. Frédéric Imbert : **CALIFES, PRINCES ET COMPAGNONS COMPAGNONS DANS LES GRAFFITI DU DEBUT DE L'ISLAM**, p66.

(8) – سعد بن عبد العزيز الراشد: **دراسات في الآثار الاسلامية المبكرة بالمدينة المنورة**، ص45، 46.

(9) - Frédéric Imbert : **L'Islam des pierres : l'expression de la foi graffiti arabes des premiers siècles,** P 63 **.**

(10)- صفاء حامد عبد الفتاح: **ضياع بني أمية في عصر الخلافة**، ص36، 37.

(11)- عثمان بن محمد بن أبي سفيان: تولى إمرة المدينة ليزيد بن معاوية، وفي عهده ثار أهل المدينة على يزيد وأخرج عثمان من المدينة مع بني أمية. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج40، ص22، 23.

آثر علينا في عطائنا، ولم يعطنا قط درهما فما فوقه، حتى مضّنا[1] الزمان، ونالتنا المجاعة، فاشتراها منا منا بجزء من مئة من ثمنها"[2].

كما امتلك معاوية بعسقلان[3] أرض تُعرف بـ "البُطْنان"[4]، وفي البلقاء بأرض الشام كانت كانت له أرض تعرف باسم "بِقِنِّس" كانت لأبي سفيان أيام تجارته بالشام[5]، ولما ولى معاوية عبد الله بن دراج مولاه خراج الكوفة استخرج له من أرض البطائح[6] ما بلغت غلته خمسة ملايين درهم[7]، كما تَمَلَّك قرية "سام" بالغوطة[8].

أما يزيد ابنه فقد امتلك أراض بغوطة دمشق[9]، وهذا ما لدينا عن ممتلكات يزيد بن معاوية والراجح أنها أكثر من ذلك بكثير ولكن المصادر أغفلت عن ذكرها.

وقد تواصلت عمليات التملّك في الفترة المروانية بأشكال مختلفة سواء باستصلاح الأراضي أو الشراء أو الإحياء أو مصادرتها من أيدي مُلاّكها، فكان للخليفة عبد الملك بستان وبه عين في المدينة المنورة[10]، وكانت له أرض باليمامة[11]، وأرض أخرى في موضع يُعرف بـ "ماء مطلوب"[12]،

---

[1]- مضَّ: "المض: الحُرقة، مضني الهم والحزن والقول...أحرقني وشُق علي". ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص233. (مادة مضض). وهنا يشير إلى تراجع أحوالهم وسوءها بسبب إجراءات معاوية ضدهم.

[2]- **الإمامة والسياسة**، ج1، ص228. زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص292.

[3]- عسقلان: مدينة بالشام تقع على الساحل الفلسطيني. الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص122.

[4]- الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص26.

[5]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص176.

[6]- البطيحة أو البطائح: سميت بهذا الاسم لتبطح الماء بها، أي سيلانه واتساعه في الأرض، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة بجنوب العراق. الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص450.

[7]- قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص169. البلاذري: **فتوح البلدان**، ص411. الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص200. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج28، ص35.

[8]- الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص173. الغوطة: الأرض المنخفضة، وهي الأراضي المحيطة بدمشق، غنية بالأشجار والمزارع والأنهار. **نفسه**، ج4، ص219.

[9]- عبد القادر بدران: **تهذيب تاريخ ابن عساكر**، ج1، ص245.

[10]- الجاحظ: **كتاب التاج**، ص36.

[11]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص247.

[12]- مطلوب: اسم بئر بين المدينة والشام. الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص150.

وتعتبر هذه الأرض "من خيار ضياع بني أمية"[1]، كما كانت له قرية تدعى "سَلعوس"[2]، كما قام الحجاج بن يوسف والي العراق بحيازة أراض كثيرة بالعراق لعبد الملك وتعميرها[3]، واشترى هذا الخليفة من خالد بن يزيد بن معاوية ضياعا بأجناد الشام الأربعة: فاختار من فلسطين عمواس، ومن الأردن قصر خالد، ومن دمشق الأندر، ومن حمص دير ركا[4].

وكان للوليد بن عبد الملك أراض شاسعة وحوانيت بمصر[5]، كما استخرج له حسان النّبَطي[6] النّبَطي[6] أراض كثيرة ببطحاء العراق[7]، ولما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة كتب إلى عامله على العراق عمر بن هبيرة[8] بحيازة أراض له بالعراق لكن محاولته فشلت لاعتراض الناس على ذلك بعد التعدي على ممتلكاتهم[9].

أما الخليفة هشام بن عبد الملك والذي "جمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قط"[10] فقد كانت له ضياع وممتلكات كثيرة في مختلف المناطق خاصة بإقليم الشام والعراق، وقد أشار إلى ذلك "المنبجي" في تاريخه بقوله: "...فاتخذ مستغلات كثيرة في أكثر المدن التي في سلطانه، والخانات، والحوانيت، والحُجر، والضياع، والمزارع...واشتق أنهارا كثيرة غزيرة، وهو الذي اشتق النهر الذي فوق الرقة، وغرس غرسا كثيرة بالجزيرة والشامات، فبلغت غلته أكثر من خراج مملكته"[11]، ورغم المبالغة الواضحة في هذا النص حول ما يُحَصِّله هشام بن عبد الملك من ممتلكاته إلا أنه يوضح لنا مدى

---

(1)- **نفسه**، ج5، ص151.

(2)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص249.

(3)- **نفسه**، ص408.

(4)- عبد القادر بدران: **تهذيب تاريخ ابن عساكر**، ج1، ص242، 243.

(5)- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص 96.

(6)- حسان النبطي: مولى بني ضبة(قبيلة مُضرية سكنت بطونها الحجاز واليمامة وغيرها) تولى خراج العراق للوليد وهشام بن عبد الملك. البلاذري: **فتوح البلدان**، ص411.

(7)- قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص169. الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص200.

(8)- عمر بن هبيرة الفزاري الشامي، تولى العراق ليزيد بن عبد الملك، ثم عزله هشام بن عبد الملك وسجن، توفي سنة 107هـ/ 725م . الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص562.

(9)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص252.

(10)- الصفدي: **تحفة ذوي الألباب**، ج1، ص160.

(11) - المنبجي: **المنتخب من تاريخ المنبجي**، ص88.

اهتمام هذا الخليفة بتوسيع ممتلكاته الزراعية وشق الأنهار والقنوات لِرَيِّها حتى صار واحدا من أهم مُلّاك الأراضي.

ومما امتلكه هذا الخليفة أرض تعرف بـ "دورين"[1]، وضياع بالأردن[2]،كما كانت له أرض بالطائف من أحسن الأراضي بها[3]، وامتلك ضياع بموضع يُقال له "رستاق الرمان"(نهر الرمان)[4]، الرمان)[4]، وقرية تعرف باسم "كَفَرْجَدْيَا"(كَفرجَدا)[5]، واستخرج له حسان النبطي أراض كثيرة بالبطيحة[6]، وامتلك بساتين زيتون أيضا[7]، كما حفر هشام نهري "الهني والمري" في الرصافة بالرقة بالرقة واستغل الضياع المحيطة بهما[8]، وتشكل عمليات حفر الأنهار والمرتبطة بإحياء الأراضي الموات الموات عاملا مهما في توسع الملكيات الزراعية وتنامي نفوذ أصحابها.

من جانب آخر كانت لعمليات مصادرة أملاك الثائرين على السلطة الأموية دورا معتبرا في توسيع أملاك الخلفاء وحلفائهم، فبعد ثورة عبد الله بن الزبير صادر عبد الملك دارا لآل الزبير بمصر، ثم ردّها عليهم هشام بن عبد الملك ثم أخذها منهم مجددا يزيد بن الوليد بن عبد الملك[9]، فلم تزل في أيدي الأمويين حتى أيام الخليفة أبي جعفر المنصور(136-158هـ/753-774م) الذي أمر بِردّها لآل الزبير[10]، وقبض دارا لهم بمكة[11]، كما صادر هذا الخليفة أراض لمصعب بن الزبير

---

(1)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص205. الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص60.

(2)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص205.

(3)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج13، ص436.

(4)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص142. الرستاق: أصلها فارسي وتعني القرية. محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ص248.

(5)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص249. كفرجديا: هي قرية من قرى الرها(الجزيرة). الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص469.

(6)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص411، 412. الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص200.

(7)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص398، 411.

(8)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص247.

(9)- يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان: يُعرف بالناقص لكونه نَقص عطاء الجند، ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد الثاني، ولم تدم خلافته سوى ستة أشهر، توفي سنة 126هـ/743م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص374-376.

(10)- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص83.

(11)- الأزرقي: **أخبار مكة**، ص887.

بالبصرة بعد مقتله[1]، واستصفى الوليد بن عبد الملك أراض لبعض بني طلحة بن عبيد الله لما سخط سخط عليهم[2].

وبعد ثورة يزيد بن المهلب[3] على يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ/720م أمر هذا الأخير عمر بن هبيرة باصطفاء أموال بني المهلب بالعراق[4]، وكانت هذه المصادرات شكل من أشكال العنف الممارس ضد المعارضين للحكم الأموي، حيث لم يكتف الأمويون بتسليط عنف نفسي وجسدي على معارضيهم بل امتد ذلك ليشمل عنفا ماديا أيضا دون أي اعتبار لأحكام الاسلام ولا مرورا على القضاء في اتخاذ هذه الاجراءات.

هذا وقد سار الولاة الأمويون على خطى الخلفاء وتوسعوا في امتلاك الضياع، فكانت أرض "السبع" بفلسطين مُلكا لعمرو بن العاص[5]، وقد توزعت ممتلكاته بين بير السبع والخليل[6]، كما كان لمروان بن الحكم ملكيات زراعية في كل من ذي المروة[7]، والسويداء[8]، وذي خُشُب[9]، وهذا وهذا قبل توليه الخلافة[10].

وكان لعبد العزيز بن مروان[11] والي مصر أيام أبيه مروان ابن الحكم وأخيه عبد الملك

---

[1]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص17.

[2]- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج66، ص32.

[3]- يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: ولي المشرق بعد أبيه، عزله الحجاج وسجنه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر عمر ابن عبد العزيز وسجنه، ثم هرب من سجنه وثار على يزيد بن عبد الملك، قتله مسلمة بن عبد الملك سنة 102هـ/720م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص503-506.

[4]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص269. البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 230، 514.

[5]- الحموي: **معجم البلدان**، ج3، 185.

[6] - Donald Whitcomb: **Notes for an Archaeology of Muʿāwiya,** p14.

[7] – ذي المروة: قرية بوادي القرى بين المدينة والشام. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص116.

[8] – السويداء: موضع على بعد ليلتين من المدينة على طريق الشام. **نفسه**، ج3، ص286.

[9] – ذي خشب: واد بالقرب من المدينة المنورة. **نفسه**، ج2، ص372.

[10] – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص397.

[11]- عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس: والد عمر بن عبد العزيز، ولاه أبوه مصر، وجعله وليا للعهد بعد أخيه عبد الملك. المزي: **تهذيب الكمال**، ج18، ص197.

بحلوان[1] دورا ومزارع[2]، واشترى بها أرضا بعشرة آلاف دينار[3]، وكان لأخيه محمد بن مروان[4] مروان[4] والي "الجزيرة وأرمينية" قرية بالأردن تعرف باسم "ريسون"[5]، كما كانت له بحيرة بأرمينية تعرف بـ "بحيرة الطريح"، ويذكر صاحب "النجوم الزاهرة" أنها كانت بحيرة مباحة "...يأخذ منها من شاء، فمنع من صيدها، وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه(السمك) وصارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة الأموية"[6].

أما مسلمة بن عبد الملك[7] فقد كان من أكثر الولاة الأمويين امتلاكا للضياع وهذا يعكس النفوذ الكبير الذي كان يتمتع به، فكانت له أرض "بغْراس"[8]، كما كانت له "عين السِلّور وبحيرتها"[9]، وامتلك ضياعا أخرى بـ "خَيْزان"(حوز خيزان)[10]، ولما فاضت مياه البطيحة في عهد الحجاج بسبب البثوق وانهيار الحواجز المائية وقدّر لنفقتها ما مقداره ثلاث ملايين درهم فاستكثرها الوليد بن عبد الملك، فتولى مسلمة بن عبد الملك الإنفاق عليها مقابل حيازته للأراضي التي بقي فيها الماء فحصَّل نتيجة لذلك مساحات شاسعة من الأراضي التي قام باستصلاحها وتعميرها[11]، كما أتاه أهل "بالس"[12] والقرى المحيطة بها وسألوه أن يحفر لهم نهرا من الفرات يسقي أرضهم

---

[1]- حلوان: اختطها عبد العزيز بن مروان بمصر سنة 70هـ/689م. الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص293.

[2]- الكندي: **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، ص49.

[3]- ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج1، ص185.

[4]- محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس: تولى أعمال الجزيرة وأرمينية لأخيه عبد الملك ثم عزله الوليد ابن عبد الملك وولاها مسلمة بن عبد الملك، توفي سنة 101هـ/719م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج55، ص241، 242.

[5]- الحموي: **معم البلدان**، ج3، ص112.

[6]- ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص190. قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص327.

[7]- مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: واحد من مشاهير القواد الأمويين، قاد الكثير من العمليات العسكرية، وتولى إمرة العراق والجزيرة وأرمينية، توفي سنة 120هـ/737م أو 121هـ/738م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج58، ص27-46.

[8]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص202. بغراس: بأنطاكية. الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص467.

[9]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص202. حسب الحموي فإن عين السلور تقع بالقرب من أنطاكية، أما بحيرتها فيقال لها "يَغْرا"، وسميت بعين السلور لكثرة هذا النوع من السمك بها. الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص178.

[10]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص291. قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص331. يُفهم من رواية قدامة أن "خيزان" تقع بأرمينية.

[11]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص413. قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص169، 170.

[12]- بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص328.

مقابل ثلث الحاصل بعد أداء عشر السلطان، فحفر لهم النهر، وبعد وفاته صارت بالس وقراها لورثته من بعده حتى قيام الدولة العباسية[1]، كما توسعت ممتلكات مسلمة بسبب عمليات الإلجاء[2] التي التي كان يقوم بها المزارعون للتعزز به[3].

من جانبه كانت لسعيد بن عبد الملك[4] أملاك بدمشق[5]، كما حفر نهرا قرب الرقة[6] يُعرف يُعرف بـ"نهر سعيد"[7]، واشترى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[8] أرضا من ورثة "ابن سندر" وقد وقد كان أقطعه إياها عمر بن الخطاب في خلافته "وليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل"[9]، كما كما كانت "عين الرومية"[10] وماؤها للوليد بن عقبة بن أبي معيط[11]، وكان لعبد الواحد بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاصي أرض بالجزيرة تعرف بمرج عبد الواحد[12]، وامتلك خالد بن يزيد بن معاوية قرية "الصفوانية" بنواحي دمشق[13]، كما كان للغمر بن يزيد الثاني[1] بحرَّان تل عفراء وأرض تل مذابا

---

(1)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص205، 206.

(2)- تقوم عملية الإلجاء على أساس وضع صغار المزارعين أراضيهم في حماية الخليفة أو أحد القادة أو كبار الموظفين وذلك بتسجيل بتسجيل تلك الأراضي بأسمائهم في الديوان مقابل جزء من المحصول للحامي، وسبب هذه الظاهرة في الغالب هو الممارسات غير العادلة في جباية الضرائب التي يقوم بها عمال الضرائب. **أنظر**: عبد العزيز الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، ص 55.

(3)- قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص170.

(4)- سعيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: يُعرف بسعيد الخير، ولي الغزو في خلافة أخيه هشام، وتولى فلسطين للوليد بن يزيد يزيد الثاني. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص212، 213.

(5)- **نفسه**، ج21، ص214.

(6)- مدينة ببلاد الجزيرة الفراتية. الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص59.

(7)- الزبيري: **نسب قريش**، ص165.

(8)- الأصبغ(أصبغ) بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: أكبر ولد أبيه، وبه يُكنى، سكن مصر وتوفي بها سنة 86هـ/705م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 9، ص169-171.

(9)- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص96.

(10)- عين الرومية: تقع بين الرقة والثغور الجزرية. ابن خُرْداذْبَه: **المسالك والممالك**، ص 97.

(11)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص248.

(12)- **نفسه**، ص249. الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص102.

(13)- الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص414.

وأرض المصلى وصوافي أيضا[2].

وكانت غلة خالد بن عبد الله القسري[3] والي العراق لهشام ابن عبد الملك تبلغ ثلاثة عشر مليون درهم في السنة[4]، ورغم المبالغة في هذا الرقم فإنه يعطينا فكرة عن سعة ممتلكات هذا الوالي، وقد حفر عدة أنهر منها نهر الجامع[5] ونهر المبارك[6]، وبنى بالعراق حوانيت وقصرا يُعرف بـ "قصر خالد"[7]، وكان اتساع ملكياته وما رافقها من توسع نفوذه سبب في غضب الخليفة هشام بن عبد الملك عليه ونكبته، واتخذ أخوه أسد بن عبد الله[8] قرية "سوق أسد" وسوقها[9].

1-2- الدُّور والقصور:

لم تقتصر ممتلكات الخلفاء والولاة الأمويين على الأراضي فحسب؛ بل توسعوا في اتخاذ الدور والقصور أيضا، سواء بالشراء أو البناء، فالخليفة معاوية ابتنى دورا بمكة[10]، كما اشترى "دار الندوة" سابقا من ابن الرهين العبدري[11] بمائة ألف درهم[12]، واشترى من آل أبي الأعور السُلَّمي[13] دارا

---

(1)- غمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان: تولى غزو الصائفة لأخيه الوليد بن يزيد، وقتل سنة 132هـ/749م على نهر أبي فُطرس من قبل العباسيين. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج48، ص85-88.

(2)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص249.

(3)- خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز البجلي القسري، تولى مكة للوليد بن عبد الملك ثم لأخيه سليمان، ثم ولاه هشام العراق ثم عزله، قتل سنة 126هـ/743م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص425-432.

(4)-الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص143. الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص61، 62.

(5)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص402.

(6)- **نفسه**، ص408.

(7)- **نفسه**، ص402.

(8)- أسد بن عبد الله القسري: تولى خراسان مرتين في خلافة هشام بن عبد الملك، توفي سنة 120هـ/737م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص 37، 47، 99، 139.

(9)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص402.

(10)- الأزرقي: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ص 863.

(11)- هو من ولد عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار الذين كانت لهم الحجابة واللواء وأمور دار الندوة. **نفسه**، ص650

(12)- **نفسه**، ص650، 889.

(13)- هو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعيد بن قائف بن الأوقص بن مرة، من أنصار معاوية وشهد معه صفين، ويُقال أنه كان حليفا لأبي سفيان. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص50-53.

بمكة[1]، كما اشترى دارا بالمدينة بأربعين ألف دينار[2]، كما أمر معاوية واليه على المدينة مروان بن بن الحكم ببناء قصر له بظاهر المدينة وهو القصر المعروف بـ "قصر خل"[3].

أما الخليفة عبد الملك فقد اشترى من خالد بن يزيد بن معاوية "قصر الخضراء" بدمشق بأربعين ألف دينار[4]، ولما ولي سليمان بن عد الملك جند فلسطين لأخيه الوليد "أحدث مدينة الرملة ومصَّرها، وكان أول ما بنى فيها قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين"[5]، أما الخليفة هشام فقد اتخذ قصرين بالرصافة التي بناها[6]، كما اتخذ بمدينة صور فندقا ومُستغلا[7]. ويبدو أن القصور القصور الصحراوية التي اتخذها الخلفاء الأمويين لم تكن مجرد منازل للسكن والنزهة بل مراكز للاستثمار الزراعي أيضا، حيث أقيمت منشآت الري حولها لإرواء الحقول والممتلكات الزراعية الخاصة[8].

وفي هذا الجدول ذكر لأهم القصور الأموية والدور وممتلكات عقارية أخرى امتلكها الخلفاء والولاة الأمويين، حيث نلاحظ تركّز ممتلكات الخلفاء في بلاد الشام خاصة حيث مقر استقرارهم، ثم الحجاز بالنسبة للخليفة معاوية تحديدا، أما الأمراء الأمويين فقد توزعت ممتلكاتهم حيث تولوا أعمال الولايات، فيحين غابت عنا أخبار ممتلكات بقية الولاة في أقاليم الدولة المختلفة:

---

[1]- الأزرقي: **أخبار مكة**، ص868.

[2]- الزبيري: **نسب قريش**، ص426.

[3]- السمهودي: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ج4، ص 1289.

[4]- **نفسه**، ج1، 242.

[5]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص195.

[6]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص207.

[7]- البلاذري : **فتوح البلدان**، ص161. والمستغلات هي الأماكن والمصادر والمستثمرة والمستغلة في الأراضي العامة، من الأسواق الأسواق والمنازل والطواحين وغيرها. محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص533.

[8]- عبد العزيز الدوري: **أوراق في التاريخ والحضارة**، ج 2، ص99. اختلفت الغاية من بناء الأمويين للقصور الصحراوية بين الاستجمام (حمامات) أو الغايات الدفاعية والأمنية، كما أن البعض منها مُستَحدث أما بعضها الآخر فتم إنشاؤه على أنقاض قلاع رومانية سابقة. أنظر: فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**.

الخليفة	نوع البناء	الموضع	المصدر
معاوية بن أبي سفيان	– قصر القبة الخضراء	– دمشق	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص133.
	– ابتنى دورا	– مكة	– الأزرقي: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ص 863.
	– دار الندوة	– مكة	– **نفسه**، ص650، 889.
	– دار	– مكة	– **نفسه**، ص868.
	– دار	– المدينة	– الزبيري: **نسب قريش**، ص426.
	– قصر خل	– ظاهر المدينة	– السمهودي: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ج4، ص 1289.
يزيد بن معاوية	– قصر حوارين	– حمص	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص133.
عبد الملك بن مروان	– قصر الخضراء	– دمشق	– عبد القادر بدران: **تهذيب تاريخ ابن عساكر**، ج1، ص242.
	– خمس قصور تعود لفترة عبد الملك وابنه الوليد	– فلسطين	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص134.

الوليد بن عبد الملك	– قصر أُسيس	– بادية الشام	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص138، 139.
	– القصر الأبيض	– بادية الشام	– **نفسه**، ص133.
	– قصر خربة المينياء	– فلسطين	– **نفسه**، ص164، 165.
	– قصر عنجر	– لبنان	– **نفسه**، ص194، 195.
	– قصر الطوبة	– الأردن	– **نفسه**، ص176.
	– قصر الخرانة	– الأردن	– **نفسه**، ص186.
	– قصر الحلابات	– الأردن	– **نفسه**، ص135.
	– قصير عمرة	– الأردن	– **نفسه**، ص180.
	– قصر بُرقُع	– الأردن	– Svend Helms: **A New Architectural Survey of Qasr Burqu', Eastern Jordan**
	– دار	– مصر	– جاسر خليل أبو صفية: **برديات قرة بن شريك**، ص280، 282.
سليمان بن عبد الملك	– قصر الرَّملة	– فلسطين	– البلاذري: **فتوح البلدان**، ص195.
يزيد بن عبد الملك	– قصر الموقر	– الأردن	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص188.
هشام بن عبد الملك	– قصرين بالرصافة	– الرصافة	– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص207.
	– قصر الحير الغربي	– تدمر	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص146.
	– قصر الحير الشرقي	– تدمر	– **نفسه**، ص149.
	– قصر خربة المفجر	– أريحا	– **نفسه**، ص156.

	– قيسارية هشام – فندق	– مصر – لبنان	– ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص96. – البلاذري : **فتوح البلدان**، ص161.
الوليد بن يزيد	– قصر البخراء – قصر المشتى – قصر الأزرق	– تدمر – الأردن – الأردن	– فوزي محفوظ: عمارة الخلفاء، ص153. – **نفسه**، ص173. – **نفسه**، 192.
مروان بن محمد	– قصر حران	– حران	– **نفسه**، 134.
حجاج بن عبد الملك	– قصر حجاج	– دمشق	ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص357.
عبد العزيز بن مروان	– دور –قيسارية العسل – قيسارية عبد العزيز – قيسارية الحبال – قيسارية الكباش	– مصر – مصر – مصر – مصر – مصر	– الكندي: **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، ص49. – ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص96. – **نفس المصدر والصفحة.** – **نفس المصدر والصفحة.** – **نفس المصدر والصفحة.**
الوليد أو هشام بن عبد الملك	– قصر حمّام الصرح	– الأردن	– فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص184.

_ جدول خاص بالقصور والدّور الأموية.

2- إقطاع الأرض:

توسع الخلفاء الأمويون منذ عهد معاوية في منح الإقطاعات لأفراد البيت الأموي وأنصارهم من أشراف القبائل ورجالات الدولة بهدف كسب الولاءات واستمالة الأشراف سادة القبائل، وبالتالي إخضاع القبائل لسلطانهم. وعلى الرغم من أن القاعدة الفقهية كانت تنص أن الإقطاع من الأراضي العامرة هو إقطاع استغلال فقط وللدولة الحق في استرجاعه، حيث يقول الماوردي في هذا الشأن: "فهذا النوع من العامر لا يجوز إقطاع رقبته لأنه قد صار باصطفائه لبيت المال ملكا لكافة المسلمين، فجرى على رقبته حكم الوقوف المؤبدة، وصار استغلاله هو المال الموضوع في حقوقه"[1]، فإن الخلفاء والولاة الأمويين لم يلتزموا بهذه القاعدة دائما ووقعت تجاوزات خطيرة في هذا الشأن.

كانت أغلب الإقطاعات في هذا العصر تتم من أراضي الصوافي[2]، وقد أشرنا سابقا إلى الاهتمام المبكر للخليفة معاوية بن أبي سفيان بهذه الأراضي، وحسب ابن عساكر فإن معاوية أقطع ناسا من قريش ومن العرب من بقايا تلك المزارع التي لم يكن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد أقطعه إياها[3]، وهذا يقف ضد فكرة اليعقوبي حول استئثاره بها[4]، وأقطع ابنه يزيد قرية من قرى قرى الفيوم بمصر فأعظم الناس ذلك فاضطر معاوية للتراجع عن قراره ورد تلك القرية إلى الخراج كما كانت[5].

كما أقطع(معاوية) مروان بن الحكم "فدك"[6] رغم أنها كانت موقوفة في سبيل البر زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الأربعة[7]، وبقيت في يد آل عبد العزيز بن مروان حتى أمر عمر بن عبد العزيز بردها إلى أصلها[8]، كما أقطع قرية "النمرانية" بغوطة دمشق لنمران بن

---

[1]- الماوردي : **الأحكام السلطانية**، ص214. صفاء حامد عبد الفتاح: **ضياع بني أمية في عصر الخلافة**، ص21.

[2] - الفضل شلق : **الخراج والاقطاع والدولة**، ص136، 137.

[3]- **تاريخ مدينة دمشق**، ج2، ص206.

[4]- محمد نجمات ياسين: **أرض الصوافي الأرض الخاصة بالدولة في الاسلام**، ص97.

[5]- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص75.

[6]- فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على رسوله صلحا في السنة السابعة للهجرة. الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص238.

[7]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص45.

[8]- **نفس المصدر والصفحة**.

بن يزيد[1] فنسبت إليه[2]، وأقطع الخليفة معاوية أيضا أبو بردة بن عوف الأزدي[3] قطيعة بالفلوجة بالفلوجة (العراق)[4]، وكان أبو بردة هذا عثمانيا[5]، ولما استلحق زياد بن أبيه بنسب أبي سفيان أقطعه أرضا بمكة[6]، وأقطع أيضا بعض بني إخوته أرضا بالعراق فباعها لزياد بن أبيه بمائتي ألف درهم[7]. كما منح هذا الخليفة عمرو بن العاص لما سانده في حربه ضد علي بن أبي طالب خراج مصر طعمة له طيلة حياته[8].

وفي عهد يزيد بن معاوية أقطع هذا الخليفة سعيد بن مالك بن بحدل قرية "بيت الآبار"[9]، وسعيد هذا هو خال يزيد بن معاوية[10]، وأقطع أيضا عمرو بن عتبة بن أبي سفيان[11] الراوية[12] ونهر معقل[13]، كما أقطع هذا الخليفة كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي[14] ضياعا بالجبل وولاه أعمالا بها[15]، وهذا نظير ولائه لبني أمية إذ كان عثمانيا يطعن في علي بن أبي طالب[16].

---

[1]- نمران بن يزيد بن عبيد المذحجي. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج62، ص222.

[2]- الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص304.

[3]- أبو بردة بن عوف الأزدي: عراقي من التابعين، وقد وفد على يزيد بن معاوية. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج66، ص16.

[4]- نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص05.

[5]- **نفس المصدر والصفحة**.

[6]- الأزرقي: **أخبار مكة**، ص867.

[7]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص504.

[8]- الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص149.

[9]- بيت الآبار: قرية بغوطة دمشق. الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص519.

[10]- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص291.

[11]- عمرو بن عتبة بن أبي سفيان: من رجالات بني أمية، اشتهر بفصاحته، وسكن البصرة. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص272، 273.

[12]- الراوية: قرية بغوطة دمشق. الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص20.

[13]- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج46، ص272. نهر معقل: من أنهار البصرة. سهراب: **عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة**، ص136.

[14]- كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة الحارثي المذحجي: ولي الري لمعاوية، والجبل لابنه يزيد، وسكن بالكوفة. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج50، ص28-34.

[15]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص432.

[16]- **نفسه**، ص 431.

وتواصلت عمليات الإقطاع في العهد المرواني، فقد أقطع عبد الملك داره "ذات الحمام" بمصر لعمر بن علي الفهري بعد أن أشار عليه بقتل عمرو بن سعيد بن العاص[1] لخروجه عليه[2]، كما أقطع "أعشى بني ربيعة"[3] ألف جريب[4][5]، وأقطع حفص بن عمر بن سعيد الأزدي[6] قرية "زَمَلُكَا" بغوطة دمشق[7]، وبعد مصادرته لأراض كان يمتلكها مصعب بن الزبير بالبصرة أقطعها عبد الملك ناسًا وتعرف بـ "قطائع عبد الملك"[8]، ولما أهدى العلاء بن شريك الهذلي إلى عبد الملك الملك شيئا أعجبه أقطعه مائة جريب[9]، كما أقطع القعقاع بن خليد بن جزء[10] قطيعة عرفت باسم "حيار بني القعقاع"[11]، وأقطع أيضا العباس بن جزء بن الحارث قطائع باليمن[12]، وكانت ابنته "ولادة بنت العباس بن جزء" هي زوجة عبد الملك وأم ولديه الوليد وسليمان[13].

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أقطع أرضا بنواحي الرقة لسعيد بن عبد الملك[14]، كما

---

[1]- عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس: يُعرف بالأشدق، ولاه يزيد بن معاوية المدينة، وقتله عبد الملك بعد أن خرج عليه. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص234.

[2]- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص95.

[3]- أعشى بني ربيعة: هو عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس أبو المغيرة الشيباني، من شعراء العصر الأموي. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج28، ص3.

[4]- الجريب: تبلغ مساحة الجريب 1592م2. فالتر هنس: **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ص96.

[5]- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج28، ص5. بالنظر إلى مساحة الجريب في الهامش السابق فإن المساحة المقطعة هائلة ويبدو أن هناك مبالغة في الأرقام بالنسبة لحجم الإقطاعات.

[6]- حفص بن عمر بن سعيد بن أبي عزيز جندب بن النعمان الأزدي، من أهل دمشق. **نفسه**، ج14، ص420.

[7]- **نفس المصدر والصفحة**.

[8]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص17.

[9]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص504.

[10]- قعقاع بن خُليد بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة، من وجوه رجالات الدولة الأموية. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج49، ص347.

[11]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص199.

[12]- **نفس المصدر والصفحة**.

[13]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص419.

[14]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص247. الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص321.

أقطع عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي[1] ضياع كان قد صادرها من آل طلحة من عبيد الله[2]. وأقطع سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب ما استصلح من أراضي البطيحة[3].

ورغم محاولة عمر بن عبد العزيز الإصلاحية بإيقافه عمليات الإقطاع ورد "مظالم بني أمية"[4]، أمية"[4]، فإنها ما لبثت أن عادت في عهد خليفته يزيد بن عبد الملك الذي أقطع هلال بن أحوز المازني[5] قطيعة فيها ثمانية آلاف جريب[6]، وأقطع "دار الروميين" بالكوفة عنبسة بن سعيد بن العاص[7]، كما أقطع "مُهَلَّبان" بالعراق لعمر بن هبيرة بعد مصادرته أموال يزيد ابن المهلب وإخوته وولده[8]، وأقطع أيضا "عذام بن شتير" و"محمد بن عمر" وكانا قدما برؤوس يزيد بن المهلب وأصحابه بعد ثورته عليه[9]. أما هشام بن عبد الملك فقد أقطع ابنته عائشة قطيعة بـ "رأس كيفا"[10] تعرف بها وقد قبضت أيام العباسيين[11].

وعلى غرار الخلفاء قام الولاة أيضا بعمليات إقطاع، فقد أقطع عمرو بن العاص لما ولي مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان مولاه "وردان" أرضا بمصر[12]، وأقطع زياد بن أبيه مرة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق مائة جريب على نهر الأبلة[13]، كما أقطع كل بنت من بناته

---

[1]- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي: من أهل المدينة، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج34، ص265.

[2]- **نفسه**، ج66، ص32.

[3]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص514.

[4]- ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص 55.

[5]- هلال بن أحوز المازني: من قواد الدولة الأموية، استعمله مسلمة بن عبد الملك في قتال بقايا أسرة المهالبة بفارس سنة 102هـ/720م. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص309، 310.

[6]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص507. من الواضح أن هذا الرقم مبالغ فيه جدا.

[7]- **نفسه**، ص395.

[8]- **نفسه**، ص511.

[9]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص324.

[10]- رأس كيفا: تقع بديار مضر بالجزيرة قرب حران. الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص14، 15.

[11]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص248، 249. الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص14، 15.

[12]- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص96.

[13]- ابن قتيبة: **المعارف**، ص179.

ستين جريبا وحفر لهن نهر البنات[1]، أما الحجاج بن يوسف فقد أقطع "خيرة بنت ضمرة القشيرية" امرأة المهلب بن أبي صفرة[2] "عباسان"[3] فقبضها يزيد بن عبد الملك وأقطعها العباس بن الوليد بن بن عبد الملك[4]، وأقطع بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخو قتيبة بن مسلم سبعمائة جريب أو أربعمائة جريب[5].

ولم تتوقف الرغبة في امتلاك الأراضي عند الحصول على إقطاعات أو بالشراء بل تعدتها لأساليب أخرى للاستحواذ على الأراضي[6]، ومن أمثلة ذلك أن قطيعة آل أبي بكرة كانت في أصلها مئة(100) جريب لكنها توسعت لتبلغ ألف (1000) جريب أواخر العصر الأموي[7]، ولما ولما أحرق ديوان الكوفة في فتنة ابن الأشعث سنة 82هـ/701م استولى أصحاب الأراضي على ما في أيديهم[8]، وحسب عبد العزيز الدوري فإن هذه التطورات قد أدت إلى جعل أشراف القبائل "أرستقراطية ملاكة" بما في أيديها من الأراضي وأوجدت فجوة بينها وبين عامة القبائل[9].

لكن هذه التطورات لم تكن لتمر دون احتجاج أو تذمر في أوساط جمهور المسلمين في الأمصار المختلفة، خاصة وأن أراضي الصوافي لم تكن مواتا، وإلا لما أثارت أية مشكلة بل كانت أراض زراعية خراجية الأمر الذي سبب سخط المسلمين على أفعال بني أمية[10]، وهذا ما تُعبِّر عنه خطب الثائرين على السلطة الأموية والمعارضين لها، ومعلوم أن لغة الثوار "كثيرا ما تكشف عن

---

(1)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص506.

(2)- المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سُراق الأزدي البصري، من مشاهير القادة العسكريين الأمويين، اشتهر بقتاله للخوارج الأزارقة، تولى الجزيرة لابن الزبير وخراسان للحجاج، توفي سنة82هـ/701م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص383-385.

(3) - لم أستطع تحديد موضعها بالتدقيق والراجح أنها تقع بالعراق.

(4)- البلاذري: **فتوح البلدان** ، ص514.

(5)- **نفسه**، ص503.

(6)- عبد العزيز الدوري: **نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية**، ص251

(7)- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص509.

(8)- الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص214. المقريزي: **الخطط المقريزية**، ج1، ص96.

(9)- الدوري: **نشأة الإقطاع**، ص253.

(10)- حسن منيمنة: **نشوء الإقطاع في الاسلام**، ص299.

تراكمات الوعي الجماعي المكبوت"[1].

لقد اتُّهم الأمويون بالاستئثار بالفيء، وإظهار الفساد، وتعطيل الحدود، مما يستوجب قتالهم، ونجد هذا الوصف في خطبة للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما لما ثار على يزيد بن معاوية حيث خطب في أنصاره قائلا: "إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، فأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء"[2]، كما وصفهم الحسن البصري بقوله: "اتخذوا عباد الله خولا[3]، وكتاب الله دغلا[4]، ومال الله دولا[5]"[6]، وهو نفس الوصف الذي نجده عند أبي عند أبي حمزة الخارجي[7] في خطبته في أهل المدينة سنة 129هـ/ 746م[8].

وفي خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي قاد مؤامرة الثورة ضد الوليد بن يزيد بن عبد الملك [9]سنة126هـ/743م يقول: " أيها الناس، إن لكم علي ألا أضع حجرا على حجر، ولا لبنة لبنة على لبنة، ولا أكري نهرا، ولا أكثر مالا، ولا أعطيه زوجة ولا ولدا، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يُعينهم ..." [10]، وخطبة يزيد بن الوليد هذه تشكل في الواقع اعترافا من قبله بمثل هذه التجاوزات التي ما فتأ الحكام الأمويون يقومون بها في حق الرعية، كما يتضح أيضا استفحال الشعور بالتذمر من استئثار الأمويين وأنصارهم من أشراف القبائل وقادة الجند ورجالات الدولة بالأراضي والأموال، وأن هناك سخط من احتكار المركز للنصيب الأوفر من مداخيل الجباية والفتوحات.

---

[1]- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ص410.

[2]- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص381.

[3]- الخَوَل: العبد أو الأمة. ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص224.

[4]- الدغل: الفساد، والمقصود في قول الحسن أدغلوا في التفسير أي أفسدوا. **نفسه**، ج11، ص244.

[5]- دُولا: هو ما يُتداول من المال فيكون لقوم دون قوم. **نفسه**، ج11، ص252.

[6]- ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج6، ص222.

[7]- أبو حمزة الخارجي: هو المختار بن عوف الأزدي السَّليمي من البصرة، ثار في خلافة مروان بن محمد وقتل سنة 130هـ/ 747م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص348، 393-400.

[8]- الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص104. الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص123.

[9]- الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان: تولى الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك وبعهد من أبيه يزيد سنة 125هـ/742 م، وقتل سنة 126هـ/743م نتيجة ثورة قادها ابن عمه يزيد بن الوليد. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص370، 373.

[10]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص269.

3- الهِبَات في العصر الأموي:

كان للهبات والجوائز دورا هاما في السياسة الأموية وهدفها الأساسي كسب الولاءات وشراء الضمائر والذمم وتعزيز شرعية السلطة القائمة، وقد كان "العطاء السياسي" من ثوابت السياسة الأموية، وتمكنوا بواسطته من شل خصومهم وربطهم بهم، سواء كان هؤلاء الخصوم من الهاشميين أو من زعماء القبائل أو من الشعراء أو غيرهم[1]، وقد مثّلت أراضي الصوافي وهدايا النوروز (النيروز) والمهرجان[2] قاعدته الأساسية، وحسب اليعقوبي فإن صلات معاوية وجوائزه كانت من وارد صوافي العراق البالغة مائة مليون درهم[3]، كما كان يُحمل إليه عشرة ملايين من هدايا النيروز والمهرجان في السنة[4]، ويبدو أن معاوية قد تنبّه لأهمية هذا الوارد فقرر أن يجعلها هدايا إلزامية على أهل الخراج بعد أن كانت اختيارية، وهذا يُشبه إجراءات الساسانيين من قبل[5].

ترد في المصادر أخبار عن صلات الخلفاء الأمويين لحلفائهم ومعارضيهم أيضا وخاصة الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي اتبع هذا النهج منذ أيام صراعه مع الخليفة علي بن أبي طالب، حيث عمل على استمالة قلوب الناس "بالبذل والإعطاء"[6]، فأعطى عقيل بن أبي طالب[7] ثلاثمائة ألف ألف دينار بعد أن رفض الخليفة علي إعطائه ذلك من بيت مال المسلمين[8]، كما وصل عبيد الله بن

---

(1)- محمد عابد الجابري: **العقل السياسي العربي**، ص254.

(2)- **النوروز(النيروز)**: هو عيد رأس السنة عند الفرس، يكون في فصل الربيع ويستمر مدة ستة أيام، وفيه تبتدأ الجباية وتقدم الهدايا لعظماء الدولة الفارسية وحكامها. أما **المهرجان(عيد ميترا)**: فهو عيد فارسي كبير هو الآخر، وأصله الاحتفال بخلق الانسان والأرض وحوادث أخرى ذات طابع خرافي. آرثر كريستنسن: **إيران في عهد الساسانيين**، ص162، 163، 164.

(3)- **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص233.

(4)- الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص24. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص218. يرفع الصولي هذا الوارد إلى خمسين مليونا، ويبدو أن فيه مبالغة كبيرة. الصولي: **أدب الكتاب**، ص219.

(5)- الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص24. غيداء كاتبي: **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث**، ص174، 175.

(6)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص93.

(7)- عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أخو علي بن أبي طالب. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج4، ص38.

(8)- ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص76.

عباس[1] بخمسمائة ألف درهم[2].

وبعد توليه الخلافة أمر لخالد بن مُعَمَّر السدوسي[3] وكان من خيار أصحاب علي بن أبي طالب بثلاثين ألف درهم يفرقها في بني عمه وثلاثين ألفا أخرى خاصة له[4]. ولما أراد تولية ابنه العهد من بعده عمل على استمالة قلوب الناس بالمال فدخل مكة "وهداياه وجوائزه يروح عليهم ويغدو حتى أنماهم الأموال"[5]، كما خصّ بعض أبناء الصحابة بعطاءات مالية مثل عبد الله بن عمر عمر بن الخطاب الذي أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم فقبضها فلما ذكر البيعة ليزيد ردها[6]، وبعث إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بنفس المبلغ بعد أن أبى البيعة ليزيد فأبى أن يأخذها[7]، أما الحسين بن علي فكان معاوية يبعث إليه كل سنة "ألف ألف درهم وهدايا من كل ضرب"[8].

نتج عن عمليات الإقطاع والمنح العقارية والمالية التي وهبها الخلفاء والولاة لأشراف القبائل وكبار موظفي الدولة تكوين طبقة مالكة وحاكمة، تنامت مصالحها وترسخت مواقعها بفضل هذه السياسة، وتمكنت من خلال إمساكها برقاب الأرض من توطيد حكم مركزي قائم على قاعدة فئوية راسخة[9]، لكن هذا التحول في الحكم وما رافقه من استئثار فُهم من قبل معارضي الأمويين على أنه انقلاب للحكم من الخلافة إلى الملك[10].

إن من مدلولات "الملك" في تلك الفترة الاستئثار بالمال دون الناس، وجباية المال ووضعه في غير موضعه، حيث يُذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل الصحابي سلمان الفارسي

---

(1)- عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أخو عبد الله بن العباس. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، 347، 348.

(2)- المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص171.

(3)- خالد بن المعَمَّر السدوسي: شهد صفين مع علي ثم غدر بالحسن وانضم إلى معاوية. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج16، ص205.

(4)- ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج4، ص305، 306.

(5)- المقدسي: **كتاب البدء والتاريخ**، ج6، ص7.

(6)- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج3، ص351.

(7)- ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج14، ص284.

(8)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص367، 368.

(9)- فؤاد خليل: **الإقطاع الشرقي**، ص138.

(10) - Patricia Crone: **God's rule Government and Islam**, p46.

رضي الله عنه: أَمَلِكٌ أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: "إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة"[1]، وقد سبق وأشرنا إلى الارتباط بين صفة الملك والاستئثار المالي والعقاري[2].

في المقابل يبدو وكأن الخلفاء الأمويين وولاتهم قد حلّوا محل الأرستقراطية العقارية البيزنطية في الاستئثار بالأراضي في بلاد الشام على الأقل، وهذا ما يُفهم من وصف يزيد بن المهلب بن أبي صفرة لكل من مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك اللذان قادا جيش الشام المحارب ليزيد خلال ثورته، فقد وصف هذا الأخير مسلمة بقوله "قسطنطين بن قسطنطين"[3]، والعباس بن الوليد "نسطوس بن نسطوس"[4]، ويبدو أن هذا التشبيه بين أفراد من البيت الأموي وقادة بيزنطيين سابقين لم يكن من باب الصدفة، فهو يعكس في الواقع تمثلا ملوكيا للأسرة الأموية جسدته عمليات الاستحواذ على الأراضي والاستئثار بها عن غير حق باستعمال أدوات الدولة السلطوية والقهرية على شاكلة ما كان قائما أيام الحكم البيزنطي[5].

لكن ما رآه المعارضون للسلطة الأموية انقلابا ملوكيا نظر إليه الخليفة معاوية ومن جاء بعده أنه من ضرورات السياسة، ذلك أن بناء دولة كان يعني تحقيق استقلالية القرار السياسي وهذا لم يكن بالإمكان تحقيقه إذا لم يتمكن جهاز الحكم من امتلاك حرية التصرف في موارد الأمة، لهذا ارتبطت عملية توطيد خلافة معاوية بالتصفية الكاملة لنظام الفيء السابق[6]، وهذا كان يعني انتفاءً لحق القبائل في ملكية هذا الفيء والتصرف فيه والذي أصبح حقّا من حقوق السلطة القائمة، وملكية خاصة بها، وقد عبّر عن ذلك قول زياد بن أبيه في خطبته بالبصرة سنة 45هـ/665م[7]، ووفق زياد فإن استحقاق الجماعة الإسلامية للعدل في الولاية والعطاء لا يكون إلا بالطاعة المطلقة

---

(1)- ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص285.

(2)- **أنظر المبحث الأول**.

(3)- ابن أعثم: **كتاب الفتوح**، ج8، ص225.

(4)- **نفس المصدر والصفحة**.

(5)- عمار العشي: **تاريخ بلاد الشام**، ج1، ص410.

(6)- أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص327.

(7)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص220

للخلافة وإظهار النصح لها، أي أنه ربط العطاء بالسمع والطاعة للخلافة[1].

لكن كيف برّر الأمويون هذا التحول السياسي والاقتصادي الحاصل في دولتهم مقارنة مع ما كان زمن الخلافة الراشدة؟ لقد وُجد هذا التبرير في نظرية "خلافة الله" التي ستصبح أساسا من أسس شرعية الخلافة الأموية التي اجتهد خلفاؤها في إرسائها عبر استحداث مقومات جديدة للشرعية في سبيل مواجهة التحديات المختلفة التي واجهوها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- **نفس المصدر والصفحة.**

الفصل الثاني: السلطة الأموية وخطاب الشرعية- إرساء مبادئ جديدة لشرعية الحكم-

أولا- رؤية الأمويين للخلافة: خلفاء لله أم خلفاء للرسول؟

ثانيا- الطاعة ولزوم الجماعة

ثالثا- الخطاب السياسي الأموي وهاجس الشرعية

رابعا- التوظيف السياسي للحديث النبوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أشرنا سابقا إلى مأزق الشرعية الذي واجه الخلفاء الأمويين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان والمرتبط أساسا بنمط وصولهم لحكم دار الاسلام، ونمط ممارستهم لسلطتهم، وأخيرا استحداث نمط جديد في نقل السلطة بشكل مخالف لما كان سائدا أيام الخلافة الراشدة، وإذا كان الخليفة معاوية قد نجح في الموازنة بين فئات الأمة المختلفة وفرض حكمه على الجماعة الاسلامية مستغلا حنكته وتجربته الادارية، فإن التحديات الايديولوجية والسياسية والعسكرية –داخليا وخارجيا– التي واجهت المروانيين فيما بعد وخاصة عبد الملك دفعت بهم إلى استحداث أسس جديدة للشرعية تمكنهم من مواجهة معارضيهم وإضعاف حججهم، وقد وظف الخلفاء الأمويين في سبيل تثبيت سلطتهم والرفع من شأنهم في نظر الأمة والترويج لهم ولحقهم في الخلافة، في مقابل الحط من شأن معارضيهم والخارجين عليهم عناصر مختلفة سواء كانوا خطباء أو شعراء وحتى فقهاء.

أولا– رؤية الأمويين للخلافة: خلفاء لله أم خلفاء للرسول؟

1– في الفترة السفيانية(41–64هـ/661–684م)

تذكر الروايات التاريخية أن معاوية بن أبي سفيان خطب في أهل المدينة بعد توليه الخلافة قائلا: "أما بعد، فإني والله ما وَليتها بِمَحبة عَلِمتها منكم، ولا مَسَرَّة بِولايتي، ولكني جَالَدْتُكم بسيفي هذا مُجالَدة"[1]، إن هذا الاعلان عن التغير الحاصل في نمط الوصول إلى السلطة وإرسائها عما كان عليه الحال في زمن الخلفاء الراشدين، حيث تم تغييب الشورى والبيعة الاختيارية والرضا التي كانت أساس شرعية الحكم الراشدي لصالح الإكراه والإخضاع بالقوة، والذي أفضى إلى "توحيد إخضاعي"[2] للجماعة الاسلامية، إضافة إلى المخاطر والتحديات الايديولوجية والسياسية التي واجهت الخليفة معاوية كمؤسس لدولة جديدة جاءت بعد عهد "الخلافة الراشدة" التي عُرفت بِمثاليتها في المخيال الاسلامي، كل هذا دفع الخليفة معاوية إلى بناء أسس جديدة للشرعية، منها الأسس القائمة على مبدأ "شرعية الأمر الواقع"[3] الذي تم فرضه عسكريا.

---

[1]– ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج1، ص171. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص548.

[2]– فؤاد خليل: **الاقطاع الشرقي**، ص94.

[3]– عبد الإله بلقزيز: **الدولة والسلطة والشرعية**، ص101.

يتضح من خلال خطب الخليفة معاوية ورسائله ومناظراته وحواراته مع رجال دولته أو المعارضين لحكمه أنه كثيرا ما استند على خصاله الشخصية لإثبات أَحَقِّيَتِه في الحكم ومنح الشرعية لسلطته، ومن هذه الخصال التي جهد كثيرا في إبرازها لتعويض نقص سابقته في الاسلام قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتبار نفسه خال المؤمنين حيث كانت أخته أم حبيبة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى كتابته للوحي، ودوره في الفتوحات الاسلامية، مع عراقة أصله ونسبه[1].

وإلى جانب خصاله الشخصية عمل معاوية على إقناع الجماعة الاسلامية –خاصة معارضيه السياسيين– أن السلطة حق لمن تتوفر فيه شروط القيادة، من الخبرة المتَأَتِّيَة من السن والتجربة، وحسن السياسة والتدبير، ورعاية مصالح الناس، وتحقيق العدل وإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله لحماية بيضة الاسلام، وهذه تمثل "شرعية المصالح"[2] التي تُخَوِّله حكم دار الاسلام، ويتضح هذا الفهم من معاوية في رده على كتاب الحسن بن علي بن أبي طالب الذي دعاه فيه إلى الدخول في طاعته، يقول معاوية: "...ولو علمت أنك أضبط مني للرعية، وَأَحْوَط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأَكْيَد للعدو، لَأَجَبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلا، ولكني قد علمتُ أنِّي أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، وأكبر منك سنا، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني"[3].

لقد اتخذ معاوية من عملية قتل الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فرصة ليُقدّم نفسه كمخلّص للأمة وضامن لوحدتها، ويُجسّد بذلك صورة من أنهى الشقاق والفتنة بين

---

[1]– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص119.

[2]– رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص117. بعد عدة قرون نجد عند الأبشيهي عملية مماثلة بين عدل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وسيرة معاوية بن أبي سفيان ووالية على العراق زياد بن أبيه، وعبد الملك بن مروان ووالية على العراق الحجاج ابن يوسف، فيما يبدو كمحاولة لإضفاء الشرعية على حكم الأمويين من خلال استحضار عدل الخليفة الراشدي الثاني وتفقده لرعيته ومناصحته إياهم(مثال للشرعية)، مع سيرة هؤلاء الذين يمثلون أهم رموز الحكم الأموي، يقول الأبشيهي: "وكان معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك، وكان زياد ابن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك...ثم جاء من اقتدى بهم، وهو عبد الملك بن مروان والحجاج...". الأبشيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، ج2، ص429.

[3]– الأصفهاني: **مقاتل الطالبيين**، ص67. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص280.

المسلمين[1]، فهو يعتبر نفسه رجل هذه المرحلة العصيبة والقادر على لمّ شمل الجماعة الاسلامية وضبط أمورها وحمايتها وهذا انطلاقا من خبرته الواسعة في الادارة منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونتيجة لهذا ستبرز خلافة معاوية في الضمير السُنّي كإنقاذ للجماعة الإسلامية من حالة التفسخ التي هددت الاسلام ودولته وجوديا[2].

وكان هذا نفس رأي عمرو بن العاص حين قال لأبي موسى الأشعري خلال التحكيم بين علي ومعاوية: "فما يمنعك من معاوية...وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن تَخَوَّفت أن يقول الناس: ولي معاوية وليست له سابقة؛ فإن لك بذلك حجة، تقول: إني وجدته...الحسن السيرة، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو أخو أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صحبه، فهو أحد الصحابة"[3]، فإذا لم يكن معاوية من أهل السابقة والفضل في الاسلام وأن مركزه لا يدنو من مركز كبار الصحابة فإن إمكاناته الادارية وقرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم تمنحه الحق في تولي الخلافة خاصة وأنه قد ساهم هو الآخر في بناء مجد الاسلام.

ويظهر من روايات أخرى اعتزاز معاوية بنفسه ودوره كرئيس للجماعة الاسلامية، وأنه وإن كان أقل منزلة ممن سبقه من الخلفاء الراشدين فإن من يأتي بعده لن يبلغ منزلته، إذ يذكر المدائني أن معاوية خطب في الناس قائلا: "إني كَزَرْع مُسْتَحْصَد، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مَللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، ولن يأتيكم بعدي إلا من أنا خير منه كما أن من كان قبلي كان خيرا مني..."[4]، وقال في خطبة أخرى: "أيها الناس والله لنقل الجبال الرَّاسِيات أيْسر من اتباع أبي بكر وعمر في سيرتهما، ولكني سالك بكم طريقا تَقصُر عَمَّن تقدمني ولا يُدركني فيها من بعدي"[5].

إنه يدرك أنه ليس في زمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يحكم في رجال مثل رجالهما لذلك فسياسته ستكون مغايرة لسياسة الخليفتين الراشدين، وهو لا يرفض سياستهما وإنما ينتهج

---

(1)- عبد الرؤوف بولعابي: **السلطة في الاسلام**، ص203. زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص409.

(2)- محمد عابد الجابري: **العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته**، ص 232.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص68.

(4)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص51.

(5)- **نفسه**، ج5، ص141.

سياسة جديدة توافق الوضع الجديد القائم، وكما أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أفضل منه فإنه أفضل ممن سيخلفه، وبهذا يمكن القول أن معاوية قدَّم نفسه كرجل المرحلة، وإن كانت لديه سلبيات عديدة في حكمه فإنها لن تبلغ سلبيات من سيأتي بعده، وهو في الواقع استشراف منه لما هو كائن بعده ودليل على استيعابه الدقيق للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشهدها دار الاسلام آنذاك.

لكن هذه القاعدة غير الثابتة للشرعية والقائمة على الخصال الشخصية والمؤهلات القيادية ما كانت لِتُمكِّن معاوية من تثبيت سلطته، فاتخذ لقب "أمير المؤمنين" على غرار الخلفاء السابقين له منذ أول ظهور لهذا اللقب زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستنادا إلى معنى هذا اللقب فإن السلطة في المجتمع الاسلامي الوليد مستمدة من المؤمنين، وهو ما يجعل لقب "أمير المؤمنين" مطابق تماما للقب "خليفة رسول الله" الذي ظهر مع تولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة[1]، ومن هذا المنطلق فإن لقب "أمير المؤمنين" يُحيل إلى أن صاحبه ينظر إلى منصبه كتفويض من الجماعة الاسلامية لتسيير أمورها، فعلاقته بهم هي علاقة تعاقدية وليست سيادة وتبعية، وبهذا تتطابق سلطة أمير المؤمنين عمليا مع إرادة الجماعة ومصالحها، ولم تكن "إمارة المؤمنين" إلا الوسيلة لتحقيق هذه الإرادة وتدبير تلك المصالح[2].

ويرد هذا اللقب بكثرة في مراسلات الخلفاء السفيانيين وولاتهم على الأقاليم التي حفظتها المصادر العربية[3]، وخطبهم أيضا[4]، ولهذا كان معاوية يُصر على ضرورة اعتباره "أمير للمؤمنين" ونفي صفة الملك عن خلافته[5]، وإلحاحه على اتخاذ هذا اللقب راجع لرغبته في ترسيخ شرعية سلطته التي وصل إليها بعد قتال الخليفة علي بن أبي طالب[6]، وأيضا إشارة منه إلى كونه الخليفة الأوحد لدار الاسلام في مواجهة اعتراضات أبناء الصحابة وغيرهم على خلافته.

---

(1) – حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية في صدر الإسلام**، ص20، 21.

(2)– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص220. Abdulhadi Alajmi : **'Ulama and caliphs new understanding of the "God's caliph" term**, p109.

(3) – حول هذه المراسلات **أنظر**: مراد لكحل: **رسائل الخلفاء الأمويين جمعا ودراسة وتحليلا**.

(4) – **أنظر**: أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب**.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص31.

(6) – ألفريد لويس دي بريمار: **تأسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ**، ص309.

مع ذلك اعتبر معاوية نفسه "خليفة الله"[1] في أرضه، وترسّخت هذه الفكرة بحيث رفض أن تكون الأمة هي مصدر الشرعية الوحيد للحكم والحاكم[2]، لهذا كان يقول: "الأرض لله وأنا خليفة الله، فما أخذت فَلي، وما تركته للناس فبالفضل مني"[3]، وقال في خطبة أخرى له: "إن عمر ولَّاني ما ولاني من الشام ثم عثمان بعده، فوالله ما غششت ولا استأثرت، ثم ولَّاني الله الأمر..."[4]، وروى المدائني أن معاوية قال ذات يوم: "إن الله بعث رسوله بفضل بيِّن فلم يُرد الدنيا ولم تُرده، وكان بعده أبو بكر وعمر فلم يُرداها ولم تُردهُما، ثم كان عثمان فنال منها ونالت منه، ثم آتانا الله هذا الأمر..."[5]، والأمر المشار إليه هنا هو الخلافة.

وهذه النصوص تشير إلى عملية تبرير إيديولوجية لسلطته التي فرضها على الجماعة الإسلامية بعد قتال الخليفة علي بن أبي طالب، فأصبحت خلافته قضاء وقدر من الله عز وجل وما على الجماعة الاسلامية إلا الاذعان والخضوع لمشيئة الله والاعتراف بسلطان معاوية عليهم، وقد كان إدراك معاوية –والأمويين من بعده– ضعف حجته في استحقاق الخلافة –حجة القرابة من عثمان تحديدا– في مقابل نظريات الأحزاب الأخرى التي كانت تنادي بالشورى في الخلافة مثل الخوارج، ونظرية وراثة الرسول عند الهاشميين من علويين وعباسيين هو ما دفعهم إلى الميل إلى مذهب الجبر واتخاذهم إياه أساسا من أسس شرعية خلافتهم[6].

وقد تواصل اعتبار رئاسة الأمة "خلافة لله" بعد وفاة الخليفة معاوية، حيث خاطب أحد رجال الدولة الخليفة يزيد بعد وفاة والده قائلا: "السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أصبحت قد رُزِئْت[7] خليفة الله، وَأُعْطيت خلافة الله، ومُنحت هبة الله"[8]، وبهذا تكون الخلافة في حقيقتها "خلافة لله" في أرضه، ثم هي هبة من الله عز وجل خص بها يزيد بن معاوية، وبعد توليه الخلافة قال

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص27. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص52.

(2) – أيمن إبراهيم: **الإسلام والسلطان والملك**، ص319.

(3)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص27. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص52.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص94.

(5) – **نفسه**، ج5، ص118، 119.

(6) – حسين عطوان: **الأمويون والخلافة**، ص19.

(7) – رزئت: رزأ الشيء نقصه، والرزيئة: المصيبة بفقد الأعزة. الزبيدي: **تاج العروس**، ج1، 244. مادة (ر ز أ).

(8)– المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص75.

يزيد: "...إن معاوية بن أبي سفيان كان عبد استخلفه الله على العباد، ومَكَّن له في البلاد...وقد قلَّدنا الله عز وجل ما كان إليه"[1]، وهذا القول يلخص نظرية الجبر التي اتخذها الأمويون أساسا لتسويغ شرعية حكمهم وحصره فيهم، وتأكيد على الطابع المقدس لسلطتهم وتحريم الخروج عليهم، كما سيصبح مبررا لعنف الدولة الممارس ضد رعاياها.

2- في الفترة المروانية(64-132هـ/684-749م)

على غرار سابقيهم السفيانيين لم يقطع الخلفاء المروانيون مع الارث السياسي الراشدي ويبرز ذلك في عدة مظاهر من بينها حرصهم على تلقيب أنفسهم بلقب "أمير المؤمنين" الذي وظفه الخلفاء في خطبهم[2]، ومراسلاتهم[3].

كما استمر استخدام لقب "خليفة الله" في الفترة المروانية؛ فوصف الحجاج بن يوسف عامل العراق الخليفة عبد الملك بخليفة الله وَصَفِيّه في إحدى خطبه حيث قال: "اسمعوا وأطيعوا لخليفة الله، ولِصَفِيّه عبد الملك بن مروان"[4]، وتحفظ كتب التاريخ أيضا إشارات على اعتبار المروانيين الخلافة قضاء وقدر ساقه الله إليهم وأنهم خلفاء لله عز وجل، فبعد توليه الخلافة خطب الوليد بن عبد الملك قائلا: "الحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة"[5]. كما وصف خالد بن عبد الله القسري عامل

---

(1)- ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، ج1، ص174.

(2)- حول ورود هذا اللقب في خطب الخلفاء والولاة الأمويين **أنظر**: أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب**، حيث خصص الجزء الثاني من الكتاب لخطب العصر الأموي.

(3) - بالنسبة لمراسلات الخلفاء الأمويين وتضمنها لمصطلح "أمير المؤمنين" **أنظر**: Fred M. Donner, **Fragments of Three Umayyad Official Documents**, p34. جاسر بن خليل أبو صفية: **بردیات قرة بن شريك العبسي دراسة وتحقيق**. ودراسة سعيد مغاوري محمد: **الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية**، وقد قدمت هذه الدراسة الأخيرة مسحا لمختلف الألقاب التي تضمنتها البرديات العربية ومن بينها لقب أمير المؤمنين الذي تم استعماله في مراسلات الأمويين وتحديدا المروانيين منهم. وهو ما تؤكده بعض الدراسات الأخرى التي اهتمت بجمع رسائل الخلفاء الأمويين من المصادر المطبوعة، ومنها: دراسة مراد لكحل حول: **رسائل الخلفاء الأمويين في الفترة 41-99هـ/661-717م**، ودراسة محمد فرقاني الموسومة بـ: **رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز جمعا ودراسة وتحقيقا**. ورسائل عبد الحميد الكاتب وسالم أبي العلا التي جمعها الدكتور إحسان عباس في كتابه: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**.

(4)- أبو داود: **السنن**، ج7، ص43.

(5)- الطبري: **تاريخ الطبري**،، ج6، ص423.

مكة للوليد بن عبد الملك هذا الأخير بـــ "خليفة الله"[1].

وفي كتاب بعث به يزيد بن المهلب بن أبي صفرة للخليفة سليمان بن عبد الملك بعد فتوحه في جرجان[2] وطبرستان[3] سنة98هـ/716م وصف للخلفاء الأمويين بلقب "خلفاء الله" الذين جاؤوا بعد عهد الخلافة الراشدة الذي انتهى حسب تصور يزيد بنهاية خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[4]، وفيه إشارة إلى عدم اعتراف الأمويين بخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعتبار خلافتهم استمرار لخلافة عثمان بن عفان الذي يُعد أحد أسس شرعية الخلافة الأموية.

2-1- رسالة الوليد بن يزيد إلى الأمصار:

في رسالة الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى الأمصار سنة125هـ/742م بعد تولية العهد ابنيه "الحَكَم" ثم "عثمان" توضيح لرؤية الخليفة الوليد لإيديولوجيا "خلافة الله" التي اعتمدها أغلب الخلفاء الأمويين أساساً لشرعية حكمهم وفرض الطاعة لهم، والتصدي لانتقادات مخالفيهم، وقبل تحليل هذه الرسالة لابد من ضبط السبب الحقيقي لعرض الوليد بن يزيد إياها على الجماعة الإسلامية وهدفه من وراء ذلك.

حسب الطبري فإن الوليد بعث بكتاب العهد إلى أمصار الدولة المختلفة[5]، وقد حفظ لنا نص الكتاب الذي بعثه إلى يوسف بن عمر الثقفي والي العراق، والذي بعثه بدوره إلى نصر بن سيار عامل خراسان ومعه كتاب آخر يُطالبه فيه بقراءة كتاب أمير المؤمنين الوليد على أهل خراسان وأخذ البيعة منهم للحَكَم ثم عثمان ابني أمير المؤمنين[6].

تاريخيا يتم اختيار ولي العهد في العصر الأموي من قبل الخليفة القائم مع الأخذ بعين الاعتبار رأي النخبة الأموية ممثلة في كبار أمراء الأسرة الأموية ورجال الدولة ومستشاري الخليفة الذين

---

(1)- المقدسي: **البدء والتاريخ**، ج6، ص41.

(2) - جرجان: تقع بين طبرستان وخراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص119.

(3) - طبرستان: بلاد واسعة بنواحي فارس والغالب على طبيعتها الجبال. **نفسه**، ج4، ص13.

(4)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص544.

(5) - **نفسه**، ج7، ص218.

(6) - **نفس المصدر والصفحة**.

بإمكانهم تغيير رأي الخليفة ودفعه إلى تعديل اختياره، وانطلاقا من هذا الواقع كان على الخليفة الوليد استشارة النخبة الأموية وأخذ موافقتها على اختياره لتحقيق "شرعية مكتسبة"[1] لوليي عهده، وهذا ما فعله تحديدا، حيث أنه لما أراد البيعة لابنيه الحكم وعثمان "...شاور سعيد بن بيهس بن صهيب، فقال: لا تفعل، فإنهما غلامان لم يحتلما، ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فغضب وحبسه حتى مات في الحبس، وأراد خالد بن عبد الله على البيعة لابنيه فأبى، فقال له قوم من أهله: أرادك أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبيت فقال: ويحكم، كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته؟"[2].

اذن فإن فكرة الوليد في العهد لابنيه من بعده قد اصطدمت بمعارضة شخصيتين أمويتين، فسعيد بن بيهس واحد من أشراف الشام أما خالد بن عبد الله القسري –المستقر بالشام آنذاك– فهو واحد من كبار الولاة في الدولة الأموية، أما سبب رفضهما لهذه الخطوة فهو صغر سن الحَكَم وعثمان وعدم جواز مبايعتهما وليّين للعهد تبعا لذلك، كما أن الوليد قد خرج بهذا الاجراء عن العرف السائد حيث كان بنو أمية يُعرضون عن البيعة لأبنائهم الصغار ويؤجلون ذلك في انتظار بلوغهم الاحتلام، وحتى إن بايعوا لأحدهم فإنهم يؤخرونه ويجعلونه ولي العهد الثاني كما حصل للوليد نفسه؛ إذ أخره والده يزيد مُسبِّقا عليه شقيقه هشام[3].

لكن لماذا اختص الوليد هاتين الشخصيتين فقط بالمشورة دون غيرهما من أفراد النخبة الأموية؟ بعبارة أخرى لماذا لم يقم الوليد بتوسيع دائرة المشورة إلى شخصيات أخرى واكتفى بهاتين الشخصيتين؟ في الواقع لا تسعفنا الروايات في التأكد من عدد الأشخاص الذين استشارهم الوليد وهل اكتفى بسعيد بن بيهس وخالد القسري فقط أم لا، ومن المحتمل أن الوليد قد اكتفى بهما فقط خاصة إذا علمنا طبيعة العلاقة القائمة بين الوليد والنخبة الأموية حيث فَقَد ثقتهم بسبب استهتاره

---

[1] – يستخدم عبد الهادي العجمي مصطلح "الشرعية المكتسبة" للتعبير على مشاركة وموافقة دائرة ضيقة من الأشخاص على شخص ولي العهد المقترح من قبل الخليفة، وهذه الدائرة الضيقة تتكون من أفراد الأسرة الأموية وكبار رجال الدولة ومستشاري الخليفة. أنظر: Abdulhadi Alajmi: **Ascribed vs. Popular Legitimacy: The Case of al –Walīd II and Umayyad ahd**, p26

[2] – الطبري : **تاريخ الطبري**، ج7، ص232.

[3] – عمار العشي: **الفتنة الثالثة**، ص969. G. R. Hawting : **The First Dynasty of Islam**, p91, 92.

الأخلاقي والعداء المستحكم له من قبل هشام بن عبد الملك ورجال دولته وهذا ما أدى إلى تقويض نفوذه السياسي كخليفة[1]، دون أن ننسى الممارسات الانتقامية للوليد من أبناء هشام بن عبد الملك والمقربين منه والتي كان لها دور في تأجيج عداء أفراد الأسرة الأموية والأشراف له.

أمام هذا الفشل في استمالة النخبة الأموية إليه اضطر الوليد إلى اللجوء إلى الجماعة الاسلامية للحصول على الدعم اللازم لمشروعه التوريثي وطلب الشرعية لوليي عهده من الرعية مستعيضا بها عن النخبة الأموية عكس ما كان معمولا به من قبل الخلفاء السابقين له، لكن صغر سن الأميرين وعدم بلوغهما الاحتلام وخاصة ولي العهد الأول "الحكم" ليس هو نقطة الضعف الوحيدة والخطيرة في مشروع الوليد؛ بل إنه أحدث "بدعة سياسية" خطيرة في التاريخ الأموي لم يسبقه إليها أحد من بني أمية[2]، وتتمثل هذه البدعة في توليته العهد لابنه الحكم وهو "ابن أَمة" وهذا الفعل مناقض تماما لخط أسلافه القائم على حصر الخلافة في أبنائهم من حرائر العرب وليس أبناء الاماء مهما بلغت نجابة هؤلاء على غرار مسلمة بن عبد الملك، ذلك أن الحكم أمه "أَمَة"، بينما عثمان بن الوليد أمه هي عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان[3].

أخيرا فإنه مهما كانت غاية الوليد وأهدافه من تقديم ابن أَمَة ليكون وليا للعهد فإن هذه الخطوة –إضافة إلى صغر سنهما وموقف النخبة السلبي من شخص الوليد– هي التي دفعت النخبة لمعارضة مشروع الوليد، وأمام استحالة إقناعهم بخطوته واستمالتهم إلى جانبه فقد اضطر إلى عرض قضية ولاية العهد على الجماعة الاسلامية راغبا في الحصول على الدعم لمشروعه وضمان شرعية وليي عهده.

أما بالنسبة لرسالة العهد فقد بدأ الوليد القسم الأول منها بالحديث عن دين الله "الإسلام" والنبوة ومقاصدها فيقول: "أما بعد، فإن الله...اختار الاسلام دينا لنفسه، وجعله دين خيرته من خَلقِه، ثم اصطفى من الملائكة رُسلا ومن الناس، فَبَعثهم به، وأمرهم به..."[4]، فالله سبحانه وتعالى اختار الاسلام دينا وارتضاه لنفسه، وجعله دينا لعباده، ثم اصطفى رسلا مكلفين بتبليغ رسالته

---

(1) - Abdulhadi Alajmi: **Ascribed vs. Popular Legitimacy**, p29,30.

2- عمار العشي: **الفتنة الثالثة**، ص970.

3- مصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص167.

(4)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص219.

وهداية الناس إلى صراطه المستقيم، وقد امتدت سلسلة الأنبياء المختارين من الله عز وجل حتى انتهت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسائل وجامعة لها، وبه أنهى الله حالة العمى والضلال، والتشتت والفرقة، وهي حالة الجاهلية[1].

وبعد مرحلة النبوة تأتي مرحلة "خلفاء الله"، وقد كان استخلافهم على منهاج النبوة لتحقيق أهدافها ومقاصدها، والمتمثلة في إنفاذ حكم الله، وإقامة حدوده، والحرص على فرائضه وحقوقه، وتشييد عُرى الاسلام، والدفع بهم عن حريمه، وإقامة العدل بين عباده[2]، ثم ينتقل الوليد إلى الحديث عن تتابع سلسلة "خلفاء الله" فيقول: "فتتابع خلفاء الله على ما أَوْرَثَهُم الله عليه من أمر أنبيائه، واسْتَخْلَفهم عليه منه"[3]، وفي هذا المقطع من الرسالة نجده يجمع بين "التوريث" و"الاستخلاف"، ثم هناك غموض مرتبط بمصطلح "أمر أنبيائه"، والراجح أن يكون الوليد قد استخدم مصطلح "التوريث" للدلالة على وراثة خلفاء الله لسلطة الأنبياء، أما مصطلح "الاستخلاف" فيتعلق بمقاصد النبوة[4]، وبهذا يكون معنى العبارة أن الله أورث خلفائه سلطة الأنبياء واستخلفهم لتحقيق أهداف النبوة، لأنه لا يمكن تحقيق هذه الأهداف التي ذكرناها سابقا إلا بسلطان قاهر.

وتؤكد العبارة الموالية هذا التفسير حين يقول: "لا يتعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله، ولا يُفارق جماعتهم أحد إلا أهلكه الله، ولا يستخف بولايتهم، وَيَتَّهم قضاء الله فيهم أحد إلا أَمْكَنهم الله منه، وسَلَّطَهم عليه، وجعله نَكالا ومَوعِظة لغيره"[5]، فالحق المشار إليه من قبل الوليد هو "حق الإمرة" أي تولي السلطة، فهو خِصِّيصة للخلفاء الأمويين دون غيرهم من الراغبين في الحكم أو الخارجين عليهم،

---

[1]- **نفس المصدر والصفحة**.

[2]- **نفسه**، ج7، ص220.

[3]- **نفس المصدر والصفحة**.

[4] - حسب "ستيفن جاد" "Steven judd" فإن للوليد بن يزيد دور مهم في صياغة عقيدة "خلافة الله" الأموية، لكنه مع ذلك لم يتوقف عند هذا الحد بل قام بصياغة أساسين آخرين لسلطته وذلك بإعلان نفسه "ناصحا" و "نذيرا"، ويبرز هذان المفهومان في شعر الوليد بن يزيد تحديدا، وهذان المفهومان يرتبطان بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قام الوليد بتوظيفهما في محاولة منه لتعزيز شرعية سلطته أمام الجماعة الاسلامية. Steven judd**: Reinterpreting al-Walīd b. Yazīd**, p443, 444.

[5]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص220.

ثم هو قضاء وقدر من الله عز وجل، وأي اعتراض على سلطانهم أو الثورة عليهم هو اعتراض على قضاء الله عز وجل، وسيكون مصيره الخذلان فيكون عبرة وموعظة لغيره، خاصة وأنه في تلك الفترة تحديدا كان هناك صراع على السلطة بين الأمويين والشيعة والخوارج، مع دخول طرف رابع وهو "العباسيون" الذين كان لهم تنظيمهم الدعوي الخاص بهم.

وقول الوليد السابق عن تتابع خلفاء الله يشير إلى:

أولا: على الرغم من اعتبار الأمويين-خاصة المروانيين- أنفسهم خلفاء لله واتخاذهم هذا اللقب كأساس متين من أسس شرعيتهم في مواجهة معارضيهم؛ إلا أنهم ظلوا يعتبرون أنفسهم وارثين لسلطة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا والمنوط بهم حماية دين الاسلام وتحقيق مقاصده وهو ما يفرض على الجماعة الاسلامية طاعتهم[1]، وهذا القول ينقض ما ذهب إليه بعض الباحثين الذين يؤكدون اقتصار الخلفاء الأمويين على اعتبار أنفسهم خلفاء لله وليس للرسول صلى الله عليه وسلم[2].

ثانيا: من المؤكد أن حديثه عن تتابع "خلفاء الله" هو نفي لصفة "الملك" عن الخلفاء الأمويين وهي صفة سلبية ما فتأ المعارضون يصفون بها الخلفاء الأمويين والحكم الأموي بصفة عامة، مع ما في هذه الصفة من دلالات القوة والغلبة والقهر والاستئثار مقارنة مع رحمة الخلافة.

---

(1) – يرى "أوري روبين" أن جذور شرعية السلطة الأموية لا تتوقف عند الرسول صلى الله عليه وسلم بل يؤكد أنها امتداد "للإرث العالمي للأنبياء السابقين" الذين يُعتبر محمد صلى الله عليه وسلم آخرهم، لكنه يؤكد الدور الأساسي للرسول صلى الله عليه وسلم في تثبيت شرعية الخلفاء الأمويين إلى جانب اعتبارهم أنفسهم خلفاء لله عز وجل. **أنظر**: أوري روبين(uri rubin): **الأنبياء والخلفاء: الأسس التوراتية للسلطة الأموية**. مقال ضمن كتاب: **مقالات في السياسة الشرعية** لفهد حمودي.

(2) – من هؤلاء الباحثين خاصة: باتريشيا كرون ومارتن هيندز اللذين عملا على تأكيد رؤيتهما هذه من خلال توظيف النقود الأموية والخطابة السياسية الأموية وأيضا الشعر الأموي الذي زخر بلقب خليفة الله، وقد سار على نهجهما في هذا أيمن إبراهيم عند دراسته لأسس السلطة في الاسلام المبكر معتبرا أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول منظر لهذه الرؤية التي سيفرضها معاوية بن أبي سفيان بعد توليه الخلافة، وهو نفس الرأي الذي أخذت به بثينة بن حسين في دراستها للمقومات الايديولوجية والاجتماعية للدولة الأموية. **أنظر**: باتريشيا كرون، مارتن هيندز: **خليفة الله: السلطة الدينية في العصور الاسلامية الأولى**. أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**. بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها الايديولوجية والاجتماعية**.

2-2- الشعر الأموي

استخدم الخلفاء الأمويون شعر المدح كأداة دعائية قوية على نطاق واسع لترسيخ ادعاءاتهم في الخلافة[1]، ويرد في المدونة الشعرية الأموية كثير من الإشارات التي تدل على اعتبار الأمويين أنفسهم خلفاء لله عز وجل وما مخاطبة الشعراء لهم بلقب "خليفة الله" إلا دليل على ذلك وخاصة الخلفاء المروانيين الذين ترسخت معهم هذه الايديولوجيا، ولعل ندرة مخاطبة الشعراء الأمويين للخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد بهذا اللقب راجع إلى عدم ترسخ رؤية "خلافة الله" في هذا العهد، وإنما تم ترسيخ هذه الرؤية مع خلفاء العهد المرواني(64-132هـ/ 683-749م) ابتداء من الخليفة عبد الملك بن مروان(65-86هـ/684-705م) الذي وظفها كأساس لشرعية خلافته في مواجهة الخارجين عليه وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير الذي أعلن نفسه خليفة في مكة، وبروز ظاهرة اتخاذ الشعراء كوسيلة دعائية للأفكار السياسية التي تتبناها الدولة في العهد المرواني أكثر منه في العهد السفياني.

لقد اعتبر بعض الشعراء وصول الأمويين لحكم دار الاسلام وسياستهم الناس قضاء وقدر من الله عز وجل، وبهم جمع الله الكلمة وأعاد للجماعة الاسلامية وحدتها ورأب صدعها بعد ثورة عبد الله بن الزبير، وهذا ما يؤكده الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي في قوله[2]:

بهم جُمع الشَّملُ الشتيتُ وأصلح الإ له وداوى الصدع حتى تجبَّرا[3]
قضى الله لا ينفـك منهم خليفـــــة كريم يسوس الناس يركب منبرا

ويتضح من قول الشاعر أن سلطة الخليفة لا تنحصر في الجانب السياسي فحسب بل تمتد إلى الجانب الديني حيث تبرز الوظيفة الدينية للخليفة في اعتلائه المنبر وإمامة الناس وهدايتهم إلى سبيل الحق. ونجد نفس الرؤية عند الفرزدق الذي أكد أن الأمويين هم "ولاة الله" الذين أعاد الله بهم

---

(1) - Abdulhadi Alajmi, Khaled Keshk: **Umayyad Ideology and the Recurrence of the Past,** p16.

(2)- **شعر عبد الله بن الزبير الأسدي**، ص86.

(3)- "جبرَ العظم والفقير واليتيم جَبرا...يقال: جبرت العظم جبرا، وجبر العظم بنفسه جُبورا، أي انجبر". الزبيدي: **تاج العروس**، ج10، ص349. وهو يشير هنا إلى لم شمل الأمة وإعادة وحدتها بعد تفرقها زمن الفتنة الثانية.

للخلافة نظامها واستقامتها[1]، ونتيجة لدورهم في جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم وإطفاء نار الفتنة فإن الخلافة ستبقى في أيديهم إلى يوم القيامة[2].

أما على صعيد الخلفاء فإن للخليفة عبد الملك بن مروان مكانة كبيرة ورمزية معتبرة في الشعر الأموي كيف لا وهو الذي جعل الله الخلافة فيه وحباه بها لما رآه موضع حقها والمستحق لها[3]، واستحقاقه لها ليس من قبيل الصدفة؛ فلولاه "ما قام للناس أحكام ولا جُمَع"[4]، وبه هدى الله الناس بعد أن فرّقتهم الأهواء فصاروا شِيَعا مختلفة[5]، وفي الواقع فإن هذا التصور يوحي بكون الخليفة "حبل الله" و"الملجأ من الضلال"، فمن تمسك بالحبل نجا ومن تركه ضل طريق الهدى والصواب، وبهذا يكون انعقاد البيعة للخليفة شرط للنجاة والفوز[6]، ثم هو "المستمرُّ به أمرُ الجميع"[7]، أي أن أساس وحدة الجماعة الاسلامية واستمرارها وضمان تطبيق أحكام الدين وممارسة العبادات هو وجود خليفة قائم بالأمر على رأس هذه الجماعة، وهو ما يمثله وصول عبد الملك بن مروان للخلافة.

وبما أن الجهاد والفتح يمثل أساس مهم للشرعية وتبرير أحقية الحكم[8]، وأي تقصير في هذا الجانب يجعل شرعية الدولة ككل موضع شك[9]، فقد أولى الشعراء الأمويين اهتماما بالغا بإبراز عناية الخلفاء الأمويين بحركة الجهاد والفتح، على غرار الخليفة عبد الملك بن مروان الذي حارب أعداء الله الذين فرّقوا جماعة المسلمين فنصره الله عليهم وولّاه خلافة أرضه وحكم عباده[10]، وأصلح به حال البلاد والعباد بعد الفساد الذي أحدثه "كذّاب مكة" عبد الله بن الزبير[11].

---

(1)- **ديوان الفرزدق**، ص562.

(2)- **نفسه**، ص56، 167.

(3)- **ديوان الأخطل**، ص27. **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، ص73. **ديوان الراعي النميري**، ص63.

(4)- **ديوان جرير**، ص278.

(5)- **نفس المصدر والصفحة. ديوان الراعي النميري**، ص63.

(6)- باتريشيا كرون، مارتن هيندز: **خليفة الله**، ص82.

(7) - **ديوان الأخطل**، ص103.

(8) - Jeremy johns : **Archaeology and History of early Islam: The first seventy years,** p 418.

(9) - الفضل شلق: **الخراج والاقطاع والدولة**، ص153.

(10)- **ديوان الفرزدق**، ص26.

(11)- **نفسه**، ص26، 27.

ونتبين مما سبق كيف جهد الشعراء في إثبات أحقية عبد الملك-وبالتالي خلفاءه من بعده- في خلافة المسلمين، من خلال التأكيد على تطابق معايير شروط الخلافة التي تُجمع عليها الأمة مع شخص عبد الملك والتي في نفس الوقت لا تنطبق على منافسيه، وفي المقابل تم التقليل من شأن المعايير التي تنطبق على منافسيه أكثر مما تنطبق عليه، أو تم تجاهلها وإهمالها على غرار القرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، أو السابقة الاسلامية، ويتأكد هذه الأمر في قيام هؤلاء الشعراء بالرفع من مكانة الخليفة عبد الملك في مقابل الحط من شأن غريمه عبد الله بن الزبير، فعبد الملك هو المنصور من الله عز وجل وهو المجاهد لأعدائه والموحد لجماعة المسلمين وسبب هدايتهم وجمع كلمتهم بعد تفرقها وهذا ما يُكسب خلافته الشرعية التامة، على العكس من عبد الله بن الزبير الذي ادعى بهتانا وزورا حقه في الخلافة ونازع فيها أهلها ومُستحقيها وشق عصا الأمة وهدد وحدتها فكان مصيره القتل والصلب.

أما الخليفة الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-714م) فقد قدّر الله عز وجل أن يكون خليفة له في أرضه بعد وفاة والده عبد الملك[2]، وفيه يقول جرير[3]:

ذو العرش قدَّر أن تكون خليفة مُلِّكْتَ فاعلُ المنابر واسْلَم

إن الله عز وجل هو الذي ساق الخلافة للوليد وفضّله على جميع خلقه واختيار الشاعر لأحد أسماء الله الحسنى "ذو العرش"[4] لم يكن اعتباطيا بل إنه مناسب للمقام الذي هو مقام الحديث عن مصدر سلطة الخليفة وطبيعتها، وفي هذا التوظيف لاسم الجلالة دعوة صريحة إلى ضرورة استجابة الناس له وطاعته باعتباره الشخص الذي اختاره الله عز وجل ليجلس على عرش الخلافة، وقد

---

[1]- سوزان بينكني ستيتكيفيتش: **القصيدة والسلطة**، ص136.

[2]- **ديوان الفرزدق**، ص482، 483. **ديوان جرير**: ص303. **ديوان عدي بن الرقاع**، تح: حمود القيسي، ص159. **ديوان نابغة الشيباني**، ص51.

[3]- **ديوان جرير**، ص396.

[4]- لم يكن جرير هو الوحيد الذي وظف اسم الجلالة هذا للدلالة على تفضيل الله عز وجل للخليفة الوليد؛ بل نجد الفرزدق يوظفه أيضا قائلا: أشاروا بها في الأمر غيرك منهم وولاها ذو العرش نحلا من النُحل

حباك بها الله الذي هو ساقها إليك فقد أبلاك أفضل ما يُبلى

ديوان الفرزدق، ص487.

استدعى تقارب المعاني هذا الاختيار مما أضفى على الصورة في هذا السياق هالة من النور السماوي والذي يُشيع في النفس جلالا وخشوعا، أما الفعل "مُلِّكْتَ" الذي جاء استخدامه بصيغة المبني للمجهول ليعبر عن فكرة القضاء والقدر والتي هي فوق إرادة الانسان، وأخيرا اختتم الشاعر الصورة بدقة حين وضع نصب عيني الخليفة وظيفته الدينية باعتلائه المنابر وبهذا يتحقق التوافق بين الاختيار وبين العمل بموجبه[1]، وهكذا فالخليفة يجمع في يديه أمور الدنيا ورعاية مصالح الناس الدنيوية ومصالحهم الأخروية باعتباره إمامهم الذي يقتدون به.

وتتجلى مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في تأسيس شرعية البيت الأموي في أبيات للفرزدق في الخليفة الوليد بن عبد الملك يقول فيها[2]:

أبوك أميـــــر المؤمنين الذي بـــــه رَحى ثَبَتَتْ ما يُسْتَطـــــاع زيالُهـــــا
إذا ما رحى زالـــت بقوم ضَرَبتهـــا على الدين حتى يستقيم ثِفالهـــــــا[3]
بسيف به لاقى ببـــــدر محمـــــد بني النضْر[4] في بيض حديث صقالها
رأيت بني مروان إذ جدَّ جدهـــــم علا كل ضوء في السمـــــاء هلالهـــا
أرى الحق قاد الناس من كل جانب إليكم من الآفـــــاق تُلقى رحالهـــــا

إن في هذه الأبيات دلالة على مكانة الجهاد ودوره في إسباغ الشرعية على حكم الأمويين عموما والوليد بن عبد الملك خصوصا، فإذا كان جهاد عبد الملك قد توجه ضد الأعداء الداخليين خاصة؛ فإن حركة الفتح والجهاد الخارجي في عهد ابنه الوليد عرفت أوج قوتها واتساعها، وجهاد الوليد ضد الكفار هو في الواقع تواصل لجهاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحمل الخليفة الأموي لسيف الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل رمزية خاصة؛ إذ سيصبح رمزا من رموز الحكم الأموي، ثم هو السيف الذي لاقى به كفار قريش في غزوة بدر (2هـ/ 623م) التي تعتبر معركة فاصلة في تاريخ الاسلام والمسلمين وانتصاره فيها لا يُماثله سوى جهاد الوليد بن عبد الملك وفتوحاته.

---

(1)- صالح محمد حسن: **صورة الخليفة في الشعر الأموي**، ص21، ص22.

(2)- **ديوان الفرزدق**: ص440.

(3)- "الثِّفال: ما وقيتَ به الرَّحى من الأرض، وهو جلد يُبسط فتوضع فوقه الرَّحى". الزبيدي: **تاج العروس**، ج28، ص154. وهو يشير إلى خروج الناس عن الدين بعصيانهم للخليفة كانزياح الجلد الذي يُبسط على الأرض من تحت الرحى.

(4)- النضر بن كنانة: حي من كنانة، من العدنانية، وهو قريش. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، ج3، ص1183.

ولم يتوقف الفرزدق عند ربط صلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم والأمويين الذين ورثوا سلطته؛ بل إننا نجد في شعره ذكرا لنبيين آخرين وهما داود وسليمان عليهما السلام حيث يقول[1]:

ورثت أباك الملك تجري بِسَمْته[2] كذلك خُوط[3]النبع[4] ينبت في الأصل
كداود إذ ولَّى سليمـــان بعده خلافتـــــه نِحلا من الله ذي الفضـــــل

وفي تعقيبه على هذا البيت يرى "أوري روبين" أن سبب إعطاء هاذين النبيين مكانة عالية على الأنبياء الآخرين هو أن داود عليه السلام هو أول من قدّم الخلافة الوراثية لبني إسرائيل حين ورَّث ابنه سليمان عليه السلام مُلْكَه، "وأصبح بيت داود عليه السلام محط اهتمام آمال اليهود للمهدي المنتظر وكذلك حصل الأمويون على بريق المهدي المنتظر بمقارنة داود عليه السلام بأنفسهم"[5].

إن هذا التحليل نابع من رغبة صاحبه في إثبات الأسس التوراتية لشرعية الخلفاء الأمويين واعتبار خلافتهم تواصلا لسلطة أنبياء بني اسرائيل وصولا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكن الراجح أن ذكر الفرزدق للنبي داود وابنه سليمان عليهما السلام ووراثة الثاني لملك الأول غايته من ذلك إسباغ الشرعية على خلافة الوليد الذي ورث الخلافة عن والده عبد الملك، وهذا التوريث لم يكن نابعا عن هوى شخصي في تقديم الابن ورفع مكانته أمام جمهور المسلمين؛ بل هو قضاء وقدر من الله عز وجل.

وإذا كان ملك سليمان عليه السلام هدى ورحمة للناس فكذلك خلافة الوليد التي جاءت بعد عهد الاضطراب الذي شهدته خلافة والده، ولهذا أضحى الوليد "مصدرا للهدى والرشاد"[6]، فهو الذي يسوس الناس بالحِلم، وحكمه قائم على الوفاء والعدل، وكما يهتدي المسافرون ليلا بالقمر

---

(1)- **ديوان الفرزدق**، ص482.

(2)- السَّمت: الطريق، وهو يسمُتُ سَمْتَه أي ينحو نحوه. الزبيدي: **تاج العروس**، ج4، ص566، 567. (مادة س م ت).

(3)- الخوط: هو الغصن الناعم. **نفسه**، ج19، ص276. (مادة خ و ط).

(4)- النبع: نوع من أشجار الجبال تتخذ منه القسي. **نفسه**، ج22، ص227، 228. مادة (ن ب ع).

(5)- **الأنبياء والخلفاء**، ص91.

(6)- باتريشيا كرون، مارتن هيندز: **خليفة الله**، ص71.

لتحديد سبيلهم كذلك الخليفة الوليد يهتدي به الناس إلى الطريق المستقيم حين تغيب معالم الحق[1]، وهذا ما يُكسب خلافته الشرعية التي يفتقدها أعداؤه الخارجين عليه[2].

ويتجلى بوضوح إسهام الإرث النبوي في إسباغ الشرعية على حكم الأمويين في أبيات للفرزدق أيضا يمدح فيها الخليفة سليمان بن عبد الملك حيث شبّه فيها خلافته بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول[3]:

جُعلت لأهل الأرض أمنا ورحمة وبُرْءا لآثار القـروح الكَوالِـم[4]
كما بعـث الله النبي محمـــــدا على فترة والناس مثل البهائم

وهكذا فإن الله عز وجل قد جعل خلافة سليمان بن عبد الملك أمنا ورحمة للناس، ولعلّه يشير هنا إلى إجراءات هذا الخليفة للتخفيف من حدة ظلم وطغيان أخيه الوليد وولاته الذين ساموا الناس الخسف والقهر والتعدي على الأموال والأجساد والأرواح، لدرجة أصبح واقعهم مثل حال العرب في جاهليتهم حيث يفتك قويّهم بضعيفهم، وكما بعث الله عز وجل النبي محمد صلى الله عليه وسلم "والناس مثل البهائم" غارقون في ظلام الجهل والحيف والقهر فهداهم به إلى سبيل الحق والرشاد ومعالم العدل والرحمة، كذلك جعل الله عز وجل خلافة سليمان بن عبد الملك إحياء لسنن الحق والعدل التي هُجرت في خلافة الوليد.

3- رؤية إمارة المؤمنين عند عمر بن عبد العزيز ويزيد الثالث

لكن إيديولوجية "خلافة الله" هذه لم يتخذها كل الخلفاء الأمويين -كما ذكرنا سابقا- أساسا لشرعية الحكم، فقد كان المنهج السياسي للخليفة عمر بن عبد العزيز يعتمد على "رؤية إمارة المؤمنين"[5]، لهذا رفض اتخاذ لقب "خليفة الله" ونهى الناس عن مناداته بهذا اللقب مقتصرا لنفسه على لقب "أمير المؤمنين"، ومُذَكِّرا بأن الجماعة الاسلامية هي التي أوصلته للخلافة فهو يحكم

---

[1]- **ديوان الفرزدق**، ص482.

[2]- **نفس المصدر والصفحة**.

[3]- **نفسه**، ص612.

[4]- معنى هذا أنه أبرأ الناس من جراحاتهم ونكباتهم. إيليا الحاوي: **شرح ديوان الفرزدق**، ص560.

[5]- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص95.

باسمها، يذكر ابن عبد الحكم أن رجلا نادى الخليفة عمر بن عبد العزيز يا "خليفة الله" فرد عليه: "مَه إني لما وُلدت اختار لي أهلي اسما فسموني عمر فلو ناديتني يا عمر أجبتك، فلما كبرت اخترت لنفسي الكُنى فَكُنَّيْت بأبي حفص، فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتك، فلما وَلَّيْتُمُوني أموركم سَمَّيْتُموني أمير المؤمنين فلو ناديتني يا أمير المؤمنين أجبتك، وأما خليفة الله في الأرض فَلَستُ كذلك، ولكن خلفاء الله في الأرض داود عليه السلام وشبهُه"[1].

ومن الواضح أن غاية عمر بن عبد العزيز من اتخاذ لقب أمير المؤمنين إضافة إلى سياسته الاصلاحية هي محاولة التصالح مع الجماعة الاسلامية بعد كل ما أتاه الخلفاء والولاة الأمويون السابقون له[2]، لهذا أساس علاقته مع الجماعة الاسلامية أنه "لا طاعة لمخلوق في معصية الله"[3]، والطاعة عنده شرطها الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[4].

كما جعل الالتزام بالكتاب والسُنَّة وسيرة الخلفاء الراشدين أساس منهجه في الحكم حيث خطب قائلا: "سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَوُلاة الأمر من بعده سُننا، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها، ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها..."[5]، فالسُنة وفق تصور عمر ليست اتباع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فقط؛ وإنما هي أيضا في اتباع ولاة الأمر السابقين له، ومن الواضح أن ولاة الأمر المقصودين هنا هم الخلفاء الراشدون الأربعة رضوان الله عليهم، وفي اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بلا تغيير أو تبديل اعتصام بكتاب الله والتزام بأوامره ونواهيه، ثم إن هذه السنن معروفة ويمكن للجماعة الاسلامية

---

[1]- ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص ص51، 52. يذكر أبو زرعة في تاريخه عن عبد العزيز بن سليمان بن أبي السائب عن أبيه قال: "قلت لعمر بن عبد العزيز: والذي أكرمك بما أكرمك به من الخلافة، قال: فاستتر بيده من السماء وقال: ويحك ! تدري ما تقول؟". أبو زرعة: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص447.

[2]- حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص37.

[3]- ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**: ص ص40، 42. يقول عمر في إحدى خطبه: "ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تَعُدُّون الهارب من ظُلم إمامه عاصيا، ألا وإن أولاهما بالمعصية الامام الظالم". **نفسه**، ص 42.

[4] - ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص40.

[5]- ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص40. محمد فرقاني: **خطب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز**، ص54.

التحقق من مدى اتباعه لها والتزامه بها في سياسته[1].

وقد كانت سياسة عمر قائمة على الشورى بالدرجة الأولى وتقريب الفقهاء والأخذ برأيهم وجعلهم أعوانا له في سياسته وحكمه لرعيته وهذا منذ أيام ولايته للمدينة (87-93هـ/ 705-711م) حيث استدعى عشرة من فقهاء المدينة وقال لهم: "إني إنما دعوتكم لأمر تُؤْجَرون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظُلامة، فَأُحَرِّجُ بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغني..."[2].

وبعد توليه الخلافة (99هـ/717م) حرص على اتباع سيرة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إدارة شؤون الدولة وحكم رعيته فأرسل إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[3] أن يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا: "أما بعد فقد ابْتُليت بما ابْتُليت به من أمر هذه الأمة من غير مُشاوَرة مني ولا إرادة، يعلم الله ذلك فإذا أتاك كتابي هذا فاكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد، فإني سائر بسيرته إنِ الله أعانني على ذلك والسلام"[4].

كما عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز على رد مظالم أهل بيته وكان يخاطبهم قائلا: "فإنكم يا بني مروان قد أُعْطيتم في الدنيا حظًّا وشَرفا وأموالا، إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثُلثيه في أيديكم فَرُدُّوا ما في أيديكم من هذا المال..."[5]، وقد ابتدأ بنفسه في تطبيق سياسته هذه ثم فرضها على أهل بيته، روى ابن سعد أن عمر لما بدأ بِرَد المظالم قال: "إنه لَيَنْبَغي أن لا أبدأ بأول من نفسي"[6]، ثم إنه نظر إلى ما في يده من متاع أو أرض فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم كان

---

(1)- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص96.

(2)- ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص328. هؤلاء الفقهاء هم: عروة بن الزبير، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، سليمان بن يسار، القاسم بن محمد، سالم بن عبد الله، عبد الله بن عبد الله بن عمر، عبد الله بن عامر بن ربيعة، خارجة بن زيد بن ثابت.

(3)- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العَدَوي القرشي، اشتهر بفقهه وزهده وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، كانت وفاته سنة 106هـ/724م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج10، ص145-154.

(4)- ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص107.

(5)- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج68، ص181.

(6)- ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص335.

الوليد بن عبد الملك أعطاه إياه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه[1].

كانت سياسته الاصلاحية[2] هذه وحرصه على تَحَرِّي العدل في قراراته هي ما جعلت الجماعة الاسلامية تَنظر إليه كخليفة شرعي مقارنة مع الخلفاء الأمويين السابقين له أو الذين أتوا من بعده، ولهذا يُؤْثَرُ عن عمرو ابن عبيد[3] المعتزلي أنه قال: "أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حَقِّها، ولا باستحقاق لها، ثم استحقّها بالعدل حين أخذها"[4]، فإذا كان عمر —وفق تصور عمرو بن عبيد– قد وصل للخلافة بطريقة غير شرعية إذ عُهِد إليه بها من قِبَل خليفة غير شرعي، ولم يكن بأفضل الناس وَأَقْدَرِهم على الحكم حتى يتولاها، فإن سياسته العادلة جعلت خلافته شرعية ومقبولة لدى الجماعة الاسلامية.

وعلى غرار عمر بن عبد العزيز كان للخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك –الذي وصل للخلافة بعد ثورة أنهت خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك– رؤية تعاقدية لعلاقته مع الجماعة الاسلامية، فبعد قتل الوليد الثاني خطب يزيد خطبة تعهَّد فيها بتحقيق مجموعة من الاصلاحات لكنه منح للأمة الحق في خلع طاعته وعزله واستبداله بمن يكون رضا لهم في حال أَخَلَّ بالتزاماته التي تَعَهَّد بها أمامهم، لكن هذا لا يكون إلا بعد اسْتِتَابَتِه، وهو بهذا يجعل الأمة صاحبة السلطة ومصدر شرعيته كخليفة وهي نفس الرؤية التي وضعها الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند استخلافه، يقول الوليد: "فإن وَفَّيْتُ لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحُسْن المؤازرة، وإن أنا لم أَفِ فَلَكُم أن تخلعوني، إلا أن تَسْتَتِيبُوني، فإن تُبْتُ قَبلتم مني، فإن علمتم أحدا ممن يُعرف بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أول من يُبايِعُه ويدخل في طاعته"[5].

---

[1]– **نفس المصدر والصفحة.**

[2]– عن السياسة الاصلاحية للخليفة عمر بن عبد العزيز **أنظر:** محمد فرقاني: **رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز جمعا ودراسة وتحقيقا.** ماجدة فيصل زكريا: **عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم.**

[3]– عمرو بن عبيد: من رؤوس المعتزلة ومقدميهم، مات في خلافة المنصور حوالي سنة 144هـ/761م . الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج6 ص104، 105.

[4]– المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص205.

[5]– الطبري : **تاريخ الطبري**، ج7، ص269. عن هذه الخطبة **أنظر:** البلخي: **مقالات**، ص116، 117. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص192. الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص58.

ويُؤكد الخليفة يزيد على أن الطاعة لله أولا، وأن طاعته كخليفة مرهونة بطاعته لله عز وجل فإذا عصا الله عز وجل فلا طاعة له عليهم، فيقول: "أيها الناس، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا وفاء له بنقض عهد، إنما الطاعة طاعة الله، فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية، فهو أهل أن يُعصى ويُقتل"[1].

إن المفهوم التعاقدي للسلطة الذي تَبنَّاه الخليفة يزيد لا يتفق ومقتضيات خليفة الله وخلافة الله، فخطبته خُطبة ثورية تريد العودة إلى الأصول وتحديدا عهد أبي بكر الصديق[2]، واستعادة يزيد لمفهوم السلطة كما وضعه الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق يَتَضَمَّن بحثا عن شرعية لم يجدها عند من سبقه من الخلفاء الأمويين[3] على غرار الخليفة عمر بن عبد العزيز ولو أن هذا الأخير عُهد إليه بالخلافة من قِبل خليفة غير شرعي، وهذا ما يُفهم من قول قيس ابن هانئ العبسي[4] ليزيد بعد مبايعته: "يا أمير المؤمنين، اتَّقِ الله ودُم على ما أنت عليه، فما قام مقامك أحد من أهل بيتك؛ وإن قالوا عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بحبل صالح وإن عمر أخذها بحبل سوء"[5]، ولكن شرعية يزيد بن الوليد متأتية من دوره في إنهاء حكم ابن عمه الوليد بن يزيد المعروف بفسقه وتجبره.

4- ما الذي تقدمه المعطيات الأثرية؟

تعكس الآثار في بعض نماذجها دورا مهما في جانب الدعاية السياسية، بل إنها تشكل أحيانا رموزا دعائية سياسية في غاية الأهمية، وتبرز أهمية هذه الرموز في مقدرتها على تكثيف المذاهب والنظم السياسية وتبسيطها بشكل يساعد على سهولة إدراكها وفهمها، كما أنها تثير جوا من القوة لا غنى للداعية عنه، وتُعطي انطباعا من خلال وجودها المستمر بما يحشد المتعاطفين ويشد أزرهم ويُضعف من قوة الخصوم[6]، وهذا هو الدور الذي أدّته كثير من البقايا الأثرية الأموية، خاصة المسكوكات

---

[1]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص269.

[2]- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص99.

[3]- حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص36.

[4]- قيس بن هانئ العبسي أو العنسي: من أهل الشام قتله مروان بن محمد لما تولى الخلافة. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج49، ص 479، 480.

[5]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص269.

6- محمد عبد الستار عثمان: **دلالات سياسية دعائية للآثار الاسلامية**، ص35.

والقصور والمساجد وحتى النقوش المنتشرة في مختلف مناطق البلاد العربية.

إذا كانت المصادر الاخبارية العربية تشير إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من اتخذ لقب أمير المؤمنين[1]، فإن أقدم بيان موثق عن هذا اللقب يعود لفترة الخليفة معاوية بن أبي سفيان[2]، حيث يظهر منذ بداية خلافته على قطعة نقدية(درهم مضروب على الطراز العربي الساساني) ضربت بمدينة دَرابِجِرْد[3] سنة41هـ/661م، وقد احتوت على عبارة أمير المؤمنين باللغة الفهلوية "أمير وِرْوِشْنيكان"[4].

ثم يظهر على ورق البردي لإحدى المعاهدات في سنة42هـ/662م باللغتين اليونانية والعربية[5]، ويظهر أيضا موثقا على نقش مؤرخ بسنة 42هـ/662م في حمامات "حمة غادر" بفلسطين بالعربية واليونانية أيضا "عبد الله معاوية أمير المؤمنين *abdalla Maavia*

---

(1) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص262. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج1، ص528. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص208.

(2) – ألفريد لويس دي بريمار: **تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ**، ص309. Frédéric Imbert: **Califes et Compagnons dans les graffiti du début de l'islam**, p66.

(3) – درابجرد: منطقة واسعة في بلاد فارس وقد أخذت تسميتها من اسم المدينة. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص446.

(4) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins**, p25, 26.

اعتمد المسلمون الأوائل على تداول العملات النقدية للإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، كانت الأراضي البيزنطية تعتمد على الدينار الذهبي(solidi) والذي تضمن على أحد وجهيه إما صورة للإمبراطور وحده أو مع خلفائه المحتملين، في حين احتوى الوجه الثاني على رمز مسيحي يتمثل في شكل صليب على منصة متدرجة مع نقوش باليونانية، أو رموز دينية أخرى، بينما في العالم الساساني كانت العملة السائدة هي الدرهم الفضي(drachm) الذي نقشت على وجهه صورة الملك الفارسي(شاهنشاه) لابسا تاجه، بينما احتوى الوجه الثاني على مذبح النار وشخصيتين إضافة إلى كتابات أخرى بالفهلوية، أما الكتابات العربية على النقد فبدأت بالظهور سنة 31هـ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وتضمنت عبارة "بسم الله"، وهي تعد أول دراهم فضية من الطراز العربي–الساساني". Jere L. Bacharach: **signs of sovereignty: The Shahāda, Qur'anic verses, and the coinage of 'abd al-Malik**, p3-6.

(5) – Robert G. hoyland: **Seeing Islam as others saw it**, p690. Robert hoyland : **new documentary texts and the early Islamic state**, p399 .

amēra almoumenēn"[1].

كما يظهر في النقوش الأثرية في مناطق مختلفة من وسط الجزيرة العربية، مثل نقش سد معاوية بالطائف المؤرخ بسنة58هـ/677م[2]، ونقش سد وادي الخنق بالمدينة المنورة الذي بني في عهد معاوية أيضا[3]، أما الخليفة يزيد وابنه معاوية فإنه لم يصلنا من خلافتهم نقوش أثرية أو نقود توثق اتخاذهم هذا اللقب.

وقد تواصل العثور على شواهد توثق اتخاذ الخلفاء المروانيين للقب "أمير المؤمنين"، حيث يرد هذا اللقب في درهم مضروب على الطراز العربي-الساساني مؤرخ بسنة65هـ/684م، وقد نقشت عبارة عبد الملك أمير المؤمنين بالفهلوية "عبد الملك أمير وِرْويشْنيكان"[4]، وتاريخ النقد يوضح أنه تم ضربه في نفس العام الذي تولى فيه خلافة دار الاسلام. ويتوالى ظهوره في دراهم أخرى تعود إلى سنوات72هـ/691م[5]، و73هـ/692م[6]، و75هـ/694م[7]، و83هـ/702م[8]، وأخرى غير مؤرخة سواء دنانير أو فلوس ضربت في بلاد الشام[9].

---

(1) – Robert hoyland : **new documentary texts and the early Islamic state**, p399 . Isaac hasson: **Remarques sur l'inscription de l'époque de Mu'āwiya à Ḥammat Gader**, p99, 100.

(2) – صلاح الدين المنجد: **دراسات في تاريخ الخط العربي**، ص101، 102. ألفريد لويس دي بريمار: **تأسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ**، ص309. Robert hoyland : **new documentary texts and the early Islamic state**, p399 . Frédéric Imbert : **L'Islam des pierres : l'expression de la foi graffiti arabes des premiers siècles,** P 63 **.** انظر الملحق رقم: **02**.

(3) – سعد بن عبد العزيز الراشد: **دراسات في الآثار الاسلامية المبكرة بالمدينة المنورة**، ص45، 46. Robert hoyland : **new documentary texts and the early Islamic state**, p413. **انظر الملحق رقم 03**.

(4)- Henri Lavoix: **Catalogue des Monnaies musulmanes**, p53, 54.

(5) – محمد أبو الفرج العش: **النقود العربية الاسلامية**، ص66.

(6) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins**, p27.

(7) - **Ibid,** p24, 25. تم العثور أيضا على فلس ضرب سنة75هـ/694م يحمل عبارة "عبد الملك أمير المؤمنين"، ومن غير الواضح مكان ضربه. **أنظر**: عيسى سلمان: **درهم نادر للخليفة الأموي عبد الملك**، ص165.

(8) – محمد أبو الفرج العش: **النقود العربية الاسلامية**، ص67. **انظر الملحق رقم: 04**.

(9)– **انظر الملحق رقم:05 والملحق رقم:06**.

كما يظهر هذا اللقب في الكتابة الأثرية المخلِّدة لبناء قبة الصخرة من قبل الخليفة عبد الملك سنة72هـ/692م[1]، وأيضا على حجر معلمي في الطريق بين مدينة دمشق وبيت المقدس الذي يُخلد قيام عبد الملك بن مروان بالأمر بشقه سنة73هـ/693م[2].

في نفس الفترة تحديدا لن يكون عبد الملك هو الشخصية الوحيدة التي تحمل لقب أمير المؤمنين بل اتخذته شخصيات أخرى ثارت على الأمويين محاولة منها لكسب الشرعية أمام الجماعة الإسلامية، وأول من اتخذ هذا اللقب هو عبد الله بن الزبير الذي أصدر نقدا يحمل اسمه ولقب أمير المؤمنين بالفهلوية " عبد الله أمير وِرْويشْنيكان"[3]، وقد تم العثور على إصدارات من هذا النوع من الدرهم تعود إلى الفترة الممتدة بين سنة60هـ/679م وسنة72هـ/691م، وتم سكها في كل من اصطخر ودرابجرد وكرمان وسابور[4] وأَرَّجان بإقليم فارس[5].

وهذا يعني أنه أصدرها طيلة فترة خلافته تقريبا، بل إنه ابتدأ إصدار عملته مباشرة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان في 60هـ/679م، وقبل فرض سيطرته على إقليم العراق بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة 64هـ/683م[6]، في تأكيد منه على عدم اعترافه بخلافة بني أمية واعتبار نفسه الأحق بالخلافة.

---

(1) - Christel Kessler : **'Abd Al-malik's Inscription in the Dome of the Rock : A Reconsideration**, p9, 10. Sheila S. Blair: **what is the date of the dome of the rock?.** p86.

(2)- Katia Cytryn-Silverman : **The fifth mil from Jerusalem: Another Umayyad milestone from southern Bilad al-sham**, p606, 607. Moshe Sharon**: An Arabic inscription from the time of the caliph ʿAbd al-Malik**, p291, 292.

(3)– محمد أبو الفرج العش: **النقود العربية الاسلامية**، ص69. John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins**, p33. Henri Lavoix: **Catalogue des Monnaies musulmanes**, p52.

(4) – بيشابور أو سابور في المصادر الجغرافية العربية وهي مدينة فارسية أسسها الملك سابور الأول فحملت اسمه، تقع بين خوزستان وأصبهان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص167.

(5)– **أنظر الملحق رقم:07**.

(6) – عثر أيضا على درهم تم ضربه في مدينة "كرمان" ويحمل اسم "عبد الله بن الزبير" لكن دون لقب أمير المؤمنين وهو يعود أيضا إلى سنة 63هـ/682م. أنظر: Malek Iradj Mochiri: **Garmkirmān: a Sasanian and Early Islamic Mint in Kirmān Province,** p120.

ولم يكن عبد الله بن الزبير هو الوحيد من الثائرين الذي اتخذ هذا اللقب بل نجده على دراهم سكها الزعيم الخارجي "قَطَري بن الفجاءة" في فترات وأماكن مختلفة[1]، ففي درهم يعود إلى سنة 69هـ/688م تم ضربه في مدينة "بيشابور" ترد عبارة "عبد الله قطري أمير المؤمنين" باللغة الفهلوية[2]، وعلى الوجه الآخر من العملة ترد عبارة تتضمن شعار الخوارج وهي "بسم الله لا حكم إلا لله" باللغة العربية[3]، وهذا يعني أنه بدأ بإصدار النقد بعد عام فقط من مبايعة الأزارقة له زعيما عليها، حيث تمت مبايعته سنة 68هـ/678م بعد مقتل الزبير بن الماحوز[4].

ويرد نفس اللقب وشعار الخوارج في قطعتين نقديتين أخريين لقطري أيضا تم سكّهما في مدينة أَرْدَشير خُرَّة[5] وبيشابور[6]، وكلاهما تعودان إلى سنة 75هـ/694م[7]، وفي هذه الخطوة دلالة على قوة حركة قطري بن الفجاءة وتنظيمها، وبالتالي لا يمكن القول أنهم مجرد أفراد أو جماعة مقاتلة دون هدف ورؤية مضبوطين.

إن لقب أمير المؤمنين يشير إلى السلطة الدينية والسياسية لصاحب النقد، أما شعار "لا حكم إلا لله" الموظف في العملة أيضا فهو تعبير عن المشاعر الثورية لحركة الخوارج، كما أنه يقدم لنا لمحة عن عملية صياغة الهوية الدينية–المذهبية في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام من خلال التأكيد على الهوية المذهبية لصاحب العملة[8]، ثم إن اعتمادهم على نموذج الدرهم العربي–الساساني يمكن أن يعني أنهم كانوا في حاجة إلى هذا الإصدار لدفع أجور الجنود، وشراء الإمدادات، وأيضا رغبة منهم في الحصول على قبول لهذه العملة خارج جماعتهم أيضا، سواء من قبل المسلمين العرب أو

يبقى السؤال المطروح بالنسبة للنقود التي أصدرها ابن الزبير قبل وفاة يزيد بن معاوية وطبيعة العلاقة القائمة بينه وبين مدن إقليم فارس التي أصدرت فيها النقود.

(1) – **أنظر الملحق رقم:08**.

(2) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins**, p112.

(3) - **ibid.**

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص126، 127.

(5)– منطقة فارسية من مدنها شيراز وسيراف وغيرها. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص146.

(6) – محمد أبو الفرج العش: **كنز أم حجرة**، ص25.

(7) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins**, p113.

(8) - Adam R. Gaiser: **What Do We Learn About the Early Khārijites and Ibāḍiyya from Their Coins?,** p170.

الموالي، بل وحتى من غير المسلمين(مسيحيون، يهود، زرادشتيون...) والذين كان الخوارج متسامحين معهم[1].

إن اتخاذ الأطراف الثلاثة للقب أمير المؤمنين هو عمل غايته كسب الشرعية أمام/ومن الجماعة الاسلامية وخاصة بالنسبة لعبد الله بن الزبير وقطري بن الفجاءة اللذين صورتهما الآلة الدعائية الأموية كخارجين على الخليفة ومُفَرِّقَين للجماعة الاسلامية وناشِرَين للفتنة في دار الاسلام، كما أن إصدار ثلاثتهم لنقود تحمل لقب "أمير المؤمنين" باللغة الفهلوية وضمن المجال الجغرافي الفارسي يؤكد رغبة كل واحد منهم في استمالة العناصر الفارسية تحديدا إلى صفه بعد انقسام العناصر العربية حولهم وخاصة عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان، ويشير هذا الأمر أيضا إلى أن الصراع بينهم لم يكن عسكريا فقط بل كان إيديولوجيا واقتصاديا أيضا.

وأمام هذه التحديات الايديولوجية والعسكرية والاقتصادية أيضا أصدر عبد الملك نقود أخرى تحمل إلى جانب اللقب الأصلي "أمير المؤمنين" لقب "خليفة الله"، وكان هذا على درهم مضروب سنة75هـ/694م[2] حيث جمع فيه بين لقبي "أمير المؤمنين" و"خلفت(خليفة) الله"[3]، كما يظهر على دنانير أخرى غير مؤرخة ضربت في بلاد الشام[4]، ثم يظهر مجددا هذا اللقب على فلوس

---

(1) - **Ibid,** p175, 176. **ينظر أيضا:** محمد عبد الستار عثمان: **دلالات سياسية دعائية للآثار الاسلامية**، ص 57.

(2) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins,** p24, 25.
عيسى سلمان: **درهم نادر للخليفة الأموي عبد الملك**، ص163.

(3) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins,** p24, 25.
انظر الملحق رقم: 04. والملحق رقم: 09.
ظهر هذا اللقب على درهم يعرف باسم درهم "المحراب والعَنَزة"، لوجود نقش محراب على ظهر العملة إضافة إلى عنزة(عصا) الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وجدت عدة قطع منها يتراوح تاريخها بين سنة 74 و77هـ، انظر:
Luke Treadwell: "**Mihrab and 'Anaza" or sacrum and spear? A reconsideration of an early Marwanid silver drachm**.
كما يظهر على نموذج آخر من الدراهم يعود لنفس الفترة(75هـ)، حيث يظهر فيها ما اعتبره بعض الدارسين أنها صورة الخليفة عبد الملك بن مروان وهو متقلد سيفه، وهي نفس الصورة التي ظهرت على دنانير أخرى لنفس الخليفة. انظر: عيسى سلمان: **درهم نادر للخليفة الأموي عبد الملك**، ص164. محمد عبد الستار عثمان: **دلالات سياسية ودعائية للآثار الاسلامية**، ص57-59. **انظر الملحق رقم: 09.**

(4) - John Walker: **A Catalogue of the Arab-byzantine…**, p30, 31.
انظر الملحق رقم: 05.

ضربت بالرملة بأمر من الأمير سيلمان بن عبد الملك وهي تعود إلى الفترة الممتدة بين 92-96هـ/710-714م[1]، وتحمل عبارة "أمر بضرب الفلوس سليمان بن خليفة الله بالرملة"[2].

وبهذا فإن عبد الملك هو الخليفة الوحيد الذي وصلتنا نقود تؤكد اتخاذه لقب "خليفة الله"، والحرص على توظيف هذا اللقب من قبل عبد الملك بن مروان تحديدا بعد هزيمة عبد الله بن الزبير ومقتله نابع من رغبته في التأكيد على أنه الخليفة الأوحد لدار الاسلام الذي يحكم بقضاء وقدر من الله عز وجل، ونسف لطروحات ابن الزبير وغيره من أدعياء الخلافة على غرار قَطَري بن الفجاءة زعيم الخوارج.

ويظهر لقب "أمير المؤمنين" أيضا على دينار ذهبي مضروب سنة91هـ/709م في خلافة الوليد بن عبد الملك حيث نقشت عليه عبارة "معدن أمير المؤمنين"[3]، ويظهر أيضا في نقش بجبل أُسيس بنواحي دمشق وهو يعود إلى عهد الوليد بن عبد الملك أيضا[4]، كما عثر على قطعة نقدية تعود إلى خلافة يزيد أو هشام بن عبد الملك وهي مؤرخة بسنة 105هـ/723م وتحمل عبارة "معدن أمير المؤمنين بالحجاز"[5]، ما يشير إلى أن مصدر الذهب الذي سكت به هو أحد مناجم الحجاز.

وفي البادية الأردنية كشفت الحفريات الأثرية في موقع "قصر الموقّر" عن نقيشة أثرية تؤرخ لأمر يزيد بن عبد الملك ببناء هذا القصر ويرد فيها ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم أمر ببناء هذه البركة عبد الله يزيد أمير المؤمنين أصلحه الله وحفظه ومد له العمر والسر وأتم عليه النعمة..."[6]، وفي نواحي دومة الجندل نقش شخص مجهول كتابة يدعو الله فيها للخليفة هشام بن عبد الملك ويرد فيها ذكر لقب أمير المؤمنين حيث كتب: "اللهم اغفر لعبد الله هشام أمير المؤمنين وأقرر عينه...في رعيته، كلا سوف يعلمون"[7].

---

(1) - Nikolaus Schindel : **Sulaiman bin Khalifat Allah revisited** , p6.

(2) - **Ibid**, p5.

(3) - Miles George C: **A unique Umayyad dinar of 91 H/A.D. 709-710**, p264.

(4) – محمد أبو الفرج العش: **كتابات عربية غير منشورة في جبل أسيس**، ص257. Frédéric Imbert : **L'Islam des pierres : l'expression de la foi graffiti arabes des premiers siècles,** P 63.

(5) - Miles George C: **Rare Islamic Coins**, p20.

(6) – فوزي محفوظ: **عمارة الخلفاء**، ص190.

(7) - Frédéric Imbert : **CALIFES, PRINCES ET COMPAGNONS DANS LES GRAFFITI DU DEBUT DE L'ISLAM,** p67, 68.

وأحيانا يظهر هذا اللقب في النقوش مرتبط بأسماء بعض الأمراء الأمويين البارزين على غرار النقش الخاص بقصر "بُرقع" وهو أحد القلاع الصحراوية الأردنية في بادية الشام[1]، حيث نقش بالخط الكوفي على لوح في مدخل القاعة مكتوب فيه: "الأمير الوليد بن أمير المؤمنين عبد الملك" وهو مؤرخ بسنة81هـ/700م[2].

وفي قصر "الخَرانة"(الحَرانة)(يقع50 كلم شرق مدينة عمَّان الأردنية) يوجد فوق باب مدخل القصر نص يدعو الله لابن الخليفة والذي لسوء الحظ اسمه غير مقروء حيث ورد في النقش: "اللهم أصلح ال....ابن أمير المؤمنين"[3]، ولعل هذا النقش يعود للأمير عمر بن الوليد بن عبد الملك الذي عيّنه والده حاكما على جند الأردن، حيث يوجد في الطابق العلوي من القصر على أعمدة من الجص اسم الأمير "عمر بن الوليد"[4].

كما عثر على نقش عربي ثان في حمامات "أَنْدَرين" التي تم بنائها في فترة سابقة للعصر الإسلامي حوالي 558م، واستمر استغلالها في الفترة الأموية، والنقش مكتوب بما يبدو أنه حبر على لوح صغير من الرخام، وفي هذا النقش يظهر اسم الأمير: "معاوية بن أمير المؤمنين"[5]، وهذا النقش يعود للأمير معاوية بن هشام بن عبد الملك، وقد كان لهذا الأمير ارتباط وثيق بجند قنسرين حيث شن العديد من الغارات منها على الأراضي البيزنطية، ولم تكن بعيدة عن الرصافة التي كانت بمثابة سكن وقاعدة الخليفة هشام[6].

من خلال هذا العرض الذي تتبعنا فيه حضور كل من لقب "أمير المؤمنين" ولقب "خليفة الله" في البقايا الأثرية سواء كانت هياكل عمرانية أو عملات معدنية أو نقوش في مواضع مختلفة، أو في البرديات، ورسائل الخلفاء والولاة وخطبهم، نخلص إلى أن لقب أمير المؤمنين هو الأكثر استخداما في

---

(1) - Svend Helms: **A New Architectural Survey of Qasr Burquʿ, Eastern Jordan**, p191.
(2) - **Ibid**, p206, 207.
(3)- Frédéric Imbert : **califes, princes et compagnons dans les graffiti de l'islam**, p69.
(4) - **Ibid.**
(5)- Robert G. hoyland: **Khanāṣira and Andarīn (Northern Syria) in the Umayyad Period and a New Arabic Tax Document,** p137.
(6) - **Ibid,** p139, 140.

القاموس السياسي الأموي تأكيدا منهم على مصدر شرعية سلطتهم وأنها استمرار لسلطة الرسول صلى الله عليه وسلم، بينما كان لقب "خليفة الله" أقل ظهورا واستعمالا في الخطاب السياسي الأموي ومراسلاتهم الرسمية، وحتى في النقود التي تم ضربها طيلة العصر الأموي ظهر في إصدارات محدودة جدا، بينما لم نسجل أي حضور لهذا اللقب في النقوش الأثرية.

لكن لماذا كان إصدار النقود التي تحمل لقب "خليفة الله" محدودا للغاية مقارنة بلقب "أمير المؤمنين"؟ ولماذا اقتصر استعمال هذا اللقب في النقد على شخصية عبد الملك فقط دون بقية الخلفاء الأمويين قبله أو من بعده؟ من المحتمل أن هذه النقود كانت إصدارات خاصة بعد القضاء على منافسه عبد الله بن الزبير ولهذا كان انتشارها محدودا، أو أن الخليفة عبد الملك واجه معارضة ورفضا كبيرين من قبل الفقهاء لمثل هذه النقود ولهذا اضطر إلى إيقاف إصدارها ولم يتجرأ خلفاءه على القيام بنفس الخطوة من بعده، أما بالنسبة للنقد الذي أمر بضربه سليمان بن عبد الملك فمن المحتمل أن يكون إصدارا خاصا هو الآخر بعد بناءه لمدينة الرملة وبدء نشاط دار الضرب بها.

من جانب آخر تذهب "حياة عمامو" إلى أن سبب عدم انتشار هذا اللقب في القاموس السياسي الأموي لا على مستوى النخبة ولا على مستوى العامة يمكن أن يكون راجع إلى خشية الحكام –رغم وعيهم بتغير جوهر السلطة الاسلامية– استيعاب جمهور المسلمين كُنْه هذا التطور، لأن الوعي بهذا التطور واستيعابه يضع الشرعية التي قامت على أساسها السلطة الاسلامية في تاريخها المبكر موضع تساؤل[1]، ورغم ما في هذا التعليل من وجاهة إلا أنه يلغي فكرة اتخاذ الأمويين لرؤية إمارة المؤمنين أساسا من أسس شرعية خلافتهم واعتبار أنفسهم وارثين لسلطة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الوقت الذي اعتبروا فيه خلافتهم قضاء وقدر من الله عز وجل لتحقيق مقاصد النبوة وهذا ما وضَّحَته رسالة الوليد بن يزيد في البيعة لابنيه الحكم وعثمان.

[1] – حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص33.

ثانيا– الطاعة ولزوم الجماعة

1– الطاعة:

ترد لفظة "الطاعة" باشتقاقاتها المختلفة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة[1]، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء–59] وقد وقع اختلاف بين المفسرين في تفسير هذه الآية وتحديد "أولي الأمر" المخصوصين بالطاعة، حيث ترد في ذلك عدة أقوال، فهم:

- "أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"[2].
- أو هم "العلماء حيث كانوا وأين كانوا"[3].
- أو هم "أولوا الفقه"(الفقهاء، أولو الفقه أولو الخير)[4].
- أو هم "أولوا العقل والفقه في دين الله"[5].
- أو هم "الفقهاء والعلماء"(أولو الفقه والعلم)[6].
- أو هم "الأمراء"[7]

وينقل الشافعي(ت204هـ/819م) أن أولوا الأمر هم "أمراء سرايا رسول الله"[8]، ويعلل هذا الرأي بالقول: "لأن كل من كان حول مكة من العرب لم يكن يعرف إمارة، وكانت تَأْنَف أن يُعْطِيَ بَعْضُها بعضاً طاعة الإمارة"[9]، لكن بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وفرض سلطانه عليهم، ولما لم تكن هذه القبائل ترى الطاعة إلا لرسول الله "فأُمروا أن يُطيعوا أولي الأمر الذين أمَّرهُم رسول

---

(1)– محمد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص 429، 430، 431.

(2)– ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص244.

(3)– الخطيب البغدادي: **كتاب الفقيه والمتفقه**، ج1، ص126. ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص244. يذكر "العلماء" فقط دون أي إضافة. كرافولسكي: **أهل السنة**، ص64.

(4)– الخطيب البغدادي: **كتاب الفقيه والمتفقه**، ج1، ص126، 127، 128. ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص244.

(5)– ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص244.

(6)– الخطيب البغدادي: **كتاب الفقيه والمتفقه**، ج1، ص128، 129، 130. الدارمي: **المسند الجامع**، ص 145.

(7)– ابن أبي شيبة : **المصنف**، ج11، ص243.

(8)– الشافعي: **الرسالة**، ص79. يذكر ابن أبي شيبة "أمراء السرايا" فقط. **المصنف**، ج11، ص245.

(9)– الشافعي: **الرسالة**، ص80.

الله، لا طاعة مطلقة، بل طاعة مستثناة فيما لهم وعليهم"[1]، وفي حالة الاختلاف والتنازع بين الطرفين يُرَدَّ الأمر إلى الله والرسول(الكتاب والسنة)[2]، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء- 59].

أما الطبري فيوضح هذا الاختلاف قائلا: "واختلف أهل التأويل في "أولي الأمر" الذين أمر الله عباده بطاعتهم في هذه الآية:

- فقال بعضهم: هم الأمراء.
- وقال آخرون: هم أهل العلم.
- وقال آخرون: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.
- وقال آخرون: هم أبو بكر وعمر رحمهما الله"[3]

ثم يحسم الطبري هذا الاختلاف في تحديد أولي الأمر بأنهم "الأمراء والولاة"، وتعليله في ذلك هو "صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة"[4]، أي أن طاعة أولي الأمر مرتبطة بمدى التزامهم بحدود الله عز وجل ومصلحة المسلمين، والأمر بالطاعة في الخطاب القرآني يرتبط بثلاث فاعلين -وبوصفهم آمرين أيضا- هم على التسلسل: "الله" و"الرسول" و"أولو الأمر"، وبالنسبة لـ "الرسول" و"أولي الأمر" هم "آمرون نسبيون" لأنهم من "أهل الطاعة" اتجاه الله عز وجل، أما اتجاه الناس فهم من "أهل الأمر" الذين يَأْتَمِر الناس بهم، والكل في خط الطاعة اتجاه الله عز وجل وفي مقدمتهم الرسول صلى الله عليه وسلم[5].

وفي الآية السابقة يتجه الخطاب القرآني بأمر الطاعة إلى المؤمنين وحدهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا...﴾، وسبب عطف طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على طاعة الله لأنه ﴿مَّن يُطِعِ

---

[1]- **نفس المصدر والصفحة.**

[2]- **نفس المصدر والصفحة.**

[3]- الطبري: **تفسير الطبري**، ج2، ص ص492، 493.

[4]- **نفسه**، ج2، ص493.

[5]- عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص 176.

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء-80]، وطاعة الرسول ضرورية لتجسيد رسالة الله في الأرض، أما عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله والرسول فهي لاعتبارين:

أولا: أنه لا وجود لمجتمع سياسي من دون وجود "جماعة أمر" تتولى القيادة وتجمع الكلمة.

ثانيا: أن طاعة ولاة الأمر هي ضمان لاستمرار النظام، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر وينهي فإنما يفعل ذلك باسم الله، أما أولو الأمر فإن فِعلهم يتم باسم المؤمنين[1]، ذلك أنهم جزء من الجماعة المؤمنة، والقرآن الكريم يستخدم تعبير "أولي الأمر منكم"[2]، أو"منهم"[3]، ومعنى هذا أن "الأمر"(=السلطة) هو ليس امتياز يستمده صاحبه من الأعلى –أي تفويض من الله- إذ الجميع متساوون أمام المولى عز وجل، وإنما يُستمد من الأسفل، أي من القاعدة (=الأمة)[4].

إن قوة مصطلح "أولي الأمر" تكمن في الدعوة القرآنية لطاعتهم[5]، وإذا كان القرآن لم يحدد الآلية الخاصة بوصول أولي الأمر إلى مناصبهم التي منها يأمرون المؤمنين، ولا المدة التي يقضونها في مناصبهم، ولا الصلاحيات التي يتمتعون بها في أثناء قيامهم بأعباء السلطة[6]، فمن المؤكد أن سلطتهم يجب أن تكون شرعية وتحوز على رضا الجماعة الاسلامية، فالمسألة إذن ليست مرتبطة بالطاعة فحسب؛ بل أيضا بكيفية تبرير استحقاق هذه الطاعة، أي لماذا الطاعة؟ ذلك أن تبرير الطاعة يُضفي المشروعية على أفعال وأوامر رجل السلطة[7]، وهو بالنهاية إضفاء للشرعية على حكمه لأن الطاعة مرتبطة بحق الحاكم في الحكم وإصدار الأوامر وقيادة الجماعة وتحقيق مصالحها.

لقد أولى الخلفاء الأمويون اهتماما بالغا بمسألة الطاعة منذ أيام معاوية بن أبي سفيان لما لها من دور في تثبيت أُسُس شرعية سلطتهم، وإذا كان قِسم مهم من الجماعة الاسلامية رأى في معاوية صورة من أنهى حالة الفتنة والاقتتال وجامع كلمة المسلمين، فإن التَّسليم له بالطاعة تُوجب الاعتقاد

---

(1)- **نفسه**، ص211، 212.

(2)- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 59.

(3)- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 83.

(4)- عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص 147.

(5)- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص37.

(6)- ناصيف نصار: **منطق السلطة**، ص159.

(7)- عبد المجيد الصغير: **المعرفة والسلطة**، ص102.

بشرعية حكمه ونحن نعلم مأزق الشرعية الخطير الذي عانى منه معاوية ومن جاء بعده من الخلفاء الأمويين[1].

وإذا كنا قد أشرنا سابقا إلى اتخاذ معاوية من "شرعية الأمر الواقع" أساسا أَوَّليا لشرعية سلطته، فإن الطاعة له ارتبطت بما ذكرناه عن رؤية قسم من الجماعة الاسلامية له كضامن لوحدة الأمة بعد الفتنة، وأيضا –وهو الأهم– إلزام الناس بالطاعة بحيث لم تعد مسألة تعاقد بين طرفين فحسب؛ ذلك أن "الأقوى لا يبقى على جانب كاف من القوة ليكون دائما هو السيد إن لم يُحوِّل قوته إلى حق والطاعة إلى واجب"[2].

كان تبرير الطاعة عند معاوية مرتبط بكونه "ولي الأمر" أو "أمير المؤمنين" الذي خلف الرسول صلى الله عليه وسلم في قيادة جماعة المسلمين، كما يرتبط بنظرية "خلافة الله"، فإذا لم تكن الخلافة مجرد تعاقد مع المسلمين بل قضاء من الله لا دخل للبشر فيه، فإن مبدأ الحكم هو الطاعة التامة، وبالاستناد إلى هذه الطاعة يتم تحديد ما للطائعين من حقوق وواجبات[3]، ونجد ترسيخ هذا التوجه مع زياد بن أبيه عامل العراق لمعاوية حيث يقول في خطبته البتراء: "أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نَسُوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا...فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما وُلينا"[4]، إذن؛ فالخليفة الأموي يحكم بـ "سلطان الله" الذي خصَّه به من دون بقية عباده، وبتفويض من الخليفة يحكم الوالي رعيته، ووفق هذا المنطق فإن الجماعة الاسلامية مطالبة بالطاعة مقابل العدل الذي تُحققه السلطة، لكن عدل السلطة مرتبط بالطاعة لولاة الأمر، وأي إخلال بهذا المبدأ يؤدي بالضرورة إلى نتائج عكسية.

وفي تعليق له على سياسة زياد بن أبيه الصارمة وما ترتب عنها من نتائج يذكر الطبري أن زياد كان "أول من شدَّ أمر السلطان، وأَكَّد الملك لمعاوية، وأَلْزَم الناس الطاعة، وَتَقَدَّم في العقوبة، وَجَرَّد

---

[1]– باستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي اعتبرته الجماعة الاسلامية مستحقا للخلافة بسبب سياسته العادلة وموافقة قوله لفعله، ورده لمظالم بني أمية والتزامه التام بتعاليم الاسلام.

[2]– جان جاك روسو: **في العقد الاجتماعي**، ص39.

[3]– أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص321.

[4]– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص220. الجاحظ: **البيان والتبيين**، مج1، ج2، ص64.

السيف، وأخذ بالظَنَّة، وعاقب على الشُبْهة، وخافه الناس في سُلطانه خوفا شديدا..."[1]، معنى هذا أن توكيد سلطان معاوية وتَثبيته ارتبط بـ "إلزام" الناس الطاعة، فهي ليست مسألة اختيارية، وتشديد العقوبات لِزجر الخارجين عن طاعة الخليفة ومُمثليه في الولايات باعتبارهم نوابا عنه يحكمون باسمه، كما يؤكد قول الطبري استعداد الأمويين وولاتهم لاتخاذ إجراءات قاسية لسحق أي معارضة متصورة ضدهم، إذ لم يكونوا خائفين من خلع قفازاتهم المخملية للدفاع عن مواقعهم السيادية[2].

أما بالنسبة لتجاوز حدود الله أو المعاصي التي يرتكبها الخليفة، والمطالبة بطاعته مع ما يرتكبه من معاصي فإن الاجابة نجدها عند معاوية في حواره مع "مِسْوَرْ بن مخرمة"[3] لما سأله عمَّا يَراه مُشْتَمِلا عليه(يعني معاوية) من العيوب، وكان رد معاوية على إجابة "مسور" قائلا: "...هل لك ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفرها الله لك؟ قال: قلت: نعم، قال: فما يجعلك أحق بأن ترجو المغفرة مني، فوالله لَمَا ألي من الإصلاح بين الناس، وإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله...وإني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو فيه عن السيئات"[4].

ومع عبد الملك بن مروان تم التأكيد على أن الخروج على الخليفة وخلع طاعته معناه خلع طاعة الله عز وجل، بل والخروج من الدين، وهو ما يستوجب القتل والاستئصال، فعند خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[5] على الحجاج وعبد الملك كتب هذا الأخير إلى الحجاج: "لَعَمْري لقد خلع طاعة الله بيمينه، وسلطانه بِشِماله، وخرج من الدين عريانا، وإني لأرجو أن يكون هلاكه

---

[1]- **تاريخ الطبري**، ج5، ص222.

[2] - Fred M. Donner: **Umayyad efforts at legitimation: the Umayyads' silent heritage**, p188.

[3]- المسور بن مخرمة القرشي: من بني زهرة، من أهل الفضل والدين، سكن مكة في خلافة معاوية وكره بيعة ابنه يزيد، وقتل في حصار جيش يزيد لمكة. المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص262، 263.

[4]- عبد الرزاق الصنعاني: **المصنف**، ج11، ص345. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص151.

[5] – عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، بعثه الحجاج بن يوسف واليا على سجستان سنة 80هـ/699م ومعه جيش كبير عرف بجيش الطواويس لحسن إعداده، خلع طاعة الحجاج سنة81هـ/700م وانضم إليه كثير من القراء، وزحف بجيشه صوب العراق حيث دارت بينه وبين جيش الحجاج معارك كثيرة انتهت بهزيمته وفراره إلى رتبيل ملك الترك، هذا الأخير بعث به إلى الحجاج بعد تهديده إياه فمات في الطريق إلى العراق، يذكر خليفة بن خياط أن وفاته كانت سنة83هـ/702م. أما الطبري فيجعل ذلك سنة84هـ/703م أو 85هـ/704م، بينما يحددها الذهبي بسنة84هـ/703م. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص176-182. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص389-393. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص183، 184.

وهلاك أهل بيته واستئصالهم في ذلك على يدي أمير المؤمنين"[1]، وهذا التشديد على مبدأ الطاعة ليس لأنها أمر ديني فحسب، أو لتأمين أمان الفئة الحاكمة فقط كما يعتقد البعض[2]؛ وإنما أيضا للنتائج المترتبة على خلعها، من اضطراب الناس، واستفحال الفتن، وتعطيل الجهاد والحدود، وذهاب الأمن، وطمع الأعداء في البلاد.

وقد سار الوليد على نهج والده عبد الملك في التشديد على أمر الطاعة حيث خطب في الناس بعد توليه الخلافة حاثًّا إياهم على الطاعة ولزوم جماعة المسلمين ومُتَوعِّدا بالقتل كل من يخرج عن طاعة الخليفة[3]، واتبعه في ذلك ولاته ومنهم خالد بن عبد الله القسري الذي ظل يَحُثُّ أهل مكة على الطاعة ولزوم الجماعة وضرورة التسليم لأوامر الخليفة مُتوعدا العاصين بأشد العقوبات منها صلبه في الحرم[4]، كما حذَّرهم من استقبال وإيواء أحد ممن زاغ عن الجماعة وعصا الخليفة[5].

وفي رسالة لهشام بن عبد الملك إلى واليه على العراق يوسف بن عمر الثقفي[6] يأمره فيها بمحاربة زيد بن علي[7] لأنه-يوسف- "قائم على باب أُلْفَة وداع إلى طاعة"[8]، وبهذا يكون الخروج عن الطاعة وتفريق جماعة المسلمين أساسا ايديولوجيا ومبررا شرعيا لمحاربة كل من يثور ضد الخلفاء الأمويين.

---

(1)- المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص ص138، 139.

(2)- وفيق رؤوف: **العرب وطبائع السلطة**، ص42.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص423.

(4)- **نفسه**، ج6، ص464.

(5)- **نفس المصدر والصفحة**. يذكر الطبري أن خالد قال يوما: "والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تُقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم، إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مُخالف للجماعة زارٍ عليهم". **نفسه** ج6، ص465.

(6)- يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، تولى إقليم اليمن(106-120هـ/724-737م) ثم العراق وخراسان(120-125هـ/737-742م) لهشام بن عبد الملك ثم للوليد بن يزيد بن عبد الملك(125-126هـ/742-743م)، يصفه الذهبي بأنه "كان شهما كافيا سائسا مهيبا جبارا عسوفا جوادا معطاء"، قتله يزيد بن خالد بن عبد الله القسري سنة 127هـ/744م.الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص442، 443.

(7)- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثار بالكوفة في ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق، فهزم وقتل وصلبت جثته وكان ذلك سنة120هـ/737م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص319-321.

(8)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص170.

1-1- ضرورة الطاعة في رسالة الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

تحتل الطاعة أهمية كبرى في رسالة الوليد الثاني، لكن الجدير بالانتباه هو ربطه إياها بأبعاد كونية، فإذا كان انتظام الكون قائم على طاعة الله عز وجل فالإنسان ملزم بالدخول في هذا "الانتظام الكوني"[1] القائم على التسليم بالطاعة لله عز وجل وهو القائل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت-11]، ومطالبة الانسان بالدخول في هذا الانتظام الكوني هو معنى رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حدَّد بوحي من الله عز وجل الكيفية الصحيحة لالتزام الانسان خط الطاعة، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم عهد لأمته بإنفاذ ذلك، والخلافة هي من تقود الأمة في هذا الشأن، وبهذا تكون الخلافة قائمة على رأس العالم الانساني تقوده بالوسائل التي حددتها الرسالة النبوية في الانضواء التام في ظلال الطاعة الكونية لله عز وجل[2].

وفي رسالته يربط الوليد بين استخلاف الله عز وجل لعباده في أرضه وبين دوره -الوليد- كخليفة ولّاه الله عز وجل أمر عباده في أرضه، وهذا الدور المنوط بالخليفة القيام به لا يتم تحقيقه إلا بالطاعة والتسليم له فيقول: "فبالخلافة أَبْقَى الله من أبقى في الأرض من عباده، وإليها صَيَّرَه، وبطاعة من وَلاَّهُ إياها سَعِدَ من ألهمها ونصرها"[3]، وإذا كان انتظام الكون -كما ذكرنا سابقا- قائم على الطاعة لله عز وجل فإن انتظام أمر الجماعة لا يكون إلا بالطاعة أيضا؛ فبها "يحفظ الله حَقَّه، ويُمضي بها أمره، ويُنكِّل بها عن معاصيه، ويُوقف عن محارمه، ويَذُبُّ عن حُرُماته"[4]. ذ

ويُؤكد الوليد أن طاعة الخليفة هي من طاعة الله عز وجل "فمن أخذ بِحَظِّه منها كان لله وليا وَلِأَمْرِه مُطيعا ولِرُشْده مُصيبا"[5]، أما من ترك الطاعة وعصى الخليفة فإنه بذلك يعصي الله عز وجل، ومن فعل ذلك "خسر دنياه وآخرته، وكان ممن غَلَبت عليه الشِّقوة، واستَحوَذت عليه الأمور الغاوية،

---

[1]- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص92. يقول الوليد: "...الطاعة التي أمر الله بلزومها والأخذ بها، والأثرة لها، والتي قامت السماوات والأرض به". الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص220.

[2]- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص92.

[3]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص220.

[4]- **نفسه**، ج7، ص221.

[5]- **نفس المصدر والصفحة**.

التي تُورِد أهلها أفظع المِشارع، وتقودهم إلى شرِّ المصارع"[1]، ومعنى هذا أن التسليم بطاعة الخليفة وشرعيته هو الحد الفاصل بين طاعة الله ومعصيته وبين الهدى والضلال.

وفي القسم الثالث من الرسالة ينتقل الوليد إلى أمر "العهد" لما له من دور في حقن دماء الأمة والتئام أُلْفَتها واجتماع كلمتها واعتدال عمودها، وإذا كان الله عز وجل قد جعل الخلافة أساس انتظام الجماعة الاسلامية وقَوَام أمرها فإن هذا الانتظام لا يدوم إلا بالعهد "الذي أَلهَم الله خلفاءه توكيده والنَّظَر للمسلمين في جَسيم أمرهم فيه، ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثِقَة في المَفْزَع ومُلْتَجَأً في الأمر، ولَمًّا للشَّعْثِ، وصَلاحا لذات البين، وتثبيتا لأرجاء الاسلام وقطعا لنَزَغات الشيطان"[2].

إن هذا المبدأ الذي ألهم الله خلفاءه لتوكيده -كما في رسالة الوليد- هو في واقع الأمر عملية اختيار ضمن حد أدنى من الشورى وتأكيد على احتكار الخليفة لِحَقِّ تعيين خليفته سواء من أهل بيته أو أحد آخر من أُمَّته وانْتِفَاءِ أي دور للجماعة الاسلامية في هذا الاختيار، إذ عليها التسليم والطاعة فحسب، وفي هذا التصور رفض تام لمبدأ الشورى العام الذي تبناه بعض معارضي الأمويين في حركاتهم الثورية.

1-2- الطاعة والمعصية في رسائل عبد الحميد الكاتب:

تحتل رسائل عبد الحميد الكاتب أهمية بالغة عند التأريخ للأمويين، ذلك أن علاقة التقارب بينه وبين الخلفاء الأمويين -خاصة مروان بن محمد- في العقود الأخيرة من الحكم الأموي، إلى جانب طول مدة خدمته في الدواوين الأموية، والظروف العاصفة التي شهدها مع الأمويين، تؤدي إلى استنتاج مفاده أنه كان على دراية تامة بالأفكار التي حملوها، والمواقف التي اتخذوها، والطرق التي فكروا بها، معنى هذا أن عبد الحميد عندما كتب رسائله نيابة عنهم كان بإمكانه أن يتصور بوضوح ما يرغبون في قوله، وبأي نغمة يجب أن يُقال، وماهي الرسالة التي يجب أن تحملها، وبعبارة أخرى،

---

[1]- **نفس المصدر والصفحة.**

[2]- **نفسه**، ج7، ص222.

كان المتحدث باسمهم، والناقل الأمين لرؤاهم السياسية والعقائدية[1].

وعلى غرار رسالة الوليد بن يزيد إلى الأمصار بولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان تحتل مسألة الطاعة أهمية بالغة في رسائل عبد الحميد بن يحي الكاتب، صحيح أنه لا يشير في رسائله إلى مسألة الانتظام الكوني القائم على طاعة الله عز وجل؛ إلا أنه يؤكد على كونها أساس الدين وانتظام أمر الجماعة الاسلامية واستمرارها، فالله عز وجل اختار لنفسه الاسلام دينا، وارتضاه لعباده، ثم اصطفى منهم أنبياء ورسل مبشرين ومنذرين، فكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته هي خاتمة الرسائل وجامعة لها[2]، ثم إن الله عز وجل لم يكن ليصطفي نبيه دون أن يصطفي الجماعة التي سيكون على عاتقها احتضان دعوته ونشر دين الاسلام بين العالمين فكانوا "أهله الذين أكرمهم به، واصطفاهم له، خيرته من عباده وأهل صفوته"[3].

إن ما يميز صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا قليلون مستضعفون في الأرض، ويخافون أن يَتَخَطَّفهم الناس كما وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم[4]، لكن عبد الحميد يعود ويؤكد أن شرط انتشار الاسلام وضمان العزة والتمكين لأهله هو طاعة الله عز وجل والاعتصام بحبله والتمسك بعهده[5]، وهو ما أدركه صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت نتيجة التزامهم بطاعة الله ورسوله أن "...توكَّل(الله) لهم بالحفظ والدفع والنصر والقهر، والظهور على من خالفهم،

---

(1) - Wadad Al-Qadi : **the religious foundation of late Umayyad ideology and practice,** p40, 41.

(2) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص318، 319. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص210، 211.

(3) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص319. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص210.

(4) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص319. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص210، 211. يقول الله تعالى في كتابه الكريم في وصف حال الصحابة في بدايات الدعوة: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]

(5) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص319. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص211.

وابتغى غير سبيلهم"[1]، فالطاعة اذن هي "نظام الدين ... وقوامه وعصمته"[2].

إذا كان انتظام أمر الجماعة الأولى(مجتمع الصحابة) قائم على طاعة الله ورسوله فإن انتظام أمر الجماعة الاسلامية بعدهم قائم على الطاعة أيضا، وبهذا تصبح طاعة الخليفة واجبة وهي من طاعة الله عز وجل، وقد وعد الله عز وجل بالإعلاء "...لمن أوجبها له من ولاة الحق وأنصار الدين والإظهار لهم على من خالفهم، ونَكَب عن سبيلهم، وأراد المفارقة لحقهم"[3]، وكأني هنا بعبد الحميد الكاتب يقوم بعملية مماثلة بين الصحابة الأوائل رضوان الله عليهم الذين نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظوا دينه بالتزامهم بطاعة الله ورسوله، وبين أنصار الخلفاء الأمويين المتمسكين بطاعتهم باعتبارهم "ولاة الحق" والمنافحين عن الدين وأهله، وحتى لو كانوا أقلة مقارنة بالمخالفين لهم فإن الله سينصرهم في الأخير على أعدائهم كما نصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم وأظهرهم على عدو الله وعدوهم.

وقد اجتهد عبد الحميد في إبراز الآثار الايجابية لطاعة الأئمة على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، ففيها "مُهِمٌّ كل نعمة فاضلة، وكرامة باقية، وعافية مجلّلة، وسلامة ظاهرة وباطنة، وقوة بإذن الله مانعة"[4]، ثم إن الله عز وجل جمع "...فيها شُعب الخير وأنواع البر ومناقب الفضل، وجعلها واصلة بالإسلام سببا إلى كل هدى وفضيلة، واختيارا لكل سعادة وكرامة في عاجل وآجل"[5].

أما المتمسكين بها فإنهم "...في رضوان الله والنعيم المقيم الذي لا تغيير له ولا انقطاع ولا

---

[1] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص319. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص211.

[2] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص319. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص211.

[3] ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص320. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص211، 212.

[4] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص317. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

[5] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص320. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص211.

زوال"[1]، فالطاعة اذن ليست مجرد مفهوم ديني بل هي حجر الزاوية في الدين بالمطلق، وهي العامل الذي يُعطي شكلا خاصا لدين الله[2]، أما الإنسان المتمسك بطاعة الله عز وجل فإنه لا يفعل ما عليه فعله فحسب؛ بل إنه يجعل وجوده –بل عالمه– أمر منظم ومتماسك جيدا وذو مغزى[3].

من جانب آخر حرص عبد الحميد الكاتب على تحديد المفهوم المقابل للطاعة ألا وهو "المعصية"، فإذا كانت طاعة الخليفة هي طاعة لله عز وجل وضمان لوحدة الجماعة الاسلامية واجتماع كلمتها خلف ولاة الحق، فإن المعصية هي العكس تماما، فهي خروج عن طاعة الخليفة وعصيان لله عز وجل ومروق عن الدين وتفريق لوحدة الجماعة الاسلامية وتشتيت لأمرها وإضعاف لها[4]، وقد كانت الثورات الكثيرة التي عرفها عهد مروان بن محمد دافعا لتركيز عبد الحميد الكاتب على هذا المصطلح باعتباره "باب الشر الأوسع"، وبصفتها عصيان لله عز وجل فإنها بلاء ينزل بالفرد المفتون وأمارة على غضب الله عز وجل عليه[5].

ومثلما اجتهد كاتب الخليفة مروان بن محمد في إبراز النتائج الايجابية للطاعة نجده يجتهد أكثر في إبراز الآثار السلبية للمعصية وفق رؤية السلطة الأموية آنذاك ووفق الظرفية التاريخية الخصوصية لتلك الفترة التي غرقت فيها الخلافة الأموية في الفوضى والاضطراب وكثر الخارجون على الخليفة مروان بن محمد من أبناء الأسرة الأموية وغيرهم.

إن الآثار السلبية لمعصية ولاة الأمر كثيرة جدا بحيث تُعد مصدر كل شر وبلايا على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، وسلبياتها متنوعة فهي تمس الجانب الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، وحتى النفسي والمعنوي، فعلى الصعيد الديني هي سبب في "الدعاء لكل بلية، ومقارفة كل ضلالة، واتباع كل جهالة، وإحياء كل بدعة، وإماتة كل سنة...والعمل بكل جور وباطل، وإفناء

---

[1] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص320. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص211.

[2] - Wadad Al-Qadi : **the religious foundation of late Umayyad ideology and practice,** p58.

[3] - **Ibid**, p58.

[4] – القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج10، ص210. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص236.

[5] – رضوان السيد: **الكاتب والسلطان**، ص23.

كل حق"[1]، وقد جعلها الله عز وجل "شقاء وخسارا وتَبارا، وسببا لكل نقص وذل وهوان وحسرة، فمن اعتصم بها وأقام عليها ودعا إليها كان من إخوانها والغواة فيها"[2].

يُضاف إلى ذلك ما أعد الله عز وجل لأهلها في الآخرة "...من أليم العقاب، وسوء الحساب، وشديد العذاب، لا يفتر عنهم ولا هم فيه مبلسون[3]"[4]، ومن خلال هذا الأقوال يعمل الكاتب على إبراز الجانب الديني من وظيفة الخلافة وسلطة الخليفة التي لا تقتصر على الشؤون السياسية والعسكرية فحسب؛ بل الدينية أيضا، وأن معصية الخليفة هي سبب في فساد الدين بإحياء البدع وإماتة السنن وطمس الحق والعمل بالجور والباطل، كما أنها سبب هلكة الناس في الدنيا والآخرة .

أما على الصعيد السياسي فمعصية خلفاء الله ومُخالفة أمرهم سبب في "اجتلاب كل ضرر على الأمة، وإدبار كل منفعة"[5]، كما أنها سبب لكل "عدو قد شمت، ومنافق قد رفع إلى ما كان يؤمل رأسه، وعدو من المشركين قد طمع، وقوي بعد ضعف، وعز بعد مذلة، ورعية قد ضاعت"[6]، أما على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي فإن للمعصية آثار وخيمة جدا ففيها "...ذهاب كل نعمة، وتفرق كل كرامة، ومحق كل غنية، وهلاك كل سلامة وألفة، وموت كل عز وقوة"[7].

---

[1] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص317. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

[2] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص320. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص212.

[3] – وردت هذه العبارة في القرآن الكريم في سورة الزخرف: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ **[سورة الزخرف: 74، 75]**. أما عند ابن حمدون واحسان عباس فقد وردت: "وهم فيها لا يبلسون" ولعله خطأ. والابلاس: هو القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى. ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص30. (مادة: بلس).

[4] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص320. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص212.

[5] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص317. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

[6] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص318. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

[7] – إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

ومن نتائجها اقتتال المسلمين فيما بينهم فترى الرجل منهم "...يضرب بسيفه الذي في يديه سيف أخيه الذي كان يعتمد عليه، ويوهن عضده، ويهدم حصنه، ويقل عدده، ويهلك ثروته... ويعطب من يدعوه ويفزع إليه ويكثر بمكانه ويحرسه من غفلته عن الأعداء إذا غفل، ويكون عينا له من خلفه"[1].

ويستمر عبد الحميد في تعداد الآثار السلبية للمعصية على المجتمع فمنها "سبل قد قطعت، وامرأة قد أرملت، وصبية قد يتمت، وبلاد عامرة قد خربت، وعدد قد نقص، وبلايا قد عمت وشملت"[2]، كما لم يفته ذكر الانعكاسات النفسية لمختلف الأثار الحسية لمعصية خلفاء الله فيقول: "فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يُهْراق بغير حقه، وطفل من أبناء المسلمين قد يُتِّم من أبيه، ومَذَلَّة قد دخلت عليه، ونعمة قد زالت عنه، ووحشة حدثت، وضغائن في القلوب قد نَشبت، وشحناء قد ظهرت، وأوتار[3] قد بقيت، وعداوة في الأنفس قد استقرت، وخوف قد ظهر"[4].

إضافة إلى ما سبق فإن الملاحظ على رسائل عبد الحميد هو استعماله لمفهوم الطاعة منفردا فلا مرادف له، أما المعصية فإنه يستخدم مرادفات أخرى لها هي: الخلاف، المفارقة للحق[5]، أي أنه يركز هنا على الجانب السياسي للمعصية متمثلا في معصية ولاة الأمر، ثم إننا نجده يجمع في رسالة له بين "الفتنة" وبين معصية الخلفاء[6]، ومصطلح الفتنة في رسائل عبد الحميد مفهوم مركب، إذ يجمع في ثناياه مفاهيم متعددة هي: المعصية، الفرقة، المروق من الدين، الخروج من جماعة المسلمين وانتهاك

---

(1) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص317. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

(2) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص318. **إحسان عباس: عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

(3) – أوتار (ج: وتر) هي الجناية، والموتور: هو الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، وهو صاحب الثأر. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص274، 275. (مادة: وتر)

(4) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص317، 318. **إحسان عباس: عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص209.

(5) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص320.

(6) – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص318. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص210.

حرمة الاسلام والاستخفاف بها، وكذلك الضلالة والشبهة[1].

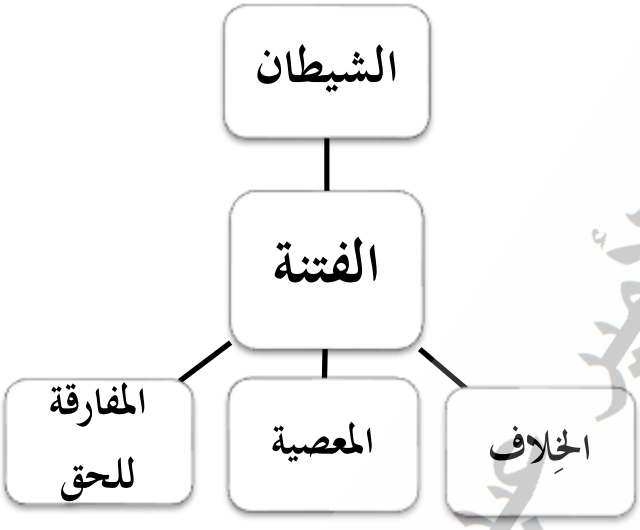

أما السبب وراء معصية الناس لله عز وجل وخروجهم عن طاعة خليفته بما يؤدي إلى إيقاظ الفتنة وانتشارها فهو يتمثل في "الشيطان" حسب عبد الحميد الكاتب، حيث يقول: "فانظروا يا معشر المسلمين ماذا تفعل الفتنة والمعصية، وكيف يدب الشيطان لها، ويسعى فيها، ويحتال بخديعته ومكره ولطيف مسالكه حتى يُلهبها ويُشعلها، ويرفعها من قلتها إلى الكثرة، ومن صغرها إلى كبرها"[2].

أما طريقته في ذلك "فإنه إنما يبدأ بالطعن على الولاة، ثم يترامى إلى الشكاة والسخط والغضب، وزين لهم القتال فبلغ الهلاك الأعظم والشر الأكبر، بطرف أمر صغير الخطر في الظاهر، عظيم البلية في الباطن"[3]. اذن فاستعار نار الفتنة يبتدأ من سعي الشيطان فيها بالخديعة والمكر،

---

[1] – وداد القاضي: **مفهوم الفتنة وصورها في أدب عبد الحميد الكاتب**، ص344. ولتفاصيل أكثر حول هذه المسألة يُنظر المبحث الثاني من الفصل الثالث.

[2] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص318. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص210.

[3] – ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج6، ص318. إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا**، ص210.

حيث يستغل ضعفاء النفوس فينبههم إلى مساوئ الحكام وزلاتهم، ثم يتدرج الأمر إلى الشكوى منهم ومن أفعالهم، وبعدها يبدأ السخط عليهم والغضب منهم، لينتقل رد الفعل من القول إلى الفعل وحمل السلاح ضد الحكام فتغرق الجماعة في الفتنة دون أن تدري.

2_ لزوم الجماعة

يَتصل مفهوم "الطاعة" السابق اتصالا وثيقا بمفهوم "الجماعة"، أي اجتماع كلمة المسلمين وَوِحْدة صَفِّهِم خلف إمام واحد، وهو مفهوم قديم نوعا ما إذ استعملته قريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم حين طالبت أبا طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم بتسليمه لها قائلة: "أَسْلِم إلينا ابن أخيك هذا؛ الذي قد خالف دينك ودين آبائك وَفَرَّق جماعة قومك..."[1]، فَوِفْق المنطق القرشي أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم المخالفة لدين قريش قد فَرَّقت وِحدة قبيلة قريش وكلمتها وشَتَّتَتْ أمرهم وأَضْعَفَت جانبهم أمام القبائل.

أما في القرآن الكريم فإنه لا يرد ذكر لهذا المصطلح بينما يرد مصطلح "الجمع"، ورغم أنه شكل من أشكال الجماعة من حيث التنظيم والاجتماع، إلا أنه يختلف عنه، إذ تنحصر دلالته في "جماعة المقاتلين" في ميدان القتال والحرب[2]، في المقابل يرى بعض المفسرين أن المقصود بـ "حبل الله" في الآية الكريمة﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[آل عمران-103] هو "الجماعة"[3]، لأن الله تعالى "يأمر بالأُلفة وينهى عن الفرقة، فإن الفُرقَة هَلَكة والجماعة نجاة"[4].

ويرجع وصف الجماعة بأنها حبل الله إلى زمن الفتنة الأولى فقد روى محمد بن سيرين[5] أنه قدم على أبي مسعود الأنصاري[6] رضي الله عنه بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

---

(1)- ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص267.

(2)- عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص ص38، 39.

(3)- القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج5، ص240.

(4)- **نفسه**، ج5، ص241.

(5)- محمد بن سيرين، ويُكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك، كان والده سيرين من سبي عين التمر بنواحي الكوفة بالعراق، وقد ولد حوالي33هـ/653م، اشتهر بالزهد والورع والفقه، توفي سنة110هـ/728م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص192، 205.

(6)- هو عقبة بن ثعلبة بن عمرو البدري الأنصاري، شهد بيعة العقبة الثانية، ولم يشهد بدرا وإنما سمي البدري لنزوله ماء بدر، مات عام 40هـ/660م أو 41هـ/661م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج20، ص215-218.

فسأله عن الفتنة فقال له: "عليك بالجماعة فإن الله لم يكن لِيَجْمَع أمة محمد على ضلالة، والجماعة حبل الله..."[1]، كما يُنسب إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خطبته في الناس قائلا: " أيها الناس، اتقوا الله، وعليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به..."[2].

ونجد في كتاب لهشام بن عبد الملك يَحُثُّ فيه عامله على العراق يوسف بن عمر الثقفي على قتال زيد بن علي بن الحسين الذي ثار بالعراق يصف الجماعة بأنها "حبل الله المتين، ودين الله القويم وعروته الوثقى"[3]، كما كان عبد الله بن المبارك[4] يقول[5]:

إن الجماعة حَبل الله فَاعْتَصموا مِنه بِعُرْوَتِه الوُثْقى لمن دانا

وفي رسالة حول الجماعة وافتراق كلمة المسلمين حفظها ابن عساكر في تاريخه يُرجع الفقيه الشامي ميمون بن مهران[6] سبب الافتراق إلى مقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه[7]، وقد نتج عن هذا الفعل افتراق المسلمين إلى أربعة فرق تلتها فرقة خامسة وهذه الفرق هي:

_ **شيعة عثمان:** وهم أهل الشام وأهل البصرة، أما أهل الشام فهم القائلون بأن الأقوى على الطلب بدم عثمان هو ابن عمه معاوية والي الشام، وأما أهل البصرة فقالوا بأن الأولى بالطلب بدم عثمان هم طلحة والزبير لأنهما من أهل الشورى[8].

---

(1)- ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**، ج10، ص34.

(2)- ابن عبد البر: **التمهيد**، ج21، ص274.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص170.

(4) – عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن، ولد سنة 118هـ/736م، صنف كتبا كثيرة في أبواب العلم وصنوفه، قدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع عن كثير من علمائها، كان ثقة مأمونا كثير الحديث، مات سنة 181هـ/797م وهو منصرف من الغزو. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص376.

(5)- ابن عبد البر: **التمهيد**، ج21، ص275.

(6)- ميمون بن مهران: من فقهاء الشام وعلمائها، اتخذ الجزيرة سكنا له، كان الغالب على أهلها في الفتوى والفقه، ومات سنة 117هـ/735م في خلافة هشام بن عبد الملك. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص483، 484.

(7)- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج39، ص495.

(8)- **نفسه**، ج39، ص495، 496.

_ **شيعة علي**: وهم أهل الكوفة[1].

_ **المرجئة**: ويسميهم ميمون "الشُكَّاك الذين شكُّوا"[2]، وهؤلاء الذين كانوا في المغازي وبعد عودتهم وجدوا الناس مختلفين وقد تركوهم مجتمعين وكلمتهم واحدة، فقالوا: "فنحن لا نتبرأ منهما – عثمان وعلي– ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله، حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما"[3].

_ **من لزم الجماعة**: ومنهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن مسلمة الفِهْرَي، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مَسلمة، في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان، وهؤلاء جميعا قالوا: "نتولى عثمان وعليا لا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالإيمان، ونرجو لهم ونخاف عليهم"[4].

_ أما الفرقة الخامسة فهي **الحرورية**: وهم الذين خرجوا على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن حكَّم الحَكَمين[5].

الملاحظ أن ميمون بن مهران رغم ما عرف عنه من ولاء للأمويين وتوليه مناصب لهم[6] إلا أنه من خلال كلامه ينفي أن يكون معاوية رضي الله عنه وأهل الشام هم الجماعة في زمن الفتنة الكبرى، كما ينفي هذه الصفة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنصاره، ويجعلهم شيعة أي فرقة وأنصارا –رغم كونه خليفة بايعته غالبية الصحابة في المدينة الذين كانوا يمثلون أهل الحل والعقد– بسبب القتال الذي دار بينهما خلال الفتنة، وهو ما يوحي بأن ميمون ينفي أن يكون علي بن أبي

---

[1]– **نفسه**، ج39، ص496.

[2]– **نفس المصدر والصفحة**.

[3]– **نفس المصدر والصفحة**.

[4]– **نفس المصدر والصفحة**.

[5]–ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج39، ص496.

[6]– تولى ميمون بيت المال بحران لمحمد بن مروان، ثم تولى خراج الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ومن بعده ليزيد بن عبد الملك. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص 483.

طالب هو صاحب الحق الأوحد في الخلافة كما يعصم معاوية من صفة الخارج عن طاعة الخليفة والمفرِّق لجماعة المسلمين ووحدتهم.

أما هؤلاء الذين يُطلق عليهم ميمون صفة "الجماعة" فما يميزهم أنهم "كانوا...على المحَجَّة البيضاء الواضحة"[1]، وسبب ذلك أنهم قالوا: "نَلْزم ما فارقنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نَلقاه ولا ندخل في شيء من الفتن حتى نلقاه"[2]، ولهذا أصبحت الفئة التي يمثلها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأصحابه الذين اعتزلوا الفتنة "الجماعة والفئة التي تُدعى فئة الاسلام"[3]، وقد ظلّوا كذلك "حتى أَذْهَب الله الفُرقة وجمع الأُلفة، فدخلوا الجماعة ولزموا الطاعة وانقادوا لها"[4].

وما يُفهم من كلام ميمون هذا أن هذه الفئة ظلّت هي "الجماعة الحقَّة" لالتزامها بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم في تجنب الفتن واعتزالها، واستمرت كذلك حتى نهاية الفتنة والاقتتال بين علي ومعاوية وانفراد الأخير بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي، عندها صار معاوية ومن بايعه هم الجماعة فدخلت "الجماعة الأولى" التي يمثلها سعد وأصحابه في "الجماعة الجديدة" التي يرأسها معاوية ولزموا طاعته وانقادوا له.

إن هذا الفهم يوضح الميل إلى التوحيد بين "الجماعة" و"الإمام"[5] حيث تصبح الجماعة من لها إمام يجمع كلمتها ويوحِّد صَفَّها ويحمي بيضتها ويَقْسم فَيْئَها، ويُنسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "يا معشر العرب، الأرض الأرضَ، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة..."[6]، وهذا القول يوضح طبيعة الارتباط الوثيق بين بقاء الاسلام واستمرار كلمة الأمة واحدة، فَحِفْظُ الشريعة لا يكون إلا باجتماع كلمة المسلمين، ولا يُمكن للجماعة أن تَتَحَقَّق إلا بوجود سلطة تجمع كلمة الناس وتحرص على تحقيق مقاصد الخلافة، ثم إن هذه المقاصد لا يُمكن تحقيقها إلا بالتَّسليم بطاعة ولاة الأمر، وفي هذا المعنى أيضا يدخل قول علي

---

[1]- ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج39، ص496.

[2]- **نفس المصدر والصفحة.**

[3]- **نفس المصدر والصفحة.**

[4]- **نفس المصدر والصفحة.**

[5] - رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص142، 143.

[6]- الدارمي: **سنن**، ص151.

بن أبي طالب رضي الله عنه لما ردَّ على شعار المحَكِّمة الأولى "لا حُكْم إلا لله" حيث قال: "لا بُد من إمارة بَرَّة أو فاجرة، قيل له: البرة لا بد منها فما بال الفاجرة؟ قال: تُقام بها الحدود، وتأمن السُّبل، ويُقسم بها الفيء، ويُجاهد بها العدو"[1].

وبعد مقتل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونهاية الفتنة سُمي العام الذي بويع فيه معاوية بن أبي سفيان "عام الجماعة"، ويبدو أن هذه التسمية ترجع إلى وقت مبكر من العهد الأموي، إذ يُنقل عن الحجاج بن يوسف قوله أن مولده كان عام الجماعة، سنة أربعين[2]، وكان أبو مسهر[3] يقول أن معاوية بُويع سنة أربعين "وهو عام الجماعة"[4]، والملاحظ أن اعتبار الشاميين لسنة أربعين(40هـ/660م) عام تولي معاوية الخلافة هو في الواقع إنكار لخلافة الحسن بن علي وأنَّ خلافة معاوية تبدأ بموت غريمه في الفتنة علي بن أبي طالب، وهذا يُناقض روايات أخرى تتفق على تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ/661م[5].

أما الزُّهْري[6] فيقول: "واستخلف أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام على الخلافة، وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يُريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة"[7]،

---

[1]- ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**، ج10، ص 8، 9.

[2]- أبو زرعة: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص 257.

[3]- أبو مسهر: اسمه عبد الأعلى وهو من فقهاء الشام وعُبادهم، مات سنة 218هـ/833م في حبس إبراهيم بن إسحاق عامل بغداد للمأمون في محنة خلق القرآن. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9 ص477، 478.

[4]- أبو زرعة: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص190.

[5]- خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص123. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص295. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص162. أما ابن سعد فنجد عنده إشارة إلى أن خلافة معاوية تبدأ سنة 40هـ/661م في قوله: "ثم قتل علي بن أبي طالب عليه السلام في شهر رمضان سنة أربعين...وصالح الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان وسلم له الأمر، وبايعه الناس جميعا فسمي عام الجماعة، واستعمل معاوية المغيرة بن شعبة تلك السنة على الكوفة". **كتاب الطبقات**، ج6، ص26. ويقول في موضع آخر عن معاوية: "فلم يزل خليفة عشرين سنة حتى مات ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين". **نفسه**، ج9، ص410. أما الطبري والبغدادي فيوضحان هذه المسألة بالقول أن معاوية بويع في بيت المقدس بعد مقتل الخليفة علي بن أبي طالب سنة40هـ/660م "أميرا للمؤمنين" من قبل أهل الشام وكان من قبل يُدعى الأمير، أما سنة41هـ/661م فقد دخل الكوفة بعدما تنازل الحسن عن الخلافة. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص161-163. البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج1، ص578.

[6] - محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري المدني، ولد سنة50هـ/670م، أخذ العلم عن جماعة من الصحابة وكبار التابعين، من كبار رواة الحديث، واشتهر بفقهه وسعة علمه، كان مقربا من الخلفاء الأمويين وأدب بعض أولادهم، توفي سنة124هـ/741م. الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ج1، ص108-113.

[7]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص158.

وهكذا فإن الزهري الموالي للأمويين يجعل الحسن بن علي رضي الله عنهما زاهدا في الخلافة وتولي أمور المسلمين وراغبا في دنيا يُصيبها من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم إن اعتباره تنازل الحسن دخولا في الجماعة هو تصريح بأن أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذين بايعوا ابنه الحسن من بعده لم يكونوا هم الجماعة، وإنما الجماعة هي التي يرأسها معاوية رغم أنه لم يُبايِعْه سوى قسم من الأمة الاسلامية وهم أهل الشام وغلبته بالقوة على بقية الأقاليم تباعا.

ظل معاوية والخطباء الأمويون من بعده–خلفاء وولاة– يؤكدون على وحدة الجماعة ويحرصون عليها تمام الحرص مع تأكيدهم على الربط بين وحدة الجماعة والتسليم بالطاعة للخلفاء، لكن هذا التشديد على وحدة الجماعة ليس ابتكارا أمويا، فالقولان المنسوبان لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يدخلان في هذا الإطار، كما يُؤْثَر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قوله لأهل الكوفة بعد رَدِّهِم سعيد بن العاص سنة34هـ/654م: "أيها الناس...إلزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعَجَلة"[1].

أما في العهد الأموي فقد تم توظيف مفردة "الجماعة" كمقابل لـ "الفتنة"، وقد عَنَت الجماعة في استخدامات الأمويين "الاجتماع على الامام"، أي أن مركز القرار هو الخليفة القائم أو السلطة القائمة، ونتيجة للآثار الفظيعة للفتنة زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد عمل الأمويون على التنفير من الخروج على السلطة أو معارضتها من خلال حرصهم على وحدة الجماعة[2]، ولا يُمكن إغفال الغايات السياسية للتوظيف الايديولوجي لمبدأ وحدة الجماعة للحفاظ على السلطة في أيديهم، ونزع الشرعية عن الحركات الثورية التي قامت ضدهم وإجهاض شعاراتهم التي رفعوها وأهمها الدعوة إلى الشورى.

ولما بَلَغَ معاوية اجتماع الشيعة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما كتب إليه قائلا: "أما بعد، فقد اِنْتَهَت إليَّ عنك أمور أَرْغبُ بِكَ عنها، فإن كانت حقًّا لم أُقارَكَ عليها...وإن كانت باطلا فأنت أَسْعدُ الناس بذلك...فَاتَّقِ شَقَّ عصا هذه الأمة وأن يرجعوا على يدك إلى

---

[1]– **نفسه**، ج4، ص332.

[2]– رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص39. Abbas Barzegar : **"Adhering to the Community" (Luzūm al-Jamāa) Continuities between late Umayyad Political Discourse and "Proto-Sunni" Identity**, p143.

الفتنة"[1]، وخطب عُتْبة بن أبي سفيان في أهل مصر قائلا: "...إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفُرقة فأعطى كل ذي حَقٍّ حَقَّه"[2]، كما كتب زياد بن أبيه إلى معاوية بعد قبضه على حُجْر بن عدي وأصحابه كتابا جاء فيه أن حجرا وأصحابه "خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونَصبوا لنا الحرب..."[3].

وفي خطبة للضحاك بن قيس أمام الوفود التي قدمت إلى دمشق لمبايعة يزيد بن معاوية وليّا للعهد توضيح لرؤية الأمويين للعلاقة بين وحدة السلطة واستمرارها وبين الحفاظ على وحدة الجماعة فيقول: "أصلح الله أمير المؤمنين...إنا قد بَلَوْنا الجماعة والأُلْفَة، والاختلاف والفُرقة، فوجدناها أَلَمَّ لِشَعْثِنا، وأَمَنَة سُبُلنا، وحَاقِنَة لِدِمائنا، وعائدَةً علينا في عاجل ما نَرجو وآجل ما نُؤمل، مع ما ترجو به الجماعة من الأُلفة..."[4]، حسب الضحاك إذن؛ فاجتماع كلمة المسلمين على يد معاوية بن أبي سفيان بعد الفتنة كانت له نتائج إيجابية من لم الشَّعْث، وتأمين السُّبُل، وحَقْن الدماء، وتوحيد الكلمة، وهو يدعو معاوية إلى العهد ليزيد من بعده لتحقيق التواصل مع عهد الاستقرار الذي عرفته خلافة معاوية مَخَافَة العودة إلى الفتنة والاقتتال على السلطة مع ما فيها من مَفْسَدة عظيمة.

ولما قبض عبيد الله بن زياد[5] والي العراق ليزيد بن معاوية على مُسلم بن عقيل بن أبي طالب[6] خاطبه قائلا له: "يا ابن عقيل أَتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لِتُشَتِّتَ بينهم

---

(1)- البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص128.

(2)- ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص137.

(3)- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص272.

(4)- ابن قتيبة: **الامامة والسياسة**، ج1، ص143.

(5)- عبيد الله بن زياد بن أبيه، ولد حوالي سنة 33هـ/653م، ولاه معاوية البصرة سنة55هـ/674م، كما تولى إمارة خراسان، وولاه يزيد بن معاوية العراق، اشتهر بدمويته ومن أفظع أعماله قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة61هـ/680م، وبعد موت معاوية بن يزيد64هـ683م هرب من العراق صوب الشام وكان له دور بارز في وصول مروان بن الحكم إلى الخلافة وفي معركة مرج راهط سنة64هـ/683م، قتل في معركة الخازر بنواحي الموصل بين جيش الشاميين بقيادته وجيش المختار بن عبيد الثقفي المتغلب على العراق وكان بقيادة إبراهيم بن الأشتر النخعي وذلك سنة67هـ/686م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص545-548.

(6)- مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، بعثه الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الكوفة لتنظيم صفوف الشيعة بها فقبض عليه عبيد الله بن زياد وقتله سنة60هـ/679م. المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص84. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص378، 379.

وتُفرِّق كلمتهم !؟"[1]، كما خاطب رسل عمرو بن سعيد بن العاص والي المدية الحسين بن علي أثناء خروجه متوجها إلى العراق قائلين له: "يا حسين، ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأمة"[2]، وبعد مقتله رضي الله عنه كان عبيد الله بن زياد يقول: "...أما قتلي الحسين فإنه خرج على إمام وأُمَّة مجتمعة"[3]، وحين ظهور أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ورفضه مبايعة يزيد بن معاوية أرسل هذا الأخير جماعة من أشراف الشام إليه وقال لهم: "انطلقوا فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة..."[4].

وقبل موقعة الحرة سنة 63هـ/682م خطب النعمان بن بشير الأنصاري[5] في أهل المدينة فأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوَّفهم الفتنة[6]، وبعد موت يزيد بن معاوية وصف حسان بن مالك بن بحدل[7] أمام أهل الأردن ابن الزبير قائلا: "يا أهل الأردن، قد علمتم أنَّ ابن الزبير في شقاق ونفاق، وعصيان لخلفاء الله، ومفارقة لجماعة المسلمين"[8].

إن هذه النصوص التي ذكرناها سابقا توضح كيف وَظَّف الأمويون في العهد السفياني مبدئي الطاعة والجماعة لحماية الأمة من الفتنة والاقتتال دون أن يعني ذلك تغييب الرغبة في إكساب سلطتهم الشرعية وضمان استمرار حكمهم، وأيضا كسب التبرير الشرعي لمحاربة وقتل كل من يخرج عن سلطانهم ويثور ضدهم حتى لو كان سبط الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص373.

[2] - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص385.

[3]- الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص261.

[4]- **نفسه**، ص241.

[5]- النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الخزرجي الأنصاري، ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بثماني سنين، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة، استعمله معاوية على حمص ثم على الكوفة، واستعمله عليها بعده يزيد بن معاوية، بعد موت معاوية بن يزيد دعا أهل حمص لمبايعة عبد الله بن الزبير فخالفوه، فخرج منها، فاتبعوه وقتلوه، وذلك بعد موقعة مرج راهط سنة64هـ/683م. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص1193.

[6]- الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص481.

[7]- حسان بن مالك بن بحدل، زعيم بني كلب ومقدمهم، والمتحالفين مع معاوية بن أبي سفيان والأمويين بعده، شهد صفين مع معاوية، وقام بأمر بيعة مروان بن الحكم في اجتماع الجابية سنة64هـ/683م، وكان له منزلة كبيرة عند الأمويين. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج6، ص309.

[8]- ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص395.

من جهته يصف الإمام الأوزاعي[1] خلافة معاوية بن أبي سفيان قائلا: "أَدْرَكَت خلافة معاوية عِدَّةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم: سعد، وأسامة، وجابر، وابن عمر، وزيد ابن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبا سعيد(الخدري)، ورافع بن خديج، وأبا أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر مما سميت بأضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله"[2].

ويضيف إليهم جماعة من التابعين منهم: "المِسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد غوث[3]، وسعيد بن المسيب[4]، وعروة بن الزبير[5]، وعبد الله بن مُحَيْريز[6] في أشباه لهم"[7]، وما يجمع هؤلاء الصحابة والتابعين الذين أدركوا خلافة معاوية حسب الأوزاعي أنهم "لم يَنزعوا يدا عن مُجَامعة في أُمَّة محمد صلى الله عليه سلم"[8]، وهذا يعني أن هؤلاء الصحابة والتابعين لم ينسوا لمعاوية رغم ما اقترفه من أخطاء أن الله قطع به الفتنة وجمع به كلمة المسلمين[9]، واجتماعهم على مبايعته وإقرارهم بخلافته وتسليم الطاعة له هو اعتراف منهم بشرعية خلافته، ويقف هذا حجة ضد القائلين بعدم شرعية معاوية وفق كلام الأوزاعي.

---

(1)- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، من أكابر علماء الشام والاسلام، ولد سنة 88هـ/696م وسكن بيروت، وبها مات سنة 157هـ/773م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص494.

(2)- أبو زرعة: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص189.

(3)- عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث القرشي، من بني زهرة، ولد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من كبار التابعين. المزي: **تهذيب الكمال**، ج16، ص525، 526.

(4)- سعيد بن المسيّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، المَدَنيُّ، ولد سنة15هـ/636م، من كبار فقهاء التابعين وزهادهم، والمقدم من فقهاء المدينة، أخذ العلم عن جماعة كثيرة من الصحابة، وكانت وفاته سنة93هـ/711م أو94هـ/712م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج11، ص66-75.

(5)- عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، من فقهاء التابعين بالمدينة وحُفَّاظهم، عالم بالسير، وهو أول من صنف في المغازي حسب الواقدي، ولد سنة 23هـ/643م، وتوفي سنة94هـ/712م. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص195-197.

(6)- عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب القرشي الجمحي المكي، سكن فلسطين وكان من علماء الشام وزهاده. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص494، 495.

(7)- أبو زرعة: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص190.

(8)- **نفس المصدر والصفحة**.

(9)- رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص77.

إلى جانب ذلك كان لاجتماع كلمة المسلمين على معاوية دورا في إعادة بعث حركة الجهاد والفتح المتوقفة زمن الفتنة، يذكر الفقيه الشامي المعروف سعيد بن عبد العزيز[1]: "لما قتل عثمان واختلف الناس لم تكن للناس غازية ولا صائفة حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة أربعين وسموها سنة الجماعة"[2]، وبعد اجتماع الكلمة عليه "...أغزا معاوية الصوائف، وَشَتَّاهم بأرض الروم سِتَّ عشرة صائفة، تصيف بها وتَشْتُوا، ثم تَقْفَل وتدخل مُعْقِبَتُها، ثم أغزاهم معاوية ابنه يزيد في سنة خمس وخمسين في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في البر والبحر حتى جاز بهم الخليج وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ثم قفل"[3].

وفق هذا القول فقد أدَّى مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وما نتج عنه من الاقتتال بين المسلمين وتَفَرُّق كلمتهم إلى إيقاف عمليات الجهاد والفتح مع ما في ذلك من خطر على دار الاسلام من طمع للعدو فيها وتعديه على أراضي المسلمين وأرواحهم، واستمر الوضع على حاله حتى مبايعة معاوية بن أبي سفيان خليفة وإنهائه حالة الفتنة واجتماع كلمة المسلمين عليه في ما سماه الشاميون عام الجماعة–وخلافة معاوية تبتدأ عند سعيد بن عبد العزيز أيضا بمقتل علي رضي الله عنه في إشارة إلى عدم الاعتراف بخلافة ابنه الحسن– وكان هذا سبب عودة حركة الجهاد والفتح عبر سلسلة من الغزوات ضد الأراضي البيزنطية تحديدا حتى وصلت إحدى الحملات التي قادها يزيد ولي العهد بنفسه إلى أسوار القسطنطينية، وبِتَمَكُّن معاوية من تحقيق أَحَد أَهَمِّ مقاصد الخلافة وهو الجهاد في سبيل الله ونشر كلمة الاسلام فإنَّ هذا يمنح سلطته شرعية وقبولا لدى الجماعة الاسلامية، ليس هو فحسب وإنما ابنه يزيد أيضا الذي ظهر بمظهر الحريص على الجهاد وقيادة الحملات بنفسه.

وخلال العهد المرواني يشير المحدّث الشامي أبو مسهر[4] عن اجتماع الناس على مبايعة مروان ابن الحكم فيقول: "...بايع مروان أهل الأردن وطائفة من أهل دمشق، وسائر الناس زبيريون، ثم

---

[1]– سعيد بن عبد العزيز التنوخي: من فقهاء أهل الشام وعبادهم وحفاظ الدمشقيين وزهادهم، مات سنة 167هـ/783م. ابن حبان البستي: **مشاهير علماء الأمصار**، ص216.

[2]– **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص188.

[3]– **نفس المصدر والصفحة**.

[4]– أبو مسهر الغساني، واسمه عبد الأعلى، من أهل دمشق، من رواة الحديث الشاميين، امتحنه عبد الله بن هارون والي الرقة زمن المأمون في القول بخلق القرآن ثم حبسه، فلم يلبث في حبسه يسيرا حتى مات سنة 218هـ/833م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص477، 478.

اقتتل مروان وشيعة ابن الزبير يوم مرج راهط فظفر مروان وشيعته بشيعة ابن الزبير، واجتمع الناس لمروان"[1]، فعلى الرغم من أن مروان لم يُبايعه إلا أهل الأردن وقسم من أهل دمشق وسائر الناس مع ابن الزبير، فإن أبا مسهر يشير إلى اجتماع الناس على مروان بعد انتصاره على أنصار ابن الزبير بقيادة الضحاك بن قيس في معركة مرج راهط، والناس المشار إلى اجتماعهم على مروان في كلام أبي مسهر هم أهل الشام فقط لأن بقية الأقاليم على ولائها لابن الزبير حتى وإن لم يكن ولاء تاما كحال أهل مصر والعراق، ولا ندري إن كان يقصد أن اجتماع كلمة الشاميين على مروان تكفي لاعتباره إمام الجماعة وتُلزم بَقيَّة المسلمين في الأمصار الأخرى بمبايعته والطاعة له، أم يشير إلى اجتماع كلمة أهل الشام فقط على مروان بن الحكم بعد تفرقهم إلى مروانيين وزبيريين.

من جهته يذكر الفقيه عبد الله بن ذكوان(أبو الزناد)[2] أن عبد الملك بن مروان "أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة74هـ/693م"[3]، ومعلوم أن قضاء عبد الملك على ثورة ابن الزبير كان سنة 73هـ/ 692م لهذا يُطلق أبو الزناد تسمية "عام الجماعة" على العام الذي فرض فيه عبد الملك نفسه كخليفة أوحد لدار الاسلام، وهي عملية مماثلة مع العام الذي تولى فيه معاوية الخلافة.

وقد تواصل التأكيد على مبدأ الجماعة كأساس من أسس شرعية الحكم الأموي، ووسيلة أيضا لجمع كلمة المسلمين وحفظها من الافتراق، وتحقيق الاستقرار في الدولة الاسلامية بعد سلسلة من الحروب الداخلية والثورات[4]، ويظهر هذا التأكيد والحرص من خلال رسائل الخلفاء والولاة وخطبهم، فقد كتب عبد الملك بن مروان إلى زُفَرْ بن الحارث الكلابي[5] الذي رفض مبايعته واعتصم

---

[1]- أبو زرعة: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص191.

[2]- عبد الله بن ذكوان القرشي المعروف بأبي الزناد، من كبار فقهاء المدينة، مات حوالي 130هـ/747م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج2، ص329.

[3]- البلاذري: **فتوح البلدان**، ص655.

[4] - Abbas Barzegar : **"Adhering to the Community" (Luzūm al-Jamāa),** p146.

[5]- زفر بن الحارث الكلابي: سكن البصرة ثم انتقل إلى الشام، وشهد وقعة صفين إلى جانب معاوية وكان أميرا على أهل قِنَّسرين، ثم صار زُبَيريا وشهد معركة مرج راهط إلى جانب الضحاك بن قيس، هرب بعدها إلى قرقيسياء بأرض الجزيرة وتحصن بها. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص34.

منه بِقَرْقِيسْيَاء[1] كتابا يدعوه فيه "إلى الطاعة ولزوم الجماعة"[2].

كما حَذَّر عمرو بن سعيد ابن العاص(الأشدق) الذي خرج عليه وأغلق أبواب دمشق دونه قائلا: "لا تُفسد أمر أهل بيتك وما هُم عليه من اجتماع الكلمة"[3]، لأن في ذلك إضعاف لقوتهم خصوصا في تلك الفترة الحرجة حين كان يَهُمُّ بقتال زفر بن الحارث ثم مصعب بن الزبير في العراق، وبعد مقتل مصعب خطب عبد الملك في أهل العراق "فعظَّم عليهم حَقَّ السُّلطان، وقال لهم هو ظِلُّ الله في الأرض، وَحَثَّهُم على الطاعة والجماعة"[4].

وبعد توليه الخلافة سنة86هـ/705م خطب الوليد بن عبد الملك في الناس قائلا: "أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإنه من أبدى ذات نفسه ضَرَبْتُ الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه"،[5] وفي هذا القول إشارة إلى التغير الحاصل في طبيعة الخطاب السياسي الأموي وأسلوب مخاطبة الأمة في هذا العهد، أما الحجاج بن يوسف والي المروانيين القوي فإنه بَرَّر أعمال القتل التي قام بها قائلا لسعيد بن جبير: "...إنما أقتل من شقَّ عصا الجماعة، ومال إلى الفُرْقَة التي نهى الله عنها"[6]، فهو إذن –حسب رأيه– لا يقتل رغبة في القتل وتَعَدِّيًا على أرواح الناس ولكن حِفاظا على وحدة الجماعة الاسلامية وحِفظا لها من الافتراق والعودة إلى حالة الفتنة المكروهة.

وفي كتاب العهد بالخلافة لعمر بن عبد العزيز نَجِدُ سليمان بن عبد الملك يوصي أفراد البيت الأموي بالسمع والطاعة له ويحذرهم اختلاف كلمتهم في أمر البيعة لعمر مما يُطْمِع أعداءهم فيهم ويُنشطهم للعمل على إنهاء حكمهم، وفي هذه الوصية أو العهد توظيف لمبدئي الطاعة والجماعة لغايات سياسية تتمثل في الحفاظ على استقرار الحكم وبقاء السلطة في يد البيت الأموي[7].

---

(1)– بلد على نهر الخابور، وهي من أرض الجزيرة الفراتية. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص328، 329.

(2)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص47.

(3)– المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج3، ص ص109، 110.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص111.

(5) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص283.

(6) – ابن قتيبة: **الامامة والسياسة**، ج2، ص44.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص551.

أما هشام بن عبد الملك فقد وصف يوسف بن عمر الثقفي عامله على العراق بأنه "قائم على باب أُلْفة، وداع إلى طاعة، وحاضٍّ على جماعة"[1]، لهذا يجب عليه الثقة بربه والغضب لدينه والعمل على ضمان وحدة الأمة واجتماع كلمتها، والاجتهاد في حرب من عصى الله ودعا إلى الخروج عن طاعة الخليفة وفَرَّق الجماعة[2].

وقد تَواصل هذا الحرص على وحدة الجماعة إلى أواخر العهد الأموي، ففي معركة أصبهان بين جيوش الثورة العباسية والجيش الأموي نادى منادي الأمويين جيوش الثائرين قائلا: "يا معشر المسلمين، اتَّقوا الله وراجعوا جماعتكم، ولَكُم الأمان على ما أَحْدَثْتُم في هذه الفتنة، ولكم العطاء والرزق الواسع"[3].

هكذا فقد ظل الأمويون يشددون على أهمية التمسك بوحدة الجماعة، فكان التشتت والفرقة واتباع النزعات الفردية يعني الضلال والموت، بينما التمسك بالجماعة يعني اتباع الطريق الصحيح والآمن، وهذا لا يتم إلا من خلال طاعة الأئمة الذين كانوا يشكلون منارات يتوجب على الرعية اتباعها للنجاة[4]، وبما أن الخلافة الأموية قد واجهت معارضة أيديولوجية وعسكرية في جميع أقاليم الخلافة تقريبا فلا عجب أن يكون خطاب "وحدة الجماعة" مكوِّنا عضويا في الخطاب السياسي الأموي، وفي الواقع لقد شكّلت "اللحظة المروانية" تحديدا السياق الاجتماعي والتاريخي والسياسي لبروز خطاب الجماعة كمؤشر على الانتماء الاسلامي، وهي الفكرة التي سيتبناها المفسرون السنة فيما بعد[5].

وهذا التصور هو الذي مَكَّن الأمويين من توظيف إيديولوجيا "خلافة الله" و"الطاعة" و"لزوم الجماعة" لإضفاء الشرعية على سلطتهم بعدما فرضوا أنفسهم على الجماعة الاسلامية، فاعتبروا أنفسهم خلفاء لله وفرضوا على الجماعة الاسلامية طاعتهم حرصا على استمرار حكمهم وبقاء

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص170.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**.

(3) – مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار العباس وولده**، ص340.

(4) - Patricia Crone: **God's rule Government and Islam**, p42.

(5) - Abbas Barzegar : **"Adhering to the Community" (Luzūm al-Jamāa),** p148.

السلطة في أيديهم، وأيضا ضمانا لوحدة الجماعة الاسلامية وحماية لها من الفتنة وهذا في سياق فهمهم لوظيفتهم كولاة لأمور المسلمين، وسيتم توظيف هذه الايديولوجيات لتبرير أعمال العنف التي قام بها الخلفاء والولاة ضد الجماعات والأفراد المعارضين لهم أو الثائرين عليهم، مع ذلك فإن الخلفاء الأمويين لم يحدثوا قطيعة تامة مع الإرث السياسي الراشدي حين اتخذوا لقب "أمير المؤمنين"، كما اتخذ بعض خلفاءهم رؤية إمارة المؤمنين أساسا لحكمهم ومُحَدِّدا لعلاقتهم مع رعيتهم.

ثالثا– الخطاب السياسي الأموي وهاجس الشرعية

تحتل مسألة الشرعية حيزا هاما من الخطاب السياسي الأموي حيث أولى الحكام الأمويون اهتماما بالغا بتبرير سلطتهم أمام الجماعة الاسلامية متخذين من "الايديولوجيا" وسيلة لهم في ذلك، وقبل أن نعرض العناصر المميزة للخطاب السياسي الأموي يجدر بنا التعريف أولا بمصطلح "الخطاب".

1– مفهوم الخطاب:

1–1– في الثقافة العربية:

تعتبر مفردة "الخطاب" في المعجم اللغوي العربي ابتكارا قرآنيا[1] إذ ترد في القرآن الكريم في ثلاث آيات[2]، وفي دراسة تأصيلية للخطاب في الثقافة العربية اعتمادا على المصادر الأصول ممثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولسان العرب الذي يعتبر موسوعة جامعة هدف من خلالها ابن منظور إلى جمع مفردات اللغة العربية والحفاظ عليها من "شوائب الدخيل" زمن التراجع والضعف الحضاري العربي[3]، يصل الباحث التونسي المختار الفجاري إلى ضبط دلالة الجذر (خ ط ب) في ثلاث مستويات هي:

---

(1) – عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص20.

(2) – ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[ص– 20]، ﴿**إِنَّ هُذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾[ص–23]، ﴿**رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**﴾[النبأ–37]. أما مشتقات الجذر (خ ط ب) فهي ترد في اثني عشر آية في القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص235.

(3) – المختار الفجاري: **تأصيل الخطاب في الثقافة العربية**، ص29.

- **الشأن والغرض:** والدلالة على ذلك في هذه المادة يختص به المصدر المشتق منها "خَطْبْ" وقد تردد هذا المعنى في القرآن الكريم خمس مرات[1].

- **كلام حامل لشأن أو غرض:** والدلالة على ذلك في هذه المادة تشترك فيها الأفعال: خَطَبَ، خاطَبَ والمصادر المشتقة منها، وفي هذا المستوى يحمل الجذر (خ ط ب) دلالة الكلام سواء كان شفهيا أم كتابيا، وهو كلام حامل بالضرورة لغرض ما[2].

وأما ذكر "فصل الخطاب" و "أما بعد" فتكمن أهميته في التأكيد أن للخطاب جوهرا وغرضا، فـ "أما بعد" ترد في الرسالة المكتوبة أو الخطبة لتنبيه القارئ لجوهر الموضوع وهو ما يأتي بعد التقديم والتسليم وغيرها من التقاليد المتعارف عليها في فن الترسل والخطابة عند العرب، و"جوهر الموضوع" هذا هو "فصل الخطاب" الذي يمثل الغرض الأساسي من الرسالة أو الخطبة[3].

- **النفوذ والسلطة:** أي سلطة لإنجاز الشأن أو الغرض، بمعنى أن للخطاب قدرة تَعْبَوِيَّة وله سلطة التأثير في السامعين كما أن للخطاب أيضا من خلال شرح ابن منظور سلطة الحجة والبرهان الساطع والدليل القاطع، وهذا ما قصده القرآن الكريم في سورة "ص" حين أعطى سلطات خارقة لداود عليه السلام، فسخر له الجبال تسبح له بالعشي والاشراق والطير محشورة له...كما مكنه من السلطة الكافية التي ضمنها خطابه لاستمرار حكمه في الأرض[4].

لكن مصطلح الخطاب في الثقافة العربية اتصل بحقل "علم الأصول" حيث أبدع علماء الأصول منظومة مَفاهيمية واسعة تشمل مصطلحات مثل: "مفهوم الخطاب" و"أثر الخطاب" و"زمن الخطاب" و"قابلية الفهم" و"المخاطِب والمخاطَب" و"منطوق الخطاب" و"المسكوت عنه"[5]، وبهذا ظلت دلالة الخطاب مقيدة بإجراءات هذا الحقل مباشرة وممارسته فيه يصعب حصرها بسبب

---

(1) - **نفسه**، ص30.

(2) - **نفسه**، ص30، 31.

(3) - **نفسه**، ص31. حول تفسير "فصل الخطاب" **يُنظر**: الطبري: **تفسير الطبري**، ج6، ص341. الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، ص286. ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص361.

(4) - المختار الفجاري: **تأصيل الخطاب في الثقافة العربية**، ص31.

(5) - عبد الرحمن الحاج: **الخطاب السياسي في القرآن**، ص20، 21.

ضخامة الموروث الأصولي من جهة وتعدد زوايا النظر لهذا الموروث من جهة أخرى[1].

أما من الناحية السياسية فقد اقترن الخطاب في الثقافة العربية بالسلطة مباشرة حتى غدا يُمثل في الذهنية العربية كل كلام يصدر عن رجل السلطة[2]، وهذا يُدلل على الأصول الشفاهية للمصطلح إذ لا تقترن دلالته بعلامة مكتوبة وإنما تتصل بالمستوى الشفاهي[3]، وهذه الثنائية خطاب–سلطة جعلت نظام الخطاب العربي في سعيه لفرض ذاته يقوم بعملية تمويه خاصة تعتمد نوعا من "التنويم المغناطيسي" القائم على دغدغة الوجدان وتغليبه على يقظة الأذهان، فهو يعتمد كل الوسائل المنومة مثل الايقاع الموسيقي والبنيات اللغوية المتوازنة وتحسين الكلام بواسطة المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق ومقابلة وغيرها إلى درجة يُؤطِّر فيها المتلقي ويُؤخذ عقله بجمال اللفظ فيُجاريه في معناه بغير عناء قابلا في لاوَعْيِه لمعنى الخطاب على عَلاَّته مستسلما لمشيئته[4]، وهذا ما يجعل للخطاب أهدافا ايديولوجية غايتها احتواء الجماهير والسير بها حسب رغبات رجل السلطة.

ب– في الثقافة الغربية:

يرتبط مفهوم "الخطاب" في الثقافة الغربية بالدراسات الألسنية، وإذا كان الألسنيون الأوائل أمثال "دي سوسير" و"هِلْمسِلْف" و"جاكبسون" لم يتحدثوا عن الخطاب، فإن أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية هو "بيسونس Buyssens" سنة 1943م حيث رأى أن الخطاب يُمكن أن يكون موضوع نظرية ألسنية، ومع الفرنسي "بِنْفِنِسْت Benveniste" طُرحت مسائل وظيفة الخطاب ودور الفاعل المتكلم في العملية المنطوقية[5]، وقد تطورت دراسات الخطاب خاصة في فرنسا حيث هنالك توجه كامل فيها يُسمى "تحليل الخطاب analyse du discours"[6].

---

(1) – عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة**، ص98.

(2) – المختار الفجاري: **تأصيل الخطاب في الثقافة العربية**، ص31.

(3)– عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة**، ص102.

(4)– المختار الفجاري: **تأصيل الخطاب في الثقافة العربية**، ص32.

(5) – الزواوي بغورة: **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، ص90.

(6) – **نفسه**، ص91.

من الناحية اللغوية تقابل لفظة "خطاب" في اللغات الأجنبية لفظة discours/ discourse وهي ذات أصل لاتيني هو: discurus، وفعلها: discurure وتعني الجري هنا وهناك، كما أن لفظة الخطاب تعبر عن الجدل، والعقل، أو النظام حسب ما هو موجود عند أفلاطون والأفلاطونية عموما[1]، وتتعدد تعاريف الخطاب باختلاف الدارسين ووظيفة الخطاب حيث:

– تدل لفظة خطاب–حديث–discours حسب الترجمة العربية لموسوعة لالاند الفلسفية على أمرين: أ– عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة.

ب– بنحو خاص تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة[2].

– نجد عند "علي حرب" أن لفظة discours/discourse مرادفة للفظة "مقال" العربية، والمقال أو المقالة عنده "تُرادف القول إجمالا، يُقال قولا وقيلا ومَقالة، والقول هو كل منطوق به في اللغة"[3].

– يُعرِّف "هارتمان" و"ستوك" الخطاب بأنه "نص محكوم بوحدة كلية واضحة، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يُبلغ رسالة ما"[4].

– يُعرِّفه "جان كوران" بأنه "متتالية منسجمة من الملفوظات"[5].

– ويُعرِّفه "هاريس" بأنه "ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل"[6].

---

[1] – **نفسه**، ص89، 90.

[2] – أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، ج1، ص287.

[3] – معن زيادة وآخرون: **الموسوعة الفلسفية العربية**، ج1، ص770. يقدم علي حرب استدراكا حول الاختلاف في ترجمة لفظة discours بين "مقال" و"خطاب"، والملاحظ حسب رأيه هو استعمال مصطلح "خطاب" لدى كتاب المغرب العربي وبعض الكتاب المشارقة، وهو شائع في الكتابات الايديولوجية والسياسية المتخصصة والكتابات الصحفية اليومية أيضا، أما منطلقه في ترجيح لفظة "مقال" فهو فلسفي بحت. **نفسه**، ج1، ص773.

[4] – عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة**، ص108.

[5] – سعيد يقطين: **تحليل الخطاب الروائي**، ص23، 24.

[6] – **نفسه**، ص17.

– أما تعريف الخطاب عند "بِنْفِنِسْتْ" فهو "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[1].

– فيحين يُعرِّف "الزواوي بغورة" الخطاب بأنه "مجموعة من المنطوقات سواء كانت هذه المنطوقات مكتوبة أو ملفوظة"[2].

– أخيرا، نجد عند الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" دعوة إلى النظر إلى الخطاب على أنه "...ممارسات من خلالها تتكون وبكيفية منسقة الموضوعات التي نتكلم عنها"[3]، ويُعرفه في موضع آخر بأنه "مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لانهاية يُمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ...بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[4].

من خلال التعاريف السابقة يُمكن إجمال بعض الخصائص التي يتميز بها الخطاب وهي:

– يندرج تحت مسمى الخطاب كل كلام سواء كان شفويا أم كتابيا.

– إن الخطاب وحدة لغوية أشمل من الجملة، فهو تركيب من الجمل المنظمة طبقا لنسق خاص من التأليف.

– يُعتبر الخطاب نظام من الملفوظات[5]، وهذه الأخيرة باعتبارها جزءا أساسيا من أي خطاب فهي تمثل الوحدة الأولى من الخطاب وعلاقتها بالخطاب كعلاقة الجزء بالكل[6].

– يكون مصدر الخطاب في الغالب فرديا وهدفه الإفهام والتأثير، بحيث يضمن الملقي إيصال رسالة واضحة المرمى والهدف إلى المتلقي.

---

(1) – **نفس المرجع والصفحة**.

(2) – الزواوي بغورة: **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، ص106.

(3) – ميشال فوكو: **حفريات المعرفة**، ص47.

(4) – **نفسه**، ص108.

(5) – عبد الله ابراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة**، ص108، 109.

(6) – الزواوي بغورة: **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، ص95، 96.

– لابد على متلقي الخطاب أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه، ويتمكن من فهم دلالاته واستيعابها بما يؤدي إلى اكتمال حلقة الاتصال(مُلقي–خطاب–متلقي)[1].

بما أن من غايات الخطاب وأهدافه التأثير في المتلقي وتوجيهه بما يخدم أهداف ملقي الخطاب فإن هذا يدفعنا إلى طرح تساؤل حول طبيعة العلاقة بين الخطاب والسلطة السياسية؟ وآليات توظيفه؟ في الواقع فإنه ما من سلطة سياسية إلا ولها خطاب سياسي خاص بها، وقد كان أفلاطون أول من أبرز أن وجود الاستبداد السياسي يحتاج بالضرورة إلى وجود رجل يُتقن فن الخطابة، ذلك أن القوة المادية لا يمكن لها النجاح ما لم يتم دعمها عبر وسائل الاقناع التي يقوم بها خطباء المجالس العمومية[2].

وهذه القدرة التعبوية للخطاب وتأثيره على المتلقين تجعل الخطاب في حد ذاته "سلطة"، ومن يمتلك الخطاب ويحتكره فإنه يمتلك السلطة بالفعل[3]، وبهذا يمكن القول أن العلاقة القائمة بين المخاطِب والمخاطَب هي علاقة أمر ونهي، ما على المتلقي فيها إلا الامتثال والاذعان وهذه سمة تميز كلا من الخطابات الدينية والسياسية التي يتمثل هدفها في الحصول على الطاعة العمياء لصالح المتكلم[4].

وبما أن الحصول على الطاعة يستلزم ضرورة تبرير استحقاقها فإن هذا يعني توظيف الخِطابة لتبرير شرعية السلطة السياسية القائمة ولا يتم تحقيق هذا الهدف إلا باللجوء إلى "بلاغة الخطاب"، حيث تصبح البلاغة بأشكالها المختلفة كالتعبير المجازي والتشبيه والاستعارة والايهام والمبالغة... سلاحا مطلوبا جدا لا لمراقبة أفعال الناس المادية فحسب وإنما لمراقبة أفكارهم وإرادتهم أيضا، فالبلاغة اذن تعكس رغبة ايديولوجية من قبل السلطة لخلق خطاب "أنوي" لا يُفرض عن طريق

---

(1) – عبد الله ابراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة**، ص109.

(2) – بول ريكور: **الخيال الاجتماعي ومسألة الايديولوجيا واليوطوبيا**، ص92.

(3) – الزواوي بغورة: **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، ص89. تركي علي الربيعو: **مدخل إلى ظاهرة العنف في الخطاب السياسي السلطوي**، 141.

(4) – آلن غولد شليغر: **نحو سيمياء الخطاب السلطوي**، ص136. تركي علي الربيعو: **مدخل إلى ظاهرة العنف في الخطاب السياسي السلطوي**، ص141.

الخطاب المفتوح وإنما عن طريق آليات الخوف والترهيب والتضليل[1].

وحسب "بول ريكور" فإنه في اللحظة التي يتم تسخير تلك الخطابة لتبرير السلطة السياسية وخدمة أغراضها فإن هذا يؤدي إلى تحول الخطابة العمومية إلى ايديولوجيا لشرعنة السيطرة السياسية والحد من استعمال القوة المادية في فرض النظام القائم والعمل على استمراريته[2]، فالسلطة اذن في سبيل فرض هيمنتها على المجتمع لا تلجأ إلى وسائل الاكراه المادية فحسب وإنما تتخذ من الخطاب الايديولوجي الموجَّه وسيلة لتبرير سلطتها وخدمة غاياتها.

2- توظيف النص المقدس: القرآن الكريم

كان للمُقَدَّس حضوره البارز في الخطاب السياسي الأموي، وبما أنه ما من خطاب ديني أو سياسي إلا ويستند إلى نص مقدس سواء كان ذلك النص شفويا أم كتابيا، فإن هذا النص المقدس يشكل إطارا مرجعيا لهذا الخطاب يمنحه الشمولية والمعيارية بحيث يفرض على الأكثرية من الجماعة القبول به والامتثال لأوامره ونواهيه خاصة في ظل محاولة احتكار تأويله من قبل السلطة السياسية والسلطة الدينية المتحالفة معها[3]، وفي هذا الاطار يدخل التوظيف الايديولوجي للقرآن الكريم من قبل السلطة الأموية بما يمكنها من كسب الشرعية الضرورية لممارسة سلطتها على الجماعة الاسلامية.

يرجع التوظيف الايديولوجي للقرآن الكريم إلى زمن الفتنة الكبرى حين اتخذ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الآية الكريمة ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[الاسراء-33] مبررا للمطالبة بدم ابن عمه الخليفة المقتول عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم قتال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخيرا المطالبة بحق الولاية على المسلمين خلفا للخليفة عثمان بن عفان.

وتواصل استحضار القرآن الكريم في تبرير مواقف الأمويين بعد وصولهم لحكم دار الاسلام، إذ

---

(1) – آلن غولد شليغر: **نحو سيمياء الخطاب السلطوي**، ص137.

(2) – بول ريكور: **الخيال الاجتماعي ومسألة الايديولوجيا واليوطوبيا**، ص92.

(3)– تركي علي الربيعو: **مدخل إلى ظاهرة العنف في الخطاب السياسي السلطوي**،، ص141. Stephan Dähne: **Qur'anic Wording in Political Speeches in Classical Arabic Literature**, p11.

وبعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في موقعة الطَّفْ[1] خاطب الخليفة يزيد بن معاوية علي بن الحسين[2] وآل الحسين بأن خروج الحسين عليه قطع لرحمه وجهل بحقه في الحكم ومنازعة له في سلطانه فصنع الله به ما صنع وثبت حكم يزيد[3] الذي استشهد بالآية القائلة: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى-30].

وفي العهد المرواني وظف الحجاج بن يوسف القرآن الكريم توظيفا إيديولوجيا غايته احتواء المعارضة العراقية وفرض الطاعة للخليفة عبد الملك ومحاربة الخارجين عليه حفاظا على وحدة الجماعة الاسلامية وهذا ما يظهر من خلال خطبته في أهل الكوفة سنة75هـ/694م حاثا إياهم على قتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة ومتوعدا العصاة والمخالفين[4]، وهو نفس الخطاب الذي وظفه القائد الأموي زائدة بن قدامة الثقفي[5] في أصحابه حاثا إياهم على قتال الخوارج الأزارقة[6] موظفا الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد-07].

وفي خطبة للحجاج أيضا في أهل البصرة يقول فيها: "قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن-16] فهذه لله...وقال: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[التغابن-16] وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك، أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا هذه الشِّعَب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لي حلالا"[7]. إن رسالة الحجاج للناس من خلال هذا القول أن تقوى الله عز وجل

---

(1)- الطَّفُّ: "هو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق...والطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي". ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص35، 36.

(2)- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين، ولد سنة38هـ/658م، هو من سادات التابعين وفضلائهم، ليس للحسين عقب إلا من علي، وهو أحد الأئمة عند الشيعة الاثنا عشرية، أمه هي سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، توفي سنة 94هـ/712م. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص266-269.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص461.

(4) – **نفسه**، ج6، ص204. وقد وظف الآية القائلة: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل- 112، 113]**.

(5) – زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي: هو ابن عم المختار الثقفي، وجهه الحجاج لحرب الخوارج الأزارقة وقتل في حربه ضدهم سنة 76هـ/ 695م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج18، ص295-298.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص246.

(7) – المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص151.

واتباع أوامره واجتناب نواهيه والعمل بما يقرب إليه مرتبط باستطاعة المرء وقدرته[1]، أما السمع والطاعة للخليفة عبد الملك بن مروان فهي تامة وواجبة تمام الوجوب وليست مرتبطة باستطاعة المرء وقدرته، وهنا يشير الحجاج إلى المسؤولية الأخلاقية الملقاة على عاتق الجماعة الاسلامية اتجاه السلطة الحاكمة ممثلة في شخص الخليفة عبد الملك، وهذه المسؤولية هي الاعتقاد بشرعية حكمه وضرورة طاعته واتباع أوامره وعدم الخروج عليه وأن أي إخلال بها يُعرِّض فاعلها للقتل إذ دمه حلال، وبهذا تكون رؤية السلطة الأموية للعلاقة بين الحكام والمحكومين قائمة على التسليم والطاعة للحكام دون قيد أو شرط خاصة في ظل الأخطار العديدة التي واجهتها في الداخل والخارج وعلى مختلف الأصعدة سياسيا وعسكريا وإيديولوجيا.

وفي فتوح بلاد خوارزم[2] والسُّغْدْ[3](93هـ/711م) ماثل القائد الأموي قتيبة بن مسلم الباهلي بين أهل تلك البلاد ويهود قريظة والنظير ونصرة الله لجيش الأمويين في جهادهم ضد أعدائهم على غرار نصرة الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ضد اليهود[4] مستحضرا الآية: ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾[الفتح-21].

ولما أخذ أسد بن عبد الله القسري جماعة من دعاة بني العباس خاطبهم قائلا: "يا فسقة، ألم يقل الله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[المائدة-95] فقتل بعضهم ومَثَّل ببعضهم وحبس البعض الآخر بسبب نشاطهم في تنظيم الدعوة لآل البيت في بلاد خراسان[5].

---

(1) – الطبري: **تفسير الطبري**، ج7، ص311. إن الأمر بالسمع والطاعة المشار إليه في الآية الكريمة فهو خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم حسب الطبري. **نفسه**، ج7، ص311. أما القرطبي في تفسير فقد علق على تأويل الحجاج للآية قائلا: "وكذب في تأويلها، بل هي للنبي صلى الله عليه وسلم أولا ثم لأولي الأمر من بعده لقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[النساء-59]** القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج21،ص24.

(2) – اسم ناحية بأكملها من بلاد الأتراك. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص395.

(3) – تقع في بلاد الترك وقصبتها سمرقند. **نفسه**، ج3، ص222.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص472، 473.

(5) – **نفسه**، ج7، ص107.

وفي رسالة الوليد بن يزيد للأمصار بعد عقد البيعة لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليي عهده على التوالي عمل هذا الخليفة على استحضار القرآن الكريم في التأكيد على ضرورة طاعة الامام التي بها ينتظم أمر الجماعة الاسلامية وتحفظ وحدتها ويُصان وجودها واستمرارها فيقول: "قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت-11] وقال أيضا:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة-30]"[1].

وهذا في الواقع عملية مماثلة بين انتظام الكون القائم على الطاعة لله عز وجل وانتظام أمر الجماعة الاسلامية القائم على طاعة الخليفة وعدم الخروج عليه. وهكذا يتضح كيف وظف الحكام الأمويون النص المقدس متمثلا في القرآن الكريم خدمة لمصالحهم السياسية وكسبا للشرعية لحكمهم وضمان وحدة الجماعة وتماسكها بما يضمن استمرار وجودها وتأديتها لرسالتها واستمرار حكم البيت الأموي.

3- الشرعية القرشية:

لقد شكل النسب أو الانتماء القبلي للفرد مُحَدِّدا أساسيا لمكانته الاجتماعية في إطار قبيلته أو محيطه الاجتماعي ككل وعاملا مهما في مطالبته بوضع متميز في الهرم الاجتماعي بما يوافق أصوله الاجتماعية، وهذا النوع من المطالبة يُطلق عليها "فْريد دونر" مصطلح "شرعية الأنساب"[2]، ويُعرِّفه بأنه "يستند إلى افتراض أن مجرد العضوية في جماعة معينة أو عرق متميز يعطي الفرد منها الحق الشرعي في المطالبة بوضع خاص"[3]، وفي تاريخ الاسلام المبكر مثَّل الانتماء لقريش عاملا حاسما في احتكار الخلافة وإسباغ الشرعية عليها منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

برزت قرشية الخلافة منذ السجال الذي دار بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تقرر حق قريش في الخلافة باعتبارهم "...أول الناس إسلاما،

---

[1] - **نفسه**، ج7، ص220

[2] - فريد دونر: **الروايات السردية عن الأصول الاسلامية**، ص201.

[3] - **نفس المرجع والصفحة**.

وأوسطهم دارا، وأكرمهم أنسابا وأَمَسَّهُم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحما"[1]، حسب قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإذا كان لابد أن تكون الخلافة لقريش فلأنها الأجدر بالاضطلاع بهذه المهمة في الواقع التاريخي حيث الدول لا تبنى على النيات الطيبة وإنما على قوة العصبية والتي تميزت بها قريش في تلك الفترة[2].

وهذا ما أكده ابن خلدون حين قرر أن قوة العصبية القرشية هي أساس الدولة الاسلامية وبها تتوحد الجماعة وتُمنع الفرقة ويُحمى الدين حيث يقول: "ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يُقتصر فيه على التبرُّك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور...وإذا سبرنا وقَسَمنا لم نجدها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها، وذلك أن قريشا كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف"[3].

لقد كان "حق قريش" في الاستئثار بالخلافة دون بقية العصبيات الأخرى من الأسس التي بنى عليها معاوية بن أبي سفيان شرعية سلطته، وهذا ما يتضح من خلال حواره مع المبعدين من الكوفة زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويرى بعض الباحثين أن رواية سيف بن عمر لهذا الحوار تدفع للشك في محتواه وصدور ذلك الكلام عن معاوية في تلك الفترة خاصة وأنه مُشبع بالعناصر الايديولوجية لفكر معاوية بعد توليه الخلافة، إلا أن هذا لا يعني غياب النقاش خلال تلك الفترة المبكرة حول الخلافة وحق قريش فيها ومن الأحق بها من عشائر قريش وتصورات عرب الجزيرة والأقاليم المفتوحة للسلطة وطبيعتها[4].

وفق تصور معاوية –وهو في الواقع تصور السلطة التي يمثلها كوال على بلاد الشام ثم كخليفة– فإن الارث التاريخي لقبيلة قريش والقائم على قاعدة دينية–اقتصادية ودورها الجهادي هو ما يمنحها الحق المطلق في الاستئثار بالسلطة ولهذا خاطب هؤلاء المبعدين قائلا: "وقد بلغني أنكم نَقمتم قريشاً،

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج1، ص582.

(2) – محمد الجويلي: **الزعيم السياسي في المخيال الاسلامي**، ص47.

(3) – ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص569، 570.

(4) – هشام جعيط: **الفتنة**، ص90. رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص61، 62.

وإنَّ قريشا لو لم تَكُن عُدْتم أذلة كما كنتم"[1]، فهي القبيلة التي بُعث النبي صلى الله عليه وسلم منها، وهي قائدة الفتوحات وحاملة لواء الجهاد كما أنها صاحبة الفضل فيما حققه العرب، إضافة إلى ذلك فإن قدسية المكان الذي تشغله جعلها محاطة بحماية الله عز وجل في الجاهلية والاسلام ومحمية من الصراع والاقتتال وغلبة الملوك واضطهادهم[2].

ويتضح تركيز معاوية على مبدأ قرشية الخلافة أيضا في حواره مع وفد من أهل العراق بعد توليه الخلافة فيهم الأحنف بن قيس حين خاطبهم قائلا: "مرحبا بكم معشر العرب، أما والله لئن فرَّقت بينكم الدعوة لقد جمعتكم الرحم، إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم..."[3]، فإذا كان الله تعالى قد اختار العرب من بين الناس فقد خصَّ قريشا وميزها عن سائر العرب، وإذا كانت السياسة قد فرقت أمر العرب خلال الفتنة الكبرى فإن الدين والرحم هو ما يجمع العرب ويوحدهم.

لكن التصور القائم لدى الأمويين بقيادة معاوية أن الخلافة ليست لقريش كلها وإنما لبني عبد مناف وحدهم، ويتضح هذا الفهم في رد الخليفة معاوية على الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لما عزم على العهد بالخلافة لابنه يزيد حيث خاطبهم قائلا: "...وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة، غير أنهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بني عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة"[4].

فإذا كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قد توليا الخلافة وهما ليسا من بني عبد مناف فإن ذلك راجع لاستحقاقهما لها ودورهما البارز في خدمة الاسلام، وهذا في الواقع اعتراف ضمني منه بأفضلية السابقة الاسلامية على النسب في تولي منصب الخلافة، أما وقد عادت الخلافة إلى بني عبد مناف حيث "معدن الملك والخلافة" مع تولي عثمان بن عفان رضي الله عنه شؤون دار الاسلام فإنها ستبقى في أيديهم إلى يوم القيامة.

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص319.

(2) – **نفسه**، ج4، ص319، 320.

(3) – أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب**، ج2، ص346.

(4) – ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**،

ولا شك أن في إصرار معاوية(وهو خليفة) على حصر الخلافة في بني عبد مناف محاولة منه لتعزيز سلطته أمام جمهور القبائل وقطع للطريق أمام طموحات الراغبين في السلطة من خارج هذه العشيرة وفي مقدمتهم عبد الله بن الزبير الأسَدي الذي ما انفك يُظهر طموحه السياسي مُرتكزا على شرفه الاسلامي، كما يمكن اعتبار قول معاوية السابق دليل على اتخاذه –هو والخلفاء من بعده– أسسا جديدة للشرعية مقدمة على مبدأ السابقة الإسلامي الذي كان أساس الشرعية في العهد الراشدي.

غير أن السؤال المطروح هو: من الأحق بالخلافة من بني عبد مناف؟ هل هم بنو أمية أم بنو هاشم؟ المعروف أنه قد تم تصوير الخلفاء الأمويين–من قبل الشيعة خاصة– على أنهم مغتصبون للخلافة، أي أنهم حكام غير شرعيين لمجرد عدم انتسابهم لعشيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بني هاشم التي ينتمي إليها كل من العلويين والعباسيين[1]، غير أنه وفق التحليل الخلدوني القائم على العصبية القبلية فإن نواة قبيلة قريش تتمحور حول عصبية بني أمية وهذا ما يوضحه بقوله أنَّ: "...عصبية مضر كانت في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه"[2]، فالرئاسة والتقدم اذن لبني أمية باعتبارهم "العصبية الغالبة" في قريش.

وبالعودة إلى حوار معاوية مع المبعدين من الكوفة يتضح سعي معاوية لتبرير استحقاق بني أمية للخلافة دون أبناء عمومتهم من بني هاشم وحجته في ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اختار للأعمال "أهل الجزاء عن المسلمين والغناء ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها"[3]، ومن المؤكد أنه يشير هنا إلى أن بني أمية مؤهلين لتولي الأعمال والولايات أكثر من بني عمومتهم الهاشميين.

---

(1) - Fred M. Donner: **Umayyad efforts at legitimation: the Umayyads' silent heritage**, p187, 188.

(2) – ابن خلدون: **المقدمة**، ج2، ص599.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص321. يورد ابن سعد خطبة لمعاوية بن أبي سفيان يُفهم منها اعتبار معاوية أحقية بني أمية بالخلافة من بني هاشم لقدرتهم القيادية وتَمَكُّنِهِم من الأعمال حتى لو كان بنو هاشم خيرا منهم شرفا باعتبارهم عشيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "يا أيها الناس إنا نحن أحق بهذا الأمر، نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيضته التي انفلقت عنه...فقال صعصعة: فأين بنو هاشم منكم؟؟ قال: نحن أسوس منهم وهم خير منا". ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص19.

ولو نظرنا إلى عمال الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما نجد صدق قول معاوية حيث يشكل الأمويون وحلفائهم نسبة معتبرة من الموكلين بالأعمال في عهدهم في مقابل استبعاد بني هاشم عن الأعمال، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفترة	العامل	العمل	المصدر
_ الفترة النبوية	_ عتاب بن أسيد	_عامل مكة	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص48. البلاذري: أنساب الأشراف، ج1، ص529.
	_الحكم بن سعيد بن العاص	_السوق	_ خليفة بن خياط: تاريخ، ص48.
	_خالد بن سعيد بن العاص	_ صنعاء	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص48. المقريزي: النزاع والتخاصم، ص 71.
	_أبان بن سعيد بن العاص	_البحرين	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص48. المقريزي: النزاع والتخاصم، ص 72.
	_عمرو بن سعيد بن العاص	_تيماء وخيبر وتبوك وفدك	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص48. المقريزي: النزاع والتخاصم، ص 72.
	_أبو سفيان بن حرب	_صدقات نجران	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص48. البلاذري: أنساب الأشراف، ج1، ص529. المقريزي: النزاع والتخاصم، ص72.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

	_الوليد بن عقبة بن أبي معيط _العلاء بن الحضرمي حليف بني أمية _سعيد بن القِشْب الأزدي حليف بني أمية	_ صدقات بني المصطلق _البحرين _جُرَش(في اليمن) وبحرها	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص49. _ خليفة بن خياط: تاريخ، ص48. الذهبي: سير، ج1، ص263. _خليفة بن خياط: تاريخ، ص48.
_خلافة أبو بكر الصديق	_عكرمة بن أبي جهل _عتاب بن أسيد _خالد بن سعيد بن العاص _يزيد بن أبي سفيان _العلاء بن الحضرمي حليف بني أمية	_حرب مسيلمة الكذاب _مكة _الحَمْقَتَين(مشارف الشام) _دمشق _البحرين	_الطبري: تاريخ الطبري، ج3، ص249. _خليفة بن خياط: تاريخ، ص65. الطبري: تاريخ، ج3، ص249. _ الطبري: تاريخ، ج3، ص249. _ الطبري: تاريخ، ج3، ص394. _الطبري: تاريخ، ج3، ص427.

_خلافة عمر بن الخطاب	_ يزيد بن أبي سفيان	_دمشق	_ابن سعد: طبقات، ج9، ص410.
	_معاوية بن أبي سفيان	_دمشق وبعلبك والبلقاء	_ خليفة بن خياط: تاريخ، ص89. الطبري: تاريخ، ج4، ص241.
	_العلاء بن الحضرمي حليف بني أمية	_البحرين	_خليفة بن خياط: تاريخ، ص88.

_جدول خاص بالولاة الأمويين وحلفائهم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

هذا ولم يكتف معاوية باعتبار بني أمية الأحق بالخلافة من بني عمومتهم الهاشميين بل كان يرى أنهم كانوا دائما ساسة العرب وأن معدنهم هو معدن الملك وترؤس الناس[1]، لذلك فإنهم الأحق بالخلافة، ثم إنه لن يتحرج في التصريح أمام الهاشميين خلال سجالاته ومحاوراته معهم بعد توليه الخلافة أن الأحق بالخلافة هو "...من بسط الناس إليه أيديهم، ونقلوا إليه أقدامهم رغبة، وطارت أهواءهم إليه للثقة، أو قاتل عليها بحقها فأدركها من وجهها"[2] وفي هذا القول تأكيد على سياسة الأمر الواقع التي فرض من خلالها معاوية نفسه على الجماعة الاسلامية.

أخيرا لا بد من الإشارة إلى أن اعتبار الأمويين أنفسهم أصحاب أفضلية على سائر بطون قريش مما يعطيهم الحق في حكم دار الاسلام قد استمر توظيفه في العهد المرواني أيضا، ويرد هذا على لسان الشاعر الأخطل الذي يقول في قصيدة يمدح فيها الخليفة عبد الملك بن مروان[3]:

في نبعة من قريش يَعصِبون بهـــا ما إن يُوازىَ بأعلى نبتها الشجـــــر

تعلوا الهضاب وحَلوا في أرُومتها[4] أهل الريَّاء[5] وأهل الفخر إن فخروا

فالشاعر هنا يرفع مكانة بني أمية من خلال مقارنتهم بشجرة النبع التي تُعد من أقوى الأشجار وأكرمها، حيث تنبت على رؤوس الجبال وتُتَخذ منها القِسِيُّ والسهام، وهو يتخذها هنا رمزا على أصل بني أمية ونسبهم الذي يجتمعون حوله فلا يعلو عليهم أحد آخر من قريش[6].

4- ولاية دم الخليفة المظلوم عثمان بن عفان:

اتخذ الخليفة معاوية بن أبي سفيان مطلب القصاص للخليفة المقتول عثمان بن عفان رضي الله عنه أساسا من أسس شرعية سلطته، ومن المعلوم أنه استند إلى مبدأ القصاص القرآني في صراعه مع

---

(1) – أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص323.

(2) – مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار العباس وولده**، ص75. ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج1، ص05، 06.

(3) – **ديوان الأخطل**، ص105.

(4) – الأرومة: الأصل. ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص14. (مادة: أرم).

(5) – أهل الرياء: يشير إلى أنهم أهل المعروف. **ديوان الأخطل**، ص105.

(6) – سوزان بينكي ستيتكيفيتش: **القصيدة والسلطة**، ص136.

الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي مطالبته بأحقية تولي الخلافة كونه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه، وبعد توليه الخلافة كان معاوية يؤكد على أحقيته بها لقرابته من عثمان بن عفان الخليفة المقتول ظلما[1]، وقد عمل على إحياء ذكرى عثمان في الأمصار المختلفة، حيث كتب إلى عمال الأمصار بتقريب شيعة عثمان ومحبيه ومن يروي فضائله ومكارمه وإدناء مجالسهم وإكرامهم وأن يكتبوا له بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم، والإغداق عليهم بالصلات والجوائز[2].

ولما ولى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة سنة 41هـ/661م كان مما أوصاه به "...الترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم والاطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم"[3]، وهذا ما فعله المغيرة في ولايته حيث كان لا يدع شتم علي والدعاء لعثمان والاستغفار له[4]، وقد كان رأي الرجل في عثمان بن عفان وبلائه معه أو ضده يحدد موقف السلطة الأموية منه، فقد أمر معاوية عامله على الموصل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي[5] بطعن عمرو بن الحَمِقْ الخُزاعي[6] الذي كان من أنصار حُجْر بن عدي وممن ثار على عثمان وشارك في قتله تسع طعنات بِمَشَاقِص[7] كانت معه مثلما فعل بعثمان[8].

وفي المقابل عفا زياد بن أبيه والي العراق وخراسان لمعاوية عن قيس بن يزيد الكندي رغم خروجه مع حجر بن عدي الكندي بسبب رأيه في عثمان وبلائه إلى جانب معاوية في صفين[9]، كما كتب معاوية إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامل المدينة أن يدفع إلى ورثة أبي هريرة رضي الله

---

(1) – مؤلف من القرن الثالث الهجري : **أخبار العباس وولده**، ص48، 49.

(2) – ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج11، ص44.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص252. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص253.

(4) – ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص326.

(5) – عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، يقال له ابن أم الحكم، وهي أخت معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص79، 80.

(6) – عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب الخزاعي، له صحبة، وقد سكن الكوفة، كان ممن سار إلى عثمان رضي الله عنه وأحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار، وصحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه مشاهده كلها. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص930، 931.

(7) – مشاقص(ج، مِشْقَصْ)، هو سهم فيه نصل عريض. النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج2، ص172.

(8) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص265.

(9) – **نفسه**، ج5، ص263.

عنه عشرة آلاف درهم وأن يُحسن جوارهم ويعمل فيهم معروفا لأن أباهم كان ممن نصر الخليفة عثمان يوم الدار[1].

وبعد موت يزيد بن معاوية وتنازل ابنه معاوية عن الخلافة بايع أهل الشام في اجتماع الجابية[2] مروان بن الحكم خليفة لأنه شيخ قريش الحازم في أمره وناصر عثمان بن عفان يوم الدار، والطالب بدمه بعد مقتله، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل ويوم صفين[3]، وهكذا فرغم أن مروان لم يكن من أهل السابقة في الاسلام ونفي الرسول صلى الله عليه وسلم لأبيه الحَكَم إلى الطائف بسبب أذيته له حتى ردّه عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته فقد كان الدور الذي قام به في نصرة عثمان أساسا لاستحقاقه الخلافة وإضفاء الشرعية على سلطته في نظر المبايعين له من أهل الشام، هؤلاء الذين كانوا مضطرين للرفع من شأنه وفق محددات جديدة للشرعية تؤخر السابقة الإسلامية وتعطي الاعتبار لمعايير جديدة للشرعية خاصة وأن مروان لم يكن من الصحابة كما كان أبوه مطعون في إسلامه.

وفي عهد عبد الملك بن مروان حدّد هذا الخليفة موقف السلطة الحاكمة من أهل المدينة والقرشيين منهم تحديدا على اعتبار موقفهم من الخليفة عثمان بن عفان ويتضح هذا من خطبته فيهم قائلا: "...يا معشر قريش وَلِيَكم عمر بن الخطاب فكان فَظًّا غَليظا مُضَيِّقًا عليكم فَسَمِعْتُم له وأَطَعْتُم، ثم وَلِيَكُم عثمان ابن عفان فكان سهلا فَعَدَوْتُم عليه فَقَتَلتُموه، وبَعَثنا عليكم "مُسْلِماً" يوم الحَرَّة فَقَتَلْناكم، فنحن نعلم يا معشر قريش أنَّكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان"[4]، ومثل هذا النوع من الخطابة المباشرة والقوية والموجه لأهل إقليم يعتبر مركز المعارضة الدينية للسلطة الأموية هدفه فرض الطاعة العمياء للسلطة واحتواء هذه المعارضة وضبطها بما يضمن عدم انفجارها مجددا ضد الأمويين.

---

[1] – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج5، ص257.

[2]– الجابية: هي قرية من نواحي دمشق بالجولان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص91.

[3] – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص256. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص259، 260. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص 356، 357.

[4] – أحمد زكي صفوت : **جمهرة خطب العرب**، ج2، ص185.

وقد تواصلت عملية الارتباط بذكرى عثمان حتى أواخر العهد الأموي فبعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد دعا مروان بن محمد لنفسه بالجزيرة سرا حيث أظهر الطلب بدم الخليفة الوليد الذي قتل بعد ثورة قادها ابن عمه يزيد بن الوليد وسماه "الخليفة المظلوم" على غرار الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه[1]، كما ماثل مروان بن محمد بين طلبه بدم الخليفة الوليد ومطالبة معاوية بدم الخليفة المظلوم عثمان بن عفان[2].

وهكذا فإن مقتل عثمان لم يُكسب معاوية لوحده الشرعية لِيُطالِب جمهور المسلمين بالبيعة له خليفة عليهم؛ بل اتُّخذت هذه الحجة مبررا كافيا لدى أهل الشام لمبايعة مروان بن الحكم خليفة خلال الفتنة الثانية، كما اتُّخذت مقياسا للمقارنة بين معاوية الذي طالب بدم الخليفة عثمان ومروان بن محمد الذي طالب بدم الخليفة الوليد بن يزيد ويبدو أن هذه المقارنة كان لها دورا كبير في إقناع قسم هام من أهل الشام للانضواء خلف مروان بن محمد من أجل تحقيق مطلب القصاص للخليفة الوليد[3].

وإلى جانب الخلفاء كان للولاة أيضا دور مهم في تأكيد ايديولوجيا المطالبة بدم عثمان ابن عفان رضي الله عنه والقصاص من قتلته، ويتضح هذا في الأمر الذي أصدره عبيد الله بن زياد في ولايته على العراق من قبل الخليفة يزيد بن معاوية لقائد جيشه المحاصِر للحسين بن علي وهو عمر ابن سعد بن أبي وقاص[4] بأن يَحُول بين الحسين وأصحابه وبين الماء كما صُنِعَ بالخليفة عثمان لَمَّا حُصِر في داره[5]، وبعد مقتل الحسين نظر سعيد بن العاص عامل المدينة لهذا الفعل قَصاصا لمقتل الخليفة عثمان بن عفان[6]، في إشارة منه إلى تواطؤ الهاشميين في مقتل عثمان على رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص199.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**.

(3) – حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص131، 132.

(4) – عمر بن سعد بن أبي وقاص، قرشي الأصل، سكن الكوفة، ولاه عبيد الله بن زياد حرب الحسين بن علي، فحاصره وحاربه حتى قُتل الحسين، ولما ظهر أمر المختار الثقفي قتل عمرا انتقاما للحسين. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص166، 167.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص412. بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها**، ص290.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص466.

وفي الشعر الأموي نجد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يحتل مكانة متميزة بين الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، فكان حلقة الوصل في سلسلة من اصطفاهم الله عز وجل لحماية إرث (سلطة) محمد صلى الله عليه وسلم[1]، فعثمان آلت إليه الخلافة عن طريق الشورى ومبايعة المهاجرين –أهل الحل والعقد– له الذين رأوه الأحق بالخلافة وحكم دار الاسلام بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، لكن مقتله –عثمان– على يد ثوار الأمصار شكَّل نقطة فارقة في التسلسل الطبيعي لانتقال السلطة بعد وفاة الرسول صلى عليه وسلم خاصة وأنه لم يعهد بالخلافة لأحد من بعده.

وأمام عدم اعتراف الأمويين بخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وادعاءهم تورطه في مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه فإن هذا فتح المجال أمامهم لاعتبار أنفسهم الطالبين بدم الخليفة المقتول والوارثين الطبيعيين لخلافته، هذه الخلافة التي كانت تراث النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عثمان رضي الله عنه الذي نالها بالشورى[3]، وهو ما يؤكده الأخطل في قوله[4]:

كانوا مَوالي حـق يطلبـون بـــه فأدركوه وما مَلُّـــوا ولا لَغَبـــوا
إن يَكُ للحق أسباب يُمَدُّ بهـــا ففي أَكُفِّهم الأَرْسان[5] والسبـــب[6]
هم سعوا بابن عفان الإمام وهم بعد الشِّماسِ[7] مَرَوْها[8] ثُمَّتَ احتلبوا

ويقول الفرزدق مخاطبا الوليد بن عبد الملك مؤكدا أن الخلافة حق لبني أمية ورثوها عن عثمان

---

(1)– أوري روبن: **الأنبياء والخلفاء**، ص86. يخطئ أوري روبن عندما يعتبر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ليس نموذجا أساسا في شرعية الأمويين باعتباره يدين بالسلطة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ ذلك أنه لولا مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه واعتبار الأمويين أنفسهم المطالبين بدمه لما تمكن معاوية بن أبي سفيان –ومن بعده الخلفاء الأمويين– من اتخاذها حجة لادعاء حق الخلافة وقتال الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(2)– **ديوان الفرزدق**، ص191. 538.

(3) - Patricia Crone: **God's rule Government and Islam**, p34. Abdulhadi Alajmi, Khaled keshk: **Umayyad Ideology and the Recurrence of the Past,** p16.

(4) – **ديوان الأخطل**، ص42.

(5) – الرَّسن: ما كان من زمام على أنف. الزبيدي: **تاج العروس**، ج35، ص92.(مادة: ر س ن)

(6) – السبب: يشير هنا إلى الحبل. **ديوان الأخطل**: ص42.

(7) – الشماس: التمنع. الزبيدي: **تاج العروس**، ج16، ص174. (مادة: ش م س)

(8) – مروها بمعنى حلبوها. **ديوان الأخطل**، ص42.

بن عفان رضي الله عنه[1]:

وما زلتُ أرجو آل مروان أن أرى ... لهم دولةً والدَّهر جمٌّ دوائِـــــره
لَدُن قُتل المظلوم أن يَطلُبــوا بــه ... ومولى دم المظلوم منهم وثائــره
وما لهم لا يُنصَـــــــرون ومنهـم ... خليلُ النبي المصطفى ومُهاجِــرُه
مُلوك لهم مـــيراث كل مشــورة ... وبالله طاوي الأمر منهم وناشِرُه

ويقول في موضع آخر[2]:

صـلّى صُهيب ثلاثـا ثم أنزَلهـــا ... على ابن عفان مُلْكا غير مَقْصور
وصَيّـة من أبي حفص لِسِتّتِهـــم ... كانوا أحِبـــّاء مهديٍّ ومأمـــورِ
مُهاجريـــن رأَوْا عثمان أقربَهـم ... إذ بايعـوه لها والبيـــتِ والطـور

وقد جاء توظيف هذا الحدث التاريخي- المتمثل في الشورى بين الصحابة الذين توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض لاختيار واحد منهم ليكون خليفة للمسلمين، وهذا بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد طعنه- للاحتجاج والاستدلال على حق الأمويين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي اختاره كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورضي به المسلمون عن طريق الشورى، ثم أعقبه بالقسم "والبيت والطور" والذي استقاه من الآية الكريمة: ﴿والطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾[الطور، 1-4]، وهذا القَسَم غايته توكيد القضية التي هي محل الحديث عنها وهي أحقية بني أمية في الخلافة، بعدما نشأ حولها من جدال وصراع بين مختلف الأحزاب السياسية خلال العصر الأموي[3].

ويقول الفرزدق أيضا في قصيدة يمدح فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك[4]:

ورثوا مشورتها لعثمان الـــــــتي ... كانت تـراث النـبي المتخـــير

---

[1] - **ديوان الفرزدق**، ص221.

[2] - **نفسه**، ص189، 190.

[3]- فتيحة الشعاب عمران سالم الفيتوري: **الظواهر الفنية في الشعر السياسي في العصر الأموي**، ص358.

[4]- **ديوان الفرزدق** ، ص291.

وفي هذا الأقوال تأكيد من الشعراء على أن الأمويين نالوا سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم عبر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في نفس الوقت الذي كانوا يعتبرون فيه أنفسهم خلفاء لله عز وجل، وستظل في أيديهم "إلى نفخة الرحمن في الصور"[1].

هكذا نرى أن الخلفاء الثلاثة(أبو بكر وعمر وعثمان) رضوان الله عليهم يمثلون حلقات متتالية في سلسلة انتقال السلطة من الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين إلى الخلفاء الأمويين، ولهذا دائما ما يُركز شعراء هذا العصر على أخذ الأمويين للخلافة بِحَقِّها من عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان حُكمهم استمرار لخلافته القائمة على الشورى وليس غصبا بالقوة مثلما يدّعيه أعداؤهم.

أخيرا يتضح مما سبق أن المطالبة بدم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يعد أساسا ايديولوجيا لاستحقاق الأمويين الحكم وفرض سلطتهم على الجماعة الاسلامية فحسب؛ وإنما أصبحت أيضا مبررا لممارسة العنف ضد المعارضين للحكم الأموي والثائرين عليهم، وهذه الممارسات يمكن اعتبارها آلية انتقامية ثأرية ضد المعارضين للحكم الأموي أكثر منها رغبة في تحقيق القصاص للخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذلك أنه لو كانت فعلا غاية السلطة الأموية هي القصاص للخليفة عثمان رضي الله عنه لابتدأت ذلك منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ولم يكن الأمر ليتأخر إلى العهد المرواني، كما كان يجب البحث والتقصي في هوية المشاركين في الاغتيال كلهم والقصاص منهم وليس اغتنام فرصة معارضتهم للسلطة الأموية ثم قتلهم بحجة القصاص لعثمان، وهذه الممارسات السلطوية العنيفة سينتج عنها سلسلة من الأعمال الانتقامية الجديدة من قبل هؤلاء المعارضين؛ ذلك أن "الجريمة التي يجري الاقتصاص منها بالثأر تكاد لا تُرى أبدا أنها الأولى بحكم ادعاءها الثأر هي الأخرى من جريمة أكثر أوَّلية" كما يقول رينيه جيرار[2].

---

[1]- **نفس المصدر والصفحة.**

[2]- **العنف والمقدس**، ص39.

رابعا– التوظيف السياسي للحديث النبوي

1– أحاديث انقلاب الخلافة إلى ملك

ترد في مجاميع الحديث النبوي أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم يُخبر فيها عن تَتَابع أدوار النبوة ثم الخلافة ثم انقلاب الخلافة إلى مُلْك، منها الحديث الذي أخرجه الامام أحمد في مُسْنَدِه عن حُذيفة بن اليمان[1] رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يَرْفَعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها، ثم تكون خلافة على مِنهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها، ثم تكون مُلكا عاضًّا[2] فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها، ثم تكون مُلكاً جَبْرِيَّةً[3]، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يَرفعُها إذا شاء أن يرفَعَها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"[4]، ما يُفهم من هذا الحديث أنه بعد انتهاء فترة النبوة والوحي ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي فترة الخلافة القائمة على مناهج النبوة وأساسها العدل والرحمة، ولها مدة معلومة إلى أن يرفعها الله عز وجل لتنقلب إلى "ملك عاض".

وفي رواية أخرى لحديث حذيفة يتصف حكام الملك العضوض بأنهم "...يَشربون الخمور، ويَلْبَسون الحرير، ويَسْتَحِلُّون الفُروج، ويُنصَرون، ويُرزَقون حتى يأتيهم أمر الله"[5]، فرغم شُرب هؤلاء الملوك للخمور ولبسهم للحرير المنهي عنه واستحلالهم الفروج فإن الله يَنْصُرهم ويرزقهم[6]، وبعد فترة

---

[1]– حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حِسْل ويُقال حُسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة الغطفاني القيسي، واليمان هو لقبه والده حسل لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن، شهد أحد وما بعدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وفتوح نهاوند والري وهمذان وغيرها، نزل نصيبين، وكانت وفاته سنة36هـ/656م. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص260، 261.

[2] – ملك عضوض أي شديد فيه عسف وعنف وظلم. ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص191. (مادة عضض)

[3] – الجبار من الملوك هو العاتي، والجبروت: العتو والقهر. **نفسه**، ج4، ص113. (مادة: جبر)

[4] – **مُسند الامام أحمد**، ج30، ص355.(مسند الكوفيين.)

[5] – نعيم بن حماد: **كتاب الفتن**، ص 98.

[6] – لعل هذا هو ما يفسر الجمع بين الملك العضوض والرحمة في حديث آخر يرويه أبو عبيدة بن الجراح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أول هذه الأمة نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملكا عضوضا...وفيه رحمة". **نفس المصدر والصفحة**. من جانبه يورد الطبراني حديثا بسند شامي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أول دينكم نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك وجبرية يُستحل فيها الحِرَ والحرير"، وهنا لا يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الملك العضوض وإنما جمع بين الملك والجبرية التي تستحل فيها الفروج ويُلبس الحرير وهو ما يتميز به الملك العضوض في حديث حذيفة عند نعيم بن حماد. الطبراني: **مسند الشاميين**، ج2، ص293.(حديث رقم1369).

المُلْك العضوض يكون "ملك الجَبْرَية" وفيه تزداد سطوة الملوك وجبروتهم وتعديهم على حقوق العباد قتلا، وقطعا للأيدي والأرجل، وأخذ للأموال بغير حق[1]، ويستمر الأمر على هذه الحال ما شاء الله أن يستمر حتى يرفعه الله عز وجل، وتأتي بعده مجددا فترة خلافة على منهاج النبوة وهذه تكون في آخر الزمان حسب ما يُفهم من سياق الحديث.

وعلى غرار حديث حذيفة بن اليمان يرد حديث آخر –ذو معنى أعمق– فيه إشارة إلى نظام الحكم الذي يكون بعد النبوة ومُدته، ثم انقلابه إلى مُلك، وهو الحديث المعروف بحديث سَفينة[2] رضي الله عنه مولى الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول سفينة: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم مُلك بعد ذلك"[3]، وعند أبي داود: "خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك –أو ملكه– من يشاء"[4].

أما الترمذي فقد أخرج هذا الحديث مع تعليق مهم لسفينة رضي الله عنه: عن سعيد بن جُمْهان[5] قال: "حدثني سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان. ثم قال لي: أمسك خلافة علي. قال: فوجدناها ثلاثين سنة[6]. قال سعيد: فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم. قال: كذبوا بنوا الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك"[7].

---

(1) – نعيم بن حماد: **كتاب الفتن**، ص98.

(2) – أبو عبد الرحمن ويُقال أبو البَختري، اختلف في اسمه بين مِهران، أو نجران، أو رومان...، صحابي جليل، كان عبدا لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقته وصار خادما للنبي صلى الله عليه وسلم. المزي: **تهذيب الكمال**، ج11، ص 204، 205.

(3) – الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص82.(أبواب الفتن: باب ما جاء في الخلافة) أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج36، ص248.(مسند الأنصار). واللفظ للترمذي.

(4) – **سنن أبي داود**، ج7، ص43.(كتاب السنة: باب في الخلفاء)

(5) – سعيد بن جُمهان الأسلمي، أبو حفص البصري، محدث، مات سنة 136هـ/753م. ابن حبان: **مشاهير علماء الأمصار**، ص122. المزي: **تهذيب الكمال**، ج10، ص375، 376.

(6) – الواقع فإن الفارق بين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي كانت في 12 ربيع الأول سنة 11هجري، وبين مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذي كان في 17 رمضان 40هـ هو 29سنة وستة أشهر وبضعة أيام، أي أنه لم يكن ثلاثون سنة بالضبط.

(7) – الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص82.(كتاب الفتن: باب ما جاء في الخلافة)

وهذا الحديث المتَضَمِّن وَصْفًا نَقديا لتطور الحكم في الاسلام من الخلافة المرتبطة بالرحمة والقائمة على الشورى إلى الملك القائم على القوة والغلبة[1] يَصُبُّ من الناحية السياسية –رغم الصورة السلبية عن الملك– في مصلحة الأمويين، ذلك أن الفاصل الزمني بين النبوة والملك حسب هذا الحديث هو ثلاثون سنة وهي الفترة الزمنية المشتملة على عهود الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم إنَّ صِفَته التَنَبُّؤَيَّة بانقلاب الخلافة إلى ملك يُمكن توظيفها إيديولوجيا في إضفاء الشرعية على حكم الأمويين ومنح المشروعية لأفعالهم باعتبار مُلكِهم قضاء وقدر من الله عز وجل الذي يُؤتي ملكه من يشاء من عباده، وقد تَنَبَّأ به الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة أن هذا الحديث لا يردُ فيه أي وصف سلبي للملك على خلاف حديث حذيفة السابق.

فالقضية اذن هي قضية توظيف؛ فإذا كان بإمكان الأمويين توظيف هذا الحديث لصالحهم مثلما وضحت سابقا فإنه بالمقابل يفتح المجال أمام المعارضين للحكم الأموي بإثبات مفاسد الأمويين وإخراجهم من دائرة الخلافة المتميزة بالرحمة والعدل إلى دائرة الملوك المتجبرين، وفي هذا الاطار يدخل تعليق سفينة رضي الله عنه، فهو حكم ديني من قِبَله على الحكام الأمويين –المروانيين تحديدا– وبالتالي النظام الأموي ككل، وهو لا يكتفي بنفي صفة الخلافة عنهم بل يجعلهم من شرّ الملوك وهذا بسبب التجاوزات الكثيرة الممارسة من قبلهم في حق رعاياهم.

في الواقع، يبدو أن هناك وعيا مُبَكِّرا لدى المسلمين الأوائل بانقلاب الخلافة إلى ملك وهذا ما توضحه خطبة الصحابي الجليل عتبة بن غزوان[2]رضي الله عنه المتوفى سنة 17هـ/638م في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول: "...إنها لم تكن نُبُوَّة قَطُّ إلا تَناسَخَت حتى يكون آخرُ عاقبتها ملكاً"[3].

وأورد ابن أبي شيبة(ت235هـ/849م) قولا لرجل من قريش يدعى ثمامة[4] كان على صنعاء

---

(1) – الجابري: **العقل السياسي العربي**، ص 231.

(2) – عتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني عبد شمس أو بني نوفل، من السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدرا وما بعدها، ولاه عمر بن الخطاب في الفتوح واختط البصرة، مات سنة 17هـ/638م. ابن حجر: **الإصابة**، ج4، ص 363، 364.

(3) – مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص 1355.(كتاب الزهد والرقائق) ابن عبد البر: **الاستيعاب**، ج3، ص 1028.

(4) – ثمامة بن عدي القرشي، قال عنه ابن عبد البر: "لا أدري من أي قريش هو". ابن عبد البر: **الاستيعاب**، ج1، ص213.

في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جاءه خبر مقتل عثمان بكى وأطال البكاء ولما أفاق قال: "اليوم انْتُزِعَت النبوة أو خلافة النبوة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وصارت مُلكًا وجَبْرية من غَلب على شيء أكله"[1]، وواضح أن هذا القول –إن صح– يجعل نهاية "خلافة النبوة" مع مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو يَعُدُّ عليا رضي الله عنه من الملوك وينفي صفة الخليفة عنه رغم أنه قد بايعه قسم مهم من الصحابة الذين سبق وبايعوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

لكن هذا الانقلاب الحاصل في طبيعة السلطة في الاسلام من الخلافة إلى الملك سيكون ضمن مجال جغرافي محدد حسب أحاديث أخرى نُقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا المجال الجغرافي هو "الشام"، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الخلافة بالمدينة والملك بالشام"[2]، وفي حديث آخر إشارة أيضا إلى انتقال دار حكم المسلمين من المدينة إلى الشام، يقول صلى الله عليه وسلم: "رأيت عمود الكتاب اِنْتُزِع من تحت وسادتي فذُهِب به إلى الشام فأوَّلته المِلك"[3]، وفي هذه الأحاديث إشارة واضحة إلى مُلك معاوية الذي اتخذ الشام مركزا لحكمه كما لا يخفى التوظيف الايديولوجي لمثل هذه الأحاديث في إسباغ الشرعية على حكم معاوية والأمويين من بعده.

إن الأحاديث النبوية والأقوال السابقة تجعل التحول الحاصل في طبيعة السلطة في هذه الفترة

---

[1] – **المصنف**، ج10، ص 351.(كتاب الأمراء: باب ما ذُكر من حديث الأمراء والدخول عليهم). إن قول ثمامة هذا يُناقض حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرويه سفينة والذي يجعل الخلافة ثلاثين سنة وهي فترة تضم خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، والغريب أنه يرد في كتب السنة حديث يرويه عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: "أيكم رأى رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، رأيت كأن ميزانا دُلِّي من السماء، فَوُزِنتَ أنتَ بأبي بكر فَرَجَحت بأبي بكر، ثم وُزِنَ أبو بكر بعمر فَرَجَح أبو بكر بعمر، ثم وُزن عمر بعثمان فَرَجَحَ عمر بعثمان، ثم رُفع الميزان، فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء". أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج34، ص 94، 95.(مسند البصريين). أبو داود: **سنن أبي داود**، ج7، ص35.(كتاب السنة: باب في الخلفاء). البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص348. واللفظ لأحمد. وواضح كيف ينفي هذا الحديث صفة الخلافة –على غرار قول ثمامة– عن حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويزيد من شرعية معاوية بن أبي سفيان ومن جاء بعده من الخلفاء الأمويين في الحكم باعتبار أن الله هو من آتاهم الملك.

[2] – الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ج3، ص75، 76. **البيهقي**: **دلائل النبوة**، ج6، ص447. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج1، ص183.

[3] ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج1، ص101.

المبكرة من تاريخ الاسلام تحصيل حاصل ويدخل ضمن الحتمية التاريخية، وهي وإن كانت تحمل نقدا وَذَمًّا لمعاوية بن أبي سفيان الذي يُعتبر أول ملوك الاسلام ومن جاء بعده من الخلفاء الأمويين، فإنها تُشَكِّل المنطلق الأساسي الذي اتخذه الفقهاء والمحدِّثون في افتراضاتهم حول طبيعة السلطة/الخلافة في العهود اللاحقة للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وهو افتراض قائم على انتقال السلطة من طور "الشرعية الحقَّة" في عصر الخلفاء الراشدين والقائمة على الشورى وإرادة الجماعة وتَمَثُّلِها لرسالة الاستخلاف والدعوة، إلى طور جديد في مجال الشرعية يَنْتَقِصُ من الشرعية الأولى دون أن يعني فُقْدَانها بالكامل، وهذا الطور الجديد هو "الملك العَضوض"[1].

2- أحاديث القرشية:

يذكر الامام أحمد في مسنده احتجاج أبي بكر رضي الله عنه أمام الأنصار في سقيفة بني ساعدة بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد حق قريش في السيادة وتبعية الناس لها حيث يقول فيه: "قريش وُلاةُ هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تَبَعٌ لِبَرِّهِم، وفاجِرُهُم تَبَعٌ لِفاجرهم"[2]، وتتضمن كتب الحديث أحاديث نبوية يرويها بعض كبار الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيها إقرار بحق قريش في الإمرة، وهي ترد بصيغ مختلفة كلها تؤكد على تَقَدُّم قريش على الناس أو أحقيتها بالخلافة ولا شك أنها مفيدة للأمويين باعتبارهم من بيت شرف في قريش، و من هذه الصيغ:

أ- تبعية الناس لقريش وأن رئاسة العرب كانت لهم في الجاهلية وستكون الخلافة لهم وتبقى فيهم في الاسلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس تبع لقريش في الخير والشر"[4].

---

[1] – شمس الدين الكيلاني: **الجماعة وتحولاتها**، ص 59.

[2] – **مسند الامام أحمد**، ج1، ص199. (مسند أبي بكر الصديق)

[3] – جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة، الأنصاري الخزرجي، شهد بيعة العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، شارك في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف في مشاركته في عزوتي بدر وأحد، كان من المكثرين في الحديث والحافظين له، توفي بالمدينة سنة74هـ/693م.ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص165، 166.

[4] – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص210.(كتاب الفضائل: باب ما ذكر في فضل قريش). مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص882.(كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص368. (كتاب الأمراء: باب بيان إثبات الخلافة لقريش وأنها فيهم أبدا). النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج12، ص277.

ب– استئثار قريش بالخلافة والتي يُشار إليها في هذه الأحاديث بـــ " الأمر" أو "الشأن"، وترد فيها عدة أحاديث رواها أبو هريرة رضي الله عنه:

– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس تَبَعٌ لقريش في هذا الأمر، خِيارُهم تبعٌ لخيارِهم، وشِرارُهم تبع لِشرارِهم"[1].

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس تبع لقريش في هذا الشَّأن، مُسلِمُهُم تَبَع لمسلِمِهم، وكافرهم تبع لكافرهم"[2].

– سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "...إنَّ الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مؤمنهم تبع مؤمنهم، وفاجرهم تبع فاجرهم"[3].

ج– ذكر معاوية بن أبي سفيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الناس تبع لقريش في هذا الأمر، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فَقُهوا..."[4]، و"الأمر" المشار إليه في الحديث هو الرئاسة، أما تبعية الناس(العرب) لقريش فإنه يعود إلى زمن الجاهلية، إذ كانوا رؤساء العرب وقادتهم لأنهم أهل البيت والحرم حتى كانت العرب تسميهم "أهل الله"، وهذه المكانة التي تمتعت بها قريش جعلت الكثير من العرب يمتنعون عن الدخول في الاسلام قبل أن تدخل فيه قريش التي كانت تُناصِب الرسول صلى الله عليه وسلم العداء والحرب، فَلمَّا أسلمت قريش اِنْزاح الحاجز الذي يمنعهم ودخلوا في هذا الدين الجديد أفواجا[5].

---

(1) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص211.(كتاب الفضائل: باب ما ذكر في فضل قريش).

(2) –البخاري: **صحيح البخاري**، ص865. (كتاب المناقب: باب قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى لتعارفوا..."). مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص882. (كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). الطبراني: **مسند الشاميين**، ج2، ص433. (حديث رقم1643).

(3) – الفسوي: **المعرفة والتاريخ**، ج1، ص384. ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص214. .(كتاب الفضائل: باب ما ذكر في فضل قريش). الطبراني: **مسند الشاميين**، ج4، ص255، 256.(حديث رقم3218).

(4) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص211.(كتاب الفضائل: باب ما ذكر في فضل قريش). أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج28، ص65، (حديث معاوية بن أبي سفيان.).

(5) – ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص560. أبو العباس القرطبي: **المُفْهِم لما أَشكَلَ من تلخيص كتاب مسلم**، ج4، ص6، 7.

أما تَبَعَيَّتُهم لقريش في الاسلام فيرجع ذلك لكون الرسول صلى الله عليه وسلم منها، ولكونهم أوسط العرب نَسبا وداراكما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1]، إضافة إلى الأحاديث التي تنص على ذلك.

وهذا الحديث يساهم في الرَّفع من مكانة معاوية بن أبي سفيان ويُساعده في إضفاء الشرعية على حكمه، ذلك أن خِيار قريش في الجاهلية هم خِيارهم في الاسلام إذا تحقق فيهم شرط التَفَقُّه في دين الله عز وجل، وكما هو معلوم فمعاوية يَنحدر من بيت شرف في قريش وهو "بنو أمية" ووالده أبو سفيان كان المقدم في قريش كلها زمن ظهور الدعوة الاسلامية، وبإسلامه وصُحْبَته للنبي صلى الله عليه وسلم ارتفع شأنه –معاوية– خاصة مع ما عُرف عنه من علم وتَفَقُّه في الدين[2] وبهذا يمكنه الرفع من مكانته أمام جمهور الصحابة خاصة السباقين للإسلام.

د– تذكر أن ولاة الأمر من قريش، حيث يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الأئمة من قريش"[3]، وفي حديث آخر يجعل لذلك شروطا هي: "إذا استُرحِموا رحموا، وإذا عاهدوا وَفَوا، وإذا حَكَموا عدلوا"[4].

وفي حديث يرويه معاوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر فيه –معاوية– مُدافعا عن أَحَقِّية قريش في الخلافة من دون الناس ما داموا قائمين على حفظ دين الله عز وجل وذلك حين بلغه أن عبد الله بن عمرو بن العاص يُحَدِّث أنه سيكون مَلكٌ من قحطان، فخطب معاوية في الناس مُغضبا: "أما بعد فإنه بلغني أن رجالا منكم يُحدِّثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تُؤْثَرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولئك جُهَّالكم، فإياكم والأماني التي تُضِلُّ أهلها، فإني سمعت

---

(1) – البخاري: **صحيح البخاري**، ص 1690.(كتاب الحدود: باب رجم الحُبلى من الزنى إذا أحصنت).

(2) – **نفسه**، ص923، 924.(كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: باب ذكر معاوية رضي الله عنه).

(3) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص212.(كتاب الفضائل: باب ما ذكر في فضل قريش).

(4) – أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج33، ص21.(مسند البصريين). أبو نعيم الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج3، ص171. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك لهذا الحديث فإن فيها إشارة إلى استئثار قريش بالملك وليس الخلافة، وضوابط للعلاقة بينهم وبين الرعية، والاشارة الى الملك دون الخلافة يخدم شرعية الأمويين. عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الملك في قريش، ولهم عليكم حق، ولكم عليهم مثله ما حكموا فعدلوا، واستُرحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". الطبراني: **مسند الشاميين**، ج4، ص07.(حديث رقم2572).

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن هذا الأمر في قريش لا يُنازعهم أحد إلا أكَبَّهُ الله على وجهه، ما أقاموا الدين"[1].

هـ- أحاديث تُؤَكِّد أن الخلافة ستكون في قريش إلى نهاية الزمان، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لايزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان"[2]، وقد كان لعمرو بن العاص أيضا دور في إثبات أحقية قريش في الخلافة إلى يوم القيامة وهذا في مواجهة ادعاءات القبائل العربية بخروجها-الخلافة- من يد قريش فيقول: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة"[3].

و- الصيغة الأخيرة لأحاديث القرشية ذات صبغة خاصة وقد روى هذا الحديث جابر ابن سمرة[4] رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة. قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش"[5]، وظاهر معنى النص حسب هذه الرواية هو عزة الاسلام(الأمر=الدين في روايات أخرى للحديث) في عهد اثنا عشر خليفة يكونون من قريش، ويمكن أن يكون هذا مفيد للأمويين في نفي صفة الملك عنهم

---

(1) – أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج28، ص64، 65. (حديث معاوية بن أبي سفيان، رقم الحديث). البخاري: **صحيح البخاري**، ص1764.(كتاب الأحكام: باب الأمراء من قريش). الطبراني: **المعجم الكبير**، ج19، ص338. البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص521. واللفظ لأحمد.

(2) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص212. (كتاب الفضائل: باب ما ذكر في فضل قريش). البخاري: **صحيح البخاري**، ص1765.(كتاب الأحكام: باب الأمراء من قريش). مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص882.(كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص368.(كتاب الأمراء: باب إثبات الخلافة لقريش وانها فيهم أبدا).

(3) – الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص83.(أبواب الفتن: باب ما جاء أن الخلفاء من قريش إلى أن تقوم الساعة)

(4) – جابر بن سَمَرة بن جُنادة بن جندب بن حُجَيْر بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة العامري السُّوائي، حليف بني زهرة، أمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، له صحبة، نزل الكوفة وسكن بها، وكانت وفاته سنة74هـ/693م في ولاية بشر بن مروان. ابن حجر: **الاصابة في تمييز الصحابة**، ج1، ص542، 543.

(5) – مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص883. .(كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص80.(أبواب الفتن: باب ما جاء في الخلفاء) البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص519، 520. أبو داود: **سنن أبي داود**، ج6، ص335، 336.(أول كتاب المهدي). أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص369.(كتاب الأمراء: باب بيان إثبات الخلافة لقريش وأنها فيهم أبدا).

واعتبارهم من الخلفاء على اعتبار تتابع هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر.

لكن الحديث بهذه الصيغة يطرح عدة تساؤلات: هل هؤلاء الخلفاء متتابعون أم غير متتابعين؟ وماهي صفاتهم؟ وماذا بعد عهد الاثنا عشر خليفة؟ ثم إن هذا الحديث يضعنا في إشكال عند مقابلته بالحديث الذي يرويه "سفينة" رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يُفهَم منه أن الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون الملك بعدها، فإذا كانت الخلافة في الفترة التي حددها الحديث الذي يرويه "سفينة" تنتهي مع مقتل الخليفة علي رضي الله عنه ثم هي صائرة إلى ملك بعد ذلك فلماذا يشير هذا الحديث إلى وجود اثنا عشر خليفة؟

من جهة أخرى يرد في إحدى صيغ الحديث أن هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر "كُلُّهم تَجْتَمِع عليه الأمة"[1]، ومعنى هذا أن شرط اعتبارهم من الخلفاء هو توفر الاجتماع عليهم والبيعة العامة لهم من عموم المسلمين، لكن وِفْقَ هذه الصيغة فإن كل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي يُعدُّ من الخلفاء الراشدين وابنه الحسن رضي الله عنه لا يدخلان ضمن الخلفاء حيث لم تُبايِعْهُما كل الجماعة الاسلامية ويُضاف إليهما كل من يزيد بن معاوية الذي لم يُبايعه الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وخلع طاعته أهل المدينة، وابنه معاوية بن يزيد أيضا حيث لبث يسيرا في الخلافة ثم اعتزل، وحتى مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير لم تجتمع عليهما الأمة، كما أن بقية الخلفاء الأمويين –باستثناء عمر بن عبد العزيز– عرفت عهودهم كثيرا من ثورات الخارجين عليهم والرافضين لخلافتهم.

إن هذه الاشكالات المرتبطة بهذا الحديث قد أشار إليها القدماء في مؤلفاتهم[2]، ومن دراستنا لآرائهم وصيغ الحديث المختلفة نخلص إلى ما يلي:

– أنه لا يلزم أن يكون هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر مُتتَابعون حيث يَرد في إحدى روايات الحديث: "لا يزال هذا الأمر عزيزا مُنيفا لا يضره من ناوأه حتى تقوم الساعة إلى اثني عشر خليفة

---

(1) – أبو داود: **سنن أبي داود**، ج6، ص335.(أول كتاب المهدي). أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص373.(كتاب الأمراء: بيان عدد الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم...)

(2) – **أنظر**: البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص519-523. القاضي عياض: **شرح صحيح مسلم**، ج6، ص215-218. ابن الجوزي: **كَشف المُشكِل من حديث الصحيحين**، ج1، ص449-455. أبو العباس القرطبي: **المُفْهِم**، ج4، ص8، 9. النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج12، ص278، 280. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج4، ص569، 570. ابن حجر: **فتح الباري**، ج13، ص 211-215.

كلهم من قريش"[1]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم "حتى تقوم الساعة" إشارة إلى عدم تتابعهم وأنهم يكونون في أزمان مختلفة[2]، وهذا التفسير مفيد لعمر بن عبد العزيز تحديدا؛ ذلك أن القول بتتابع هؤلاء الخلفاء دون اعتبار شرط الاجماع الذي يرد في إحدى صيغ الحديث يُخرجه من دائرة الخلفاء ويُدخله في دائرة الملوك رغم ما عُرف عنه من عدل وتحرٍ للحق واجتهاد في رد مظالم الخلفاء الأمويين السابقين له[3].

– إن الاشكال الذي يثيره شرط الاجتماع على الخلفاء الاثنا عشر رده ابن كثير(774هـ/ 1372م) بقوله أنَّ الحديث الذي يرويه "سفينة" مولى الرسول صلى الله عليه وسلم فيه دلالة على أن علي بن أبي طالب وابنه الحسن من الخلفاء وهو ما اتفق عليه أئمة السنة والشيعة[4]، كما أن فيه إشارة صريحة إلى المنع من تسمية معاوية خليفة وعَدِّه من الخلفاء وإنما هو من الملوك[5].

لكن إذا كان هذا حال معاوية باعتباره المؤسس فإن من جاء بعده من الحكام الأمويين هم من الملوك وليسوا خلفاء بمن فيهم عمر بن عبد العزيز، ولتجاوز هذا الأمر يذهب القاضي عياض(ت544هـ/ 1149م) إلى أن المقصود بالخلافة في حديث "سفينة" هو "خلافة النبوة" ولم يُقَيِّدْه في حديث جابر بن سمرة بذلك[6]، ثم إنه لم يقل "لا يَلي إلا اثنا عشر"[7] وإنما قال: "لا يزال

---

(1) – أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص369.(كتاب الأمراء: بيان عدد الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم...).

(2)– البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص523. ابن الجوزي: **كشف المشكل**، ج1، ص454. النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**: ج12، ص278. ابن كثير: **تفسير**، ج2، ص617.

(3) – يكون ترتيب الخلفاء من دون شرط الاجماع كالاتي: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، معاوية بن أبي سفيان، يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك.

(4) – **البداية والنهاية**، ج4، ص570.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**. وهو يصف أيام معاوية قائلا: "فأيام معاوية أول الملك، فهو أول ملوك الاسلام وخيارهم". **نفسه**، ج5، ص433.

(6) – **شرح صحيح مسلم**، ج6، ص216. **أنظر أيضا**: النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج12، ص278. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج4، ص570. ابن حجر: **فتح الباري**، ج13، ص212.

(7) – القاضي عياض: **شرح صحيح مسلم**، ج6، ص217.

هذا الأمر(أو الدين)...إلى اثني عشر..."[1] أو "يكون من بعدي اثني عشر..."[2].

وفي رواية أخرجها البيهقي (ت458هـ/1065م): "لا تزال هذه الأمة مستقيم أمرها ظاهرة على عدوها -أو على غيرها- حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش"[3]، ومعنى هذا أنه لا يمنع أن يكون هناك خلفاء غير الذين يدخلون تحت حديث "سفينة" وشرط اعتبارهم خلفاء هو اتصافهم بالصلاح والحرص على إقامة العدل؛ وهذا يكون في أزمان مختلفة على غرار عمر بن عبد العزيز في بني أمية وبعض بني العباس[4]، أما ما يكون بعد هؤلاء الخلفاء فهو "الهَرْجُ"[5].

ما نخلص إليه أن هذا الحديث يثير إشكالات كثيرة بسبب تعدد طرقه واختلاف ألفاظه[6] حتى أن ابن الجوزي(ت510هـ/1116م) يُبدي استغرابه من ذلك فيقول: "هذا الحديث قد أطلت البحث عنه وطلبته مظانَّه، وسألت عنه، فما رأيت أحدا وقع على المقصود به، وألفاظه مختلفة لا أشك أن التخليط فيها من الرواة"[7]، إضافة إلى ذلك فإن هذا الحديث وإن كان مفيد في كسب الأمويين للشرعية باعتبارهم قرشيين فإنه يمنعهم الشرعية المتأتية من "الخلافة"، إذ لا يُدخلهم في عداد الخلفاء بسبب نمط إرسائهم لسلطتهم والتجاوزات التي قاموا بها في حق رعيتهم وعدم التزامهم بالعدل في سياستهم باستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تحرى سيرة الخلفاء الراشدين وتحديدا سيرة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستحق أن يكون من الخلفاء.

---

(1) – مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص883.(كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). أبو داود: **سنن أبي داود**، ج6، ص335، 336.(كتاب المهدي). البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص520.

(2) – الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص80. أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص370.(كتاب الأمراء: بيان عدد الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم...).

(3) – **دلائل النبوة**، ج6، ص520.

(4) – أبو العباس القرطبي: **المُفهِم**، ج4، ص8. ابن كثير: **تفسير**، ج2، ص617. ابن حجر: **فتح الباري**، ج13، ص212.

(5) – أبو داود: **سنن أبي داود**، ج6، ص336.(كتاب المهدي). البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص519. الهرج: الفتنة في آخر الزمان، وهو شدة القتل وكثرته. الزبيدي: **تاج العروس**، ج6، ص375. (مادة: ه ر ج).

(6) – جمع أبو عوانة أكثر من عشرين طريقا لهذا الحديث. أبو عوانة: **مسند أبي عوانة**، ج4، ص369_373. (كتاب الأمراء: بيان عدد الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم...).

(7) – **كَشف المُشكِل من حديث الصحيحين**، ج1، ص449، 450.

3- أحاديث الطاعة ولزوم الجماعة:

كان للأحاديث النبوية التي انتشرت في القرن الأول والثاني للهجرة دور مهم في التأكيد على ضرورة الإمام والحض على طاعته ولزوم جماعة المسلمين والنهي عن تفريقها، فلم يعد إيمان الفرد مقتصرا على العبادات فقط بل أيضا في الحرص على وحدة الجماعة والسمع والطاعة للأئمة وتجنب الخروج عليهم لما في ذلك من سفك للدماء وَهَتكٍ للأعراض وإضعاف للجماعة الاسلامية[1]، وكانت البيعة هي صمام الأمان في العلاقة بين الإمام والجماعة الاسلامية، فَأُحيطَتْ بها هَالةٌ من التقديس زيادة في التوكيد على ضرورتها وأهميتها في ضمان وحدة الجماعة وتماسكها، وكان للأحاديث التي رُوَيت عن الرسول صلى الله عليه وسلم دور مهم في فرض هذا التقديس من خلال الحث عليها والمطالبة بالوفاء بالبيعة للأئمة في المَنْشطِ والمكْره والتحذير من عواقب نَقْضها.

من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم عن الصحابي عبادة بن الصامت[2] رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى البيعة "...على السمع والطاعة في مَنْشَطنا ومَكْرَهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وَأَثَرة علينا، وأن لا نُنَازع الأمر أهله، إلا أن تَرَوا كُفْرا بَواحًا عندكم من الله فيه برهان"[3]، وفي هذا الأثر أمر صريح بالتزام البيعة والتمسك بها وعدم الخروج على الأئمة والصبر على أذاهم والمنع من منازعتهم سلطانهم بالثورة عليهم إلا في حالة إقامة الدليل والبرهان على كفرهم.

وفي أثر آخر يرويه معاوية بن أبي سفيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[4]، وفي هذا الحديث تأكيد على ضرورة البيعة للإمام القائم والتحذير من الموت بغير إمام تبايعه وتعتقد بإمامته وهو موت على ضلال كحال أهل الجاهلية[5].

---

[1] - أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج29، ص336.(مسند الشاميين). أياد بن عاشور: **الفكر السياسي الاسلامي**، ص27.

[2]- عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية، وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام لتعليم الناس أمور دينهم، وأقام بحمص، ثم فلسطين حيث ولي قضاءها، توفي سنة34هـ/654م. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص630، 631.

[3] - **صحيح البخاري**، ص1748.(كتاب الفتن: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سترون بعدي أمورا تنكرونها". صحيح مسلم، مج2، ص893.(باب وجوب طاعة الإمام في غير معصية وتحريمها في المعصية.

[4] - الطبراني: **المعجم الكبير**، ج19، ص334، 335.(حديث رقم 769).

[5] - ابن حجر: **فتح الباري**، ج13، ص6.

وليس المراد بها حسب الشُرَّاح الموت كفرا وإنما الموت عاصيا[1]، ثم هو يخدم مصلحة الأمويين في مواجهة الثائرين عليهم وسحب الشرعية منهم خاصة أن راوي الحديث هو الخليفة معاوية نفسه، كما يُمكن توظيفه كمبرر شرعي للعنف الذي يُمارسُ ضد هؤلاء الثائرين بحجة الخروج على الإمام وتفريق جماعة المسلمين.

لكن لا بد من الإشارة إلى أنه من جانب آخر فإن هذا الحديث تحديدا يُثير إشكالات متعددة، بدءا من عدم الإشارة إليه في تحديد الموقف من "سعد بن عبادة" رضي الله عنه الذي تذكر بعض الروايات أنه امتنع عن بيعة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حتى وفاته في سنة15هـ/626م[2]، كما لم يتم توظيفه من قبل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أيضا ضد من خالفهما وخرج عليهما، وكان الخليفة علي قد اعتزل بيعته كثير من الناس، ونكثها البعض، ورفضها أهل الشام، وأما بالنسبة لهؤلاء الذين اعتزلوا كل من علي ومعاوية فإنهم بقوا أكثر من خمس سنوات دون أداء البيعة لأي خليفة، ومن المفترض أن يكون بعضهم قد مات دون أن يكون في عنقه بيعة لإمام، ومع ذلك لا توجد في المصادر إشارات إلى اعتبار أنهم ماتوا "ميتة جاهلية"[3].

كما يُثير إشكالا هاما حول الموقف الشرعي من معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الأمويين من بعده، فمعاوية رفض طاعة الخليفة علي بن أبي طالب وقاتله رغبة في الوصول إلى الخلافة، وقد أشار الخليفة علي إلى أنه خارج عن الجماعة[4]، وإذا كان هو نفسه –معاوية– من رواة أحاديث تمنع الخروج على الإمام وتَعتبر من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية فكيف استطاع تجاوز هذا الحديث وإيجاد المبرر الكافي لقتال الخليفة علي بن أبي طالب خاصة وأنه لم يُعلن نفسه خليفة حتى

---

(1) – **نفس المصدر والصفحة**. الشوكاني: **نيل الأوطار**، ج7، ص203. وحسب أبي العباس القرطبي فإن معنى موت الجاهلية: أنهم كانوا فيها لا يبايعون إماما، ولا يدخلون تحت طاعته، لهذا فالمسلم الذي لا يبايع إماما ولا يدخل في طاعته فقد شابههم في ذلك، وموته على تلك الحالة مثل حالهم مرتكبا كبيرة من الكبائر، ويُخاف عليه بسببها ألا يموت على الاسلام. القرطبي: **المفهم**، ج4، ص59.

(2) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج3، ص569. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج2، ص264. 272. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج3، ص222، 223.

(3) – حياة عمامو: **السلطة وهاجس الشرعية**، ص48، 49.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص84.

مقتل الخليفة علي سنة 40هـ/660م؟.

ويبرز الطابع المقدس للبيعة أيضا في حديث آخر يرويه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من خَلَعَ يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجَّةَ له، ومن مات وليس في عُنُقِه بيعة مات ميتة جاهلية"[1]، وأهمية هذا الحديث لا تكمن في طبيعة المصير الأخروي الذي ينتظر من خلع طاعة الامام فحسب؛ وإنما أيضا لوضع الحديث في إطار تاريخي يتمثل بواقعة الحرة(63هـ/683م) التي استباح فيها جيش يزيد بن معاوية المدينة المنورة، وفي الواقع فإن رواية ابن عمر لهذا الحديث بعد هذه الواقعة الحربية بالذات ومخاطبا به عبد الله بن مُطيع العدوي[2] أحد قادة ثورة أهل المدينة فيه ذَمٌّ صريح لقادة ثورة المدينة الذين خلعوا طاعة يزيد مُتَّهِمين إياه بالفسق والفجور والتعدي على حدود الله، وفي المقابل يمكن اعتباره اعترافا من قبل ابن عمر بخلافة يزيد وعدم جواز الخروج عليه رغم السلبيات الكثيرة التي اتصف بها وهذا منعا لإراقة الدماء في سبيل تولي الخلافة.

وبسبب هذا الطابع المقدس للعلاقة بين المبايِع والمبايَع فإن الأحاديث المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم شَدَّدَت على مسألة الطاعة للإمام حفاظا على وحدة السلطة وتماسك الجماعة الاسلامية واستمرارها، وهذا ما يفسر الربط بين "الطاعة" و"الجماعة" في هذه الأحاديث، لكن ما يُلاحظ أن خطاب هذه الأحاديث يسير في اتجاه واحد وهو مطالبة الرعية بالطاعة كَحَقٍّ للإمام دون تحديدٍ لحقوق الرعية التي عليها التسليم بالطاعة فحسب والصبر على تجاوزات الحاكم في حقها وَرَدِّ الأمر إلى الله عز وجل.

من هذه الأحاديث ما يرويه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال له: "...إن كان لله خليفة في الأرض، فضرب ظهرك، وأخذ مالك فَأَطِعْه، وإلا فَمُتْ وأنت

---

[1] – أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج9، ص386.(مسند عبد الله بن عمر). مسلم: **صحيح مسلم**، مج 2، ص898.(كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن).

[2] – عبد الله بن مطيع العدوي: ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، حارب يزيد بن معاوية في موقعة الحرة، ثم هرب الى مكة ولحق بابن الزبير، قتل في حصار مكة من قبل الحجاج سنة 73هـ/ 692م. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج17، ص332، 333.

عاضٌّ على جِذل[1] شجرة"[2]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فَيَكْثُرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا بِبَيْعة الأوَّل فالأوَّل، أعطوهم حقهم، فإنَّ الله سائِلُهم عَمَّا اسْتَرْعاهُم"[3]، وفي هذا الحديث دعوة إلى الوفاء بِبَيْعة الخلفاء وإعطائِهم حقوقهم في الدنيا أما حقوق الرَّعية فهي مؤجلة إلى الآخرة إذ الله سائل كل راع عن رعيته ما فعل فيها.

وفي أثر آخر يرويه ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم مطالبة للمسلمين بالصبر على جور الحكام ووعيد لمن خلع الطاعة وفارق الجماعة قَيْد شبر بميتة الجاهلية[4]، وهنا نطرح السؤال التالي: هل هناك حدود لطاعة الأئمة؟ في هذا الإطار يُؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"[5]، وهذا الحديث الذي يربط بين طاعة الله والرسول والأمير لا يوضح في الواقع حدود الطاعة للأمير.

لكن من الواضح أنه إذا كانت الطاعة لله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم مطلقة، فإن الطاعة للأمير أو الحاكم غير مطلقة بدليل أحاديث أخرى تضع حدودا للطاعة الممنوحة لولي الأمر، منها الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "...إنما الطاعة في المعروف"[6]، ولا طاعة للإمام إذا أمر بمعصية لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أَحَبَّ وَكَرِه، إلا أن يُؤْمَر بمعصية، فإن أُمر

---

(1) – جِذْل الشجرة: أصلها. الزبيدي: **تاج العروس**، ج28، ص197.(مادة: ج ذ ل)

(2) – أبو داود: **سنن أبي داود**، ج6، ص296، 297.(كتاب الفتن: باب ذكر الفتن ودلائلها). ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج14، ص7، 8.(كتاب الفتن: باب من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها).

(3) – البخاري: **صحيح البخاري**، ص856.(كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل). مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص894.(كتاب الإمارة: باب وجوب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول).

(4) – البخاري: **صحيح البخاري**، ص1765.(كتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية). أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج4، ص290.(تتمة مسند عبد الله بن عباس: حديث رقم2487).

(5) – مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص891.(كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية). ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص243.(كتاب السِّيَر: باب ما جاء في طاعة الإمام والخلاف عنه).

(6) – أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج2، ص57. (مسند علي بن أبي طالب). البخاري: **صحيح البخاري**، ص 1765.(كتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية).

بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[1]، وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه –الذي ذكرناه سابقا– ربط بين الطاعة وكفر الامام، فإذا ظهر كفر الامام يمكن للجماعة نَقض بيعته وخلعه[2].

أما حديث أم سَلَمَة[3] رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يمنع الخروج على الحاكم وقتاله مادام مقيما للصلاة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنها ستكون أمراء تعرفون وتُنْكِرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رَضي وتَابَع، قالوا: يا رسول الله أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صَلُّوا"[4]، وهكذا فإذا كان السيف هو الهاجس الدائم للحكام، فإن كف اليد عن قتالهم مهما اقترفوا من تجاوزات في حق رعيتهم والصبر على أذاهم هو الحل والملجأ الوحيد الذي تضعه هذه الأحاديث أمام الجماعة الاسلامية التي لا يمكنها رفع السيف في وجه الحكام مطالبة إياهم بحقوقها[5].

وفي حديث آخر يُروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم منذ زمن الفتنة الأولى نهي صريح عن الخروج على الإمام وتفريق جماعة المسلمين، بل وقتل من ينازع الحاكم حقه في الحكم، ففي سنة 34هـ/654م بعد رد أهل الكوفة لسعيد بن العاص قام عبد الله بن عمير الأشجعي[6] في مسجدها قائلا: "أيها الناس، اسكتوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خرج

---

(1) – مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص892. يذكر ابن كثير أن الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري ولاه زياد بن أبيه الغزو فغنم شيئا كثيرا، فجاءه كتاب من زياد على لسان معاوية يأمره فيه أن يصطفي لمعاوية ما في الغنيمة من الذهب والفضة ويوزع الباقي على الجند، فرد عليه الحكم: "إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، أَوَلَمْ يسمع لقوله عليه السلام: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، ثم وزع الغنائم على الجند. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص461.

(2) – البخاري: **صحيح البخاري**، ص1748.(كتاب الفتن: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سترون بعدي أمورا تنكرونها". الطبراني: **مسند الشاميين**، ج1، ص141.(حديث رقم225).

(3) – هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومية، كانت تحت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية ثم تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم سنة أربع للهجرة، توفيت سنة 59هـ/678م وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص 201-203.

(4) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج14، ص66، 67.(كتاب الفتن: باب من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها). الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص113.(أبواب الفتن)

(5) – عبد الجواد ياسين: **السلطة في الاسلام**، ص298.

(6) – عبد الله بن عمير الأشجعي: له صحبة، وهو من أهل المدينة. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص723.

وعلى الناس إمام –والله ما قال عادل– لِيَشُقَّ عَصاهم، ويُفَرِّق جماعتهم، فاقتُلوه كائنًا من كان"[1].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يَشُق عصاكم أو يُفَرِّق جماعتكم فاقتلوه"[2]، وفي هذه الأحاديث تأكيد على وحدة الجماعة وضرورة الحفاظ عليها وقتل كل من يروم تفريق وحدة المسلمين وتشتيت جماعتهم، وفي هذا قضاء على إمكانية استخدام فكرة الشورى في مواجهة الحكام أو الخلفاء الذين وصلوا للحكم من غير شورى فارضين أنفسهم على الجماعة الاسلامية[3]، وهو يفيد الأمويين الذين عانوا كثيرا من الثائرين عليهم تحت شعار الشورى والعودة إلى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يُمكن توظيفها كمبرر شرعي للعنف الذي يُمارسُ ضد هؤلاء الثائرين.

4– حديث الفرقة الناجية:

يُخبِر الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث يُؤْثَر عنه عن حالة التَشَرْذُم والافتراق الكائنة في أمته بعد وفاته حيث يروي أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وَتَفرَّقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[4]، وفي هذا الحديث إنباء عن افتراق الأمة الاسلامية على غرار أُمَّتَيْ الكتاب السابقة اليهودية والنصرانية إلى بِضْعٍ وسبعين فرقة دون تحديد سبب الافتراق ومآلاته.

إن الرواية السابقة لن تلبث أن يُدخل عليها عدة تغييرات أو إضافات كان للصراع المذهبي والسياسي في القرنين الأول والثاني للهجرة أثر واضح في إحداثها نظرا لاستخدام كل فرقة أو حزب

---

(1) – الطبري : **تاريخ الطبري**، ج4، ص336. ولهذا الحديث شاهد آخر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "...من بايع إماما فأعطاه صفقة يمينه وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عنق الآخر". مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص894، 895.(كتاب الإمارة: باب وجوب الأمر ببيعة الخلفاء، الأول فالأول). أبو داود: **سنن أبي داود**، ج6، ص302.(كتاب الفتن: باب ذكر الفتن ودلائلها).

(2) – مسلم: **صحيح مسلم**، مج2، ص899.(كتاب الإمارة: باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع).

(3) – رضوان السيد: **الأمة والجماعة والسلطة**، ص141.

(4) – أبو داود: **سنن أبي داود**، ج7، ص05.(كتاب السنة: باب شرح السنة). الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص381. (أبواب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة). الحاكم: **المستدرك**، ج1، ص47.(كتاب الإيمان). ابن ماجة: **سنن**، ج2، ص1321.(كتاب الفتن: باب افتراق الأمم). ابن أبي عاصم: **السنة**، ج1، ص33.

لهذا الحديث في تبرير وجودها وإضفاء الشرعية على مطالبها وسياساتها أو للحكم بضلال الآخر وتكفيره، لهذا فإن روايات هذا الحديث تتعدد وتَتشعَّب حسب استخدام كل فرقة له، ومن خلال عملي قمت بتوظيف الأحاديث التي رواها الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان نظرا لموقعه كخليفة للمسلمين والغاية السياسية الواضحة من روايته لهذا الحديث، أو روايات أخرى تخدم مشروعية السلطة الأموية، أو يمكن توظيفها من قبل الأمويين في نسف الطروحات المعارضة لحكمهم.

أ– عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إنَّ من قَبْلَكُم من أهل الكتاب افترقوا على ثْنَتَين وسبعين مِلَّة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة"[1].

إن الاضافة التي يقدمها هذا الحديث وفق هذه الصيغة التي ذكرها الخليفة معاوية في خطبة له بمكة في موسم الحج هو افتراق أهل الكتاب من اليهود والنصارى على أساس ديني–مذهبي إلى ثنتين وسبعين "مِلَّة"، ومثلهم ستفترق الأمة الاسلامية إلى ثلاث وسبعين مِلة، وهذا الافتراق ذي الخلفية الدينية–المذهبية سوف لن يؤدي إلى تشرذم على المستوى الاجتماعي فحسب؛ وإنما على المستوى السياسي أيضا نظرا للارتباط الوثيق بين العقيدة والسياسة خاصة في تلك الفترة حيث الصراع محتدم بين مختلف الفرق فكريا وسياسيا وعسكريا، وسيكون مصير هذه الفرق هو النار باستثناء "فرقة ناجية" واحدة هي "الجماعة"، وهذا المصير الأخروي المرعب الذي ينتظر الاثنتين وسبعين فرقة المشار إليها في الحديث يعود إلى تسببها في افتراق كلمة المسلمين وتشتيت جماعتهم.

من جهة أخرى سيظهر صراع بين مختلف الأطراف(سواء السلطة الحاكمة أو غيرها من الفرق والأحزاب) خلال القرنين الأول والثاني للهجرة وما بعدهما حول "الجماعة" التي تمثل الفرقة الناجية، ورغم أن متن الحديث لا يشير إلى أي انقسام سياسي وإنما فُرقة على أساس ديني–مذهبي فإن توظيف السلطة الأموية له ممثلة في شخص الخليفة في حد ذاته تجعل لهذا أهدافا سياسية واضحة

---

[1] – أبو داود: **سنن أبي داود**، ج7، ص06.(كتاب السنة: باب شرح السنة). أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج28، ص134، 135.(مسند الشاميين). الطبراني: **مسند الشاميين**، ج2، ص108، 109.(حديث رقم 1005). البيهقي: **دلائل النبوة**، ج6، ص541، 542.

خاصة مع الحرص الشديد من قبل الخليفة معاوية ومن جاء بعده من الخلفاء الأمويين على اعتبار "جماعة الشام" هم "الجماعة الحقَّة" في مواجهة ادعاءات معارضيهم السياسيين خاصة أهل العراق والحجاز.

ويؤكد هذا الحرص التأويل الذي عمل معاوية على نشره لحديث "الطائفة المنصورة" أنهم أهل الشام تحديدا دون غيرهم، وفي هذا الصدد يُؤْثَر عنه أنه قال: "يا أهل الشام، حدَّثَني الأنصاري (يعني زيد بن أرقم) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام"[1].

ولكن هذا الرجاء من معاوية سوف يتحول إلى تأكيد على لسان مالك بن يَخَامِر[2] أحد فُضَلاء التابعين من أهل الشام في تعليقه على رواية أخرى لهذا الحديث رواها معاوية نفسه قائلا: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل ظاهرون على الناس. فقام مالك بن يَخَامِر السَّكْسكي فقال: يا أمير المؤمنين سمعت معاذ بن جبل[3] يقول: وهم أهل الشام، فقال معاوية ورَفع صوته: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول: وهم أهل الشام"[4].

ومما لا شك فيه أن التوظيف السياسي لهذا الحديث(حديث الفرقة الناجية) لا يُكسب السلطة الأموية القائمة مبرر وجودها وشرعية استمرارها فحسب؛ وإنما أيضا إثبات نجاتها هي وأنصارها في مقابل تأكيد ضَلال وهلاك الفرق والأحزاب المعارضة جميعها مهما بلغ عددها وإن تجاوزت السبعين، وفي نفس الوقت يمنح هذا الحديث للسلطة المبرر الشرعي الكافي الذي يُخَوِّلها قمع

---

[1] – الهيثمي: **مجمع الزوائد**، ج7، ص287.(كتاب الفتن: باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق).

[2] – مالك بن يخامر السكسكي: يُقال أن له صحبة، وهو من أهل حمص ومن أصحاب معاذ بن جبل، مات حوالي 70هـ/ 689م أو 72هـ/691م. ابن حجر: **الإصابة**، ج5، ص 563، 564. والسَّكاسِك قبيلة يمنية مستقرة بالشام.

[3] – معاذ بن جبل: بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة الثانية، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى اله عليه وسلم، استقر بالشام، وتوفي في طاعون عمواس سنة18هـ/639م. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص1139، 1140.

[4] – أحمد بن حنبل: **مسند الامام أحمد**، ج28، 128، 129. (باب حديث معاوية بن أبي سفيان). البخاري: **صحيح البخاري**، ص895.(كتاب المناقب). الفسوي: **المعرفة والتاريخ**، ج2، ص297. أبو يعلي: **مسند أبي يعلى الموصلي**، ج13، ص375. (باب حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه).

أي معارضة تقوم ضدها، لا بحجة معارضتها للنظام فقط؛ وإنما أيضا لابتداعها في الدين وتفريقها وحدة الجماعة الاسلامية وشق عصا الأمة[1]، وهذا ما حدث فعليا في محاربة الأمويين لأصحاب المذاهب المخالفة.

ب– في رواية أخرى لهذا الحديث يرويها الصحابي أبو أمامة الباهلي[2] رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم تحديد آخر للفرقة الناجية واعتبار "السَّواد الأعظم" هو الفرقة المخصوصة بالجنة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعين في النار وواحدة في الجنة، واختلفت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة احدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة، وتختلف هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة، فقلنا: أَنْعِتْهُم لنا، قال: السواد الأعظم"[3].

إن هذا الحديث لا يوضح من هم السواد الأعظم وما هي صفاتهم، لكن حسب رواية أخرى للحديث أخرجها الطبراني فإن الرسول صلى الله عليه وسلم عرَّف السواد الأعظم أنهم "من كان على ما أنا عليه وأصحابي..."[4]، ويوافق هذا التحديد رواية أخرى لهذا الحديث يرويها عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية هي المتمسكة بـ "ما أنا عليه وأصحابي"[5] لكن دون إشارة إلى السواد الأعظم في الرواية الأخيرة.

فالجماعة الناجية وفق هذه الصيغة هم الملتزمون باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أو الذين يُطْلَق عليهم في هذا الحديث وَصف "السواد الأعظم"، وإذا أخذنا بالتعريف اللغوي للسواد الأعظم من الناس بأنهم "الجمهور الأعظم والعدد الكثير من المسلمين الذين تَجَمَّعوا على

---

(1) – عبد الله السريحي: **حديث افتراق الأمة**، ص99.

(2)– أبو أمامة الباهلي: واسمه صُدَي بن عجلان، سكن مصر ثم انتقل منها إلى حمص من أرض الشام، وكان من المكثرين في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي سنة81هـ/700م، وقيل سنة86هـ/705م. ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج4، ص1602.

(3) – الطبراني: **المعجم الكبير**، ج8، ص327، 328.(حديث رقم8051). أبو يعلى: **مسند أبي يعلى**، ج7، ص36.

(4) – الطبراني: **المعجم الكبير**، ج8، ص178، 179.(حديث رقم 7659).

(5) – الترمذي: **الجامع الكبير**، ج4، ص381.(أبواب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة).

طاعة الإمام وهو السلطان"[1] فإن هذا يعني أن الفرقة الناجية انطلاقا من هذا التفسير اللغوي حسب الكم العددي هم الجماعة التي بايعت معاوية والخلفاء الأمويين من بعده.

لكن –حسب رضوان السيد– فإن ما يتضح من أسانيد الروايات المختلفة لهذا الحديث أنَّ المعتزلين للسلطة الأموية وخصومها من أهل الحجاز والبصرة هم الذين آثروا تفسير الفرقة "الناجية" في خاتمة الحديث بأنها ما كان عليه الرسول وأصحابه، أما رجالات المرجئة الأولى الذين اشتهروا بمعارضتهم للأمويين(مثل سفيان الثوري وأبي حنيفة وأصحابه) فقد فَسَّروا الجماعة بأنهم "السواد الأعظم" من المسلمين دون تحديد فرقة خاصة[2]، وفي هذا التفسير نقض لدعاوي معاوية وجماعة الشام أنهم وحدهم الفرقة الناجية.

وهكذا فإن هذا الحديث يوضح لنا حقيقة الصراع الذي كان قائما من أجل توظيف الحديث النبوي في السجالات المذهبية والسياسية التي كانت قائمة خلال هذه الفترة وسعي كل طرف إلى توظيف المقدس في خدمة السياسي المدنس.

5– أحاديث فضائل معاوية بن أبي سفيان:

5–1– أحاديث الفضائل الشخصية:

يرد في هذا القسم الكثير من الأحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم والتي تمثل إشادة من قبله بفضائل تميز بها معاوية عن بقية الصحابة ولا شك أنها ترفع مكانته في صفوفهم، وهذه الأحاديث تأتي على شكل دعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم له ومنها:

– صيغة الدعاء لمعاوية بالعلم والجنة والوقاية من العذاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم عَلِّمْه الكتاب والحساب وَقِهِ العذاب"[3].

– صيغة الدعاء له بأن يكون هاديا ومهديا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم

---

[1] – ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص225.

[2] – رضوان السيد : **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص41، 42.

[3] – الطبراني: **مسند الشاميين**، ج1، ص190.(حديث رقم333). ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص75. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص124.

اجعله هاديا مهديا واهد به"[1].

– صيغة الدعاء له بالعلم والوقاية من العذاب والتمكين له في البلاد وهذا من شأنه أن يكون مفيدا له في تبرير سلطته وإكساب حكمه الشرعية باعتبار دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له، ونص دعاء الرسول له: "اللهم علمه الكتاب ومكِّن له في البلاد وَقِهِ العذاب"[2].

إن هذه الأحاديث التي ذكرناها تمثل جزءا يسيرا من مجموع الآثار الواردة[3] في فضائل معاوية ابن أبي سفيان وهي في عمومها تدخل في إطار الصراع الفكري بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب الاسلامية الأخرى، ذلك أن انقسام المسلمين إلى تيارات متعددة: سنة، خوارج، شيعة ومعتزلة، أدى إلى سعي رواد كل فكر إلى التأثير على سيرورة التاريخ من خلال الدعاية المذهبية والحط من المذهب الآخر الذي يمثل تهديدا له سواء على الصعيد الفكري أو السياسي، وفي هذا الاطار مثَّل الزعماء/الرموز مادة سهلة لخلق شخصيات نمطية سلبا أم إيجابا، وكان ذلك حال عثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان[4]، والملاحظ أن أحاديث المناقب تكون عادة عرضة لزيادات يقحمها بعض ضعاف الرواة في الأحاديث الصحيحة الأصل لتقوية حجج بعض الفرق أو الطوائف في منازعاتها المذهبية، ومنها ما يتناول أمور غيبية تعظم من شأن أحد الخلفاء أو الصحابة ردا على من يعترض على أحقيته بالخلافة أو التشكيك في أفضليته[5].

لهذا فقد تضخمت صورة معاوية بن أبي سفيان إلى الحد الذي اعتُبر فيه سِتْرٌ لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من طَعَنَ فيه فقد تجرأ على الطعن في كبار الصحابة، حيث كان الربيع

---

[1] – الطبراني: **مسند الشاميين**، ج1، ص190، 191.(حديث رقم334). الترمذي: **الجامع الكبير**، ج6، ص157.(أبواب المناقب: باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه). ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص83.

[2] – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص17. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص78.

[3] – ترد في المصادر الكثير من الأحاديث الخاصة بفضائل معاوية لكن علماء الحديث يرفضونها بسبب الوضع الظاهر فيها، كما تنتشر أحاديث كثيرة في ذمه وهي ظاهرة الوضع أيضا حسبهم، حول هذه الأحاديث **أنظر**: ضرار بن عمرو الغطفاني: **كتاب التحريش**، ص 48–50. ابن الجوزي: **الموضوعات**، ص17–27. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص536–549. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص123–131. السيوطي: **اللآلئ المصنوعة**، ج1، ص414–427. الشوكاني: **الفوائد المجموعة**، ص 403–407. سعيد الأفغاني: **معاوية في الأساطير**، ص 86–92.

[4] – محي الدين لاغة: **تحول صورة معاوية**، ص335. **أنظر أيضا**: سعيد الأفغاني: **معاوية في الأساطير**، ص92.

[5] – محمد المختار ولد ابّاه: **تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب**، ص20.

بن نافع[1] يقول: "معاوية بن أبي سفيان سِتر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كشف الرجل الستر اجتُرئ على ما وراءه"[2].

لكن هذه الصورة المضخمة لمعاوية تدخل كما ذكرنا سابقا في إطار الصراع السني-الشيعي خصوصا، ويبدو للدعاية المنظمة دور مهم في تفشي الوضع في الحديث خدمة لأهداف سياسية في الغالب مرتبطة بتكوين مثل هذه الصورة لمعاوية ورفعه إلى مستوى يتجاوز فيه مكانة خصومه السياسيين وخاصة غريمه في الفتنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسوف نذكر فيما يلي مجموعة من الشواهد النصية التي تبين هذه الظاهرة ودورها في رسم صورة مبالغ فيها عمَّا يمكن أن تكون عليه شخصية معاوية بن أبي سفيان:

– ينقل عبد الله بن أحمد بن حنبل[3] عن أبيه قائلا: "سألت أبي فقلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: إيش أقول فيهما؟ إن عليا عليه السلام كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوه فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيادا منهم له"[4]، وفي هذا القول المنسوب لأحمد بن حنبل تأكيد على الدعاية المنظمة التي قام بها أنصار معاوية بن أبي سفيان – سواء بأمر منه أم لا– في رفع مكانة هذا الأخير واختلاق الأخبار والآثار الدالة على فضائله في مقابل التعتيم على فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

– كان إسحاق بن إبراهيم الحَنْظَلي(ابن راهويه)[5] يقول: "لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل معاوية بن أبي سفيان شيء"[6].

---

(1) – الربيع بن نافع الحلبي: العالم المحَدِّث، نزيل طرسوس، ولد حوالي العام 150هـ/767م وتوفي سنة 241هـ/855م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص 653، 654.

(2) – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج1، ص577.

(3) – عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، محدث وفقيه، أشتهر بالرواية عن أبيه، ولد سنة213هـ/828م، وتوفي سنة290هـ/902م. الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج11، ص12-14.

(4) – ابن الجوزي: **الموضوعات**، ج2، ص24. ابن حجر: **فتح الباري**، ج7، ص104.

(5) – إسحاق بن إبراهيم بن مَخلد الحنظلي المعروف بابن راهَويه، فقيه ومحدث، نزيل نيسابور وعالمها، كان مولده سنة 161هـ/ 777م، وتوفي سنة 238هـ/852م. السُبْكي: **طبقات الشافعية**، ج2، ص83-88.

(6) – ابن الجوزي: **الموضوعات**، ج2، ص24.

– قال هشام بن عمار الدمشقي[1]واصفا الأخبار المتداولة لدى الشاميين في وصف معاوية رغم الزمن المبكر الذي عاش فيه: "نظرت في أحاديث معاوية عندكم فوجدت أكثرها مصنوعا"[2]، وفي هذا القول دليل على مدى استفحال ظاهرة الوضع في الحديث واختلاق الأخبار التي ترفع من مكانة معاوية في نظر جمهور المسلمين.

– يُرجع ابن الجوزي في سياق نقده للأحاديث الواردة في فضل معاوية سبب انتشارها إلى التعصب المذهبي بين السنة والشيعة ما أنتج عنه ظاهرة الوضع في الحديث من كلا الطرفين مدحا أو قدحا في معاوية فيقول: "قد تعصب قوم ممن يدعي السنة فوضعوا في فضله أحاديث ليُغضبوا الرافضة، وتعصب قوم من الرافضة فوضعوا في ذمه أحاديث وكلا الفريقين على الخطأ الصريح"[3].

– وعلى غرار ابن الجوزي يُرجع الذهبي المبالغة في حب معاوية والمغالاة في تفضيله إلى الصراع المذهبي بين السنة والشيعة مع حصره ضمن مجال جغرافي محدد أو جعله صراع بين إقليمين؛ ليصبح صراع بين أهل العراق (أنصار علي بن أبي طالب) وأهل الشام(أنصار معاوية بن أبي سفيان) مع إبرازه دور الدعاية المنظمة التي قام بها معاوية في سبيل نشر فضائله في مقابل التعتيم على فضائل خصمه علي بن أبي طالب، وهكذا فقد "...خَلَف معاوية خلق كثير يحبونه وَيتَغالون فيه ويُفَضّلونه...إما قد مَلَكَهُم بالكرم والحِلْم والعطاء وإما قد ولدوا في الشام على حبه وتربى أولادهم على ذلك"[4]، وفي المقابل نشأ أهل العراق على حب علي بن أبي طالب "...والقيام معه وبُغض من بغا عليه والتبرّي منهم، وغلا خلق منهم في التشيع"[5].

ويُبدي الذهبي تعجبه من هذه المغالاة في الحب والبغض لدى أهل الشام وأهل العراق ومدى

---

(1) – هشام بن عمار بن نُصير بن ميسرة السُّلمي الدمشقي، خطيب المسجد الجامع بدمشق، أحد كبار رواة الحديث الشاميين، كان ثقة صدوقا، توفي سنة 244هـ/858م أو 245هـ/859م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج30، ص242-254.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص81. يعلق رضوان السيد على كلام هشام بن عمار قائلا: "ومن قرأ ترجمة معاوية في تاريخ دمشق الكبير، والآثار الواردة لنصرة معاوية أو إدانته في أنساب الأشراف للبلاذري، أو تاريخ الطبري، أو كتاب الفتن والملاحم لنعيم بن حماد، أو سير أعلام النبلاء للذهبي، أو الفوائد المجموعة للشوكاني، تحقق صدق قول هشام بن عمار". رضوان السيد: **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص 74، 75.

(3) – **الموضوعات**، ج2، ص15.

(4) – **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص128.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**.

تأثيرها على صحة الأحكام التي يطلقها كل طرف ونظرته للآخر، وبالتالي تأثيرها على صحة الأخبار الواردة عن علي ومعاوية فيقول: "فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يُشاهد فيه إلا غاليا في الحب، مفرطا في البغض، ومن أين يقع له الانصاف والاعتدال"[1].

– أخيرا، وعلى غرار من سبقه ينفي ابن حجر صحة الأحاديث الواردة في فضل معاوية بسبب ظاهرة الوضع في الحديث قائلا: "وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة ليس فيها ما يصح من طريق الاسناد وبذلك جزم اسحق بن راهويه والنسائي وغيرهما"[2].

ومن الأحاديث التي انتشرت في الفترة الأموية وفيها منقبة للخليفة معاوية بن أبي سفيان ومعه ابنه يزيد أيضا أحاديث غزو البحر والقسطنطنية، حيث أخرج البخاري حديثا بإسناد شامي نقله عُمير بن الأسود العنسي[3] وهو شامي قديم[4] عن أم حرام زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا"[5]، ومعنى قوله "أوجبوا" أي "فعلوا فِعْلاً وجبت لهم به الجنة"[6].

---

[1] – **نفس المصدر والصفحة**.

[2] – **فتح الباري**، ج7، ص104. تذكر كتب التراجم أن الامام النسائي اتخذ موقفا صارما اتجاه الأحاديث الواردة في فضائل معاوية وكان قد ألف كتابا في فضائل علي بن أبي طالب وكتب أخرى في فضائل الصحابة ولما سئل "ألا تُخرّج فضائل معاوية؟" أجاب قائلا: "أي شيء أخرّج؟ اللهم لا تشبع بطنه !!! وسكت"، ولما خرج من مصر إلى الرملة سئل عن فضائل معاوية فسكت فضربوه في جامعها فلم يلبث يسيرا حتى مات. المزي: **تهذيب الكمال**، ج1، ص338، 339. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج1، ص26.

[3] – عمرو(عمير) بن الأسود العنسي، نزيل "داريا"، هو في عداد التابعين من الشاميين، وقد مات في خلافة معاوية. القاضي عبد الجبار الخولاني: **تاريخ داريا**، ص57-59.

[4] – ابن حجر: **فتح الباري**، ج6، ص102.

[5] – **صحيح البخاري**، ص721.(كتاب الجهاد والسِّيَر: باب ما قيل في قتال الروم). كما انتشر في الفترة الأموية أيضا حديث للرسول صلى الله عليه وسلم فيه حث على غزو القسطنطنية وفتحها، ولعل هذا مما شجع الأمويين على تسيير عدة حملات في محاولة لفتحها، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لَتُفْتَحَنَّ القُسطنطينيَّة وَلَنِعْمَ الأمير أميرها وَلَنِعْم الجيش ذلك الجيش". الطبراني: **المعجم الكبير**، ج2، ص38.(حديث رقم1216). الحاكم: **المستدرك**، ج4، ص468.(كتاب الفتن والملاحم).

[6] – ابن حجر: **فتح الباري**، ج6، ص103.

ومعلوم أنَّ أول جيش ركب البحر كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان قائد الجيش هو معاوية بن أبي سفيان والي الشام حينئذ حيث سار به لفتح قبرص سنة 28هـ/648م ، وهكذا فإن هذا الحديث الذي يُبَشِّر بدخول أول جيش يغزو البحر للجنة فيه فضيلة كبيرة لمعاوية باعتباره قائد هذا الجيش وقد وجبت له الجنة حتى وإن كان قد رفض –وهو وال على إقليم الشام– مبايعة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقاتله من أجل الوصول إلى منصب الخلافة.

وإذا كان القسم الأول من الحديث فيه فضيلة لمعاوية بن أبي سفيان فإن القسم الآخر منه يدخل ضمن ما يمكن أن نسميه "فضيلة ومنقبة" لابنه يزيد الذي كان على رأس أول جيش في الاسلام بلغ مشارف مدينة قيصر "القسطنطنية" وذلك سنة49هـ/669م[1]، أو سنة50هـ/ 670م[2]، وبهذا يكون يزيد الذي تولى الخلافة بعد أبيه معاوية من أهل الجنة المغفور لهم بِبُشرى من الرسول صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عن دوره في مقتل الحسين بن علي سبط الرسول صلى الله عليه وسلم والكثير من أفراد عائلته سنة 61هـ/680م، وكذا ما فعله بأهل المدينة في موقعة الحرة سنة 63هـ/ 682م[3]، ولا شك أن هذا الحديث له دور كبير في تبرير أنصار الأمويين لأفعال الخليفة معاوية وابنه يزيد ورد الاعتراضات على سياستهما من قبل الرافضين لسلطانهما، وإضفاء الشرعية على حكمهما.

5–2– أحاديث مُلْك معاوية:

إلى جانب أحاديث الفضائل الشخصية لمعاوية ترد أحاديث أخرى يُخبر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عن مُلك معاوية سواء كان تصريحا مُضمرا أو مباشرا، وهي في الواقع أحاديث مفيدة في تبرير سلطته وإضفاء الشرعية على حكمه، ومن هذه الأحاديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم معاوية يَخطُب على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون"[4]، وفي هذا الحديث دعوة للمسلمين للقبول بولاية معاوية عليهم رغم أنه لا يُصرّح بتوليه الخلافة تحديدا.

---

(1) – الطبري : **تاريخ الطبري**، ج5، ص232.

(2) – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص129. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص314.

(3) – عبد الجواد ياسين: **السلطة في الاسلام**، ص267.

(4) – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج2، ص73. ابن عساكر : **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص158.

وتأتي صيغ أخرى لأحاديث يُخاطب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم معاوية تحديدا يُبشِّره فيها بالملك ويأمره بالعدل والاحسان في سياسته منها قوله صلى الله عليه وسلم: "يا معاوية إن مَلَكْتَ فَأَسْجِح[1]"[2]، وفي أحاديث أخرى يظهر فيها إضمار معاوية للملك منذ إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم له بتوليه أمور المسلمين، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "يا معاوية إن وليت من أمور المؤمنين شيئا فاتق الله واعدل"[3]، ويُعلق معاوية على هذا الحديث قائلا: "فما زلت أظن أني مُبْتَلى حتى وُليت لِقَول رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4]، وفي رواية أخرى يُنقَل عن معاوية نفسه أنه قال: "ما زلت أطمع في الخلافة منذ أن قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معاوية، إن ملكت فأحسن"[5].

وفي حديث آخر منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم تصريح من قِبَلِه بِتَوَلِّي معاوية الخلافة وسوف نورد نصه كاملا لأهميته: "لما كان يوم أم حبيبة من النبي صلى الله عليه وسلم دقَّ الباب داقٌّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انظروا من هذا؟ قالوا: معاوية، قال: ائذنوا له، ودخل وعلى أذنه قلم لم يخط به، فقال: ما هذا القلم على أذنك يا معاوية، قال: قلم أَعْدَدْتُه لله ورسوله، قال: جزاك الله عن نبيك خيرا، والله ما اسْتَكْتَبْتُك إلا بِوَحي من الله عز وجل، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله عز وجل، كيف بك لو قَمَّصَكَ الله قميصا-يعني الخلافة- فقامت أم حبيبة، فجلست بين يديه فقالت: يا رسول الله، وإنَّ الله مُقَمِّصٌ أخي قميصا؟ قال: نعم، ولكن فيه هَنَات[6] وهنَات وهنَات، فقالت: يا رسول الله فادعُ الله له، فقال: اللهم اهده بالهدى، وجنِّبه

---

(1) – الإسجاح: حسن العفو، "ملكت فأسجح": أي أحسِن وسهِّل. الزبيدي: **تاج العروس**، ج6، ص456.

(2) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص61.

(3) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص17. أحمد بن حنبل: **مسند أحمد**، ج28، ص129، 130. (حديث معاوية بن أبي سفيان). ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص108. وعند أبي يعلى: "يا معاوية، إن ولِّيتَ أمرا فاتق الله واعدل". **مسند أبي يعلى الموصلي**، ج13، ص370.

(4) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص17. أحمد بن حنبل: **مسند أحمد**، ج28، ص129، 130. أبو يعلى: **مسند أبي يعلى الموصلي**، ج13، ص370. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص108.

(5) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج10، ص398.(كتاب الأمراء: باب ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم). البيهقي: **دلائل النبوة**، ج4، ص446. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص110.

(6) – هنات: واحدتها: هَنْتٌ، أي شرور وفساد أو شدائد وأمور عظام. ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص366، 367. (مادة: هَنا).

الرَّدى[1]، واغفر له في الآخرة والأولى"[2]. ما نلاحظه حول هذا الحديث ما يلي:

الأمر الأول هو نقله عن أساطين رواية الأحاديث والأخبار الخاصة ببدايات الاسلام ممثلين في السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعروة بن الزبير وهشام بن عروة زيادة في التوكيد على صحة رواية الحديث[3].

أما **الأمر الثاني** فيتمثل في الإطار التاريخي الذي وُضع فيه الحديث وَرُوي من خلاله والإشارات التي تَضَمَّنها، حيث يُشير إلى صحبة معاوية للرسول صلى الله عليه وسلم وكتابته الوحي له، ثم إن استكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم له كان بوحي من الله عز وجل وهذه ميزة مهمة خُصَّ بها معاوية رغم تأخر إسلامه، بعدها تنتقل رواية الحديث من استكتاب معاوية بأمر من الله عز وجل إلى توليه الخلافة أيضا بقضاء وقدر من الله عز وجل مع توظيف مصطلح "قميص" في إشارة إلى الخلافة، بمعنى أن الله عز وجل الذي أوحى لِنَبَيِّه باستكتاب معاوية وائتمانه على وَحيِه سوف يُلبِسُه قميص الخلافة ليكون خليفة لله في أرضه وعلى عباده، ولا شك أن في ذلك إضفاء للشرعية على حكم معاوية من جهة باعتباره قضاء وقدر من الله عز وجل، ومن جهة أخرى دحض ادعاءات معارضيه السياسيين حول عدم شرعية سلطته.

في حين يتمثل **الأمر الثالث** في الإضافة المهمة لهذا الحديث وهي إدماج السيدة أم حبيبة رضي الله عنها في الواقعة المرتبطة به، فمعاوية دخل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم المخصص للسيدة أم حبيبة من الرسول صلى الله عليه وسلم-وهنا قد صادف وجود السيدة عائشة رضي الله عنها أيضا في بيت أم حبيبة وهي التي سَيُنقل الخبر عنها- ثم إنه في الوقت الذي سَكَتَ فيه معاوية بعد إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم له عن توليه الخلافة واحتجب عنا رد فعله عن

---

[1]- ردى: بمعنى سقط، أو هلك. الزبيدي: **تاج العروس**، ج38، ص143. (مادة: ر د ي).

[2] – الطبراني: **المعجم الأوسط**، ج2، ص233. الهيثمي: **معجم الزوائد**، ج9، ص356. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص69، 70.

[3] – هذا الحديث يرويه السري بن عاصم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عروة عن السيدة عائشة رضي الله عنها. قال عنه الهيثمي في **مجمع الزوائد**: "فيه السري بن عاصم وهو ضعيف". ج9، ص356. وهذا القول يمكن اعتباره دليل على عملية الوضع في الحديث للرفع من مكانة معاوية في إطار صراع المذاهب الاسلامية المختلفة عبر القرون الاسلامية.

ذلك تبرز من خلال الرواية شخصية أم حبيبة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأخت معاوية طالبة من الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء لأخيها لتجاوز "هنَّات" الحكم التي ستعترضه فكان لها ذلك بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بالهداية والمغفرة وهذا مهم جدا في تبرير أفعال معاوية وسياسته فهو الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالهداية والسَّداد والمغفرة.

إن الإشكال بالنسبة لهذه الأحاديث مرتبط بزمن انتشارها، فإذا كانت تعود إلى القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة فإن هدفها هو إضفاء الشرعية على مُلك معاوية والحكام الأمويين من بعده لضمان استمرار نظامهم في مواجهة دَعاوى معارضيهم والثائرين على حكمهم، خصوصا في هذه الفترة المبكرة حيث لم تكتمل بعد الأهمية الرسمية للإسناد، وحيث كانت الروايات تسيل بالشَّفَاهة من غير نص مكتوب ضابط لها لِتَنتَشِر في مختلف الأقاليم وتؤدي دورا مُعَينا يخدم أهداف السلطة الحاكمة فلم يكن من العسير على من اخْتَلق المتن أن يَخْتَلِق الإسناد لضمان انتشار الحديث[1].

أما إذا كانت هذه الأحاديث هي نتاج عملية وضع(=اختلاق) متأخرة فإنها تدخل في إطار الصراع السني–الشيعي والذي يُشكل تبجيل الشخصيات القيادية الفاعلة أحد أوجه هذا الصراع كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ومما تجدر الإشارة إليه أن كثير من هذه الأحاديث جمعها ابن عساكر (ت571هـ/1175م) الذي ألف كتابه في ظرف كانت فيه أوضاع البلاد الاسلامية مُتَأَزِّمة، فالخلافة العباسية كانت تعاني من الضعف والوهن، مع بروز حكم الإمارة الزِّنْكِيَّة التي بسطت نفوذها على مناطق واسعة من البلاد الشامية ومحاولة سلاطينها الظهور بمظهر الحامي للمذهب السُني في مواجهة المد الشيعي الذي أحدثته مجموعات الحشاشين إضافة إلى الخطر الفاطمي في مصر، وابن عساكر باعتباره من علماء الشافعية البارزين ومقربا من نور الدين محمود[2] فإنه لم يكن بمعزل عن تلك المواجهة السنية–الشيعية التي كان طرفا فيها، لهذا تضخَّمت صورة معاوية عنده

---

[1] – عبد الجواد ياسين: **السلطة في الاسلام**، ص260. **أنظر أيضا**: حسين المدرسي الطباطبائي: **تطور المباني الفكرية للتشيع**، ص77.

[2] – أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي، الملقب الملك العادل نور الدين، ولد سنة 511هـ/1117م، عرف بجهاده ضد الصليبيين في الشام، وبناء العديد من المدارس انتصارا للسنة ببلاد الشام أيضا، كانت وفاته في دمشق سنة 569هـ/1173م. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج5، ص184-187.

بشكل مبالغ فيه في إطار سعيه لتبرير سلطة معاوية وإكسابها الشرعية[1].

يتضح مما سبق أن الحكام الأمويين –باستثناء عمر بن عبد العزيز خاصة– قاموا بالتعتيم على بعض أسس الشرعية السلطوية التي كانت قائمة زمن الخلفاء الراشدين على غرار السابقة للإسلام والقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم لصالح عناصر جديدة للشرعية، ومع ذلك فإنهم لم يُحدثوا قطيعة مع الموروث السياسي السابق لهم في فترة الخلافة الراشدة، حيث نجد تقاطعات عديدة بين رؤيتهم لحكمهم ووظيفتهم على رأس الجماعة الاسلامية وما كان سائدا قبلهم، وهو ما أثبتته النقوش الأثرية في الجزيرة العربية، والنقود التي أصدرها الخلفاء الأمويون، والمراسلات التي تبادلها هؤلاء الخلفاء مع ولاتهم على الأقاليم، وأيضا خطب هؤلاء الخلفاء وولاتهم في رعاياهم، وهو ما أكده الشعر الأموي أيضا.

صحيح أن الخلفاء الأمويين اعتبروا أنفسهم "أمراء للمؤمنين" غير أنهم قطعوا الطريق أمام الجماعة الاسلامية في ادعاء الحق في عزل الخليفة باعتبارها هي من أوصلته للخلافة وأنه يحكم بتفويض منها، فاستحدثوا إيديولوجيا "خلافة الله" للتأكيد على أن خلافتهم قضاء وقدر من الله عز وجل، وانطلاقا من هذا التصور فإن ممارساتهم السلطوية وتجاوزاتهم في حق رعيتهم والعنف الذي مارسوه ضدها هو في واقع الأمر قضاء وقدر أيضا وما على الجماعة الاسلامية إلا الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، وبالمقابل فإن أي رفض لسلطان الأمويين أو الثورة عليهم مهما كانت مبررات الثورة فإنه لا يُعتبر عصيانا للخليفة فحسب وتفريقا لجماعة المسلمين؛ بل إنه عصيان لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم أيضا، وهذا ما تؤكده الأحاديث النبوية، ولهذا وجد الأمويون المبرر الكافي لقتال مخالفيهم والتنكيل بهم باعتبارهم عصاة لله عز وجل ولرسوله.

[1] – محي الدين لاغة: **تحول صورة معاوية**، ص328.

الفصل الثالث: العنف في الخطاب السياسي الأموي

أولا: في العهد السفياني

ثانيا: في العهد المرواني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكَّل العنف بمختلف تجلياته سمة بارزة في فلسفة حكم الأمويين ونمط إدارتهم لدولتهم، وسوف نستعرض في هذا الفصل شكل مهم من أشكال العنف الذي مارسه الخلفاء والولاة ضد رعيتهم وهو العنف في الخطاب السياسي سواء من حيث مبررات العنف من خلال هذا الخطاب، أو تمظهراته، أو الألفاظ المستعملة، مع إبراز تأثيراته السيكولوجية على رعيتهم، ذلك أن الخطابة السياسية لم تكن وسيلة لإثبات شرعية الحكم الأموي وعرض الأسس الايديولوجية لدولتهم فحسب؛ بل شكَّلت آلة دعائية قوية رفعت من شأن الأمويين ومكانتهم في مقابل الحط من شأن مخالفيهم والانتقاص منهم، بل وحتى الحكم بضلالهم وكفرهم.

أولا: العنف ومبرراته في الخطاب السياسي السفياني

أدرك الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن وصوله لحكم دار الاسلام عن طريق السيف لا يعني الاستمرار في اتخاذه أساسا وحيدا لحماية دولته ومواجهة معارضيه وخصومه السياسيين؛ لذلك تميَّز الخطاب السياسي لهذا الخليفة باللّين-وهو في الواقع ترجمة للسياسة التي اتبعها- والواقعية والعمل على كسب الخصوم إلى صفِّه بالحجة والاقناع أو على الأقل استنزاف قدرتهم على مقارعته والتشكيك في شرعية سلطته، ويتضح نموذج السياسة المعتدلة التي اتبعها معاوية من خلال خطبته في أهل المدينة بعد مبايعته بالخلافة سنة 41هـ/661م حيث سعى لاسترضاء أهلها الذين يوجد منهم أبرز المعارضين لحكمه وتجنب إثارة عواطفهم بخطاب عنيف يحط من كرامتهم أو يستفزهم، ولذلك وعدهم بالمعاملة الحسنة وضمان حقوقهم والانتفاع بثمرات دخولهم في طاعته[1].

كما ضبط محددات العلاقة بينه وبين رعيته وهي قائمة على فتح المجال لهم للمعارضة الكلامية التي لا يُعيرها بالاً مادامت لا تتحول إلى معارضة مسلحة[2]، مع ذلك فإنه لم يغفل عن توجيه تهديد مُبطن لأهل المدينة محذِّرا إياهم من مَغبّة الخروج عليه وتفريق جماعة المسلمين، وهو ما ينتج عنه "الفتنة" التي من نتائجها أنها "تفسد المعيشة وتُكَدِّر النعمة"[3]، وقد ركز على توظيف مصطلح "الفتنة" كمقابل لوحدة الجماعة وأمنها وازدهار عيشها، وهذا المصطلح يُسجل حضورا معتبرا في

---

[1] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج4ص170، 171.

[2] – **نفسه**، 171.

[3] – **نفس المصدر والصفحة**.

الخطاب السياسي الأموي عند مواجهة خصومهم ولتبرير العنف الذي تمارسه السلطة ضد معارضيها سواء كانوا أفراد أو جماعات.

مع ذلك فإنه إذا كان الخليفة معاوية قد انتهج هذه السياسة اللينة في مخاطبة معارضيه ورعيّته والتعامل معهم فإنه نصح واليه على العراق زياد بن أبيه بانتهاج سياسة ضبط صارمة مع قبائل العراق دائمة التمرد، فكان معاوية لِلّين والرّأفة أما زياد فكان للشدة والبطش وهذا ما توضحه وصيته له حيث قال له: "إنه لا ينبغي لي ولك أن نسوس الناس سياسة واحدة فنلين جميعا نُمرح الناس في المعصية، وأن لا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للغلظة والشدة والفضاضة، وأكون أنا للين والرأفة، أو قال: الرحمة"[1].

ولي زياد بن أبيه البصرة سنة45هـ/665م وكان "الفسق بالبصرة ظاهر فاش"[2]، فابتدأ عمله بخطبته البتراء الشهيرة التي تُعد نموذجا مُتفرّدا في عنف رجل السلطة وسطوته، وقدرته الفائقة على توظيف الخطابة السياسية ودعمها بألفاظ وعبارات ذات شحنة نفسية عنيفة بما يضمن له ليس سلب مخاطبيه أي قدرة على الصد والرد فحسب؛ وإنما يفرض عليهم الاذعان والخضوع لسلطانه والتحكم بإرادتهم وتوجيهها، ويتضح من دراسة هذه الخطبة –وقد اعتمدنا على الخطبة التي أوردها الجاحظ في البيان والتبيين– أنها مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

في القسم الأول يعرض زياد أخلاق أهل البصرة وما اشتملوا عليه من انحرافات وسلوكات مشينة وبُعد عن الدين حتى غلب سفهاؤهم واستفحل خطرهم بتواطؤ ممن يصفهم بالحلماء في إشارة إلى أشراف القبائل الذين يحمون أبناء قبائلهم ويمنعون عنهم المحاسبة والعقاب، وقد ورد في هذا القسم ما يلي:

---

[1] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص92. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج1، ص41. ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، ج1، ص413.

[2] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص217. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، 110. أما ابن أبي الحديد فيعطي تلخيصا عاما لوضع البصرة السيء فقال: "قدم زياد البصرة أميرا عليها أيام معاوية والفسق فيها فاش جدا، وأموال الناس مُنتَهبة، والسياسة ضعيفة". **شرح نهج البلاغة**، ج16، ص200.

– "...فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي[1] الموفى بأهله على النار[2]، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا ينحاش عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته...أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدَّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحَدَث الذي لم تُسبقوا إليه:

– من تركّكم الضعيف يُقهر ويؤخذ ماله،

– وهذه المواخير[3] المنصوبة،

– والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل،

– ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة[4] عن دلج[5] الليل وغارة النهار؟[6]،

– قرَّبتم القرابة، وباعدتم الدين[7]،

– تعتذرون بغير العذر، وتُغضون على المختلس[8]،

– أليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو

---

[1] – الغي: الضلال والخيبة. ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص140. (مادة غوي).

[2] – ترد عند الزبير بن بكار بصيغة: "الغي الموفد بأهله على النار". **الأخبار الموفقيات**، ص254. أما عند البلاذري فترد بصيغة: "الغي المورد أهله النار". **أنساب الأشراف**، ج5، ص215. وعند الطبري بصيغة: "الفجر الموقد لأهله النار". **تاريخ الطبري**، ج5، ص218. أما صاحب العقد فترد عنده بصيغة: "والعمى الموفي بأهله على النار". **العقد الفريد**، ج4، ص200.

[3] – المواخير: جمع ماخور، "وهو مجلس الريبة ومجمع أهل الفسق والفساد وبيوت الخمَّارين"، ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص161. (مادة: مخر).

[4] – الغواة: "غوى الرجل يغوي غيا...والجمع غواة...أي ضل، زاد الجوهري: وخاب أيضا، وقال الأزهري: أي فسد، وقال ابن الأثير: الغي: الضلال والإنهماك في الباطل". الزبيدي: **تاج العروس**، ج39، ص197، 198. (مادة غ و و).

[5] – دلج: "الدُلْجة سير السَّحر، والدَّلجة سير الليل كله...وقيل الدَّلج الليل كله من أوله إلى آخره...أَدْلَجَ القوم إذا ساروا الليل كله فهم مدلجون". ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، ص272، 273. (مادة دلج).

[6] – ترد هذه العبارة عند البلاذري بصيغة: "أما منكم نهاة تمنع الغواة من الغارة في النهار والسرقة في الليل". **أنساب الأشراف**، ج5، ص216.

[7] – لا ترد هذه العبارة عند كل من الزبير بن بكار والبلاذري : **أنظر: الأخبار الموفقيات**، ص255. **أنساب الأشراف**، ج5، ص216.

[8] – "خلست الشيء واختلسته وتخلَّسته إذا استلبته". الجوهري: **الصحاح**، ج3، ص923. (مادة خلس). وهذه العبارة ترد عند البلاذري بصيغة: "تعتذرون بغير عذر، وتسحبون ذيولكم على الغدر". **أنساب الأشراف**، ج5، ص216.

معادا"[1].

إن نمط بداية زياد لخطبته وتوظيفه لألفاظ من قبيل: الجهالة، الضلالة، الغي، تكشف بوضوح عن موقفه العدائي تجاه رعيته، وتعكس مبررات عدوانيته اتجاههم، وحتمية اتخاذ العنف والقسوة وسيلة للتعامل معهم، فالقوم قد تورطوا جميعا في صور الضلالة والجهالة، وأغواهم الشيطان فساروا في ركابه، ولما لم يكن منهم رجل رشيد يأخذ بيد السفهاء والمفسدين فقد ازدادت الفتن وشاع خطرها وصار ينشأ فيها الصغير ولا يتجنبها الكبير، وهذا ما أدى إلى اختلال خطير في القيم حددها زياد بـ "الأمور العظام"، وكأنما جمع قياسات عِظمها وخطرها من عموم انتشارها بين القوم، مما يستدعي إعمال القبضة الحديدية لإعادة الأمور إلى نصابها[2].

ومن خلال الخطبة تتضح انحرافات أهل البصرة، حيث نلاحظ انتشار الفساد الأخلاقي بصورة معتبرة بين أهلها متجسدا في استحداثهم المواخير في مدينتهم وهو مالم يسبقهم إليه أحد، كما نلاحظ استفحال أعمال السرقة والسطو في هذه المدينة ليلا ونهارا حتى تَقَوَّى سفهاؤها وفرضوا منطقهم واستباحوا أموال الناس وأعراضهم بحماية من أشراف قبائلهم الذين كانوا يَذُبُّون عنهم ويحمونهم من أي مساءلة أو حساب، فكأنما طغت عليهم عصبيتهم القبلية الموروثة من الجاهلية فعطّلت تطبيق حدود الشرع في حق هؤلاء السفهاء الذين عاثوا فسادا في البصرة.

لكن كيف وصل مجتمع البصرة إلى هذا الحد من الانحدار الأخلاقي واستفحال الجرائم فيه؟ إن هذا الوضع نتيجة عاملين رئيسيين فيما أرى: **الأول** يتمثل في طبيعة تكوين مجتمع البصرة، وهي المدينة التي ترجع في أصلها وتكوينها إلى معسكر للجند في الأمصار المفتوحة[3].

---

[1] – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص62. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص216. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص218، 219. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص255. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص200. ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج16، ص201.

[2] – مي يوسف خليف: **تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية**، ص85.

[3] – يرجع تأسيس البصرة إلى الصحابي الجليل عتبة بن غزوان رضي الله عنه الذي أمره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمسير إلى جبهة فارس واتخاذ موضع يستقر فيه مع جيشه هناك فاتخذ موضع البصرة الحالي، وكان ذلك سنة 14هـ/635م، وبعد استشارة الخليفة أمر عتبة بن غزوان الناس ببناء مساكن لهم فبنوها بالقصب وبنى مسجدا من قصب. البلاذري: **فتوح البلدان**، 483، 484. **أنساب الأشراف**، ج13، ص298. ابن سعد: **الطبقات**، ج9، ص5، 6. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص590–594. صالح أحمد العلي: **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، ص25، 26.

وقد كان لطبيعة التأسيس هذه أثر بالغ في تحديد طبيعة نازِلتها، ذلك أن المعسكرات كانت عبارة عن تجمع فسيفسائي من القبائل النازحة من الجزيرة العربية خلال مرحلة الفتوحات الأولى زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، لكن هذه الحالة الابتدائية سرعان ما تبدلت وتحولت بفعل ازدحام الوحدات القبلية النازحة من الجزيرة العربية ومع تكاثف موجات الهجرة بسرعة شديدة مما أدى إلى مضاعفة نسبة الكثافة السكانية أضعافا كثرة، وهذا ما فرض ضرورة إعادة ترتيب وتوزيع الخطط والمنازل بما يضمن استيعاب جميع القادمين الجدد[1]، والذين وجدوا أنفسهم أمام وضعية جغرافية–سكنية جديدة أرغمتهم على التجاور والسكن في إطار نطاق جغرافي ضيق لا يمكن أن

[1] – أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص299. صالح أحمد العلي: **خطط البصرة**، ص49. اختلفت الروايات في تقدير عدد سكان البصرة حتى أواسط القرن الأول الهجري، ففي سنة 37هـ/657م يرد عند الطبري أن عدد مقاتليها فقط بلغ ستون ألفا سوى أبنائهم ومواليهم، أما المدائني فيذكر أن عدد مقاتلة البصرة عند قدوم زياد واليا عليها سنة 45هـ/665م كان يبلغ أربعين ألفا فبلغ بهم ثمانين ألفا، أما الذرية فكانت ثمانين ألفا فبلغ بهم مائة وعشرين ألفا، هذا وقد قام زياد بتهجير خمسون ألفا من أهل العراق إلى خراسان وعليهم الربيع بن زياد الحارثي، من أهل البصرة خمسة وعشرون ألفا ومن أهل الكوفة خمسة وعشرون ألفا، وفي سنة 64هـ/683م خطب عبيد الله بن زياد في أهل البصرة قائلا: "لقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألفا ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفا، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفا، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا"، أما تنظيم أهل البصرة فكان على شكل أخماس ويرد أول ذكر للأخماس في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين خرج إلى صفين وهذه الأخماس هي: بكر بن وائل، عبد القيس، الأزد، تميم وضبة والرباب، أهل العالية(وهم أهل الحجاز). وفي عهد زياد بن أبيه احتفظ بنفس التنظيم مع إدخال بعض العشائر في قبائل لا تربط بينها صلة نسب أو رابطة دم وهذا لاعتبارات سياسية وأمنية. ويعلق صالح أحمد العلي على هذه الأرقام عدة ملاحظات: أنها تشمل الحاميات التي ترسل لمدة مؤقتة من البصرة إلى مناطق أخرى، يضاف إلى ذلك أن بعض البدو الساكنين على أطراف البصرة كانوا مسجلين في ديوان العطاء رغم أنهم لم يتخذوا البصرة مسكنا لهم، كما أن هذه الأرقام قد تشمل عددا من الذين توفوا ولم تمح أسماءهم من ديوان العطاء، كما تم إغفال العبيد والأعاجم الذين استوطنوا البصرة، يُضاف إليهم النساء والأطفال والزمنى ومن لم يُسجل في ديوان العطاء، وأخيرا أن الطاعون الجارف الذي حدث سنة 69هـ/688م قد أدى إلى موت عدد كبير من الناس وإن كانت لا توجد إحصاءات دقيقة لهم، أما عن تهجير خمسين ألفا من عرب العراق إلى خراسان نصفهم من أهل البصرة ونصفهم من أهل الكوفة فإن الأستاذ العلي يشكك في صحة هذه الأرقام ودليله في ذلك أنه في سنة 96هـ/714م كان مع قتيبة بن مسلم الباهلي خمسون ألفا من العرب، منهم عشرة آلاف فقط من الكوفة يشكلون وحدة قائمة بذاتها، أما الباقون فكانوا مقسمين أخماسا كتقسيم أهل البصرة، ولهذا يرجح أن يكون تم تهجير أربعين ألفا من أهل البصرة وعشرة آلاف فقط من أهل الكوفة. **أنظر**: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص228، 239. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص78، 79، 226، 504. نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، ص117. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص08. صالح أحمد العلي: **التنظيمات**، ص31–34. صالح أحمد العلي: **خطط البصرة**، ص50–52. صالح محمد الرواضية: **زياد بن أبيه**، ص126–128.

يقاس بأراضيهم ومراعيهم ومناطق تجوالها السابقة[1].

في نص لابن خلدون(808هـ/1405م) يُعدِّد فيه أوصاف غالبية العرب الذين سكنوا معسكرات الفتح فيقول: "وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا هذّبتهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخُلُقه، مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبُعد عن سكينة الايمان..."[2]، وهذا القول يمس تحديدا القبائل المستقرة في البصرة والكوفة ومصر وهم في الغالب أعراب تطغى عليهم طباعهم البدوية، ولا شك أن استمرار هذه الصفات والذهنيات الجاهلية كان لها تأثير معتبر في الانحدار الأخلاقي لأهل البصرة.

في الواقع لم تكن درجة التحضر هي الاختلاف الوحيد بين قبائل البصرة التي كان منها البدوية والمتحضرة أيضا على غرار القبائل اليمنية، بل إن بعض القبائل كان يتمتع بالعطاء وبعضها محروم منه، ولا شك في أن اللصوص والمختلسين وقطاع الطرق كانوا ينتمون إلى هذه الوحدات القبلية المحرومة من العطاء[3]، وإلى جانب العرب وُجدت عناصر غير عربية في مجتمع البصرة مثل الأساورة[4] والسيابجة[5] والزُّط[6][7]، وهؤلاء على قِلّتهم لا بد أنهم احتفظوا ببعض مُقوِّمات وعادات مجتمعهم الأول وكان لهم تأثير في عادات المجتمع الذي يعيشون فيه وأخلاق أهله[8].

---

(1) – أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص299.

(2) – **المقدمة**، ج2، ص598.

(3) – صالح محمد الرواضية، **زياد بن أبيه**، ص110.

(4) – الأساورة: "الأسوار والإسوار: قائد الفرس وقيل: هو الجيد الرمي بالسهام، وقيل: هو الجيد الثبات على ظهر الفرس...وهو الفارس من فرسانهم المقاتل". ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص388. (مادة سور) وقد نزل هؤلاء الأساورة ومعهم الزط والسيابجة أرض البصرة في زمن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهذا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. البلاذري: **فتوح البلدان**، ص519، 520.

(5) – السيابجة أو السابجة: قوم ذوو جلد من السند والهند يعملون في السفن في نواحي البحرين وأراضي العراق ثم استسلموا للعرب فأسكنوهم البصرة، ووكل إليهم حراسة بيت المال والمسجد الجامع ودار الامارة والسجن. ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، ص294. (مادة سبج). صالح أحمد العلي: **التنظيمات**، ص70.

(6) – الزط: جنس من الهنود السود، اختلف في أصلهم بين من يقول انهم سكنوا المناطق الفاصلة بين بلاد العرب والعراق، وبين من يقول بعملهم في السواحل على السفن، وقد أوكلت إليهم إلى جانب السيابجة أمر حراسة دار الامارة والمسجد الجامع. الفراهيدي: **كتاب العين**، ج2، ص181. البلاذري: **فتوح البلدان**، ص520، 521. صالح أحمد العلي: **التنظيمات**، ص71.

(7) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص519-522.

(8) – صالح محمد الرواضية، **زياد بن أبيه**، ص110.

أما العامل **الثاني** الذي كان له دور مهم في فساد أهل البصرة فيتمثل في سياسة اللين التي انتهجها واليها عبد الله بن عامر، ويبدو أن هذا الأخير هو من طلب من الخليفة معاوية تعيينه على ولاية البصرة سنة41هـ/661م حيث كلّمه قائلا: "إن لي بها أموالا وودائع، فإن لم توجهني عليها ذهبت، فولاه البصرة"[1].

في الواقع لا يمكن القول أن عبد الله بن عامر قد أهمل شؤون الولاية وتفرّغ لشؤونه الخاصة وتنمية أمواله وتجارته بالبصرة؛ لكن الراجح أن طبيعة شخصيته اللينة كان لها تأثير كبير في سياسته، فقد كان "ليّنا سهلا، سهل الولاية لا يُعاقب في سلطانه، ولا يقطع لصا"[2]، ولما قيل له في ذلك أجاب قائلا: "أنا أتألّف الناس، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعت أباه وأخاه"[3]، كما كان لتَديُّنه تأثير واضح في سياسته إذ رفض الأخذ برأي زياد بن أبيه حين نصحه بتجريد السيف في أهل البصرة لتقويمهم والحد من فساد أخلاقهم معللا ذلك بكرهه إصلاح أخلاقهم بفساد نفسه[4].

ولم يكن هذا الوضع المزري الذي آلت إليه أوضاع البصرة ليغيب عن علم الخليفة معاوية حيث سأل وفد البصرة عن ولايتهم فأجابه عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوّاء وهو من أشراف العراق إجابة لخص فيها واقعها قائلا: "إن أهل البصرة أكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم"[5].

ويبدو أن هذا الوصف المختصر والدقيق لواقع البصرة وأهلها قد جعل معاوية يدرك حقيقة

استحالة تثبيت أركان دولته وفرض منطق الدولة على قبائل العراق باللين وحده، فلا اللين وحده ينفع

---

(1) – الطبري، **تاريخ الطبري**، ج5، ص170.

(2) – **نفسه**، ج5، ص212.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**.

(4) – **نفس المصدر والصفحة**. نجد أن المغيرة بن شعبة اتبع في الكوفة نفس سياسة اللين التي اتبعها عبد الله بن عامر في البصرة ولنفس السبب وهو الرغبة في الابتعاد عن الخوض في الدماء لتثبيت حكم معاوية، فقد أجاب منتقديه على تساهله في معاملة حجر بن عدي وعدم التشدد في معاقبته قائلا لهم: "إنه قد اقترب أجلي وضعف عملي، ولا أحب أن أبتدئ أهل هذا المِصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل في يوم القيامة المغيرة، ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وحامد حليمَهم، وواعظ سفيههم، حتى يفرق بيني وبينهم الموت". **نفسه**، ج5، ص255.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص213.

ولا السيف وحده يفيد، كما أدرك وهو الخبير بشؤون هذه القبائل صعوبة تسليمها وتقبلها لتدخل الدولة في شؤون الدم، وبدور الدولة العدلي عموما، وتحديدا القبائل ذات الأصل البدوي منها[1]، خاصة إذا كان الوالي يتميز بخصال عبد الله بن عامر اللينة والذي لا يهمه ترسخ حكم معاوية بقدر ما يهمه تجنب دماء المسلمين وضمان سلامته في الآخرة، وهذا ما دفع معاوية لعزله عن ولاية البصرة وتوليتها زياد بن أبيه مع توصيته بضرورة الشدة في معاملة رعيته.

أما القسم الثاني من الخطبة فقد عدّد فيه زياد الاجراءات التي سيتخذها في سبيل تقويم أهل البصرة وضبطهم وهي:

- "حرام علي الطعام والشراب حتى أُسَويها بالأرض هدما وإحراقا[2]،
- إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف[3]، وإني أقسم بالله:
- لآخذن الولي بالولي[4]، والمقيم بالظاعن[5]، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم[6]، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد

---

(1) - هشام جعيط: **الفتنة**، ص80.

(2) - الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص63. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص219. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص200. جاءت عند الزبير بن بكار بصيغة: "محرم علي الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير الأرض هدما وإحراقا". **الأخبار الموفقيات**، ص255. أما عند البلاذري: "حرم علي الطعام والشراب حتى أسويها هدما وإحراقا وتقطيعا ببطون السياط ظهور الغاوين"، **أنساب الأشراف**، ج5، ص216.

(3) - الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص63. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص219. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص255. ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج2، ص241. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص200. النهرواني: **الجليس الصالح**، ج2، ص363. ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج16، ص201.

(4) - عند ابن عبد ربه: "لآخذن الولي بالمولى"، **العقد الفريد**، ج4، ص200. بينما لم ترد عند كل من ابن قتيبة والنهرواني.

(5) - لا ترد هذه العبارة عند كل من ابن قتيبة والنهرواني. أما عند ابن أبي الحديد فترد: "والظاعن بالظاعن". ولعله من خطأ النساخ. أنظر: **شرح نهج البلاغة**، ج16، ص201.

(6) - وردت هذه العبارة عند البلاذري بصيغة: "والصحيح في نفسه بالسقيم النطِف". **أنساب الأشراف**، ج5، ص216. أما عند الزبير بن بكار وابن عبد ربه فبصيغة: "الصحيح بالسقيم". **الأخبار الموفقيات**، ص255. **العقد الفريد**، ج4، ص200. وعند الطبري: "الصحيح منكم بالسقيم". **تاريخ الطبري**، ج5، ص219. أما عند ابن قتيبة: "لآخذن البريء بالسقيم". **عيون الأخبار**، ج2، ص242. في حين وردت عند النهرواني بصيغة: لآخذن البريء بالقسيم". **الجليس الصالح**، ج2، ص363.

فقد هلك سُعَيْد، أو تستقيم لي قناتكم[1]،

- من نُقِبَ[2] منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه[3]،

- إياي وَدَلج الليل فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجّلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم،

- وإياي ودعوة الجاهلية، فإني لا آخذ داعيا بها إلا قطعت لسانه،

- وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة: فمن غرق قوما غرقناه[4]، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا،

- كفوا علي أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني،

- لا تظهر على واحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه[5]"[6].

من خلال هذه الخطبة يعترف زياد بن أبيه أن صلاح أمر الرعية لا يكون إلا بما صلح به السابقون ولهذا يُعلن أمام أهل البصرة أنه سيتبع سياسة أساسها "اللين في غير ضعف والشدة في غير عنف"، وزيادة في التأكيد على تصميمه في إصلاح أحوال البصرة وتأديب أهلها وقطع الشك باليقين عندهم بمدى جديته في إجراءاته العقابية يُعلن زياد أن "...كذبة المنبر بلقاء مشهورة، فإن

---

(1)- "قنت: القنوت: الامساك عن الكلام، وقيل: الدعاء في الصلاة، والقنوت: الخشوع والاقرار بالعبودية، والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية". ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، ص73. (مادة: قنت). وواضح أنه يشير هنا إلى فرض طاعته عليهم.

(2)- "نقب: النقب في الحائط ونحوه يُخلص فيه إلى ما وراءه، وفي الجسد يُخلص فيه إلى ما تحته من قلب أو كبد". الفراهيدي: **كتاب العين**، ج4، ص253.

(3)- عند البلاذري جاءت بصيغة: "من ذهب له منكم شيء فأنا ضامن له". **أنساب الأشراف**، ج5، ص216. وعند الطبري جاءت بصيغة: "من بُيّت منكم فأنا ضامن لما ذهب له". **تاريخ الطبري**، ج5، ص219. أما عند النهرواني فجاءت بصيغة: "وأيما عقال فقدتموه من مقامي هذا إلى خراسان فأنا له ضامن". **الجليس الصالح**، ج2، ص363.

(4) - ترد هذه العبارة عند ابن أبي الحديد بصيغة: "فمن غرَّق بيوت قوم غرَّقناه". **شرح نهج البلاغة**، ج16، ص202.

(5)- عند الزبير بن بكار: "ولا يظهر من أحد خلاف ما عليه عامتكم إن شاء الله". **الأخبار الموفقيات**، ص255.

(6)- ترد هذه الاجراءات باختلافات في الصيغة عند كل من: الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص64. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص255. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص216. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص220. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص200. النهرواني: **الجليس الصالح**، ج2، ص362، 363. ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج16، ص201، 202. بينما ترد في خطبة مستقلة عن الخطبة البتراء عند ابن قتيبة. أنظر: **عيون الأخبار**، ج2، ص243.

تَعَلَّقْتُم علي بكذبة فقد حَلَّت لكم معصيتي"[1].

أما عن الاجراءات المعلنة فالملاحظ أنه ابتدأ بأسوأ وكر للفساد والرذيلة موجود في المدينة وهو المواخير التي أفسدت أخلاق أهلها وأبعدتهم عن الدين، ورغم إعلانه عن سياسة قوامها إمساك العصا من الوسط في تعامله مع رعيته فإننا نجده يتخذ مجموعة من القرارات التي كانت بمثابة أحكام عرفية لضبط أهل البصرة وهي بعيدة كل البعد عن تعاليم الاسلام، خاصة وأنها تنقل المسؤولية من الفرد وتُحملها الجماعة كلها، فأصبح الولي يتحمل ذنب المولى، والمطيع ذنب العاصي، والبريء ذنب المذنب، وهذا ما يطرح عدة تساؤلات حول تاريخية هذه الخطبة وزمن تدوينها وصحتها خاصة وأنها ترد بصيغ متعددة واختلافات معتبرة في المصادر التي أوردتها.

وبالنسبة لظاهرة اللصوصية والسطو التي عمَّ شرّها جميع فئات المجتمع فإن زياد أعلن عن إجرائين للقضاء عليها الأول أنه ضامن لأي شخص سلب منه شيء، أما الاجراء الثاني فهو فرض حظر على الخروج ليلا وتحديد عقوبة القتل لكل منتهك لهذا الحظر.

أما فيما يتعلق بالعصبية القبلية فإنه كان للطباع البدوية لكثير من نازلة البصرة دور مهم في استفحالها خاصة وأن الهوة الفاصلة بين الأخلاقيات البدوية والسلوكات القبلية والعشائرية من جانب وبين متطلبات وضرورات العيش المشترك المتجاور في إطار بيئة مدنية ضيقة من جانب آخر كانت كبيرة للغاية، فقد نقلت القبائل ما كانت معتادة عليه من أنماط سلوكية في باديتها إلى أوطانها الجديدة، لكن هذه الأنماط السلوكية التي كانت متأصلة في حياة الصحراء الواسعة(التنقل، الغزو، السطو...) ولها ما يبررها في ظروف البيئة العربية الصحراوية القاسية لم تعد تتناسب نهائيا مع الظروف الحياتية الجديدة التي فرضتها طبيعة العيش المشترك في المعسكرات والمدن الجديدة[2]، ولهذا فقد تضمنت جهود زياد الرئيسية في البصرة إخضاع القبائل التي كانت عداوتها المتبادلة مصدرا ثابتا للاضطراب والفوضى وتهديد النظام العام[3]، وكانت قراراته الخاصة بأعمال التعدي على الممتلكات وإحياء النعرات القبلية صارمة جدا بين القتل وقطع اللسان.

---

[1] – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص64. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص255. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص216. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص220.

[2] – أيمن إبراهيم: **الإسلام والسلطان والملك**، ص333.

[3] - Clive Foss : **Mu'āwiya's State**, p78.

من جانب آخر يبرز من خلال هذه الخطبة انتشار مظاهر أخرى للإجرام في البصرة لم تكن موجودة في العهود السابقة ولمواجهتها قام زياد بتحديد العقوبة من جنس الجريمة، فمن غرَّق قوما أو أرضا لهم كان مصيره التغريق، ومن أحرق قوما أو ملكية لهم كان مصيره الحرق، ومن دخل بيتا يبتغي سرقة أهله كشف عن قلبه، ومن نبش قبرا لسرقة محتوياته أو العبث بالجثث دفن فيه حيا، أما من خرج عن أمر الجماعة فإن مصيره ضرب العنق.

كانت الخطبة البتراء إعلان عن الخطوط العامة للسياسة التي سينتهجها زياد في البصرة، وترد العديد من الأخبار حول بطشه بأهلها وتنفيذه لما أوعد به من عقوبات، من ذلك هدمه لسبعمائة ماخور كان موجودا بالبصرة[1]، وإن كان هناك مبالغة شديدة في هذا الرقم فإنه يمكن القول أن بيوت الفساد هذه كانت منتشرة بكثرة في هذه المدينة، وروى الشعبي أن زياد أتي بنباش قبور فقطع يده ورجله[2]، أما هشام بن الكلبي فذكر أنه لما أتي زياد بنباشين أمر بهم فدفنوا أحياء[3]، ولما أتي برجل غرق زرعا لقوم آخرين غرَّقه في الماء، كما أمر بحرق رجل أحرق دارا لأهلها[4].

وفيما يخص حظر التجول ليلا جعله زياد بعد صلاة العشاء بمدة محددة[5]، ثم يطلب من

---

[1] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص211.

[2] – **نفسه**، ج5، ص244.

[3] – **نفسه**، ج5، ص207.

[4] – **نفس المصدر والصفحة**.

[5] – تختلف الروايات في تحديد تاريخ البدء بتطبيق هذا الاجراء، فالزبير بن بكار أورد أن زياد **سمع الناس** يتحارسون ليلا فسأل عن الأمر فأخبر باستفحال اللصوصية وانعدام الأمن، فلما أصبح خطب في الناس قائلا: "أيها الناس إني قد أنبئت بما أنتم فيه، وسمعت بعض ذلك، ألا وإني قد أنذرتكم وأجلتكم شهرا مسيرة الرجل إلى الشام، ومسيرة الرجل إلى خراسان، ومسيرة الرجل إلى الحجاز، ألا فمن وجدناه بعد شهر خارجا من منزله بعد العشاء الآخرة...فدمه هدر". **الأخبار الموفقيات**، ص256. أما البلاذري فقد أورد أن زياد سمع تكبيرا **في بعض الليالي** فسأل عن الأمر فقيل له: دار عبيد بن عمير تحرس لحمايتها من السرقة، فقال زياد: "ما كل الناس يقدر على ما يقدر عليه عبيد، ما قدومي هاهنا إلا باطل، فلما أصبح جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه بلغني مالا صبر عليه، إني أجلتكم في أن يبلغ شاهدكم غائبكم ثلاثا، إنا إن وجدنا أحدا بعد صلاة العتمة ضربنا عنقه، ثم نزل". **أنساب الأشراف**، ج5، ص206. أما الطبري فيذكر أن زياد **أمهل الناس** حتى بلغ الخبر الكوفة ورجع إليه ثم بدأ في تطبيق إجرائه. **تاريخ الطبري**، ج5، ص221، 222. وتتفق الروايات في أن زياد كان يأمر بقراءة سورة البقرة أو ما يماثلها من سور القرآن ثم يأمر صاحب الشرطة بالخروج وتفقد أحياء المدينة وأزقتها. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص 256، 257. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206، 219. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص221، 222.

صاحب الشرطة الخروج لتفقد التزام الناس بأمره ومن وجده قتله[1]، واستمر على هذا المنوال عدة ليال[2]. ولم ينج من هذه السياسة حتى الوافدون إلى البصرة رغم جهلهم بإجراءات زياد مبالغة منه في الحزم والعزم على تنفيذ قراراته وفرض الالتزام بها[3].

لم يكتف زياد بفرض حظر على الخروج ليلا فقط؛ بل قام بجمع رجال من الصلحاء الأمناء وضمنهم الطريق وحدَّ لكل واحد منهم مسافة محددة، فكان يقول: "لو ضاع بيني وبين خراسان شيء لعلمت من أخذه"[4]، ووضع زياد هؤلاء المراقبين على طريق البصرة–خراسان تحديدا يبدو أنه راجع لانتشار ظاهرة اللصوصية فيه أكثر من غيره، وقد استطاع زياد فيما يبدو ضمان أمن هذا الطريق الرئيسي بين الاقليمين.

كما ساد الأمن داخل البصرة "حتى أن الشيء ليسقط من الرجل فلا يعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه"[5]، وأصبحت المرأة تبيت لا تغلق عليها بابها[6]، بعد أن كانت تستغيث الناس فلا يغيثها أحد[7]، وقد ذكر هشام بن الكلبي أن زياد قام باختبار مدى فاعلية قراراته في الحد من ظاهرة اللصوصية فبعث قطيفة ديباج[8] منسوجة بذهب فألقيت بالخُرَيْبة[9]، فمكثت ليالي وأياما ما

---

(1) – يذكر الزبير بن بكار أن عدد ضحايا هذا الاجراء الذي أمر به زياد قد بلغ في اليوم الأول تسعين شخصا وفي الثاني خمسين، أما في الثالث فكانت ضحية واحدة فقط، أما البلاذري فيذكر أنه أصبح في صباح اليوم الأول بعد بدء تنفيذ أمر زياد خمسمائة رأس في وسط المدينة ولعل في أرقام البلاذري مبالغة معتبرة مقارنة بأرقام الزبير بن بكار. **أنظر**: الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص257. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206.

(2) – الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص256، 257. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص221، 222.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206، 207. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص222.

(4) – البيهقي: **المحاسن والمساوئ**، ص474.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص225.

(6) – **نفس المصدر والصفحة**.

(7) – الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص256. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206.

(8) – الديباج: كلمة فارسية معربة أصلها في الفارسية ديباك، وهي تعني ثوب حريري، وكانت أشهر البلاد إنتاجا له الأهواز. رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص182.

(9) – الخريبة: موضع بالبصرة كان به مدينة فارسية قديمة قبل تمصير البصرة سنة 14هـ/635م. الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص363.

يمسها أحد، فبعث إليها بعد فأتي بها[1].

أما القسم الثالث من الخطبة ففيه توضيح لطبيعة العلاقة الجديدة القائمة بين السلطة والرعية[2].

لم يكن فساد العامة وانحرافهم الأخلاقي إلى جانب استفحال اللصوصية والعصبية القبلية هي الظواهر السلبية الوحيدة التي تهدد أمن البصرة واستقرارها؛ بل كان للخوارج أيضا دور معتبر في إثارة الفوضى والاضطراب داخل المدينة وخارجها، ولذلك عمل زياد على فرض منطق السلطة على القبائل والحد من استقلاليتها عبر إلغاء مبدأ التضامن القبلي حين تكون مصالح السلطة مهددة[3]، ويتضح هذا من خطبة له بعد خروج كل من "قريب" و "زحاف" الخارجيان في البصرة سنة 50هـ/ 670م، حيث خطب قائلا: "يا أهل البصرة، ما هذا الذي اشتملتم عليه؟ إني أعطي الله عهدا لا يخرج علي خارجي بعدها فأدع من حيه وقبيلته أحدا، فاكفوني بوائقكم"[4].

هكذا تعامل زياد مع القبائل كوحدات مستقلة مطالبة بالمساهمة في ضمان أمن البصرة وسلامة أهلها عبر الأخذ بيد سفهائها ومجرميها وكل من يروم الخروج على السلطة من أبنائها، وهذا لحرمان هؤلاء الثوار والمجرمين من سندهم الاجتماعي الذي كانوا يحتمون به قبل ولاية زياد، وفي حال عدم التزام أي قبيلة بأوامر زياد فإن ذلك يعرض القبيلة بأكملها للمحاسبة والعقاب بحرمانها من العطاء وإجلاء أهل الثائرين عن البصرة[5].

وأمام هذا القمع المسلّط على هؤلاء الخوارج اضطر بعضهم إلى القول بـ "القعود" و"التقية" حماية لأنفسهم، ورغم ذلك فإن عمليات القمع ضدهم لم تتوقف[6]، ونتيجة لهذا الوضع الذي فرضته سياسة زياد ثم ابنه عبيد الله من بعده؛ أُجبر كثير من "قعدة الخوارج" المسالمين على اللجوء إلى

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206.

(2) – سبق وتناولنا هذه القضية في المبحث الأول من الفصل الأول.

(3) – أيمن إبراهيم: **الاسلام والسلطان والملك**، ص338.

(4) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص184. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص238. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص319.

(6) – لطيفة البكاي: **حركة الخوارج**، ص236، 237.

العنف ضد السلطة الأموية[1]، وأصبح العنف لغة التعامل بين مختلف الجماعات المذهبية والسلطة السياسية الحاكمة، ويتجلى ذلك بالنسبة للخوارج في معارك ملحمية خاضوها ضد هذه السلطة، خاصة تحت قيادة أبي بلال مرداس بن أدية وأخيه عروة بن أدية وغيرهم[2].

وفي خطب الولاة الأمويين خاصة نجد حضورا معتبرا لما يسميه "محمد مشبال" "الحِجاج بالتخويف"[3]، وهو يعتمد في الأساس على "...خلق موالاة عمياء من المخاطَب سالبا منه كل قدرة على الجدل أو النقض؛ إنه ضرب من العنف اللفظي الذي يستخدمه الخطيب لإجبار المخاطَب على الاذعان لدعواه بالقوة وليس بالحجج"[4]، بينما يصفه "دوجلاس والتون" بأنه نوع من "الحِجاج بالنتائج"[5]، ذلك أن الخطيب يعمد إلى حمل المخاطَب على التسليم والخضوع مسوغا ذلك بالنتيجة الوخيمة المترتبة على عدم إذعانه أو إظهار الرفض والمقاومة[6].

وهذا بالضبط ما يبرز من خلال خطب الولاة الأمويين، ففي خطبة للمغيرة بن شعبة نجده يخاطب رعيته قائلا: "فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحب لجماعتكم العافية، وأكف عنكم الأذى، وإني والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم، فأما الحلماء الأتقياء فلا، وايم الله لقد خشيت ألا أجد بُدا من أن يُعصب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل، فكفوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم، وقد ذكر لي أن رجالا منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وايم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب إلا أبدتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم"[7].

في خطبته هذه يستعرض المغيرة بن شعبة سياسته القائمة على حب العافية للناس وعدم إثارتهم واستفزازهم وكف الأذى عنهم، ونظرا لخشيته من الآثار العكسية لسياسته هذه فإنه يتوجه بخطاب أكثر حزم وشدة لجمهور أهل الكوفة وخاصة أشرافها الذين يشير إليهم هنا بالحلماء

---

(1) – ناجية الوريمي بوعجيلة : **الاسلام الخارجي**، ص115.

(2) – **نفسه**، ص116.

(3) – **بلاغة الخطاب السياسي**، ص197.

(4) – **نفس المرجع والصفحة.**

(5) – **نفس المرجع والصفحة.**

(6) – **نفس المرجع والصفحة.**

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص184.

الأتقياء، متوعدا إياهم بتحمل مسؤولية أفعال من يصفهم بالسفهاء، أما ما بلغه من محاولة جماعة من الخوارج الثورة عليه بالكوفة فإنه سيحمل تبعات ذلك لقبائلهم التي هددها بالإبادة والقتل إن ظهر هؤلاء الخوارج فيهم.

أما والي مصر عتبة بن أبي سفيان فإن خطابته كانت أكثر قوة وأشد قسوة من خطب المغيرة بن شعبة، حيث يوظف عبارات التجريح والتحقير في حق أهل مصر فوصفهم بأنهم "حاملي ألأم أنوف ركبت بين أعين"[1]، ونتيجة لطعنهم على ولاتهم وتنقصهم للسلف فإنه لن يتوانى في تقطيع ظهورهم بالسياط، وإن لم تفلح معهم السياط فإنه لن يداويهم إلا بالسيف[2]، ومع ذلك يؤكد أن سياسته فيهم وأسلوب تعامله معهم رهينة بتبدل مواقفهم والتزامهم بأوامره ونواهيه[3]، وهكذا فالأمويين ما كانوا ليقبلوا من الرعية أن تظهر الطعن على ولاتها وتنتقد سياستهم بل هي مطالبة بالاستكانة والطاعة، أما إذا أخلفت ونبذت الطاعة وجنحت للمعصية فإن العقوبة تبتدأ بالسوط (التأديب) وتتدرج للسيف(الاستئصال)[4].

وفي خلافة يزيد بن معاوية تواصل تبرير العنف الممارس على الرعية من خلال الربط بين تجريدهم السيف في حق معارضيهم ورعيتهم وبين التزامهم بطاعتهم وتجنب الخروج عليهم وتفريق جماعة المسلمين، ففي رسالة للخليفة يزيد بن معاوية لأهل المدينة بعد إعلانهم رفضهم خلافته وخلعهم طاعته يستخدم هذا الخليفة أسلوبا هجوميا شديدا ضد أهلها متوعدا إياهم بانتقام شديد وجعلهم عبرة لمن يأتي بعدهم فتتناقل الأجيال اللاحقة أخبارهم تناقلها لأخبار عاد وثمود الذين أهلكهم الله عز وجل، فكأن يزيد هنا يماثل بين عصيان عاد وثمود لله عز وجل وخروجهم عن طاعته وعبادته وبين عصيان أهل المدينة له وخلعهم طاعته، ذلك أن عصيان الخليفة هو عصيان لله عز وجل، وبالتالي سينالهم عذاب أليم وانتقام شديد نظير أفعالهم، فقال لهم: "من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة، أما بعد، فقد أنظرتكم حتى لا نظرة، ورفقت بكم حتى عُجِّزت عندكم، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري، وأيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لَأَطَأَنّكم وطأة

---

(1) – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص222. القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج1، ص216.

(2) – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص222. القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج1، ص216.

(3) – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص222. القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج1، ص216.

(4) – هذا ما يبرز من خلال خطب أخرى لعتبة، **أنظر**: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص222. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج16، ص63، 64.

أجعلكم بها أحاديث تؤثَر مع أحاديث عاد وثمود"[1].

أما النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه فبعد أن علم بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة مبعوثا للحسين بن علي رضي الله عنهما نجده يربط في خطبة له في أهلها –هو الآخر- بين نكث الرعية للبيعة ومخالفة الإمام وتجريد السيف فيها حيث يقول: "...ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر"[2].

كما خطب عبيد الله بن زياد في أهل البصرة قائلا: "...يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين قد ولاني مع البصرة الكوفة، وأنا سائر إليها...فإياكم والخلاف[3] والإرجاف[4]، فوالله الذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خالف أو أرجف لأقتُلَنّه وَوَلِيَّه، ولآخذَنّ الأدنى بالأقصى، والبريء بالسقيم حتى تستقيموا"[5]، وواضح كيف ربط عبيد الله بن زياد بين الخروج عن طاعة الخليفة أو الوالي عن طريق الأفعال أو الأقوال بنشر الاشاعات والانتقام منهم مهددا إياهم بتحميل المسؤولية الجماعية لتجاوزات وأفعال الأفراد، وهي نفس الإجراءات التي هدد بها والده زياد أهل البصرة عند توليه مصرهم.

وبالعودة إلى خطب الخلفاء والولاة الأمويين ومراسلاتهم نجد استخدامهم ألفاظ ونعوت تحقيرية في وصف معارضيهم والثائرين عليهم، فالمغيرة بن شعبة نعت الخوارج قبل ثورتهم عليه بـ "السفهاء"[6]، لكنه لم يلبث أن اعتبرهم خارجين عن الدين في خطبة أخرى حين وصفهم بـ "المارقة"[7] بعد إعلانهم الثورة عليه، أما زياد بن أبيه فإنه لم يتوان في نعت حجر بن عدي بـ

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص339. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص172.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص356. الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص213.

(3) – الخِلاف: المضادة. ابن منظور: **لسان العرب**، ج9، ص90. (مادة خلف). يبدو أنه يشير هنا إلى الخروج على الحاكم.

(4) – الإرجاف: "أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن...وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس". **نفسه**، ج9، ص113. (مادة رجف).

(5) – الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص214.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص184.

(7) – **نفسه**، ج5، ص189، 190.

"الهَجْهاجة[1] الأحمق المذبوب[2]"[3] وفي هذا النعت تحقير شديد له وحط من شأنه وتسفيه لرأيه أمام أهل العراق رغم أنه يعتبر من أشرافهم والمقَدَّمين فيهم.

ولما بعث الحسين بن علي رضي الله عنهما ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة وصفه عبيد الله بن زياد في خطبة له بـ "السفيه الجاهل"[4]، أما الحسين بن علي ونظرا لخطر حركته وتوجهه نحو العراق على حكم يزيد بن معاوية ولتبرير مقتله بتلك الطريقة البشعة فإن عبيد الله بن زياد وصفه في رسالة له إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش المحاصر للحسين وآل بيته وأنصاره بأنه "عاق شاق قاطع ظلوم"[5]، في إشارة إلى أنه خرج عن طاعة الخليفة وشق عصا المسلمين وفرّق جمعهم وظلم الخليفة القائم يزيد بن معاوية في محاولته الثورة عليه ولذلك فهو يستحق المصير الذي آل إليه لخروجه على الخليفة يزيد، كما لم يتوان في وصفه بعد مقتله بـ "الكذاب ابن الكذاب"[6]، وهذا لدحض دعواه في أحقيته بالخلافة خلفا لأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبالنسبة لعبد الله بن الزبير فقد وصفه الأمويون بـ "الملحد"[7] في إشارة إلى تَسبُّبه في استباحة الحرم نظرا لاتخاذه له ملجأ من بطشهم ومكة عاصمة لخلافته، وقد استعار الأمويون هذا اللفظ من الخطاب القرآني حيث يرد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج، 25]، كما يرد هذا اللفظ في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحد في الحرم، ومُبتغ في الإسلام سُنَّة الجاهلية، ومطَّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه"[8]، والإلحاد في اللغة يعني: "الميل عن القصد...قيل: الإلحاد فيه الشك في الله، وقيل: كل ظالم

---

(1) – "الهجهاج: النفور، وهو أيضا الجافي الأحمق، والهجهاج أيضا المسن، والهجهاج والهجهاجة: الكثير الشر الخفيف العقل... رجل هجهاجة هو الذي لا عقل له ولا رأي". ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، ص387. (مادة هجج).

(2) – رجل مذبوب أي أحمق. الزبيدي: **تاج العروس**، ج2، ص424. (مادة ذبب).

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص257.

(4) – **نفسه**، ج5، ص372.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص391. عند الدينوري: "عاق شاق". **الأخبار الطوال**، ص235.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص413. الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج2، ص117.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص321. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص247، 248. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص487.

(8) – البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، ص1702.

فيه ملحد...وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء"[1]، وحسب ابن حجر(ت852هـ/ 1448م) فإن "...هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين، فإذا وصف بها من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها"[2].

وهكذا فابن الزبير وفق المنظور الأموي جامع لخصال الشر كلها فهو لم يكتف بالخروج عن طاعة الخليفة وشق عصا المسلمين وتفريق وحدتهم؛ بل وفوق هذا استباح حرم الله عز وجل عندما اتخذه ملاذا له وسما نفسه "العائذ بالحرم"، وهذا ما يجعله خارجا عن الدين بالكلية ومن حق الأمويين حربه للقضاء عليه وتطهير الحرم منه ومن أتباعه الذين وصفهم القائد الأموي مسلم بن عقبة المري بـ "المرَّاق والفسَّاق"[3].

وإلى جانب ذلك اتخذ الخلفاء الأمويين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان لعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قاعدة ثابتة في خطابتهم السياسية، وهذا الفعل قد بدأه معاوية منذ وصوله للخلافة سنة41هـ/661م حيث كتب إلى عماله: "أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب[4] وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته"[5].

ومما أوصى به واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة قائلا: "يا مغيرة...لا تَكُفْكُفَنَّ عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم"[6]، يبدو أن معاوية رأى أن من ضرورات

---

(1) – ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص389. (مادة لحد)

(2) – **فتح الباري**، ج12، ص210.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص487.

(4) – أبا تراب: هي كنية أطلقها الرسول صلى الله عليه وسلم على علي كرم الله وجهه، وقد اختلف في سبب ذلك بين قائل أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في غزوة فمر بعلي وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فجاء ليوقظهما فوجد عليا قد تمرغ في التربة فسماه أبا تراب. وبين من يقول أن عليا غاضب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وهو مغتاظ فنام على التراب فرآه الرسول صلى الله عليه وسلم فأيقظه وجعل يمسح ظهره من التراب ويقول: يا أبا تراب... وغيرها. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج2، ص345.

(5) – ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج11، ص44.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص252.

السياسة بالنسبة له رفع ذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه باعتبار ادعاءه أحقيته بالخلافة انطلاقا من قرابته له وطلبه بدمه وتقريب أنصار عثمان بن عفان وتخصيصهم بصدر المجالس والهبات والعطايا، وبالنقيض من ذلك رأى ضرورة إبعاد شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن المناصب والانتقاص من شأنهم عقابا لهم على مناصرتهم لعلي.

وفي خطبة للمغيرة بن شعبة يتضح سبب لعن الأمويين لعلي كرم الله وجهه، حيث يقول: "لعن الله فلانا-يعني عليا- فإنه خالف ما في كتابك، وترك سنة نبيك، وفرق الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالما، اللهم العن أشياعه وأتباعه ومحبيه والمهتدين بهديه والآخذين بأمره"[1]، فالخليفة علي كرم الله وجهه يستحق اللعن إذن من وجهة نظر الأمويين لأنه خالف ما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان سبب الثورة على الخليفة عثمان رضي الله عنه وتفريق كلمة المسلمين وتشتيت صفهم واقتتالهم وإراقة دماءهم وكل هذا في سبيل الوصول للخلافة ومنازعة أهلها تحقيقا لمطامحه الخاصة، أما شيعته فإنهم يستحقون اللعن هم الآخرون لوقوفهم إلى جانبه ومساندتهم إياه. هذا وقد استمر لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مختلف الولايات حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أمر بإبطال هذا الفعل[2].

أخيرا، ما يُلاحظ أن طبيعة الخطاب السياسي الأموي تحدده طبيعة العلاقة القائمة بين الرعية والحكام، فإذا كانت الرعية مهادنة للسلطة ومسالمة لها فإننا نلحظ نوعا من الهدوء والتوازن في الخطاب السياسي الأموي، أما في حال الإخلال بضوابط الطاعة للحكام من قبل الرعية فإننا نلحظ تحولا تاما في الخطاب السلطوي وانسياقه نحو الشدة والعنف في مخاطبة الرعية، خصوصا أن السلطة الحاكمة لم تكن تنظر إلى أن علاقتها مع الرعية علاقة تشاركية ندية بل نظرت إليها على أنها علاقة سيادة وتبعية وطاعة مطلقة.

---

(1)- **نفس المصدر والصفحة.**

(2)- الجاحظ: **كتاب العثمانية**، طبعة الخانجي، ص283. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص161. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص35، 41، 193، 194. ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج4، ص63.

ثانيا: العنف ومبرراته في الخطاب السياسي المرواني

يُلخص الجاحظ التغير الحاصل في السلطة الأموية مع وصول عبد الملك بن مروان للخلافة سنة65هـ/684م فيقول: "...وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ بعض الجبابرة وخَوَّفه العواقب، وأراه أن في الناس بقية يَنهون عن الفساد في الأرض، حتى قام عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه، وقتلا فيه، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه"[1]، ويضيف في موضع آخر: "وإن قال قائل: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، ثم لم يرض إلا بنثر دماغه على صدره، وبصلبه حيث تراه عياله"[2].

على الرغم مما في هاذين القولين من مبالغة فإنه يمكن القول أن وصول عبد الملك بن مروان للخلافة قد رسخ عملية قطع "شعرة معاوية" التي كانت ممدودة بين السلطة والرعية خلال العهد السفياني، فلم يعد مقبولا منها أي نوع من الاحتجاج أو المعارضة بعد أن ضاقت السلطة ذرعا بها، ولم يعد الخروج على طاعة الخليفة أو تفريق وحدة الجماعة الاسلامية هو السبب الأساسي للقتل كما كان عليه الحال زمن معاوية وابنه يزيد، بل إن مجرد المعارضة الكلامية للخليفة أو الوالي كفيل بإزهاق روح الشخص في هذا العهد.

ويؤكد عبد الملك جوهر سياسته هذه في خطبة له بالمدينة سنة75هـ/694م بعد مقتل عبد الله بن الزبير حيث قال: "أيها الناس، فلست بالخليفة المستضعف-يعني عثمان- ولا بالخليفة المداهن-يعني معاوية- ولا بالخليفة المأفون[3]-يعني يزيد- ألا وإن من قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويُأكلون، وإني والله لا أداويكم إلا بالسيف، فمن أحب أن يبدي صفحته فليفعل، فلا تكلفونا أعمال المهاجرين ولستم تعملون أعمالهم، فوالله ما زلتم تزدادون استجراحا[4] ونزداد لكم عقوبة

---

(1) – الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، ج2، ص16.

(2) – **نفسه**، ج2، ص17.

(3) – الأفن: "النقص، ورجل أفين ومأفون أي ناقص العقل...ضعيف العقل والرأي". ابن منظور: **لسان العرب**، ج13، ص19. (مادة أفن).

(4) – الاستجراح: "النقصان والعيب والفساد". وقول عبد الملك يشير إلى الفساد. **نفسه**، ج2، ص422، 423. (مادة جرح)

حتى التقينا نحن وأنتم عند السيوف"[1].

إن عبد الملك يُدرك أن شعار القصاص للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يعد يكفي لتسويغ شرعية الأمويين، خاصة على اعتبار أصول المروانيين وانتسابهم للحَكَم بن أبي العاص وهو المدخول في إسلامه، كما لم يكن مروان من الصحابة بحيث يُمكن توظيف رمزيته التاريخية وسابقته الاسلامية في سبيل كسب الشرعية لحكمه على غرار ما فعل معاوية[2]، ونظرا لهذا الوضع يعلن أن سياسته مغايرة تماما لسياسة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه اللينة التي أدت إلى استضعاف الناس له وثورتهم عليه، ولا سياسة مداهنة على غرار سياسة معاوية الذي أمسك العصا من الوسط في تعامله مع الرعية، كما أنه ليس بضعيف الرأي والعقل مثل يزيد بن معاوية، وإذا كانت الرعية فاسدة في طبعها وتصرفاتها فمن غير المقبول أن تطالب بعدل الولاة واستقامتهم، ولهذا فالسيف وحده هو الحكم الفصل بينه وبين رعيته خاصة بعد تلك الظروف العصيبة التي مرت بها الدولة الأموية بسبب كثرة الخارجين عليها.

وقد حرص عبد الملك على اتباع ابنه الوليد لنفس نهجه السياسي فأوصاه قبل موته منتهرا إياه عما ظهر منه من ضعف قائلا: "يا هذا، أحنين الحمامة؟ إذا متُّ فشمِّر واتَّزر، والبس جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه"[3]، ويبدو أن الوليد قد حفظ وصية والده جيدا حيث أعلن في أول خطبة له بعد وصوله للخلافة ضرورة الالتزام بالطاعة ولزوم الجماعة ونادى في الناس أنه "من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه"[4].

وعلى صعيد تعامل الناس مع الخليفة ومخاطبتهم إياه منع الوليد مناشدة الخليفة، أو تكذيبه، أو مخاطبته باسمه[5]، وهذا المنطق معناه تحلل الخليفة من التواصل مع الناس عبر ترك مسافة واسعة

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص212. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة**، ص175. العسكري: **الأوائل**، ص250، 251.

(2) – رضوان السيد : **الجماعة والمجتمع والدولة**، ص78، 79.

(3) – المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج3، ص169.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص423. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص91.

(5) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص290.

بينه وبينهم، ولا يكتفي بذلك بل إنه يدفع بالإيغال في الفردانية إلى أقصاها، وإذا كانت النصوص الشرعية والتجربة التاريخية بمثابة قيد نسبي على شخصية الحاكم، فإنه في هذه اللحظة مع عبد الملك ثم الوليد بات بإمكان الخليفة اتخاذ ما يشاء من إجراءات ولو أدت إلى مصادرة حياة الأفراد في حال إخلالهم بموجبات الطاعة وصنوف الاذعان والخضوع، وبهذا زالت معاني القدسية والحرمة عن حياة المسلم والإنسان ككل بعد أن تحولت طبيعة السلطة إلى كسروية وهرقلية[1].

يتضح مما سبق اتجاه السلطة الأموية مع عبد الملك وابنه الوليد إلى اتخاذ السيف أساس المعاملة مع الرعية، وهذه السياسة هي التي سار عليها الولاة الأمويون وعلى رأسهم الحجاج بن يوسف في إقليم العراق الذي يعتبر مركز المعارضة للسلطة الأموية ومصدر الخطر الأول لها، ولهذا كانت سياسة هذا الوالي مع رعيته عنيفة جدا منذ لحظة توليته عليهم، فكانت خطبته في أهل الكوفة سنة75هـ/ 694م تعبيرا صريحا عن الرؤية الجديدة التي تتبناها السلطة الأموية في طبيعة علاقتها مع الرعية في ظل تلك الظروف المحيطة بالحكم الأموي داخليا وخارجيا، وهي علاقة عدوانية تجاوزت كثيرا سماحة الخطابة الأولى في عصر المبعث والراشدين، لقد كانت هذه الخطبة حافلة بصور التخويف والترهيب والوعيد لأهل العراق الخارجين عن طاعة الخليفة، والوالي هنا هو نائب الخليفة الذي أسندت إليه مهمة تأديب هؤلاء العصاة وإعادتهم لحضيرة الطاعة[2].

كانت غاية الحجاج من أسلوبه الهجومي والتخويفي في خطابته فرض السلطة على من يُفترض فيهم الاعتراض عليها دون أي تقدير لرأيهم وموقفهم، ثم إنه لا يثير خوفهم لتغيير رأيهم وحملهم على القبول بالسلطة، أو أنه يبتغي الشرعية من عندهم؛ بل إن التخويف في خطب الحجاج تحول إلى خطاب للهيمنة والكراهية وبيان للهدم والقتل[3].

في تحليلنا للخطب السياسية للحجاج بن يوسف وخاصة خطبته في أهل الكوفة بعد توليه إقليم العراق اتضح لنا أنها تدور خاصة حول العصيان والخروج عن طاعة الخليفة والثورة عليه مع توظيف محوري لمصطلح "الفتنة"، وقبل تحليل هذه الخطب وتفكيك بنيتها وتوضيح أشكال العنف الممارس من خلالها سوف أعرض هنا الحقل الدلالي لمصطلح الفتنة اعتمادا على القرآن الكريم

---

(1) – زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الاسلام**، ص408.

(2) – مي يوسف خليف: **تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الاسلام وبني أمية**، ص71.

(3) – محمد مشبال: **بلاغة العنف في خطب الحجاج، ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي**، ص198.

والمعاجم اللغوية العربية.

ترد لفظة "فتنة" في القرآن الكريم بمعان مختلفة وهذه المعاني أو التفاسير حسب مقاتل بن سليمان البلخي(ت150هـ/767م) في كتابه الوجوه والنظائر هي[1]:

– الشرك: لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة، 193]، وقوله أيضا: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة، 191]، ويعني هذا الشرك أعظم جُرما عند الله من القتل في الشهر الحرام.

– الكُفر: لقوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾[آل عمران، 07]، أي ابتغاء الكفر، وقوله تعالى أيضا: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[التوبة، 49]، أي في الكفر وقعوا.

– البلاء: مثل قوله لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[طه، 40]، يعني ابتليناك ابتلاءً على أثر بلاء، وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت، 02]، بمعنى لا يُبتلون في إيمانهم.

– العذاب في الدنيا: فذلك قوله في سورة النحل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾[النحل، 110]، يعني من بعد ما عذبوا في الدنيا.

– الحرق بالنار: لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات، 13]، يعني يعذبون فيحرقون بالنار في الآخرة.

– القتل: لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[النساء، 101]، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾[يونس، 83]، والمقصود هنا القتل.

– الصَّدُّ: فذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾[الإسراء، 63]، أي ليصدونك، أو يميلونك عن طريق الحق.

– الضلالة: لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾[الصافات، 161،

[1] – البلخي: **الوجوه والنظائر**، ص63-65.

162]، يعني ما أنتم عليه بمُضلين، وقوله أيضا: ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾[المائدة، 41]، يعني من يرد الله ضلالته.

– المعذرة: مثل قوله في سورة الأنعام: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾[الأنعام، 23]، أي لم تكن معذرتهم.

– الفتنة بعينها: لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[يونس، 85].

– الجنون: لقوله تعلى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[القلم، 5، 6].

وفي دراسة لها حول مفهوم الفتنة في أدب عبد الحميد الكاتب[1]، إلى جانب استقراء جذر "فتن" وصلت الباحثة وداد القاضي إلى أن هذه المعاني لا يمكن أن يكون جميعها أصليا، بل لابد أن يكون بعضها متفرعا عن البعض الآخر، فيكون الأخير أصليا بينما تكون سائر المعاني تطويرا له[2]، وقد استنتجت أن هناك معنيين أصليين للفتنة:

– المعنى الأصلي الأول هو: "الابتلاء والامتحان والاختبار وكذلك المحنة"[3]، وهذا ما وضحه الأزهري في قوله: "جماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات، 13]، أي يُحرقون بالنار"[4]، وبما أن المرء يوضع موضع الامتحان والابتلاء إذا فقد شيئا عزيزا عليه كالمال والولد أصبح معنى الفتنة أيضا المال والأولاد، وعلى مستوى آخر يوضع الرجل موضع الامتحان إذا فتنته المرأة، فيصبح معنى الفتنة هنا الاعجاب المفرط وإرادة الفجور[5].

---

(1) – عبد الحميد بن يحي بن سعد الأنباري، أبو يحي الكاتب، تلميذ سالم مولى هشام بن عبد الملك، سكن الرقة، وكتب لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، ممن وضع قواعد الكتابة والترسل، قتل من قبل العباسيين سنة132هـ/749م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص462، 463.

(2) – وداد القاضي: **مفهوم الفتنة وصورها في أدب عبد الحميد الكاتب**، ص337.

(3) – **نفسه**، ص338.

(4) – **تهذيب اللغة**، ج14، ص296، 297. (باب التاء والنون، مادة فتن). **وانظر** أيضا: ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**، ج10، ص24. ابن منظور: **لسان العرب**، ج13، ص317. (مادة: فتن).

(5) – وداد القاضي: **مفهوم الفتنة**، ص338.

– أما المعنى الأصلي الثاني فهو: الإمالة عن القصد[1]، أو الإمالة عن الحق[2]، والأصل هنا هو الحق أما الإمالة فتكون باتجاه نقيض الحق وضده، كالضلال والاثم والكفر على المستوى الديني، وذهاب المال وذهاب العقل والجنون على المستوى العقلي الإنساني، والخلاف على المستوى السياسي وما ينتج عنه من حروب واقتتال[3]، فالفتنة اذن هي "تحول من حال حسنة إلى حال سيئة"[4]، سواء كان ذلك على الصعيد الشخصي أو على صعيد الجماعة.

ومن خلال استقراء خطب الحجاج بن يوسف نجد توظيف مصطلح الفتنة وفق المعنى الأصلي الثاني، أي الإمالة عن الحق والخروج عن القصد، وخاصة على المستوى السياسي المتمثل في مفارقة الجماعة وخلع طاعة الخليفة، أو عصيان الأوامر[5]، كما نجد حضورا معتبرا للمعاني الفرعية الأخرى لمصطلح الفتنة المركب متمثلة في: الشِّقاق، النفاق، مساوئ الأخلاق، الضلال، الغي، البغي، الخلاف، الفرقة[6]، وهذه المصطلحات جميعها تشترك في دلالة الميل عن الحق والخروج عن القصد سواء على المستوى الأخلاقي أو الاجتماعي أو الديني أو السياسي.

---

(1) – الجوهري: **تهذيب اللغة**، ج14، ص297.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**.

(3) – وداد القاضي: **مفهوم الفتنة**، ص338.

(4) – الجوهري: **تهذيب اللغة**، ج14، ص300..

(5) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص494، 495. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص203.

(6) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص138. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص92، 93. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص275، 344. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص203. النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج7، ص190.

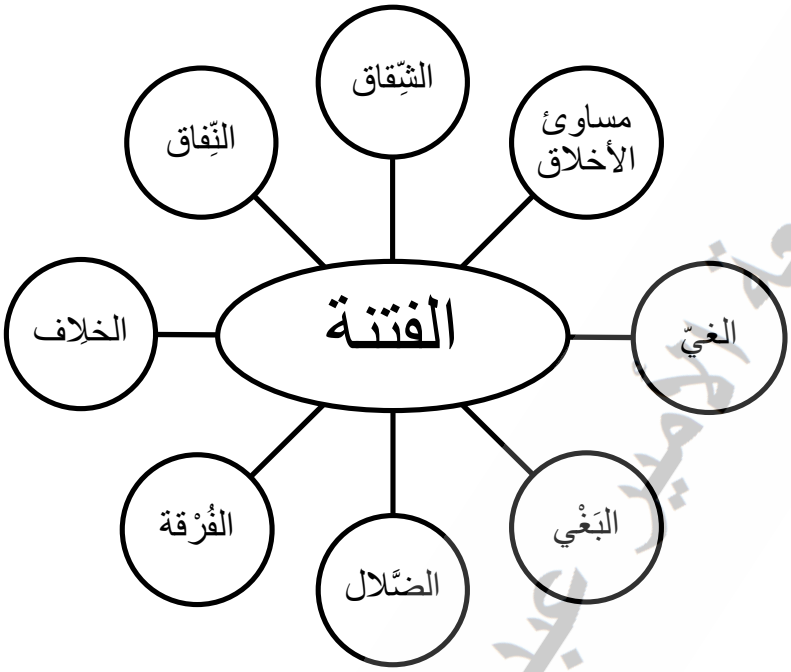

والملاحظ أن استخدام الحجاج لمصطلح الفتنة كان خاص بمشاركة أهل العراق في الفتن والثورة على الخليفة[1]، في إشارة إلى دورهم في مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وانضمامهم إلى مختلف الثائرين على الأمويين.

أما مصطلحات البغي والخلاف والشقاق والنفاق والضلال والفُرقة ومساوئ الأخلاق والغي فتم توظيفها عند الاشارة لعصيان الأوامر، على غرار تأخرهم عن بعث المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج[2]، أو عند الانهزام في الحرب مثل انهزامهم أمام جند عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في موقعة دير الجماجم[3]، وحتى عند إثارة الفوضى في الأسواق، أو نشر الشائعات في المجالس، وعدم رد السلام على الخليفة[4].

والسؤال المطروح هنا: ما هو سبب انغماس أهل العراق في الفتنة؟

---

(1) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص494، 495. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص203.

(2) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309.

(3) – **نفسه**، ج2، ص138. النويري: **نهاية الأرب**، ج7، ص190.

(4) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص137، 138. الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص93. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص276. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص206.

من منظور الحجاج فإن "الشيطان" هو سبب افتتان أهل العراق وميلهم عن الحق، حيث خاطبهم بعد معركة دير الجماجم قائلا: "يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم[1] فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع[2] والأطراف والأعضاء والشغاف[3]، ثم أفضى إلى الأمخاخ[4] والأصماخ[5]، ثم ارتفع فعشش، ثم باض وفرخ، فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم خلافا، واتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تستشيرونه"[6].

إن الشيطان يجري في أجساد أهل العراق جريان الدم في أجسادهم وهو ما يوافق حديث للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم"[7]، وبما أن الدم يسري في جسد الانسان شاملا جميع الأعضاء الباطنية فكذلك الشيطان اتخذ من أجسادهم سكنا له، ثم هو كالكائن الطفيلي حين اتخذهم محضنا له ولبيضه ومتنقلا بين جميع أعضائهم، فحشاهم نفاقا وشقاقا وخلافا وعصيانا لولاة أمورهم، فكانوا ضحية وساوسه حين اتخذوه دليلا لهم في أمورهم، وجعلوه قائدا لهم من خلال أفعالهم، وكما يُخرب الشيطان علاقة الانسان بربه فإنه في حالة أهل العراق خرَّب علاقتهم بولي أمرهم أيضا، ولإعادة ترتيب هذه العلاقة وضبطها وإصلاح اعوجاج أهل العراق فإن الحجاج توعدهم بأشكال مختلفة من التهديد هي:

- توظيف بعض الصور العنيفة مثل قوله: "إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني

---

(1) - "استبطن أمره إذا وقف على دِخْلَته، أي باطنه، وفي الأساس: استبطنه دخل بطنه، كما يستبطن العرق اللحم، واستبطن أمره: عرف باطنه". الزبيدي: **تاج العروس**، ج34، ص263. (مادة: بطن).

(2) - "يُقال لجميع خروق الانسان عينيه ومنخريه واسته مسامع لا يُفرَد واحدها". ابن منظور: **لسان العرب**، ج8، ص164. (مادة: سمع).

(3) - "الشغاف: غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب". **نفسه**، ج9، ص179. (مادة: شغف).

(4) - "المخ: نِقْي العظام". **نفسه**، ج3، ص52. (مادة: مخخ).

(5) - "الصماخ من الأذن: الخرق الباطن الذي يُفضي إلى الرأس...ويُقال: إن الصِّماخ هو الأذن نفسها". **نفسه**، ج3، ص34. (مادة: صمخ).

(6) - الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص138. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص344. النويري: **نهاية الأرب**، ج7، ص190. في الواقع لم يكن الحجاج هو الوحيد الذي اعتبر الشيطان سبب افتتان الناس وفرقتهم، فالخليفة هشام بن عبد الملك اعتبر أنصار زيد بن علي أناس استعبدهم الشيطان فاستلذوا الفتنة وانغمسوا فيها. **أنظر**: الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص170.

(7) - البخاري: **صحيح البخاري**، ص808. (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده).

لصاحبها، وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى"[1]، فكأنما يُشير إلى أشخاص بعينهم يُشكلون رؤوسا للفتنة يجب "قطفهم" كما تقطف الثمار الناضجة، وهذه العملية لا تتم إلا بالسيف استئصالا لهم ولشرهم.

– التهديد بالتعذيب في قوله: "أما والله لَأَحْوَنَّكُم لَحْو العصا[2]، ولَأَعْصِبَنَّكم عصب السّلْمة[3]، ولأضربنّكم ضرب غرائب الابل[4]"[5]، وقوله أيضا: "أما والله لَتستقيمُن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده"[6].

– التهديد بالجوع والخوف بعد كثرة النعم والأمن في قوله: " فإنكم لَكَأهل قرية ﴿كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل، 112][7].

– التهديد بالقتل ونهب المال في قوله مخاطبا العصاة المتخلفين عن بعث المهلب بن أبي صفرة:

---

(1) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص308. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص494. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص203. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص278.

(2) – "اللحو: التقشير، وهو اللحي أيضا، ويُقال: لحوت العصا ولحيتها إذا قشرتها". ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج12، ص138.

(3) – "السلم واحدته سَلَمة...شجر كثير الشوك وورقه القَرَظ الذي يُدبغ به...والعَصْبُ ضم ما تفرق من أغصان الشجرة بحبل ليُتمكن من الوصول إلى أصلها إذا أراد قطعها، أو ليخبطها بعصاه فيتناثر ورقها للماشية". المرصفي: **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، ج2، ص11.

(4) – "غرائب الإبل: هي الغريبة التي تدخل بين الإبل حال ورودها الماء فتضربها الرعاء ضربا وجيعا ويطردونها، وذلك مثل ضربه للتهديد والوعيد". **نفسه**، ج2، ص12.

(5) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص495. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص203، 204. (لأحونكم لحو العود). ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص279. (ولأقرعنكم قرع المروة). أما عند البلاذري فجاءة بصيغة مختلفة: "والله لأمرينكم بالهوان حتى تدوروا، ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا، ولأقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا، ولأضربنكم ضرب غريبات الابل حتى تنقادوا". **أنساب الأشراف**، ج7، ص274.

(6) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص310. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص275. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص204.

(7) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص495. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص274.

"من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله"[1]، وقوله أيضا مخاطبا أهل البصرة: "أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال ماضي عمره قصرت عليه باقيه... من سقمت سريرته صحَّت عقوبته، ومن وضعه ذنبه، رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية، لم تضق عنه الهَلَكة، ومن سبقت بادرته، فقد سبق بدنه سفك دمه"[2].

– التوعد والمنع للتجمعات المفضية إلى نشر الاشاعات والانشغال بمثالب الحكام وزلاتهم في قوله: "فإياي وهذه الجماعات، وقال وقيل، وما تقولون؟ وفيم أنتم وذاك؟"[3]، وهذا الاجراء يوضح مدى تخوف السلطة من شائعات العامة ومناقشتهم أمور الحكم والسياسة، ذلك أن تخوف السلطة من أي خطاب –مهما كانت مكانة صاحبه– يعكس في الواقع قوة مثل هذا الخطاب وسلطته خاصة إذا كان يحمل عناصر ثورية[4]، ويحدث التحول في موقف السلطة من هذا الخطاب من اللامبالاة إلى الغضب والتهديد والعنف القمعي حين تنتبه لإمكانات الخطر المضمرة في هذه المساحات من الخطاب الذي يتداوله العامة من وراء ظهرها، وإلى أي مدى يمكن أن ينال من هيبتها وسطوتها التي أسست على القوة والقمع والخوف ولم تُبن على تعاقد اجتماعي بين الراعي والرعية[5].

ولعل المبالغة في التهديد السلطوي بأشكال مختلفة من العقاب لهؤلاء العامة لا تكشف عن الوجه الاستبدادي القمعي للسلطة فحسب؛ بل تكشف أيضا عن كَمِّ التهديد الذي قد يشكله البسطاء للسلطة بفضولهم وشائعاتهم، ومن ثمَّ عن كَمِّ الخوف والقلق والعجز السلطوي إزاء هذه الممارسات، وهو عجز عن تحقيق السيطرة الفعلية على جماهير الناس، أي السيطرة على الوعي

---

(1) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص310. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص495. (ضربت عنقه). الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص204. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص279.

(2) – التوحيدي: **البصائر والذخائر**، ج5، ص13، 14.

(3) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص204. القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج1، ص219. أما عند البلاذري فجاءت بصيغة: "تسألون ماذا قال أميركم؟ وماذا يقول؟ وها، وها...فاقبلوا الانصاف، ودعوا الارجاف، وقول القائل منكم: أخبرني فلان عن فلان، قبل أن أوقع بكم إيقاعا يترك النساء أيامى، والولدان يتامى، فتقلعوا وقد جنيتم العافية، وغنمتم حظوظكم مع السلامة، ألا ولا يركبن رجل منكم إلا وحده، ولا يحفظن إلا نفسه". **أنساب الأشراف**، ج7، ص275. ونجد عند عثمان بن حيان المري والي المدينة نفس الموقف من أهل العراق وكثرة الشائعات بينهم والانشغال بأخبار الحكام ونشر الفتن. **أنظر**: الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص485، 486.

(4) – محمد حلمي عبد الوهاب: **ولاة وأولياء**، ص166.

(5) – هالة أحمد فؤاد: **شائعات العامة وأحاديث الخاصة، ضمن كتاب الأمة والدولة والتاريخ والمصائر**، ص221.

والقدرة على فرض الولاء والتغلغل في أعماق بواطن الفرد والجماعة وهذه هي السيطرة الحقة[1].

إن كثافة الصور الموظفة من قبل الحجاج تُبرز الدقة في انتقاء الألفاظ والعبارات، ثم التدرج المنطقي في بناء خطبته استطرادا بين حوار الأنا مع الآخر، ثم عودة إلى الأنا وعلوها على الآخر، وهذا ما يُدخل الخطبة في سياق جدلي مُحكم قوامه قوة الخطيب وضعف جمهوره، ومن جانب آخر استقامة الخطيب وضلال جمهوره، كما جعل لنفسه الذكاء والتجربة والصلابة والقوة والقسوة في الانتقام، والولاء والطاعة للخليفة الذي اختاره نائبا عنه، وأيضا المنافح عن وحدة دار الاسلام[2].

بينما على النقيض من ذلك جعل لجمهوره على الجانب الآخر الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق والاستغراق في الفتن والضلال والغي وتفريق ووحدة الجماعة الإسلامية وإضعافها، ومن ثم جاء بالتوسط المنطقي لاستكمال صورة العلاقة بين طرفين متناقضين أحدهما قائد والآخر مُقاد ليتوقف عند حتمية قطف الرؤوس وإراقة الدماء وضرب الأجساد والإيغال في الجراح[3].

إن خطاب الوعيد والتهديد لم يقتصر على الرعية فحسب؛ بل شمل الولاة أيضا، حيث نجد أن الخلفاء يوجهون رسائل عنيفة جدا للولاة حين يُخلون بواجباتهم، أو يتجاوزون حدود سلطاتهم خاصة إذا تعلق الأمر بالدماء، ولدينا في هذا الشأن نموذجين:

النموذج الأول هو رسالة وجهها الخليفة عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف بعد تعنيفه وإهانته للصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه[4]، حيث أن أنس رضي الله عنه دخل

---

(1) – **نفسه**، ص223، 224.

2– مي يوسف خليف: **تطور الأداء الخطابي**، ص79.

(3) – مي يوسف خليف: **تطور الأداء الخطابي**، ص79.

(4) – حسب ابن حبان فإن أنس بن مالك "كان فيمن يؤلب على الحجاج وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث". أي أنه ساهم في تأليب الناس على الحجاج، وقوله "كان مع عبد الرحمن بن الأشعث" قد يشير إلى مشاركة أنس إلى جانب عبد الرحمن في الحرب وهذا غير وارد بتاتا لأن المصادر المتقدمة لم تشر لذلك أبدا. **أنظر: الثقات**، ج4، ص40. وذكر الطبري أن أنس بن مالك صلى بالناس بالبصرة أربعين يوما بأمر من عبد الله بن الزبير بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية. **أنظر**: الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص528. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص161. وقد أورد خبر الحوار الذي دار بين الحجاج وأنس بن مالك رضي الله عنه كل من الجاحظ والبلاذري والنهرواني وغيرهم: يذكر الجاحظ في روايته أن الحجاج عنّف أنس في شأن ابنه عبد الله الذي شارك في قتال الحجاج إلى جانب ابن الأشعث، أما البلاذري فيذكر أن عبد الله بن أنس شارك في قتال الحجاج لكن إلى جانب عبد الله ابن الجارود وليس ابن الأشعث، غير أن سياق الحوار في كلا المصدرين يشير إلى مخاطبة الحجاج لأنس بن مالك رضي الله

على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له: "لا مرحبا ولا أهلا، إيها يا خبيث، شيخ ضلالة جوال في الفتنة، مرة مع أبي تراب، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الجارود، أما والله لأجردنك جرد القضيب[1]، ولأعصبنَّك عصب السَّلَمة، ولأقلعنَّك قلع الصمغة[2]، فقال أنس: من يعني الأمير؟ قال: إياك أصم الله صداك"[3].

بعد هذا التعنيف من قبل الحجاج خرج أنس بن مالك رضي الله عنه وكتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان كتابا يشكو فيه تعامل الحجاج معه، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضبا وتعاظمه ذلك من الحجاج، وبعث إليه بكتاب مما جاء فيه:

"أما بعد يا ابن أم الحجاج، فإنك عبدٌ طَمَت[4] بك الأمور فعلوت فيها حتى عَدَوت طَوْرك، وتجاوَزْت قَدرك، وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب[5]لأغمزنَّك[6] كبعض غمزات الليوث الثعالب، ولأخبطنَّك خبطة تود لها أنك رجعت في مخرجك من بطن أمك"[7]، بهذا الأسلوب العنيف ابتدأ عبد الملك رسالته لواليه الذي أهان أحد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، مهددا إياه بسوء المنقلب وشديد العقاب نظير فعلته هذه.

عنه تحديدا ولومه على دوره في التأليب عليه ودخوله في الفتن ولم يتم ذكر عبد الله بن أنس مطلقا، فيحين أن النهرواني اكتفى بحفظ الحوار دون ذكر لظرفيته التاريخية. وقد اعتمدت نص البلاذري لأنه أكثر تماسكا. **أنظر**: الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص385. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص295، 296. النهرواني: **الجليس الصالح**، ج3، ص 151، 152، 153. أما خليفة بن خياط فذكر أن عبد الله ويحي ابنا أنس بن مالك كانا من ضحايا وقعة الحرة زمن يزيد بن معاوية سنة 63هـ، بينما "النضر بن أنس بن مالك" هو الذي شارك في الحرب إلى جانب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. **أنظر**: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص154، 180.

[1] – جرد القضيب تقشيره، والراجح أنه يشير هنا إلى شدة ما سينزله به من عقاب.

[2] – الصمغة اليابسة تقلع من الشجرة فلا تترك أثرا على جدعها. الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص376. وهو يشير هنا إلى القتل والاستئصال.

[3] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص295. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص402.

[4]– يُقال للشيء الذي يكثر حتى يَعلو: قد طمَّ وهو يطم طمّاً. ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص370. (مادة: طمم). وهو يشير هنا إلى ارتفاع شأنه وسمو مكانته.

[5] – معنى العبارة هو: يا ابن المعالجة لفرجها بالزبيب. **نفسه**، ج12، ص451.

[6] – يقصد هنا الانقضاض عليه مثل انقضاض الحيوانات المفترسة على فرائسها.

[7] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص295.

ولم يكتف بالتهديد بالعقاب بل أهانه مُذكرا إياه بأصله الوضيع وامتهان آبائه الثقفيين صقل الحجارة وحفر الآبار لري مزروعاتهم قائلا له: "أما تذكر حال آبائك بالطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومناهلهم[1]، أم نسيت حال آبائك في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق...فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين[2]، أصك الرجلين[3]، ممسوح الجاعرتين[4]، ولولا أن أمير المؤمنين يظن أن الكاتب كثر في الكتاب من الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبك على ظهرك وبطنك حتى يأتي بك أنسا فيحكم فيك ..."[5]. هكذا فالخليفة عبد الملك حرص على رد إهانة الحجاج لأنس بن مالك بإهانة أشد منها زجرا وتأديب له على فعلته، موظفا أقسى العبارات التي تمس بشرف الحجاج وآبائه، مع تحقيره بذكر عيوب جسده إمعانا في الحط من كرامته.

وحسب ابن عبد ربه فإن عبد الملك علل تعنيفه للحجاج بهذا الأسلوب القاسي بقوله: "ما أشد علي أن تقول الرعية ضعُف أمير المؤمنين، وضاق ذرعه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة، ولا يتجاوز له عن سيئة"[6]، فعبد الملك يُدرك مكانة أنس بن مالك رضي الله عنه في قلوب المسلمين لخدمته الرسول صلى الله عليه وسلم، والإساءة له تحرك قطاعا واسعا من المسلمين، وتثير غضبة في أوساطهم قد تنعكس على النظام العام، وتؤدي إلى اضطراب الناس واتخاذهم موقفا عنيفا من السلطة الحاكمة[7].

---

(1) – المنهل: "المشرب...المنازل والمناهل واحد وهي المنازل على الماء". ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص681. (مادة: نهل).

(2) – الخَفش: "ضعف في البصر وضيق في العينين، وقيل: صغر في العينين خلقة". **نفسه**، ج6، ص298. (مادة خفش).

(3) – الصَّكَكُ: اضطراب الركبتين والعرقوبين من الإنسان وغيره. **نفسه**، ج10، ص456. (مادة: صكك).

(4) – الجاعرة: الدُبُر. **نفسه**، ج4، ص140. (مادة: جعر)

(5)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص295، 296. وقد أورد صاحب العقد الفريد رسالة أخرى وجهها عبد الملك إلى الحجاج فيها تعنيف شديد له على جرأته في الدماء وانتهاكه لمحارم الله، والملاحظ أنه اتبع نفس الأسلوب تقريبا في مخاطبة الحجاج من ذكر لأعمال أجداد الحجاج في مزارعهم وآبارهم، ورفعه لمكانة الحجاج من عون بسيط من أعوان روح بن زنباع الجذامي إلى وال على أهم إقليم في الدولة وهو إقليم العراق. **أنظر**: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص282، 283.

(6) – **العقد الفريد**، ج5، ص295.

(7) – مراد لكحل: **رسائل الخلفاء الأمويين**، ص183.

– النموذج الثاني هو رسالة أخرى وجهها ولي العهد سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج في أيام خلافة أخيه الوليد، حيث كان سليمان يراسل الحجاج فلا ينظر في كتبه مما أثار حفيظة سليمان فكتب إليه: "...فإنك امرؤ مهتوك[1] عنك حجاب الحق، مولع بما عليك لا لك، منصرف عن منافعك، تارك لحظك، مُستخف بحق الله وحق أوليائه، لا ما سلف إليك من حق يُعطفك، ولا ما عليك لآلك يصرفك في مُبهمة[2] من أمرك، مغمور[3] منكوس[4] مُعْصَوصِر[5] عن الحق اعصيصارا، لا تتنكب[6] عن قبيح، ولا ترعوي[7] عن إساءة، ولا ترجو لله وقارا"[8].

ابتدأ سليمان رسالته بأسلوب وعظي لين نوعا ما كاشفا لعيوب الحجاج وميله عن القصد في أفعاله وسياسته مع استخفافه بحق الله عليه وجحوده لفضل الناس عليه، وبعدها ينتقل سليمان في القسم الثاني من رسالته إلى التهديد والوعيد للحجاج إن أطال الله عمرهما وتولى الخلافة والحجاج حي فقال له: "وأيم الله لئن أمكنني الله منك لأدوسنك دوسة تلين منها فرائصك[9]، ولأجعلنك شريدا في الجبال، تلوذ بأطراف الشمال، ولأعلقن الرومية الحمراء[10] بثدييها، علم الله ذلك مني وقضى لي به علي...فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك إن كانت بي وبك مدة أتعلق بها، وإن تكن الأخرى فأرجو أن تؤول إلى مذلة ذليلة، وخِزية طويلة، ويُجعل مصيرك في الآخرة شر مصير

---

(1) – "الهتك: خرق السِّتر عما وراءه، والاسم: الهُتكة...ورجل مهتوك الستر مُتَهَتِّكُهُ، وتَهَتَّكَ أي افتضح". ابن منظور: **لسان العرب**، ج10، ص502. (مادة: هتك)

(2) – "استبهم عليهم الأمر لم يدروا كيف يأتون له...أي استغلق". **نفسه**، ج12، ص56. (مادة: بهم).

(3) – "رجل مغمور: خامل...استجهله الناس". **نفسه**، ج5، ص31. (مادة: غمر).

(4) – "النَّكْسُ في الأشياء معنى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره...يُقال: نُكس الرجل إذا ضعف وعجز". **نفسه**، ج6، ص241، 242. (مادة: نكس).

(5) – العصر: الحبس والمنع. **نفسه**، ج4، ص576. (مادة: عصر).

(6) – "نَكَّبه تنكيبا أي عدل عنه واعتزله، وتَنَكَّبه أي تجنبه". **نفسه**، ج1، ص770. (مادة: نكب). والمعنى المراد هنا أنه لا هو النفي، أي أنه لا يتجنب إتيان كل ما هو قبيح.

(7) – "ارعوى يَرعوي أي كفَّ". **نفسه**، ج14، ص328. (مادة: رعي).

(8) – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص300.

(9) – "الفريصة لحمة عند نُغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الخوف". ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص64. (مادة: فرص).

(10) – الرومية الحمراء التي يشير إليها سليمان هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج وهذا ما يوضحه جواب الحجاج على كتاب سليمان له. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص301.

والسلام"[1].

من خلال القسم الثاني من الرسالة يتضح شدة تغيظ سليمان من الحجاج ومدى الحقد والبغض الذي يكنه له خاصة أن للحجاج دورا محوريا في محاولة الوليد عزل أخيه سليمان وتولية العهد ابنه، والملاحظ أن انتقام سليمان لم يكن ليتوقف عند الحجاج فقط؛ بل سيشمل أفراد آخرين من أسرته ومنهم أخته زينب بنت يوسف التي توعدها بأليم العذاب، ويؤيد هذا أن سليمان بمجرد توليه الخلافة قد شمل بطشه جميع رجال أخيه الوليد وعلى رأسهم الولاة الثقفيين.

وعلى خطى سابقيهم السفيانيين زخر المعجم المصطلحي للخطاب السياسي المرواني بالألفاظ والنعوت التحقيرية التي ألصقوها بمعارضيهم والثائرين عليهم، فالخليفة عبد الملك بن مروان اعتبر سليمان بن صرد الخزاعي زعيم التوابين بأنه "ملقح فتنة ورأس ضلالة"[2]، في إشارة إلى أن حركته الثورية الانتقامية لمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما هي فتنة وخروج عن طاعة الخليفة وميل عن الحق، أما عبد الله بن الزبير فقد تواصل إلصاق نعت "الملحد" به لخروجه عن طاعة الأمويين وإعلان خلافته في مكة[3]، كما تم اعتباره فاسقا ومنافقا لنفس السبب[4].

أما أهل العراق فكان لهم نصيب وافر من عبارات التحقير خاصة من قبل الحجاج بن يوسف الذي خاطبهم قائلا: "إنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي"[5]، ولهذا اعتبر بأنهم "أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق"[6]، كما أنهم "أهل بغي

---

(1) – **نفسه**، ج5، ص300.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص373. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص605.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص260. ج7، ص215، 282. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص260.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص282. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص536. ج6، ص211. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص395.

(5) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص495. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص203.

(6) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج2، ص309. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص206. وصفهم والي المدينة عثمان بن حيان المري أيضا بمثل هذا الوصف حيث قال فيهم: "أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق، هم والله عش النفاق وبيضته التي تفلقت عنه". الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص485. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج38، ص344.

وخلاف"[1]، و"أهل الفُرقة"[2]، وهذا لعصيانهم الأوامر وانضمامهم لمختلف الثائرين حتى صاروا خطرا يهدد استمرار الحكم الأموي ووحدة الجماعة الاسلامية، كما وصفهم بأنهم "أهل المِدَرة[3] الخبيثة"[4]، في إشارة إلى خبث بلادهم التي أفسدوها بطباعهم السيئة، وهو نفس الوصف الذي أطلقه عليهم يوسف بن عمر الثقفي والي العراق لهشام بن عبد الملك بعد مساندتهم لزيد بن علي في ثورته[5].

وفي خطبة أخرى وصف الحجاج أهل العراق بأنهم "بني اللكيعة[6] وعبيد العصا وأولاد الإماء"[7] وفي هذا القول إهانة وتحقير شديدين لهم، فبعد أن كانوا رؤوس العرب وأشرافهم صاروا موالي وأبناء عبيد وإماء لا ينقادون إلا بالعصا.

أما الخوارج فظلت السلطة الأموية تعتبرهم "فساق ومراق" خارجين عن الدين بسبب خروجهم عن طاعة الخلفاء وتفريقهم وحدة الجماعة الاسلامية وفساد عقائدهم[8]، كما وصفهم "سعيد بن المجالد" أحد قادة جيش الحجاج بأنهم "الأعاريب العجف"[9] في إشارة إلى أصولهم الاجتماعية المتدنية.

ولم يسلم من هذا العنف اللفظي حتى الولاة والخلفاء، فالخليفة هشام بن عبد الملك خاطب والي العراق خالد بن عبد الله القسري في رسالة وجهها إليه بعبارة "ابن اللخناء"[10] وفي هذا القول

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص215.

(2) – الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص93.

(3) – المدرة تسمية تطلقها العرب على القرية المبنية بالطين أو المدينة الكبيرة. ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص163. (مادة: مدر).

(4) – الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، ص98.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص191.

(6) – اللكع: هو العبد. الأنباري: **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ج1، ص243.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص206.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص27. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1264. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص245.

(9) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص234.

(10) – **نفسه**، ج7، ص146.

حط من شأنه هو ووالدته، كما خاطبه بعبارة "ابن النصرانية"[1] ولعل هذا الوصف فيه اتهام له في دينه لكون أمه ظلت على دين النصرانية ولم تدخل الاسلام. أما يزيد بن الوليد فقد وصف ابن عمه الوليد بن يزيد بعد الاطاحة به بأنه "الجبار العنيد المستحل لكل حرمة، الراكب لكل بدعة"[2]، وكان فساد خلق الوليد بن يزيد وفسقه هو الذريعة التي اتخذها يزيد بن الوليد للثورة عليه والاطاحة به.

أخيرا، فإنه من خلال استعراض هذه النماذج من الخطابة الأموية نلحظ طبيعة التحول الحاصل في السلطة مع وصول بني أمية للحكم، حيث أصبحت هناك سلطة لا ترحم منفصلة تمام الانفصال عن الرعية، فتمارس أعمال البطش والقهر بوسائط ليس أقلها القتل على القول ناهيك على الفعل[3]، ومما يلاحظ أيضا أن العنف في الخطاب السياسي الأموي يجد ترجمته في الواقع على ثلاث مستويات، الأول هم المعارضون والثوار من خلال الإشارات العنيفة ضدهم من تحقير وتكفير وغيرها وصولا إلى السجن والتعذيب والقتل، أما الثاني فهم عامة الناس الذين كان لطبيعتهم البدوية في الغالب وغلبة الطباع البدوية عليهم والتي حملوها معهم إلى الأمصار المختلفة مما دفع السلطة إلى اتخاذ العنف المنفلت من أي ضوابط وسيلتها الرئيسية في ضبطهم من أجل تكوين حياة مدنية منتظمة في هذه الأمصار، أما المستوى الثالث فهم الولاة الذين كان يصيبهم انتقام الخلفاء وبطشهم سواء بالقول أو الفعل عند تجاوزهم لحدودهم.

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص149. وقد خاطبه بنفس العبارة يوسف بن عمر الثقفي في كتاب بعثه إليه. **نفسه**، ج7، ص151.

(2) – البلخي: **مقالات**، ص116. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص191. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص268.

(3)– زهير الهواري: **السلطة والمعارضة في الإسلام**، ص403. أيمن إبراهيم: **الإسلام والسلطان والملك**، ص335.

الفصل الرابع: السجن والسجناء

أولا: السجون في الجاهلية وصدر الاسلام

ثانيا: السجناء وأصنافهم في العصر الأموي

ثالثا: معاملة السجناء وأحوالهم

رابعا: تسيير السجون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عرف العرب في جزيرتهم الأسر والحبس منذ جاهليتهم بتأثير نمط معيشتهم وصراعاتهم القَبَلية، أما مؤسسة السجن فإنها كانت قائمة في الحواضر الجنوبية(بلاد اليمن) والشمالية (عند الغساسنة والمناذرة) خاصة للبلاد العربية، ومع مجيء الاسلام استمرت عمليات الحبس دون أن يعني ذلك وجود مؤسسة حَبسية قائمة بذاتها حيث تأخر اتخاذ السجون حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنذ اتخاذ أول سجن في عهد هذا الخليفة إلى نهاية العصر الأموي تطورت فكرة السجن وغايته من تأديب الشخص ومنعه من الحركة والتصرف في نفسه إلى مركز للتعذيب وانتهاك حقوق المساجين ووسيلة للانتقام خاصة من المعارضين والثائرين على الحكم الأموي، فما هي أسباب السجن؟ وما هي أصناف المساجين؟ وكيف انتقل مفهوم السجن وفكرته من إعاقة حركة المحبوس إلى مكان تنتهك فيه أبسط حقوقه؟ وما تأثير العوامل السياسية خاصة في هذا التحول؟

أولا: السجون في الجاهلية وصدر الاسلام

1- في العصر الجاهلي:

كانت حياة غالبية العرب في الجاهلية قائمة على الحل والترحال بحثا عن الكلأ والماء لمواشيهم التي تعتبر أساس معيشتهم، كما كان الغزو يشكل ظاهرة بارزة خلال هذا العصر، فكثرت أيام الحرب بين القبائل، وقد تستمر هذه الأيام سنين طويلة ولأسباب متعددة، ونتيجة لذلك تكثر عمليات الأسر عند كلا الفريقين المتحاربين، ونظرا لطبيعة الحياة الاجتماعية غير المستقرة فإنه لم يكن لدى العرب الرُحَّل سجون خاصة بالأسرى أو المجرمين، فكان الأسير يُفتدى أو يُقتل أو يموت في أسره، وقد يُطلق سراحه، أما أفراد القبيلة من المجرمين فكان النفي من القبيلة أو الطرد هو مصيرهم حيث يحيا كثير منهم حياة الصعلكة بعيدا عن أي التزامات قَبَلية تقيد حركته.

تذكر الأخبار أن قبيلة بني تميم[1] تمكنت من أسر الشاعر اليمني عبد يغوث بن وقاص

[1] – تميم: تكتل قبلي ضخم من العدنانية تقع منازلها بأرض نجد دائرة إلى البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، مج1، ص125-129.

الحارثي[1] في أحد أيام العرب يسمى "يوم الكلاب"[2] فلما أخذوه إلى مضاربهم حبسوه في خيمة إحدى عجائز القبيلة، وقد قال في ذلك[3]:

وتضحك مني شيخة عبشمية[4] كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

أما في الحواضر فإن السجون كانت معروفة ومنتشرة خاصة في جنوب بلاد العرب وشمالها، ففي بلاد اليمن اتخذ حكام هذه البلاد السجون لتأديب الخصوم والمعارضين وغيرهم من المفسدين، وقد تشددوا في حراستها وعزلها عن الناس حتى لا يتمكن أحد من الهروب منها، وفي بعض الأحيان لا يكتفون بذلك بل يجعلونها في قلاعهم وحصونهم زيادة في الحذر والحيطة والتشدد في مراقبة المساجين خاصة المهمين منهم[5]، ويبدو أن ظروف السجن كانت سيئة للغاية حيث كثيرا ما تؤدي إلى وفاة المساجين من جراء التعذيب وسوء حالة السجن ومن الجوع والعطش[6].

وبالنسبة لوسط الجزيرة العربية فإن الإشارات إلى وجود مؤسسة السجن في هذه الفترة تكاد تكون منعدمة، مع ذلك لم تكن ممارسات الحبس نفسها في ظل ظروف عقابية أو ظروف متنوعة أخرى غير معروفة أو غريبة عن سكان المنطقة، حيث أن هذه الممارسات كانت متغلغلة في المجتمع الحجازي حتى في غياب أي مؤسسات سجنية حقيقية[7].

ترد إشارات إلى حبس المجرمين وغيرهم في مكة قبل الاسلام، فقد كان الحارث بن عبيد بن

---

(1) – عبد يغوث بن وقاص الحارثي: أحد أشراف آل الحارث من اليمنية أسر يوم الكلاب الثاني ثم عذب وقتل. عبد القادر البغدادي: **خزانة الأدب**، ج1، ص413. ج2، ص196، 197.

(2) – يوم الكُلاب الثاني: معركة في الجاهلية بين بني تميم (بنو سعد والرباب) وحلف يمني مكون من مذحج وهمدان وكندة، في ماء الكُلاب بنواحي نجد، وقد طمعت القبائل اليمنية في تميم التي انهزمت شر هزيمة أمام الفرس، لكن تميم تمكنت من هزيمة هذا الحلف اليمني ضدها. **أنظر**: عبد القادر البغدادي: **خزانة الأدب**، ج1، ص410، 411. الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص372، 373.

(3) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج4، ص45. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج11، ص272.

(4) – عبد شمس بن سعد بطن من تميم العدنانية. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، مج2، ص724.

(5) – جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ج5، ص292.

(6) – **نفس المرجع والصفحة**.

(7) - Sean W. Anthony: **The Meccan Prison of ʿAbdallāh b. al-Zubayr and the Imprisonment of Muḥammad b. al-Ḥanafiyya,** p3, 4.

عمر بن مخزوم يحبس سفهاء قومه في جبل نفيع بالقرب من مكة[1]. ولا توضح الرواية طبيعة هذا الحبس.

كما قامت قبيلة بنو عامر بن عقيل[2] بأسر "قيسبة بن كلثوم السكوني" "وكان ملكا يريد الحج"[3]، ورغم أن العرب في الجاهلية كانت تتجنب التعرض إلى بعضها البعض في موسم الحج فإن بنو عامر وثبوا عليه في طريقه من اليمن إلى مكة فأسروه وأخذوا ماله وجميع ممتلكاته[4]، ثم حبسوه في بيت عجوز منهم[5]، وقد دامت مدة حبسه ثلاث سنوات[6].

وفي "يوم رحرحان"[7] أسر "بنو عامر بن صعصعة"[8] "معبد بن زرارة"[9] فحبس في حصن الطائف عند "أبي عقيل" جد الحجاج بن يوسف، وقد طلب في فدائه ألف بعير فلما رفضت قبيلته فدائه مات في حبسه بعد أن هزل وضعف[10].

ومع بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم واجهت قريش دعوته بشتى الأساليب ومن بينها الحبس، فقد أشار بعضهم بحبس الرسول صلى الله عليه وسلم وإثقاله بالأغلال لمنعه من نشر دعوته التي بدأ يعتنقها العديد من الناس، أورد الطبري أن بعض كفار قريش أشار قائلا: "إن هذا الرجل قد

---

(1) – الأزرقي: **أخبار مكة**، ص948. الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص297. حسب الفاكهي فإن الحارث المخزومي كان يحبس فيه غلمانه وليس سفهاء قومه. الفاكهي: **أخبار مكة**، ج4، ص191.

(2) – عامر بن لؤي: بطن من قريش من العدنانية وقد كانت فيهم كثرة. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، مج2، ص 713.

(3) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج13، ص5. التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص168.

(4) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج13، ص5. التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص168.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج13، ص5.

(6) – **نفس المصدر والصفحة**. التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص168.

(7) – رحرحان هو جبل قرب عكاظ، كانت قربه معركة بين بنو عامر بن صعصعة من هوازن وبنو دارم من تميم، وانتهت بانتصار بنو عامر. عبد القادر البغدادي: **خزانة الأدب**، ج6، ص368.

(8) – عامر بن صعصعة: بطن من هوازن من قيس عيلان، من العدنانية، كانت منازلهم بنجد ثم نزلوا جميعهم بنواحي الطائف. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، مج2، ص708، 709.

(9) – معبد بن زرارة: شريف من بني دارم، أبوه هو زرارة بن عُدُس سيد بني دارم. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص39، 40.

(10) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص39. عبد القادر البغدادي: **خزانة الأدب**، ج6، ص369.

كان أمره ما قد كان وما قد رأيتم، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله...من هذا الموت حتى يصيبه منه ما أصابهم"[1].

وواضح خوف قريش من انتشار دعوة الاسلام بين رجال قريش والعرب مما يهدد مصالح ملأ قريش فتم اقتراح عقوبة الحبس حتى الموت إذ كانوا لا يعترفون بنبوته ويرونه شاعرا أصابه مس من جن، ورغم أن الرواية لا توضح مكان السجن كما لا تشير إلى وجود مكان مخصص للسجن فإن هذا دليل على قيام أهل مكة بحبس المخالفين والمجرمين من أهلها.

كما قامت قريش بحبس من قدرت على حبسه من المؤمنين الأوائل عقابا لهم على دخولهم في الاسلام[2]، وممن حبس الوليد بن الوليد بن المغيرة[3]رضي الله عنه حيث حبسه أهله بعد إسلامه[4]، ومعه نفر من بني مخزوم أقدم إسلاما منه فيهم سلمة بن هشام[5] و عياش بن أبي ربيعة[6] رضي الله عنهما، وكان مكان حبسهم بمكة[7]، وكانا في حال شديد في سجنهما حيث وصف الوليد حالهما في السجن للرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: "تركتهما في ضيق وشدة وهما في وثاق رجل أحدهما مع رجل صاحبه"[8].

---

[1] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج2، ص371.

[2] – ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص294.

[3] – الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، شارك مع قريش في غزوة بدر فأسر ثم أسلم بعدها، حبسه قومه بسبب إسلامه وتوفي هو في طريق عودته من مكة إلى المدينة. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج4، ص123-125.

[4] – **نفسه**، ج4، ص123.

[5] – سلمة بن هشام بن عبد الله بن عمر بن المغيرة، القرشي المخزومي، كان من مهاجرة الحبشة، ومن خيار الصحابة وفضلائهم، أسلم قديما فأسره أهله وعذبوه، لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الخندق(5هـ)، وقد استشهد سنة 14هـ/635م في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل بل في يوم أجنادين سنة 13هـ/634م في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مج2، ص643.

[6] – عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، اسمه عمرو، كان من السباقين للإسلام، وهاجر الهجرتين، سجن بعد عودته من الحبشة إلى مكة ولقي أذى شديدا، مات سنة 15هـ/636م في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ابن حجر: **الاصابة في تمييز الصحابة**، ج4، ص623، 624.

[7] – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج4، ص123.

[8] – **نفسه**، ج4، ص124.

أما في شمال الجزيرة فقد كان للمناذرة سجون خاصة، منها سجن "الصِّنَّيْن"[1] الذي حبس فيه النعمان بن المنذر[2] الشاعر "عدي بن زيد"[3] بسبب سعاية من أحد أعدائه[4]، وكان في حبسه هذا معزولا فلا يدخل عليه أحد[5].

ولا تذكر المصادر سجن الصنين فحسب؛ بل ترد إشارة إلى سجن آخر للنعمان بن المنذر في "القُطْقُطانة" قرب الكوفة[6]، كما كانت "الثَويّة" بنواحي الكوفة أيضا سجنا للنعمان بن المنذر حيث "كان يحبس بها من أراد قتله فكان يُقال لمن حبس بها ثوَّى أي أقام، فسميت الثوية بذلك"[7].

ولابد أن لهذه السجون موظفون قائمون عليها مهمتهم تسيير أمورها ومراقبة المساجين ومنعهم من الهرب، ويوكل إلى هؤلاء الموظفين أمر تعذيبهم أو قتلهم عند صدور أمر الملك بذلك كما فُعل بعدي بن زيد العبادي[8].

كما كان للغساسنة في الشام سجونهم أيضا، حيث تذكر بعض الأخبار أن عمرو بن جفنة[9] الملك الغساني حبس جماعة من التجار القرشيين فيهم "أبو أحيحة سعيد بن العاص"[10] بعد أن

---

(1) – الصِّنَّيْن: بلد بنواحي الكوفة. الحموي: **معجم البلدان**، ج3،ص431.

(2) – النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، ورث ملك الحين عن أبيه حوالي سنة 592م، كانت مملكته تابعة للفرس فأقره عليها كسرى أبرويز ثم نقم عليه فنفاه وسجنه بخانقين بأرض العراق، وقيل بل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته بأرجلها فهلك. الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص43.

(3) – هو عدي بن زيد ن حماد بن زيد بن أيوب التميمي، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا على دين أهله. الأصفهاني: **الأغاني**، ج2، ص63.

(4) – ابن حبيب: **أسماء المغتالين من الأشراف**، ص65، 66. الأصفهاني: **الأغاني**، ج2، ص75.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج2، ص71.

(6) – الزبيدي: **تاج العروس**، ج20، ص43. (مادة: قطط).

(7) – الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص87.

(8) – جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ج5، ص293.

(9) – عمرو بن جفنة بن عمرو الأزدي الغساني، حكم في أوائل القرن الثاني للميلاد أول من لبس التاج من ملوك الغساسنة بالشام، له معارك عديدة مع الروم. الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص75.

(10) – أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، كان عظيم القدر عزيزا في قومه، كان يُقال له ذو التاج وذو العمامة، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم إذ مات كافرا. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص41.

رفضت قريش تنصيب "عثمان بن الحويرث"[1] ملكا عليها، وكان أمر الحبس صادر عن قيصر الروم نفسه[2].

2- في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه

اختلف أهل الأخبار في اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه السجن أم لا، حيث ذكر بعضهم أنه لم يكن لهما سجن، ولا سجنا أحد، بينما ذكر بعضهم الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجن في تهمة دم[3]، والراجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتخذ أي سجن وإنما قام بحبس المتهمين وأسرى الحرب في أماكن محددة بهدف منعهم من الهرب.

يؤيد هذا ما ورد من الأخبار عن تعامله صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الأسرى والمتهمين، حيث أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أُثال[4] سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد..."[5]، فابن أثال هذا ربط بالمسجد وهو كافر، والمسجد مكان مفتوح يرتاده الناس

---

(1) – عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، يُقال أنه خرج إلى قيصر الروم فسأله أن يُمَلِّكه على قريش وقال له: "أحملهم على دينك فيدخلون في طاعتك"، ففعل وكتب له عهدا بذلك، وكادت قريش أن تعترف به ملكا عليها ثم تراجعت بتأثير من الأسود بن عبد المطلب الذي صاح فيهم قائلا: "إن قريش لَقاح لا تَملِكُ ولا تُملَك"، فترك عثمان قريش واستقر عند الغساسنة بالشام حتى مات. المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص209، 210.

(2) – الزبير بن بكار: **جمهرة نسب قريش**، ص427، 428.أما المصعب الزبيري فإنه لا يشير إلى أن الأمر صادر عن قيصر الروم. **ينظر**: المصعب الزبيري: **نسب قريش**، 210.

(3) – ابن الطلاع: **أقضية الرسول**، ص8.

(4) –ثُمامة بن أُثال الحنفي، سيد أهل اليمامة، أسلم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه، ثبت على الاسلام بعد ردة بني حنيفة مع مسيلمة الكذاب، شارك في حروب الردة هو وجماعة من بني حنيفة بقوا على إسلامهم إلى جانب العلاء بن الحضرمي، قتله بنو قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل(عدنانية) متهمين إياه بقتل سيدهم في حروب الردة. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص158، 159.

(5) – البخاري: **صحيح البخاري**، ص584. (كتاب الخصومات). (2422). **أنظر أيضا**: البيهقي: **السنن الكبرى**، ج9، ص151. (كتاب السير. باب الأسير يوثق). الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص321. ولعل الغاية من ربطه في المسجد دون سواه من الأماكن هو إلانة قلبه لدخول الاسلام خاصة وأنه سيد قومه كما أنه لم يلبث أن أسلم، يؤيد هذا ما ذكره ابن خزيمة في صحيحه حيث خصص بابا عنوانه: "**باب الرخصة في إنزال المشركين المسجد غير المسجد الحرام إذا كان ذلك أرجى لإسلامهم وأرق لقلوبهم إذا سمعوا القرآن والذكر**". وقد أورد في ثنايا هذا الباب أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنزل وفد ثقيف المسجد حتى يكون أرق لقلوبهم. ابن خزيمة: **صحيح ابن خزيمة**، ج1، ص650.

فلم يكن بالمكان الضيق أو المعزول الذي تنتهك فيه حقوق الأسير، أما الربط للسارية فهو من ضرورات إعاقة حركة الأسير ومنعه من الهرب.

وقد تواصلت عمليات الحبس في المسجد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان "شريح القاضي"[1] إذا حكم على رجل في دين يحبسه في المسجد حتى يقضي ما عليه وإلا أمر به إلى السجن[2].

أما المكان الثاني الذي حبس فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أسراه فهو البيوت؛ فبعد غزوة بدر(17رمضان سنة ثانية للهجرة) أتي بالأسرى فقام بتفريقهم بين أصحابه[3]، وكان أسيره هو "سهيل بن عمرو"[4] حيث حبسه في حجرة السيدة سودة بنت زمعة[5] رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت يداه مجموعة إلى عنقه ومربوطة بحبل[6].

وفي غزوة بني قريضة(5هـ/626م) فتح هؤلاء حصنهم بعد حصارهم من قبل المسلمين بقيادة

---

[1] – شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية الكوفي القاضي، كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه، استقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة وأقره علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأقام القضاء ستين سنة، ثلاث وخمسون سنة بالكوفة وسبع بالبصرة، مات زمن ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. المزي: **تهذيب الكمال**، ج12، ص435-437.

[2] – عبد الرزاق الصنعاني: **المصنف**، ج8، ص305، 306. (كتاب البيوع، باب الحبس في الدين)

[3] – ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص645. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج2، ص460.

[4] – سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد من بني لؤي بن غالب من قريش، شارك إلى جانب قريش في معركة بدر فأسر ثم فدي، كان مبعوث قريش إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، أسلم في السنة الثامنة للهجرة عند عزوة حنين، استقر بالشام حتى توفي بها في طاعون عمواس سنة 18هـ/639م في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص119-126.

[5] –سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن وُد من بني عامر بن لؤي، كانت تحت السكران بن عمرو بن عبد شمس بن ود، أسلمت قديما هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها، فكانت أول امرأة تزوجها بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، كانت وفاتها بالمدينة سنة 54هـ/673م في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج10، ص51-55.

[6] – ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص645. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج2، ص460. البيهقي: **السنن الكبرى**، ج9، ص151. (كتاب السير. باب الأسير يوثق.)

الرسول صلى الله عليه وسلم ونزلوا على حكم سعد بن معاذ[1] الأنصاري رضي الله عنه فيهم، فحكم فيهم سعد "أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء"[2]، فأمر بهم الرسول فحبسوا بالمدينة في دار بنت الحارث وهي امرأة أنصارية من بني النجار[3]، أما ابن حجر فقد ذكر الاختلاف في مكان حبسهم بين دار ابنة الحارث الأنصارية، أو دار أسامة بن زيد، أو أنهم جعلوا في دارين منفصلتين[4]، ولعل هذا هو الراجح خاصة وأن عدد الرجال كان معتبرا[5].

إن تلك البيوت التي تم حبس المساجين بها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم هي البيوت التي بناها العرب لأنفسهم فأعطتهم نسبة عالية من أسباب الصحة الجسمية والنفسية، حيث اتصفت بالاتساع الكافي والاضاءة الطبيعية والتهوية والنظافة وغيرها من المرافق الضرورية التي تستلزمها طبيعة الحياة ومبادئ الشريعة الاسلامية ومعاني الكرامة الانسانية[6].

كما اتخذ الرسول مكانا آخر للحبس على شكل "حظيرة" يتم حجز الأسرى بها، وهذا ما حدث مع سبايا طيء حيث حبسهن "في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبسن فيها"[7]، فهذه الحظيرة اذن كانت مخصصة للسبايا فحسب دون الرجال من الأسرى، وبما أنها كانت عبارة عن مساحة محاطة بالقصب والخشب[8] فالراجح أن هذا الاجراء في حقهن كان مؤقتا ولفترة قصيرة.

أما النوع الثاني من المحبوسين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فهم أصحاب التهم، حيث أمر الرسول رجلا أتاه بغريم له بأن "يَلزَمه" ثم مر به في آخر النهار فقال له: "ما فعل أسيرك يا أخا بني

---

(1) – سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي، أسلم على يد مصعب بن عمير لما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب يعلم المسلمين، شهد بدرا وأحد والخندق، توفي بعد غزوة بني قريضة في السنة الخامسة للهجرة. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص477-479.

(2) –ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص240.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**. أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص201. الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص322.

(4) – **فتح الباري**، ج7، 414.

(5) – اختلف في عددهم بين من قال أن عددهم أربعمائة رجل أو ستمائة رجل أو سبعمائة رجل أو ثمانمائة رجل، وهناك من رفع عددهم إلى تسعمائة رجل، ويرجح ابن حجر أن يكونوا أربعمائة مقاتل أما البقية فهم أتباع لهم. **ينظر: نفس المصدر والصفحة.**

(6) – حسن أبو غدة: **أحكام السجن ومعاملة السجناء في الاسلام**، ص282.

(7) – ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص579. الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص322.

(8) – الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص322.

تميم؟"[1]، وأمر الملازمة هنا يشير إلى ملازمته حتى يقضي ما عليه، أو حبسه عنده في بيته، ولهذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الغريم بالأسير لما سأل عنه. وحبس الرسول أيضا في التهمة يوما وليلة[2]، كما حبس رجلا في تهمة ساعة من النهار ثم خلى سبيله[3]، وهذا بعد أن برئت ذمته.

يتضح من الأخبار السابقة أن هؤلاء المحبوسين كانوا يتمتعون بقدر معتبر من الحرية ولم يكونوا معرضين لأي ضغط أو تهديد من آسريهم خاصة في ظل وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بإحسان معاملة الأسرى، واجتهاد هؤلاء في التزام أوامر الرسول، يؤيد هذا ما رواه ابن اسحاق عن "أبي عزيز بن عمير بن هاشم"[4] الذي أسر بعد غزوة بدر حيث يقول: "...كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها. قال: فأستحيي فأردها على أحدهم فيردها علي ما يمسها"[5].

وهذه الممارسات السابقة هي التي أوصلت ابن قيم الجوزية إلى تحديد الفروق بين "الحبس الشرعي" و"السجن" حيث يقول: "فإن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء كان في بيت أو مسجد، أو كان بتوكيل نفس الخصم أو وكيل الخصم عليه وملازمته له، ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيرا"[6].

---

(1) – ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، ج2، ص811. (كتاب الصدقات، باب الحبس في الدين والملازمة.)

(2) – ابن قيم الجوزية: **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ص268.

(3) – ابن الطلاع: **أقضية الرسول**، ص9. الصدر الشهيد: **شرح أدب القاضي للخصاف**، ج2، ص343.

(4) – أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، اسمه زرارة، وهو أخ الصحابي الجليل مصعب بن عمير، كان ممن شهد بدرا كافرا فأسر يومئذ، يُقال أنه قتل يوم أحد مشركا. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص1365. 1366.

(5) – ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص645. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج2، ص460، 461.

(6) – **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ص269. ضمن نفس الرؤية تقريبا يرى "شين أنتوني""Sean Anthony" في بحثه حول أصول السجون الاسلامية –في الحجاز تحديدا وخاصة المدينة– أن مجرد ذكر مصطلح السجن في المصادر التاريخية لا يضمن وجوده الفعلي في الواقع، وحجته في ذلك أن استخدام الجذر "س ج ن" الذي يشير بشكل لا لبس فيه إلى مفهوم السجن في هيكل نادر الحدوث، بل لم يُسمع به تقريبا، بدلا من ذلك فإن الجذر "ح ب س" يستوعب عددا معتبرا من المعاني والممارسات ويحمل معه ببساطة فكرة "التقييد" أو "الاحتجاز"، كما أنه يظهر في أوصاف أنواع مختلفة من الاعتقال في الفترة الاسلامية المبكرة والتي لا تستلزم أو لا تفترض وجود سجن في حد ذاته. Sean Anthony: **The Domestic Origins of Imprisonment**: **An Inquiry into an Early Islamic Institution**, p576.

فالحبس الشرعي اذن مختلف في حقيقته عن السجن الذي سيظهر زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي سيتطور لاحقا زمن الأمويين ليصبح مركزا للانتقام والتعذيب وانتهاك حقوق المسجونين.

3- في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما:

مع اتساع دولة الاسلام وازدياد أعداد المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب احتيج إلى مكان خاص لحبس المجرمين وغيرهم، فأحدث سجنا بمكة بعد أن ابتاع دارا لصفوان بن أمية[1] بثلاثة آلاف أو أربعة آلاف درهم وجعلها سجنا[2]، وهذا الفعل من الخليفة عمر رضي الله عنه سيصبح المرجعية التي سيتخذها بعض الفقهاء أساسا للقول باتخاذ الإمام للسجون[3].

وإذا كان الخليفة عمر قد استحدث هذا السجن في مكة فالراجح أن ذلك راجع إلى غياب مكان رسمي مخصص لحبس الناس به، لكن لماذا قام هذا الخليفة بتحويل دار كانت تمثل سكنا عائليا إلى سجن ولم يقم ببناء سجن جديد؟ يبدو أن هذا الفعل يمثل وسيلة فعالة للتصدي بسرعة للاحتياجات المتزايدة والملحة المرتبطة بالنمو المتسارع للمجتمع الاسلامي بحكم عمليات الفتح الواسعة[4].

يمكن القول أيضا أن تحويل المساكن إلى سجون يعكس أيضا الأصول المحلية للممارسات الحبسية في الفترة الاسلامية المبكرة، إن جوهر معنى "الأصول المحلية" يعتمد على ملاحظة بحر من التغيرات العميقة خلال ظهور الدولة الاسلامية، حيث كانت هناك ممارسات غير رسمية للحبس والاحتجاز على النحو الذي تمارسه الأسرة، أو الأقارب، أو شيوخ القبائل، وهو ما يمثل "سجن منزلي" أو نوع من "الاقامة الجبرية"، ومع مرور الوقت تحولت هذه الممارسة غير الرسمية إلى ممارسات تم إضفاء الطابع المؤسسي عليها رسميا من قبل الدولة المزدهرة مع الحفاظ على بقايا الممارسات

---

(1) – صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي، أسلم بعد الفتح وشهد حنين والطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كافر، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج6، ص109-112.

(2) – البخاري: **صحيح البخاري**، ص548. (كتاب الخصومات، باب الربط والحبس في الحرم). الفاكهي: **أخبار مكة**، ج2، ص340. عبد الرزاق الصنعاني: **المصنف**، ج5، ص148. الأزرقي: **أخبار مكة**، ص904.

(3) – ابن قيم الجوزية: **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ص271.

(4) - SEAN ANTHONY : **The Domestic Origins of Imprisonment: An Inquiry into an Early Islamic Institution**, p572, 573.

السابقة[1].

كما أن عدم الاشارة إلى استحداث أي سجن بالمدينة وهي عاصمة الدولة يمكن تفسيره باستمرار حبس المجرمين في البيوت على غرار ما كان زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، خاصة وأن الاشارة الوحيدة لعملية الحبس في المدينة زمن الخليفة عمر رضي الله عنه لا تشير إلى بناء مخصص كسجن وهذا ما يتضح من قصة الشاعر الحطيئة[2] الذي هجا الزِّبْرِقان بن بدر[3] فحبسه الخليفة عمر تأديبا له على فعله، وقد وثق الحطيئة سجنه في قوله مستعطفا الخليفة إطلاق سراحه[4]:

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــرخ[5] حمر الحواصل[6] لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمـــر

ما يتضح من هذه الأبيات أن الشاعر قد تم حبسه في مكان على شاكلة حفرة أو بئر[7] بحيث لا يمكنه الخروج منه وهو مكان مظلم لا يصل إليه النور الكافي، لكن مدة حبسه لم تدم طويلا حيث أطلق سراحه بعد أن استعطفه بتلك الأبيات.

وفي البصرة كان سجنها مبنيا من القصب يؤيد هذا ما ذكره البلاذري عن قصة رجل يدعى معن بن زائدة زوَّر خاتم الخلافة وحصَّل به أموالا من خراج الكوفة، فبلغ خبره عمر بن الخطاب فأمر عامله عليها المغيرة بن شعبة بحبسه[8]، ولما كان السجن من القصب تَحَيَّن معن الليل فخرج من

---

(1) - **Ibid**, p574.

(2) – الحطيئة: أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك، لقب بالحطيئة لقصر قامته، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام، هجاء خبيث اللسان لم يسلم أحد من هجائه حتى أنه هجا أمه وأباه ونفسه، قيل أن وفاته كانت سنة 45هـ/665م وقيل سنة 59هـ/678م. عزيزة فوال بابتي: **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**، ص109.

(3) – الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة التميمي، اسمه الحصين ولقب بالزبرقان لجماله، والزبرقان القمر، نزل البصرة، وكان سيدا في الجاهلية وعظيم القدر في الاسلام، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم سنة تسع للهجرة، ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم صدقات قومه بني عوف وكذلك فعل كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص405، 406.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص357. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج6، ص144.

(5) – ذو مرخ: واد بنواحي فدك، أو هو واد بقرية لبني يربوع باليمامة. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص103.

(6) – حمر الحواصل: أي أنها صغار السن. الحطيئة: **ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت**، ص107.

(7) – يذكر ابن الأثير أنه حبسه في مطمورة. ينظر: **أسد الغابة**، ص406.

(8) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص647، 648.

سجنه وهرب[1]، ومن المؤكد أن هذه الحادثة قد حدثت في بداية تمصير البصرة قبل أن تستقر عمليات البناء بالطين واللبن فيها، والراجح أنه لم يكن سجن بالمعنى الحقيقي للكلمة.

وفي سنة 14هـ/635م حبس سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أبا محجن الثقفي بأمر الخليفة عمر بسبب إسرافه في شرب الخمر مرارا وأثقله بالحديد[2]، والراجح أنه قد حبسه في دار الامارة[3].

كما أمر الخليفة عمر بحبس النجاشي الشاعر[4] بعد أن هجا قوم الشاعر تميم بن أبي بن مقبل[5] وهم بنو عجلان[6]، والرواية لا توضح لنا مكان حبسه تحديدا.

وفي بلاد الشام كان رجل نصراني يسوق دابة امرأة مسلمة فنخس[7]بها فصرعت المرأة عن دابتها فرفع أمره إلى عمر بن الخطاب فأمر به فحبس ثم صلب[8].

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فلا يبدو أن هناك تغير كبير في وضع السجون عما كان عليه الحال في الفترة السابقة، مع أن هناك إشارات في الأخبار إلى السجن بالمدينة دون تحديد لطبيعة هذا السجن، فقد حبس عثمان "ضابئ بن الحارث البرجمي"[9] بعد أن هجا قوما من الأنصار تعزيرا له فلم يزل في سجنه حتى مات فيه[10].

---

(1) – **نفسه**، ص648.

(2) – ابن عبد البر: **الاستيعاب**، ج4، ص1746.

(3) – **نفسه**، ج4، ص1746، 1747.

(4) – أبو الحارث أو أبو المحاسن، شاعر مخضرم، اختلف في كنيته كما اختلف في اسمه، فقيل: سمعان بن عمرو وقيل: قيس بن عمرو، أصله من نجران، كان كثير الهجاء فهابه الناس، كما اشتهر بالرثاء، كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفين، توفي نحو 40هـ/660م. عزيزة فوال بابتي: **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**، ص491.

(5) – تميم بن أُبيّ بن مقبل: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام، اشتهر بالتهاجي بينه وبين الشاعر النجاشي، توفي حوالي سنة 37هـ/657م. **نفسه**، ص69، 70.

(6) – بنو عجلان: بطن من قبيلة عامر بن صعصعة من العدنانية، أرضهم بنواحي نجد وغيرها. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، ج2، ص758.

(7) – خنس: رجع القهقرى. الزبيدي: **تاج العروس**، ج16، ص38. (مادة: خ ن س).

(8) – وكيع: **أخبار القضاة**، ج3، ص15.

(9) – ضابئ بن الحارث بن أرطأة، من بني غالب بن حنظلة، البرجمي التميمي، سكن المدينة وكان رجلا بذيئا كثير الشر. ابن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، ص71، 72.ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1، ص350.

(10) – ابن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، ص71، 72. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص402.

كما أمر الخليفة عثمان بحبس جماعة من أهل مكة رفضوا توسعة المسجد الحرام على حساب ممتلكاتهم وصاحوا به رغم تعويضهم عما فقدوه من ممتلكات[1]، والراجح أنه قد حبسهم في السجن الذي استحدثه الخليفة عمر بمكة.

وإلى جانب هؤلاء حبس الخليفة عثمان الشاعر "عبد الرحمن بن حنبل الجمحي"[2] بعد أن هجاه بسبب منحه مالا لمروان بن الحكم من خمس غنائم افريقية وكان حبسه بخيبر في "حصن القموص" وتحديدا في أحد أقبية هذا الحصن، وهذا ما توضحه هذه الأبيات التي قالها وهو في سجنه مكبل بالقيود والأغلال ومستعطفا علي بن أبي طالب التوسط لدى الخليفة عثمان رضي الله عنه لإطلاق سراحه حيث يقول[3]:

إلى الله أشكو لا إلى الناس ما عدا أبا حسن غِلاًّ شديدا أُكابـــــده

بخيبر في قعـــــر الغُموص كأنمـــا جوانب قبر أعمق اللحدَ لاحده

وقد كلم علي بن أبي طالب الخليفة عثمان فيه فأطلقه[4].

4- في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يعتبر الخليفة علي بن أبي طالب أول من بنى سجنا في الاسلام، وكان ذلك في الكوفة وسماه نافعا[5]، وبما أنه لم يكن حصينا إذ كان مصنوعا من القصب فإن اللصوص والمجرمين كانوا يخرقونه ويفرون منه[6]، وبسبب ذلك اضطر علي إلى هدمه وبناء سجن جديد يُعرف باسم "المخَيّس"، وينسب إليه أنه قال بعد الفراغ من بنائه[7]:

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج4، ص251.

(2) – عبد الرحمن بن حنبل الجمحي، شاعر مخضرم، صحابي، اشتهر بالهجاء، أصله من اليمن ومولده بمكة، شهد فتح دمشق سنة 13هـ/634م، كما شهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقعتي الجمل وصفين، قتل في صفين سنة 37هـ/657م. عزيزة فوال بابتي: **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**، ص263.

(3) – ابن حجر: **الإصابة**، ج4، ص252.

(4) – **نفس المصدر والصفحة**.

(5) – الصدر الشهيد: **شرح أدب القاضي للخصاف**، ج2، ص345.

(6) – ابن سيده: **المخصص**، ج12، ص93. ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص74. (مادة: خيس).

(7) – الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص324. ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص74. (مادة: خيس).

أما تراني كَيِّسا مُكَيِّسا
بَنَيت بعد نافع مُخَيِّسا
بابا كبيرا وأمينا كَيِّسا

ويتضح من هذه الأبيات أن البناء الجديد للسجن كان محصنا بالأبواب والحرس الأمناء منعا لأي محاولة للهرب من قبل المساجين، ويبدو أن الجرائم قد كثرت في عهده رضي الله عنه واستفحلت ما دفعه لبناء هذا السجن الجديد وقد كانت غايته من بنائه هي تعزير هؤلاء المجرمين والمفسدين وإذلالهم حتى يذوقوا وبال جرائمهم وإراحة الناس من شرهم، وهذا ما يوضحه تعريف صاحب كتاب "العين" للمخيس حيث يقول: "والانسان يُخَيّس في المخيس حتى يبلغ منه شدة الغم والأذى، ويُذل ويُهان، يقال قد خاس فيه، وبه سمي سجن علي بن أبي طالب عليه السلام مُخَيِّسا"[1].

وقد كان الخليفة علي هو أول من أجرى على أهل السجون ما يحتاجونه من أكل وكسوة طيلة مدة سجنهم شتاء وصيفا[2]، أما مصدر تمويل ما ينفق على المسجونين فقد أوضح ذلك أبو يوسف بقوله: "كان علي بن أبي طالب إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين وقال: يحبس عنهم شره وينفق عليه من بيت مالهم"[3].

وهكذا فقد تطورت عملية الحبس منذ ظهور الاسلام حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب؛ حيث لم تعد الغاية من السجن تعويق الشخص ومنعه من الحركة لمدة محددة حتى استيفاء ما عليه أو تغير حاله بإسلامه وإنما أصبحت غايته تعزير الشخص وتأديبه عما اقترفه من جرائم، كما أن أمكنة السجن تغيرت حيث لم يعد المسجد أو البيوت أو الآبار أو المساحات المسيجة بالقصب هي مكان السجن بل تم اتخاذ بناءات مخصصة للمساجين تتميز بالحصانة وشدة الحراسة منعا لأي محاولة للهرب كما كان في الماضي، كما تم تحديد مصادر تمويلها وسبل الانفاق عليها بما يضمن مصالح وحقوق نزلائها.

---

[1] – الفراهيدي: **العين**، ج1، ص456، 457. (مادة: خيس).
[2] – أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص149.
[3] – **نفسه**، ص150.

ثانيا: السجناء وأصنافهم في العصر الأموي

1_ أفراد الأسرة الأموية

كان من نتائج الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الأموية –خصوصا في أواخر الدولة– حدوث تداعيات خطيرة على أفرادها من بينها الزج بالعديد منهم في السجن، وقد شكل نظام ولاية العهد القائم على توارث السلطة من الأب إلى الابن أو من الأخِ إلى أخيه والرغبة في الوصول للسلطة والاستفراد بالحكم وتحييد كل من يُشكل خطرا على الخليفة القائم خاصة من الأمراء الطامحين سببا محوريا في سجن أمراء البيت الأموي، وقد برزت هذه الظاهرة تحديدا في فترات الصراع على السلطة بين الأمويين، ففي عهد عبد الملك(65-86هـ/684-705م) حاول عمرو بن سعيد بن العاص الانقلاب على الخليفة ودعا إلى نفسه وأغلق أبواب دمشق مطالبا بأحقيته في الخلافة خلفا لمروان بن الحكم لكن حركته هذه باءت بالفشل وانتهت بمقتله على يد عبد الملك نفسه[1]، ولم يتوقف عبد الملك عند هذا الحد بل أمر بحبس جميع أبناء سعيد بن العاص إخوة عمرو[2]، كما أمر بحبس سعيد بن يحي بن سعيد بن العاص أيضا[3].

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك أمر بحبس عمر بن عبد العزيز، وتختلف الروايات في سبب حبسه، بين اعتراضه على سياسة الوليد العنيفة اتجاه الخوارج واستباحته دمائهم دون نظر في أمرهم أو مناقشة لهم[4]، وبين رفضه البيعة لعبد العزيز بن الوليد الذي حاول والده مبايعته وليا للعهد مكان أخيه سليمان بن عبد الملك[5].

وعادت ظاهرة حبس أمراء البيت الأموي خاصة بعد الانقسام الذي حصل داخل هذا البيت بِتَولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة خلفا لهشام بن عبد الملك سنة 125هـ/742م، فقد افتتح هذا الخليفة عهده بالتضييق على بني هشام بن عبد الملك[6]، وكان هشام خلال خلافته

---

(1)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص60. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص109.

(2)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص146.

(3)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص68.

(4) – البيهقي: **المحاسن والمساوئ**، ص515، 516.

(5) – الذهبي: **تاريخ الاسلام**، ج7، ص156.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص231.

يسيء إلى الوليد ويعمل على عزله، كما كان يُضَيِّق على أصحابه ومواليه[1]، فأخذ الوليد "سليمان ابن هشام"[2] فحبسه في عمَّان[3]، وكان هشام يطمع في تولية ابنه سليمان العهد في مكان الوليد بن يزيد بعد ظهور فسق الوليد ومجونه[4]،كما حبس الوليد "يزيد بن هشام بن عبد الملك" سنة 126هـ/743م[5].

ولما تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة 126هـ/743م بعد ثورة أطاحت بالوليد ابن يزيد قام بسجن "الحكم" و"عثمان" ابني الوليد بن يزيد ووليي عهده في دمشق[6]، كما حبس "زياد بن عبد الله الأسوار"[7] وكان قد وجهه الوليد بن يزيد لقتال يزيد بن الوليد فلم يصنع شيئا ومضى صوب حمص ثم خرج منها على يزيد بن الوليد للطلب بدم الوليد فأخذ وحبس[8]، كما أمر يزيد بن الوليد بحبس "يزيد بن عثمان السفياني"[9]، ويبدو أنه كان من أنصار الوليد بن يزيد داخل البيت الأموي ومعارضا ليزيد بن الوليد إذ حبسه هذا الأخير مع الحكم وعثمان ابني الوليد ابن يزيد[10].

وفي عهد مروان بن محمد(127-132هـ/744-749م) آخر الخلفاء الأمويين زادت حدة الصراع والانقسام بين أفراد البيت الأموي وزادت معه أعداد الأمراء الأمويين المسجونين، فقد سجن

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص209.

(2) – سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، انضم إلى يزيد بن الوليد بعد مقتل الوليد بن يزيد، كان له طموح في الخلافة وثار على مروان بن محمد فهزمه، ثم انضم إلى الضحاك بن قيس الخارجي ضد مروان بن محمد. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج22، ص395.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص231.

(4) – **نفسه**، ج7، ص209، 210.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص232.

(6) – الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص55. المنبجي: **المنتخب**، ص512. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج15، ص81.

(7) – زياد بن عبد الله الأسوار بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كان من وجوه بني حرب، ثار على مروان بن محمد وتلقب بـ "السفياني"، قتله بنو العباس بعد قيام الدولة العباسية. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص153.

(8) – الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص58. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص153.

(9) – هو يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب، والد زوجة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، قتله جماعة من أنصار يزيد بن الوليد وهو في سجنه. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج65، ص317.

(10) – **نفس المصدر والصفحة**.

مروان بن محمد "العباس بن الوليد بن عبد الملك"[1] في حرَّان[2] وكان معارضا لتوليه الخلافة[3]، كما سجن مروان كلا من "سعيد بن هشام بن عبد الملك"[4] وابنيه "عثمان" و"مروان"[5].

أما "عبد الله بن عمر بن عبد العزيز"[6] فقد كان يتولى العراق ليزيد بن الوليد فلما دخل يزيد بن عمر بن هبيرة[7] العراق سنة 127هـ/744م قبض عليه وبعث به إلى مروان بالشام فحبسه بحران هو الآخر[8]، كما سجن أيضا "زياد بن عبد الله الأسوار" المعروف بـ "أبي محمد السفياني"[9].

ولم يتوقف مروان بن محمد عند هذا الحد بل سجن أفرادا آخرين من البيت الأموي منهم "بشر بن الوليد بن عبد الملك"[10] وكان عاملا على قنسرين لأخيه يزيد بن الوليد[11]، وسجن أيضا "مسرور بن الوليد بن عبد الملك"[12] وكان مع أخيه بشر في قنسرين[1]، كما أمر مروان بسجن

---

(1) – العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أكبر ولد أبيه، كان يسكن حمص، استعمله أبوه عليها وولاه المغازي عدة مرات. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج26، ص438.

(2) – حران: مدية ببلاد الجزيرة، وهي قصبة ديار مضر. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص235.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، 436. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج26، ص448.

(4) – سعيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولي بعض المغازي في خلافة أبيه، وكان مع أخيه سليمان حين خلع مروان بن محمد وتحصن في حمص، فأخذه مروان وسجنه بحران وقتل بها. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص317.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص164. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص436. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج7، ص208.

(6) – عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، ولي العراق ليزيد بن الوليد سنة126هـ/743م ثم عزله مروان بن محمد وسجنه. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج31، ص216-223.

(7) – يزيد بن عمر بن هبيرة، أصله من الشام، ولي قنسرين للخليفة الوليد بن يزيد، وكان مع مروان بن محمد لما غلب على دمشق، وولاه العراق خلفا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، قتل من قبل أبي جعفر المنصور سنة 132هـ/749م. **نفسه**، ج65، ص 324-336.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص164. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص436. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج7، ص208.

(9) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص153.

(10) – بشر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولاه أبوه الموسم والغزو، وكان يُقال له عالم بني مروان. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج10، ص268.

(11) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص300.

(12) – مسرور بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، يذكر ابن عساكر أن يزيد بن الوليد وجهه لقتال أهل حمص لما ثاروا مطالبين بدم الوليد بن يزيد، ثم استعمله على قنسرين. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج57، ص395.

"شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك"[2] في سجن حران[3]، وسُجن في عهد مروان أيضا "عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك"[4] وكان وجيها عند يزيد بن الوليد وهو من قاد جيش الثورة على الوليد بن يزيد[5]، وكان سجن مروان لكل هؤلاء الأمراء راجع لمعارضتهم له ورفضهم لخلافته التي تولاها بالقوة خاصة وأنه ابن أَمة.

ختاما، فإن ما نلاحظه من خلال ما تقدم أن ظاهرة حبس أمراء البيت الأموي ازدادت حدة في أواخر عهد الدولة الأموية حين انفجر الصراع على السلطة بين أفراد هذا البيت، وضعفت شرعية الخلفاء القائمين والذين تولوا الخلافة عبر ثورات أطاحت بسابقيهم ما أدى بهم إلى سجن كل المعارضين لهم من أبناء عمومتهم خاصة الذين عُرفوا بطموحهم السياسي ورغبتهم في تولي الخلافة، كما لا يمكن إغفال اعتبارات العصبية القبلية بين الأمراء المنقسمين في أهوائهم بين اليمنية والقيسية وتأثير ذلك في عمليات السجن.

2_ المعارضون والثوار:

كان المعارضون والثوار أكبر فئة تعرضت للسجن في العهد الأموي لما كانوا يشكلونه من خطر على الدولة الأموية بسبب حركاتهم الثورية وأفكارهم المخالفة لتوجهات السلطة الأموية، وبدأت عمليات السجن لاعتبارات سياسية منذ بدايات العهد الأموي فقد أمر معاوية بن أبي سفيان بحبس عبد الله بن هاشم المرقال[6] بسبب معارضته له وقتاله مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه[7]، كما

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص300.

(2) – يشير ابن عساكر إلى عدم الاتفاق في اسم هذه الشخصية: فهو شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك. **ويقال**: شراحيل ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وقد كان في سجن حرَّان مع إبراهيم الامام العباسي، قتله أهل نجران بعد فراره من السجن. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج22، ص451.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص437. يذكر البلاذري في روايته اسم "شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك". **أنساب الأشراف**، ج4، ص165.

(4) – عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان، ولاه يزيد بن الوليد العهد بعد أخيه إبراهيم، قتلته عامة دمشق بعد فراره من سجن مروان سنة127هـ/744م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج36، ص269-271.

(5) – **نفسه**، ج36، ص269.

(6) – عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري القرشي. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج33، ص342-347.

(7) – **نفسه**، ج33، ص346.

أخذ المغيرة بن شعبة والي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان جماعة من الخوارج كانت تجتمع في دار "حيان بن ظبيان السُلمي"[1] فأمر بهم فسجنوا وذلك سنة 43هـ/663م[2].

وفي عهد ولاية زياد بن أبيه على العراق(50-53هـ/670-672م) اتبع سياسة صارمة جدا اتجاه معارضي الدولة الأموية ويبرز هذا الاتجاه خاصة في تعامله مع حجر بن عدي وأصحابه، فبعد القبض على حجر تتبع أصحابه واحدا تلو الآخر فحبسهم، ومنهم "رِبْعَي بن حِراش العبسي"[3] و"كريم بن عفيف الخثعمي"[4] الذين حبسهما في سجن الكوفة[5]. كما أمر زياد بن أبيه بقبيصة بن ربيعة بن حرملة العبسي وصيفي بن فسيل وهما من أصحاب حجر بن عدي فسجنا[6].

وتواصلت عمليات السجن لأصحاب الأفكار المعارضة وخاصة الخوارج منهم في عهد عبيد الله بن زياد والي العراق للخليفة معاوية ثم لابنه يزيد حيث ألح عبيد الله في طلب الشراة "فملأ منهم السجن وأخذ الناس بسببهم"[7]، وكانت تهمة الانتماء للخوارج كافية للزج بأي شخص في سجون عبيد الله بن زياد الذي تتبع هذه الفرقة ونكل بأصحابها والمتعاطفين معهم أيما تنكيل لخطورة أفكارهم ونشاطهم الثوري المتواصل، كما كان التشيع وموالاة آل البيت من أهم أسباب السجن طيلة العصر الأموي، فقد سجن عبيد الله بن زياد "المختار بن عبيد الثقفي" بسبب تشيعه ونشاطه في الدعوة لآل البيت[8].

---

(1) – كان ممن خرج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النهروان، ثم انسحب إلى الري وبعد مقتل الخليفة علي ترك الري وقدم إلى الكوفة. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص283.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص181، 182.

(3) – ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو العبسي الكوفي، أدرك خلافة عمر بن الخطاب، وقد عمر طويلا حتى زمن عمر بن عبد العزيز. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص359-362.

(4) – كريم بن عفيف بن عبد الله بن كعب الخثعمي الكوفي، بعث به زياد بن أبيه إلى معاوية مع المسيرين من الكوفة من أصحاب حجر بن عدي، فَكُلِّمَ فيه معاوية فأطلق سراحه، ومات سنة61هـ/680م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج50، ص125.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص260.

(6) –الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص265، 266.

(7) – **نفسه**، ج5، ص190.

(8) – البلاذري: **انساب الأشراف**، ج5، ص413.

ولما هرب عبد الله بن الزبير من المدينة صوب مكة رافضا البيعة ليزيد بن معاوية أخذ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة للخليفة يزيد من كان هواه مع ابن الزبير ومنهم "عبد الله بن مطيع العدوي" و"مصعب بن عبد الرحمن بن عوف" فحبسهما[1].

وفي عهد عبد الملك بن مروان حبس عمير بن الحباب السُلَّمي[2]، وسبب حبسه أنه انظم إلى زفر بن الحارث الكلابي في تمرده على عبد الملك بعد أن كان مواليا للأمويين[3]. وفي المدينة قام واليها "هشام بن إسماعيل المخزومي" الذي كان يتولاها للخليفة عبد الملك بن مروان بحبس سعيد بن المسيب سنة 85هـ/704م بسبب رفضه مبايعة الوليد بن عبد الملك وأبوه عبد الملك حي[4].

أما في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي(75-95هـ/694-713م) والي العراق المعروف بشدته وقسوته في معاملة خصومه السياسيين فقد استفحلت عمليات سجن المعارضين والثوار، فبعد ثورة عبد الله بن الجارود[5] حبس الحجاج كلا من "كراز بن كراز العبدي" وهو صاحب لواء ابن الجارود، و"راشد بن عوف العبدي" و"مسلم مولى مالك بن مسمع" و"عبد الله بن كعب النميري" و"غضبان بن القبعثرى الشيباني"[6] في رستقباد وكان بها معسكر الحجاج في قتاله ضد ابن الجارود ثم نقلهم إلى البصرة وحبسهم بها[7].

كما حبس حبيب بن المهلب بن أبي صفرة "عبد الله بن فضالة" وكان من رجال عبد الله بن

---

(1) – **نفسه**، ج5، ص316. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج8، ص215.

(2) – عمير بن الحُباب بن جعدة السلمي: شاعر فارس، اشتهر بقتاله ضد القبائل اليمنية، كما قاتل بني تغلب في الجزيرة فقتلوه وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج47، ص472-475.

(3) – ابن الأثير : **الكامل في التاريخ**، ج4، ص97.

(4) – اليعقوبي : **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص280. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص416.

(5) – عبد الله بن الجارود العبدي سيد بني عبد القيس في عصره، رفض ولاية الحجاج على العراق وقاتله، قتل سنة 75هـ. الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص74.

(6) – غضبان بن القبعثرى الشيباني البصري، خرج على الحجاج بن يوسف مرتين، الأولى مع عبد الله بن الجارود، والثانية مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وهو ما أدى إلى سجنه من قبل الحجاج. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج48، ص62-67.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص291.

الجارود وبعث به إلى الحجاج بن يوسف[1]، ولما ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج بن يوسف سنة81هـ/700م بعث هذا الأخير "غضبان بن القبعثرى" إلى بلاد كرمان[2] ليأتيه بخبر ثورة ابن الاشعث ويستطلع أخباره فانضم إلى ثورته لكنه لم يلبث أن أُسر فحبسه الحجاج مرة أخرى[3].

كما سجن الحجاج جماعة من الخوارج منهم "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي" و"ضمام بن السائب"[4]، ولا توضح الرواية سبب حبسهما، والراجح أنه يعود إلى معتقدهما، خاصة في ظل توتر العلاقة بين الحجاج والاباضية بعد وفاة عبد الملك بن مروان الذي اتبع سياسة مهادنة اتجاه هذه الحركة ومحاولة احتوائها، ترجمتها علاقته الودية بعبد الله بن أباض زعيم هذه الحركة[5].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-714م) حبس "أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية"[6] وقد كان السبب في ذلك هو نشاطه السياسي المعارض للأمويين وتنظيمه حركة دعوية لآل البيت، وقد علل الوليد حبسه إياه بقوله: "...إنه يسعى في تفريق الجماعة، وأنه جعل نفسه إماما مفترض الطاعة، وأنه قد اتخذ لنفسه شيعة من أهل العراق قد ائْتَمُّوا به"[7].

وهكذا نستنتج من خلال هذا النص أن مسألة "وحدة الجماعة" قد تم توظيفها من قبل الأمويين في اتجاهين، الأول: هو اعتبارها أساسا من أسس شرعية الحكم وهو ما وضحناه في الفصل الثاني، أما الثاني: فهو اتخاذها ذريعة لسجن الخصوم السياسيين وترهيبهم بل وحتى التنكيل بهم بدعوى تفريق الجماعة الاسلامية وشق وحدتها التي يعمل الخلفاء الأمويون على صيانتها وضمانها، وهي في الواقع من بين الذرائع التي اتخذها الولاة والخلفاء الأمويين في تغييب المعارضين لهم والحد من

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص290. النهرواني: **الجليس الصالح**، ج1، ص363، 364.

(2) – كَرمان: ولاية مشهورة، تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص454.

(3) – المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص155، 156.

(4) – الشماخي، **كتاب السير**، ج1، ص81.

(5) – لطيفة البكاي: **حركة الخوارج**، ص237، 238.

(6) – عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، يُكنى "أبا هاشم"، صاحب الدعوة الشيعية، أوصى بها لما حضرته الوفاة إلى محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس، توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص321، 322.

(7) – مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية**، ص176. أما البلاذري فيذكر أن سبب حبس الوليد بن عبد الملك لأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية هو وشاية رجل به إلى الوليد قائلا له: "إن له بالعراق شيعة وإنه يتسمَّى أمير المؤمنين". البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص465.

تأثير أفكارهم الثورية.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك(101-105هـ/719-723م) قام "عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب"[1] عامل الكوفة بالقبض على "خالد بن يزيد بن المهلب" و"حمَّال بن زحر الجعفي" وكان من أصحاب يزيد بن المهلب الذي ثار على الخليفة يزيد بن عبد الملك فحبسهما هذا الأخير[2].

أما عهد هشام بن عبد الملك(105-125هـ/723-742م) فقد حبس "غيلان الدمشقي"[3] الذي اشتهر بنشاطه المعارض للأمويين وإبرازه مساوئهم للناس، وقد حبسه الخليفة هشام هو وصاحبه "صالح بن سويد"[4] بسبب خطورة أفكارهما، خاصة غيلان[5].

وفي سنة117هـ/735م أخذ أسد بن عبد الله القسري عامل خراسان(106-120هـ /724-737م) جماعة من الدعاة العباسيين منهم: "سليمان بن كثير الخزاعي"[6] و"مالك بن الهيثم"[7] و"موسى بن كعب"[8] و"لاهز بن قرظ"[9] و"خالد بن إبراهيم"[10] و"طلحة بن رزيق"[11]

---

(1) – عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي، تولى الكوفة لعمر بن عبد العزيز قبل أن يتولاها ليزيد بن عبد الملك. المزي: **تهذيب الكمال**، ج16، ص449-451.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص585.

(3) – غيلان بن مسلم الدمشقي، وقيل: غيلان بن مروان، اشتهر بقوله في القدر، وهو من زعماء القدرية في العصر الأموي، قتله الخليفة هشام بن عبد الملك. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص25.

(4) – هو صالح بن سويد، يُقال: صالح بن سويد بن عبد الرحمن أبو عبد السلام القدري، كان من حرس عمر بن عبد العزيز، ثم مال إلى القول في القدر مع غيلان الدمشقي فقتله الخليفة هشام بن عبد الملك. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج23، ص334-337.

(5) – ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص26، 27.

(6) – سليمان بن كثير بن أمية بن أسعد الخزاعي المرْوَزي، أحد نقباء الدعوة العباسية، كان نشاطه بخراسان، قتله أبو مسلم الخراساني سنة 132هـ/749م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج22، ص356، 357.

(7) – مالك بن الهيثم بن عوف بن عميرة الخزاعي المروزي، من نقباء الدعوة العباسية. مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية**، ص216.

(8) – موسى بن كعب بن عيينة، أحد نقباء الدعوة العباسية، تولى مصر للخليفة أبي جعفر المنصور. الكندي: **الولاة والقضاة**، ص106، 107.

(9) – لاهز بن قُرظ(أو قريظ) التميمي، من نقباء الدعوة العباسية. مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص217.

(10) – أبو داود خالد بن إبراهيم الربعي الذهلي، من نقباء الدعوة العباسية. **نفسه**، ص216.

(11) – طلحة بن رزيق مولى طلحة الطلحات، من نقباء الدعوة العباسية. **نفس المصدر والصفحة**.

فحبسهم[1].

وتواصلت عمليات الحبس في أواخر العهد الأموي فقد حبس يوسف بن عمر الثقفي والي العراق"عاصم بن يونس العجلي" بتهمة الدعوة لآل البيت[2]، كما حبس نصر بن سيار[3] والي خراسان(120-131هـ/737-748م) "جديع بن علي الكرماني"[4] متهما إياه بمحاولة الخروج عليه والثورة ضده[5]، كما حبس "الوليد بن عروة"[6] عامل مكة لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين "سُدَيْف بن ميمون"[7] لأنه كان "يتكلم في بني أمية ويطلق فيهم لسانه ويهجوهم"[8].

ولما علم مروان بن محمد بأمر "إبراهيم بن محمد العباسي"[9] وأنه صاحب الدعوة الذي يدعى له أمر بالقبض عليه وحُبس بحرَّان[10]، وهكذا فإن الانتماء إلى التنظيم الدعوي لآل البيت أو التعاطف معهم شكل أهم سبب للسجن في هذه الفترة المتأخرة من العهد الأموي التي عرفت بداية الثورة العباسية ضد الحكم الأموي.

---

(1) – الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص38.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص198.

(3) – نصر بن سيار: تولى ولاية إقليم خراسان من عهد الخليفة هشام بن عبد الملك إلى عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، قامت في عهده الثورة العباسية من إقليم خراسان، توفي سنة 131هـ/748م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص463، 464.

(4) – جُدَيْع بن علي بن شبيب الكرماني، لقب بالكرماني لأنه ولد بكرمان، شيخ اليمنية بخراسان، قتله نصر بن سيار والي خراسان سنة 129هـ/746م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص367-371.

(5) – **نفسه**، ج7، ص288، 289.

(6) – الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي، ولي اليمن والمدينة ومكة للخليفة مروان بن محمد. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج63، ص216، 217.

(7) – سُدَيْف بن ميمون الشاعر: هو مولى بني العباس وشاعرهم، كان إلى جانب عبد الله بن علي في تمرده على أبي جعفر المنصور فقتله. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج2، ص761، 762.

(8) – الفاكهي: **أخبار مكة**، ج3، ص147، 148.

(9) – إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، تولى أمر الدعوة العباسية بعد موت أبيه، واكتشف أمره مروان بن محمد فسجنه ثم قتله. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص379، 380.

(10) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص164. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص437.

3_ الولاة والموظفون الاداريون:

شكلت عملية عزل الولاة ظاهرة بارزة خلال العصر الأموي خاصة وأن عملية العزل تبعها في الغالب سجن الوالي وإخضاعه للتحقيق والمساءلة ومصادرة أملاكه، بل وحتى التعذيب الذي قد يفضي إلى القتل، وهي السياسة التي يلخصها هذا القول المنسوب ليزيد بن المهلب حين سأله أحد جلسائه قائلا: "لما لا تتخذ لك دارا؟ فقال: وما أصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام؟ فقال: وأين هي؟ قال: إذا كنت متوليا فدار الامارة، وإن كنت معزولا فالسجن"[1].

وكان عزل الوالي أو العامل يستتبعه –في الغالب– عزل جميع الموظفين التابعين له وسجنهم والتنكيل بهم، وهي سياسة متبعة من أعلى هرم السلطة أي الخليفة نفسه الذي كثيرا ما نجده يفوض للوالي الجديد صلاحية سجن الوالي السابق وأسبابه والتنكيل بهم وهو ما فتح المجال أمام بروز عمليات الانتقام التي يقوم بها الولاة الجدد ضد الولاة السابقين وهو انتقام قائم على خلفية سياسية أو عصبية وحتى شخصية دفع ثمنها الولاة والمقربون منهم.

في عهد معاوية بن أبي سفيان ولى "كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي"[2] "الري[3] ودستبا[4]" وكان كثير هذا عثمانيا يطعن في علي بن أبي طالب ثم غضب عليه معاوية وحبسه في دمشق[5]، ولا ندري ما السبب الذي أدى إلى حبسه، وفي سنة 43هـ/663م حبس عبد الله بن عامر والي البصرة للخليفة معاوية بن أبي سفيان عامله على خراسان "قيس بن الهيثم"[6] بعد أن استبطأ في حمل الخراج إليه واستخفافه به[7].

---

(1) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج6، ص294.

(2) – كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة الحارثي المذحِجيي: تولى الري لمعاوية وتولى فتح قزوين، أرسله زياد إلى معاوية بحجر بن عدي وأصحابه، وقد اتخذ الكوفة سكنا له. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج50، ص28-34.

(3) – الري: مدينة مشهورة ببلاد فارس. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص116.

(4) – دَستبا (دستبى): تقع بين الري وهمدان من بلاد فارس. **نفسه**، ج2، ص454.

(5) – البلاذري: **فتوح البلدان**، 431، 432.

(6) – قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي، كان من عمال بني أمية، ثم انضم إلى مصعب بن الزبير وعفا عنه عبد الملك بن مروان بعد مقتل مصعب، توفي بالبصرة. الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص209.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص209، 210.

وحبس زياد بن أبيه والي العراق "نافع بن خالد الطاحي"[1] عامله على "هراة[2] وباذغيس[3] وقادس[4] وبوشنج[5]" لخيانة ظهرت منه[6]، وفي مصر حبس واليها عبد العزيز بن مروان أحد الموظفين الأقباط ويدعى "تاوفانس" لكن الرواية لا توضح سبب حبسه إياه[7].

وفي عهد ولاية الحجاج بن يوسف على العراق حبس كلا من يزيد بن المهلب وحبيب بن المهلب[8] وعبد الملك بن المهلب[9] لاتهامهم بالخيانة في أعمالهم[10]، وطالبهم بأداء غرامة بلغت ستة ملايين درهم[11]، كما أمر الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي عامله على خراسان بالقبض على المفضل بن المهلب[12] وعماله وكُتَّابه ففعل ذلك[13].

ولما علم الحجاج بن يوسف أن "حمزة بن المغيرة بن شعبة"[14] عامله على همدان[15] مَدَّ أخاه

---

(1) – نافع بن خالد الطاحي، من الأزد. خليفة بن خياط: **طبقات خليفة**، ص201.

(2) – هراة: مدينة بإقليم خراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص396.

(3) – باذَغيس: تقع بنواحي هراة. **نفسه**، ج1، ص318.

(4) – قادس: قرية من قرى مرو. **نفسه**، ج4، ص291.

(5) – بوشنج: بلدة بنواحي هراة. **نفسه**، ج1، ص508.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص224، 225.

(7) – ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج1، ص106.

(8) – حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، أحد القادة العرب في العصر الأموي، كانت له ولاية كرمان وعزله الحجاج عنها سنة 87هـ، ثم صحب أخاه يزيد بن المهلب في أعماله وغزواته، وقتل معه في خروجه بالعراق على يزيد بن عبد الملك. الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص166.

(9) – عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: ثار مع أخيه يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك ثم فر إلى سجستان حيث قتل بها سنة 102هـ. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج37، ص177.

(10) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص281. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص448.

(11) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص288.

(12) – المفضل بن المهلب بن أبي صفرة: تولى جند فلسطين لسليمان بن عبد الملك، ثار مع أخيه يزيد على الخليفة يزيد بن عبد الملك وقتل سنة 102هـ/720م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج60، ص92-98.

(13) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص281.

(14) – حمزة بن المغيرة بن شعبة الثقفي: تولى همدان للحجاج بن يوسف ثم عزله عنها. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص401.

(15) – همذان: مدينة بإقليم الجبال، افتتحها المسلمون سنة 24هـ/644م. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص410.

"مطرف بن المغيرة"[1] بالمال والسلاح أثناء ثورته عليه فبعث إلى "قيس بن سعد العجلي" وكان على شرطة حمزة بن المغيرة يأمره أن يحبس حمزة ففعل، وكان ذلك سنة 77هـ/696م[2].

كما حبس الحجاج "مالك بن أسماء بن خارجة"[3] عامل أصفهان لخيانة ظهرت منه[4]، وحبس أيضا عامله على جزيرة ابن كاوان[5] والبحرين ويدعى "ثولاء بن نعيم بن مسعود" بعد أن غضب عليه[6]، ولا توضح الرواية سبب عزله وغضب الحجاج منه. كما حبس "زياد بن عمرو العُتكي" وكان من عُماله بعد أن آوى جماعة من أصحاب ابن الأشعث[7].

وفي عهد سليمان بن عبد الملك تتبع هذا الأخير ولاة أخيه الوليد فحبسهم لدورهم في محاولة عزله عن ولاية العهد وتولية "عبد العزيز بن الوليد"[8] ومنهم "محمد بن القاسم الثقفي" عامل السند[9] في عهد الحجاج الذي حبسه "حبيب بن المهلب" بعد أن ولاه "صالح بن عبد الرحمن"[10]

---

(1) – مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي: استعمله الحجاج بن يوسف على المدائن ونواحيها، ثم ثار عليه فقتله سنة 77هـ/696م. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص397-403

(2) – **نفسه**، ج7، ص401. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، 294، 295.

(3) – مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، كان آباؤه سادة غطفان، وكان شاعرا ظريفا. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج2، ص782.

(4) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج17، ص166. بينما يذكر ابن عساكر أن الحجاج ولاه على الحيرة وليس أصفهان. يُنظر: ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج56، ص350.

(5) – جزيرة كاوان: ويقال جزيرة بني كاوان، وهي جزيرة لافت، تقع في بحر فارس بين عمان والبحرين. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص139.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص125.

(7) – **نفسه**، ج7، ص334.

(8) – عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك: أبو الأصبغ، هو ابن أخت عمر بن عبد العزيز، تولى العمال لأبيه الوليد ورشحه للخلافة، وتوفي في حدود سنة 110هـ. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج18، ص348.

(9) – السند: تقع بلاد السند بين بلاد الهند وكرمان وسجستان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص267.

(10) – صالح بن عبد الرحمن الكاتب: من أهل البصرة، كان أبوه من سبي سجستان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أول من نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية زمن الحجاج، ولاه سليمان بن عبد الملك خراج العراق ثم ولاه العراق كلها، وعزله عنها عمر بن عبد العزيز، قتله عمر بن هبيرة والي العراق ليزيد بن عبد الملك. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج23، ص 344، 345.

إقليم السند[1]، ثم بعث به إلى العراق فحبسه صالح بواسط[2].

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ولّى "عدي بن أرطأة الفزاري"[3] البصرة فقبض على يزيد ابن المهلب وبعث به إلى عمر بالشام، فطالبه هذا الأخير بالأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ولم يؤدها إلى بيت المال، فأنكر يزيد الأمر فحبسه عمر وظل يطالبه بأداء ما عليه من مال[4].

كما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بعزل أسامة بن زيد التنوخي[5] عن خراج مصر وحبسه، وقد أورد ابن عبد الحكم خبره فقال: "وكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي وكان على خراج مصر وأمر به أن يحبس في كل جند سنة ويُقيد ويُحل عن القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد"[6]، وكان سبب هذا العقاب أنه "كان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل"[7]، وقد حبس أسامة بن زيد في مصر سنة ثم نقل إلى أرض فلسطين حيث حبس سنة أخرى حتى وفاة عمر بن عبد العزيز، إذ أطلقه يزيد بن عبد الملك ورده على خراج مصر مجددا[8].

وفي عهد يزيد بن عبد الملك قام "سعيد بن عبد العزيز"[9] عامل خراسان بالقبض على بعض

---

(1) – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص203. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص296.

(2) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص618، 619. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص83.

(3) – عدي بن أرطأة الفزاري: من أهل دمشق، استعمله عمر بن عبد العزيز على البصرة، وقتله معاوية بن يزيد بن المهلب خلال ثورة يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ/720م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج19، ص520-522.

(4) – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص205. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص556-558. أما البيهقي فيذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز عزل يزيد بن المهلب عن ولاية خراسان وولاها الجراح بن عبد الله الحكمي وأمره بحبس يزيد بن المهلب. البيهقي: **تاريخ بيهق**، ص199.

5– أسامة بن زيد بن عدي التنوخي، كان على ديوان الجند للوليد بن عبد الملك، ثم ولي خراج مصر للوليد وسليمان ويزيد وهشام ابناء عبد الملك. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج8، ص83-86.

(6) – ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص37.

(7) – **نفس المصدر والصفحة.**

(8) – **نفس المصدر والصفحة.**

(9) – هو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، يُعرف بـ "سعيد حُذَينة" لأنه كان رجلا لينا سهلا متنعما، ولاه مسلمة بن عبد الملك والي العراق وخراسان للخليفة يزيد بن عبد الملك إقليم خراسان سنة 102هـ/720م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص606.

من تولوا الأعمال ليزيد بن المهلب منهم "جهم بن زحر الجعفي"[1] و"عبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي"[2] و"المنتجع بن عبد الرحمن الأزدي"[3] و"القعقاع الأزدي" وقام بحبسهم في مرو[4].

وفي عهد ولاية عمر بن هُبَيْرَة على العراق عزل "سعيد بن عمرو الحرشي"[5] عن إمارة خراسان وأمر خليفته عليها وهو "مسلم بن سعيد بن أسلم" بحبسه سنة104هـ/722م[6].

وفي سنة 106هـ/724م عزل الخليفة هشام بن عبد الملك "عمر بن هبيرة" عن ولاية العراق وولى مكانه "خالد بن عبد الله القسري" فأخذ هذا الأخير عمر بن هبيرة وسجنه[7]، كما سجن خالد القسري كلا من "عيسى بن معقل العجلي" وأخيه "إدريس" بعد أن تقاعسا في أداء بقايا خراج عليهما لمؤدي الخراج بأصبهان[8]، وبأمر من الخليفة هشام حبس "عياض بن مسلم"[9] وكان من أصحاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكاتبه[10]، وقد غضب عليه هشام لمكاتبته الوليد بن يزيد بأخباره[11].

---

(1) – جهم بن زحر بن قيس بن مالك الجعفي: قائد أموي اشتهر بحروبه في إقليم السند وبلاد الترك، مات سنة 116هـ/734م. الحسيني: **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج1، ص43.

(2) – عبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي: من عمال يزيد بن المهلب، خرج معه في ثورته ضد يزيد بن عبد الملك، ثم قبض عليه فعذب ثم قتل بخراسان سنة 102هـ720م. الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص24.

(3) – المنتجع بن عبد الرحمن الأزدي: من أشراف قومه، تولى الأعمال ليزيد بن المهلب، وثار معه على الخليفة يزيد بن عبد الملك، فلما قتل يزيد حبس المنتجع بخراسان وقتل سنة 102هـ/720م. **نفسه**، ج7، ص290.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص606.

(5) – سعيد بن عمرو الأسود بن مالك بن كعب الحرشي، شامي، تولى إمارة خراسان لعمر بن هبيرة والي العراق ليزيد بن عبد الملك، ثم تولى حرب الخزر للخليفة هشام بن عبد الملك. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج15، ص155.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص19. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج21، ص245.

(7) – اليافعي اليمني: **مرآة الجنان**، ج1، ص179.

(8) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص164.

(9) – عياض بن مسلم: كان كاتبا للوليد بن يزيد بن عبد الملك، حبسه هشام بن عبد الملم ولم يخرج من حبسه حتى مات هشام. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج47، ص285، 286.

(10) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص212.

(11) – **أنساب الأشراف**، ج8، ص328. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص106.

وكان مصير خالد على غرار مصير عمر بن هبيرة إذ عزله هشام بن عبد الملك عن ولاية العراق سنة 120هـ/737م وخلفه فيها يوسف بن عمر الثقفي فقام هذا الأخير بحبس خالد القسري في واسط ثم نقله إلى الحيرة[1] وحبسه بها[2]، ويرجع سبب عزله وحبسه إلى تنامي نفوذه السياسي والاقتصادي واختلاسه الأموال، وكثرة السعايات عليه من قبل أعدائه للخليفة هشام بن عبد الملك[3].

كما حبس يوسف بن عمر كلا من "عيسى بن معقل العجلي" وأخيه "إدريس" مجددا فيمن حبس من عمال خالد القسري[4]، وحبس أيضا "بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري"[5] عامل خالد القسري على البصرة[6]، كما حبس يوسف بن عمر أيضا توبة العنبري[7] وكان عاملا له[8]، وفي عهد يزيد بن الوليد بن عبد الملك عزل يوسف بن عمر عن ولاية العراق وحبسه[9]، ذلك أنه كان من رجالات الوليد بن يزيد.

4_ أفراد العائلة:

لقد انعكس مصير السجناء السياسيين في هذا العصر على ذويهم بشكل سلبي في كثير من الأحيان، فتقلبت بهم السياسة تقلبها بآبائهم وأزواجهم، فكثيرا ما أدى الأهل عقوبة ظالمة تهمتهم الوحيدة فيها صلة القرابة التي تربطهم بالمعنيين بغضب السلطة سواء كانوا ثوار أو معارضين أو ولاة أو موظفين، وهذا ما يتنافى مع إحدى خصائص العقوبة وهي الشخصية، أي أن العقوبة لا توقع إلا

---

(1) – الحيرة: مدينة تقع على ثلاثة أميال من الكوفة، كان بها مسكن الملوك المناذرة اللخميين. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص328.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص102. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص254.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص142، 143. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1494-1498.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص198.

(5) – بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري: تولى إمرة البصرة لخالد بن عبد الله القسري، حبسه يوسف بن عمر مع من حبس من عمال خالد القسري، ثم عذبه ومات في سجنه. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص6، 7.

(6) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص324.

(7) – توبة بن أبي أسد العنبري البصري، أصله من سجستان ، ولد باليمامة وانتقل إلى البصرة، ولاه يوسف بن عمر سابور ثم الأهواز، توفي بعد سنة130هـ/747م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج1، ص261.

(8) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص328. ابن أبي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، ص69.

(9) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص194. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص274.

على الشخص الجاني دون غيره عقابا له على فعله المخالف، فلا يؤخذ بذنب سواه[1]، وقد انتهج الأمويون هذه السياسة منذ أيامهم الأولى محاولة منهم الانتقام من خصومهم أو التأثير عليهم والضغط عليهم لدفعهم إلى التراجع عن معارضتهم للسلطة القائمة، أو لدفعهم لتسليم أنفسهم في الحالات التي تعجز فيها عن القبض عليهم.

وأول من قام بهذا الفعل هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي حبس "آمنة بنت الشريد"[2] زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي الذي كان متشيعا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحد الذين شاركوا في حصار الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتله[3]، ونتيجة لهذا الفعل اعتبر اليعقوبي معاوية "أول من حبس النساء بجرائر الرجال"[4]، حيث حبست بجريرة لم تقترفها.

وفي ولايته على البصرة زمن معاوية قام "بسر بن أبي أرطأة"[5] بحبس أبناء زياد بن أبيه الذي كان عاملا لإقليم فارس في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما قتل هذا الأخير وصالح الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان سنة41هـ/661م تحصن زياد في قلعة بفارس ورفض مبايعة معاوية ما دفع "بُسر" إلى حبس أبنائه والتهديد بقتلهم إذا لم يترك زياد حصنه[6].

ولما قتل "هُدبة بن خشرم"[7] "زيادة بن زيد بن مالك"[8] وهرب إلى اليمن استَعْدت عشيرة

---

(1) – حميد الحداد : **السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**، 107.

(2) – أمنة بنت الشريد(تذكرها بعض الروايات باسم آمنة بنت سويد): زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي، عرفت بفصاحتها وتشيعها لعلي بن أبي طالب، سجنها معاوية بن أبي سفيان. طيفور: **بلاغات النساء**، ص64.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. طيفور: **بلاغات النساء**، ص64، 65.

(4) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232.

(5) – بُسر بن أبي أرطأة: ويُقال: بسر بن أرطأة، قرشي، اختُلف في صُحبته، كان مع معاوية في صفين، وتولى له اليمن، مات بالشام في أخر أيام معاوية. المزي: **تهذيب الكمال**، ج4، ص59، 60.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص199، 200. الثقفي: **كتاب الغارات**، ج2، ص648. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص167-169.

(7) – هُدْبَة بن خَشْرم بن كرز: شاعر فصيح بن بادية الحجاز، شاعر أموي، قتل بسبب دم أصابه. الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص179-190.

(8) – زيادة بن زيد بن مالك العذري: شاعر أموي، قتله هدبة بن الخشرم بعد أن هجا كل واحد منهما الآخر. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج2، ص691، 692.

"زيادة" الخليفة معاوية على "هدبة" فأمر واليه على المدينة سعيد بن العاص أن ينظر في دعواهم عليه وأن يأخذ به أولياءه، فأخذ عمه وأهله فحبسهم[1]، ثم أطلقهم بعد أن سلم هدبة نفسه لوالي المدينة[2].

ولما ولي زياد الكوفة هرب منه أحد رجالات الشيعة يدعى "سعيد بن سرح" إلى المدينة واستجار بالحسن بن علي فأخذ زياد أخاه وولده وامرأته فحبسهم وهدم داره وصادر ماله[3]، ولم يُطلقهم إلا بأمر من معاوية بعد أن راسله الحسن في أمرهم[4]، كما طلب زياد الشاعر "الفرزدق" بعد أن استعداه عليه "بنو نهشل"[5] لهجائه رجالا منهم فلما لم يقدر عليه أخذ عَمَّين له فحبسهما[6].

وفي رواية للبلاذري يذكر فيها أن الحجاج أخذ "عيال من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي...فحبسهم"[7]، وهذه الرواية التي انفرد بها البلاذري لا يمكن قبولها ذلك أنه لا يمكن للحجاج أن يحبس عيال كل من خرج مع ابن الأشعث، والراجح أن يكون الحجاج قد حبس عيالات بعض قادة ثورة ابن الأشعث على أمل التأثير في معنوياتهم مما يُضعف موقف ابن الأشعث ويؤدي إلى إفشال ثورته.

ولما علم عدي بن أرطأة الفزاري عامل عمر بن عبد العزيز على البصرة بفرار يزيد بن المهلب من السجن وعمر في مرض موته سجن عدة إخوة ليزيد ورفض تخليتهم لما أرسل إليه يزيد يطلب تخلية سبيلهم[8]، وممن حبس عدي من آل المهلب المفضل وحبيب ومروان وعبد الملك بنو المهلب[9].

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص54. الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص184.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص54. الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص184.

(3) – النهرواني: **الجليس الصالح**، ج3، ص160. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص198.

(4) – النهرواني: **الجليس الصالح**، ج3، ص161. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص199.

(5) – بنو نهشل: بطن من دارم، من تميم، من العدنانية. القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص433.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص242.

(7) – **فتوح البلدان**، ص495.

(8) – المسعودي: **التنبيه والاشراف**، ص321. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص51.

(9) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص299. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص578.

وبعد ثورة يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ/720م وانهزامه، ثم فرار آل المهلب إلى بلاد السند، أرسل الخليفة يزيد "هلال بن أحوز المازني"[1] في أثرهم فقتل الرجال وبعث بالنساء إلى يزيد بن عبد الملك بالشام فحبسهن بدمشق[2].

ولما عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق وولى مكانه يوسف ابن عمر الثقفي لم يكتف هذا الأخير بحبس خالد فحسب بل حبس معه أخوه إسماعيل بن عبد الله[3] وابنه يزيد بن خالد[4] وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله في الحيرة[5]. وبعد إطلاق سراحهم اتجه خالد وأفراد من عائلته ومواليه صوب الشام فاستقروا بها، ثم اتهموا بمحاولة الوثوب على بيت المال وسرقة الناس فأمر بهم هشام بن عبد الملك مجددا إلى السجن، فحبس جميع أبناء خالد وأبناء إخوته الذين كانوا معه بما فيهم النساء والأطفال[6].

5_ الشعراء:

إلى جانب الأصناف الأخرى كان للشعراء أيضا نصيبهم من السجن في العصر الأموي، وقد ارتبطت أسباب سجنهم في الغالب بمعارضتهم للولاة وهجائهم لهم مما عرضهم لانتقامهم، ومن بين هؤلاء الشعراء "يزيد بن مُفَرّغ"[7] الذي كان ملازما "لعباد بن زياد"[8] في خراسان، فانشغل عنه عباد

---

(1) – هلال بن أحوز بن أربد المازني التميمي، وجهه يزيد بن عبد الملك على رأس اثنا عشر ألف رجل في أثر آل المهلب لما هربوا إلى قندابيل بعد هزيمة يزيد بن المهلب أمام مسلمة بن عبد الملك في موقعة العقر سنة 102هـ/720م البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص333، 334.

(2) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص311.

(3) – اسماعيل بن عبد الله القسري: أخ خالد بن عبد الله القسري، تولى إمارة الموصل لأخيه خالد. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج8، ص427، 428.

(4) – يزيد بن خالد بن عبد الله القسري: سجن مع أبيه لما عزل عن العراق، ولما مات الوليد بن يزيد فر من السجن والتحق بيزيد بن الوليد، قتله مروان بن محمد بعد أن ثار عليه. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج65، ص168.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص102. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص254.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص103، 104. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص255، 256.

(7) – يزيد بن ربيعة بن مُفَرّغ الحميري: من فحول الشعراء الأمويين، هجا آل زياد فسجن وعذب. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص522، 523.

(8) – عباد بن زياد بن أبيه: تولى إمرة سجستان خلال ولاية أخيه على العراق، توفي في حدود 90هـ/708م. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج16، ص349.

بحربه وخراجه فهجاه يزيد بن مفرغ هجاء شديدا فاحتال له عباد حتى قبض عليه وحبسه[1]، ثم أطلق سراحه فهرب ابن مفرغ صوب الشام وظل يهجو بني زياد، فشكاه عبيد الله بن زياد إلى معاوية بن أبي سفيان فأمر معاوية بطلبه فظل ينتقل في قرى الشام حتى أعياه الطلب.

وأمام هذا الوضع اضطر ابن مفرغ للجوء إلى البصرة حيث "نزل على الأحنف بن قيس فالتجأ إليه واستجار به فقال له الأحنف: إني لا أجير على ابن سمية...ثم أتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجار به فأبى أن يجيره، فأتى عمر بن عبيد الله بن معمر[2] فوعده، وأتى طلحة الطلحات[3] فوعده، وأتى المنذر بن الجارود العبدي[4] فأجاره"[5]، ما يفهم من هذا النص أن محاولة ابن مفرغ الاستنجاد بالزعامات القبلية باءت بالفشل إذ أبى هؤلاء إجارته من عبيد الله بن زياد باستثناء المنذر بن الجارود الذي كانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد فظن أن بإمكانه إجارته، وهذا يوضح لنا مدى التأثير والضغط الذي مارسته السلطة الأموية على هؤلاء الأشراف وإخضاعهم لسلطانها إلى الحد الذي يعجزون فيه عن حماية من يستجير بهم ويطلب حمايتهم[6].

غير أن إجارة المنذر بن الجارود لم تشفع ليزيد بن مفرغ من غضب عبيد الله بن زياد الذي أرسل الشرط إلى دار ابن الجارود وقبضوا على يزيد بن مفرغ فأمر به عبيد الله إلى السجن بعد أن عذبه عذابا شديدا وشهر به[7]، ثم بعث به مجددا إلى أخيه عباد في خراسان فسجنه[8].

---

(1) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج18، ص188، 189.

(2) – عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي: أحد وجوه قريش وكرمائها، ولي البصرة لعبد الله بن الزبير، ومات بدمشق في خلافة عبد الملك بن مروان. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج45، ص286.

(3) – هو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي، أحد الأجواد الأسخياء المشهورين، كان أموي الهوى، وكان بنوا أمية يكرمونه، تولى إمارة سجستان وبها توفي. الكتبي: **فوات الوفيات**، ج2، ص134، 135.

(4) – المنذر بن الجارود العبدي: من وجوه أهل البصرة، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تولى له اصطخر، ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند، ومات به سنة 62هـ/681م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج60، ص280-285.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج18، ص192.

(6) – طبعا ليس في كل الحالات عجزت الزعامات القبلية عن حماية من يستجير بها بل كثيرا ما تدخلت لحماية أبنائها من سطوة الولاة والخلفاء وحتى ابن مفرغ سينقذه أشراف اليمنية بالشام من سجن عباد بن زياد كما سنرى في مطلب الخروج من السجن.

(7) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج18، ص192، 193.

(8) – **نفسه**، ج18، ص197، 198. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1، ص364.

وفي البلقاء حبس أميرها أبان بن مروان بن الحكم الشاعر إمام بن أَقْوم، ولا توضح الرواية سبب حبسه إياه[1]، ولما هجا الفرزدق "خالد القسري" والي العراق وذم "نهر المبارك" الذي حفره خالد بواسط أمر خالد القسري "مالك بن المنذر بن الجارود"[2] صاحب شرطة البصرة بطلب الفرزدق، فقبض عليه وسجنه[3]، كما حبس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة الشاعر "العرجي"[4] وكان يهجوه ويذكر امرأته وأمه في أشعاره[5]، وفي عهد مروان بن محمد حبس الشاعر "زميل بن سويد الكلبي"[6]، لكن الرواية لا تذكر سبب حبسه.

6_ أصناف أخرى:

إلى جانب الأصناف السابقة تذكر الأخبار التاريخية حالات سجن أخرى أمر بها الخلفاء أو الولاة عقابا للأفراد بأسباب مختلفة، فلما عزل يزيد بن معاوية "عمرو بن سعيد الأشدق" عن المدينة وعين مكانه "الوليد بن عتبة بن أبي سفيان" قام هذا الأخير بأخذ غلمان عمرو وموالي له فحبسهم[7]، فإذا كان الوليد لم يتمكن من سجن عمرو بسبب نفوذه أو عدم تصريح الخليفة له بذلك فقد وجه انتقامه إلى غلمانه ومواليه مع أن الرواية لا توضح سبب قيام الوليد بهذا الفعل.

وفي عهد ولاية زياد بن أبيه على العراق حبس عدي بن حاتم الطائي رغم أنه من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد أشراف العراق لرفضه تسليم "عبد الله بن خليفة الطائي" الذي كان من أصحاب حجر بن عدي الكندي[8].

---

(1) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج9، ص217.

(2) – مالك بن المنذر بن الجارود العبدي: تولى شرطة البصرة لخالد بن عبد الله القسري. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج56، ص500، 501.

(3) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص232.

(4) – هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان ينزل بموضع بنواحي الطائف يُعرف بـ "العرج" فنسب له، كان أشعر بني أمية، هجا محمد بن هشام المخزومي والي مكة فحبسه وعذبه حتى مات في سجنه. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج2، ص574.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج1، ص261.

(6) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، ص80.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص478.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص260، 261.

أما في عهد ولاية ابنه عبيد الله على العراق فقد أمر بسجن هانئ بن عروة المرادي[1] وهو أحد أشراف الكوفة بسبب إيوائه لمسلم بن عقيل بن أبي طالب لما أرسله الحسين بن علي رضي الله عنهما لتنظيم صفوف الشيعة بالكوفة[2]، كما حبس عبيد الله بن زياد "عبد الله بن الحارث بن نوفل"[3] وذلك بسبب "إحنة كانت في صدور آل زياد عليه"[4]، ولا توضح الرواية سبب إيغار صدور آل زياد عليه. كما حبس عبيد الله رجلا من القراء اتهم بالانتماء للخوارج[5].

ولما قبض الحجاج على آل المهلب وحبسهم حبس معهم العديد من أسبابهم[6]، ورواية اليعقوبي لا توضح لنا طبيعة ومكانة هؤلاء الأشخاص ولا أسباب حبسهم والراجح أن يكونوا من كتابهم والمحيطين بهم أو المنتفعين منهم.

كما حبس الحجاج الفقيه "إبراهيم التيمي"[7] بعد أن وشى به عريفه إلى الحجاج قائلا: "إن هذا كثير الصوم والصلاة وأخاف أنه يرى رأي الخوارج"[8]، لكن من الراجح أن يكون سجن الحجاج لهذا الفقيه راجع لآراء سياسية معارضة لسياسة الحجاج والحكم الأموي عموما وليس لوشاية عريفه به؛ ذلك أن الحجاج أمر بحبسه مباشرة بعد انقضاء ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[9].

---

(1) – هانئ بن عروة المرادي: من أشراف أهل الكوفة، حبسه عبيد الله بن زياد والي العراق بعد أن آوى مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ثم قتله وصلب جثته وذلك سنة 60هـ/679م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص349، 350.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص 349. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص67.

(3) – عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: ولد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، سكن البصرة وتولاها لعبد الله بن الزبير، اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة 79هـ/698م، وقيل: سنة84هـ/703م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج14، ص396-399.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص412. لعل ميله لابن الزبير قد كان سببا لسجنه من قبل عبيد الله بن زياد، رغم أن رواية البلاذري قد يُفهم منها أن سبب السجن شخصي.

(5) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص297.

(6) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص288.

(7) – إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، من تيم الرباب، من فقهاء الكوفة، حبسه الحجاج وعذبه حتى مات تحت التعذيب. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص60-62.

(8) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص261. ابن أبي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، ص42.

(9) – **أنساب الأشراف**، ج11، ص279. أبو العرب التميمي: **كتاب المحن**، ص177.

ولم يسلم من سجن الحجاج حتى مِسْمَع بن مالك بن مسمع[1] حيث اتهمه بمالأة عبد الله بن الجارود في ثورته وسجنه[2]، كما سجن الحجاج رجلا يدعى "ملازم بن قريب الحنفي" بسبب تهمة الانتماء للخوارج[3]، وممن حبس الحجاج أيضا أبو سعد البقال مولى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[4]، وقد حبسه في الديماس[5]، ولا توضح الرواية سبب حبسه، كما حبس أيضا كل من الحكم بن المنذر بن الجارود وقطن بن زياد الحارثي[6]، ولا توضح الرواية أيضا سبب حبسه إياهما.

وفي إقليم جوزجان[7]حبس عامله[8]الفقيه "سليمان بن دينار الدارمي الجرجاني"[9] وكان من صالحي أهل جرجان "فكان الناس يختلفون إليه ويتبركون به" فأنكر العامل ذلك فحبسه[10]، فسبب حبسه اذن هو إنكار العامل لموقف الناس من هذا الفقيه وتبركهم به.

وفي مصر أمر واليها عبد العزيز بن مروان بحبس قِس هندي قدم إليها للعمل على إرسال كهنة مسيحيين إلى الهند[11]، وفي عهد "قرة بن شريك"[12] أخذ هذا الوالي "البابا الاسكندرون الثاني" فألزمه ثلاثة آلاف دينار فلما عجز عنها طرحه في السجن[13].

وفي العراق أمر هشام بن عبد الملك واليه على هذا الإقليم خالد بن عبد الله القسري بحبس

---

(1) – مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب الصري، كان سيد بكر بن وائل بالبصرة، شريفا مطاعا في قومه، ولاه الحجاج سجستان بأمر الخليفة عبد الملك. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج58، ص155-157.

(2) – **نفسه**، ج58، ص158.

(3) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص160.

(4) – ابن الأثير: **اللباب في تهذيب الأنساب**، ج1، ص135.

(5) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص261.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج13، ص403، 404.

(7) – جوزجان: إقليم يقع بنواحي بلخ في إقليم خراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص182.

(8) – يذكره السهمي باسم "أبو الهفت". السهمي: **تاريخ جرجان**، ص286.

(9) – هو والد العابد والزاهد المعروف في أهل جرجان عيسى بن سليمان الدارمي الجرجاني. **نفسه**، ص285.

(10) – **نفسه**، ص286.

(11) – ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج1، ص116.

(12) – قرة بنشريك بن مرثد بن حرام، من أمراء الدولة الأموية، ولاه الوليد بن عبد الملك مصر على صلاتها وخراجها وذلك سنة 90هـ/708م، عرف بسوء سيرته في أهلها، وكانت وفاته سنة 96هـ/714م. الكندي: **الولاة والقضاة**، ص63-66.

(13) – ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**: ج1، ص125.

الجعد بن درهم وتذكر الأخبار أن سبب حبسه له هو شهادة الفقيه الشامي ميمون بن مهران بكفره عند الخليفة هشام[1]، كما حبس مالك بن المنذر بن الجارود صاحب شرطة البصرة لخالد بن عبد الله القسري "عمر بن يزيد الأسيدي"، ويبدو أن للحزازات الشخصية دورا فاعلا في الأمر بحبسه[2]، أما في خراسان فحبس أسد بن عبد الله القسري جماعة من أشرافها بسبب استصغارهم له منهم: نصر بن سيار ومنصور بن أبي الخرقاء السلمي، والبَخْتَري بن مجاهد، وعبد الرحمن بن نعيم[3].

وفي خلافة الوليد بن يزيد أمر هذا الخليفة بحبس سعيد بن بيهس بن صهيب وهو من أشراف الشام بسبب معارضته لتولية العهد لابني الوليد الحكم وعثمان[4]، وقد ظل في حبس الوليد حتى مات في حبسه[5].

ثالثا: معاملة السجناء وأحوالهم

1- ظروف السجن

1-1- الطعام واللباس

لا تفيدنا المصادر التاريخية بالكثير حول طعام المساجين ولباسهم خلال العهد الأموي باستثناء إشارات في ثنايا الروايات والأخبار عن طبيعة الطعام المقدم داخل السجون، ثم إن هذه الاشارات تنحصر في سجون العراق خلال فترة ولاية الحجاج بن يوسف على هذا الاقليم(75-95هـ/694-713م)، أي أن هناك تغييب تام لما يمكن أن يفيدنا عن طعام المساجين ولباسهم خلال الفترات الأخرى من التاريخ الأموي وفي بقية أقاليم الخلافة الأموية.

ويتضح من الأخبار التي بين أيدينا أن السجون كانت تضمن الطعام للمساجين[6]، لكنه كان

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص136. ج8، ص379.

(2) – **نفسه**، ج9، ص40، 41. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص46.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**: ج9، ص79.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص232. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص34.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص232.

(6) – القاضي أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص149، 150. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص368. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص150. الأصفهاني: **الأغاني**، ج17، ص167.

طعاما رديئا جدا، بل كان تعذيبا ممنهجا لهؤلاء المساجين، فالحجاج كان "...يُطعم أهل السجن دقيق الشعير والرماد مخلوطين"[1]، وكان لهذه الممارسة تأثير سيئ على صحة السجناء، من ذلك أن ابنة ابراهيم التيمي جاءت تزوره وهو في سجن الحجاج "فلم تعرفه حتى كلَّمها"[2]، والسبب في ذلك أن الحجاج كان حريصا على إطعامه الخبز مخلوطا بالرماد طيلة مدة حبسه[3].

وفي خبر آخر يذكر المدائني أن طعام المساجين في سجنه المعروف باسم "الديماس" كان يتمثل في الملح وخبز الشعير[4]، كما كان يضع الملح في الماء الذي يشرب منه المساجين[5]، وهذا من صور العذاب الذي فرض على هؤلاء المساجين. وتبالغ بعض الروايات في تصوير حالة الجهد والضيق التي يعاني منها المساجين في العراق خلال ولاية الحجاج حيث تذكر أن أحد المساجين اضطر لشراء جرو وأكله[6]. ولو كنا نشك في صحة هذا الخبر إلا أنه يمكن أن يعطينا فكرة عن مبلغ سوء حال المساجين.

ولم يكن هذا حال الطعام المقدم للمساجين فقط، بل حتى الماء المقدم لهم كان على درجة كبيرة من السوء، فيذكر المسعودي أن المساجين في سجن الحجاج كانوا "يسقون الماء مشوبا بالرماد"[7]، ويؤيد هذا ما ورد عن مالك بن أسماء بن خارجة الذي سجنه الحجاج وكان "...يُشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح"[8].

مع ذلك فإنه بالإمكان للمساجين التخلص من هذا الوضع عبر الطعام المستقدم لهم من قبل

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص384. الشماخي: **كتاب السير**، ج1، ص81.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج13، ص404.

(3) – مغلطاي: **إكمال تهذيب الكمال**، ج1، ص311. يذكر أبو العرب التميمي أن الحجاج "كان يطعمه الجمر بالرماد حتى قتله"، وفي الواقع لا يمكن تصديق هذا الخبر، ولعل ذكر الجمر هنا هو من خطأ النساخ ومما غفل عنه محقق الكتاب. أنظر: **كتاب المحن**، ص177.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج13، ص404.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**.

(6) – **نفسه**، ج13، ص362.

(7) – **التنبيه والاشراف**، ص318.

(8) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج17، ص167. يجعل أبو العرب التميمي ممارسة الحجاج الظالمة هذه سارية على جميع المساجين وليس على سجين دون آخر. **أنظر: كتاب المحن**، ص314.

أهاليهم حيث كان يسمح لأهل السجين إدخال الطعام له إلى السجن، من ذلك أن شريح القاضي كان ينقل الطعام إلى ابنه في محبسه[1]، ولما حبس هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة من قبل عبد الملك بن مروان سعيد بن المسيب كانت ابنته تصنع له طعاما وتبعث به إليه إلى السجن[2].

ولما كان خالد بن عبد الله القسري في سجن يوسف بن عمر الثقفي والي العراق بعث إليه رجل يدعى "زيد بن تميم القيني" بشراب رُمَّان مع غلام له[3]، كما كان أبو مسلم الخراساني ومولى لعيسى بن معقل يحملان الطعام والشراب إلى عيسى بن معقل العجلي من داره كل يوم حين كان في سجن يوسف بن عمر الثقفي[4]، ومثلهم كان أهل جديع بن علي الكرماني يصنعون الطعام له ويحملونه إليه في محبسه[5].

أما فيما يتعلق بملابس المساجين فالمصادر لا تخبرنا بشيء فيما يخص هذا الجانب والراجح أن المساجين كانوا يبقون بملابسهم الخاصة، أو تقدم لهم إدارة السجن ملابس بصفة دورية[6].

في الأخير فإن الأمثلة السابقة حول التعذيب الممارس عن طريق خلط الطعام والماء بالرماد والملح خلال فترة ولاية الحجاج بن يوسف على العراق لا يجب أن يقود إلى القيام بإسقاطات على بقية فترات التاريخ الأموي لأن هذا يؤدي إلى إصدار أحكام قد تكون خاطئة بل ومجحفة في حق الخلفاء والولاة الأمويين والذين لعبت الروايات التاريخية -المدونة في عصر أعدائهم العباسيين- دورا كبيرا في تشويه صورتهم.

1-2- المعاناة الجسدية والنفسية

لعل أبرز ما ميز السجون الأموية هو شدة ما قاساه المساجين جسديا ونفسيا خلال مدة مكوثهم في السجن، ولم تكن مكانة الشخص أو وجاهته كافية لحمايته داخل السجن وضمان

---

(1) - وكيع: **أخبار القضاة**، ج2، ص317. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج23، ص30.

(2) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص257.

(3) - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص260.

(4) – مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده**، ص260.

(5) - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص289.

(6) - **أنظر** مطلب إصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز في هذا المبحث.

حقوقه وعدم امتهان كرامته–في الغالب الأعم– خاصة في ظل تحول السجن عن دوره التأديبي إلى مؤسسة تعذيبية يلقى فيها المساجين شتى صنوف التعذيب الجسدي والنفسي بغاية التأثير عليهم والحط من معنوياتهم وحتى إذلالهم، وهذا في سبيل سعي السلطة إلى احتوائهم والحد من خطرهم عليها خاصة العناصر المعارضة لها، يُضاف إلى ذلك أن الحرمان من الحرية الذي جسدته مؤسسة السجن غايته استخراج أقصى ما يُمكن من الوقت من هؤلاء المساجين[1]، فحرمان المحكوم من الوقت يعني أن السجن يبدو وكأنه يُترجم فكرة محددة قائمة على أن المخالفة التي قام بها السجين قد أضرت —متجاوزة الضحية– بالمجتمع بأكمله[2].

كانت إعاقة حركة المساجين بالقيود فعلا ملازما داخل السجن وقد أشرنا في موضع آخر إلى إجراء التقييد الذي يتعرض له المساجين وغيرهم والتأثير السلبي لهذه الممارسات التعذيبية على أجسادهم ونفسياتهم[3]، ومن أمثلة الآثار النفسية للحبس ما ذكره توبة العنبري وهو أحد عمال يوسف بن عمر الثقفي قائلا: "أكرهني يوسف بن عمر على العمل فلما رجعت حبسني حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء"[4]، وفي هذا التصريح إشارة إلى شدة الضغط النفسي الذي تعرض له توبة داخل السجن مما جعل حالته تتدهور نتيجة ما تعرض له.

وفي الشعر الأموي صور معبرة عن المعاناة التي يقاسيها المساجين داخل السجون الأموية، وهي تعتبر نتاج التجارب الشخصية لأصحابها الذين تعرضوا لمختلف أنواع الأذى النفسي والجسدي خلال مدة سجنهم، ومن النماذج التي لدينا أبيات نظمها الشاعر يزيد بن مفرغ لما كان في سجن عبيد الله بن زياد حيث يقول[5]:

أيها المالك المرَهِّب بالقـــــت ـــل بلغت النكال كل النكال
قد تعديت في القصاص وأدرك ت ذحولا[6] معشر أقتـــــال
وكسرت السن الصحيحة مـني لا تُذِلَّـــن فمنكـر إذلالـــي

---

[1]– ميشيل فوكو: **المراقبة والمعاقبة**، ص235.

[2]– **نفسه**، ص236.

[3] – **أنظر المبحث الأول من الفصل الرابع**.

[4] – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص328.

[5] – **ديوان يزيد بن مفرغ**، ص187، 188.

[6] – الذحل: الثأر. ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص256. (مادة: ذحل).

وقرنتم مع الخنازيـــــر هِـــــرًّا ويميني مغلولــة وشمالـــــــــي
وكلابا ينهشنَـــــــني من ورائي عجب الناس مالهـن ومالــي
وأطلتم مع العقوبـــــة سجني فكم السجن أو متى إرسالي

فالشاعر في هذه الأبيات يعرض لنا صنوف الأذى والتعذيب الذي تعرض له على يد عبيد الله بن زياد، وهو يجمع بين التعذيب الجسدي والنفسي المتمثل في التهديد بالقتل وتجاوز الحد في العقوبة وكسر الأسنان وإطالة فترة الحبس دون تحديد مدتها وموعد إطلاق السراح فيبقى السجين تحت ضغط نفسي رهيب ناتج عن جهله بمدة محكوميته التي يحددها الوالي.

على أن التعذيب الذي تعرض له الشاعر لم يتوقف على داخل السجن بل تعداه إلى خارجه حيث تم التشهير به مقيدا بالأغلال أمام عامة الناس وهو مقرون بخنزير وهر وكلاب وراءه تنهش لحمه، وفي ذلك أثر نفسي سلبي للغاية عليه فضلا عن الأذى الجسدي الناتج عن التعرض لنهش الكلاب، وهو يعترف أن غاية عبيد الله بن زياد من هذه الأفعال التي مارسها ضده هي إهانته وإذلاله بعد أن هجا آل زياد وحط من شأنهم.

كما يصف في أبيات أخرى ما تعرض له في سجن عباد بن زياد بسجستان بعد حمله إليه من قبل أخيه عبيد الله فيقول[1]:

حيّ ذا الزَّوْرَ[2] وانهَهُ أن يعـــودا إن بالباب حارسين قعودا
من أساوير[3] لا ينـــون قيامـــا وخلاخيل تُسهر المولـــودا
وطَماطيم[4] من سَبَابيج[5] غُتم[6] يُلبسوني مع الصباح قُيودا

---

[1] – ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1، ص362.

[2] – الزور: الزائر. الزبيدي: **تاج العروس**، ج11، ص459. (مادة: ز و ر).

[3] – الأساوير: فرسان من أصل فارسي. الزبيدي: **نفسه** ، ج12، ص105. (مادة: س و ر).

[4] – طماطيم: رجل طِمطِم أي في لسانه عجمة. **نفسه**، ج33، ص26.(مادة: ط م م). وهو يشير إلى موظفين في السجن من أصل فارسي.

[5] – السبابجة: قوم ذوو جلد من السند والهند يتم جلبهم للعمل في السفن أو للقتال لجلدهم وقوتهم. **نفسه**، ج6، ص27. (مادة: س ب ج)

[6] – غتم: الغُتمة هي العجمة في المنطق، والأغتم: هو من لا يُفصح شيئا. **نفسه**: ج33، ص165.(مادة: غ ت م)

وفي هذه الأبيات يشير الشاعر إلى الحراسة المشددة المفروضة عليه بوجود حارسين على باب المكان المسجون به منعا له من أي محاولة للهرب، وهؤلاء الحراس هم من عناصر أعجمية غير عربية ويبدو أن اختيارهم لمراقبة السجناء راجع إلى قوتهم وجلدهم، كما أن ولاءهم كبير للوالي وغير متأثرين بنعرات العصبية القبلية، وهؤلاء الحراس كانوا يحرسون على منع النوم عن السجين عبر تعمد إصدار الأصوات المختلفة عبر أجراس معدة لذلك خصيصا، وهذا زيادة في العقوبة وإنهاكا له نفسيا وجسديا، ولن تتوقف العقوبة عند هذا الحد بل سيتم وضع القيود للسجين كل صباح وهذا يؤدي بنا إلى الافتراض أن يزيد بن مفرغ يبقى من غير قيد في الليل في غرفة مغلقة أما في النهار فيتم إثقاله بالقيود ولعل ذلك يعود إلى نقله من مكان لآخر.

أما هُدْبَة بن الخَشْرَم[1] فيصف رد فعل زوجته لما زارته في السجن ورؤيتها للندوب الناتجة عن القيد في ساقيه فيقول[2]:

وقد شئزت[3] أم الصبيين أن رأت أسيرا بساقيه ندوب نواسف

وفي موضع آخر يصف "هُدْبَة" ما تعرض له من إساءات لفظية وسباب من قبل حراس السجن وغضبه من ذلك ثم اضطراره للصبر على تجاوزاتهم غير المقبولة، ولعل ما تعرض له هذا الشاعر هو نموذج لما يتعرض له غيره من المساجين داخل السجون الأموية، فيقول[4]:

لعمري لئن أمسيت في السجن عانيا عليّ رقيب حارس متقــوف[5]
إذا سبَّني أغضيـــت بعد حَمِيَّـــــــة وقد يصبر المرء الكريم فيعرف

---

[1] – هُدبة بن الخشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن، شاعر فصيح من أهل الحجاز، قتل ابن عمه زيادة بن زيد العُذري في أيام معاوية فسجن بسبب ذلك خمس أو ست سنوات إلى أن بلغ المسور بن زيادة–وكان صغيرا– فقتله بأبيه. المرزباني: **معجم الشعراء**، ص531، 532.

[2] – **شعر هُدْبَة بن الخشرم**، ص129.

[3] – شئزت: مصدر شأز، بمعنى قلق من مرض أو هم. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص360، 361. (مادة: شأز).

[4] – **شعر هدبة بن الخشرم**، ص123.

[5] – متقوف: القفو مأخوذ من القيافة وهو تتبع الأثر. الأنباري: **الزاهر في معاني كلام الناس**، ج1، ص472. ولعله يشير هنا إلى شدة الحراسة المفروضة عليه حث يظل الحارس ملازما له أو متتبعا له في سجنه.

من جهته يصف الفرزدق حاله في السجن فيقول[1]:

أبيت أقاسي الليل والقوم منهم معي ساهر لي لا ينام ونـــــــوم
ولو أنها صم الجبال تحمَّلـــــت كما حملت رجلاي كادت تحطم

وفي قوله هذا إشارة إلى معاناته الشخصية ورفاقه السجناء من الأرق الناتج عن ضيق القيود الملتصقة بأرجلهم وثقلها.

ويصف أحد الشعراء حالة الحزن والخوف التي اعترته وهو يدخل السجن وموقف المساجين منه وتكبيرهم عند رؤيتهم مدى تأثره وحزنه، كما يصف شدة التأثير النفسي الذي يخلفه السجن على السجناء فيقول[2]:

ولما دخلت السجن كبَّـر أهلـــــه وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته بأنك تنزو ثم سوف تليـــن

ويبلغ الخوف مبلغه عند بعض السجناء حتى تكاد قلوبهم تقفز من الخوف، وتطير من الارتياع من هول ما يقاسونه داخل السجن[3]، فهذا أحد الشعراء يُدعى "عُبادة بن أَبْراء" يُصوِّر خوفه ومن معه من المساجين فيقول[4]:

إذا حرّك البوّاب أقفـــال سجنـــه رأيتَ رجالا وهي تنزو قلوبُهـا
فمن يُدْعَ منهم باسمـــه وهو مجرم تكن رَوْعة لا بُدّ وهو مُجيبُهـا

فهذه الأبيات تصف لنا مشاعر المساجين وقد دفعوا إلى شفير الهاوية التي تهوي بهم إلى العالم الآخر، فتراهم مترقبين لصوت المنادي وهو يُنادي على ضحاياه، فيُصيب القتل بعضهم، بينما يُدرك العفو آخرين، وكلا الفريقين عاش تجربة النهاية بأحاسيسه وهو يترقّب الموت المحتم[5].

---

(1) – **ديوان الفرزدق**، ص568.

(2) – ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج1، ص79.

3– علاء الدين محمد الفرجاني الأسطي: **شعر السجن في العصر الأموي دراسة فنية**، ص35.

4– الهَجَري: **التعليقات والنوادر**، ج2، ص690.

5– علاء الدين محمد الفرجاني الأسطي: **شعر السجن في العصر الأموي دراسة فنية**، ص35.

أما السمهري الشاعر[1]فيصف الحالة النفسية المضطربة للمساجين وهم يرسفون في قيودهم ويسألون بعضهم البعض عن سبب دخولهم السجن، مع تحديده لصنفين متمايزين من المساجين؛ صنف يمثلهم عوام الناس ولئامهم الشامتون في غيرهم، وصنف آخر يمثله كرام الناس ووجهائهم المتأثرين أشد التأثر بسجنهم وهو ما يظهر في تغير لونهم وشحوبهم، ثم يصور لنا الشاعر حالة الهلع والخوف التي تعتري المساجين عند سماع صوت باب السجن يفتح من قبل السجان، وهو الخوف الناتج عن توقع المصير المحتوم المتمثل في التعذيب أو القتل، فيقول[2]:

لقد جمع الحدَّاد بين عصابـــــة تساءل في الأقياد ماذا ذنوبها؟
بمنزلة أما اللئيـــم فشامـــــت بها وكرام القوم باد شحوبهـا
إذا حرسي قعقع الباب أرعدت فرائص أقوام وطارت قلوبهـــا

فيحين يصف جعفر بن عُلْبة[3]الذي كان مسجونا في سجن دوران[4]واقع السجن فيقول[5]:

إذا بـاب دوران ترنم في الدجى وشد بأغلاق علينـــــا وأقفـــال
وأظلم ليل قام علج بجلجـــــل يدور به حتى الصباح بإعمـــــال
وحراس سوء ما ينامون حولـــه فكيف لمظلـــــوم بحيلة محتـــال
ويصير فيه ذو الشجاعة والندى على الذل للمأمور والعلج والوالي

في هذه الأبيات يصف الشاعر كيفية إقفال الأبواب على المساجين ليلا حرصا على عدم هروبهم تحت ستار الليل وإحاطة الحراس بهم زيادة في الحراسة والأمن، لكن سكون الليل المظلم داخل السجن يخترقه صوت الجرس الذي يدور به أحد الحراس طيلة الليل لمنع المساجين من النوم، وهو

---

(1) – السمهري بن بشر بن أُقَيش العُكلي، من الشعراء اللصوص في العصر الأموي، قتل أحد بني مخزوم واسمه عون بن جعدة بن هبيرة المخزومي وكان في طريقه إلى الحج من الكوفة، فبلغ خبره عبد الملك بن مروان فأمر ولاة العراق والمدينة واليمامة بالجد في طلبه فقبض عليه والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي فحبسه ثم قتله. الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص166-170.

(2) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص170. الخالديان: **الأشباه والنظائر**، ج2، ص133.

(3) – جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث الحارثي، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مُقل غزل مذكور في قومه. الأصفهاني: **الأغاني**، ج13، ص31.

(4) – دوران: اسم سجن بالجزيرة العربية قد يكون بنواحي اليمامة. **نفس المصدر والصفحة**.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج13، ص31، 32.

شكل من أشكال التعذيب النفسي الممارس ضدهم، ويبدو أن هذا النوع من التعذيب كان ممارسا على نطاق واسع في السجون الأموية حيث سبق ليزيد بن مفرغ أن شار لهذا النوع من التعذيب الذي تعرض له في سجن عباد بن زياد بسجستان، ونتيجة هذا التعذيب الجسدي والنفسي الذي يتعرض له المساجين هي الرضوخ لإرادة السجن ممثلة في الحراس ومأمور السجن، وذلا ومهانة أمام السلطة الحاكمة ممثلة في الوالي.

أما القتّال الكلابي[1]فيصف حاله في السجن قائلا[2]:

إذا قلتُ: رفِّهني من السجن ساعة تدارك بها نُعمى علي وأَفضِلِ
يشد وثاقي عابـــسا ويَتُلُّـــــني[3] إلى حلقات في عمود مُرَمّـَلِ[4]

يشير الشاعر هنا إلى ما يلقاه من تعذيب على يد سجانه، فمطالب السجين بالحصول على بعض الراحة من العذاب المسلط عليه يقابلها رفض وزيادة في التشديد عليه من قبل حارس السجن، حيث يشد وثاقة وهو عابس ومتجهم، كما يقوم بجره بعنف وقسوة حتى يقوم بربطه إلى عمود وهو ملطخ بالدماء التي تنزف من جروحه، وفي هذا إشارة إلى المعاملة القاسية التي تعرض لها هذا الشاعر داخل السجن.

ونجد في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[5] وصفا للحالة النفسية للمساجين وهي بلا شك حالة سيئة بسبب ظروف السجن السيئة والاساءات التي يتعرض لها المساجين وقسوة السلطة في التعامل معهم إلى حد يصير فيه المسجون في وضع يكون فيه لا هو من

---

(1) – القتال الكلابي: أبو المسيب عبد الله بن محبب بن المضرجي، من بني كلاب، لقب بالقتّال لأنه كان فاتكا متمردا، وهو من الشعراء المخضرمين. عزيزة فوال بابتي: **معجم الشعراء المخضرمين**، ص367، 368.

(2) – **ديوان القتال الكلابي**، ص76.

(3) – تلَّ يتلُّ تلاًّ، فهو تليل: صرعه، وقيل: ألقاه على عنقه وخده. ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص77. (مادة: تلل).

(4) – مرمل. ملطخ بالدم. **ديوان القتال الكلابي**، ص76.

(5) – عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: ثار بالكوفة سنة 127هـ/744م فهزمه واليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ففر إلى إقليم الجبال حيث نشر دعوته هناك وقويت شوكته حتى تمكن من دخول بلاد فارس وسجستان سنة 129هـ/ 746م ومقاتلة ولاة الأمويين بها، وظل أمره كذلك حتى تمكن مالك بن الهيثم أحد قواد الثورة العباسية من القضاء على حركته وقبض عليه، ثم دفعه إلى أبي مسلم الخراساني، ويقال أنه قتله، أو مات في سجنه. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص302-309. 371-374. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج33، ص216.

الأموات ولا هو من الأحياء حسب تعبيره، وهي أبيات تصور لنا –ولو بشيء من المبالغة– البلاء العظيم الذي يتعرض له المساجين خاصة أصحاب الجرائم السياسية منهم، وتصبح الرؤى والأحلام مصدرا للإلهاء والترويح عن النفس مما تقاسيه داخل السحن، يقول الشاعر[1]:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجان يوما لحاجـــة عجبنا وقلنا جـــاء مـــن الدنيـــا
ونفرح بالرؤيا فجُـــل حديثنـــا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كانت بطيئا مجيئها وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيـا

أما بعض المساجين فإنهم لا يتورّعون عن البكاء وإسبال الدمع على حالهم وما ألمّ بهم داخل السجن، يقول جحدر اللص[2] وهو في سجن الحجاج بواسط[3]:

فأسْبَلت الدمـوع بلا احتشـام ولم أكُ باللئيـم ولا الجبـان
فقلت لصاحبيَّ: دعا ملامـي وكُفّا اللّـوم عني واعـذِراني

فعلى الرغم من عنفوان العربي وكبريائه، فإن ألم السجن، وقسوة السجان، والحنين إلى الأهل والدار والوطن، يُخضعان في كثير من الأحيان ذلك الكبرياء والعنفوان، وأي شيء أقسى على الرجل العربي من اعترافه بألمه ورؤيته عينيه تسيلان بالدمع من شدة الألم والقهر والعجز[4].

ولعل أبلغ وصف لحالة المعاناة التي يقاسيها السجناء جسديا ونفسيا هو هذا البيت الذي حفظه لنا ابن قتيبة لبعض المساجين حيث يصور لنا حال السجين الذي اجتمع عليه قهر الحبس وفقدان حريته، وثقل الأغلال والبعد عن الأهل والأصحاب والأحباب، وشدة المعاناة داخل السجن

---

(1) – الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، ص35. ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج1، ص81، 82.

(2) – جحدر اللص: من بني جشم بن بكر التغلبية، كان يخيف السبيل ببلاد اليمن، فبلغ خبره الحجاج بن يوسف، فأرسل إلى عامل باليمن يشدد عليه في القبض عليه، فألح هذه العامل في طلبه حتى قبض عليه، وبعثه إلى الحجاج بالعراق، فحبسه في سجن واسط. الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص222.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**.

(4) – علاء الدين محمد الفرجاني الأسطي: **شعر السجن في العصر الأموي دراسة فنية**، ص42.

نفسيا وجسديا، حيث يقول[1]:

أَسِجْنٌ وقَيْد واغتراب وعسـرة وفقد حبيب إن ذا لعظيـــــــم

1-3- ضيق المساحة والاكتظاظ

لا تتوفر لدينا معلومات كافية حول هذه النقطة في كل السجون الأموية وإنما إشارات محدودة عن سجن واسط في عهد الحجاج بن يوسف الذي تميز بكثرة المساجين المحبوسين فيه إلى درجة الاكتظاظ وضيق المكان بهم، فبالكاد كانت المساحة المتوفرة تكفي السجين الواحد لمد رجليه[2]، أما ابراهيم التيمي فيصف المكان الذي سجن فيه فيقول: "فحبسني-يعني الحجاج- فدخلت على اثنين في سجن واحد بمكان ضيق لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه"[3]، والراجح أن تكون هذه غرف صغيرة يوضع فيها عدد معين من السجناء يتجاوز قدرتها الاستيعابية.

وقد كان لضيق مساحة السجون والاكتظاظ الحاصل فيها وحتى طبيعة هندستها المعمارية تأثيرا سلبيا على التهوية داخل السجن وثقل الهواء فيه، مما يزيد من معاناة المساجين خاصة في موسم الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة كثيرا، وكان هذا الوضع سببا في استياء المساجين وتنديدهم بأوضاعهم مثلما حصل زمن الحجاج بالعراق حيث "مر الحجاج في يوم جمعة فسمع استغاثة فقال: ما هذا؟ فقيل له: أهل السجن يقولون قتلنا الحر، فقال: قولوا لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون-108]"[4].

وهذه الآية فيها "جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول: "اخسؤوا فيها" أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء، "ولا تكلمون"، أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي" [5]، وهذا هو أيضا ما أراده الحجاج من توظيفه لهذه الآية الكريمة في رده على مطالب واستجداء هؤلاء المساجين إذ عليهم المكوث في حر السجن جزاء

---

(1) – ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج1، ص81.

(2) – **أنساب الأشراف**، ج7، ص372. ج13، ص403.

(3) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص260. ابن أبي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، ص42.

(4) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص8، 9. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج12، ص192.

(5) – ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص1426.

لهم على أفعالهم.

1-4- قلة النظافة داخل السجون

من المؤكد أن وجود أعداد كبيرة من الناس محشورة في موضع واحد لا تتوفر فيه الشروط الضرورية للإقامة من مساحة وتهوية وحمامات وغيرها من ضروريات له تأثيره السلبي على نظافة المكان والمقيمين فيه، وكان هذا حال السجون الأموية حيث ترد بعض الأخبار عن المستوى المتدني للنظافة داخلها، ففضلا عن حشر الكثير من المساجين في مكان واحد ضيق فقد كانوا "فيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون"[1]، ولا شك أن هذا الوضع كان يشكل جحيما بالنسبة لهؤلاء المساجين.

كما أن إعاقة حركة السجين بالقيود شكلت عاملا آخر في تدهور ظروفه ونظافته، فيُذكر في هذا الشأن أن السمهري الشاعر لما كان في الحبس أتته زوجته "...في اللباس والطيب، فصارت إلى رجل قد طال حبسه، وأنتنت في الحديد رائحته"[2]، ومثل هذه الظروف المزرية حيث ضعف التهوية والاكتظاظ وقلة النظافة وانتشار الأوساخ والقاذورات وارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها مع ارتفاع نسبة الرطوبة إضافة إلى سوء التغذية تشكل بؤرا خصبة للأمراض والأوبئة الفتاكة.

وفي رواية لـ "الشماخي" أن الحجاج بن يوسف لما حبس مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب "منع أن يوصل إليهما شيء"[3] ونتيجة لذلك "كان أحدهما ينفض لحيته فيتساقط منها القمل"[4]، وهذا لسوء النظافة والإهمال الذي يتعرض له المساجين.

1-5- خدم في السجن

لم تكن أوضاع جميع السجناء سيئة خلال العهد الأموي فقد تمتع بعض السجناء ممن ينتمون إلى خواص الناس بقدر معتبر من الخِدمة وحرية الحركة داخل السجن، بل هناك من كان لديه خدم

---

(1) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص260. ابن أبي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، ص42.

(2) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص187.

(3) – الشماخي : **كتاب السير**، ج1، ص81.

(4) – **نفس المصدر والصفحة**.

يقومون بشؤونه داخل السجن، من ذلك أن إدريس وعيسى ابنا معقل العجليين لما حبسهما يوسف ابن عمر الثقفي والي العراق مع من حبس من عمال خالد القسري كان معهما في السجن أبو مسلم الخراساني ومولى آخر يخدماهما[1]، وربما لم يكن أبو مسلم ملازما لهما داخل السجن بصفة دائمة وإنما كان يأتي إليهما دوريا للقيام بشؤونهما، وذلك لخبر أورده صاحب وفيات الأعيان أن أبا مسلم "كان يختلف إلى السجن ويتعهد عيسى وإدريس ابني معقل"[2].

كما كان مع جديع بن علي الكرماني في سجنه غلامه "بسام" يخدمه[3]، وقد حفظ لنا البلاذري واقع إبراهيم الإمام في سجن حرَّان لما حبسه مروان بن محمد على لسان مولاه فيقول: "وكان مهلهل[4] مولاه يقول: كنت أخدمه وهو محبوس بحرَّان، وأشتري حوائجه، وكان شراحيل ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك محبوس في حجرة غير حجرة إبراهيم التي كان محبوسا فيها، وكان صديقا لإبراهيم، فكانا يتلاطفان ويتهاديان في محبسهما"[5].

ما يفهم من هذا النص أن إبراهيم الإمام كان يتمتع بقدر معتبر من الخدمة حتى داخل السجن، فكان معه مولاه يخدمه داخل السجن ويشتري له ما يحتاجه لإقامته هناك من مأكل ومشرب وملبس فهو بهذا في غنى عن خدمات السجن الرديئة، كما أن له حرية معتبرة في الاتصال والتواصل ويدل على ذلك تواصله الدائم مع شراحيل بن معاوية الأموي وتبادلهما الهدايا والألطاف داخل السجن، كما يمكن أن يشير هذا إلى أن كلا الرجلين لم تفرض عليهما القيود والأغلال وإنما سجنا في غرف مستقلة، وربما يعود هذا إلى كونهما من طبقة الخاصة ففصلا عن بقية المساجين من عوام الناس أو لمكانتهما وخطرهما على مروان ابن محمد وخاصة إبراهيم الإمام الذي كان إمام الدعوة العباسية.

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص161. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص198. مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده**، ص260.

(2) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص146.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص289.

(4) – يذكره الطبري باسم مهلهل بن صفوان. **نفسه**، ج7، ص436.

(5) – **أنساب الأشراف**، ج4، ص165.

2- زيارة المساجين

يتضح من خلال المادة المصدرية المتوفرة لدينا أن زيارة المساجين كانت مسموحة خلال العهد الأموي ولم تكن امتيازا لفئة دون أخرى داخل السجن؛ فسواء كان السجين من طبقة الخاصة أو طبقة العامة فإن حق الزيارة كان مكفولا له سواء من الأهل أو من غيرهم، فقد كان شريح القاضي يزور ابنه في السجن حاملا إليه الفراش والطعام في سجنه[1]، وفي عهد الحجاج لما حبس إبراهيم التيمي زارته ابنته في السجن[2]، ولما حبس خالد بن عبد الله القسري والي العراق الكميت بن زيد الأسدي[3] كانت امرأته تزوره في السجن[4]، كما كان "لَبِطَة بن الفرزدق" يزور أباه في السجن لما حبسه مالك بن المنذر بن الجارود صاحب شرطة البصرة بأمر خالد بن عبد الله القسري[5].

كما كان يمكن للسجين أن يرسل في طلب زيارة شخص بعينه له؛ مثلما حدث مع الشاعر السمهري الذي أرسل في طلب زوجته لتزوره في محبسه[6]، كما زارت زوجة هدبة بن الخشرم زوجها وهو في السجن محبوس بسبب دم[7]، كما زاره أيضا جميل بن معمر العذري[8] وأهداه مالا وثيابا كساه إياها سعيد بن العاص[9]. ورغم قلة الأخبار التي لدينا حول زيارة المساجين خلال العهد الأموي فإنه يمكن القول أنه كان مسموحا بها طيلة العهد الأموي.

---

(1) – وكيع: **أخبار القضاة**، ج2، ص317. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج23، ص30.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص384. يذكر ابن سعد أن أمه هي من زارته لما سجن. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص408.

(3) – الكُميت بن زيد بن خنيس بن مجالد الأسدي، من شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة، وعرف بتشيعه ونصرته لآل البيت في شعره، مات سنة 126هـ/743م. المرزباني: **معجم الشعراء**، ص285.

(4) – الجاحظ: **كتاب الحيوان**، ج2، ص364.

(5) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج1، ص152,

(6) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص187.

(7) – **شعر هدبة بن الخشرم**، ص129.

(8) – جميل بن عبد الله بن معمر ، أحد الشعراء المشهورين في العصر الأموي، عرف باسم جميل بثينة لحبه فتاة من قومه تعرف باسم بثينة. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ص434.

(9) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص186.

3- إصلاحات السجون في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

من خلال ما سبق يتضح لنا أن حالة السجناء والسجون الأموية كانت سيئة جدا، خاصة وأنها عرفت باكتظاظها بسبب كثرة المساجين المحبوسين فيها لا سيما في أوقات الفتن والثورات التي قامت ضد الحكم الأموي، وهي الثورات التي قابلها الخلفاء والولاة الأمويون بعنف مبالغ فيه خصوصا في فترات حكم كل من يزيد بن معاوية(60-64هـ/679-683م) وعبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 684-705م) والوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-714م).

واشتهر من الولاة بهذه السياسة العنيفة زياد بن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف، والملاحظ أن هؤلاء كانوا ولاة على إقليم العراق وهو المعروف بأنه شَكَّل بؤرة للمعارضين والثائرين على الحكم الأموي من خوارج وشيعة وغيرهم، ولهذا لا نعجب إذا كانت أغلب المادة الخبرية التي لدينا حول السجون الأموية خاصة بهذا الاقليم أكثر من غيره من الأقاليم وبالأخص في عهد ولاية الحجاج.

لقد تحول السجن خلال هذه المرحلة إلى مؤسسة لا يحكمها إطار قانوني فعلي سواء كان كتابيا أو شفويا[1]، وإنما تضبطها نزوات السلطة ومصالحها، بعبارة أخرى كانت مؤسسة السجن محكومة بـ "إرادة السلطة" المحلية الحاكمة، وليس من خلال مجموعة من القوانين المنفصلة وغير الشخصية التي تتصرف السلطة من أجلها كمضيف ومنفذ، لقد كانت في الأساس "مؤسسة غير خاضعة للقانون"[2]، وهذا ما جعلها أداة في يد الحكام -خلفاء وولاة- لتخويف الأعداء، ومعاقبة المخالفين الذين أساؤوا ليس للقانون في حد ذاته؛ ولكن بالأحرى لحسابات السلطة التي ستستخدم السجن كأداة لفرض الامتثال التام لإرادتها[3].

نتيجة لهذه المفاسد التي اعترت نظام السجون الأموية أولى الخليفة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-719م) السجون عناية خاصة ضمن برنامجه الإصلاحي الذي مس جوانب مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية، فاهتم بواقع السجون والسجناء وعمل على تحسين ظروفهم سواء في

---

(1) - Sean W. Anthony: **The Meccan Prison of ʿAbdallāh b. al-Zubayr and the Imprisonment of Muḥammad b. al-Ḥanafiyya,** p23.
(2) - **Ibid**.
(3) - **Ibid**.

المأكل أو الملبس أو الشروط الصحية أو التنظيمية للسجون، وكان لهذه السياسة الاصلاحية دور مهم في تحسين حال السجون عما كان عليه الوضع في العهود السابقة له، وقد مست إصلاحاته ما يلي:

أ- تحسين الأوضاع العامة للمساجين: اتخذ الخليفة عمر بن عبد العزيز في هذا الشأن العديد من القرارات وهذا ما توضحه الكتب التي وجهها لعماله في مختلف الأمصار:

- كتابه إلى عدي بن أرطأة عامله على البصرة يقول فيه: "أما بعد، فاستوص بمن في سجون أرضك خيرا، ولا تُصيبَنَّهم ضيعة، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والأدام[1] من مال الصدقة إن شاء الله"[2].

- وهي نفس الاجراءات تقريبا التي أوصى بها واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في كتاب بعث به إليه[3]، كما بعث كتاب في هذا الشأن إلى الجزيرة الفراتية فقرأ على أهلها[4].

ب- بعث عمر بن عبد العزيز بكتاب عام إلى أمراء الأجناد فيه توصيات عديدة لهم بالإجراءات الواجب عليهم اتخاذها لإصلاح السجون وتحسين ظروفها بما يضمن حقوق المساجين وعدم التعدي عليهم، وهذا نص الكتاب:

-"وانظروا من في السجون ممن قام عليه الحق فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أُشكل أمره فاكتب إلي فيه، واستَوثِق من أهل الذعارات[5] فإن الحبس لهم نكال، ولا تَعَدَّ في العقوبة، ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قوما في دين فلا تجمع بينهم وبين أهل الذعارات في بيت واحد ولا حبس واحد، واجعل للنساء حبسا على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به ومن لا يرتشى فإن من ارتشى صنع ما أُمر به"[6].

---

(1) - الأدام: ما يؤتدم به مع الخبز مثل الخل. الزبيدي: **تاج العروس**، ج33، ص181.(مادة: أدم).

(2) - ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص368. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص150.

(3) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص184، 185.

(4) - القاضي أبو يوسف، **كتاب الخراج**، ص150.

(5) - ذعر: الذُعر، الخوف والفزع، ورجل ذاعر: ذو عيوب، وأما الداعر فهو الخبيث. ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص306. (مادة: ذعر). وواضح أنه يشير إلى أهل الفساد.

(6) - ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص349.

- إن التعليمات التي أمر بها الخليفة عمر بن عبد العزيز أمراء الأجناد باتخاذها تتمثل من خلال هذا النص فيما يلي:

- ضرورة التثبت من أسباب سجن هؤلاء المساجين، وتجنب سجن أحد إلا بحق وبعد ثبوت الجرم عليه، أما من أشكل أمرهم عليهم فيتم الرجوع فيهم إليه مباشرة، وهذا الفعل من الخليفة عمر نابع من حرصه الشديد على إحقاق الحق وضمان حقوق العباد وحمايتهم من تعسفات الولاة التي لطالما تعرضوا لها في عهد من سبقه من الخلفاء الأمويين.

- ضرورة الاحتياط على المفسدين وأهل الشرور وحبسهم تحفظا عليهم حماية للناس من شرورهم، وزجرا وتأديبا لهم على ما يقومون به من أفعال مؤذية.

- عدم التعدي في العقوبة بحيث يكون لكل ذنب ما يقابله من عقوبة في غير تفريط ولا إفراط.

- الحرص على تعاهد السجناء المرضى والاعتناء بهم خاصة أولئك الذين لا أهل لهم أو الفقراء منهم.

- الفصل بين المساجين بحيث يكون المسجونين بسبب قضايا فساد كالقتل والسرقة وغيرها مفصولين عن سجناء الاخرين المحبوسين في دين أو كرام الناس حتى لا يؤثروا فيهم ويفسدوا طباعهم.

- ضرورة فصل سجن النساء عن سجن الرجال منعا لأي اختلاط يمكن أن يحصل.

- الحرص على تعيين الموظفين الأكفاء والأمناء لإدارة السجون تجنبا لتعاملهم بالرشاوى مع السجناء أو غيرهم، وهذا الحرص من الخليفة عمر قد يدل على انتشار ظاهرة الرشوة بين موظفي السجن مما يؤدي إلى معاملات تفضيلية للسجناء أو هضم حقوق سجناء آخرين.

ج- ضرورة تخفيف القيود عن المساجين مع الاحتياط على المجرمين والفساق: أمر الخليفة عمر ابن عبد العزيز ولاته بمنع تقييد المساجين بقيود من شأنها إعاقتهم عن الصلاة، وهذا لإدراكه أن الصلاة عمود الدين، كما أن من شأنها تهذيب أخلاق المساجين، ومن الكتب الصادرة عنه في هذا الشأن:

- يذكر ابن سعد أن عمر كتب في المحابيس: "لا يقيد أحد بقيد يمنع من تمام الصلاة"[1].

[1] - ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص359. **أنظر** أيضا: ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص89.

– كتابه إلى أهل الجزيرة، عن جعفر بن برقان[1] قال: " كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: لا تدعُنَّ في سجونكم أحدا من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائما، ولا يبيتن في قيد إلا رجلا مطلوبا بدم، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم، والسلام"[2].

ما يُفهم من هذا الكتاب أن حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على منع تقييد السجناء قيودا تمنعهم الصلاة لم يمنعه من توجيه ولاته إلى ضرورة الاحتياط في التعامل مع المجرمين والمحبوسين في قضايا قتل، ولهذا شدد على ضرورة استثنائهم من قراره هذا تأديبا لهم على ما اقترفت أيديهم.

–وفي هذا الشأن أيضا بعث بكتاب إلى واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب يقول فيه: "أما بعد، فلا أعلمن ما جعلت على أهل السجون قيودا ثقالا تمنعهم من الصلاة قياما، وذكرت أن قِبَلَك قوما فساقا إن تُرِكوا أفسدوا البلاد، وإن حُبسوا استراح الناس من معرَّتهم وَبَوائقهم، فإن كان أمر هؤلاء القوم ظاهرا فاحبسهم في السجون، وأجر على كل امرئ منهم في كل شهر خمسة دراهم وكساءا[3] وقميصا[4] في الشتاء وإزارا[5] ورداءا[6] في الصيف"[7].

يتضح من هذا النص أوامر الخليفة عمر بن عبد العزيز لوالي الكوفة بضرورة تخفيف القيود التي جعلت على المساجين لثقلها بحيث تمنعهم الصلاة قياما كما ينبغي لها أن تكون، وفي تعقيبه على كتاب بعث به إليه عبد الحميد يخبره فيه عن الفساق والمفسدين المنتشرين بإقليم الكوفة وضرورة

---

(1) – جعفر بن بُرقان الكلابي: أبو عبد الله الجزري الرَّقي، كان يسكن الرقة، كان ثقة صدوقا له رواية وفقه وفتوى، توفي سنة 154هـ/770م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج5، ص11–18.

(2) – القاضي أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص150.

(3) – الكساء عند العرب لا يدل على نوع من الثياب بعينه وإنما هو اسم جامع لكل ما يُلبس، وفي بلاد المغرب تحمل كلمة كساء معنى معين من الثياب المخصص للرجال يشبه العباءة في مصر، ويقابله الحايك أو الحيك وهو عباءة النساء، فالحايك للنساء والعباءة للرجال. رجب عبد الجواد ابراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص425، 426.

(4) – القميص: ثوب مخيط بكمين يلبس تحت الثياب ولا يكون إلا من قطن أو كتان أو صوف. **نفسه**، ص404.

(5) – الازار: حسب راينهارت دوزي فقد استعملت هذه الكلمة في العهود الاسلامية الاولى لتعني ثوبا بصورة عامة مهما كان شكل هذا الثوب، وقد يشير معناها إلى الرداء، وقد ذكر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ترك يوم وفاته فيما ترك إزارا عمانيا، ولهذا يمكن أن يكون الإزار عماني الأصل. دوزي: **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ص34.

(6) – الرداء: ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة، والرداء: الثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم. رجب عبد الجواد ابراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص194.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص184، 185.

سجنهم لتحييدهم وحماية الناس من ظلمهم وفسادهم، فرد عليه الخليفة بضرورة حبسهم إدا استفحل خطرهم وضاق الناس ذرعا بهم.

د- ضرورة المراقبة الدورية للمساجين: حث الخليفة عمر بن عبد العزيز على ضرورة تفقد المساجين دوريا، وهذا ما يتضح من كتابه إلى واليه على المدينة أبا بكر عمرو بن حزم، حيث أمره بأن يعرض المساجين كل سبت ويتفقد أحوالهم مع ضرورة الاستيثاق من المفسدين والمجرمين وتشديد الحراسة عليهم[1].

هـ- تحديد نفقة للمساجين والاعتناء بمأكلهم وملبسهم: ترد في هذا الصدد عدة توصيات من الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عماله للقيام بصرف نفقة معينة من قبله على المساجين وكسوتهم بلباسين سنويا؛ لباس للصيف ولباس للشتاء، أما مصدر تمويل هذه النفقات المصروفة على المساجين فهو مال الصدقة المحمول إلى بيت مال المسلمين، وترجع هذه السياسة الى عهد الخليفة علي بن أبي طالب الذي كان يأمر بحبس الرجل المفسد والفاسق ويصرف عليه خلال مدة سجنه من ماله إن كان موسرا، وإن لن لم يكن كذلك أنفق عليه من بيت مال المسلمين نظير كفايتهم شروره[2].

وتتضح إجراءات الخليفة عمر بن عبد العزيز في هذا الشأن من خلال الكتب التي سبق لنا ذكرها والتي بعث بها إلى كل من عدي بن أرطأة واليه على البصرة، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب واليه على الكوفة، وكتابه إلى أبي بكر عمر بن حزم واليه على المدينة[3]، ونجد مثل هذه التوصيات في كتابه إلى أهل الجزيرة أيضا. وبهذا فإن إرسال الخليفة عمر بهذه الكتب إلى ولاته دليل على أن سياسته كانت شاملة لجميع أقاليم الدولة الاسلامية التي يبدو أن مظاهر الفساد والتعدي على حقوق المساجين كانت مستفحلة كثيرا في جميع أرجائها.

وفي تعليقه على الاجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن عبد العزيز لإصلاح واقع السجون

---

[1] – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص349.

[2] – القاضي أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص150.

[3] – في رواية أخرى لكتاب الخليفة عمر إلى والي المدينة يذكر ابن سعد: "أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا موسى بن عبيدة قال: كتب عمر بن عبد العزيز أن يُنظر في أمر السجون، ويستوثق من أهل الذعارات، وكتب لهم برزق الصيف والشتاء. قال موسى: فرأيتهم يُرزقون عندنا شهرا بشهر ويكسون كسوة في الشتاء وكسوة في الصيف". **أنظر**: ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص349.

والسجناء يرى محمد فرقاني أن هذه الاصلاحات كانت لصالح السجناء بتحسين أحوالهم، وإصلاح واقع السجون، بحيث لا تكون مكانا للنقمة، وإنما مكانا لإصلاح حال من لم يحترم حقوق الآخرين، وبالتالي حتى لا يصبح السجن مكانا لظهور الأفكار والممارسات الموبوءة، ويظهر ذلك جليا في حثه لولاته على الاهتمام بإقامة الصلاة من قبل السجناء باعتبارها تدعم رصيدهم النفسي في التربية الصحيحة والتوجيه السليم[1].

لكنه عاد ليؤكد أن هذه الاصلاحات التي قام بها الخليفة عمر لم يلبث أن تم التخلي عنها من قبل من جاء بعده من الخلفاء –على غرار بقية الاصلاحات الأخرى التي قام بها– وبالتالي عادت مظاهر الفساد والظلم والقهر إلى السجون الأموية كما كانت من قبل[2]، وهكذا فإن السياسة الإصلاحية للخليفة عمر لم يُقدَّر لها الاستمرار بسبب قصور من جاء بعده من الخلفاء عن استيعاب مشاكل الخلافة الأموية وضرورة تجنب الأخطاء التي وقع فيها الخلفاء الأوائل، وهي الأخطاء التي ارتكبها مجددا الخلفاء المتأخرون والتي أدت إلى نقمة الناس عليهم وثورتهم ضدهم.

لكن ما يجب الاشارة إليه أن الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يكن مجددا تمام التجديد في سياسته الاصلاحية لقطاع السجون؛ بل كانت بعض الاجراءات التي اتخذها إعادة بعث وإحياء لسياسة كانت موجودة من قبل وتحديدا منذ عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يؤكد هذا ما نقله القاضي أبو يوسف في كتابه "الخراج" حيث قال موجها كلامه إلى الخليفة هارون الرشيد: "ولم تزل الخلفاء يا أمير المؤمنين تجري على أهل السجون ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وكسوتهم الشتاء والصيف، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالعراق، ثم فعله معاوية بالشام، ثم فعل ذلك الخلفاء من بعده"[3].

وبهذا فإن الخليفة عمر كان يسير في هذه النقطة وفق سياسة مستمرة منذ عهد الخليفة علي بن أبي طالب، رغم أن المصادر لم تشر إلى ذلك أبدا –فيما اطلعنا عليه– سواء في عهد الخلفاء السابقين لعهد الخليفة عمر أو في عهد من جاؤوا بعهده، لكن سياسته الاصلاحية ستكون مرجعا للتوجيهات والنصائح التي وجهها القاضي أبو يوسف للخليفة هارون الرشيد بضرورة إحداث

---

[1] – **رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز**، ج3، ص274، 275.

[2] – **نفسه**، ج3، ص275.

[3] – **كتاب الخراج**، ص149، 150.

إصلاحات جوهرية في قطاع السجون على غرار ما قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز[1].

رابعا: تسيير السجون

1- مكان السجن

انتشرت السجون في العهد الأموي على امتداد رقعة الدولة الأموية ولم تقتصر وظيفة السجن كما أشرنا إلى ذلك سابقا على الجانب التأديبي وإعاقة حركة العناصر الفاسدة في المجتمع فحسب؛ بل تعدتها إلى أن أصبح السجن مكانا لتعذيب المعارضين السياسيين والثوار وحتى عامة الناس بشكل يوحي بتحوله عن الهدف التأديبي لإنشائه إلى مؤسسة يحكمها مزاج الحكام ونزواتهم، لهذا نجد إشارة للسجون ضمن كثير من الحواضر الاسلامية وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

مكان السجن	المصدر
دمشق	طيفور: **بلاغات النساء**، ص64. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج15، ص81.
الكوفة	البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص184، 185. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص198.
البصرة	المبرد: **الكامل**، ج1، ص152. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8،ص150.
واسط(الديماس)	البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص372. التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص260. ابن أبي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، 41، 42.
مكة	عبد الرزاق الصنعاني: **المصنف**، ج5، ص148. الأزرقي: **أخبار مكة**، ص904. الفاكهي: **أخبار مكة**، ج3، ص340.
المدينة	البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص257.
نجران	ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص270.
اليمامة	الأصفهاني: **الأغاني**، ج10، ص249.

[1] – **نفسه**، ص149-151. محمد فرقاني: **رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز**، ج3، ص275، 276.

مرو	الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص606. ج7، ص288، 289.
بلاد الجزيرة الفراتية	أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص150. محمد فرقاني: **رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز**، ج3، ص272، 273.
حران	البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص165. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص436، 437. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج77، ص208.
الحيرة	البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص102. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص254.
عَمَّان	الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص262.
الأهواز	مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص66. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج32، ص304.
	البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص294.
حلب	الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص294، 295.
همدان	ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج1، ص106، 116.
مصر	

_ جدول يوضح توزع السجون الأموية.

إذا كنا نجد في المصادر إشارة إلى العديد من السجون الأموية فإننا لا نعثر على تفاصيل دقيقة حول طبيعة هذه السجون وهندستها، وقد اختلف مكان السجن بين الحبس في السجون العادية ، أو البيوت وغرف قصر الخلافة أو دور الامارة، أو الحصون:

1-1- سجن مكة:

يبدو من الروايات التاريخية أن أول من استحدث هذا السجن هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث ابتاع نافع بن عبد الحارث عامله على مكة دار صفوان بن أمية الجمحي بثلاثة آلاف أو أربعة آلاف درهم ثم حولها إلى سجن، وقد استمر استعمال هذا السجن في العصر

الأموي[1].

وفي عهد خلافة عبد الله بن الزبير برز اسم "سجن عارم"[2] في مكة، ويصفه المسعودي بقوله: "هو حبس موحش مظلم"[3] وتختلف الأخبار فيما إذا كان سجن مكة الذي استحدثه عمر بن الخطاب هو نفسه سجن عارم، و"عارم" هذا هو غلام لمصعب بن عبد الرحمن بن عوف اسمه "زيد" ولقبه "عارم"[4]، وكان هذا الغلام قد خرج من المدينة مع عمرو بن الزبير لحرب عبد الله بن الزبير في مكة فأسر وحُبس[5].

وحسب رواية المدائني فإن عارم هذا "بُني له بناء في ذراعين وأقيم فيه، وكان ذلك البناء في السجن، فسمي سجن عارم"[6]، وإذا كانت رواية المدائني عند البلاذري لا توضح من قام بحبس "زيد عارم" تحديدا هل هو مولاه مصعب أم عبد الله بن الزبير فإن رواية الفاكهي تؤكد(يستخدم عبارة: وإنما سمي فيما يقولون) أن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف هو من قام بحبسه في سجن مكة عقابا له[7]، وبعدها قام عبد الله بن الزبير "...فأقامه قائما ثم بنى عليه ذراعا في ذراع، ثم شدَّ عليه البناء، فمات عارم فيه، فسمي سجن عارم"[8].

ما يُفهم من هذه الأخبار أن سجن مكة الذي كان منشأه دار صفوان بن أمية الجمحي في

---

(1) – الأزرقي: **أخبار مكة**، ج2، ص904. البخاري: **صحيح البخاري**، ص584. (كتاب الخصومات، باب الربط والحبس في الحرم). ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص66. ابن حجر: **فتح الباري**، ج5، ص76.

(2) – الفاكهي: **أخبار مكة**، ج3، ص341. يذهب **ياقوت الحموي** إلى الظن بأن سجن عارم يقع بالطائف، وتبعه في ذلك **القزويني** الذي جزم بأنه يقع بالطائف أيضا وأن الناس يزورونه ويتبركون به خاصة الشيعة لأنه مكان حبس فيه محمد بن الحنفية، وواضح أنهما واهمان في ذلك لأن المصادر المتقدمة أشارت إلى حبس محمد بن الحنفية في مكة وليس الطائف. يُنظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص66. القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، ص98.

(3) – المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص85.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص331. الفاكهي: **أخبار مكة**، ج3، ص341.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص331. الفاكهي: **أخبار مكة**، ج3، ص341. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص11.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص331.

(7) – الفاكهي: **أخبار مكة**، ج3، ص341.

(8) – **نفس المصدر والصفحة**.

عهد عمر بن الخطاب هو نفسه سجن عارم، حيث أن كلا الروايتين تذكران أنه حبس في سجن مكة ثم اتخذ له بناء داخله فمات فيه وعندها أخذ السجن تسمية "سجن عارم".

غير أن الفاكهي يعود ويؤكد مستطردا: "ويقال: بل سجن عارم في دبر دار الندوة، وهو أصح القولين عند أهل مكة، وكان سجن ابن الزبير رضي الله عنهما في خلافته بمكة"[1]، واعتمادا على هذه الرواية -إن صحت- فإن سجن عارم هو سجن مستقل تماما عن سجن مكة الأصلي وهو مستحدث من قبل عبد الله بن الزبير ليكون سجنا لمعارضي خلافته، لكن السؤال المطروح هو لماذا يتخذ ابن الزبير سجنا ثانيا مع وجود سجن مكة الأصلي؟ بالنظر إلى أبرز من سجن في سجن ابن الزبير وهو محمد بن الحنفية الذي رفض مبايعته خليفة[2]، فإن ما أميل إليه أن ابن الزبير اتخذ هذا السجن الجديد ليكون أعداؤه قريبين منه وتحت مراقبته الشخصية، ومنيعا أشد المنع باعتباره يقع خلف دار الندوة في قلب مكة، وأن استعماله انتهى بمقتل ابن الزبير ولهذا خبى ذكره مباشرة في المصادر التاريخية.

وحسب Sean W. Anthony فإن الغموض المحيط بسجن عارم يتعلق بالانقطاع المفاجئ في أخباره بعد مقتل ابن الزبير مباشرة سنة 73هـ/692م، حيث يرد الاشارة إلى سجن مكة في المصادر التاريخية لكن دون الاشارة إلى سجن واحد يُسمى "سجن عارم"، ولهذا من الممكن -حسبه- أن يكون السجن توقف عن الظهور تحت نفس الاسم، أو أن مبنى السجن لم ينج من الحصار الوحشي الذي مارسه الحجاج ضد مكة حين قتال ابن الزبير[3].

1-2- الديماس:

هو سجن بناه الحجاج بن يوسف والي العراق لما استحدث مدينة واسط، وهو يقع في الجانب

---

(1) - **نفس المصدر والصفحة**.

(2) - **نفس المصدر والصفحة**. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص66. يذكر البلاذري والطبري أن ابن الزبير حبس محمد بن الحنفية لما رفض مبايعته خليفة بزمزم ومعه أهل بيته وأصحابه سنة 66هـ/685م، غير أنهما لا يشيران إلى سجن عارم تحديدا. **أنظر: أنساب الأشراف**، ج3، 474. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص76.

(3) - Sean W. Anthony: **The Meccan Prison of ʿAbdallāh b. al-Zubayr and the Imprisonment of Muḥammad b. al-Ḥanafiyya,** p23.

الغربي من المدينة[1]، وحسب ابن منظور فإن الديماس هو: "...السَّرَب؛ ومنه يقال دمسته أي قبرته...دمسته في الأرض دمسا إذا دفنته حيا كان أو ميتا، وكان لبعض الملوك حبس سماه دَيْماسا لظلمته، والديماس: سجن الحجاج بن يوسف، سمي به على التشبيه...وسمي بذلك لظلمته"[2].

أما البكري فيرجع تسمية سجن واسط بالديماس لضيقه وتشبيها له بالقبر[3]، وبهذا يكون ديماس الحجاج مكانا شبيها بالقبر في ضيقه وظلمته وسوء حال المساجين به.

ويوافق هذا التعريف اللغوي ما ذكره أحد الباحثين حول معنى لفظ "دامس" عند الساميين؛ وهو يعني شديد الظلام، وهذا اللفظ مأخوذ من الأصل "ديموسيون"(dimosion)، أي السجن، "وكانت عادتهم أن يجعلوه جُبا مظلما في بطن الأرض، واستعمل العرب لفظة الديماس للمكان العميق الذي لا يدخله النور"[4].

وحسب ابن سعد فإن المساجين في هذا السجن لم يكن لهم أي حماية من الشمس أو البرد[5]، ويوافقه في هذا المسعودي الذي يصفه بأنه كان "حائرا[6] لا شيء فيه يَكِنُهم فيه من حر ولا برد"[7]، وما يفهم من وصف ابن سعد والمسعودي أن هذا السجن كان كالمحتشد حيث يجمع فيه المساجين دون أن يكون هناك بناء يَقيهم من حر الصيف وبرد الشتاء، وهذا في الواقع بعيد عن التصديق، إذ هناك إشارات كثيرة إلى بناء السجن وغرفه وشدة الحراسة به[8].

---

(1) – ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص544. بحشل: **تاريخ واسط**، ص24.

(2) – **لسان العرب**، ج6، ص88.(مادة دمس)

(3) – **معجم ما استعجم**، ج4، ص1411، 1412.

(4) – حسن ظاظا: **الساميون ولغاتهم**، ص131.

(5) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص408.

(6) – الحائر: "حوض يسيب إليه مسيل ماء من الأمطار...وقيل الحائر المكان المطمئن يجتمع فيه الماء فيتحير لا يخرج منه". الزبيدي: **تاج العروس**، ج11، ص116.(مادة: ح ي ر).

(7) – **التنبيه والاشراف**، ص318. نجد نفس الوصف تقريبا عند ابن نباتة لسجن الحجاج فيقول: "وكان حبسه بغير سقف ولا ظل، صيفا وشتاءا، وليس فيه مستراح، والناس بعضهم على بعض". **سرح العيون**، ص180. وفي هذا الوصف مبالغة واضحة في رسم صورة سلبية للحجاج بن يوسف واظهاره بمظهر الوالي عديم الرحمة والذي لا يتورع عن القيام بأي فعل.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص372. التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص260، 261. يصفه جحدر اللص مشيرا إلى شدة الحراسة به: وأطلقتني من الأصفاد مخرجة من هول سجن شديد البأس ذي رصد
ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص544.

كما أن إبقاء المساجين في مساحات مفتوحة كالمحتشدات يجعل من المستحيل ضبطهم ومنعهم من الهرب، لكن يمكن القول أن هذا السجن مكون من قسمين: الأول هو القسم المبني وهو مكون من غرف خاصة بالمساجين وهي غرف ضيقة ومظلمة ونتنة مع سوء تهويتها واكتظاظها بالمساجين، إضافة إلى غرف خاصة بالحراس، ومخزن للأسلحة ولوازم السجن، وحتى مكان لإعداد الطعام للمساجين، أما القسم الثاني من السجن فهو الساحة المحيطة بالبناء وهي التي أشار إليها كل من ابن سعد والمسعودي ويبدو أنها كانت مكانا محاطا بالأسوار والحراس لمنع أي محاولة للهروب من قبل المساجين.

1-3- قصر الخضراء:

كان قصر الخضراء مقر الخليفة الأموي في دمشق منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، وكان الخلفاء يتخذون في بعض الأحيان من غرفه مكانا لسجن من لم يرضوا عنه وتحديدا من أفراد البيت الأموي، فالوليد بن عبد الملك حبس عمر بن عبد العزيز في أحد بيوت هذا القصر لما غضب عليه[1]، ولما قتل الوليد بن يزيد حبس ابناه الحكم وعثمان في قصر الخضراء أيضا[2].

1-4- قصر الامارة:

إلى جانب بعض الخلفاء الذين حبسوا بعضا من معارضيهم في بيوت قصر الخلافة كانت بعض قصور الامارة مكانا لحبس المعارضين أيضا، فقد حبس عبيد الله بن زياد والي العراق للخليفة يزيد بن معاوية هانئ بن عروة المرادي في أحد بيوت قصر الامارة في الكوفة بسبب إيوائه لمسلم بن عقيل بن أبي طالب[3].

1-5- الحصون:

يرد ذكر الحصون كمكان للسجن لما سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب بن أبي

---

(1) – ابن الجوزي : **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز**، ص285. البيهقي: **المحاسن والمساوئ**، ج2، ص136.

(2) – الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص55.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص361. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص67.

صفرة في حصن حلب[1].

1-6- القُهُنْدُز(القَهَنْدَزْ):

يُعرِّف ياقوت الحموي(ت626هـ/1228م) القُهُنْدُز فيقول: "هو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قُهُنْدُز وهو تعريب كُهندِز معناه القلعة العتيقة...اختص بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة، وهو في مواضع كثيرة منها: قهندز سمرقند، وقهندز بخارى، وقهندز بلخ[2]، وقهندز مرو[3]، وقهندز نيسابور[4]، وفي مواضع كثيرة"[5].

أما ابن الأثير(ت630هـ) فيعرفه بأنه "المدينة الداخلة المسورة"[6]، وما يفهم من هذين التعريفين أن القهندز يطلق في لغة أهل خراسان وما وراء النهر على القلاع والحصون المركزية التي تقع في قلب المدن الكبرى فقط، ولا تطلق هذه التسمية على القلاع المنفردة خارج المدن، ويوجد مثل هذه القلاع في عدة مدن رئيسية في إقليم فارس وما وراء النهر على غرار مرو وبلخ وسمرقند وبخارى ونيسابور ومواضع عديدة غيرها.

ومن الذين حبسوا في القهندز جماعة ممن تولوا الأعمال ليزيد بن المهلب، حيث حبسهم سعيد بن عبد العزيز (سعيد خدينة) والي خراسان في قهندز مرو[7]، كما حبس عمر بن هبيرة والي العراق ليزيد بن عبد الملك عامله على خراسان سعيد بن عمرو الحرشي في هذا السجن[8]، كما

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص294.

(2) – بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص479.

(3) – مرو: مدينة فارسية، ولعل النص يشير الى مرو الشاهجان وهي أكثر شهرة من مرو الروذ. البكري: **معجم ما استعجم**، ج4، ص1216، 1217.

(4) – نيسابور: مدينة فارسية تقع بإقليم خراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص330.

(5) – **معجم البلدان**، ج4، ص419. يُنظر أيضا: الزبيدي: **تاج العروس**، ج15، ص293. (مادة قهندز).

(6) – ابن الاثير: **اللباب في تهذيب الأنساب**، ج3، ص13، 14. (مادة القهندزي).

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص606.

(8) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص245، 246.

حبس نصر بن سيار والي خراسان جديع بن علي الكرماني في قهندز مرو أيضا.[1]

1-7- سجون أخرى:

يرد ذكر بعض الاصناف الاخرى من السجون ومنها:

- **المُخَيَّسْ**: هو السجن الذي بناه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة وقد استمر استخدامه في العصر الأموي، وممن سُجن فيه الشاعر الفرزدق وذلك في ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق[2]، وحسب وصف الشاعر فإن المساجين يوضعون في أماكن كالحفر تمنع السجين من الخروج والهرب[3].

- **سجن ابن سباع**: سجن بالمدينة المنورة، كان في الأصل دارا لعبد الله بن سباع بن عبد العزى الخزاعي، وكان سباع هذا قد قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غزوة أحد[4]. ولا توضح المصادر متى اتخذت هذه الدار سجنا ولعل ذلك حصل زمن الأمويين وبشكل مؤقت.

- **دار بلال بن أبي بردة**: لما ولي يوسف بن عمر الثقفي العراق لهشام بن عبد الملك خلفا لخالد بن عبد الله القسري صادر دار بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بالكوفة وحولها إلى سجن[5]، والراجح أنه كان سجنا مؤقتا؛ ذلك أن الكوفة كان يتواجد بها سجن منذ خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان يعرف بـ "المخيس".

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص288، 289.

(2) – **ديوان الفرزدق**، 567. يقول الفرزدق مستعطفا مالك بن المنذر بن الجارود لما سجنه في المخيس:

فهل يخرجني منذر من مخيس وعُذرٌ به لي صوته يتكلم

(3) – يصف الفرزدق مكان سجنه فيقول: تدارَكَني من هوة كان قعرها ثمانين باعا للطويل العَشَنَّق

إذا ما ترامت بامرئ مُشرِفاتها إلى قعرها لم يدر من أين يرتقي

أنظر: **ديوان الفرزدق**، ص159.

ويؤيد هذا الوصف ما ذكره جحدر اللص في وصفه حيث يُسميه "البيضاء"، ويشير إلى هندسته المشابهة للحفر فيقول:

كأن ساكنها من قعرها أبدا لدى الخروج كمُنْتاش من النار

أنظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص530.

(4) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص69، 70. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص193.

(5) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص324. صالح أحمد العلي: **الكوفة وأهلها في صدر الاسلام**، ص86.

- **قصر المسيرين:** كان لعبد الرحمن بن زياد بن أبيه، وقد حبس فيه الحجاج بن يوسف عيال من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[1]، ومن غير الواضح أين يقع تحديدا ولعله بإقليم العراق.

2- مدة السجن

لا تفيدنا المادة الخبرية التي بين أيدينا كثيرا في هذا الجانب، ذلك أن المصادر غالبا ما تغفل ذكر المدة التي قضاها المحكومون بالسجن، إذ تشير إلى الأمر بحبس المتهم من قبل الخليفة أو الوالي دون تحديد لمدة حبسه، والملاحظ أيضا اختلاف مدة السجن فهي قد تكون لأيام قليلة أو قد تصل لسنوات عديدة، ويبدو أنه كان للولاة سلطات واسعة في الحكم بالسجن خاصة على المعارضين للحكم الأموي وتحديد مدة السجن دون الرجوع إلى الخليفة أو الأخذ بأحكام القضاء الذي تم تغييبه تماما في ما يخص الحكم على المعارضين والخارجين على الأمويين وحتى مراقبة الأحكام الصادرة وحقوق المساجين وظروف سجنهم.

كانت فترات السجن خلال العهد الأموي تتراوح بين القصيرة جدا والمتوسطة والطويلة نسبيا، فالخليفة معاوية بن أبي سفيان حبس آمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي مدة سنتين[2]، كما حبس كريم بن عفيف الخثعمي وهو من أصحاب حجر بن عدي مدة شهر[3]، كما حبس زياد بن أبيه في ولايته على العراق عَمَّيْن للفرزدق أياما[4]، والرواية لا تحدد عددها ولعلها لا تتعدى الأسبوع أو الأسبوعين.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان حبس يحي بن سعيد بن العاص بعد قتل أخيه عمرو ابن سعيد مدة أربعين يوما ثم أطلقه[5]، وبعد نهاية ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (83هـ/ 702هـ) أمر الحجاج بحبس إبراهيم التيمي، وقد كانت مدة حبسه طويلة، حيث دامت سنوات

---

(1) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص391.

(2) - طيفور: **بلاغات النساء**، ص64.

(3) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص267. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص276.

(4) - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص242.

(5) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص260. يذكر الطبري أنه حبسه مدة شهر أو أكثر. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص146.

عديدة حتى وفاته في السجن سنة92هـ/710م[1] أو94هـ/712م[2]ولا يُعلم تحديدا متى أمر الحجاج بسجنه، كما أمر الوليد بن عبد الملك بحبس عمر بن عبد العزيز فمكث في محبسه ثلاث أيام لا يدخل عليه أحد[3].

ولما حبس سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري بقي في حبسه عدة أشهر، ولا توضح الرواية مدة حبسه بدقة سوى أنه حبس بعد سبعة أو ثمانية أشهر من خلافة سليمان وأطلق سنة97هـ/715م[4]، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ظل يزيد بن المهلب في محبسه طيلة مدة خلافته (99-101هـ/717-719م)[5].

وبعد عزل هشام بن عبد الملك لخالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق حبس يوسف بن عمر خالد في سجن واسط مدة ثم نقله إلى الحيرة حيث ظل محبوسا بها مدة ثمانية عشر شهرا[6]، كما حبس واليه على المدينة محمد بن هشام المخزومي الشاعر عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجي مدة تسع سنين[7]، وهي من أطول الفترات التي تم الاشارة إليها في المصادر، وقد ظل في حبسه حتى مات. وفي خلافة الوليد بن يزيد حبس سليمان بن هشام بن عبد الملك طيلة مدة خلافته(125-126/742-743م)[8].

ولما تولى يزيد بن الوليد الخلافة أمر بحبس يوسف بن عمر الثقفي فظل في حبسه مدة خلافته (126هـ/743م) وشهرين وعشرة أيام من خلافة أخيه إبراهيم بن الوليد(126-127هـ/743-744م)[9]، كما ظل الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد في محبسهما مدة خلافته وخلافة أخيه

---

(1) – المزي: **تهذيب الكمال**، ج2، ص233.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج11، ص279.

(3) – ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص285. البيهقي: **المحاسن والمساوئ**، ج2، ص164.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص76، 78.

(5) – **نفسه**، ج8، ص294.

(6) – **نفسه**، ج9، ص102. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص254.

(7) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج1، ص264.

(8) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص231، 232، 262.

(9) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص118. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص274.

ابراهيم حتى قتلا قبل وصول مروان بن محمد إلى دمشق سنة127هـ/744م[1]، وهي نفس المدة التي قضاها زياد بن عبد الله الأسوار قبل أن يطلق سراحه مروان بن محمد[2]. وفي سنة 126هـ / 743م حبس نصر بن سيار جديع بن علي الكرماني مدة تسع وعشرين يوما[3].

وقد تستمر مدة حبس الشخص مادام الآمر بحبسه متوليا لمنصبه على غرار كل من سعيد بن هشام بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك، حيث استمر حبسهم مدة خمس سنوات أي طيلة خلافة مروان بن محمد (127-132هـ/744-749م)[4].

أخيرا، ما يلاحظ أن مدة السجن لا تخضع لاعتبارات الشريعة وأحكام القضاء وإنما تخضع لهوى الخليفة أو الوالي ونوعية الجرم المقترف، وهنا نتساءل عن دور القضاة في رد مثل هذه المظالم التي يتعرض لها السجناء ومدى التزام الحكام بتعاليم الشريعة في هذا الجانب؟ حقيقة المصادر لا تشير إلى تدخل القضاة في أحكام السجن التي يصدرها الخلفاء أو الولاة خاصة فيما يتعلق بسجن المعارضين السياسيين والثوار، ومن الواضح أنه كانت هناك تجاوزات كثيرة في هذا الجانب وهذا ما دفع الخليفة عمر بن العزيز إلى تنبيه عماله إلى ضرورة تفقد المساجين والتثبت من الأحكام الصادرة في حقهم ومطابقتها لتعاليم الاسلام.

3- الخروج من السجن:

3-1- إطلاق السراح:

كانت عمليات اطلاق سراح المساجين –المعارضين والثوار تحديدا- تخضع لاعتبارات عديدة وتقف وراءها عدة أسباب أهمها الشفاعة والتدخل لصالح السجين، وتغير السلطة، والعفو الصادر من قبل الخليفة أو الوالي.

---

(1) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج57، ص329.

(2) – **نفسه**، ج19، ص153.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص288.

(4) – **نفسه**، ج7، ص436، ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج22، ص451. ج26، ص448.

3-1-1- الشفاعة والتدخل لصالح السجين:

شكّل هذا العامل دورا كبيرا في عفو السلطة على المعارضين والثوار والسماح بإطلاق سراحهم محاولة منها لكسب جانبهم أو لنفوذ العناصر التي تدخلت من أجلهم وهم في الغالب من وجهاء الدولة وزعماء القبائل، مثال ذلك أن معاوية بن أبي سفيان حبس شهاب بن الحصين الحارثي بدمشق ثم أطلقه بعد أن مشى في أمره شريح بن هانئ المرادي[1]. كما تدخّل ابن عم لكريم بن عفيف الخثعمي – كان من أصحاب حجر بن عدي وحبس معه– فاستوهبه من معاوية فوهبه له[2].

ولما حبس زياد بن أبيه والي العراق لمعاوية عامله نافع بن خالد الطاحي"(تولى هراة وباذغيس وقادس وبوشنج) مشى رجال من وجوه الأزد إلى زياد فكلموه فيه فأطلقه[3]. كما أطلق زياد أيضا عمين للفرزدق بعد أن حبسهما بجريرة هذا الأخير، لما كُلِّم فيهما[4].

وقد يكون إطلاق سراح الشخص بسبب تدخل أحد أفراد عائلته لدى الوالي، مثل "قيس بن الهيثم" عامل خراسان الذي حبسه عبد الله بن عامر والي البصرة للخليفة معاوية؛ حيث كلمته والدته فيه فأطلق سراحه[5]. ولما سجن الوليد بن عبد الملك أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية كلمه فيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأطلق سراحه[6].

وفي عهد ولاية عبيد الله بن زياد على العراق والذي عرف بشدته وقسوته في التعامل مع المعارضين للحكم الأموي وخاصة الخوارج، حيث زج بالكثيرين في السجن منهم أبا بلال مرداس بن أدية الذي كان من كبار رجالات الخوارج فَهَمَّ بقتله ثم كُلِّم فيه فصفح عنه وخلى سبيله[7]. ولما قبض عبيد الله بن زياد على الشاعر يزيد بن مفرغ وحبسه قام "وجوه أهل الشام كلموا معاوية في أمر ابن مفرغ، لليمانية، وقالوا: شاعرنا وقد تعدى عليه ابن زياد وفضحه...فكتب معاوية بإطلاقه

---

(1) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 431، 432.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص267. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص276.

(3) – الطبري، **تاريخ الطبري**، ج5، ص225، 226.

(4) – **نفسه**: ج5، ص242.

(5) – **نفسه**، ج5، ص209، 210.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص465، 466. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج19، 376.

(7) – **نفسه** ج5، ص190. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص313.

فأطلقه ابن زياد"[1].

أما صاحب كتاب الأغاني فيذكر أن يزيد بن مفرغ بعث رسولا إلى دمشق فقرأ أبياتا شعرية في جامع دمشق، فأدى ذلك إلى إثارة حمية القبائل اليمانية وغضبوا له، ثم إنهم "...دخلوا على معاوية فسألوه فيه فدفعهم عنه، فقاموا غضابا، وعرف معاوية ذلك في وجوههم فردهم، ووهبه لهم، ووجه رجلا من بني أسد...بريدا إلى عباد، وكتب له عهدا، وأمره أن يبدأ بالسجن فيُخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قدم فيغتاله، ففعل ذلك به"[2]، وإن صحت هذه الرواية فإن فيها إشارة إلى قيام بعض العمال بالتخلص من أعدائهم دون الرجوع للخليفة ودون أي اعتبار لأحكام الشرع في قتل النفس.

ولما حبس عبد الملك بن مروان سعيد بن يحي بن سعيد بن العاص بعد قتل عمرو بن سعيد الاشدق أطلقه بعد أن أشار عليه بذلك عبد الله بن مسعدة الفزاري[3]. وفي عهد الوليد بن عبد الملك لما شفع سليمان بن عبد الملك في آل المهلب بعد فرارهم من سجن الحجاج كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بتخلية سبيل من كان من أسباب آل المهلب في سجنه فخلاهم جميعا[4]، كما أطلق سليمان خالد بن عبد الله القسري من حبسه بعد أن شفع فيه المفضل بن المهلب بن أبي صفرة[5].

وفي بعض الحالات وأمام تعنت الولاة يلجأ الشفعاء إلى الخليفة في محاولة فك أسر سجينهم، مثال ذلك أن مروان بن الحكم والي المدينة للخليفة معاوية حبس غلاما في جناية جناها كلمته جدته في أمره فأغلظ لها القول ورفض إطلاق سراحه، فخرجت إلى معاوية بالشام فأخبرته خبرها، فكتب لها كتابا إلى مروان بإخراج الغلام من حبسه[6].

وعندما حبس عبيد الله بن زياد "عبد الله بن الحارث بن نوفل" وبلغ خبره خالاته بنات أبي

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص403

(2) – **الأغاني**، ج18، ص197، 198. **أنظر** أيضا: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج1، ص364.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص68.

(4) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص288.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص76، 77. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص175.

(6) – النهرواني: **الجليس الصالح**، ج4، ص211-213. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج70، ص247-249.

سفيان فكلمن يزيد بن معاوية في أمره فأمر عبيد الله بإخراجه من حبسه وتخلية سبيله[1].ولما سجن عبيد الله بن زياد أيضا المختار بن عبيد الثقفي أطلقه بعد مدة بسبب "كتاب من يزيد بن معاوية يعلمه فيه أن عبد الله بن عمر كتب إليه فيه"[2]، وهكذا فعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما تجاوز عبيد الله بن زياد وراسل الخليفة يزيد بن معاوية مباشرة لإطلاق سراح صهره المختار بن عبيد، وقبول الخليفة يزيد بوساطة عبد الله بن عمر راجع لمكانة هذا الأخير وفضله وتقدير الأمويين له منذ عهد معاوية بن أبي سفيان.

وفي ولاية الحجاج بن يوسف على العراق سجن غضبان بن القبعثرى فكلم "عكرمة بن ربعي[3]" "روح بن زنباع الجذامي"[4] في أمره، فكلم "روح" الخليفة عبد الملك فيه، فكتب بذلك إلى الحجاج فأطلق سراحه[5]. ولما حبس الحجاج زياد بن عمرو العتكي بعث هذا الأخير ابنه إلى الخليفة عبد الملك بالشام وأخبره خبره فكتب عبد الملك للحجاج بإطلاق سراحه[6].

3-1-2- تغير الخليفة:

لم تشر المصادر إلى قيام خليفة جديد بإطلاق سراح السجناء المحبوسين في عهد سابقه إلا في حالة واحدة مع تولي سليمان بن عبد الملك الخلافة سنة96هـ/714م؛ حيث قال لعمر بن عبد العزيز: " إنا قد ولينا ما قد ترى ولم يكن لنا بتدبيره علم فما رأيت من مصلحة العامة فمر به يُكتب"[7]، فكان من ذلك إخراج من كان في سجن العراق[8].

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص412.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص413. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص570، 571.

(3) – عكرمة بن ربعي بن عمير التيمي البصري، كان على شرطة بشر بن مروان حين ولي العراق لعبد الملك بن مروان، يبدو أنه خرج على الحجاج مع عبد الله بن الجارود فقتل. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج41، ص50، 51.

(4) – رَوْح بن زنباع بن سلامة الجذامي الفلسطيني، من أبرز رجالات الدولة الأموية، تولى فلسطين ليزيد بن معاوية، وكان مع مروان يوم مرج راهط، ولازم عبد الملك بن مروان في خلافته وولاه فلسطين، توفي سنة 84هـ. **نفسه**، ج18، ص240-251.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص294

(6) – **نفسه**، ج7، ص334. مراد لكحل: **رسائل الخلفاء الأمويين**، ص195.

(7) – ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج10، ص173.

(8) – **نفس المصدر والصفحة**.

3-1-3- العفو الصادر عن السلطة:

قد يتخذ الخليفة قرارا بإطلاق سراح سجين ما ناقضا بذلك قرار الوالي، مثال ذلك أن الحجاج بن يوسف لما حبس مسمع بن مالك بن مسمع تدخل الخليفة عبد الملك فكتب إلى الحجاج كتابا ينقض فيه قراره وفيه تأنيب ضمني له لحبسه "مسمع بن مالك"؛ نظرا لبلاء أبيه "مالك بن مسمع" إلى جانب الأمويين فقال : "قد كان من بلاء مالك بن مسمع[1] عندنا ما يعفي عن ذنب مسمع ابنه، فخل عنه وولّه سجستان فولاه إياها"[2].

وفي بعض الحالات يتخذ الخليفة الجديد أو الوالي المعين حديثا قرارا بإطلاق سراح أشخاص معينين كانوا في سجن سلفه، من ذلك أنه لما عزل عمر بن هبيرة والي العراق للخليفة يزيد بن عبد الملك سعيد بن عمرو الحرشي عن إمارة خراسان وحبسه سنة105هـ/723م، فأطلقه خالد القسري لما ولي ولاية العراق خلفا لعمر بن هبيرة سنة106هـ/724م[3]، وحين حبس الخليفة يزيد بن الوليد ابن عمه زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أطلق سراحه مروان بن محمد لما تولى الخلافة سنة127هـ/744م[4]. وبعد هزيمته في معركة الزاب أمام جيوش العباسيين اتجه مروان بن محمد صوب حران فخلى سبيل أبي محمد السفياني وبعض من كان في الحبس من المساجين[5].

3-2- الفرار من السجن:

لا تذكر المصادر التاريخية أخبارا كثيرة عن عمليات الفرار من السجن في العصر الأموي ويبدو أن ذلك راجع للإجراءات الأمنية المتبعة داخل هذه السجون والتي تتميز بالشدة، إضافة إلى حصانة السجون وإحكام بناءها مما يمنع المساجين من الفرار منها، ورغم ذلك فهناك إشارات إلى بعض عمليات الفرار التي قام بها عدد من المساجين، وهم في الغالب من القادة والولاة السابقين الذين نظموا عمليات فرار من السجن خوفا على حياتهم بعد تأكدهم من المصير المحتوم الذي ينتظرهم

---

(1) – مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب، من بكر بن وائل، وهو من جوه أهل البصرة وهو سيد ربيعة في زمانه، توفي سنة 73هـ/692م أو 74هـ/693م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج56، ص497-499.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص386. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص187.

(3) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص245.

(4) – **نفسه**، ج19، ص153.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص436. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج21، ص319.

وهو الموت في الغالب.

من الذين فروا من السجون الأموية يزيد بن المهلب وأخويه الفضل وعبد الملك حيث تمكنوا من الفرار من سجن الحجاج بن يوسف سنة90هـ/708م، فبعد أن كانوا في سجن واسط حملهم معه إلى رستقباذ لما خرج لقتال الأكراد بها، ولما بلغ رستقباذ جعلهم في حبس في عسكره على شكل خندق وجعلهم في فسطاط ووضع عليهم حرسا من أهل الشام[1]، وتضيف الرواية أن يزيد بن المهلب أمر بالحرس "... فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر بشراب فسقوا فكانوا متشاغلين به، ولبس يزيد ثياب طباخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج...وخرج المفضل على أثر ولم يفطن له"[2]، ثم لحقهم عبد الملك، وساروا صوب بلاد الشام[3].

وعلى الرغم من مسحة الاختلاق والمبالغة في هذه الرواية فإنه يمكن الاستنتاج أن يزيد بن المهلب وأخويه استغلوا طبيعة المكان الذي سجنوا فيه إذ لم يكن سجنا بأتم معنى الكلمة وإنما مجرد حاجز ترابي محروس، فنظموا عملية هروبهم بعد انشغال الحرس بالأكل والشرب الذي تم إعداده من قبل آل المهلب، لكن هذه الرواية لا توضح لنا كيف تمكن آل المهلب من تحضير هذا الطعام وهو في معسكر الحجاج بعيدا عن مدينة واسط، ولا كيفية تمكنهم من الفرار من هذا المعسكر دون أن يلاحظهم أحد.

أما رواية اليعقوبي(284هـ/897م) لهروب يزيد بن المهلب وأخويه من سجن الحجاج فإنه لما حبسهم الحجاج وطالبهم بمبلغ ستة ملايين درهم وعذبهم في ذلك أشد العذاب "فلما رأوا ما هم فيه من العذاب سألوه أن يدخل إليهم التجار حتى يبيعوا أموالهم وضياعهم وصنعوا طعاما كثيرا ودخل إليهم الناس، وخلق من التجار، فأكلوا عندهم في الحبس ثم اختلطوا بغمار الناس وخرجوا معهم...ثم ركب وإخوته نجائب[4]قد كان تم إعدادها ولحق بالشام"[5]. يبدو أن رواية اليعقوبي هي الأقرب للواقع ذلك أنها تصور لنا سبب هروب آل المهلب من سجن الحجاج وكيف استغلوا حالة اجتماع

---

(1) – **تاريخ الطبري**، ج6، ص448.

(2) – **نفسه** ، ج6، ص448، 449.

(3) – **نفسه**، ج6، ص 449.

(4) – النجيب: الفاضل من كل حيوان سواء البعير أو الفرس. ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص748.

(5) – **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص288.

الناس في السجن للاختلاط بهم والافلات من رقابة الحراس المنشغلين بالطعام والشراب.

لم تكن هذه هي عملية الهروب الوحيدة التي قام بها يزيد بن المهلب، فبعد القبض عليه وسجنه من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز في حصن حلب تمكن من الفرار من محبسه مستغلا مرض الخليفة عمر الذي كان في أيامه الأخيرة سنة101هـ/719م، فلما بلغه ذلك "دس إلى عامل حلب مالا وإلى الأحراس(حراس السجن) وقال: قد ثقل عمر فليس يُرجى فلا تشيطوا بدمي فإن يزيد إن ولي لم يَنْظِرني فواقا فأخرجوه فهرب وهم معه قد أعدوا له الدواب فركبها وأمَّ البصرة"[1].

وكان هرب يزيد بن المهلب هذه المرة يرجع إلى خوفه من انتقام يزيد بن عبد الملك منه بعد أن قام بتعذيب آل أبي عقيل الثقفي أصهار يزيد بن عبد الملك وهذا في عهد أخيه سليمان بن عبد الملك الذي كان يكن كرها شديدا للحجاج بن يوسف وآله وقام بعزلهم وتعذيبهم أشد العذاب[2]، ولكن يمكن أن نقول أن هذا ليس السبب الوحيد لغضب يزيد بن عبد الملك على آل المهلب وربما كان لسياسة يزيد بن المهلب وخياناته المتكررة دورا مهما في حنق يزيد بن عبد الملك عليه.

وفي عهد هشام بن عبد الملك هرب عمر بن هبيرة من سجن العراق لما سجنه خالد القسري، وتذكر الرواية أن ابن هبيرة لما سجن وطالت مدة حبسه وعذابه "...جاء مواليه واكتروا دارا بجانب الحبس ثم نقبوا منها سربا[3]إلى الحبس، واكتروا دارا إلى جانب سور المدينة، مدينة واسط، فلما جاءت الليلة التي أرادوا أن يخرجوه فيها من الحبس وقد أفضى النقب إلى الحبس فأخرج في السرب، ثم خرج من الدار يمشي، حتى بلغ الدار التي إلى جانب السور، وقد نقب في السور نقب إلى خارج المدينة، وقد هيأت له خيل فركب وسار"[4].

---

[1] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص294.

[2] – **تاريخ الطبري**، ج6، ص564.

[3] – السرب: حفير تحت الأرض. **نفسه**، ج1، ص466.(مادة: سرب)

[4] – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج2، ص165. ابن ابي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، ص66. تذكر رواية أخرى لعملية فرار عمر بن هبيرة من سجن خالد القسري أنه "أمر مواليه فاستأجروا دارا الى جانب السجن واتخذوا فيها ألف نعجة، فكانوا يحفرون بالليل ثم يفرشونه في الدار فتصبح الشاء قد وطئته بأبوالها...فأتوا عمر بن هبيرة فقام حتى دخل النقب وخرج منه". مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص84. اليمني: **مرآة الجنان**، ج1، ص179. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج19، ص164.

ما يفهم من هذه الرواية فإن عملية هرب عمر بن هبيرة من السجن كانت على مرحلتين، الأولى هي قيام مواليه بكراء دار ملاصقة للسجن وحفرهم نفقا في الأرض أو ثقبا في الحائط إلى داخل السجن فخرج ابن هبيرة من خلاله، أما المرحلة الثانية فهي الانتقال إلى دار أخرى بجانب سور المدينة حيث تم ثقب السور وإعداد خيل له خارج سور المدينة ليتمكن من الفرار نحو وجهته.

مع ذلك فإن هذه الرواية يلفها بعض الغموض خاصة أنه تم تغييب بعض العناصر فيها، مثل كيفية تحديد مكان ابن هبيرة بالضبط، وكيف لم ينتبه الحراس لعملية ثقب الحائط أو حفر النفق للسجن؟، وأيضا كيف تمكن ابن هبيرة من الدخول في النقب دون أن يلاحظه الحراس أو المساجين الآخرين الذين يمكن أن يستغلوا هذا النقب للفرار هم أيضا؟، الراجح –بالنسبة لي– أن عمر بن هبيرة تلقى مساعدة من حراس السجن الذين قدَّم لهم رشوة مقابل تسهيل عملية فراره خاصة أن سجن واسط كان جيد التحصين وشديد الحراسة، إضافة إلى أن مكانة ابن هبيرة تجعله محط مراقبة شديدة داخل السجن.

ولما حبس الكميت الشاعر زارته امراته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف[1]. أما الشاعر ابن الطثرية[2] فإنه جعل لأحد حراس السجن جعلا على أن يتركه يخرج من السجن ليلة واحدة ففعل ذلك لكنه استغل الفرصة وهرب[3]، أما جديع بن علي الكرماني فقد هرب من سجن نصر بن سيار مع غلامه بسام مستغلين ثقبا كان في جدار القهندز، فتم توسعته حتى أمكنهما الخروج منه[4]. كما هرب شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك من سجن مروان بن محمد سنة132هـ/749م مستغلا انشغال هذا الأخير بقتال الثوار العباسيين لكن الرواية لا توضح كيفية هربه[5].

أخيرا، فإن الفارين من السجن كانوا يستجيرون بعد فرارهم منه بأحد وجهاء الدولة خاصة

---

(1) – الجاحظ: **كتاب الحيوان**، ج2، ص364. ابن قتيبة: **عيون الاخبار**، ج1، ص81.

(2) – ابن الطثرية: اسمه يزيد بن سلمة بن سَمُرة بن سلمة من بني عامر بن صعصعة، والطثرية أمه، والطثر حي من اليمن، كان من الشعراء الأمويين المقدمين، قتل في إحدى معارك قومه سنة 126هـ/743م أو 127هـ/744م. الأصفهاني: **الأغاني**، ج8، ص113. **شعر يزيد بن الطثرية**، ص9-11.

(3) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج8، ص122.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص289. في رواية أخرى يذكر الطبري أن غلام الكرماني قام بتوسعة مجرى ماء القهندز فخرجا من خلاله. **نفس المصدر والصفحة**.

(5) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج22، ص451.

أمراء بني أمية مثل يزيد بن المهلب الذي استجار بولي العهد سليمان بن عبد الملك لما هرب من سجن الحجاج في عهد الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-714م) فأجاره سليمان هو وأخويه[1]، أما في هربه الثاني من سجن عمر بن عبد العزيز فإن يزيد بن المهلب اتجه صوب العراق مصمما على الثورة ضد يزيد بن عبد الملك ويبدو أن ذلك راجع لفقدانه أي أمل في النجاة من غضب الخليفة يزيد حال وصوله للخلافة، أما عمر بن هبيرة فقد استجار بمسلمة بن عبد الملك بعد هربه من سجن خالد القسري بالعراق وقد أجاره مسلمة وشفع فيه عند هشام بن عبد الملك[2].

ختاما يتضح مما سبق أن مؤسسة السجن قد عرفت تطورا كبيرا منذ بداية ظهورها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبعد أن كانت مباني سكنية خاصة؛ يُحبَس فيها المجرمون والفساق تطورت لتصبح سجون قائمة بذاتها لها بناءاتها الخاصة وجهازها الاداري الخاص.

أما على صعيد الأصناف فقد غلب عليها أصحاب الجرائم السياسية الذين رأى فيهم الحكام الأمويون خلفاء وولاة خطرا على سلطتهم، فزجّوا بهم في السجن عقابا لهم على معارضتهم، ولم تتوقف عمليات الحبس عند أصحاب الجرائم بمختلف أنواعها فحسب؛ بل امتدت لتشمل المقربين منهم، وهو ما يؤكد تحول السجن عن غايته الأصلية في التأديب والعقاب إلى وسيلة للانتقام والتعذيب الجسدي والنفسي وحتى التصفية الجسدية.

وقد كانت أوضاع هؤلاء المساجين في الغالب سيئة جدا بسبب سياسات الولاة، ورغم المحاولة الاصلاحية التي قام بها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلا أنها كانت عملية مؤقتة انتهت فعاليتها بمجرد وفاة هذا الخليفة.

---

[1] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص450. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص288. ابن خلكان: **وفيات الاعيان**، ج6، ص278، 279.

[2] – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص84، 85.

الفصل الخامس: مشاهد العنف واستباحة الأجساد

أولا- التعذيب

ثانيا- المثلة بالأجساد والجثث

ثالثا- الصلب والتشهير والنفي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: التعذيب

حسب ابن منظور فإن التعذيب قائم على المنع والفطم[1]، ويُعرفه في موضع آخر أنه: النَّكال والعقوبة[2]، وعلى العموم فإن العقوبات تتفاوت في شدتها وأثرها متدرجة من البسيطة إلى القاسية التي يُمكن اعتبارها تعذيبا، وبهذا المعنى فليست كل عقوبة تعذيب، فالتعذيب في حقيقته هو "التسلط على الجسد"[3]، وحسب ميشيل فوكو دائما فإن العقوبة لا يمكن اعتبارها تعذيبا إلا إذا تجاوبت مع ثلاثة معايير رئيسية:

– أولا: لا بد أن تُحدث كمية من الوجع التي إن لم يكن بالإمكان قياسها بدقة فإنه يُمكن تقديرها، بحيث لا تقع عشوائية على جسد المعاقَب، بل تكون محسوبة وفقا لقواعد مفصلة: عدد من جلدات السوط، الكي بالحديد...

– ثانيا: ينبغي أن يُشكل التعذيب جزء من مراسم وطقوس، وهنا لا بد أن يتحقق فيه مطلبين: الأول: هو ترك وسم أو أثر على جسد المعاقَب، والثاني: هو التشهير به وهذه عقوبة معنوية.

– ثالثا: من جهة العدالة التي تفرض التعذيب فإنه يجب أن يكون عامًّا وفي مشهد مُلفت ومَهيب[4].

في هذا المبحث سوف نستعرض مجموعة من أشكال التعذيب التي تعرض لها الأفراد خلال العصر الأموي سواء بالتقييد والتكبيل، أو الضرب والجلد، أو أشكال أخرى متنوعة ومختلفة في طبيعتها وقسوتها اعتمادا على مكانة الشخص، وجُرمه، ومزاج الحاكم أيضا.

---

(1) – **لسان العرب**، ج1، ص584. (مادة: عذب).

(2) – **نفسه**، ص585.

(3) – ميشيل فوكو: **المراقبة والمعاقبة**، ص56.

(4) – **نفسه**، ص71، 72.

1- التقييد والتكبيل

ارتبطت عملية التقييد والتكبيل بالحد من قدرة الأفراد على الحركة وتحديدا الأسرى والمساجين منهم، وقد كانت هذه ظاهرة عامة على مدار التاريخ، وفي العصر الأموي نجد الكثير من الأخبار المتعلقة بتقييد الأفراد بمختلف أنواع القيود منذ تأسيس الدولة الأموية؛ فقد كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبيه واليه على العراق: "أن اطلب لي عبد الله بن هاشم المرقال[1]...فإن ظفرت به فاشدد يده إلى عنقه وألبسه مِدْرعة[2]من صوف، واحمله على قَتب[3]، ووجه به إلي"[4]، فطلبه زياد ولما قبض عليه وجَّه به على حال ما وصف له معاوية، فلم يصل إلى معاوية حتى لَوحته الشمس وغيَّرت لونه، وقد كان عبد الله هذا وأبوه هاشم من أنصار الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة صفين[5].

كما أمر زياد بن أبيه بـ "صَيفي بن فسيل" وهو من رؤوس أصحاب حجر بن عدي فَقُيِّد بالحديد وسجن[6]، ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة خلفاً لأبيه تثاقل عبد الله بن الزبير عن بيعته، فأقسم يزيد ألا يُؤتى بابن الزبير إلا مغلولا، وبعث بجماعة من أشراف الشام إلى عبد الله بن الزبير ومعهم "جامعة[7] من ورق[8] ليؤتى بابن الزبير"[9]، وهذا الاصرار من يزيد بن معاوية على استقدام عبد الله ابن الزبير إليه مقيدا بسلسلة إلى عنقه يعود إلى رغبته في الحط من شأنه وكرامته لتثاقله عن

---

(1) – هو عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، لقب هاشم بالمرقال لأنه كان يرقل في الحرب، أي يسرع وهو ضرب من العدو، الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص44. ابن حجر: **الاصابة**، ج6، ص404.

(2) – المِدْرَع أو المِدْرَعة: هي لباس تحتاني، وقد تشيران إلى الدُرَّاعة وهي كلمة آرامية معربة، أصلها في الآرامية DOURO، ومعناها: جبة مشقوقو المقدم، أو ثوب تحتاني. رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص171.

(3) – القتب: الإكاف (الرحل) الصغير الذي على قدر سنام البعير. الزبيدي: **تاج العروس**، ج3، ص516. (مادة: ق ت ب). ومعنى العبارة أرسله على راحلة ليس لرحلها وطاء. أنظر: جاسر خليل أبو صفية: **برديات قرة بن شريك العبسي**، ص200.

(4) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج33، ص343.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص267.

(7) – الجامعة: الغُلُّ، سميت كذلك لأنها تجمع اليدين إلى العنق. والجمع: جوامع. الزبيدي: **تاج العروس**، ج20، ص443. (مادة: ج م ع).

(8) – الوَرَق: الفضة، كانت مضروبة كالدراهم أو لا. **نفسه**، ج26، ص458. (مادة: و ر ق).

(9) – الفاكهي: **أخبار مكة**، ج2، ص352.

بيعته، ذلك أن "القيد كانت تتجمع فيه المهانة بأقسى معانيها"[1].

وفي ولاية عبيد الله بن زياد على العراق وبعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في الطف سنة61هـ/680م جيء بـ "علي بن الحسين" أسيرا فأمر به عبيد الله بن زياد "فَغُلَّ بِغُلٍّ إلى عنقه"[2]، وبعث به وبآل الحسين إلى يزيد بن معاوية بالشام[3]، كما يذكر صاحب عيون الأخبار أن "جابر بن زيد"[4] أُدخل على عبيد الله بن زياد وهو يرسف[5]في قيوده[6].

ولما قبض عبد الملك على عمرو بن سعيد الأشدق بعد محاولته الثورة عليه أمر به فجعلت في عنقه سلسلة وأوثق بجامعة من فضة[7]، وفي العراق كان عبد الله بن فضالة ممن خرج على الحجاج ابن يوسف مع عبد الله بن الجارود ثم تخفى فأخذ وقيد بالحديد[8]، من جهته أخذ عثمان بن حيان المري والي المدينة جماعة من أهل العراق الذين فروا إليها من بطش الحجاج فحبسهم ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج في العراق، ولم يترك أحدا من أهل العراق بالمدينة إلا أخرجه في جامعة[9].

ولما كان خالد القسري واليا على مكة(93-96هـ/711-714م) أخذ "سعيد بن جبير" و"طلق بن حبيب"[10] و"حبيب بن أبي ثابت"[11] وأصحابهم فقيدوا "فكانوا يطوفون بالبيت في

---

(1) – أحمد مختار البرزة: **الأسر والسجن في شعر العرب**، ص519.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص416.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**. الشيخ المفيد: **الارشاد**، ج2، ص119. يذكر أبو العرب التميمي أنه أدخل على يزيد بن معاوية اثنا عشر غلاما من آل أبي طالب مغللين في الجوامع. **أنظر: المحن**، ص134.

(4) – جابر بن زيد أبو الشعثاء البصري الجوفي: فقيه ومحدث، أصله من الجوف من ناحية عمان، ونزل البصرة، كانت الاباضية تنسبه إليها وكان هو يتبرأ من ذلك، توفي سنة 90هـ/708م. مغلطاي: **إكمال تهذيب الكمال**، ج3، ص121.

(5) – الرسف والرسيف والرسفان: مشي المقيد، وقيل: هو المشي في القيد رويدا، فهو راسف. ابن منظور: **لسان العرب**، ج9، ص118.

(6) – ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج1، ص54.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص59.

(8) – النهرواني: **الجليس الصالح**، ج1، ص465.

(9) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج38، ص343، 344.

(10) – طلق بن حبيب العَنَزي: تابعي من أهل البصرة، تحول إلى مكة، وكان من المرجئة. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج9، ص226.

(11) – حبيب بن أبي ثابت: تابعي من فقهاء الكوفة، توفي عام 120هـ/737م أو 122هـ/739م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص288 -291.

قيودهم"[1]، وكان هؤلاء قد انضموا إلى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وعبد الملك[2]، وبعد توليه الخلافة عزل سليمان بن عبد الملك خالد القسري عن مكة وولى مكانه داود بن طلحة الحضرمي[3]وأمره "...أن يُطالبه ويحمله في الحديد"[4].

ونتيجة لسياسته الانتقامية ضد ولاة أخيه الوليد والثقفيين منهم تحديدا استعمل سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة صالح بن عبد الرحمن –وهو المعروف بعدائه للحجاج- على خراج العراق فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي[5]السند فحمل محمد بن القاسم الثقفي عامل السند للحجاج بن يوسف مقيدا إلى العراق[6]، كما أخذ يزيد بن أبي مسلم[7] وكان على خراج العراق للحجاج بن يوسف فكبل بالحديد[8]، وعزل أيضا عثمان بن حيان المري[9] عن المدينة وولاها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم و"أمره بشد عثمان في الحديد"[10].

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز قبض الجراح بن عبد الله الحكمي عامل خراسان على يزيد بن

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص367.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**. Johan weststeijn, Alex de voogt : **Sa'id b. jubayr: piety, chess and rebellion**, p383, 384.

(3) – يوافق الاسم هنا ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه، أما الطبري فيذكره باسم طلحة بن داود الحضرمي، وقد تولى مكة لسليمان بن عبد الملك سنة 96هـ/714م وعزله بعد مدة يسيرة ليخلفه عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد. خليفة ابن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص203. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص522.

(4) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص294.

(5) – يزيد بن أبي كبشة السكسكي: واسم أبيه جبريل بن يسار، كان مقدم قبيلة السكاسك اليمنية، تولى الشرطة لعبد الملك ابن مروان، ثم ولاه الوليد بن عبد الملك العراق بعد وفاة الحجاج بن يوسف، ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة ولاه خراج السند، وكانت وفاته قبل سنة 100هـ/718م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، 443، 444.

(6) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 618.

(7) – يزيد بن أبي مسلم: أبو العلاء بن دينار الثقفي، مولى الحجاج وكاتبه، تولى له خراج العراق، وأقره في منصبه الوليد بن عبد الملك بعد وفاة الحجاج، عزله سليمان بن عبد الملك، ولما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولاه بلاد المغرب فثارت عليه الخوارج وقتلوه لظلمه الرعية وبطشه بها. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص593، 594.

(8) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 2، ص425.

(9) – عثمان بن حيان المري: مولى عتبة بن أبي سفيان، استعمله الوليد بن عبد الملك على المدينة على المدينة سنة 94هـ/712م بعدما عزل عنها عمر بن عبد العزيز، وعزله عنها سليمان بن عبد الملك لما تولى الخلافة سنة 96هـ/714م، كان في سيرته عنف، وولي الغزو في أيام يزيد بن عبد الملك. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج38، ص338-442.

(10) – وكيع: **أخبار القضاة**، ج1، ص141.

المهلب وأمر به فَقُيِّد، ولما مرض في محبسه أمر عمر بن عبد العزيز بالقيود فَفُكَّت عنه[1]. وقد كان تخفيف القيود عن المساجين من الأمور التي أولاها الخليفة عمر بن عبد العزيز عنايته الخاصة ضمن سياسته الاصلاحية؛ حيث أرسل عدة كتب إلى عماله في هذا الشأن حثهم من خلالها على ضرورة مراعاة ظروف المساجين ومنع تقييدهم بقيود تمنعهم من أداء الصلاة[2].

كما أرسل عمر بن عبد العزيز كتابا إلى عماله جاء فيه: "أن اجعلوا أثمان كبول[3] من تسجنونه من بيت المال وأياكم أن تغرموهم أثمانها"[4]، وهذا الكتاب فريد فيما بعث به عمر بن عبد العزيز إلى عماله في هذا الشأن فهو يأمرهم بضرورة تحمل بيت المال لأثمان القيود التي يقيد بها المساجين والتحذير من تغريمهم أثمانها، والسؤال المطروح: هل كان يحصل هذا من قبل؟ صحيح أن نص كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز لا يصرح بذلك إلا أن تشديده في الحرص على منع مثل هذه الممارسة وتطبيق قراره يمكن أن يكون ناتجا عن ممارسات فعلية كانت موجودة في سجون الأمويين قبل توليه الخلافة، رغم أني لم أعثر على أي إشارة لذلك فيما اطلعت عليه.

أما في خلافة هشام بن عبد الملك فقد أخذ "عياض بن مسلم" كاتب الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأمر به فقيد وحبس[5]، ولما تولى الوليد بن يزيد الخلافة أمر بسليمان بن هشام بن عبد الملك فأثقل بالحديد[6]، كما كان هذا الخليفة حاقدا على محمد بن هشام المخزومي عامل المدينة للخليفة هشام بن عبد الملك فقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأوثقهما بالحديد[7]. وفي خلافة مروان بن محمد أخذ يزيد بن عمر بن هبيرة عامل واسط عبد الله بن عمر بن عبد العزيز "فقيده وغله ثم بعث به إلى مروان بن محمد"[8]، وكان من المعادين له.

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص292.

(2) – **أنظر**: الفصل الثالث، مطلب: **إصلاحات السجون في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز**.

(3) – الكبل: ج: كبول، قيد ضخم، وهو القيد من أي شيء كان، وقيل: هو أعظم ما يكون من الأقياد. ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص580.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص161.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 7، ص11.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص165. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص130.

(7) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 73، ص260، 261.

(8) – **نفسه**، ج31، ص222.

وفي الشعر الأموي نجد إشارات عديدة إلى المساجين المقيَّدين وأنواع القيود وحالة المقيدين الجسدية والنفسية، وغايتهم من هذا الوصف أن يخففوا عن أنفسهم التي أثقلها العذاب وأن يفضحوا الظالمين، وأن يُعطفوا عليهم قلوب المسؤولين في السجون والحكام بإثارة دواعي الشفقة والرحمة فيهم، ولا شك أن الشاعر كان يريد أن يَدُلَّ على مكانه وحاله في ذلك العالم المجهول[1].

فهذا الشاعر هدبة بن الخشرم يقول[2]:

تعجب حبي من أسير مكبل صليب العصا باق على الرسفان

وقال بعض المحبوسين[3]:

ولي مُسمِعان[4] وزمارة[5] وظل مديد وحصن أمَّق[6]

من جهته يصف الفرزدق حاله في سجن المخيس بالكوفة فيقول واصفا كثرة القيود المقيد بها وثقلها كأنه رجل من الخوارج الثائرين على الأمويين[7]:

كأني حروري له فوق كعبه ثلاثون قيدا من قُرُوص[8] مُلاكد[9]

---

[1] – أحمد مختار البرزة: **الأسر والسجن في شعر العرب**، ص516.

[2] – **شعر هدبة بن الخشرم**، ص147.

[3] – ابن قتيبة: **المعاني الكبير**، ج5، ص876.

[4] – مُسمِعان: القيود. ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص328. (مادة: زمر)

[5] – الزمارة: الغل والساجور الذي يُجعل في عنق الكلب. **نفس المصدر والصفحة**. (مادة: زمر). وقد ذكر الزمخشري أن سعيد ابن جبير أدخل على الحجاج بن يوسف وفي عنقه زمارة، وسميت بالزمارة للصوت الصادر عنها. **الفائق في غريب الحديث**، ج2، ص124.

[6] – حصن أمَّق: هو الحصن الطويل في السماء، أي أن بناءه شاهق الارتفاع. **نفس المصدر والصفحة**. وقد أورد المؤلف في شرح هذا البيت ما يلي: "هذا بيت مسجون، ألغز بالمسمعين عن القيدين، لأنهما يغنيانه إذا تحركا، وبالزمارة عن الجامعة. وبالظل المديد عن ظلمة السجن، وبالحصن الأمَّق: وهو الطويل في السماء...وأنه لا سبيل إلى التخلص منه". **نفس المصدر والصفحة**.

[7] – **ديوان الفرزدق**، ص123.

[8] – القروص: القيد القارص. إيليا الحاوي: **شرح ديوان الفرزدق**، ج1، ص226.

[9] – الملاكد: الملازم. **نفس المصدر والصفحة**.

ويقول في موضع آخر[1]:

وكيف بمن خمسون قيدا وحلقة عليه مع الليل الذي هو أدهم

أما الشاعر السمهري فيصف حاله مقيدا في حبسه فيقول[2]:

فمن مبلغ عني خليلي مالكا رسالة مشدود الوثاق غريب

وهذه الأبيات التي هي نتاج التجارب الشخصية التي مر بها هؤلاء الشعراء –رغم ما يمكن أن يكون قد اعتراها من مبالغات– تعتبر تعبيرا صادقا عن المعاناة التي يعانيها المساجين داخل السجون الأموية بسبب هذه القيود التي تعيق حركتهم وتسبب لهم آلاما جسدية ونفسية كبيرة.

ويؤيد ما ذكره هؤلاء الشعراء عن معاناتهم داخل السجون بعض الأخبار التي حفظتها المصادر، فالمدائني يذكر أن الحجاج "كان يضيق على أهل الديماس فكان يقرنهم كل رجلين في سلسلة"[3]، ولما أدخل ابراهيم التيمي هذا السجن رأى جماعة مقرنين في السلاسل فإذا قاموا قاموا معا، وإذا قعدوا قعدوا معا[4]، وفي هذه الأخبار دليل على تجاوزات الأمويين في حق المساجين وتعرضهم لصنوف شتى من العذاب مهما كانت طبيعة الجرم الذي اقترفوه، وإذا كان الخبران متعلقان بسجن الحجاج في واسط المعروف بالديماس فمن المحتمل أن هذه الممارسات كانت منتشرة في سجون الأمويين عامة باستثناء فترة خلافة عمر بن عبد العزيز الذي حرص أشد الحرص على ضمان حقوق المساجين وإصلاح أحوالهم.

---

(1) – **ديوان الفرزدق**، ص 567.

(2) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج21، ص170.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج13 ، ص403.

(4) – ابن أبي الدنيا: **الفرج بعد الشدة**، ص41.

2- الضرب والجلد

يرد في لسان العرب في معنى الضرب ما يلي: "ضرب: الضرب معروف، والضرب مصدر ضربتُه، وضربه يَضربه ضرباً وضرَّبه"[1]، أما الجلد فهو: "مصدر جَلَده بالسوط يجلده جلداً ضربه... وجلده الحدَّ جلدا أي ضربه وأصاب جِلده كقولك رأسه وبطنه"[2]، فالضرب والجلد اذن هما مسميان لفعل واحد الغاية منه هو الإيلام الجسدي باستعمال وسيلة معينة عصا كانت أو سوطا، وهذا ما نجده في تعريف الكفوي(1094هـ/1683م) للضرب حيث يقول: "...هو استعمال آلة التأديب في محل صالح للتأديب ومعنى مقصود وهو الإيلام، فإن المقصود من هذا الفعل ليس إلا الإيلام"[3].

وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يُجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله"[4]، فإذا كان الضرب أو الجلد يعتبر شكلا من أشكال العقاب المشروع[5]، وغايته هو تأديب الجاني وتعزيره بما يثنيه عن تكرار جنايته مستقبلا؛ فإننا نجد في التاريخ الأموي الكثير من الحالات التي أصبح فيها هذا الفعل يحمل دلالة البطش والجور والاعتداء على الضحايا بل والتنكيل بهم، وكانت الأسباب السياسية والاقتصادية والدينية وحتى الانتقام الشخصي تقف وراء هذه الممارسات القاسية التي قام بها الخلفاء والولاة الأمويين دون أي وازع ديني أو أخلاقي.

لما تباطأ قيس بن الهيثم عن حمل الخراج لعبد الله بن عامر والي البصرة للخليفة معاوية أمر به فضرب مائة[6]، ولا تحدد الرواية نوع الضرب الذي تعرض له ولا وسيلته، وفي ولاية زياد بن أبيه على العراق أُخذ "صيفي بن فسيل" فأمر به فضرب بالعصا على عاتقه حتى لزم الأرض[7]. كما ضرب

---

(1) – ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص543. (مادة: ضرب)

(2) – **نفسه**، ج3، ص125. (مادة: جلد)

(3) – **الكليات**، ص 572.

(4) – البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحدود، باب كم التعزير والأدب، ص1694. مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب قدر أسواط التعزير، ج2، ص816.

(5) – حميد الحداد: **السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**، ص316.

(6) – **تاريخ الطبري**، ج5، ص210.

(7) – **نفسه**، ج 5، ص266، 267.

الجموح بن عمرو الفهمي مائة سوط، وسبب ذلك أنه كان ممن شهد صفين مع الخليفة علي بن أبي طالب فأمنه معاوية وأراد زياد استعماله فرفض وعيَّره فأخذ وضرب[1].

وفي ولاية عبيد الله بن زياد على العراق أخذ الشاعر يزيد بن مفرغ فأمر به فضرب بالسياط بسبب هجائه لعباد بن زياد وآل زياد بن أبيه[2]. ولما وجه الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة نزل على هانئ بن عروة المرادي، فلما علم عبيد الله بن زياد بذلك أحضر هانئ فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر أنفه، وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وواصل ضربه حتى كسر القضيب على وجهه ورأسه[3]، ولم يرع عبيد الله بن زياد مكانة هانئ بن عروة ووجاهته باعتباره أحد أشراف العراق بل نكل به وقتله بسبب إيوائه لمسلم بن عقيل.

أما في المدينة فقد قام عمرو بن الزبير بن العوام صاحب شرطتها في ولاية عمرو بن سعيد الأشدق بأخذ جماعة ممن هواهم مع أخيه عبد الله بن الزبير فضربهم ضربا شديدا، فيهم المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر، وحُبيب بن عبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ومحمد بن عمار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ضربة[4]، ولا تحدد الرواية طريقة أسلوب الضرب ولا وسيلته.

وفي العهد المرواني(64-132هـ/683-749م) استفحلت عمليات الضرب بشكل كبير جدا، وهذا في ظل السياسة الجديدة التي فُرضت مع وصول عبد الملك بن مروان للخلافة سنة 65هـ/684م والقائمة على مقابلة أي معارضة –ولو كان قولا على سبيل النصح– برد فعل عنيف؛ يذكر هشام بن محمد الكلبي أنَّ عبد الرحمن بن أرطأة بن شراحيل الجعفي قام إلى بشر بن مروان وهو يخطب على منبر البصرة قائلا له: "اتق الله فإنك ميت ومحاسب" فأمر به فضرب أسواطا مات منها[5]، ولا تحدد الرواية عدد الأسواط التي ضرب بها.

كما قام أمير البصرة لعبد الملك وهو خالد بن عبد الله بن أسيد بضرب عباد بن الحصين

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5،ص283.

(2) – **نفسه**، ج 5، ص403.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص361. المسعودي: **مروج الذهب**، ج 3، ص67.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص344.

(5) – **أنساب الأشراف**، ج6، ص315.

الحنظلي أحد أشراف العراق مائة سوط بعد أن أنكر امتلاكه درع الرسول صلى الله عليه وسلم التي صادرها عبيد الله بن زياد بعد قتله الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[1].

وعند حصار الحجاج بن يوسف لعبد الله ابن الزبير كان على المدينة رجل من أهل الشام يُعرف بثعلبة فجيء له بقوم أخذوا من شعير لرجل من أهل المدينة فضرب كل أمرئ منهم خمسمائة سوط[2]، ولو أن هذه العقوبة كانت على سبيل التأديب إلا أنها تجاوزت الحد المعقول للعقاب.

وبعد قضائه على ابن الزبير ضرب الحجاج بن يوسف التابعي "عباس بن سهل الأنصاري" لكونه من أصحاب ابن الزبير ولم يتركه إلا بشفاعة من أبيه "سهل بن سعد بن مالك[3]"[4]، وفي عهد ولايته على العراق جيء له بأعرابي لص فضُرب سبعمائة سوط[5]، كما تعرض عبد الرحمن بن أبي ليلى[6] إلى الضرب بسبب انضمامه إلى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[7]، وكان ضربا شديدا "حتى اسود من شدة الضرب"[8]، كما ضرب حجاما احتجم عنده خمسمائة سوط "فكاد يتلف"[9].

وممن تعرض للضرب على يد الحجاج أيضا "عروة بن المغيرة بن شعبة" وسبب ذلك أن عبد

---

(1) – الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص192.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف** ، ج7، ص118.

(3) – سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري الساعدي، صحابي، كان أبوه من الصحابة الذي توفوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو آخر من مات بالمدينة من أبناء الصحابة، وقد تجاوز عمره المئة، توفي سنة 91هـ/709م الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص422، 423.

(4) – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص261. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج26، ص264. ضرب الحجاج عباس بن سهل بن سعد الساعدي في أمر ابن الأشعث كما يذكر أبو العرب التميمي. **أنظر: المحن**، ص 312.

(5) – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص69.

(6) – عبد الرحمن بن أبي ليلى: أبو عيسى الأنصاري، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، كان يسكن الكوفة، وشهد حرب الخوارج في النهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انضم إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في ثورته على الحجاج والخليفة عبد الملك بن مروان، وقد اختلف في وفاته هل كانت أثناء ثورة ابن الأشعث سنة 81هـ/700هـ أو 83هـ/702م، أم بعدها. الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج11، ص455-459.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص383. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج36، ص97، 98.

(8) – أبو العرب التميمي: **المحن**، ص 257.

(9) – الصابئ: **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، ص121، 122.

الملك بن مروان بعث إليه كتابا يطلب منه أن يكتب إليه بخبر الحجاج بن يوسف وسيرته في أهل العراق فكتب إليه: "إن في الحجاج عجلة، وإن في لسانه ذربا[1]"[2]، فبلغ خبره الحجاج فأمر به فضرب بالسياط، فكان ذلك سبب موته[3]، ومن الغريب أن تبلغ سطوة الحجاج درجة معاقبة رجال من الأشراف يراسلهم الخليفة نفسه مُستفسرا إياهم عن أفعال واليه وسيرته في رعيته دون مراعاة لمكانتهم أو توقعا لرد فعل الخليفة.

وفي بعض الأحيان كان يتم امتحان الضحايا في أمر الولاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل "عطية بن عمرو العنبري" الذي كان ممن خرج على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فلما انهزم عبد الرحمن هرب عطية إلى فارس فأمر الحجاج محمد بن القاسم الثقفي عامله على السند أن يقبض عليه ويمتحنه إن هو لعن علي بن أبي طالب تركه وإن لم يفعل ضربه أربعمائة سوط، فأبى عطية لعن علي رضي الله عنه فضربه محمد بن القاسم أربعمائة سوط[4].

كما كان التابعي سعيد بن المسيب ممن تعرض للضرب بسبب مواقفه السياسية؛ حيث أخذه هشام بن إسماعيل المخزومي عامل المدينة من قبل عبد الملك بن مروان فضربه ستين سوطا لما أبى مبايعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك وأبوهما حي[5]، ويوضح نص كتاب بعث به عبد الملك إلى والي المدينة سبب معاقبة سعيد حيث جاء فيه: "وما كان حاجتك إلى رفع هذا عن سعيد بن المسيب ما كنا نخاف منه، فأما إذا ظهر ذلك وانتشر في الناس فادعه إلى ما دخل فيه من دخل في هذه البيعة، فإن أبى فاجلده مائة سوط..."[6].

يتضح من هذا النص أن تخوف عبد الملك من انتشار خبر رفض سعيد بن المسيب للبيعة

---

(1) – ذرب: "الذَرِب: الحاد من كل شيء...ولسان ذرب: حديد الطرف، وفيه ذرابة أي حدة". ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص385.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص404.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**.

(4)– ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص421. الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، ج1، ص136، 137.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص416. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص280. أما أبو نعيم فذكر عدة روايات مختلفة حول عدد الضربات التي تعرض لها سعيد بين ثلاثين أو خمسين أو مائة جلدة. أبو نعيم الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج2، ص170، 171.

(6) – الفسوي: **المعرفة والتاريخ**، ج1، ص473.

لابنيه واقتداء الناس به ما يؤدي إلى فشل مشروعه في نقل الخلافة لهما هو ما دفعه إلى إصدار الأمر بتعذيبه، كما أن هذا النص يبين مدى تخوف الحكام من العلماء بسبب قدرتهم على تجييش الناس خلفهم مما يؤدي إلى تقويض سياساتهم ومنعهم من تحقيق أهدافهم.

كما تعرَّض يزيد الضبي[1] للضرب من قبل الحكم بن أيوب الثقفي[2] عامل البصرة لابن عمه الحجاج بن يوسف، ذلك أن الحكم أخَّر الصلاة يوم الجمعة فذكَّره بذلك يزيد الضبي فأمر به حسب ما يرويه يزيد "فضربني أربعمائة سوط، فما دريت حتى تركني من شدة ما ضربني"[3].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر بعلي بن عبد الله بن عباس[4] فكان "...مضروبا بالسوط" بسبب أنه كان يقول: "إن هذا الأمر سيكون في ولدي"[5]. كما أمر الوليد عامله على المدينة عمر ابن عبد العزيز بضرب "حُبَيْبْ بن عبد الله بن الزبير"[6]، وتختلف الروايات في تحديد سبب ضربه إياه، فابن سعد (ت230هـ/844م) لم يفصل في السبب وعلل ذلك بأنه "بلغ الوليد بن عبد الملك عنه أحاديث كرهها"[7]، فضربه عمر بن عبد العزيز مائة سوط[8].

أما البلاذري –نقلا عن المدائني– فيذكر أن الأمر الصادر من الوليد بن عبد الملك لضرب

---

(1) – يزيد بن نُعامة الضبي: من أهل البصرة، اختلف في صحبته. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص1267.

(2) – الحكم بن أيوب الثقفي: هو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف وصهره، ولاه الحجاج البصرة ثم عزله عنها، قتل في العذاب من قبل صالح بن عبد الرحمن الكاتب بأمر من سليمان بن عبد الملك. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج15، ص3-8.

(3) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج15، ص8. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج13، ص69.

(4) – علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد عام 40هـ/660م، لقب بالسجاد لكثرة صلاته، واتخذ الحميمة من أرض الشام سكنا له، جد الخلفاء العباسيين، وقد توفي سنة 118هـ/736م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص284، 285.

(5) – المبرد: **الكامل**، ج2، ص757، 758.

(6) – خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسَدي، من علماء التابعين، توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك، حيث أمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بضربه وصب الماء البارد على رأسه ففعل به ذلك فمات. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص405.

(7) – **كتاب الطبقات**، ج7، ص405. مع ذلك تتفق المصادر أن خبيبا وبعد ضربه صب عليه عمر بن عبد العزيز ماء باردا فمكث مدة ثم مات، لكنها تختلف إن كان الأمر بصب الماء البارد على خبيب كان صادرا من الخليفة مباشرة أم أنه قرار اتخذه عمر بن عبد العزيز بنفسه. **يُنظر**: ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص405. الزبير بن بكار: **جمهرة نسب قريش**، تح: محمود شاكر، ص37. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص85. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص4.

(8) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج 7، ص405. الزبير بن بكار: **جمهرة نسب قريش**، تح: محمود شاكر، ص37.

خبيب كان بسبب "أنه كان يقول: ملك بني مروان زائل عن قريب، وكانت عنده أحاديث، فضربه عمر لذلك"[1]، وبلغ عدد الأسواط التي ضربه إياها أربعين سوطا[2].

أما صاحب العيون والحدائق فيذكر أن الوليد كتب إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخال حُجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فلما شرع عمر بن عبد العزيز في ذلك صاح خبيب بن عبد الله بن الزبير قائلا: اليوم محيت آية من كتاب الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 04] فكتب بذلك صاحب البريد إلى الوليد بن عبد الملك، فكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بجلد خبيب بن عبد الله مائة سوط [3]، والراجح أن الأمر بضرب خُبيب لم يكن بسبب استشرافه بقرب نهاية ملك بني مروان خاصة في ذلك الوقت المبكر حيث كانت الدولة الأموية في أوج عظمتها؛ وإنما كان بسبب معارضته لهدم حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتوسعة مسجد.

ولما هجا "البعيث الشاعر"[4] بطنا من "باهلة"[5] يقال لهم "بنو صحب" فاستعدوا عليه "إبراهيم بن عدي"[6] في خلافة الوليد بن عبد الملك فضربه بالسياط[7]، وفي خراسان عين قتيبة بن مسلم الباهلي عبد الله بن مسلم عاملا على خوارزم وأمره أن يضرب حيان النبطي مئة سوط[8].

كما تعرض الأحوص الشاعر للضرب بسبب أخلاقي، فقد كان يتشبب بالنساء في شعره فنُهي عن هذه الأفعال فلم ينتهِ، فرفع أمره إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه

---

(1) – **أنساب الأشراف**، ج8، ص85.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**.

(3) – مجهول، **العيون والحدائق**، ج3، ص4.

(4) – البعيث الشاعر: اسمه خِداش بن بشر بن خالد بن الحارث، أحد الشعراء المجيدين في العصر الأموي، من أهل البصرة، اشتهر بالخطابة إلى جانب الشعر. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج16، ص324-329.

(5) – باهلة: قبيلة عظيمة من قيس عيلان من العدنانية. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، ج1، ص60.

(6) – ابراهيم بن عدي: ابراهيم بن عربي عند خليفة بن خياط وهو عامل اليمامة للخليفة عبد الملك بن مروان ولما مات أقره عليها الخليفة الوليد بن عبد الملك. وقد ذكره البكري الأندلسي باسم ابراهيم بن عربي بن مُنْكث من بني عُبَيدٍ الرِّماح وهو بطن من كنانة بن خزيمة العدنانية. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص198. البكري: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، ص55.

(7) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 16، ص326.

(8) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص480.

الكتاب إليه فيه، ففعل ذلك، فكتب سليمان إليه بضربه مائة سوط ففعل ذلك به[1]، كما أمر سليمان أيضا بعزل خالد بن عبد الله القسري عن ولاية مكة وضربه مئة سوط بعد أن حال بين شيخ وتنفيذ حكم قضائي لصالحه، بل وضرب حفيد الشيخ مئة سوط لما أتاه بكتاب لسليمان يأمره فيه بإنفاذ حكم القضاء للشيخ[2].

وفي سنة 102هـ/720م حبس سعيد بن عبد العزيز "سعيد خدينة" عامل خراسان للخليفة يزيد بن عبد الملك جماعة من عمال يزيد بن المهلب فيهم "جهم بن زحر الجعفي" فضربه مائتي سوط، بسبب أخذهم من أموال الفيء[3]، وقد كانت عملية الضرب في مكان عام ، وتحديدا في سوق مرو حيث يرد في رواية الطبري أنه لما ضرب "كَبَّر أهل السوق"[4]، ويبدو أن تفاعل أهل السوق مع تعذيب "جهم" راجع إلى ممارساته وتجاوزاته ضد أهل المدينة.

ولما عزل عمر بن هبيرة والي العراق ليزيد بن عبد الملك سعيد بن عمرو الحرشي عن إمارة خراسان أمر به فضرب[5]، ولم تذكر الرواية أسلوب الضرب ولا عدد الضربات التي تعرض لها، كما اتهم عمر بن هبيرة العالم اللغوي عيسى بن عمر الثقفي[6] بوديعة لبعض العمال فأنكر ذلك فضربه مقطعا نحوا من ألف سوط[7]، أي أنه ضربه ألف سوط على مراحل وهو عدد كبير جدا من الضربات التي تعرض لها الرجل مقارنة بالجرم الذي اتهم به سواء كان صحيحا أم كاذبا، ولم يسلم من

---

(1) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج4، ص173. عامل المدينة الذي ضرب الشاعر الأحوص هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. **نفسه**، ج4، ص168.

2– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص76، 77. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج5، ص175.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص606.

(4) – **نفس المصدر والصفحة**.

(5) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص84.

(6) – أبو عمر عيسى بن عمر الثقفي: نحوي، من أهل البصرة، قيل: كان مولى لخالد بن الوليد رضي الله عنه، ونزل في ثقيف فنسب إليهم. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص486. وقد أورد ابن خلكان قصة ضرب عمر بن هبيرة له، لكنه أردف قائلا أنه اختلف فيمن ضربه هل هو ابن هبيرة أم يوسف بن عمر الثقفي في ولايته على العراق. **نفسه**، ج3، ص488.

(7) – ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، ج5، ص2142.

الضرب حتى الفقيه المشهور أبا حنيفة[1] حيث أراده عمر بن هبيرة للقضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط على رأسه ويحبسنه، ففعل ذلك، حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب[2].

واستمرت ممارسات الضرب في خلافة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-742م) ففي سنة 106هـ/724م غزا مسلم بن سعيد[3] ما وراء النهر فتباطأ عنه الناس وكان ممن تباطأ عنه "البختري بن درهم" و"عمرو بن مسلم بن قتيبة الباهلي" وكان على بلخ[4] فضربهم نصر بن سيار مائة مائة[5].

وفي المدينة ضرب واليها إبراهيم بن هشام المخزومي "يحي بن عروة بن الزبير بن العوام" وكان نسابا عالما فمات من الضرب[6]، ويبدو أن السبب في ذلك هو أبيات شعرية قالها يُعرض فيها بإبراهيم بن هشام[7]، أما غيلان الدمشقي وصاحبه صالح بن سويد فقد تعرضا للضرب والتنكيل من قبل هشام بن عبد الملك قبل أن يأمر بقتلهما وذلك لأسباب مذهبية، حيث ضربا سبعين سبعين[8]، غير أن الرواية لم تحدد بم ضُربا، كما أنه لا يمكن القول أن السبب الوحيد لضربهما هو القول بالقدر وإنما لذلك أيضا خلفية سياسية إذ كان لهما –وخاصة غيلان- دور كبير في تعرية ممارسات بني أمية السيئة.

كما لم يسلم من بطش هشام بن عبد الملك جميع المقربين من ولي العهد بعده وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك حيث تعرض البعض منهم للضرب بسبب علاقتهم بالوليد، منهم عبد الله بن

---

(1) – الامام أبو حنيفة: فقيه العراق، النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي، ولد بالكوفة سنة ثمانين للهجرة، "كان إماما ورعا عالما عاملا متعبدا كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان، بل يتَّجر ويتكسب"، وكانت وفاته سنة 150هـ/767م. الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ج1، ص168، 169.

(2) – القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص 252.

(3) – مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، ولاه عمر بن هبيرة خراسان بعد عزله لسعيد بن عمرو الحرشي، ولما تولى خالد القسري العراق سنة 106هـ/724م عزله عنها وولى مكانه أخاه أسد بن عبد الله القسري. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص216.

(4) – بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص479.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص31.

(6) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص320.

(7) – المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص247.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص419.

سهيل وهو رجل من أهل اليمن تولى إمرة دمشق أو شرطتها عدة مرات وكان حاجبا للوليد بن يزيد فأمر به هشام بن عبد الملك فضرب[1]. ومنهم أيضا "عياض بن مسلم" كاتب الوليد بن يزيد الذي ضربه ضربا مبرحا[2]. ولما استعمل هشام بن عبد الملك "الوليد بن القعقاع" على قنسرين ضرب يزيد بن عمر بن هبيرة مائة سوط[3].

وفي ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق(106-120هـ/724-737م) ضرب مالك بن المنذر بن الجارود صاحب شرطة البصرة عمر بن يزيد الأسيدي في السجن ألف سوط[4]، وسواء كان الرقم دقيقا أو مبالغا فيه فإن المؤكد هو تعرض عمر بن يزيد الأسيدي للضرب المبرح خلال تواجده بالسجن خاصة أنه لم يلبث أن قُتل.

وفي البصرة أمر عاملها بلال بن أبي بردة بضرب "خالد بن صفوان" مائة سوط[5] لسبب غريب للغاية[6]، بل إن "بلالا" هذا وفق ما يذكر صاحب كتاب المحن قام بالتفريق بين رجل وزوجته بسبب كونه من الموالي؛ فقد تزوج عبد الله بن عون[7] امرأة عربية فلم يحتمل له ذلك بلال بن أبي بردة فضربه وحمله على طلاقها[8].

---

(1) – **نفسه**، ج 9، ص135.

(2) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج7، ص11.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص144. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص237. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص 121، 122.

(4) – المبرد: **الكامل**، ج1، ص152. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص102، 103. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 10، ص298.

(5) – ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج4، ص122.

(6) – **نفسه**، ج4، ص122. سبب ضربه على ما ذكر صاحب العقد هو تعليقه على تولية بلال بن أبي بردة البصرة حيث قال: "سحابة صيف عن قليل تقشَّع، فلما بلغ ذلك بلالا قال له: أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد، وضربه". **نفس المصدر والصفحة**. أما أبو العرب التميمي فقد أورد نفس القصة لكن جعل مكان خالد بن صفوان "صفوان بن سُلَيم". **يُنظر: المحن**، ص 287.

(7) – عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، من عُبَّاد أهل البصرة، ولد سنة66هـ/685م، مات سنة 151هـ/768م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص364-371.

(8) – أبو العرب التميمي: **المحن**، ص 269.

وفي اليمن ضرب عاملها يوسف بن عمر الثقفي التابعي وهب بن منبه[1]، ويبدو أنه تسبب في موته[2]، أما في خراسان فقد أخذ عاملها أسد بن عبد الله القسري جماعة من الدعاة العباسيين فيهم "لاهز بن قُرظ" و"خالد بن إبراهيم" و"طلحة بن رزيق" سنة117هـ/735م فضربهم ثلاثمائة سوط[3].

وبعد عزل خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق(120هـ/737م) وتوليتها يوسف بن عمر الثقفي لم يدخر هذا الأخير أي جهد في فرض قبضته على هذه الولاية المضطربة، وكان التنكيل بخصومه ومعارضيه والبطش بهم أساس سياسته في ولايته، فمع توليه مقاليد الولاية مباشرة عزل عمال سابقه ونكل بهم وغايته في ذلك استخراج أكبر قدر ممكن من الأموال منهم، فقد أمر بطارق مولى خالد القسري فضرب ضربا مبرحا –يقال خمسمائة سوط–[4]، كما أخذ مولى لخالد بن عبد الله القسري يقال له "داود" فسأله عن أموال خالد فلم يقر له بشيء فضربه حتى مات[5]، وأخذ أيضا صاحب طراز خالد القسري فضربه حتى مات[6].

كما كان نصيب المتعاطفين مع سلفه خالد القسري مماثلا لعماله، حيث أن رجل يدعى "زيد بن تميم القيني" بعث إلى خالد القسري لما كان في سجن يوسف بن عمر بشراب "سويق حب رمان" مع مولى له يقال له "سالم النفاط" فبلغ يوسف بن عمر ذلك فضرب زيدا خمسمائة سوط وضرب سالما ألف سوط[7]، ولما قتل خالد القسري ودفن أقبل رجل يُعرف بعامر بن سهلة الأشعري فعقر فرسه على قبره فضربه يوسف بن عمر سبعمائة سوط[8].

---

(1) – وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني: من كبار التابعين، عرف بتبحره في كتب الأوائل ورواية الأخبار، ينحدر من الأبناء، ولد سنة34هـ/654م في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتوفي سنة110هـ/728م أو113هـ/ 731م وهناك من رفعها إلى سنة114هـ/732م وحتى سنة116هـ/734م. ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج4، ص332، 333.

(2) – المزي: **تهذيب الكمال**، ج31، ص161. الذهبي: **تهذيب تهذيب الكمال**، ج9، ص397، 398.

(3) – الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص38.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص150، 151.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص109. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص102، 103.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص109، 110.

(7) – **تاريخ الطبري**، ج7، ص260.

(8) – **نفس المصدر والصفحة**. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 16، ص162.

ولم يسلم من ممارسات يوسف بن عمر القاسية هذه حتى عماله، فقد عرض عليه بعض عماله:

فقال عامل منهم: جبيت فلم أدع في البلاد درهما، فقال: كذبت وضربه ثلاثمائة سوط.

وقال آخر: جبيت فبقَّيْتُ بقايا ليقوى أهل البلاد بها فقال: بل اجتبيتها، فضربه أربعمائة سوط.

وقال آخر: جبيت الخراج فازددت مالا فقال: أخربت البلاد وضربه خمسمائة سوط[1].

كما ضرب جماعة من الضُرَّاب(عمال دار النقود) في درهم غير سليم خمسة آلاف سوط[2]، وفي الواقع يبدو أن حرص يوسف بن عمر على المال والحد من خيانات العمال هو ما دفعه للتشديد في محاسبة عمال الخراج لديه، كما أن حرصه على محاربة الغش في العملة هو ما دفعه إلى هذه الاجراءات العقابية القاسية في حق هؤلاء الموظفين.

وبعد ثورة زيد بن علي سنة121هـ/738م هرب ابنه يحي إلى خراسان وأقام عند "الحريش بن عمرو بن داود" في "بلخ"، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار بخبره، فبعث نصر إلى "عقيل ابن معقل العجلي" يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحي بن زيد، فبعث إليه عقيل وسأله عن يحي فأنكر الحريش أن يكون له به علم فجلده ستمائة سوط[3].

كما كان للنساء أيضا نصيبهن من العقاب القاسي على يد يوسف بن عمر، فقد أمر بضرب امرأة أشارت على أمها أن تؤوي ابنة زيد بن علي خمسمائة سوط[4]، وبعث إلى أم إحدى زوجات زيد بن علي فهدم دارها وحُملت إليه فجلدها بالسياط حتى ماتت[5].

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص110.

(2) – **نفسه**، ج9، ص120. يبالغ صاحب كتاب الأوائل في عدد الأسواط التي ضرب بها هؤلاء الموظفون فيجعلها ألف سوط لكل واحد منهم وكانوا مئة، فكانت مائة ألف سوط. العسكري: **الأوائل**، ص 255.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص228. يذكر صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية أنه ضربه خمسمائة سوط. مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص242.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص448.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**.

وما يلاحظ على عقوبات يوسف بن عمر الثقفي أنها كانت شديدة القسوة مهما كان جرم صاحبها أو مكانته الاجتماعية، وسواء كان رجل أو امرأة، ولا يمكن أن يُعزى ذلك لحرصه على فرض الأمن والقضاء على الفتن أو الحد من الفساد الاداري فحسب؛ بل إن لطبيعة شخصيته العنيفة وتشبهه بسابقيه من الولاة الثقفيين –زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف خاصة– دور مهم في هذه الممارسات.

ولما تولى الوليد بن يزيد الخلافة(125هـ/742م) ضيَّق على بني هشام بن عبد الملك بسبب ما فعله أبوهم به فأخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط[1]، كما أخذ الوليد بن يزيد "يزيد ابن هشام بن عبد الملك" فضربه[2].

ولما كان عبد الله بن محمد بن علي العباسي[3] نائبا لسليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة في بعض مناطق فارس فاتهمه بأخذ المال لنفسه "فضربه بالسياط ضربا شديدا وأغرمه المال"[4]. وفي عهد مروان بن محمد أخذ رجلين من أهل الشام هما "يزيد بن العقار الكلبي" و"الوليد بن مصاد" فضربهما بالسياط حتى ماتا[5]، والراجح أنهما كانا من المعارضين لتوليه الخلافة.

وهكذا فإن هذه الممارسات القاسية من قبل الخلفاء والولاة الأمويين لم يسلم منها الرجال والنساء، الموظفون وغير الموظفين، الثوار أو الناس العاديين، كما اختلفت شدتها حسب نوع الجرم المقترف أو الاتهام الموجه للشخص.

أما فيما يتعلق بالأسباب؛ فقد كانت الأسباب السياسية –الخروج على الحاكم والثورة عليه وشق عصا المسلمين وتفريق الجماعة– أبرز موجبات الضرب ثم الأسباب الاقتصادية والفساد

---

(1) – **نفسه**، ج9، ص165. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص231. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص130.

(2) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 7، ص62.

(3) – أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور فيما بعد، كان مولده سنة 95هـ، وصفه الذهبي فقال: "كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأيا وحزما، ودهاء وجبروتا، وكان جماعا للمال، حريصا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم"، كانت وفاته سنة 158هـ/774م. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج7، ص83-89.

(4) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج2، ص410.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص222.

الإداري، هذا ولا بد من الإشارة إلى دور مزاج الخليفة أو الوالي ورغبته في الانتقام من ضحيته في تحديد شدة العقوبة ومدتها وهي في الغالب تتجاوز الحد الشرعي للعقوبة لتصل في بعض الأحيان إلى درجة هلاك الشخص تحت وطئتها، وهذا ما يطرح أكثر من تساؤل حول دور وقدرة القضاة ومؤسسة القضاء عموما في مراقبة الخلفاء والولاة والحد من ممارساتهم القمعية العنيفة والمنافية للشرع وحماية حقوق الضحايا.

3- أشكال أخرى من التعذيب:

3-1- تعذيب المتخلفين عن البعوث

من بين العقوبات المفروضة عقوبة التخلف عن البعث أو الجهاد:

"قال الشعبي: كان الرجل إذا أخلَّ بوجهه الذي يُكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلي نزعت عمامته ويُقام للناس ويُشهر أمره، فلما ولي مصعب قال: ما هذا بشيء وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحى، فلما ولي بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الأرض ويُسمَّر في يديه مسماران في حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم...فلما كان الحجاج قال: هذا لعب اضرب عنق من يُخل مكانه في الثغر"[1].

ما نلاحظه من خلال هذا النص هو:

- ترتكز العقوبة زمن الراشدين على إلحاق أذى نفسي بمن أخل بوجهه في البعوث، وتتمثل العقوبة في نزع عمامة الشخص والتشهير به أمام الناس لما في ذلك من ضرر نفسي بالغ على المذنب وزجر له عن إعادة الفعل، كما يعتبر تحذيرا للناس من مغبة التخلف عن البعث، وعقوبة خلع عمامة الشخص وكشف رأسه تعتبر هدرا لكرامته وحطًّا من شأنه وقيمته، وذلك لما تحمله العمامة من دلالة الوقار والاحترام[2].

- ثم في عهد ولاية مصعب بن الزبير على العراق(67-72هـ/686-691م) لأخيه عبد

---

[1] - ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج4، ص142. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج 3، ص54.

[2] - حميد الحداد: **السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**، ص 308.

الله بن الزبير سوف يضيف حلق الرأس واللحية إمعانا في إذلال المخل بواجبه العسكري خاصة وأن الزبيريين كانوا في صراع مع الأمويين في الشام على عدة جبهات فلم يكن هناك أي مجال للتسامح مع العصاة.

– أما في ولاية بشر بن مروان على العراق(74-75هـ/693-694م) فإن الذي حدث هو تطور العقوبة من عقاب معنوي ذي آثار نفسية معتبرة على الجاني إلى عقوبة جسدية قاسية تتمثل في تسمير الشخص معلقا ومثبتا في الحائط بمسماران، وفي هذه الحالة يتعرض الشخص لأذى نفسي وبدني قاس للغاية قد يؤدي به إلى الموت[1].

– الملاحظ من خلال قول الشعبي أيضا أن عقوبة نزع العمامة والتشهير بالشخص –وهي العقوبة الأصلية التي سنَّها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بدءا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه– ظلَّت ممارَسَةً حتى زمن بشر بن مروان، وفي كل عهد أضيف لها عقاب جديد، فمصعب بن الزبير أبقى عليها وأضاف لها حلق الرأس واللحية، أما بشر بن مروان فأضاف لهما تسمير الشخص في الحائط بمسماران.

– أما في زمن الحجاج سوف تُلغى جميع تلك العقوبات السابقة ويستقر رأيه على قتل كل متخلف عن القتال، ولكن اتخاذ الحجاج لمثل هذا الاجراء المتطرف راجع إلى تنامي ظاهرة الاخلال بالمراكز والتثاقل عن الجهاد في تلك الفترة، ويؤيد هذا ما أوردته الروايات عن تخلف أهل العراق عن قتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة سنة75هـ/694م وملازمتهم مصرهم[2]، وقد علل الحجاج هذا الفِعل بقوله: "إن المعصية لو ساغت لأهلها ما قتل عدو، ولا جُبي فيء، ولا عز دين، ولو لم يغزُ المسلمون المشركين لغزاهم المشركون"[3].

ومهما كان تبرير الحجاج لقتل المخلين بمراكزهم بتنامي خطر العدو الخارجي والداخلي، وتعطل الجباية، وعدم نصرة الدين وإعزازه؛ فإن هذا لا يعد مبررا لقتل النفس وإهدار دم العصاة وهو

---

(1) – تؤكد بعض الأخبار ما كان بشر بن مروان يعذب به، حيث "إذا ضرب البعث على أحد من جنده ثم وجده قد أخلَّ بمركزه أقامه على كرسي ثم سمَّر يديه في الحائط، ثم انتزع الكرسي من تحت رجليه، فلا يزال يتشحَّط حتى يموت". القالي: **الأمالي**، ج2، ص35. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج10، ص256، 257.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص276.

(3) – **نفسه**، ج 7، ص275.

ما لم يفعله سابقوه من الخلفاء والولاة منذ فرض الجهاد، وهكذا فإنه في تبرير العنف "...بين مشروع وغير مشروع فقلما يعثر الباحث ضمن ما يعثر عليه من أخبار على ما يمكن وصفه بالعنف العاري من أي تبرير، فكثيرا ما أسدلت على هذه الممارسة أغطية سميكة تبرره، ولما كانت الدولة المركزية طيلة العصر الوسيط حريصة على إثبات شرعيتها وشرعية عنفها ضد خصومها، فقد كان طبيعيا أن ترفق كل الأخبار الخاصة بعنف الدولة بما يبررها دينيا"[1].

– أخيرا، ما نلاحظه هو أن جميع الولاة المذكورين في هذا النص تقلدوا ولاية إقليم العراق، وهو الإقليم الذي يتميز بتركيبته الاجتماعية الفسيفسائية، كما ظل يتوسع مع عمليات الجهاد والفتح طيلة العصر الأموي تقريبا، إضافة إلى أنه مثَّل مركز الحركات المعارضة والثائرة ضد الدولة الأموية، فكان يُحتاج بشكل دائم إلى حشد قوات عسكرية من أجل مواجهة الأخطار المحدقة بالدولة سواء كانت أخطار داخلية أو خارجية.

3-2- التعذيب بالقصب والملح

تعرض لهذا النوع من التعذيب "فيروز حصين"[2] وكان قد انضم إلى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأمر به الحجاج بن يوسف "فشق له قصب، ثم شد عليه، وجعل يسلُّه قصبة قصبةً، حتى قطع جسده، ثم صب عليه الخل والملح"[3]، كما تعرض لمثل هذا التعذيب المفجع أيضا "ماهان الحنفي"[4]، حيث أُخذ بمكة فحمل إلى الحجاج فشد عليه قصبا قد شق ثم أمر به فجذب فقطع جلده...فألقي وقد ذهب ما على عظامه من اللحم"[5].

---

[1] – حميد تيتاو: **الدولة والعنف بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**، مقال ضمن كتاب: العنف في تاريخ المغرب، ص225، 226.

[2] – فيروز حصين: كان رجلا جيد البيت في العجم، كريم المحتد، مشهور الآباء، فلما أسلم والى حصين بن عبد الله العنبري فسمي فيروز حصين. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1285.

[3] – ابن قتيبة: **المعارف**، ص337. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1286. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص380. في رواية أخرى لمقتل فيروز حصين على يد الحجاج أن هذا الأخير أمر صاحب العذاب بقتله "فوضع الدهق على صدره حتى قتله". البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص389.

[4] – ماهان الحنفي: أبو صالح، واسمه عبد الرحمن بن قيس، قتله الحجاج بن يوسف. ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ص548، 549.

[5] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص388.

وفي الواقع هي ليست عقوبة واحدة فتشريح جسد الضحية بالقصب يتبعه عقوبة أخرى قد تكون أشد إيلاما وهي صب الخل والملح على الجسد النازف والمشوه بالجراح، وهي مواد حارقة ولاسعة تسبب آلاما شديدة، وواضح أن هذا الفعل قد بلغ أقصى درجات القسوة في انتقام رجل السلطة من معارضيه والثائرين عليه.

3-3- الإلجام

من بين أشكال التعذيب أيضا الإلجام، وقد تعرض له رجل يُعرف باسم "ميثم التمار"، وكان ميثم هذا عبدا لامرأة من بني أسد فاشتراه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأعتقه[1]، فلما صلبه عبيد الله بن زياد والي العراق بقي ميثم يُحَدِّث الناس وهو مصلوب فأمر به فألجم بلجام من شريط "وهو أول من ألجم بلجام وهو مصلوب"[2]، وكان تشيعه ونصرته لآل البيت هو سبب تنكيل عبيد الله بن زياد به.

ومارس هذا النوع من التعذيب أيضا أسد بن عبد الله القسري عامل خراسان حيث أخذ موسى بن كعب[3] متهما إياه بالدعوة لآل البيت وألجمه بلجام ثم كسرت أسنانه[4].

3-4- الإيقاف في الشمس

كانت عقوبة الايقاف في الشمس تمارس خاصة على أهل الخراج وأهل الذمة، وقد أشار إلى هذه العقوبة الفقيه أبو يوسف في كتاب الخراج حين وجه للخليفة هارون الرشيد العباسي نصائح بمنع تقبيل الأراضي الزراعية بالسواد وغيره بسبب تجاوز أصحاب القبالات في حق الفلاحين، حيث قال له: "ورأيت أن لا تقبل شيئا من السواد ولا غير السواد من البلاد، فإن المتقبل إذا كان في قبالته[5]

---

(1) – الشيخ المفيد: **الارشاد**، ج1، ص323.

(2) – الطوسي: **رجال الكشي**، ص 82، 83.

(3) – موسى بن كعب، أبو عيينة التميمي، أحد نقباء بني العباس، هو أول من بايع أبا العباس السفاح بالخلافة سنة 132هـ/749م، وقد ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور مصر سنة 141هـ/758م، وكانت ولايته عليها سبعة أشهر فقط حيث عزله في نفس السنة، ويقال أنه توفي في هذه السنة. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص343، 344.

(4) – الكندي: **الولاة والقضاة**، ص107.

(5) – القبالة: هي الكفالة والضمان، فالأرض تُعرض قراها ونواحيها فيتقبلها المتقبلون على أن يضمنوا خراجها، أي أنهم يدفعون مقدارا معينا من المال للسلطة الحاكمة التي وقعوا معها الضمان وقبلتهم الأرض. محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص445.

فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم وظلمهم وأخذهم بما يُجحف بهم ليسلم مما دخل فيه، وفي ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعية، والمتقبل لا يبالي بهلاكهم بصلاح أمره في قبالته، ولعله أن يستفضل بعد ما يتقبل به فضلا كثيرا، وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد، وإقامته لهم في الشمس، وتعليق الحجارة في الأعناق، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج مما ليس يجب عليهم من الفساد الذي نهى الله عنه"[1].

صحيح أن هذه الممارسات التي أشار إليها أبو يوسف من إقامة للفلاحين في الشمس وتعليق الحجارة في أعناقهم كانت ممارسات واقعة في عهده ولكن من الممكن أن تعود أصولها إلى العصر الأموي الذي شهد تجاوزات كبيرة في هذا المجال.

3-5- التعذيب بغبار الجير والخل

في بردية من برديات قرة بن شريك نجد نوعا جديدا من أنواع التعذيب يبدو أنه كان منتشرا في مصر تحديدا، وهو التعذيب بغبار الجير والخل، وفي البردية توصية وتشديد من قرة بن شريك لعامله على قرية "أشقوه" بضرورة حظر هذا النوع من التعذيب لضرره البالغ على المعذَّب، وللآثار الدائمة التي يخلفها على جسد الضحية واستحالة العلاج منها، بل تصبح الضحية عاجزة عن أداء أي عمل في المستقبل، وهذا نص الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم

من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه

فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد،

فلا أعرف أسوأ من التعذيب بغبار الجير والخل[2]، فالمعذبون به لا يرجى برؤهم، ويجعلهم عاجزين عن العمل؛ ولذا آمرك بكتابي هذا ألا يُعذب أحد بغبار الجير والخل بعد اليوم.

---

[1] – أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص 105.

[2] – "كلس: هو النورة والجير...وقوة كل كلس محرقة ملهبة مُلذِعة تَكوي...والذي لم يصبه الماء أشد إحراقا". الغساني التركماني: **المعتمد في الأدوية المُفردة**، ص311.

فإذا جاك كتابي هذا، فأمر جميع أصحاب القرى ومن هم في خدمتك من عمالك ألا يُعذبوا أحدا بغبار الجير والخل، وإذا علمت بعد هذا أن أحد قد عذب بهذا الخليط، فسأعاقبك أشد العقوبة وأغرمك أثقل الغرامة.

كتب في 15 أمشير[1]، 8 إندكشن(=91هـ)"[2].

3-6- البناء على المعذَّب

أول من اتخذ هذا الأسلوب في التعذيب هو والي العراق يوسف بن عمر، حيث بعث إليه هشام بن عبد الملك بعبد الصمد بن عبد الأعلى نديم الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخ له يقال له عبد الرحمن، "فبنا لهما يوسف بيتا وجعلهما فيه وطيَّن بابه وصيَّر فيه كوَّةً يرمي منها الطعام إليهما...ثم أعطشهما حتى هلكا"[3].

وبهذا فقد تعرضا لأسلوبين من التعذيب، الأول هو احتجازهما في غرفة مغلقة ليس بها إلا فتحة صغيرة يرمى إليهما بالطعام من خلالها، والراجح أن وضعهما كان سيئا للغاية في تلك الغرفة حيث حرما من الضوء والهواء إلى جانب ضيق وقذارة المكان، أما الأسلوب الثاني فهو القتل بمنع الماء عنهما، وهو نوع من القتل البطيء الذي يتوخى من خلاله المعذِّب إطالة مدة معاناة الضحية أطول فترة ممكنة ليموت الرجلان عطشا في النهاية.

واعتمد أسلوب البناء على المعذب أيضا آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد الذي أمر بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز فبني له بيت وأدخله، فذهب يقوم فلم يستطع أن يقيم صلبه فيه من قصره، فجلس فاتكأ، وأراد أن يمد رجليه فلم يستطع[4]. وغاية مروان من هذا الأسلوب لم تكن القتل وإنما إلحاق الأذى الجسدي بضحيته فقط.

---

(1) – أمشير : هو الشهر السادس من شهور السنة القبطية، وهو شهر شباط/فبراير(فيفري). ابن مماتي: **قوانين الدواوين**، ص245.

(2) – جاسر بن خليل أبو صفية: **برديات قرة بن شريك**، ص289.

(3) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص116، 117.

(4) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج31، ص222.

كما استعمله القائد الأموي منصور بن جمهور[1] في عقاب أحد أبناء ثابت بن نعيم الجذامي حيث قتل أخاه "منظور بن جمهور"[2] فأمر به منصور "فبنى له أسطوانة من آجر مجوفة، وأدخله فيها، ثم سمَّره عليها، ثم بنى عليه"[3]، ومن الواضح أن تسميره بالبناء كان بهدف تشديد العقوبة ومنعه من التحرك ومحاولة كسر الأسطوانة والهرب.

3-7- التعذيب بالماء

مارس هذا الأسلوب هشام بن عبد الملك ضد الشاعر إسماعيل بن يسار النسائي الذي أنشده قصيدة يفخر بها بالعجم على العرب "فغضب هشام وقال:...غطوه في الماء، فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج، ثم أمر بإخراجه وهو بِشَرٍّ..."[4].

3-8- التعذيب بالكلاب

حسب بعض الروايات فقد تعرض لهذا التعذيب العابِد الزاهد إبراهيم التيمي الذي مات في سجن الحجاج سنة92هـ/710م أو93هـ/711م حيث أمر به الحجاج "أُرسلت عليه الكلاب في السجن تنهشه حتى مات"[5]، ولعل في الخبر مبالغة شديدة، ذلك أن هناك خبرا آخر -وهو الراجح فيما أرى- يذكر أن الحجاج أمر بجثة ابراهيم التيمي بعد موته داخل السجن بسبب التعذيب فطرحت للكلاب تنهشها[6].

3-9- التهديد بالتعذيب بالجمر

---

(1) - منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد الكلبي، من أهل المزَّة، خرج مع يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد، وولاه يزيد العراق، وكان قدريا ثم صار خارجيا بعد أن عزل عن ولايته وانتقل إلى السند حيث استقر هناك، قتل في خلافة أبي العباس السفاح سنة 134هـ/751م أو136هـ/753م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج60، ص311-313.

(2) - منظور بن جمهور الكلبي أخو منصور، ولي الري لأخيه منصور، ثم فر معه إلى السند فقتله أحد أبناء ثابت بن نعيم الجذامي. **نفسه**، ج60، ص360.

(3) - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص314.

(4) - الأصفهاني: **الأغاني**، ج 4، ص295.

(5) - ابن الأثير: **اللباب**، ج1، ص190.

(6) - مغلطاي: **إكمال تهذيب الكمال**، ج1، ص310.

يذكر صاحب تاريخ البطاركة أنه لما تولى عبد العزيز بن مروان مصر سنة65هـ/684م اتجه صوب الاسكندرية فلم يخرج لاستقباله بطريرك الاسكندرية "يوحنا من أهل سمنود" فغضب لذلك عبد العزيز بن مروان وأخذه بدفع مئة ألف دينار عقوبة له وسلمه إلى "صاحب برج" يدعى "سَمَد" وهو "رجل ليس فيه رحمة قاس القلب مملوء سوءا"[1]، ولما أنكر الأسقف أن يكون معه هذا المقدار من المال أمر سمد الموكل باستخراج المال منه "أن يُحضر له قصرية ملأ جمر وتجعل رجلاه فيها حتى يقول أنه يقوم بالمال"[2]، لكنه تراجع عن ذلك بأمر من عبد العزيز، وظل سمد هذا يهدده بالعذاب، حيث "هدده تهديدا عظيما..."[3].

3-10- أساليب مختلفة

إلى جانب الأساليب السابقة ترد في المصادر إشارات إلى اتباع الخلفاء والولاة أساليب أخرى لتعذيب ضحاياهم من المخالفين أو المعارضين بل وحتى عامة الناس، ففي سنة42هـ/662م أمر معاوية بن أبي سفيان واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة بتعذيب عبد الرحمن بن أبي بكرة بسبب اتهامه بحفظه لأموال زياد بن أبيه –وهو أخوه– الذي كان منابذا لمعاوية في تلك الفترة، وكان أسلوب المغيرة في تعذيب ابن أبي بكرة أن "...ألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء، فكانت تلتزق[4] بوجهه، فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم خلاه، وكتب إلى معاوية: إني عذبته فلم أصب عنده شيئا"[5].

ويعلق أحد الباحثين على هذا الفعل من معاوية قائلا: "صحيح أن معاوية كان حريصا على مال الأمة من الضياع، لكن هل كان هذا سببا كافيا لأن يأمر بضرب عبد الرحمن خاصة وأن المغيرة كتب له بأنه لم يصب عنده شيئا، أم أن الأمر على غير هذا؟ لا شك أن دافع الغضب والحقد من

---

(1) – ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج1، ص104.

(2) – **نفسه**، ج1، ص105.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**.

(4) – لزق: لَزِقَ الشيء بالشيء، التصق به. ابن منظور: **لسان العرب**، ج10، ص329. (مادة: لزق)

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص176، 177.

معاوية له دور هنا أيضا، فعبد الرحمن ساند زيادا في خروجه على معاوية، فكان هذا ربما هو السبب الحقيقي لإصدار مثل هذا القرار بحقه"[1].

إن ما ذكره الباحث من أن حرص معاوية على مال الأمة من الضياع ليس سببا كافيا لتعذيب عبد الرحمن بن أبي بكرة صحيح ولا لبس فيه، لكن أن يجعل السبب الحقيقي خلف الأمر بالتعذيب هو غضب معاوية منه لأنه ساند أخاه زياد في خروجه عليه هو في الواقع مجانب للصواب؛ إن الأمر بتعذيب عبد الرحمن بن أبي بكرة يعود إلى ثلاثة أسباب حسب ما أرى:

– الأول: هو اتهامه بحفظ أموال زياد وهو ما تصرح به رواية الطبري من أن معاوية بلغه أن لزياد أموالا محفوظة عند أخيه عبد الرحمن، مع أن الرواية لا توضح أصلا مصدر تلك الأموال المحفوظة وطبيعتها[2].

– الثاني: هو محاولة الضغط على زياد لدفعه للدخول في طاعة معاوية وضمان ولائه له عبر التضييق على أفراد عائلته بدءا من أبنائه مع بسر بن أبي أرطأة ثم أخاه عبد الرحمن مع المغيرة بن شعبة. ثم إن وصف فعل زياد بالخروج غير دقيق بالمرة؛ فزياد لم يدخل أصلا في طاعة معاوية فكيف يكون عصيانه خروجا عن طاعته؟ ذلك أن مصطلح الخروج في تلك الفترة ارتبط بفئة معينة من الجماعة الإسلامية وهم "الخوارج".

– الثالث: وهو الأهم؛ هو خوف معاوية الشديد من عصيان زياد الذي وصفه بأنه "داهية العرب" المتحصن بفارس ومعه الأموال التي يمكن له أن يوظفها لمبايعة أحد رجالات البيت العلوي – يشير إلى الحسين بن علي تحديدا هنا لأن الحسن سبق وصالح معاوية– ودخوله في حرب ضد معاوية[3]، لهذا سيعمل كل ما في وسعه في إدخاله تحت جناحه وهو ما حصل في النهاية.

وفي المدينة كان عمرو بن الزبير على شرطتها في ولاية عمرو بن سعيد الأشدق عليها، ولما رفض عبد الله بن الزبير مبايعة يزيد بن معاوية سار عمرو بن الزبير في جيش الأمويين لقتال أخيه فانهزم وقبض عليه، فقال عبد الله بن الزبير للناس: "من كان يطلب عمرو بن الزبير بشيء فليأتنا

---

(1) – مراد لكحل: **رسائل الخلفاء الأمويين**، ص230.

(2) – **نفسه**، ج5، ص176.

(3) – **نفسه**، ج5، ص177.

نقصه منه، فجعل الرجل يأتي فيقول: نتف أشعاري، فيقول: انتف أشعاره، وجعل الآخر يقول: نتف حلمتي، فيقول: انتف حلمته، وجعل الرجل يأتي فيقول: لهزني[1]، فيقول: الهزه، وجعل الرجل يقول: نتف لحيتي، فيقول: انتف لحيته. وكان يقيمه كل يوم يدعو الناس إلى القصاص منه سنة"[2]، وهذا النص يشير إلى نماذج مختلفة من التعذيب الذي مارسه عمرو بن الزبير ضد أهل المدينة لما كان صاحب الشرطة بها.

وفي سنة90هـ/708م خرج الحجاج لحرب الأكراد وأخرج معه من السجن يزيد بن المهلب وإخوته حتى استقر معسكره في رستقباذ فكانوا معه "...وأغرمهم ستة آلاف ألف(6 000 000) وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبرا حسنا، وكان الحجاج يغيظه ذلك، فقيل له: إنه رمي بنشابة فثبت نصلها في ساقه، فهو لا يمسها شيء إلا صاح، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته، فأمر أن يُعَّذب ويُدهق ساقه، فلما فعل به ذلك صاح"[3]، فالحجاج اذن لم يكتف بتعذيب آل المهلب في السجن بل حملهم معه إلى معسكره ليضمن استمرار تعذيبهم واستخراج الأموال منهم، وما يثير الاستغراب هو ما تشير إليه الرواية حول تغيظ الحجاج من صبر يزيد بن المهلب وقوة تحمله للعذاب، وأصر في البحث على نقطة ضعفه فيما يظهر أنه تلذذ بسماع صياح يزيد بن المهلب وصراخه من الألم الناتج عن التعذيب الذي يتعرض له.

أما عمر بن هبيرة والي العراق فقد عذب عامله على خراسان سعيد بن عمرو الحرشي بسبب خيانته واستخفافه به بعد عزله عن منصبه[4]، ويبدو أنه اتبع أسلوبا مغايرا تماما في التعذيب انفرد به، ومما عذبه به أن "ضربه...ونفخ في دبره بكير[5]"[6].

كما عذب صالح بن عبد الرحمن من قبل عمر بن هبيرة بسبب أموال أخذها لنفسه من خراج العراق، فكان يعذبه بأنواع مختلفة من العذاب، ثم طرح في مزبلة فمات[1].

---

(1) – لهز: الضرب باليد في الصدر أو الحنك أو العنق. الزبيدي: **تاج العروس**، ج15، ص325.

(2) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص11.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص448.

(4) – **نفسه**، ج 7، ص15، 16.

(5) – الكير: الزق(وعاء من جلد) الذي ينفخ فيه الحداد. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص157.

(6) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص84.

ولما تولى الوليد بن يزيد الخلافة أمر بمحمد بن هشام المخزومي وأخيه إبراهيم فوجها إلى يوسف بن عمر بالعراق وأمره بمصادرتهما وتعذيبهما إلى أن يتلفا، "فعذبهم عذابا شديدا وأخذ منهم مالا عظيما حتى لم يبق منهم موضع للضرب، فكان محمد بن هشام مطروحا، فإذا أرادوا ان يقيموه اخذوا بلحيته فجذبوه بها، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعا"[2].

إن أوامر الوليد بن يزيد لواليه على العراق واضحة تماما وهي مصادرة محمد وإبراهيم ابني هشام المخزومي واستخراج أقصى ما يمكنه من مال منهما، ثم اخضاعهما للتعذيب حتى الهلاك، والظاهر أن أوامر الوليد تمثل انتقاما منهما إذ كانا مقربين من هشام بن عبد الملك خؤولة وولاية.

أخيرا، فإنه ترد في المصادر أحيانا أخبار عن التعذيب دون تحديد ما تعرضت له الضحية، مثال ذلك أنه لما أخذ الحجاج "عبيد الله بن كعب النميري" بعد ثورة عبد الله بن الجارود عذبه حتى مات[3]، كما كان الحجاج "يعذب معبدا الجهني بأصناف العذاب ولا يجزع ولا يستغيث"[4]، وسبب ذلك أنه قاتله مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حسب ما تذكره بعض الروايات[5].

ومع تولي سليمان بن عبد الملك الخلافة سنة96هـ/714م تتبع من كان بالشام وغير الشام من آل أبي عقيل الثقفي فدفعهم إلى يزيد بن المهلب وأمره أن يستأديهم ويبسط عليهم العذاب، فولى أمرهم أخاه عبد الملك بن المهلب، فعذب الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي حتى قتله بأمر سليمان[6].

كما حبس صالح بن عبد الرحمن في عهد سليمان بن عبد الملك محمد بن القاسم الثقفي وعذبه في رجال من آل الحجاج[7]، وحسب البلاذري فإن سبب تعذيبهم قتل الحجاج "آدم" أخ

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص276.

(2) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 73، ص260، 261.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص291.

(4) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج29، ص325.

(5) – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص187.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص287.

(7) – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 618، 619.

صالح بن عبد الرحمن والذي كان يرى رأي الخوارج[1]، وفي الحقيقة لا يمكن قبول هذا التعليل، بل إن السبب الحقيقي لتنكيل سليمان بآل الحجاج وعماله من الثقفيين خاصة هو دعمهم لمحاولة الوليد بن عبد الملك عزل سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد وتولية ابنه مكانه، أما قتل الحجاج لأخ صالح فيمكن أن يكون محفزا ودافعا لصالح بن عبد الرحمن للإمعان في الانتقام منهم.

في سنة104هـ/722م عزل يزيد بن عبد الملك "عبد الرحمن بن الضحاك"[2] عن المدينة، وسبب ذلك حسب الروايات أنه خطب "فاطمة بنت الحسين"[3] فأبت وألح عليها في ذلك وهددها بجلد أكبر أبنائها في الخمر فشكته إلى يزيد، فغضب وقال: "هل من رجل يسمعني صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ قيل له: "عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النصري"[4] فكتب إليه يزيد: "...أما بعد، فإني قد وليتك المدينة فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط –كان بالطائف– واعزل عنها الضحاك وأغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي"[5]، وقد ساءت حال عبد الرحمن بن الضحاك جدا حتى كان بالمدينة "عليه جبة صوف يسأل الناس، وقد عذب ولقي شرا"[6].

ولما تولى خالد القسري ولاية العراق قام بتعذيب سلفه عمر بن هبيرة بأمر هشام بن عبد الملك[7]، وفي عهد يوسف بن عمر اتهم عامله على "ماه دينار"[8] ويدعى "همام بن يحي" بالخيانة فعذبه حتى مات[9]. كما عذب عامل خراج فارس لخالد القسري ويسمى "داذ به المقفع"[1].

---

(1) – **نفس المصدر والصفحة.**

(2) – عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفِهري: من رجال قريش، ولاه يزيد بن عبد الملك المدينة والموسم، وكانت ولايته المدينة في الفترة 101-104هـ/719-722م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج34، ص439-444.

(3) – فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب: راوية من راويات الحديث، شهدت مقتل أباها الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة 61هـ/680م، وكانت وفاتها سنة 110هـ/728م. عمر رضا كحالة: **أعلام النساء**، ج4، ص44-47.

(4) – عبد الواحد بن عبد الله النصري أبو بشر الشامي: ولي المدينة للخليفة يزيد بن عبد الملك خلفا لعبد الرحمن بن الضحاك الفهري، واستمرت ولايته سنة وثمانية أشهر، وعزله عنها هشام بن عبد الملك سنة 106هـ/724م. مغلطاي: **إكمال تهذيب الكمال**، ج8، ص364.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص12، 13. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص312، 313. الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص 17.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص14.

(7) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص83.

(8) – ماه دينار: هي مدينة نهاوند. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص49.

(9) – الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، ص 40.

وفي خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سلَّم هذا الأخير الوليد بن القعقاع عامل قنسرين وأخاه عبد الملك بن القعقاع عامل حمص للخليفة هشام بن عبد الملك لعمر بن هبيرة فعذبهم حتى ماتا في العذاب ومعهما رجلان من آل القعقاع أيضا[2].

4- نماذج من بعض المعذبين

4-1- تعذيب الشاعر يزيد بن مفرغ

بعد أن كان الشاعر يزيد بن مفرغ في حبس عبيد الله بن زياد رده إلى أخيه عبَّاد بن زياد بإقليم سجستان، "...وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات، وأمر عبيد الله الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره، وأمرهم ألا يتركوه يصلي إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق، فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئا مما كتبه من الهجاء أخذوه بأن يمحوه بأظافره، فكان يفعل ذلك ويحكه حتى ذهبت أظافره، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه، حتى سلَّموه إلى عباد"[3].

وقد وثق يزيد بن مفرغ العذاب الذي تعرض له في شعره حيث يقول[4]:

أصاب عذابي اللون فاللون شاحبٌ كما الرأس من هول المنية أشيبُ
وأُطعمت ما إن لا يحـل لآكـــل وصليت شرقا بيت مكة مغربُ
من الطفِّ مجلوبا إلى أرض كابُـــل فملُّوا وما ملَّ الأسير المعـــذب

وهذه القسوة في معاملة يزيد بن مفرغ من قبل عبيد الله بن زياد كانت بسبب تشهيره ببني زياد ونيله منهم في شعره، فالشاعر لسان حال مجتمعه وإدراك آل زياد لخطورة ما غمزهم به في نسبهم على مكانتهم ووجاهتهم هو الذي دفعهم لتعذيبه بشتى ألوان العذاب، وتمت عملية تعذيبه بإذن من

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص110.

(2) – **نفسه**، ج9، ص144. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص237.

(3) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 18، ص196، 197.

(4) – **ديوان يزيد بن مفرّغ**، ص55. الأصفهاني: **الأغاني**، ج 18، ص197.

معاوية بن أبي سفيان الذي شكاه عبيد الله بن زياد من شعر يزيد بن مفرغ واستأذنه في قتله فأبى عليه ذلك وأمره بتأديبه فقط[1].

لكن إِذْن التأديب هذا الذي حصل عليه عبيد الله بن زياد من الخليفة معاوية تحول إلى تعذيب ومعاملة قاسية؛ فقد نقل من العراق إلى أرض سجستان وأُخذ بمحو كل ما كتبه على جدران الخانات من هجاء لآل زياد، والأدهى أنه أُلزم بمحو كتاباته بأظافره واستمر يفعل ذلك حتى تلفت، كما أُجبر على أكل ما لا يحل من الطعام، وفرضت عليه الصلاة إلى غير قبلة المسلمين، ونتج عن هذا التعذيب تغير لون بشرته وشحوبها وسرعة انتشار الشيب في رأسه بعد أن كان شعره أسود، وهذه الممارسات توضح كيف يمكن للولاة استغلال السلطات الممنوحة لهم من قبل الخلفاء والقيام بتجاوزات خطيرة في حق الرعايا واستباحة أموالهم وأجسادهم بل وحتى حقهم في الحياة.

4-2- تعذيب حطيط الزيات

أوردت العديد من المصادر[2]خبر حطيط الزيات[3] هذا وما تعرض له من تعذيب بأمر من الحجاج بن يوسف، أما عن شخصيته فإننا لا نعرف عنه الكثير باستثناء أنه كان شابا من أهل الكوفة و"كان عابدا زاهدا يصدع بالحق"[4]، كما قتل وهو يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما[5]، وبهذا يكون مولده سنة ست وستون للهجرة(66هـ/685م) لأن مقتله كان سنة أربع وثمانون (84هـ/703م)[6]، أما عن عمله فالراجح أنه كان يعمل في بيع الزيت اعتمادا على كنيته.

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص318.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص380، 381. ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص89-93. الدينوري: **المجالسة وجواهر العلم**، ج7، ص213، 214. أبو العرب التميمي: **المحن**، ص302، 303. الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج4، ص672. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج12، ص182. ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج5، ص 2048. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص208.

(3) – أورد البلاذري نسبه فقال: حطيط الحرامي الزيات، وحرام بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. **أنساب الأشراف**، ج7، ص380. أما أبو العرب التميمي فقد انفرد بذكر أن اسمه "حطيطة الزيات". **المحن**، ص302.

(4) – ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص208.

(5) – الدينوري: **المجالسة وجواهر العلم**، ج7، ص214. أبو العرب التميمي: **المحن**، ص302، 303.

(6) – ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص208.

يذكر ابن تغري بردي(ت874هـ/1469م) أن دافع الحجاج لتعذيب حطيط الزيات وقتله راجع "لتشيعه ولميله لابن الأشعث"[1]، في الواقع لا يوجد أي دليل في المصادر الأخرى على تشيع حطيط أو مذهبه عموما، ورغم أن روايات الحوار الذي دار بين الرجلين لا تشير إلى نوع الجرم الذي اقترفه إلا أنها توحي فعلا أنه كان من المعارضين للحجاج وربما الثائرين عليه، وقد ارتأيت اعتماد إحدى الروايات التي نقلها ابن أبي الدنيا في كتابه "الصبر والثواب عليه" لمشهد مساءلة الحجاج لحطيط الزيات، واعتمدت هذا النص من المساءلة تحديدا لما فيه من عناصر شكلت –حسب ما أرى– أساس إدانة حطيط والحكم عليه بالتعذيب حتى الموت.

يقول ابن أبي الدنيا: "حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن عيينة، عن طُعمة الجعفري، عن عمر بن قيس قال: لما أتي الحجاج بحطيط الزيات:

قال له: أحروري أنت؟

قال: ما أنا بحروري، ولكني عاهدت الله أن أجاهدك بيدي وبلساني وبقلبي[2].

فقال له الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر رحمهما الله؟

فقال: أقول فيهما خيرا.

قال: ما تقول في عثمان رحمه الله؟

قال: ما ولدت إذ ذاك.

فقال له الحجاج: يا ابن اللخناء[3]، ولدت في زمن أبي بكر وعمر ولم تولد في زمن عثمان؟

فقال له حطيط: يا ابن اللخناء لا تعجل، إني وجدت الناس اجتمعوا على أبي بكر وعمر فقلت بقولهم، واختلفوا في عثمان فوسعني السكوت"[4].

---

[1] – **نفس المصدر والصفحة**.

[2] – في بعض الروايات أن حطيط لما أتي به الحجاج قال له: "عاهدت ربي على ثلاث عند الكعبة، لئن سُئلت لأصدَقنَّ، ولئن ابتليت لأصبرن، ولئن عوفيت لأشكرن". ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص93. الدينوري: **المجالسة وجواهر العلم**، ج7، ص214. الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج4، ص672. ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج5، ص2048.

[3] – حسب الزبيدي فإن القول: يا ابن اللخناء يعني يا دنيء الأصل أو يا لئيم الأم. **أنظر: تاج العروس**، ج36، ص106. (مادة ل خ ن).

[4] – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص89، 90. **ينظر أيضا** مع بعض الاختلافات: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص380، 381. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص208. وفي روايات أخرى سأله عن نفسه وعن الخليفة عبد الملك

الظاهر أن حطيط الزيات أتي به إلى الحجاج وهو في مجلسه محاطا بأشراف العراق وغيرهم، أي أنه كان في مجلس خاص شهدته قلة من الناس وليس في فضاء مفتوح يحضره عامة الناس، وما يميز العقوبات الصادرة داخل الفضاء الخاص بالخليفة أو الوالي هو إمكانية إصدار الحكم وإقرار نوع العقوبة في ظل غياب أي تأثير أو مراقبة قضائية أكثر مما يحصل في الفضاء العام[1]، صحيح أنه حتى في الحالات التي تم فرض العقوبات في الفضاءات العامة لم نسجل تدخلا للعامة سواء تدخلا سلبيا أو إيجابيا؛ فإن استجواب الضحية وإقرار العقوبة في حقه في فضاء خاص يمنح إمكانية منع أي تعاطف من العامة معها ومحاولة إنقاذها من بطش الحاكم، كما قد يشير هذا الأمر إلى الخطر الذي شكّله حطيط على الحجاج بن يوسف والحكم الأموي عموما.

ويبدو من خلال أسلوب الحجاج الهجومي في بداية المساءلة أن حطيطا كان فعلا من الثائرين عليه، وسؤال الحجاج له "أحروري أنت؟" غايته منه سبر أغوار نفسية حطيط والتأكد من مذهبه ومواقفه السياسية وسبب خروجه عليه، فالربط بينه وبين الحرورية راجع لاعتناقه فكرة الثورة على الحاكم، وكانت إجابة حطيط هي نفي أن يكون على مذهب الحرورية غير أنه أكد التزامه بجهاد الحجاج بيده ولسانه وقلبه بسبب ظلمه للرعية وبطشه بها واستباحته لدمائها وأموالها، وهذا الرد القوي من حطيط هو في الواقع دليل إدانة له وفق منطق الحجاج الذي لم يكن يُسوّغ لأي أحد الخروج عليه وشق عصا الطاعة وتفريق جماعة المسلمين مهما كانت الأسباب التي دعته لذلك.

ويواصل الحجاج عملية الاستجواب بطرح سؤال حول موقفه من الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فيما يبدو أنه محاولة نهائية للتأكد من حقيقة مذهب حطيط، وكان موقف السكوت عن إصدار أي قول أو حكم في عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن أجاب بقوله خيرا في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هو سبب غضب الحجاج عليه والأمر بتعذيبه حسب ما تبديه ظاهر الرواية.

حيث قال له: قال: حدثني عني قال: أحدثك أنك من أعداء الله في الأرض...تقتل النفوس على الظنة، فذكر مساوئه. قال: حدثني عن الخليفة. قال: أحدثك أنه أعظم جُرما منك، وإنما أنت شررة منه، ثم ذكر من مساوئه ما شاء أن يذكر". ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص93. الدينوري: **المجالسة وجواهر العلم**، ج7، ص214. أبو العرب التميمي: **المحن**، ص302 ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج5، ص2048. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 12، ص182.

[1] – كريستيان لانغ: **العدالة والعقاب في المتخيل الإسلامي**، ص63.

لكن السؤال المطروح: لما لم ينفعل الحجاج لما صرح حطيط بأنه عاهد الله على جهاده باليد واللسان والقلب وانفعل لما آثر السكوت عن إصدار أي موقف من الخليفة عثمان رضي الله عنه؟ يبدو لي أنه قد تم تغييب موقف الحجاج ورد فعله الأولي من قبل الرواة لأنه من غير المعقول وغير المعتاد في ردود فعل الحجاج أن يتمالك نفسه أو يتجاوز عمّن يجهرون بموقفهم العدائي ضده أو ضد الحكم الأموي عامة، وحتى الروايات الأخرى مجتزأة ولا تعطينا نظرة شاملة عن الحوار الذي دار بين الرجلين.

من جهة أخرى تتفق الروايات أن المرحلة التالية بعد مرحلة المساءلة والاستجواب هي مرحلة التعذيب، وهو الذي كان عمل انتقامي عنيف ووحشي من قبل الحجاج على قدر صراحة حطيط الزيات ومواجهته له، وهو ما يؤكد أن معارضته شكلت خطرا كبيرا على الحجاج رغم عدم إيضاح المصادر لطبيعة نشاطه إلا الإشارة التي أوردناها سابقا عن ميله لعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، وسوف نورد أساليب التعذيب التي تعرض لها حسب ما ورد في الروايات المختلفة:

– عذبه بأنواع العذاب، فكان يُؤتى بالمسال فيغرزها في جسمه وهو صابر[1].

– أمر به "فضرب بطنه مائة، وظهره مائة"[2]. أما البلاذري فيذكر أنه لف في ثياب ثم ضرب بالخشب حتى مات[3].

– بعد تعذيبه بأشكال مختلفة لا تذكرها الرواية أمر الحجاج: "...بالقصب فشقق، ثم شد عليه وصب عليه الخل والملح وجعل يستل قصبة قصبة، فلم يقل حساً ولا بساً"[4].

– بعد رده القوي على الحجاج وانتقاده له وللخليفة عبد الملك وثب معدٌّ –صاحب عذاب الحجاج– فقال: "إن رأى الأمير أن يدفعه إلي فوالله لأسمعنك صياحه، قال: خذه إليك. قال:

---

[1] – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص90، 91. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج1، ص208.

[2] – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص 92.

[3] – **أنساب الأشراف**، ج7، ص382.

[4] – الدينوري: **المجالسة وجواهر العلم**، ج7، ص213، 214. ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج5، ص2048. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج12، ص182.

فحمله، فمكث يعذبه ليلته جمعاء ولا يكلمه حطيط، فلما عند الصبح دعا بدهق[1] واعتمد على ساقه وكسرها"[2].

– عند نهاية عملية المساءلة دعا الحجاج صاحب العذاب: "فأمره أن يحمله على الأشقر، والأشقر حبل من ليفٍ[3] ممدود بين ساريتين يُحمل عليها الرجل ويُفضى بفرجه إليه، يُرجَّل به ويمسكه الرجال، ففُعل به ذلك أياما، كلما قرح ما هناك عادوا به عليه، فيقول إذا رجِّل به: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[المعارج، 19-22]، ثم يُمطط في قوله "إلا المصلين" فيمدها، ولا ينبس بكلمة حتى يُرفع عنه العذاب ...فلم يزل كذلك حتى هجم الحبل على جوفه"[4].

–لم يكتف الحجاج بهذا التعذيب الذي مارسه على حطيط الزيات، بل عمد إلى التأثير عليه نفسيا بإحضار أمه وتعذيبها أمامه حتى ماتت[5].

هذا ما نقلته المصادر من صور العذاب الشديد الذي تعرض له حطيط الزيات بأمر من الحجاج بن يوسف، ويبدو أن اختلاف الروايات هو الذي أدى لمثل هذه الاختلافات في العقوبات المقررة على حطيط، ولكنها بلا شك صور تظهر سياسة العنف المنفلت من أي ضوابط شرعية كانت أو أخلاقية التي صارت متبعة من قبل الحكام الأمويين في التعامل مع المعارضين والثائرين ومواجهة أي فكرة ثورية تهدد سلطانهم.

4–3– تعذيب خالد القسري وعماله

---

(1) – الدَّهْق: شدة الضغط، وهو أيضا متابعة الشد، والدَّهَقُ: خشبتان يُغمز بهما الساق، وهو ضرب من العذاب، ودهقت الشيء: كسرته وقطعته. ابن منظور: **لسان العرب**، ج10، ص106، 107.

(2) – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص 89، 90. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص381.

(3) – الليف: "ليف النخل معروف...وأجود الليف ليف النارجيل، وهو جوز الهند، تجيء الجوزة ملفوفة فيه وهي بائنة من قشرها يقال لها الكِنبار، وأجود الكنبار يكون أسود شجيج السواد، وذلك أجود الليف وأقواه مَسَدا وأصبره على ماء البحر وأكثره ثمنا". ابن منظور: **لسان العرب**، ج9، ص322. (مادة: ليف). يبدو أن هذا الحبل يستخدم في السفن خاصة حسب ما يفهم من تعريف ابن منظور.

(4) – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص 118، 119، 120.

(5) – **نفسه**، ص91.

لما عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق سنة 120هـ/737م وولاها يوسف بن عمر عذَّب هذا الأخير خالد عذابا شديدا[1]، ثم رفع هشام العذاب عن خالد وخلى سبيله فاتخذ من الشام سكنا له[2].

وبعد تولي الوليد بن يزيد الخلافة استدعى خالد بن عبد الله القسري وقام باستجوابه حول مكان ابنه يزيد بن خالد، فلما رفض التصريح بمكانه "...أمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه، وقال له: أسمعني صوته، فذهب به غيلان إلى رحله، فعذبه بالسلاسل فلم يتكلم، فرجع غيلان إلى الوليد فقال: والله ما أعذب إنسانا والله لا يتكلم ولا يتأوه"[3].

فلما لم يحصل منه على شيء بعث به الوليد إلى يوسف بن عمر بالعراق، فلما أُتي بخالد إليه كان مما عذبه به أن "دعا بعود فوضع على قدميه، ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه...ثم على ساقيه حتى كسرتا، ثم على فخذيه، ثم على حقويه[4]، ثم على صدره حتى مات"[5]، وذلك سنة126هـ/743م.

ومن المرجح أن هذا ليس السبب الوحيد لغضب الوليد بن يزيد على خالد القسري والأمر بتسليمه إلى عدوه يوسف بن عمر، ذلك أن خالد القسري كان ممن عارض خطوة الوليد في تولية العهد لابنيه الحكم وعثمان بسبب صغر سنهما وعدم بلوغهما الحِلم، وأجاب منتقديه على موقفه هذا قائلا: "ويحكم، كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته؟"[6]، وقد غضب الوليد عليه بسبب موقفه هذا[7]، ولم يلبث أن سلمه ليوسف بن عمر بحجة إخفاء مكان ابنه يزيد.

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص107، 108. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص162.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 9، ص103، 104.

(3) – **نفسه**، ج 7، ص258، 259.

(4) – الحقو: الخصر. الزمخشري: **الفائق في غريب الحديث**، ج1، ص298.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص260. الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص53، 54.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص232.

(7) – **نفس المصدر والصفحة**.

ولم يكتف يوسف بن عمر بتعذيب خالد القسري وقتله فحسب؛ بل تعرض عماله للتعذيب أيضا بعد عزل سيدهم عن عمله، حيث قام يوسف بن عمر بأخذ جميع عمال خالد القسري وهم ثلاثمائة وخمسون فعذبهم[1].

في الواقع قد يكون هناك مبالغة في عدد الموظفين التابعين لخالد القسري والذين تعرضوا للتعذيب على يد يوسف بن عمر، لكن هذا لا يمنع من التأكيد أن الكثير منهم كان عرضة للتعذيب بغاية استخلاص الأموال منهم خاصة، بل إن بعضهم مات في العذاب[2].

من خلال ما سبق يتضح اختلاف فضاء التعذيب حسب كل ضحية، بين فضاء عام يشهده

عامة الناس على غرار ما حصل مع يزيد بن مفرغ، أو فضاء خاص على غرار تعذيب خالد القسري، ولعل مكانة خالد باعتباره أحد كبار ولاة الدولة الأموية هو ما جعل الخليفة يأمر بتعذيبه بعيدا عن أعين العامة وبحضور الخاصة فقط.

وعلى العموم فإن التعذيب العلني للضحايا سواء كان في فضاء عام أو خاص يُنهي بشكل رسمي الصراع الذي كان قائما بين المجرم(الضحية) وبين الحاكم، وهو الصراع الذي كانت نتيجته مقررة سلفا، كما أنه يُظهر السلطة اللامحدودة للحاكم على أولئك الذين أصبحوا عاجزين أمامه[3]، ولهذا فإن الغاية الفعلية من التعذيب العلني هي تحقيق العبرة "ليس فقط بإيقاظ الوعي في أن أقل مخالفة سوف تلقى العقاب القوي؛ بل بإثارة مفعول الرعب بمشهد السلطة وهي تصب سُعار غضبها على الجاني"[4].

ثالثا: المثلة بالأجساد والجثث

1: المثلة بالأجساد

---

(1) – مجهول: **العيون والحدائق**، ص 3، ص102.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص429. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص324. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 3، ص11.

(3) – ميشيل فوكو: **المراقبة والمعاقبة**، ص83.

(4) – **نفسه**، 88.

1-1- بتر الأطراف

تعتبر عقوبة قطع اليدين والرجلين من العقوبات الأكثر انتشارا خلال العصر الأموي، وهي تمثل "نقش للجريمة على جسد الجاني تذكيرا له ولغيره بالحضور الدائم للسلطة"[1]، وهذا الحضور الدائم والطاغي للسلطة يلغي أي قوة أخرى مجابهة لها، وبما أن اليد تمثل رمز القوة والقدرة فإن الهدف من بترها هو حرمان الفرد من القدرة على الفعل مرة أخرى وثانيا حتى يبقى عبرة لمن تسول له نفسه القيام بما قام به[2]، وبهذا تبقى عقوبة السلطة وانتقامها محفورة على جسده مُذكرة جميع الرعايا بالمصير المحتوم لمن يخرج عن طاعتها.

ترد أول إشارة إلى عملية قطع للأطراف في العصر الأموي سنة50هـ/670م، وهي السنة

التي مات فيها المغيرة بن شعبة وتولي زياد بن أبيه الكوفة إلى جانب البصرة، حيث يذكر المدائني أن زياد خطب في أهلها فحُصب[3] على منبرها وهو يخطب فأمر بأبواب المسجد فأغلقت، وجلس لعرض الناس عليه، فمن حلف تركه، ومن أبى قطع يده "فقطع يومئذ ثمانين يدا"[4]، أما الطبري- نقلا عن عمر بن شبة- فقد ذكر نفس الواقعة إلا أنه أشار إلى الاختلاف في عدد من قطعت أيديهم بين ثلاثين أو ثمانين شخصا[5]، ويبدو الرقم ثلاثين أكثر واقعية في هذه الحادثة.

هذا ما يرد عن عمليات قطع الأطراف خلال مدة ولاية زياد بن أبيه على العراق وهذا راجع إلى قوة شخصيته وإنفاذه لأقواله إلى درجة دفعت التابعي "عامر الشعبي" إلى التصريح قائلا: "فوالله ما تعلَّقنا عليه بكذبة، وما وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه"[6]، وفي العراق أيضا قام عبد الله بن عمرو

---

(1) – الحسن بولقطيب: **نظام العقوبات والسجن في المغرب الوسيط**، ص48.

(2) – حميد الحداد: **السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**، ص 310، 311.

(3) – الحَصْبُ: حَصَبته أحصبه، رميته بالحصباء، والحصباء: الحصى، والمفرد حَصبة. ابن منظور: **لسان العرب**، ص318، 320.

(4) – **أنساب الأشراف**، ج5، ص284.

(5) – **تاريخ الطبري**، ج 5، ص235.

(6) – **نفس المصدر والصفحة**.

بن غيلان[1] والي البصرة لمعاوية(54-55هـ/673-674م)، بالأمر بقطع يد رجل حصبه لما كان يخطب على منبرها وكان ذلك سنة 55هـ/674م[2].

وفي مدة عمل عبيد الله بن زياد للخليفتين معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية اتخذت عمليات القطع منحاً تصاعديا، حيث أمر بقطع يدي ورجلي أحد كبار رجالات الخوارج وهو "عروة بن أدية" سنة58هـ/677م لما خشي ثورته عليه[3]، وهذه هي المرة الأولى التي يتم الجمع بين اليدين والرجلين في عمليات القطع خلال العصر الأموي، وإذا كنا نملك تاريخا محددا لهذه العملية فإن بقية عمليات القطع التي قام بها عبيد الله بن زياد لا نملك تاريخا محددا لها، وإن كان الراجح بالنسبة لي أنها كانت خلال ولايته على إقليم العراق فقط حيث تغيب عنا أخبار عنفه في ولايته على خراسان[4].

وكان ضحايا عبيد الله في غالبيتهم من رجال ونساء ينتمون للحركات المعارضة الشيعية والخارجية، ويبدو أن لآية الحرابة ارتباط بهذا الشكل من العقوبة[5]، ومن ضحايا عبيد الله بن زياد أيضا "جويرية بن مسهر العبدي" وهو من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي قطع يده

---

[1] – عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفي: أصله من دمشق، وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان البصرة سنة 54هـ/674م خلفا لسمرة ابن جندب الفزاري، واستمرت ولايته ستة أشهر ثم عزله سنة 55هـ/674م وخلفه في ولايتها زياد بن أبيه. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج31، ص298-300.

[2] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص249. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص299. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص347.

[3] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص415. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص313. الشماخي: **كتاب السير**، ج1، ص65. كان عروة بن أدية(أدية جدته أما والده فاسمه حدير) من رجال المحكّمة الأولى، وحسب الشهرستاني والشماخي في رواية له فإن زياد بن أبيه هو من قام بقتله وليس ابنه عبيد الله، حيث التقى زياد لما كان واليا على العراق ودار بينهما حوار سأله فيه عن أبي بكر وعمر فقال فيهما خيرا، ثم سأله عن عثمان فقال: "كنت أوالي عثمان على أحواله في خلافته ست سنين، ثم تبرأت منه بعد ذلك للأحداث التي أحدثها، وشهد عليه بالكفر"، وسأله بعدها عن رأيه في علي فقال: "كنت أتولاه إلى أن حكّم الحكمين، ثم تبرّأت منه بعد ذلك، وشهد عليه بالكفر"، وسأله عن معاوية فسبّه سبّا قبيحا، ثم سأله عن نفسه فقال: "أولك لزنية، وآخرك لدعوة، وأنت فيما بينهما بعد عاص لربك"، وأمام هذه الأجوبة أمبر به زياد فضربت عنقه. أنظر: الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1، ص110. الشماخي: **كتاب السير**، ج1، ص65.

[4] – تولى عبيد الله بن زياد خراسان لمعاوية في الفترة (54هـ-56هـ). **أنظر**: الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص295-298.

[5] - Andrew Marsham: **Public Execution in the Umayyad period: Early Islamic punitive practice and its late antique context**, p122.

ورجله لما تولى ولاية العراق لمعاوية بن أبي سفيان[1]، كما أخذ عبيد الله "رُشيد الهجري" وكان من خواص شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضا "فأمر بقطع يديه ورجليه"[2].

وإلى جانب هذان أمر ابن زياد بميثم التمار فقطعت يداه ورجلاه[3]، والراجح أن لهم نشاط دعوي أو ثوري ولهذا تعرضوا لمثل هذه العقوبة. كما أمر عبيد الله بن زياد برجل يُعرف باسم "ابن مُكَعْبِرْ"[4] فقطعت يداه ورجلاه[5]، ولا نملك معلومات محددة تساعد في معرفة سبب هذه العقوبة.

ومن الخوارج أخذ عبيد الله بن زياد "الثبجاء بنت حرام بن يربوع"[6] الخارجية، فقطع يديها ورجليها[7]، ويذكر صاحب كتاب المحن أنها لما قطعت "...جعل الدم لا يرفأ[8] فحُمِشت[9] بالنار"[10]، أما سبب قطعها فهو أنها كانت "تُحَرِّض على عبيد الله بن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وفعله"[11].

---

(1) – ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج2، ص291. الشيخ المفيد: **الارشاد**، ج1، ص322، 323.

(2) – الطوسي: **رجال الكشي**، ص 77.

(3) – **نفسه**، ص84.

(4) – لم أعثر على ترجمة لابن مكعبر هذا. لكن، يذكر ابن سعد في ترجمة محمد بن طلحة بن عبيد الله اسم "عبد الله بن مكعبر رجل من بني عبد الله بن غطفان حليف لبني أسد" كان ممن شارك في موقعة الجمل 36هـ/656م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج7، ص58. أما أبو العرب التميمي فيذكره باسم "مُكَعْبِر" وقد قاتل إلى جانب علي رضي الله عنه في صفين وهو الذي قتل محمد بن طلحة بن عبيد الله. أبو العرب التميمي: **كتاب المحن**، ص113. ولا أدري إن كان هو من قطع زياد يديه ورجليه.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص408. يذكر ابن أبي شيبة نفس الواقعة لكنه ينسبها لزياد بن أبيه وليس لابنه عبيد الله. **المصنف**، كتاب الديات، باب المثلَة في القتل، ج9، ص245.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص189، 190.

(7) – الجاحظ: **الحيوان**، ج5، ص588، 589. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص189، 190. المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص 1174. أبو العرب التميمي: **المحن**، ص 223.

(8) – الرَّفاء: الالتئام والاتفاق. ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص87.(مادة: رفأ). واللفظة تشير هنا إلى استمرار الجرح في النزيف.

(9) – حُمشت: يرد عند ابن منظور في مادة: حمش ما يلي: أحمش الشحم وحمَّشه: اذابه بالنار حتى كاد يُحرقه. **لسان العرب**، ج6، ص288. ولعله يشير هنا إلى كي الجراح بالنار لإيقاف النزيف.

(10) – أبو العرب التميمي: **المحن**، ص 223.

(11) – **أنساب الأشراف**، ج 5، ص189، 190

وفي العهد المرواني تواصل استخدام هذا الأسلوب القاسي في عقاب المخالفين، ففي مصر لما أُرسل ثلاثة كهنة منها إلى الهند من دون مشورة لعبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل أخيه الخليفة عبد الملك، قُبض على الكهنة الثلاثة وحُملوا إلى عبد الملك "...الذي أمر بقطع أيديهم وأرجلهم وحملهم إلى مصر"[1].

وفي العراق أمر الحجاج بقطع أيدي وأرجل كل من مسلم مولى مالك بن مسمع وراشد بن عوف وكِراز بن كراز العبدي الذين انضموا إلى ثورة عبد الله بن الجارود على الحجاج بن يوسف بالبصرة سنة75هـ/694م[2]. كما أمر الحجاج بموسى بن يزيد الأسواري فقطعت يداه ورجلاه لما تخفى عنده مثجور بن غيلان بن خرشة[3]وهو أحد الفارين من الحجاج[4].

ولما طلب الحجاج "أبا بيهس الهيصم بن جابر"[5] هرب إلى المدينة وتخفى بها متنكرا، فبلغ خبره إلى الوليد بن عبد الملك فكتب إلى والي المدينة عثمان بن حيان المري فيه ووصف له صفته، فأخذه عثمان وكتب إلى الوليد فيه "فأتاه كتاب الوليد أن اقطع يديه ورجليه"[6]، وكان هذا أيضا مصير أحد رجالات الخوارج من أصحاب نافع بن الأزرق ويدعى "الحارث بن كعب الشني" حيث أخذه الحجاج فقطع يديه ورجليه[7].

---

(1) – ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج1، ص114.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص293.

(3) – مثجور بن غيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار بن عمر: كان شريفا عالما بأنساب الناس وأيامهم، ولاه الحجاج بن يوسف خراج بعض الأقاليم فلم يضبط عمله، ولما خاف عقاب الحجاج هرب منه ثم قاتله لما اشتد عليه الطلب. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 11، ص370، 371.

(4) – **نفس المصدر والصفحة**.

(5) – أبو بيهس الهيصم بن جابر الضبعي، من بني سعد بن ضُبيعة، رأس الفرقة البيهسية من الخوارج، كان فقيها متكلما من الأزارقة، ثم كفَّر نافع بن الأزرق في بعض ما ذهب إليه وتبعه جماعة، طلبه الحجاج فهرب إلى المدينة فأخذه واليها فقتله سنة94هـ/ 712م. الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1، ص121، 122.. الزركلي: **الأعلام**، ج8، ص105.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص97، 98. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص16.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص151، 152.

كما تعرض أحد كتاب الحجاج لهذه العقوبة القاسية ويعرف بـــ "نافع" فقطع يديه ورجليه وقد علل له الحجاج فعله هذا به قائلا له: "قطعت يديك ورجليك للرشوة"[1]، وكان هذا الكاتب يتولى كتابة الرسائل للحجاج[2].

وهكذا فالحجاج لم يتوقف عند استباحة والتنكيل بأجساد معارضيه والثائرين عليه بل تعداه حتى إلى المتعاملين بالرشوة من موظفيه، ومهما كان مسوغ الحجاج في فعله هذا فإنه لا يمكن أن يصل حد الرشوة إلى قطع اليدين والرجلين وهو ما يمثل تعارضا صريحا مع تعاليم الاسلام التي يبدو أن الحجاج وغيره من العمال لم يولوها أي اعتبار في ممارساتهم العقابية.

وإلى جانب هؤلاء أتي الحجاج برجل فأمر بقطع يده ورجله[3]. ولا ندري متى قام الحجاج بهذا وأسباب ذلك.

إن هذه الممارسات الفظيعة التي قام بها الخلفاء والولاة الأمويين أثارت انتباه الخليفة المصلح عمر بن عبد العزيز فأولاها عنايته الخاصة ضمن سياسته الاصلاحية، فكتب إلى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن: "سلام عليك أما بعد، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام وسنة خبيثة سنتها عليهم عمال السوء...ولا تتعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني"[4]، ويذكر اليعقوبي أن الخليفة عمر بن عبد العزيز وجه كتبا إلى عماله جاء فيها: "لا تحدثوا حدثا في قطع ولا صلب حتى تؤامروني"[5].

وهذان النصان يدلان على استشراء ممارسات القطع والصلب دون مبرر شرعي من قبل الولاة السابقين، خاصة الكوفة التي عرفت بكونها مركز المعارضة الشيعية للدولة الأموية، والتي وصف عمالها بكونهم "عمال سوء" لجورهم في الأحكام وسنهم "سنة خبيثة" على أهلها مما جعلهم في بلاء عظيم وشدة كبيرة، كما توضح هذه الكتب حرص عمر بن عبد العزيز على الحكم بالحق والسير بالعدل في رعيته إنكارا منه لتجاوزات من سبقه من الخلفاء والولاة.

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص394، 395.

(2) – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص197.

(3) – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص 76، 77.

(4) – أبو عبيد: **الأموال**، ص122.

(5) – **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص305.

لكن كغيرها من سياسات الخليفة عمر بن عبد العزيز الاصلاحية كانت هذه الأوامر ظرفية انتهت صلاحيتها بموت صاحبها، حيث عادت عقوبة قطع الأطراف مع الخليفة هشام بن عبد الملك الذي أمر بغيلان الدمشقي وصاحبه صالح بن سويد فقطعت أيديهما وأرجلهما[1]. وكان للعوامل السياسية المتسترة بستارة دينية دور مهم في هذا الفعل.

وفي مصر اشتد عاملها للخليفة هشام وهو حنظلة بن صفوان[2] على النصارى "وأحصى الناس والبهائم، وجعل على كل نصراني وسما صورة أسد، وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده"[3]، وهذه الأفعال ضد النصارى هي في الواقع إذلال لهم وانتهاك لحقوقهم كعناصر ذمية مستقرة في دار الإسلام.

وفي سنة 107هـ/725م وجه بكير بن ماهان كبير دعاة العباسيين "أبا عكرمة" و"أبا محمد الصادق" و"محمد بن خنيس" و"عمار العبادي" وغيرهم دعاة إلى خراسان، فحُمل خبرهم إلى أسد بن عبد الله القسري عامل خراسان فقطع أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم، ماعدا "عمار العبادي" فإنه نجا[4].

هذا الأخير الذي نجا من قبضة أسد بن عبد الله القسري سنة107هـ/725م إلا أنه في سنة108هـ/726م قبض عليه فقطع يديه ورجليه[5]. وكان مصير عمار بن يزيد "خداش" مشابها

---

(1) – ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص26، 27. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص419. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص203.

(2) – حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر، أبو حفص الكلبي، من أهل دمشق، ولي إمرة مصر والمغرب مرتين، للخليفة يزيد بن عبد الملك (102-105هـ) ولهشام بن عبد الملك(119-124هـ)، كما تولى إفريقية أيضا(124-129هـ). ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج15، ص330-332.

(3) – المقريزي: **الخطط المقريزية**، ج3، ص767.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص40. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص319. الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص 26. يذكر الدينوري أيضا هذا الخبر لكنه يقتصر على ذكر "أبي عكرمة" و"جنان العطار"، كما أنه يذكر قتلهما عن طريق ضرب أعناقهما ولا يشير إلى التمثيل بهما. **الأخبار الطوال**، ص307.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص43. Saleh Sa'id Agha**: The revolution which toppled the Umayyads: neither Arab nor 'Abbasid**, p15.

حيث وجهه بكير بن ماهان سنة118هـ/736م داعيا للعباسيين بمنطقة "مرو" فبلغ أسد بن عبد الله القسري خبره فوضع عليه العيون حتى ظفر به "فأمر به فقطعت يده"[1].

أما يوسف بن عمر الثقفي فقد أمر بامرأة أعانت زيد بن علي في ثورته سنة121هـ/738م فقطعت يدها ورجلها[2]، كما أمر نصر بن سيار عامل خراسان بقطع يَدِ ورِجْل رَجُل يدعى "الحسحاس الأزدي" بسبب انضمامه إلى ثورة زيد بن علي أيضا[3].

وفي العهد الأموي الأخير أمر مروان بن محمد بثابت بن نعيم الجذامي[4] وثلاثة من أبنائه كانوا قد ثاروا عليه فقطعت أيديهم وأرجلهم وذلك سنة 127هـ/744م[5]، ولما جيء له بأمية بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي انضم إلى الخوارج ضده فأمر به فقطعت يداه سنة 129هـ/746م[6]، كما أمر مروان بن محمد بكاتب له يدعى "محمد بن سعيد" أرسله إلى "الخيبري" قائد الخوارج بعد الضحاك بن قيس فمالأهم وانضم إليهم، فلما قبض عليه قطع يده ورجله[7].

1-2- حلق اللحية والرأس

تحمل اللحية دلالة رمزية معتبرة في المجتمع الاسلامي؛ فهي واجبة الكرامة، بل إن العرب كان يقسم الواحد منهم بلحيته، أو بلحية من يخاطبه، ثم جاء الاسلام فأقر لها حرمتها ومكانتها[8]، فقد صح عن الرسول أنه قال: "خالفوا المشركين، ووَفِّروا اللِّحى، واحفوا الشوارب"[9]، كما أن اللحية تعبر

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص109.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص448.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص230.

(4) – ثابت بن نعيم الجذامي: من أهل فلسطين، من أشراف اليمنية بالشام، اتصل بمروان بن محمد فولاه فلسطين، غير أنه خلع طاعته مع يمنية فلسطين فقتله مروان هو وبنوه. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج11، ص143، 144.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**: ج7، ص314. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص244. يذكر المنبجي أن مروان بن محمد أمر "أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى". **المنتخب من تاريخ المنبجي**، ص101.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص350. الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص73.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص347.

(8) – عبود الشالجي: **موسوعة العذاب**، ج4، ص17.

(9) – البخاري: **صحيح البخاري**، **كتاب اللباس**، **باب تقليم الأظفار**، حديث رقم: 5892، ص1486.

عن الرجولة والقوة والكبرياء، وحلقها عنوة هو تعبير عن فقدان الشخص لكرامته ومروءته، وانتقاص من شهامته ورجولته، ولهذا الفعل تأثيرات نفسية كبيرة على الضحايا لا سيما اذا ارتبط بعملية التشهير بالضحية والطواف به أمام الناس في الأسواق أو الطرقات[1].

وهذا النوع من العقوبة منهي عنه شرعا، حيث سئل ابن عباس عن الحلق فقال: "جعله الله نُسكا وسنة وجعله الناس عقوبة"[2]، واعتبرها الخليفة عمر بن عبد العزيز من المثلة وشدد في النهي عن ممارستها أو تخاذها عقوبة للمخالفين والعصاة حيث كتب إلى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي بأذربيجان: "إنه بلغني أنك تحلق الرأس واللحية، وإنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل جعل هذا الشعر نُسُكا وسيجعله الظالمون نكالا" فإياي والمثلة، جز الرأس واللحية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة"[3]، وقال طاووس[4]: "جعله الله طهرا وجعلتموه عقوبة"[5].

ويذكر صاحب كتاب "الأموال" أن حلق الرأس كان عقوبة من لم يؤد الخراج أو الجزية[6]، ويمكن أن يفهم من هذا القول أن هذه العقوبة كانت تفرض في الأصل على غير المسلمين من المتخلفين عن دفع الخراج والجزية ثم أصبحت تفرض على المسلمين، وكان الغرض منها إهانة الضحايا والحط من كرامتهم وإذلالهم.

---

(1) – حميد الحداد: **السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**، ص 308.

(2) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، كتاب الحدود، باب من كره حلق الرأس في العقوبة. ج 9، ص389. ينقل ابن قتيبة عن ابن عباس أنه قال: "جز الرأس واللحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكا لمرضاته". **عيون الأخبار**، ج 1، ص73.

(3) – الخولاني: **تاريخ داريا**، ص 85، 86. يذكر ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل له: "إياي والمثْلَة جز الرأس واللحية". **كتاب الطبقات**، ج 7، ص370. **يُنظر** أيضا: ابن أبي شيبة: **المصنف**، كتاب الحدود، باب من كره حلق الرأس في العقوبة. ج3، ص389.

(4) – طاووس بن كيسان: يُكنى أبا عبد الرحمن، أصله من اليمن، وهو من كبار فقهاء التابعين، أدرك جمعا كبيرا من الصحابة، وأكثر روايته عن ابن عباس، توفي سنة 106هـ/724م بمكة. ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، 407-409.

(5) – ابن أبي شيبة: **المصنف**، كتاب الحدود، باب من كره حلق الرأس في العقوبة. ج 3، ص389.

(6) – أبو عبيد القاسم بن سلام: **الأموال**، ص 129، 130.

تاريخيا كانت هذه العقوبة موجودة حتى قبل العصر الأموي، فعندما منع "عثمان بن حنيف" عامل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة من دخولها من قبل أنصار ثلاثي الجمل "نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه"[1]، أي أنهم لم يكتفوا بشعر لحيته فقط بل حتى شعر رأسه وحاجبيه، كما لم تكن عملية حلق وإنما نتف.

وفي العصر الأموي كان عبد الله بن عامر أول من مارس هذه العقوبة سنة 43هـ/ 663م، وقد سلّطها على "قيس بن الهيثم" عامله على خراسان حين استبطأ عليه في حمل الخراج فحلقه بعد أن ضربه[2]. ثم مارس هذه العقوبة زياد بن أبيه، حيث أراد أن يستعمل "الجموح بن عمرو الفهمي" فرفض وعيَّر زياد بنسبه، فأخذه هذا الأخير فحلق رأسه ولحيته بعد أن ضربه مئة سوط[3].

ولما استباح مسلم بن عقبة المري المدينة سنة63هـ/682م أخذ "عمرو بن عثمان بن عفان" وكان يسكن بالمدينة وقال له: "إنك إن ظهر أهل المدينة قلت أنا كنت معكم، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين" ثم أمر به "فنتفت لحيته بين يديه وكان ذا لحية كبيرة"[4]، وهكذا لم يسلم من هذه العقوبة القاسية حتى ابن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والذي اتخذ الأمويون مقتله والطلب بدمه أساسا من أسس شرعية حكمهم.

وفي عهد الحجاج بن يوسف الثقفي أمر محمد بن القاسم الثقفي بالقبض على عطية بن عمرو العنبري وكان ممن خرج مع ابن الاشعث فحلق رأسه ولحيته بعد أن ضربه أربعمائة سوط[5]، وحين عزل الوليد بن عبد الملك "عبيدة بن عبد الله بن عبد الرحمن" عامله على الأردن حلقه بعد أن

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 4، ص480.

(2) – **نفسه**، ج 5، ص209، 210.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص283.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص494. الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص244. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص630.

(5) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج 8، ص421.

ضربه[1]، وفرض هذه العقوبة أيضا قتيبة بن مسلم الباهلي عامل خراسان حين أمر بضرب حيان النبطي وحلقه وذلك سنة 93هـ/711م[2].

وفي بردية لقرة بن شريك والي مصر للخليفة الوليد بن عبد الملك تظهر فيها عقوبة جز اللحية والرأس للقبالين الذين يظلمون الرعية ويغتصبون حقوقها، وهذا في رسالة من قرة بن شريك إلى "بسيل" صاحب "أشقوه":

"وإن وجدت أحدا
من القبالين اعتدى على
أهل الأرض في الكيل أو
ازداد على الذي فرضتَ
له شيئا، فاجلده مية جلدة
واجزز لحيته ورأسه وا
غرمه ثلثين دينارا، بعد أن
تغرمه ما ازداد على
الذي أمرتك به..."[3]

ويتضح من خلال البردية أنه لم يقتصر على عقوبة حلق اللحية والرأس وهي عقوبة نفسية بل أضاف إليها عقوبة جسدية تمثلت في جلده مئة جلدة، وعقوبة مادية تمثلت في تغريمه ثلاثين دينارا إضافة إلى الزيادة التي فرضها على الناس.

وبعد خلافة عمر بن عبد العزيز الذي عمل على إصلاح ممارسات سابقيه من الخلفاء والولاة

والحد من مظالمهم عادت عقوبة حلق اللحية والرأس مجددا، فحين تباطأ "البختري بن درهم" و"عمرو بن مسلم" عن غزو ما وراء النهر مع "مسلم بن سعيد" سنة 106هـ/724م قام نصر بن سيار بحلق

---

(1) – التنوخي: **الفرج بعد الشدة**، ج 3، ص133. الأصفهاني: **الأغاني**، ج9، ص232.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص480.

(3) – جاسر خليل أبو صفية: **برديات قرة بن شريك**، ص125.

رؤوسهم ولحاهم[1]، وحلق رؤوس ولحى المتخلفين عن الجهاد هي العقوبة التي سنها مصعب بن الزبير زمن ولايته على العراق[2].

وممن تعرض لهذه العقوبة أيضا جماعة من أشراف خراسان منهم: نصر بن سيار ومنصور بن أبي الخرقاء السلمي، والبَخْتَري بن مجاهد، وعبد الرحمن بن نعيم، وقد فرضها عليهم أسد بن عبد الله القسري بسبب استصغارهم له فأمر بحلق رؤوسهم ولحاهم بعد أن ضربهم[3].

ومما عذب به الشاعر العرجي من قبل محمد بن هشام والي المدينة أن حلق رأسه هو وصاحبه الحصين بن غرير الحميري[4]، كما أمر يوسف بن عمر بيزيد بن خالد القسري فحلق بعد أن ضُرب[5].

ولما كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ناقما على هشام بن عبد الملك وآله فلم يتوان في التنكيل بهم بمختلف الأساليب حين تولى الخلافة سنة125هـ/742م، حيث أخذ سليمان بن هشام فحلق رأسه ولحيته بعد أن ضربه مئة سوط[6]، كما أمر بـ "يزيد الافقم بن هشام بن عبد الملك" فحلق[7].

أخيرا فإنه نظرا لكون الغاية من هذه العقوبة هو الحط من كرامة الشخص وإهانته فإن ضحاياها كانوا في الغالب من العمال والولاة السابقين أو الأشراف وحتى أفراد البيت الأموي لم ينجو من هذه العقوبة، كما أنها كانت مرافقة لعقوبة أخرى خاصة عقوبة الضرب، أي أنها كانت عقوبة إضافية للعقوبة الأساسية.

1-3- قطع اللسان

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص31.

(2) – ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج 4، ص142. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج 3، ص54.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص79.

(4) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 1، ص266.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص432.

(6) – **نفسه**، ج 9، ص166. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص231.

(7) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 7، ص62.

لم تكن معارضة السلطة الأموية قائمة على المعارضة العسكرية فحسب؛ بل كان للمعارضة الكلامية دورها البارز أيضا في كشف مساوئ الأمويين وتعرية مظالمهم، وانتقادهم للنيل من شرعيتهم في الحكم، وإثبات حجج مخالفيهم عليهم، وبما أن اللسان يُعتبر أداة الكلام والخطابة، ووسيلة الحث على العصيان والتحريض على الثورة، فقد شكل هو الآخر هدفا للسياسة العقابية الأموية، ولم يكن الهدف هو اللسان في حد ذاته كعضو؛ وإنما الهدف الحقيقي هو محاولة السلطة إسكات كل الأصوات المعارضة لها والتي تشكل خطرا عليها.

حسب ما تذكر المصادر فإن أول من مارس هذه العقوبة هو عبيد الله بن زياد الذي أمر بقطع لسان "رشيد الهجري" بعد أن قطعت يداه ورجلاه[1]، كما أمر بقطع لسان "ميثم التمار" بعد أن قطعت يداه ورجلاه هو الأخر، ذلك أنه بقي يحدث الناس وهو مصلوب[2]، ولا توضح الرواية فيما كان يحدثهم لما صلب.

كما قام الحجاج بن يوسف بقطع لسان كاتبه "نافع" بعد أن قطع يديه ورجليه وعلل ذلك بقوله "قطعت لسانك لإفشائك سري"[3].

ولما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة أمر بقطع لسان غيلان الدمشقي وصالح بن سويد بعد أن قطعت أيديهما وأرجلهما[4]، وفي خراسان قام أسد بن عبد الله القسري بقلع لسان عمار بن يزيد(خداش) بعد أن قطع يده[5]، وهذا الخبر يشير إلى قلع اللسان من أصله وليس عملية قطع بالسكين، وإذا كان الفعل قد وقع بهذه الطريقة فعلا فإنه يُعتبر عملا متطرفا للغاية إلى حد الوحشية من قبل الوالي الأموي.

واتخذ مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين هذا الأسلوب في العقاب أيضا، حيث أمر بكاتبه

---

(1) – الطوسي: **رجال الكشي**، ص77.

(2) – **نفسه**، ص 84.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص394، 395.

(4) – **نفسه**، ج 8، ص419. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص 27.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص109.

"محمد بن سعيد" فقطع لسانه بعد أن قطعت يده ورجله لانضمامه إلى الخوارج سنة128هـ /745م[1]، ولما وصل إلى قرية بوصير في مصر فارا من جيوش العباسيين أمر مروان بقطع لسان قائد من قواده اتهمه بمكاتبة العباسيين[2].

وهكذا، الملاحظ أن قطع اللسان لم يكن دائما بسبب المعارضة السياسية بل كان نتيجة أسباب أخرى أيضا مثل خيانة الأمانة والبدعة في الدين، كما نلاحظ أنها في الغالب مرافقة لعقوبة أخرى أساسية خاصة قطع الأطراف ونادرا ما كانت هي العقوبة الوحيدة حيث تم تسجيل حالة وحيدة فقط كانت عقوبة قطع اللسان منفردة.

1-4- سمل العينين

كان البصر أيضا هدفا لآلة العقاب الأموي، حيث لم يكتف الولاة الأمويون بتقطيع أيدي وأرجل وألسنة مخالفيهم بل أضافوا إليها عقوبة أشنع وهي سمل أعينهم أيضا، من ذلك أن عبيد الله بن زياد لما قبض على الثبجاء الخارجية أمر بها فسملت عيناها بعد أن قطعت أيديها وأرجلها[3]، كما أمر بسمل أعين ابن مكعبر بعد أن قطع يديه ورجليه[4].

ولما قبض أسد بن عبد الله القسري على عمار بن يزيد (خداش) أمر بسمل عينيه بعد أن قطع يده ولسانه[5]. ومثل عقوبة قطع اللسان فإن هذه العقوبة كانت بعد عقوبات أخرى مورست على الضحايا.

1-5- كسر اليدين والرجلين:

يبدو أن الغاية من هذه العقوبة هو إلحاق أذى جسدي بالغ بالضحية وحرمانها من أي قدرة على الحركة أو استعمال الأطراف المستهدفة لفترة من الزمن، وأول من مارسها هو الحجاج بن

---

(1) – **نفسه**، ج 7، ص347.

(2) – الكتبي: **فوات الوفيات**، ج 4، ص128.

(3) – ابن أبي الدنيا: **الصبر والثواب عليه**، ص99.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص408.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص109.

يوسف الذي أمر ببلال بن أبي بردة فكسرت ساقه[1]، كما أمر الحجاج "معد صاحب العذاب" أن يعذب "أزاد مرد بن الهربد" "فَدَقَّ[2] يديه ورجليه"[3].

أما صاحب نشوار المحاضرة فيذكر أن صاحب العذاب "دق يده، ودهقه، ودق ساقه"[4]. وكان الحجاج يطالبه بالأموال فلم يؤد إليه شيئا[5]. وكان "أزاد مرد" هذا دهقان[6] مدينة "فسا"[7]، حيث ذكر أبو العباس المبرد(ت285هـ/898م) أنه دفع مائة ألف درهم لزعيم الخوارج قطري بن الفجاءة شريطة ترك المدينة وشأنها[8].

ولم يتم ذكر استعمال هذه العقوبة حتى عهد يوسف بن عمر الثقفي لما جيء له بخالد القسري فدعا بعود فوضع على قدمي خالد ثم قامت عليه الرجال حتى كسروا قدميه[9]. كما أمر بعريفٍ رفض إحضار ابنة رجل زَوَّجها أبوها من زيد بن علي، وكان يوسف بن عمر قد ضرب عنق أباها، فأمر بالعريف فدقت يده ورجله[10].

1-6- قلع الأضراس

أول من أمر بهذا النوع من المثلة هو الخليفة هشام بن عبد الملك، حيث أمر برجل يعرف بـ

---

(1) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص330.

(2) – دق: الدَّق، الكسر...وقيل: هو أن تضرب الشيء بالشيء حتى تهشِمه". ابن منظور: **لسان العرب**، ج10، ص100. (مادة: دقق).

(3) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج1، ص395، 396. العسكري: **الأوائل**، ص 339. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 12، ص157.

(4) – التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ج 1، ص136.

(5) – التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ج 1، ص137. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج2، ص43.

(6) – الدِّهْقان(دهكان): فارسي معرب، القوي على التصرف وزعيم فلاحي العجم، وقيل أن أصل دهكان، ده خان، وتعني رئيس القرية. إدي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة**، ص68.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص125. فسا: مدينة ببلاد فارس. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص261.

(8) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1331.

(9) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص108.

(10) – **نفسه**، ج 3، ص448، 449.

"ميَّاس الفقعسي" فقلعت أضراسه، وكان أهانه قبل أن يلي الخلافة[1]. وفي عهد يوسف بن عمر الثقفي اشتكى كاتب له ضرسه فلم يحضر ديوانه فسأله يوسف بن عمر عن سبب امتناعه عن الحضور فأخبره، فأمر به فقلعت ضرسين من أضراسه[2].

1-7- ختم الأعناق

تذكر الروايات التاريخية أن الحجاج بن يوسف ختم أعناق[3] جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم: أنس بن مالك، جابر بن عبد الله، سهل بن سعد الساعدي[4]، وأن غاية الحجاج من هذا الفعل هو إذلالهم[5]، وكان ذلك سنة74هـ/693م أي في السنة التالية لمقتل ابن الزبير واجتماع الكلمة لعبد الملك بن مروان[6].

في الواقع من العسير قبول هذا الخبر الذي يصور الحجاج بصورة المنتهك لقدر ومكانة الصحابة رضوان الله عليهم والمذل لهم، والراجح بالنسبة لي أن هذا الخبر مكذوب عليه إمعانا في تشويه صورته خاصة مع ما عُرف عنه من بطش وسفك للدماء، والدليل الذي بنيت عليه رأيي هو الكتاب الذي بعث به الخليفة عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف بعد قيامه بتعنيف الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد كان رد فعل عبد الملك على تصرف الحجاج قاسيا للغاية مؤدبا واليه أشد تأديب على فعلته تلك[7].

---

(1) – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج 16، ص613. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 60، ص139.

(2) – الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، ص 40.

(3) – ختم الأعناق، أو ختم الرقاب، أو ختم الأيدي، هي ممارسة ترتبط بأهل الذمة، وهذه العبارات كانت مستعملة في القرون الاسلامية الأولى حين كان الحاكم يضع في رقاب أهل الذمة طوقا يغلقه بختم من الرصاص أو النحاس، أو كان يسم أيديهم بميسم محمى. رينهارت دوزي : **تكملة المعاجم العربية**، ج4، ص23.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج13، ص399. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص272. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص195. يذكر التميمي أنه ختم أيديهم. أبو العرب التميمي: **المحن**، ص333، 334. ويذكر ابن حبان أن أنس بن مالك وسم في يده "عتيق الحجاج". ابن حبان: **الثقات**، ج4، ص40. السيوطي: **تاريخ**، ص200، 205.

(5) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص272. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص195. ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج12، ص170، 171. السيوطي: **تاريخ**، ص 200، 205.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص195.

(7) – **للاطلاع على نص كتاب عبد الملك أنظر المبحث الثاني من الفصل الثالث.**

إذا كان الحجاج قد أهان الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه خادم الرسول صلى الله عليه وسلم بإساءة لفظية فكان مثل هذا الرد القوي والوعيد الشديد من الخليفة عبد الملك فكيف يقبل منه وسم عنق أو يد هذا الصحابي الجليل أو غيره من الصحابة رضوان الله عليهم؟ ثم لماذا يسكت عبد الملك على ختم أعناق الصحابة مع ما في ذلك من إذلال واحتقار لهم وينتفض للإساءة اللفظية التي تعرض لها أنس بن مالك رضي الله عنه؟ خاصة مع ما ذكره البلاذري من وصف حال الحجاج لما وصل إليه كتاب عبد الملك بن مروان حيث يقول: "فجعل يقرأه ووجهه يتغير ويتمعَّر[1] وجبينه يرشح عرقا وهو يقول: يغفر الله لأمير المؤمنين"[2].

إن الحجاج بن يوسف رغم جبروته وطغيانه وبطشه بأهل العراق كان أطوع لعبد الملك – وللوليد من بعده– من الخادم لسيده ولم يكن ليجرأ على هذا الفعل أبدا خوفا من رد فعل الخليفة، وبهذا فرواية وسم الصحابة –فيما أذهب إليه– مختلقة على الحجاج للسبب الذي ذكرته سابقا؛ صحيح أن الحجاج سفك الكثير من الدماء حسب ما تذكره الأخبار، لكن أفعاله تلك يجب وضعها في إطارها التاريخي وعدم إخراجها عن سياقها وقراءتها في ظل الظروف التاريخية المحيطة بها وبأوضاع الدولة التي كانت تعاني من حركات انفصالية وثورات هددت كيانها ووجودها.

1–8– أشكال أخرى

إلى جانب الأشكال السابقة من المثلة التي مارسها الخلفاء والولاة الأمويين، ترد في المصادر إشارات إلى ممارسات أخرى لهؤلاء الحكام لا تقل بشاعة وقسوة عن الممارسات السابقة، ومنها:

1–8–1– الإخصاء:

أول إشارة لهذا الفعل كانت زمن سليمان بن عبد الملك؛ حيث كان هذا الخليفة في بادية له وكانت معه إحدى جواريه فطربت لغناء سمعته، فأمر سليمان بطلب الرجل المغني، ولما أحضر

---

[1] – تمعَّر: تمعَّر وجهه أي تغير وعلته صُفرة. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص181. (مادة: معر). وهنا إشارة إلى شحوب وجه الحجاج واصفراره عند قراءته لكتاب الخليفة عبد الملك.

[2] – **أنساب الأشراف**، ج 7، ص296.

أمامه أمر به فخصي[1]. ومما عذب به بلال بن أبي بردة زمن الحجاج أن ربط بحبل من إحدى خصيتيه[2].

1-8-2- قلع الأظافر وتشريط الجسد بالسكاكين:

لم يكتف الخليفة هشام بن عبد الملك بقلع أضراس "ميَّاس الفقعسي" بل أمر بقلع أظافره أيضا وتشريط لحم جسده بالسكاكين[3]، ولما فعل به ذلك أنشأ يقول[4]:

عذبوني بعذاب قلعوا جوهر راسي
ثم زادوني عذابا نزعوا عني طساسي[5]
بالمدى حزز لحمي وبأطراف المواسي

1-8-3- ممارسات أسامة بن زيد التنوخي التعذيبية:

يذكر صاحب تاريخ البطاركة عن أسامة بن زيد التنوخي ما يلي: "...وكان المسلمين والنصارى خائفين منه...ثم أخصى(كذا ولعله أحصى) الرهبان وَوَسَمَهُم كل واحد منهم بِحَقَّة حديد في يده اليسرى لِيُعْرف، ووسَم كل واحد باسم بِيعَتِه وديره بغير صليب...وكان في سنة ست وتسعين قلق على الرهبان وضيق على المؤمن وإذا ظهروا بهارب أو غير موسوم قدَّموه إلى الأمير فيأمر بقطع أحد أعضائه فيبقى أعرج، ولم يكن يُحصى عدد من شوه به على هذه القضية، وحلق لحى كثير، وقتل جماعة، وقلع أعين جماعة بغير رحمة، وكان يقتل جماعة تحت العقوبة بالسياط"[6].

ويبدو أن الممارسات الوحشية لأسامة بن زيد التنوخي التي ذكرها صاحب تاريخ البطاركة كانت واقعا فعليا؛ حيث نجد ما يدعمها في المصادر الإسلامية، فابن عبد الحكم(214هـ/829م) وصفه بالغاشم الظالم المتعدي في العقوبات، ونسب له أفعالا وحشية أخرى لا تقل بشاعة عما

---

(1) – الجاحظ: **المحاسن والأضداد**، ص171. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج10، ص176.

(2) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج 1، ص330.

(3) – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج 16، ص613. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 60، ص139.

(4) – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج 16، ص613. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج 60، ص140.

(5) – الأطساس: الأظافر. ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص124. (مادة: طسس).

(6) –ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج 1، ص128، 129.

نسب إليه صاحب تاريخ البطاركة؛ حيث يقول: "...وكان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل، يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به، ويشق أجواف الدوابِّ فيدخل فيها القِطاع ويطرحهم للتماسيح"[1].

أما المؤرخ المصري المقريزي(845هـ/1441م) فقد نقل نفس الممارسات التي ذكرها صاحب تاريخ البطاركة ضد النصارى خاصة زمن تولي أسامة بن زيد خراج مصر في خلافة يزيد بن عبد الملك(101-105هـ/719-723م)، حيث كتب عنه: "واشتد أيضا أسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى، وأوقع بهم، وأخذ أموالهم، ووسم أيدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه، فكل من وجد بغير وسم قطع يده...ثم كبس الديارات، وقبض على عدة من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم، وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب"[2].

وهكذا فإن أفعال أسامة بن زيد ضد نصارى مصر لم تقتصر على إلحاق الأذى النفسي والجسدي بضحاياه فقط، بل شملت مصادرة الأموال أيضا، ورغم أن الخليفة عمر بن عبد العزيز سارع إلى عزله مباشرة بعد توليه الخلافة والأمر بحبسه، حيث بقي في الحبس حتى وفاة عمر[3]، إلا أن عودته لتولي منصب صاحب الخراج بأرض مصر زمن يزيد بن عبد الملك أعادت معه تلك الممارسات -يبدو أنها كانت سياسة قائمة بذاتها زمن الأمويين باستثناء خلافة عمر بن عبد العزيز- التي ولا شك ألحقت أذى كبير بالنصارى.

إن الممارسات السلطوية السابقة تدل على مبالغة الدولة في التنكيل بخصومها وتحويل أجسادهم إلى رقع تبث من خلالها رسائلها للمجتمع، وهذا من أجل ترسيخ صورة السلطة التي لا تقهر في أذهان الرعية، ومن المؤكد أن هناك فرقا كبيرا بين التمثيل بجثة الخصم وبين إهانة الجسد حيا وأمام الملأ، حيث يهاب الجميع إمكانية الوقوع في المصير نفسه، مع ما يرافق آلام الضحية من نظرات الشفقة أو الشماتة، وحرص السلطة على حضور الناس مصير خصمها يبدو في الواقع

---

(1) - **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص37.

(2) - **الخطط المقريزية**، ج3، ص767.

(3) - ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص37.

كإشراك لهم في تنفيذ العقاب أولا وحفرا لقوة الدولة وهيمنتها في عقولهم ثانيا[1].

2: المثلة بالجثث

2-1- حز الرؤوس ونصبها

تعتبر عقوبة قطع الرأس من العقوبات الشائعة منذ العصور القديمة، وقد ورد في القران الكريم الإشارة إلى عملية ضرب الرقاب في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[محمد: 04]، وواضح أن الأمر الالهي بضرب رقاب الكافرين خاص بلقائهم في الحرب، وحسب محمد الطاهر بن عاشور فإن ضرب الرقاب "كناية مشهورة يعبر بها عن القتل سواء كان بالضرب أم بالطعن في القلوب بالرماح أو بالرمي بالسهام، وأوثرت على كلمة القتل لأن في استعمال الكناية بلاغة ولأن في خصوص هذا اللفظ غلظة وشدة تناسبان مقام التحريض"[2].

وإذا كان الخطاب القرآني قد وظف الأمر بضرب الرقاب في خصوص الأمر بقتل الكافرين، فإن هذه الظاهرة ستستفحل في التاريخ الاسلامي ليس في قتال الكافرين فحسب وإنما في قتل المسلمين أيضا؛ حيث اتخذها الحكام وسيلة لقتل مخالفيهم والثائرين عليهم وهذا منذ العصر الأموي، ولم يكتف الأمويون بذلك بل تجاوزوا حد القتل بضرب العنق إلى التمثيل بجثث ضحاياهم عن طريق حز رؤوسهم بعد القضاء عليهم، واستهدفت هذه العقوبة الأمراء الأمويين والثوار خاصة، ولهذا شكل قطع الرؤوس وتعليقها ضرب من التهديد والوعيد لمن عساه أن تحدثه نفسه بالخروج على الحاكم والثورة عليه.

وهذه الممارسة العقابية هي نوع من إبراز القدرة والتنويه بالنصر في المواجهات، وكانت تقنية قطع الرؤوس هي التقنية الأكثر سيادة خلال العصر الوسيط، ولم يكن الخلفاء والسلاطين يستهدفون تصفية معارضيهم فحسب؛ بل إنهم سعوا إلى إدخال الرهبة والخوف في نفوس بقية رعاياهم حتى لا يفكروا في الاقتداء بالثوار المقتولين[3]، يمكن القول أنها "دليل على الرعب والتخويف والإبادة،

---

(1) – حميد تيتاو: **الدولة والعنف**، ص230، 231.

(2) – **التحرير والتنوير**، ج26، ص78، 79.

(3) – حميد الحداد: **السلطة والعنف في الغرب الاسلامي**، ص268.

فيتجاوز الانتقام الشخص المذنب أو الجاني ليشمل بقية المتقبلين على اعتبار أن فلسفة العقاب كانت تتأسس على الفظاعة"[1].

بدأت عمليات حز الرؤوس ونصبها منذ وقت مبكر في العهد الأموي، فخلال حركة حجر بن عدي بالكوفة سنة51هـ/671م هرب عمرو بن الحمق الخزاعي إلى الموصل، فبعث عاملها عبد الرحمن بن أم الحكم في طلبه فدخل غارا فلدغته حية فمات، فقطع رأسه وبعث به إلى معاوية بالشام، فكان أول رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد[2]، ثم قام معاوية بنصبه للناس بالشام[3]، وأخيرا بعث بالرأس إلى زوجة عمرو وهي آمنة بنت الشريد وكانت محبوسة عنده فوضع في حجرها[4]، وواضح أن غاية معاوية من هذا الفعل هو التعذيب النفسي لضحيته التي كانت محبوسة أصلا بسبب جريرة زوجها، أما جثته فتم دفنها إلى جانب "دير الأعلى" بالموصل والظاهر حسب رواية الشابشتي أن هناك مشهدا بموضع دفن الجثة[5].

وفي العراق لما قتل عبيد الله بن زياد عروة بن أدية الخارجي احتز رأسه وبعث به إلى ابنته[6]، وهذا الفعل يُماثل ما قام به معاوية بن أبي سفيان لما أرسل رأس عمرو بن الحمق إلى زوجته، كما حز رأس مسلم بن عقيل بن أبي طالب وبعث به إلى دمشق فكان أول رأس من رؤوس بني هاشم حمل إلى دمشق[7].

ولم يكن مسلم بن عقيل هو الوحيد الذي حز رأسه، بل حز رأس هانئ بن عروة المرادي

---

(1) – عروسي لسمر: **العنف والمقدس في الاسلام**، ص240.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. الشابشتي: **الديارات**، ص179. تختلف المصادر في مسألة قتله بين من يقول أنه قبض عليه حيا ثم قطع رأسه وبين من يقول أن حية لدغته فمات، كما تختلف في مسألة كونه أول رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد، فالبلاذري والطبري والشابشتي يذكرون أنه أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد، أما صاحب كتاب "رجال الكشي" فيذكر أنه أول رأس نصب في الإسلام، أما اليعقوبي وابن كثير فيذكران أنه أول رأس طيف به في الإسلام. **أنظر**: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. الطبري: **المنتخب من كتاب ذيل المذيل**، ص546. الشابشتي: **الديارات**، ص179. الطوسي: **رجال الكشي**، 54. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص7.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. الطوسي: **رجال الكشي**، ص54.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. الشابشتي: **الديارات**، ص179، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص7.

(5) – **الديارات**، ص179.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص416.

(7) – المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص 30.

الذي آوى مسلم بن عقيل، ورأس عمارة بن صلخب الأزدي الذي حاول نصرة مسلم بن عقيل، وبعث بهما أيضا إلى يزيد بن معاوية بالشام[1].

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما مع العديد من أفراد أسرته ومناصريه سنة (61هـ/ 680م)، حُزَّ رأسه ورؤوس أهل بيته وأصحابه الذين قاتلوا معه وحُملت إلى عبيد الله بن زياد بالكوفة[2]، أما من قام بقطع رأس الحسين فهو "خولى بن يزيد الأصبحي"، ثم أتى به عبيد الله بن زياد من الطفِّ حيث قتل إلى الكوفة[3]، فنصبه ابن زياد بها[4]، وبعدها حُمل رأس الحسين ورؤوس من قتل معه من أهل بيته وأصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام[5].

وتختلف الأخبار في كيفية تعامل يزيد بن معاوية مع رأس الحسين ، منها أن يزيد لما جيء بها إليه "جعل...ينكث بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه"[6]، وهو نفس الفعل الذي نسب إلى عبيد الله بن زياد لما أتي بالرأس إليه في الكوفة[7]، كما تذكر رواية أخرى للبلاذري أن يزيد بعث بالرأس إلى نسائه فأخذته ابنته عاتكة فغسلته وطيَّبته[8]، والراجح أنه لم يفعل ذلك لأنه لا معنى من إرسال الرأس المقطوعة إلى زوجاته وبناته.

أما البيهقي(458هـ/1065م) فيذكر أن الحسين لما قتل وحز رأسه "حمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد فوضع بين يديه على ترس فبعث به إلى يزيد فأمر بغسله وجعله في حريرة وضرب عليه خيمة ووكل به خمسين رجلا"[9]، ولعل غايته من ذلك –إن وقع ذلك فعلا– هو التشهير به بين أهل

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص380.

(2)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص412. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص455. البيهقي: **المحاسن والمساوئ**، ج1، ص45. حسب الروايات فإن عدد الرؤوس التي حملت إلى عبيد الله بن زياد هو اثنان وسبعون رأسا. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص412. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص456.

(3) – المصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص40. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص418. أما من قام بقتل الحسين فهو رجل يُعرف باسم "سنان بن أنس". **نفس المصدر والصفحة**. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص453.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص415. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص459.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص415. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص459.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص416. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص465.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص412. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص456.

(8) – **أنساب الأشراف**، ج3، ص416.

(9) – **المحاسن والمساوئ**، ج1، ص45.

الشام، وإبراز قوة وهيبة الحكام الأمويين الذين لا يتوانون في قتل والتنكيل بكل من يجرأ على مخالفتهم وشق عصا الطاعة وتفريق وحدة الجماعة الاسلامية حتى لو كان سبط الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبعدها أمر يزيد بن معاوية بأن يُرسل رأس الحسين مجددا إلى المدينة حيث نصب على خشبة بها[1]، ولم يكن إرسال الرأس إلى المدينة اعتباطيا؛ ففيها سكن الحسين والكثير من الصحابة وأبناء الصحابة، كما أنها مركز مهم للمعارضة ضد الأمويين ولن تلبث أن تصبح مركزا للثورة ضد يزيد بن معاوية، وبعد نصبه بالمدينة رد إلى دمشق فدفن في بستان بها، ويقال في دار الإمارة، ويقال في المقبرة[2].

وفي موقعة مرج راهط سنة 64هـ/683م بين جيش الأمويين وجيش الضحاك بن قيس الموالي لعبد الله بن الزبير قتل الضحاك بن قيس وقطع رأسه وأتي به مروان بن الحكم[3]، وبعد تولي مروان الخلافة ثار الشيعة بالعراق انتقاما لمقتل الحسين وتوبة عن تخاذلهم في نصرته وذلك سنة65هـ/ 684م، فيما يعرف بحركة التوابين التي تزعمها سليمان بن صرد الخزاعي[4]، لكن الثورة فشلت وقتل من زعمائها سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة الفزاري[5] في معركة عين الوردة[6] فقطعت رؤوسهما وبعث بها إلى مروان بن الحكم في دمشق[7].

ولما سار عبد الملك بن مروان إلى العراق لمحاربة مصعب بن الزبير الذي كان يتولى هذا الإقليم

---

(1) – **أنساب الأشراف**، ج3، ص419.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص419. في الواقع تختلف الأخبار عن موضع الرأس بين العراق والشام ومصر التي تقول بعض الروايات أنه نقل إليها من الشام زمن الفاطميين حيث دفن في القاهرة وله مشهد يُزار بها.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص538.

(4)– سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي، صحابي، ناصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفين، وكان ممن كاتب الحسين بن علي للقدوم إلى العراق فلما قدم خذله ولم ينصره، فندم على ذلك وخرج ثائرا على الأمويين مطالبا بدم الحسين فيما يعرف بثورة التوابين، وذلك سنة 65هـ. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص394، 395.

(5) – المسيب بن نجبة بن ربيعة الفزاري: شهد القادسية، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشاهده كلها، كان من قادة التوابين الذين ثاروا على الأمويين مطالبين بدم الحسين وتائبين بعد خذلانهم له. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج8، ص336.

(6) – عين الوردة: مدينة من مدن الجزيرة الفراتية. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص180.

(7) – ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص6. ابن حجر: **الاصابة**، ج3، ص145. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج58، ص196.

لأخيه عبد الله أعلن عمرو بن سعيد الأشدق العصيان وأغلق أبواب دمشق، فاحتال له عبد الملك حتى قبض عليه وذبحه ثم حُزَّ رأسه ودفع إلى عبد الرحمن بن أم الحكم "...فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال في البُدور[1]، فجعل يلقيها إلى الناس، فلما نظر الناس إلى الأموال ورأوا الرأس انتهبوا الأموال وتفرقوا..."[2].

إن الناس المشار إليهم هنا هم موالي عمرو بن سعيد ورجاله الذين كانوا خارج القصر لما دخل عمرو لوحده، ولعله قد انضم إليهم بعض العامة لما تقاتلوا مع حرس القصر بعد علمهم بمقتل عمرو بن سعيد، وكان هذا الفعل الذكي من عبد العزيز بن مروان هو ما ساهم في تخفيف رد فعل أنصار عمرو بن سعيد ومن انضم لهم وتفريقهم حيث لم يبق مصرا على المطالبة بدمه إلا خاصته الذين سرعان ما انهزموا أمام القوات المدافعة عن قصر الخضراء.

ولما قتل مصعب بن الزبير سنة71هـ/690م نزل إليه "عبيد الله بن زياد بن ضبيان" فاحتز رأسه وحمله إلى عبد الملك بن مروان[3]، فأمر هذا الأخير بحمل الرأس إلى الكوفة، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر، وأخيرا رده إلى الشام فنصب بدمشق، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أم يزيد بن عبد الملك فغسلته وطيبته ودفنته[4].

وبعد القضاء على عمير بن الحباب السلمي[5] الذي ثار على عبد الملك بالجزيرة الفراتية حز رأسه ونصب بدمشق[6].

وبعد القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير وقتله سنة73هـ/692م حُزَّ رأسه ورؤوس كل من

---

(1) – البُدور: ج بُدْرَة، كيس دراهم أو دنانير معد للعطاء، والإجازة، والإهداء، وتتفاوت قيمة وأعداد ما فيه من الدراهم والدنانير. محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص83.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص145، 146.

(3) – **نفسه**، ج6، ص159. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ص2، ص265.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص106.

(5) – عمير بن الحباب بن جعدة السلمي: رأس القيسية في العراق، كان ممن قاتل عبيد الله بن زياد مع ابراهيم بن الأشتر خلال ثورة المختار الثقفي، ثم أتى "قرقيسيا" خارجا على عبد الملك بن مروان وتغلب على نصيبين، وحارب اليمانية وبني كلب وتغلب، قتله بنو تغلب سنة 70هـ/689م. الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص88.

(6) – ابن حبيب: **المحبر**، ص492.

"عبد الله بن صفوان بن أمية الجُمحي"[1] و"عمارة بن عمرو بن حزم"[2] وهم من قادة ابن الزبير وبعث بها الحجاج إلى المدينة فنصبت بها[3]، ثم أرسلت إلى عبد الملك بن مروان بالشام[4].

وبعد أن حمل رأس ابن الزبير إلى عبد الملك أمر بها فأرسلت إلى عبد الله بن خازم السلمي[5] وهو بخراسان وال من جهة ابن الزبير، وكتب إليه عبد الملك يدعوه إلى طاعته، فأخذ عبد الله الرأس فغسله وطيبه ثم كفنه ودفنه، وقيل أنه بعث به إلى آل الزبير بالمدينة فدفنوه مع جثته[6]، وحمل رأس عبد الله ابن الزبير ونصبه في أكثر من موضع غايته التأكيد على شرعية الحكم الأموي وعبد الملك بن مروان الذي نصره الله على عبد الله بن الزبير بعد أن شق عصا الطاعة وفرق جماعة المسلمين ونصب نفسه خليفة بالحجاز في موازاة الخليفة الأموي في الشام.

وعلى غرار ابن الزبير؛ وبعد القضاء على ثورة عبد الله بن الجارود سنة 75هـ/694م حز رأس ابن الجارود ورؤوس أصحابه من رجالات القبائل، ثم بعث بها الحجاج إلى عسكر المهلب بن أبي صفرة المحارب للخوارج وذلك "ليبأس الخوارج مما بلغهم من فساد أمر الحجاج ويقوى متن المهلب وأصحابه"[7]، وقد نصبت أخيرا عند الجسر في رامَهُرْمُز[1]، وكان عددها ثمانية عشر رأسا[2].

---

[1] – عبد الله بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجُمحي: كان من أشراف قريش وساداتها، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم، انضم إلى ثورة عبد الله بن الزبير ضد الأمويين، وقتل سنة 73هـ/692م. المزي: **تهذيب الكمال**، ج15، ص125-127.

[2] – عمارة بن عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري: كان أبوه عمرو بن حزم من سادات الأنصار، انضم عمارة إلى ثورة ابن الزبير وقتل معه سنة 73هـ/692م. ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج5، ص317. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص192.

[3] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص134. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص192. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص150.

[4] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص134. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص192. أبو العرب التميمي: **المحن**، ص169. Andrew palmer : **The seventh century in the West-Syrian chronicles**, p201.

[5] – عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي البصري: تولى خراسان لعبد الله بن الزبير، حاول عبد الملك استمالته لجانبه لكنه فشل، اختلف في تاريخ موته بين سنة 71هـ/690م، أو 72هـ/691م، أو بعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة 73هـ/692م. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص74، 75.

[6] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص178. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص74. في رواية أخرى يذكر الطبري أن عبد الله بن خازم السلمي قتل سنة 72هـ/691م قبل ابن الزبير، ولما قتل حز رأسه وأرسل إلى عبد الملك بن مروان بالشام. **تاريخ الطبري**، ج6، ص176، 177.

[7] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص290، 291.

وفي عهد الحجاج أيضا احتز عمر بن هبيرة قائد جيش الأمويين رأس المطرف بن المغيرة الذي ثار على الحجاج سنة77هـ/696م وبعث به إلى الحجاج[3]، ولما قتل قطري بن الفجاءة سنة77هـ /696م حز رأسه وحمل إلى الحجاج بالكوفة ثم إلى عبد الملك بالشام[4].

ولما ثار "همام بن عدي السدوسي" وهو من رؤوس الخوارج بسجستان سنة82هـ/701م، حاربه "عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث" عامل سجستان للحجاج بن يوسف فقتله وأصحابه وحز رؤوسهم وبعث بها إلى الحجاج[5]، كما كان مشجور بن غيلان بن خرشة عاملا للحجاج على منطقة "ابن قباذ"[6] فلما انكسر خراج منطقته خاف الحجاج فهرب منه، فبعث الحجاج في طلبه فقاتل فقتل، فحز رأسه وحمل إلى الحجاج بواسط[7].

وبعد فشل ثورته على الحجاج وعبد الملك سنة82هـ/701م هرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى بلاد رتبيل ملك الترك فأرسل الحجاج في طلبه "عمارة بن تميم" عامله على سجستان في ثلاثين ألفا من جند الشام، وبعد مراسلات مع رتبيل اشترط فيها هذا الأخير ألا تغزى بلاده عشر سنين، وأن يؤدي في كل سنة تسعمائة ألف، فأعطي ما سأل، فبعث رتبيل بعبد الرحمن ومعه ثلاثين من أهل بيته "في الجوامع والقيود"، ولما قربوا من عمارة بن تميم ألقى نفسه من فوق قصر فمات، فاحتز رأسه، فأتي به وبالأسرى عمارة، فضرب أعناقهم، وأرسل بالرؤوس وبامرأة عبد الرحمن

---

(1) – رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ببلاد فارس. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص17.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص210. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص104.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص403. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص298، 299.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص310. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص152.

(5) – مجهول: **تاريخ سجستان**، ص97. يذكر كل من البلاذري والطبري خبرا عن "همبان بن عدي السدوسي" الذي وجهه الحجاج في عساكر إلى سجستان مددا لعاملها، لكنه لم يلبث أن أظهر العصيان، فقاتله عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما أرسله الحجاج لقتال رتبيل ملك الترك سنة 80هـ/699م، لكنهما لم يوضحا نوع العصيان ولا مصيره. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص310. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص329.

(6) – لم أتمكن من تحديد هذا الموضع.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج11، ص371.

إلى الحجاج[1]، ويذكر صاحب تاريخ سجستان أن جثته دفنت بالرُّخَّج[2]، أما رأسه فأرسله الحجاج إلى عبد الملك بن مروان في دمشق، فأرسله عبد الملك إلى عبد العزيز في مصر، حيث دفن بها[3].

ولما قتل يزيد بن المهلب سنة102هـ/720م حز رأسه ورؤوس من قتل معه من أهل بيته ونصبت في البصرة[4]، وهي المدينة التي ساند أهلها ثورة يزيد بن المهلب ضد يزيد بن عبد الملك وفي هذا الفعل رسالة لأذهان البصريين عن مصير كل معارض للحكم الأموي. ومن البصرة بُعث بها إلى يزيد بن عبد الملك بالشام[5]،كما حملت رؤوس آل المهلب الذين فروا إلى قندابيل[6] وقتلوا بها أيضا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام وفي آذانها الرقاع بأسماء أصحابها[7]، وكان يزيد في حلب لما أرسلت إليه الرؤوس فأمر بنصبها[8].

كما أمر يزيد بن عبد الملك بنصب رأس عبد الله بن موسى بن نصير وكان بعث به إليه بشر ابن صفوان الكلبي[9]من إفريقية بعد أن اتهمه بقتل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج بن يوسف[10].

وفي سنة 121هـ/738م لما ثار زيد بن علي على هشام بن عبد الملك بالعراق قتل وقطعت

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص391. في رواية أخرى أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما مات احتز رتبيل رأسه وبعث به إلى الحجاج سنة 85هـ/704م، أما آل الأشعث الذين كانوا معه وكان عددهم ثمانية عشر رجلا فحبسهم عنده وترك بقية أصحابه الذين كانوا معه، وكتب إلى الحجاج بخبرهم فكتب إليه: "أن اضرب رقابهم، وابعث إلي برؤوسهم، وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيُطلب فيهم إلى عبد الملك فيُترك منهم أحدا". **نفسه**، ج6، ص390.

(2) – الرخج: مدينة بنواحي كابل. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص38.

(3) – **مؤلف مجهول**، ص 100.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص338. استطعت احصاء 21 رأسا تم قطعها والطواف بها في الشام ثم نصبها في البصرة من رؤوس آل المهلب وهذا اعتمادا على رواية البلاذري. **أنظر: نفسه**، ج8، ص330-338.

(5) – **نفسه**، ج8، ص324. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص74. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج6، ص306.

(6) – قندابيل: مدينة ببلاد السند. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص401.

(7) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص74.

(8) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج6، ص307.

(9) – بشر بن صفوان الكلبي: ولاه يزيد بن عبد الملك مصر سنة 101هـ/719م، ثم المغرب سنة 102هـ/720م بعد يزيد بن أبي مسلم، وقد تولاه ليزيد بن عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك حتى وفاته سنة 109هـ/727م. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج10، ص233-236.

(10) – ابن حبيب: **المحبر**، ص492.

رأسه[1]، ثم نصب على قصبة بالكوفة[2]، وبعدها وجه به يوسف بن عمر إلى الشام حيث نصبه هشام بن عبد الملك على باب مدينة دمشق[3]، ثم أرسل به إلى المدينة[4]، ويذكر أحد النسابة المتأخرين من الشيعة أنه نصب عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يوما وليلة[5].

أما يحي بن زيد فبعد مقتله سنة 125هـ/742م حز رأسه هو الآخر وبعث به نصر بن سيار عامل خراسان إلى يوسف بن عمر بالعراق[6]، ثم بعث به يوسف بن عمر إلى الوليد بن يزيد بالشام[7]، حيث نصبه بدمشق[8].

ولم يسلم من حز الرأس حتى الخلفاء الأمويون، فبعد الثورة على الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة126هـ وقتله حُزَّ رأسه[9]، ثم أتي به إلى يزيد بن الوليد فأمر بنصبه رغم تحذير يزيد بن فروة مولى بني مروان له من هذا الفعل قائلا له: "إنما تنصب رؤوس الخوارج، وهذا ابن عمك، وخليفة، ولا آمن إن نصبته أن ترق له قلوب الناس، ويغضب له أهل بيته"[10]، لكن يزيد صمم على نصبه وقال له: "والله لأنصبنه، فنصبه على رمح"[11]. وقول يزيد بن فروة من أن نصب الرؤوس خاص بالثوار من الخوارج فحسب غير دقيق في الواقع؛ ذلك أن هذه العملية شملت الثوار من الخوارج وغيرهم، ويمكن أن يكون المقصد من عبارة الخوارج كل من خرج على الخليفة.

---

(1)– الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص187. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص326. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص100.

(2) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص326.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص188، 189. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص100.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص188، 189. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص100.

(5) – الموسوي: **النفحة العنبرية في أنساب خير البرية**، ص49.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص456.

(7) – **نفس المصدر والصفحة**. يذكر البلاذري في إحدى رواياته وابن حبيب أن نصر بن سيار أرسل الرأس مباشرة إلى الوليد بن يزيد بالشام، لكن من غير المستبعد أن يقوم بهذا الفعل متجاهلا يوسف بن عمر بالعراق. **أنظر: نفسه**، ج3، ص458. ابن حبيب: **المحبر**، ص 492.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص458. ابن حبيب: **المحبر**، ص 492.

(9) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص250. المنبجي: **المنتخب من تاريخ المنبجي**، ص96. ميخائيل السرياني الكبير: **تاريخ ميخائيل الكبير**، ج2، ص396.

(10) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص250، 251.

(11) – **نفسه**، ج7، ص250. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص237.

أما مكان نصب الرأس فهو ما اختلف فيه أصحاب الأخبار؛ فالطبري أورد نصب الرأس على رمح دون أن يصرح بمكان نصبه تحديدا[1]، أما خليفة بن خياط والأزدي فيذكران أن يزيد بن الوليد أمر بنصب الرأس على درج المسجد[2]، وفي رواية أخرى يذكر الأزدي أن رأس الوليد وضع على رمح ونصب على برج دمشق[3]، أما ابن حبيب فيذكر أن يزيد بن الوليد نصب رأس الوليد بن يزيد في مسجد دمشق مما يلي باب الفراديس[4].

وبخلاف المؤرخين المسلمين فإن المؤرخين غير المسلمين انفردوا بخبر الجمع بين رأس الوليد بن يزيد والخمر؛ فالمنبجي(ق4هـ/10م) وهو من نصارى الشام[5]، يشير إلى قيام يزيد بن الوليد بنصب الرأس على قناة وتُرَش الخمر عليها[6]، أما "ميخائل السرياني الكبير" فيذكر أنه لما حز رأس الوليد "وضعوه على رأس رمح وأدخلوه إلى دمشق وقد وضع إلى جانبه إبريق خمر"[7]، وانفراد هذان المؤرخان بهذا الخبر لا يعني نفيه وإنكار حصوله، وهذا الفعل يدل على عملية انتقام وتشهير بالوليد بن يزيد والحط من شأنه خاصة مع ما اشتهر عنه من شرب الخمر والولع بها، كما يعتبر تبريرا من يزيد بن الوليد وأنصاره لثورتهم ضده.

وفي خلافة يزيد بن الوليد أيضا قتل يوسف بن عمر الثقفي فأمر يزيد بنصب رأسه بدمشق[8].

وأخيرا، في خلافة مروان بن محمد لما قتل عمير بن هانئ العنسي وهو من أشراف داريا بأرض الشام والمعارضين لمروان بن محمد حُزَّ رأسه وحُمل إلى مروان بدمشق[9]، ولما قتل الضحاك بن قيس

---

(1) – **تاريخ الطبري**، ج7، ص250، 251.

(2) – **تاريخ خليفة بن خياط**، ص237. **تاريخ الموصل**، ص 55.

(3) – **تاريخ الموصل**، ص 55..

(4) – **المحبر**، ص 493.

(5) – **المنتخب من تاريخ المنبجي**، ص5.

(6) – **نفسه**، ص96.

(7) – **تاريخ ميخائيل الكبير**، ج2، ص396.

(8) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 493.

(9) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص503.

الخارجي[1] حز رأسه وذلك سنة128هـ/745م[2].

إن ما يُلاحظ مما تقدم من ممارسات المثلة التي استفحلت في العصر الأموي أن السلطة تجاوزت أهدافها الطبيعية في عقاب الخصوم والمذنبين في نظرها، والتي عادة ما كانت الاقصاء والاسكات والتغييب والصمت ليتخذ أبعادا أخرى وفي مقدمتها التشهير بالمعاقب، حيث حرصت على استغلال أجساد هؤلاء المذنبين لترسيخ ثقافة الخوف في أذهان كل من يفكر في الخروج عن طوعها وسلطتها، متخذة من الدين ستارة تتخفى بها أهدافها الحقيقية من هذه الممارسات، "إنه نوع آخر إضافي من العنف يصل حد القسوة، تتجاوز فيه السلطة الجسد المنكل به لتخاطب من خلاله العقول، فتضحى بذلك الرؤوس المعلقة والأجساد المصلوبة عبارة عن بيانات تهديدية من السلطة لرعاياها عامة والمختلفين معها على وجه الخصوص"[3].

ولهذا حرصت كل الحرص على نصب الرؤوس المقطوعة في أماكن عامة على غرار أبواب المدن أو الجسور أو الأبراج أو ساحات المدن والمساجد، وكلها أمكنة تم اختيارها بعناية فائقة لتؤدي غاية واحدة وهي مشاهدتها من قبل أكبر نسبة من سكان المدينة أو الوافدين إليها لضمان وصول رسالة السلطة حول مصير أعداءها لأكبر عدد من الناس.

2-2- الطواف بالأعضاء

تعتبر عملية الطواف بالأعضاء نوعا من التشهير والمثلة المنهي عنها شرعا، والغاية منها هو إظهار قوة السلطة الحاكمة وقدرتها على الانتقام من معارضيها، وتوجيه رسائل تهديدية للرعايا، ولهذا نجد أن ضحايا هذه العملية هم من الثوار في الغالب، وفي هذا الفعل إعلان من قبل الحكام على ترسخ جذورهم وشرعية حكمهم في مقابل عبثية المحاولات الثورية التي يقوم بها خصومهم الفاقدين

---

[1] – الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي: من زعماء الخوارج الصفرية، ثار في خلافة مروان بن محمد أخر الخلفاء الأمويين، خرج مع سعيد بن بهدل سنة 126هـ743م، وبعد مقتله سنة 127هـ/744م خلفه الضحاك في قيادة الخوارج، سار إلى العراق فاستولى على الكوفة، وحاصر واسط حتى صالحه عاملها، ثم دخل الموصل، ولما استفحل خطره ببلاد العراق والجزيرة قصده الخليفة مروان بن محمد فالتقيا بنواحي ماردين بالجزيرة، فقتل الضحاك بها سنة128هـ/745م، أو129هـ/746م. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص345، 346. الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص215.

[2] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص346.

[3] – حميد تيتاو، **الدولة والعنف**، ص229.

لأي مصداقية أو شرعية وإلا لما كان مصيرهم القتل.

ومع أن هذه الظاهرة لم تكن منتشرة بشكل واسع في العهد الأموي حيث تعرض لها أشخاص معينون إلا أنها تمثل نموذجا متطرفا من أساليب السلطة الأموية في الانتقام من ضحاياها، وابتدأت هذه الممارسة من أيام معاوية بن أبي سفيان، حيث أنه لما قتل عمرو بن الحمق الخزاعي نصب رأسه على رمح وطيف به "فكان أول رأس طيف به في الاسلام"[1]، ويذكر ابن حبيب أن معاوية أمر بالطواف برأسه في السوق[2]، ولا تحدد الرواية أي سوق ولعله سوق دمشق، ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في موقعة الطف أمر عبيد الله بن زياد برأسه فطيف به في سكك الكوفة كلها وقبائلها[3].

وفي عهد الحجاج بن يوسف بعث بكف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما مقطوعة بعد قتله إلى أخيه محمد بن يوسف بصنعاء[4]، كما حُمل رأس يزيد بن المهلب ورؤوس من قتل معه من آل المهلب من البصرة إلى يزيد بن عبد الملك بالشام فأمر أن يطاف بها في أجناد الشام[5].

ولم يسلم من هذا الفعل حتى من كان خليفة من الأمويين؛ حيث أنه لما قتل الوليد بن يزيد سنة 126هـ/743م حمل رأسه إلى دمشق فأمر يزيد بن الوليد بأن "يدار بالرأس في المدينة فينادى عليها: هذا رأس المحب للخمر"[6]، أما ابن العبري فيذكر أن يزيد أمر بنصبه على رمح والطواف به بدمشق"[7]، لكنه لا يذكر قصة الخمر، ولم يكتف يزيد بهذا بل أمر بإدخال رأس الوليد حتى دار أبيه يزيد بن عبد الملك كما ذكر ذلك في رواية للطبري[8].

ولما قتل الضحاك بن قيس الخارجي سنة128هـ/745م وحز رأسه أمر مروان بن محمد فطيف

---

(1) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص232.

(2) – ابن حبيب: **المحبر**، ص490.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص415. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص459. الشيخ المفيد: **الارشاد**، ج 2، ص117.

(4) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج56، ص309.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص328، 329. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص74.

(6) – المنبجي: **المنتخب من تاريخ المنبجي**، ص 96.

(7) – **تاريخ مختصر الدول**، ص 105.

(8) – **تاريخ الطبري**، ج7، ص250، 251.

به في مدائن الجزيرة[1]. والطواف به في مدائن الجزيرة تحديدا كان بسبب اتخاذه لها مجالا رئيسيا للنشاط والثورة ضد الأمويين، إضافة إلى انضمام الكثير من أهلها إليه في ثورته.

2-3- نبش القبور

أول من فعل هذا الفعل الشنيع وانتهك حرمة القبور هو "الحكم بن الصلت بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي" عامل الكوفة ليوسف بن عمر الذي اشتهر بظلمه وقسوته، حيث أمر بقبر زيد بن علي –وكان قد دفنه أصحابه سرا بعد مقتله سنة121هـ/738م- بعد أن دُلَّ عليه فنبش واحتز رأسه وبعث به إلى يوسف بن عمر في واسط[2]، كما نُبش قبر صاحب ميمنة زيد وهو "نصر بن جذيمة العبسي" وأرسل إلى يوسف بن عمر أيضا[3].

ثم تكرر هذا الفعل زمن مروان بن محمد حيث قام موالي الوليد بن يزيد بنبش قبر يزيد بن الوليد سنة127هـ/744م وصلب جثته على باب الجابية[4]، ورغم أن هناك أخبارا أخرى تتحدث عن أن مروان بن محمد هو من أمر بنبش قبر يزيد بن الوليد وصلب جثته[5]، إلا أن رواية الطبري هي الأقرب إلى التصديق لأن مروان ما كان ليقوم بهذا الفعل الذي سيزيد من حنق ومعارضة الأسرة الأموية وأنصار يزيد بن الوليد له.

2-4- أشكال أخرى

إلى جانب ممارسات التمثيل بالجثث التي ذكرناها سابقا اتخذ الخلفاء والولاة الأمويون أساليب أخرى لا تقل وحشية عن سابقتها وسوف نورد هنا مجموعة منها:

- كانت نساء الخوارج تخرجن مع الرجال للحرب في أيام معاوية بن أبي سفيان، فظفر زياد بن

---

(1) – **نفسه**، ج 7، ص346.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 4، ص446. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص187. مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص100. الأصفهاني: **مقاتل الطالبيين**، ص 138. يذكر الأصفهاني أن النبش تم بأمر يوسف بن عمر الثقفي.

(3) – ابن حبيب: **المحبر**، ص483.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص311.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص 205. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص244. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج57، ص330. المنبجي: **المنتخب من تاريخ المنبجي**، ص 99. ديونوسيوس دي تلمحري: **الوقائع التاريخية السريانية**، ص59.

أبيه بامرأة خارجية فقتلها وعرَّاها "فلم تخرج النساء بعد على زياد" وذلك خوفا من التعرية[1]. وفق هذا الخبر فنساء الخوارج اللواتي اشتهرن بشجاعتهن وإقدامهن في الحروب سوف يحجمن عن مشاركة رجال الخوارج في حروبهم ضد الأمويين خوفا من التعرية بعد القتل، هنا تدخل رمزية العار والفضيحة الناتجة عن تعرية أجسادهن وعرضها أمام الملأ، وهذه الفضيحة لا تمس المرأة المعنية فحسب بل تمتد تأثيراتها إلى عشيرتها كذلك خاصة في ظل خصوصيات المجتمع العربي الاسلامي.

– مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المرادي: بعد الأمر بقتلهما من قبل عبيد الله بن زياد كانت جثثهما تجران من الأرجل في سوق الكوفة[2].

– الحسين بن علي: لما قتل الحسين واحتز رأسه نادى عمر بن سعد بن أبي وقاص في أصحابه "من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه، فانتدب عشرة...فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضُّوا[3] ظهره وصدره"[4]، هنا لم يكتف هؤلاء بقتل الحسين والتمثيل بجثته حين قطعت رأسه، بل مثلوا بجثته أيضا حين أمر بوطئها بحوافر الخيل إمعانا في التنكيل به.

– إبراهيم بن الأشتر: لما قتل إبراهيم بن الأشتر سنة71هـ/690م أتي عبد الملك بن مروان بجسده فألقي بين يديه فأخذه مولى للحصين بن نمير فجمع عليه حطبا وأحرقه[5].

– سعيد بن جبير: بعد قتله من قبل الحجاج قطعت رجليه من أنصاف ساقيه[6].

– شبيب الخارجي: لما غرق شبيب في نهر دجيل[7] سنة77هـ/696م أخرجت جثته وحملت

---

(1) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1171.

(2) – ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 5، ص581.

(3) – رضَّ الشيء يرضه رضاً فهو مرضوض، كسره. ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص154. (مادة: رضض).

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص410.

(5) – المسعودي: **مروج الذهب**، ج 3، ص114.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص490.

(7)– نهر دجيل: من أنهار العراق، يحمل من نهر الفرات ويصب في نهر دجلة بين عُكْبرا وبغداد. سهراب: **عجائب الأقاليم السبعة**، ص123.

إلى الحجاج فأمر به فنزع قلبه من صدره[1]. في الواقع تبدو مبالغة شديدة من قبل الرواة غايتها إظهار الحجاج بمظهر الوالي عديم الرحمة الذي لا يتوانى في التنكيل بأعدائه أحياء كانوا أم جثثا هامدة.

- إبراهيم التيمي: لما مات في سجن الحجاج أخرجت جثته وطرحت للكلاب[2].

-زيد بن علي: بعد مقتله نصبت جثته في كُنَّاسة الكوفة[3]، إلى جانب جثتي صاحبيه نصر بن جذيمة العبسي ومعاوية بن إسحاق بن زيد الأَوْسي الأنصاري[4]، وإذا كنا لا ندري ما مصير جثث صاحبيه فإن جثة زيد استمر نصبها مدة أربع سنوات (121-125هـ) فلما مات هشام وتولى الوليد بن يزيد الخلافة وفد إليه يوسف بن عمر فلما رجع من عنده إلى الكوفة أمر بإحراق جثة زيد وألقى رماده في الفرات[5].

وتذكر بعض الروايات أن الوليد بن يزيد قال ليوسف بن عمر: "أنظر عجل أهل الكوفة فحرِّقه ثم انسفه[6] في اليم نسفا"[7].

إن هذه الرواية الأخيرة التي يظهر فيها وصف الوليد بن يزيد لزيد بن علي بـــ "عجل العراق" ويأمره بإحراقه ونسفه في اليم تشير إلى أن الوليد قد وظف هنا الخطاب القرآني على لسان موسى عليه السلام حين خاطب السامري الذي اتخذ عجلا كإله فأضل بني إسرائيل، ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ

---

(1) - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص282. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 6، ص114. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص149.

(2) - مغلطاي: **إكمال تهذيب الكمال**، ج1، ص310.

(3) - ابن حبيب: **المحبر**، ص483.

4- **نفس المصدر والصفحة.**

(5) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص449.

(6) - النسف: التذرية، "يُقال: نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذرَّاه فطيَّر عنه قشوره باليد أو التراب". الطبري: **تفسير الطبري**، ج5، ص218.

(7) - البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص449. ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، ص 103. أورد اليعقوبي أنه لما قتل زيد بن علي ونبش قبره وحز رأسه "حملت جثته على حمار إلى الكوفة...ثم جمع فأحرق وذري نصفه في الفرات ونصفه في الزرع، وقال لهم يوسف بن عمر: والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم". **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص326.

لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[طه، 97]

والأمر الصادر عن الوليد بن يزيد هو في الواقع عملية مماثلة بينه وبين فِعل موسى عليه السلام بعجل السامري، وهو يشير هنا إلى أن زيد بن علي قد ضل وأضل معه أنصاره حين قادهم للثورة على هشام بن عبد الملك، وإذا كان نبي الله موسى عليه السلام قد أنهى فتنة السامري وحكم على عجله بالإحراق والتذرية في البحر[1]، فإن هذا الفعل هو الواجب القيام به–وفق تصور الوليد– تجاه جثة زيد بن علي لما قام به من فتنة أهل العراق حتى أخرجهم عن طاعة الخليفة هشام بن عبد الملك. ثم إن الأهمية الرمزية لعملية حرق الجثة تتعلق في المقام الأول بمنع الدفن المحترم والقضاء على أي أثر مادي(قبر) لصاحبها قد يجعل منه شخصية مقدسة في نظر أتباعه[2].

– الوليد بن يزيد بن عبد الملك: لما قتل الوليد بن يزيد قطعت كفه اليسرى وبُعث بها إلى يزيد ابن الوليد قبل أن يُحمل رأسه إليه[3].

رابعا– الصلب والتشهير والنفي

1– الصلب

لا يرد في المصادر ذكر لعقوبة الصلب منذ تأسيس الدولة الأموية سنة41هـ/661م إلى غاية تولي زياد بن أبيه البصرة سنة45هـ/665م، حيث نعثر على أول إشارة على ممارسة هذه العقوبة بعد تولية زياد البصرة، وكان ضحيته هو "سهم بن غالب الهُجَيمي"، وكان قد خرج زمن ولاية عبد الله بن عامر على البصرة(41–45هـ/661–665م)، فأمنه ابن عامر واستقر بها، وبعد تولي البصرة خاف "سهم" ألا ينفذ زياد أمان ابن عامر فخرج إلى الأهواز وحكَّم بها، ثم أتى البصرة فاستخفى بها، فطلبه زياد فدُلَّ عليه، فقتله وصلبه بداره[4]، أو على باب منزله[5].

---

(1) – الطبري: **تفسير الطبري**، ج5، ص218.

(2) - Andrew Marsham : **Attitudes to the use of fire in executions in late antiquity and early Islam**, p120.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص250، 251.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص179، 180. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص126.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص288.

كما صلب زياد كل من "قريب بن مرة الأزدي" و"زحاف بن زحر الطائي" وهما من ثوار الخوارج ومعهما ناس من أصحابهما، وكان ذلك بالبصرة[1]، ولم يكن ضحايا زياد من الخوارج فقط، بل حتى رجال الشيعة؛ حيث صلب "مسلم بن زيمر"(كذا) و"عبد الله بن نُجي" الحضرميين على أبوابهما أياما بالكوفة، وكانا شيعيين، وذلك بأمر معاوية[2].

هذا ولم تسلم حتى النساء من فِعل زياد وتحديدا الخارجيات منهن، حيث مرت جارية لقوم من الخوارج على "قريب بن مرة الأزدي" و"زحاف بن زحر الطائي" وهما مصلوبان فقالت: "سلام الله ورحمته عليكم طبتم فادخلوها آمنين"، فلما بلغ خبرها زياد أمر بها فصلبت معهم[3]. كما أتي زياد بن أبيه بامرأة من الخوارج "فصلبها وعرَّاها"[4]، أي أنه لم يكتف بعقوبة الصلب فحسب بل أضاف لها عقوبة ثانية وهي التعرية.

وتوالت عمليات الصلب في ولاية عبيد الله بن زياد على العراق حيث أمر بصلب عروة بن أدية الخارجي في داره[5]، كما أمر بصلب جثة خارجي آخر يدعى "طواف بن علاق" كان قد خرج عليه[6].

ولما بعث الحسين بن علي رضي الله عنهما ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة أخذه ابن زياد فقتله وصلب جثته في سوق الكوفة[7]، وأمر أيضا بجثة هانئ بن عروة المرادي الذي آوى مسلم بن عقيل فصلب بكُنَّاسَة[8] الكوفة[9]، أو سوقها[10].

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص182-184.

(2) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 479.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص182-184.

(4) – **نفسه**، ج 5، ص185.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 5، ص415.

(6) – **نفسه**: ج5، ص187.

(7) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 480.

(8) – الكنس: "كسح ما على وجه الأرض من القمام، والكناسة ملقى ذلك، وهي محلة بالكوفة". ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص481.

(9) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص350.

(10) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 480.

كما أمر عبيد الله بن زياد بصلب "ميثم التمار" وكان "من آثر الناس عند علي"[1]، وكان قتله وصلبه قبيل قدوم الحسين إلى العراق بعشرة أيام[2]، وربما كان هذا بسبب دعمه لمسلم بن عقيل. وبعد مقتل الحسين أمر عبيد الله بصلب "عبد الله بن عفيف الأزدي" وكان من شيعة علي بن أبي طالب، وقد صلبت جثته بالسبخة في الكوفة[3]. كما أمر عبيد الله بن زياد بصلب جويرية بن مسهر العبدي على جذع نخلة وهو من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضا[4].

وعلى غرار والده، لم تسلم من عقوبة الصلب حتى النساء، حيث أمر عبيد الله بن زياد بكل من "الشجاء(الثبجاء) الخارجية" و"حمادة الصفرية" وكانتا من نساء الخوارج فقتلهما وصلبت جثتيهما[5].

وفي خلافة عبد الملك قام واليه على مصر عبد العزيز بن مروان بصلب كاهن مصري يدعى "تادرس" كان قد أرسل ثلاثة كهان إلى الهند دون مشورته[6].

أما الحجاج بن يوسف فقد كثر ضحاياه الذين سلط عليهم مختلف أنواع العقوبات منها عقوبة الصلب التي مارسها منذ بداية توليه الأعمال للخليفة عبد الملك، ومن ضحاياه في هذه العقوبة نجد:

– عبد الله بن الزبير: لما قتل عبد الله بن الزبير سنة 73هـ/692م وحز رأسه صلب الحجاج جثته، وتختلف المصادر في تحديد مكان صلبه بين "التنعيم"[7]، أو "ثنية المدنيين"[8]، أو "شعب

---

(1) – الشيخ المفيد: **الارشاد**، ج 1، ص324.

(2) – **نفسه**، ج1، ص325. Khaled Sindawi: **Mitham b. Yahiya al-tammar: An important figure in early shi'ism**, p286.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص414. ابن حبيب: **المحبر**، ص480.

(4) – ابن أبي حديد: **شرح نهج البلاغة**، ج2، ص291.

(5) – الجاحظ: **الحيوان**، ج 5، ص590.

(6) – ساويرس بن المقفع: **تاريخ البطاركة**، ج 1، ص116.

(7) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص267. التنعيم: موضع خارج مكة، ومنه يحرم المكيون بالعمرة، وبه مسجد عائشة رضي الله عنها، ويقع في طريق المدينة. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص49.

(8) – الفاكهي: **أخبار مكة**، ج 2، ص، 374، 375. الثنية: قال الحموي: "الثنية في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة". **معجم البلدان**، ج2، ص 85. أما ثنية المدنيين: فهي موضع مشرف على مقبرة مكة. الأزرقي: **أخبار مكة**، ج2، ص822.

الجيف"[1]، أو "ثنية كَدَاء"[2] عند "الحجون"[3]، ويبدو أنه قد صلب في ثنية كداء لأنه دفن بمقبرة الحجون كما أورد ذلك البلاذري[4].

لكن الحجاج لم يكتف بصلب جثة ابن الزبير فحسب بل بالغ في إهانته حتى وهو ميت، حيث تذكر بعض الأخبار أنه صلبه منكسا[5]، كما جعل إلى جانب جثته هرة ميتة ويقال: كلبة ميتة[6]، والسبب في وضع جثة الحيوان الميت إلى جانب جثة ابن الزبير أن هذا الأخير لما أيقن الموت شرب المسك مخافة أن يصلب فيشتم نتن جسده[7]، فيكون وضع جثث هذه الحيوانات مع جثته حتى تغلب نتانة رائحتها رائحة المسك الذي يفوح من جسد ابن الزبير.

أما الإشارة الوحيدة لمدة صلب جثة ابن الزبير فنجدها عند اليعقوبي حيث ذكر أنها بقيت مدة "ثلاثة وقيل سبعة أيام"[8]، ثم دفن بعدها[9].

---

(1) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص11. لم أعثر على ذكر لهذا الموضع في أي من المصادر إلا ما ذكره ابن عساكر.

(2) – ثنية كداء: موضع بأعالي مكة. الأزرقي: **أخبار مكة**، ج2، ص959.

(3) – ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 6، ص80. الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص225.

(4) – **أنساب الأشراف**، ج 7، ص129.

(5) – **نفسه**، ج 7، ص128. ابن أبي شيبة: **المصنف**، ج11، ص135.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص129. ابن أبي سيبة: المصنف، ج11، ص135. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 6، ص88. أما الجاحظ فيذكر خبرا غريبا مفاده أن الحجاج سأل مرافقيه قائلا: "أي الجيف أنتن؟ فقيل: جيف الكلاب، فامتحنت فقيل له: أنتن منها جيف السنانير، وأنتن جيفها الذكور منها، فصلب ابن الزبير بين جيفتي سنورين ذكرين". الجاحظ: **كتاب الحيوان**، ج1، ص146.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص128. يشير سعيد بن البطريق إلى هذا الفعل بقوله: "فيقال أن أمه أسقته رطلا من مسك ثم خرج إلى الحجاج فقاتل حتى قتل وصلب بمكة، فكان الناس يشمون من بدنه رائحة المسك أياما كثيرة". سعيد بن البطريق: **تاريخ**، ص34. أما ابن العبري فإنه يبالغ في تصوير تعامل الحجاج مع جثة ابن الزبير فيقول: "فقتله وسلخ جلده وحشاه تبنا وصلبه"، وهذا ما لا يصح أبدا. ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، ص 99.

(8) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص267.

(9) – تختلف المصادر في أمر دفن جثته، فالبلاذري يذكر أنه لما صلب الحجاج جثة ابن الزبير استأذنته أمه في تكفينه ودفنه "فأبى ووكل بجثته من يحرسها وكتب إلى عبد الملك بصلبه إياه، فكتب إليه عبد الملك يلومه على صلبه ويقول: ألا خليت بينه وبين أمه، فأذن لها الحجاج فوارته بمقبرة الحجون"، أما اليعقوبي فيذكر أنه أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها جاءت حتى وقفت على الحجاج فقالت "أما آن لهذا الراكب أن يُنزل بعد؟...فأمر به فأُنزل" ، فيحين يذكر الفاكهي أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي

– عبد الله بن الجارود: بعد القضاء على ثورة ابن الجارود75هـ/694م بالبصرة أمر الحجاج بصلب جثة ابن الجارود ومعه جثة عبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعي والهذيل بن عمران وهما من قواد الثورة[1]، وكان صلبهم برستقباذ[2].

– عطية بن عمرو العنبري وخرشة بن عمرو التميمي: لما قُبِض على عطية بن عمرو العنبري وخرشة بن عمرو التميمي وكانا خرجا على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الاشعث فأتي بهما إليه فقتلهما وصلب جثتيهما على بابي منزلهما[3].

–ماهان الحنفي: أمر الحجاج بصلب جثة ماهان الحنفي على باب داره[4].

– الحارث بن كعب الشنّي: صلب الحجاج الحارث بن كعب الشنّي وكان من أصحاب نافع بن الأزرق بعد أن قطع يديه ورجليه، ووكل بجثته حرسا، فجاء الخوارج ليلا فأنزلوه ثم دفنوه[5].

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك صلب مسلمة بن عبد الملك جثة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة بعد القضاء على ثورته سنة 102هـ/720م[6]، بجسر بابل[7]، لكن ما يثير الانتباه حقا هو ما فعله مسلمة بجثة يزيد حيث "علق معه خنزيرا ومرديا[8] وزق خمر وسمكة"[9]، أما الفرزدق فقد خلد انتصار الخليفة يزيد بن عبد الملك في أبيات شعرية وذكر فيها صلب جثة يزيد وهي مقلوبة

الله عنهما طلب من الحجاج أن يأذن له في دفن عبد الله بن الزبير فأذن له في ذلك. أنظر: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص129. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص267. الفاكهي: **أخبار مكة**، ج 2، ص375.

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص290، 291. ابن حبيب: **المحبر**، ص482.

(2) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 482.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص358. ج13، ص10.

(4) – ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ص549. أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ج4، ص364.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص151، 152.

(6) – **نفسه**، ج 8، ص332. ابن حبيب: **المحبر**، ص 482.

(7) – ابن حبيب: **المحبر**، ص482. دارت المعركة بين جيش يزيد بن المهلب وجيش الأمويين بقيادة مسلمة بن عبد الملك سنة 102هـ في موضع يعرف باسم العقر(عقر بابل)وهو يقع قرب كربلاء من الكوفة". الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص136.

(8) – المردي: "خشبة طويلة يدفع بها الملاح السفينة". ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص402. (مادة: مرد)

(9) – **أنساب الأشراف**، ج 8، ص332، لا يذكر ابن حبيب أنه علق معه خشبة المردي، حيث أورد أنه "علق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر". ابن حبيب: **المحبر**، ص 482.

على عقبيها ومقرونة بخنزير دون أي إشارة لزق الخمر والسمك[1].

وهذا الفعل من مسلمة بن عبد الملك غايته الإمعان في إهانته وإذلاله وربما اتهاما له في أخلاقه أيضا حين علق معه الخنزير، وفي هذا الفعل إساءة كبيرة له ولعشيرته التي ساندته ولاشك سيصيبها عار ما فُعل بأحد كبار ساداتها، أما زق الخمر فإشارة إلى شربه الخمر وطعنا في دينه باعتباره من المستهترين بتعاليم الاسلام، في حين تشير السمكة والمردي حسب عبود الشالجي إلى أصله الوضيع إذ كان أزد عمان الذين تنتمي إليهم أسرة المهالبة معروفين بامتهانهم الملاحة وصيد السمك[2].

وكان الصلب أيضا هو مصير غيلان الدمشقي وصاحبه صالح بن سويد وهذا في خلافة هشام بن عبد الملك[3]، وفي العراق أخذ خالد القسري خارجي يدعى "صبيح الخارجي" فأمر به فقتل وصلبت جثته، وكان قد خرج بنواحي سجستان[4]، كما صلب "المغيرة بن سعيد البجلي" وكان قد خرج عليه بالكوفة داعيا لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وكان يقول هو المهدي، فظفر به وبأصحابه فصلب المغيرة وهم الذين يدعون "المغيرية[5]"[6].

أما عامل خراسان أسد بن عبد الله القسري فقد صلب بعض الدعاة العباسيين سنة107هـ /725م بعد أن مثل بهم[7]، وصلب أيضا الداعي العباسي "عمار بن يزيد " المدعو خداش ،

---

(1) – الفرزدق: **ديوان الفرزدق**، ص191.

(2) – **موسوعة العذاب**، ج1، ص313.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص419. ابن نباتة المصري: **سرح العيون**، ص 292.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص7، 8. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص108.

(5) – المغيرية: فرقة من غلاة الشيعة، أتباع المغيرة بن سعيد البجلي، قال عنها الأشعري: "يزعمون أنه كان يقول أنه نبي وأنه يعلم اسم الله الأكبر، وإن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل، وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة..."، وقد ذكر الأشعري كثيرا من أباطيل هذا الرجل والتي كانت سببا في قتله على يد خالد بن عبد الله القسري. **مقالات الاسلاميين**، ص13، 14.

(6) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 483.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص40. الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص 26. الدينوري: **الأخبار الطول**، ص307.

والذي انحرف في دعوته، وكان موضع صلبه "آمل"[1] حيث أرسله إلى عامله عليها فصلبه هناك[2].

أما يحي بن زيد فقد صلبت جثته على باب الجوزجان[3]سنة 125هـ بعد فشل ثورته ومقتله، وبقيت جثته مصلوبة حتى ظهرت الثورة العباسية بخراسان فأنزله عناصرها وغسلوه وكفنوه ودفنوه[4].

وفي عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين طلب "عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك" و"يزيد بن خالد القسري" فظفر بهما فقتلهما بعثمان والحكم ابني الوليد بن يزيد وصلبهما على باب الجابية، ويقال على باب الفراديس بدمشق[5]، كما صلب جثة خالد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك على باب الجابية بدمشق وذلك سنة 127هـ/744م[6].

ولما ثار ثابت بن نعيم الجذامي عليه بنواحي فلسطين سنة 127هـ/744م قطع يديه ورجليه ومعه بنوه ثم حملوا إلى دمشق فأقيموا على باب مسجدها[7]، كما صلب مروان بن محمد الأُصبُغ بن ذؤالة الكلبي[8] وصلب أصحابه معه[9]، وصلب الخليفة مروان أيضا السمط الكندي[10] بعد أن ثار

---

(1) – آمل: اسم أكبر مدينة بطبرستان. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص57.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 7، ص109.

(3)– الجوزجان: تقع في نواحي بلخ بإقليم خراسان، وبها قتل يحي بن زيد العلوي. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص181.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 3، ص456. المسعودي: **مروج الذهب**، ج 3، ص225. الأصفهاني: **مقاتل الطالبيين**، ص 150.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص201. ابن حبيب: **المحبر**، ص485. خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص244.

(6) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج16، ص315.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص314.

(8) – الأصبغ بن ذؤالة الكلبي: كان ممن رفض بيعة مروان بن محمد واتخذ من تدمر مركزا له، ولما اجه مروان لحربه دخل في صفه، ويبدو أنه كان له دور في مقتل الوليد بن يزيد وهذا ما دفع مروان لقتله وصلبه. ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج4، ص1924.

(9) – ابن حبيب: **المحبر**، ص 484.

(10) – السمط بن ثابت بن يزيد بن شرحبيل الكندي، من أشراف حمص، قدم دمشق في عسكر من أهل حمص للمطالبة بدم الوليد بن يزيد، فانهزم الجيش ودخل السمط في طاعة يزيد بن الوليد، قتله مروان بن محمد. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص302، 303.

عليه[1].

وفي خراسان صلب نصر بن سيار جُدَيْع بن علي الكرماني بعدما قاتله، وكان صلبه في ميدان مرو[2]، وذلك سنة 129هـ/746م، وعلق معه سمكة لما صلبه[3]، وهذا الفعل من نصر بن سيار موافق لفعل مسلمة بن عبد الملك بيزيد بن المهلب، فالكرماني أصله من الأزد الذين احترفوا الصيد وركوب السفن وتعليق السمكة مع جثته هو إشارة إلى الأصل الوضيع الذي ينحدر منه رغم أنه كان له نفوذ كبير في خراسان.

أخيرا فإنه من الواضح أن الغاية من الصلب ليس إعدام الضحية فحسب؛ وإنما أيضا هي التشهير المذل به وتحقيره[4]، وأيضا ترويع خاصة الناس وعامتهم ومخاطبة أذهانهم عبر تلك الأجساد المشوهة والمصلوبة من أن هذه هي نتيجة الخروج عن طاعة الحاكم المؤيد بنصره من الله عز وجل، ولهذا تم اختيار مكان الصلب بدقة بالغة فهي إما على أبواب المدن أو الميادين أو الجوامع وهي مناطق يكثر بها تجمع الناس وبالتالي ضمان السلطة وصول رسالتها لأكبر نسبة من أفراد المجتمع، وطوال الفترة الزمنية التي تحددها هي مثل جثة زيد بن علي التي ظلت منصوبة سنوات عديدة حتى تم القضاء على ابنه يحيى، والغاية من كل هذا هو تذكير الرعايا بقوة السلطة وجبروتها.

لكن الملاحظ هو سكوت المصادر عن موقف العامة من مثل هذه المظاهر الفظيعة حيث الأجساد المقطعة والجثث المشوهة المنصوبة، ولابد أن هناك موقفا للعامة من مثل هذه الممارسات سواء من المؤيدين للسلطة أو من غيرهم، ومع ذلك –مع الأسف– فإن المصادر لم تهتم أبدا بتسجيل موقفهم.

---

[1]– ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص426. ابن حبيب: **المحبر**، ص 485. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص 303.

[2] – ابن حبيب: **المحبر**، ص 484.

[3] – **تاريخ الطبري**، ج 7، ص371.

[4] –كريستيان لانغ : **العدالة والعقاب في المخيال الاسلامي**، ص119.

2- التشهير

إن الغاية من التشهير[1] هو فضح المشهر بهم والحط من كرامتهم، وهي عقوبة قائمة على إلحاق الضرر النفسي بالضحية أساسا من خلال عرضهم أمام الناس في وضعية مزرية، وقد كانت هذه العقوبة محل شكوى من قبل التابعي سعيد بن المسيب الذي قال بعدما ضُرب ابن له في شراب وطيف به: "ما أجد عليه في ضربه إياه، ولكني أجد عليه أنه طاف به، وهو شيء لم يفعله المسلمون"[2]، وهذا القول المنسوب لسعيد بن المسيب يدل على أن هذه العقوبة لم تكن معروفة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وإنما استحدثت في العهد الأموي، وهو ينفي أن تكون من عقوبات الاسلام، كما يتضح أنه كان لها أثر نفسي بالغ على الضحية وأهله.

ومن بين الذين تعرضوا للتشهير بهم الشاعر يزيد بن مفرغ الذي لم يكتف عبيد الله بن زياد بتعذيبه بل شهر به جزاء له على ما قاله من شعر يحط من كرامة آل زياد بن أبيه، حيث "أخذه... فحبسه وعذبه، وسقاه التُّرْبُذ[3] في النبيذ، وحمله على بعير، وقرن به خنزيرة، فأمشاه بطنه مشيا شديدا، فكان يسيل على الخنزيرة فتصيء[4]...فطيف به في أزقة البصرة وأسواقها، والناس يصيحون...لما يسيل منه...فلما ألح عليه ما يخرج منه قيل لابن زياد: إنه لما به، فأمر به فأنزل فاغتسل"[5].

وقد صف يزيد بن مفرغ ما فعل به عند التشهير به من قبل عبيد الله بن زياد فقال[6]:

قُرنت بخنزيـر وهـرٍّ وكلبـــة زمانا وشان الجلد ضربٌ مشذِّبُ

---

[1] – يُعرف التشهير في بعض المناطق باسم "التجريس"، والسبب في ذلك أن أكثر الذين يُشهر بهم يصحبهم شخص يحمل جرسا يدقه لتنبيه الناس إليه، ويكون ذلك أبلغ في إهانته. يُنظر: عبود الشالجي: **موسوعة العذاب**، ج3، ص213. كريستيان لانغ: **العدالة والعقاب في المتخيل الإسلامي**، ص142.

[2] – ابن أبي شيبة: **المصنف**، كتاب الحدود، ج9، ص460.

[3] – التُّرْبُذ: هو مسهل للبطن. الرازي: **منافع الأغذية ودفع مضارها**، ص4.

[4] – الصُّئِيُّ: "صوي الفرخ ونحوه كالخنزير والفأر واليربوع والسّنور والكلب". الزبيدي: **تاج العروس**، ج38، ص405. (مادة: ص أ ي).

[5] – ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج 1، ص360، 361. يُنظر: الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص318، 319. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج 3، ص365.

[6] – **ديوان يزيد بن مفرغ**، ص 55. الأصفهاني: **الأغاني**، ج 18، ص197.

وجُرِّعتها صهباء من غير لذة تُصَعِّد في الجثمان ثم تُصـــــوَّبُ

إن ما قام به عبيد الله بن زياد هو في الواقع استهداف مباشر لكرامة يزيد بن مفرغ وشرفه بسبب مَسِّه بشرف ومكانة آل زياد، كما أنه يُمثل انتقاما وحشيا من هذا الشاعر وإلا كيف نفسر تعدد العقوبات التي سلطها عليه، فإلى جانب الحبس والعذاب سقي دواء مسهلا أجرى بطنه، وحمل على بعير أو حمار والغاية هي إهانته[1]، وهو مقرون بخنزير وهر وكلبة وهذا من أعظم صور التشهير، ولم يقم بهذا الفعل حتى الحجاج بن يوسف الذي عرف ببطشه وطغيانه إذ قام بربط الحيوانات مع الجثث وليس مع الأحياء. ثم إن صياح الناس هنا لم تحدد الرواية طبيعته هل هو استهزاء به لما يسيل منه أم استنكار لما فعل به.

مما لاشك فيه أن الأثر النفسي للتشهير الذي تعرض له يزيد بن مفرغ كان بالغ الشدة، ولهذا فإن أمثاله من المشهر بهم يقفون في مواجهة المجتمع بين شماتة الأعداء وجزع الأحباء وانتقام السلطان ومعاناة الخذلان، فجاء شعرهم يغتلي بغيظ حانق وحقد وتحد، وبآلام متراكمة تندد بالظالمين وتثير الرحمة في نفوس الجماهير، ولهذا احتوى هذا الشعر رصيدا حسنا من الحس الإنساني الصرف الذي يتعاطف الناس له تلقائيا[2].

وفي عهد الحجاج بن يوسف كان عبد الله بن فضالة ممن خرج عليه مع عبد الله بن الجارود ثم تخفى بمرو بعد هزيمة ابن الجارود فلما "قُدم به على الحجاج...أقامه للناس في سراويل[3] وقد كان نزع ثيابه قبل ذلك وعرضه على الناس في الحديد ليعرفوه"[4]، وهذا عقابا له على خروجه عليه.

ولما رفض سعيد بن المسيب البيعة للوليد بن عبد الملك في حياة أبيه أمر به "هشام بن

---

[1] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص318، 319. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج 3، ص365.

[2] – أحمد مختار البرزة: **الأسر والسجن في شعر العرب**، ص521.

[3] – السِّروال: كلمة فارسية معربة وأصلها في الفارسية: شَلوار، ومعناه: لباس يستر العورة إلى أسفل الجسم. رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص234. وحسب راينهارت دوزي فإن السروايل كانت من الألبسة الشائعة الاستعمال سواء في الأندلس أو المغرب أو المشرق الاسلامي، وهي لباس للرجال والنساء أيضا. **أنظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ص 182-187. والرواية هنا تشير إلى أن الحجاج نزع جميع ثياب عبد الله بن فضالة ولم يبق عليه إلا هذه السراويل التي هي من الألبسة التحتية.

[4] – النهرواني: **الجليس الصالح**، ج 1، ص465.

إسماعيل المخزومي" عامل المدينة لعبد الملك بن مروان فجرد من ثيابه فجُلد ثم طيف به في أسواق المدينة[1]، بعد أن أُلبس "المسُوح"[2]، أو "تُبان شعر"[3].

وممن تعرض لهذه العقوبة من الأشراف علي بن عبد الله العباسي، حيث كان: "...مضروبا بالسوط يُدار به على بعير، ووجهه مما يلي ذنب البعير، وصائح يصيح عليه: هذا علي بن عبد الله الكذاب"[4]، والسبب في ذلك أن بني أمية بلغهم أنه يقول " إن هذا الأمر سيكون في ولدي" وكان هذا زمن الوليد بن عبد الملك[5].

قد تكون هذه الرواية موضوعة بهدف الرفع من مكانة علي بن عبد الله العباسي وتصويره بصورة المستشرف لوصول أولاده للحكم في تلك الفترة المبكرة نوعا ما قبل ظهور الدعوة العباسية، لكنها مع ذلك تعطينا فكرة عن كيفية تعامل السلطة الأموية مع معارضيها خاصة ما تعلق برغبتها في إذلالهم وتحطيم معنوياتهم بتركيزها على العقوبات النفسية إلى جانب الجسدية، وعرضهم على الناس في أقبح صورة ممكنة للحط من قدرهم ومكانتهم عندهم، مثل علي بن عبد الله بن عباس الذي شُهِّر به وطيف به على الناس وهو على ظهر بعير وقد أُركب بطريقة معكوسة مبالغة في إهانته، إضافة إلى توكيل شخص يقوم بالصياح في الناس –ليسمع من لم يَرَ– معلنا عن المذنب وجُرمه ومُبرزا لجبروت السلطة وقدرتها على البطش بأعدائها مهما كانت صفتهم ومكانتهم.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز لما أبى يزيد بن المهلب أن يؤدي ما عليه من مال "ألبسه جبة

---

(1) – أبو نعيم الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج2، ص171. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 1، ص377.

2– أبو نعيم الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج2، ص170. المِسْح: هو ثوب من الشعر الغليظ، وهناك من عرفه أنه كساء من الشعر كثوب الرهبان، أما "دوزي" فقد ذكر بأنه قماش ضيق بلا أكمام، وهو قصير لا يصل إلى الركبتين، ويُصنع في الغالب من شعر الماعز وأحيانا من شعر الحمير. راينهارت دوزي: **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ص360. رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص470، 471.

3– **نفسه**، ج2، ص171. التُّبَّان: كلمة فارسية مُعربة، تعني سروال صغير، أو سروال داخلي يستر العورة المغلظة فقط ويلبسه الملاحون. رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص89.

(4) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج 2، ص757، 758. مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية**، ص 139.

(5) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج 2، ص757، 758. مؤلف من القرن الثالث الهجري: **أخبار الدولة العباسية**، ص 139.

صوف وحمله على جمل"[1]، وهذا عقابا له على خيانته.

ولما ولي خالد القسري العراق خلفا لعمر بن هبيرة في خلافة هشام بن عبد الملك أخذه وألبسه مِدْرَعَة صوف[2]، مبالغة في إهانته بإلباسه هذا اللباس المصنوع من الصوف الذي يقول عنه راينهارت دوزي: "والحقيقة أن هاتين الكلمتين(المِدْرَع أو المِدْرَعة) تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذي لم يكن يرتديه إلا العبيد أو فقراء عامة الناس"[3]، وتعذيب الوالي المعين للوالي المعزول أصبح سُنة معمول بها منذ العصر الأموي واستمرت في العصر العباسي.

وفي المدينة لما أخذ عاملها محمد بن هشام المخزومي الشاعر العرجي هو وصديق له يُعرف باسم "الحصين بن غُرير الحميري" "جُلدا وحُلقا وصب الزيت على رؤوسهما وأُلبسا عباءتين[4] واجتمع الناس ينظرون إليهما"[5]، وهنا جمع بين العقوبة الجسدية والمعنوية حيث جُلدت ظُهورهما وحُلقا وصُب الزيت على رؤوسهما وأُلبسا لباسا مُهينا لهما مع عَرضهما على الناس لإرسال رسائل لأذهانهم مفادها أن هذا مصير من يتعرض لسلطان الأمويين مهما كان أصله ونسبه.

أخيرا فإن الملاحظ أن هذه العقوبة القائمة على الاضرار بالضحية معنويا والحط من مكانتها في أعين الناس كان يقف خلفها في كثير من الأحيان دوافع شخصية من الحقد والغل والرغبة في الانتقام من الضحية خاصة إذا كانت الضحية ممن ينتمون لطبقة الخاصة أو ممن يشكلون خطرا معتبرا على الوالي أو الخليفة.

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6، ص557.

(2) – ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج 19، ص164.

(3) – **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ص161.

(4) – العباءة أو العباة أو العباية: حسب دوزي فإن هذه الكلمة تشير إلى نوع ملحفة قصيرة ومفتوحة من الجهة الأمامية، وهي لا أكمام لها ولكن تستحدث فيها ثقوب لإمرار الذراعين، وقد عرف بها البدو خاصة. لكنه يعود ويقول أن العباية المعروفة حاليا ليست هي العباءة التي كانت معروفة سابقا في أقطار الجزيرة العربية والعراق والشام. **نفسه**، ص 259-265.

(5) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج1، ص266.

3- الإبعاد والنفي

إن النفي عقوبة تعزيرية هدفها تأديب الجاني ويتم اعتمادها في الحالات التي لا تصل فيها جناية الشخص إلى درجة القتل أو الضرب أو غيرها من العقوبات الأشد إيلاما ونجد في الأخبار التاريخية استخدام مصطلحي "النفي" و"التغريب" للدلالة على الابعاد من البلد، ويعرف ابن منظور النفي فيقول: "يُقال: نفيت الرجل وغيره أنفيه نفيا إذا طردته...والنفي: ما نَفَته، وفي الحديث، المدينة كالكير تنفي خَبَثها أي تخرجه عنها، وهو من النفي الإبعاد عن البلد. يُقال: نفيته أنفيه نفيا إذا أخرجته من البلد وطردته"[1].

أما التغريب فهو: "النفي من البلد"[2]، ويذهب بعض الباحثين إلى أن المقصود من التغريب هو النفي لمدة معينة سلفا على عكس النفي الذي لا تحدد له مدة زمنية[3].

أول من مارس هذه العقوبة هو زياد بن أبيه الذي أمر بنفي الثائر الخارجي "الخطيم الباهلي" واسمه "يزيد بن مالك الباهلي" إلى البحرين ثم أعاده وأمره بلزوم داره بالكوفة[4]. كما أمر زياد بنفي عبد الله بن خليفة الطائي –وهو من أصحاب حجر بن عدي– إلى بلاد اليمن بعد تدخل عدي بن حاتم الطائي لمنع قتله[5].

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان قدم الحجاج بن يوسف مع وفد عراقي فيهم "معاوية بن قرة أبو أياس"[6] فسأله عبد الملك عن الحجاج فقال: "إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله عز وجل"، فغرَّبه الحجاج إلى السند[7]. وقول يزيد بن قرة السابق فيه إشارة واضحة إلى سياسة العنف التي أصبحت قائمة عليها الدولة الأموية، حيث أن أي إشارة إلى مساوئ الأمويين أو

---

(1) – **لسان العرب**، ج15، ص336، 337. (مادة: نفي).

(2) – **نفسه**، ج1، ص639. (مادة: غرب).

(3) – عبود الشالجي: **موسوعة العذاب**، ج3، ص185.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص180. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص228.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 5، ص281.

(6) – معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري: تابعي من أهل البصرة، وفد على الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد توفي سنة 113هـ/ 731م زمن الخليفة هشام بن عبد الملك. وهو والد إياس بن معاوية قاضي البصرة. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص210-217.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص226. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج25، ص103.

القيام بمعارضة ولو كلامية سيكون مصيره صاحبها القتل. كما أمر الحجاج بنفي "جابر بن زيد الأزدي" من البصرة إلى عُمان[1]، كما نفي الشاعر الأحوص إلى جزيرة دهلك[2]، بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك بسبب تشبيبه بالنساء وسوء أخلاقه[3].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر بيزيد بن المهلب الذي تماطل في تأدية ما عليه من مال قائلا: "سيروا به إلى دهلك، فلما أُخرج فمُرَّ به على الناس أخذ يقول: مالي عشيرة، مالي يُذهب بي إلى دهلك؟ إنما يُذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الغارب[4]، سبحان الله ! أمالي عشيرة ! فدخل عمر بن سلامة بن نعيم الخولاني فقال: يا أمير المؤمنين، أردد يزيد إلى محبسه فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه، فإني رأيت قومه غضبوا له، فرده إلى محبسه"[5] ، يظهر من خلال هذا النص أن عقوبة النفي لها تأثير نفسي بالغ على ضحاياها بدليل رد فعل يزيد بن المهلب واستنجاده بعشيرته التي غضبت بدورها لقرار نفي سيدها إلى جزيرة دهلك، ويُفهم أيضا من هذا النص أن عقوبة النفي إلى دهلك كانت مطبقة على الفساق والعناصر المفسدة خاصة.

كما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بنفي آل الحجاج حيث "بعث...بآل أبي عقيل أهل بيت الحجاج إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد فإني قد بعثت بآل أبي عقيل، وهم شرُّ بيت في العرب ففرقهم في عملك على قدر هوانهم على الله تعالى وعلينا، وعليك السلام. وإنما نفاهم"[6]. انطلاقا من هذا النص فإن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد نفى جميع آل أبي عقيل الثقفي إلى اليمن، والظاهر أن مكانتهم تراجعت كثيرا في عهد هذا الخليفة لدرجة أنه اعتبرهم "شر بيت في العرب" وهذا بسبب أعمال الولاة المنحدرين من هذه العشيرة وأبرزهم الحجاج بن يوسف ومحمد بن يوسف والحكم بن أيوب. لكن هل فعلا نفى عمر بن عبد العزيز جميع آل أبي عقيل؟

---

(1) – الشماخي: **كتاب السير**، ج1، 71.

(2) – "دهلك: هي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه". ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 6، ص300. وهي مقابل سواحل دولة السودان حاليا.

(3) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 4، ص173. المزي: **تهذيب الكمال**، ج 19، ص548.

((4)) – لم أعثر على معنى دقيق لهذه الكلمة، لكن يبدو أنها تشير إلى الرجل المخادع وذلك لما ورد في لسان العرب: "وفي حديث الزبير: فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته عائشة إلى الخروج. الغارب: مقدم السَّنام، والذروة أعلاه. أراد أنه مازال يُخادعها ويتلطفها حتى أجابته". ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص644.

((5)) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج 6،ص557، 558.

((6)) – الفسوي: **المعرفة والتاريخ**، ج 1، ص618، 619. ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص109.

الراجح أن الخليفة عمر لم ينف جميع أفراد هذه العائلة بل يمكن القول أنه نفى جماعة منهم فقط وتحديدا من تولى منهم الأعمال خاصة، وفي هذا الصدد أورد ابن عبد الحكم نص كتاب النفي إلى عامل بلاد اليمن عروة بن محمد وجاء فيه: "أما بعد فإني بعثت إليك بنفر[1] من بني عقيل، وبئس القوم كانوا في الجاهلية والاسلام، وكان أفضلهم في أنفسهم شرَّ خلق الله دينا ونفساً، وأنا أرجو أن يجعل الله فيهم خِلافا لا يزداد ما كرهوا من ذلك إلا لزوما، وأن يظعنوا[2] إلى شر ما ظعن إليه أهل موت، فإذا أتاك كتابي هذا فأنزلهم من نواحي أرضك بشرّها، بقدر هوانهم على الله عز وجل والسلام"[3]، واضح إذن من خلال هذا الكتاب أن الخليفة عمر بن عبد العزيز نفى عددا قليلا من الرجال لا يتعدون العشرة وهو الأسلم لأنه لا يمكن أخذ النساء والصبيان بجرائر الرجال، كما لا يمكن أخذ الرجال الذين لم يتولوا شيئا من الأعمال بسبب المفاسد التي اقترفها من تولوا الأعمال من رجال عشيرتهم.

وبعد موت الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يدخر خلفاءه جهدا في محو كل آثاره، بل تعرضوا حتى لرجاله، مثل "عراك بن مالك"[4] الذي كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الأموال من أيديهم ورد مظالمهم، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعث إلى واليه على المدينة "عبد الواحد بن عبد الله النصري" كتابا جاء فيه: "أن ابعث مع عِراك حرسياً حتى يُنزله دهلك...فقال لحرسي وعراك معه على السرير: خذ بيد عراك فابتع من ماله راحلة ثم توجه إلى دهلك حتى تُقره فيها"[5].

وفي عهد هشام بن عبد الملك نفى الشاعر إسماعيل بن يسار النسائي بسبب قصيدة أنشدها عليه يفخر فيها بالعجم على العرب فغضب هشام من ذلك وأمر بتعذيبه، ثم نفي من الشام إلى

((1)) –النفر: ما دون العشرة من الرجال. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص225.(مادة: نفر)

((2)) – ظَعَن يَظعنُ ظَعنا وظعونا: ذهب وسار. والظعن: سير البادية. **نفسه**، ج13، ص270، 271. (مادة ظعن)

(3) – ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص109.

(4) – عراك بن مالك الغفاري المدني: أحد العلماء العاملين من التابعين، كان يحرض عمر بن عبد العزيز على انتزاع ما بأيدي بني أمية من الفيء، ولهذا نفاه يزيد بن عبد الملك لما تولى الخلافة، وكانت وفاته سنة 104هـ/722م أو قبلها. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص63، 64.

(5) – ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج 16، ص338. المزي: **تهذيب الكمال**، ج 19، ص548.

الحجاز[1]، كما أمر هذا الخليفة بنفي عبد الله بن سهل وكان صاحبا للوليد بن يزيد[2]، وبسبب تضييق هشام على ابن أخيه الوليد بن يزيد فإن هذا الخير ضيق على آل هشام مباشرة بعد توليه الخلافة حيث نفى سليمان بن هشام بن عبد الملك إلى عمَّان بعد أن ضربه ومثَّل به[3]، كما أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بنفي عمرو بن شراحيل، وهو من محدثي أهل الشام وجماعة من أصحابه بسبب أخدهم بآراء القدرية[4].

يتضح مما سبق تعدد الأسباب المؤدية إلى النفي بين الأسباب السياسية والاقتصادية والمذهبية، كما كان الفساد الأخلاقي من أسباب الأمر بالنفي، وإلى جانب هذه الأسباب أمر بعض الخلفاء بعقوبة النفي على أفراد أسر بعينها على غرار ما فعله عمر بن عبد العزيز بأسرة الحجاج التي شاع ظلمها للرعية أثناء ولايته على العراق.

أخيرا فإنه على الرغم من أن عقوبة النفي لا تبلغ في قسوتها بقية أنواع العقوبات على غرار الصلب أو التشهير أو المثلة؛ فإن لها تأثيرا نفسيا معتبرا على الضحية، خاصة إذا علمنا أن الهدف من ورائها هو سلخ الضحية عن مجتمعه الذي يُشكل وعاء وسندا له، وإبعاده عن مجاله الذي يمثل بالنسبة له فضاء اجتماعيا حميميا مألوفا مرتبطا بالأسرة والعشيرة والعصبية، هنا لا يتم المساس بالجسد لكن يتم استهدافه من خلال إرهاقه بدنيا ونفسيا وتفكيك أواصره وعلاقاته المختلفة، وهذا الفعل –النفي– له انعكاسات سلبية معتبرة حيث يؤدي إلى تغيير أسس حياة الفرد واستقراره وعلاقاته وروابطه مما يؤدي إلى معاناة واضطرابات شخصية عنيفة[5]، خاصة وأن الضحية ستكون ملزمة بتقبل نموذج الحياة الجديدة المفروضة عليها في منفاها والتي قد تكون حياة دونية مقارنة مع ما كانت تتمتع به من امتيازات في فضائها الأصلي.

---

(1) – الأصفهاني: **الأغاني**، ج 4، ص295.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص135.

(3) – مجهول: **العيون والحدائق**، ج 3، ص131.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص232.

(5) – حميد الحداد: **المقاربة النفسية لظاهرة العنف**، ص71. طالب إبراهيم خضير: **الجرائم والعقوبات**، ص153.

الفصل السادس: القتل

أولا- الأمراء الأمويون

ثانيا- المعارضون والثوار

ثالثا- الولاة والعمال

رابعا- الأشراف

خامسا- أصحاب المذاهب المخالفة

سادسا- الشعراء

سابعا- النساء والأبناء

ثامنا- العامة

تاسعا- دراسة إحصائية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمام عجز الأمويين عن إقناع قسم مهم من الجماعة الاسلامية بصحة خلافتهم وشرعية سلطتهم لم يكن أمامهم بُد من استعمال القوة والعنف في فرض سلطانهم وتعاملهم مع معارضيهم والثائرين عليهم، فكان السيف داعم لسلطتهم بل وفارض لها، ونتيجة لهذا الوضع فقد تعددت أصناف ضحايا السلطة الأموية ولم يسلم من بطشها لا أفراد الأسرة الأموية، ولا أشراف الناس ولا عامتهم، كما اختلفت أساليب القتل وذرائعه حسب حالات الضحايا وإن كان الغالب عليها هو ضرب العنق خاصة لأولئك الذين أعلنوا عصيانهم للخلفاء وتمردوا عليهم، فكانت العوامل السياسية هي السبب الرئيسي في أوامر القتل التي أصدرها الخلفاء والولاة الأمويين، ومع ذلك كان للحزازات الشخصية والعصبية القبلية دور مهم في أوامر القتل.

أولا– الأمراء الأمويون

تعرض العديد من أمراء البيت الأموي للقتل على يد أبناء عمومتهم، وكان الصراع على تولي الخلافة هو السبب الرئيسي في بروز هذه الظاهرة، وأول من فعل ذلك هو الخليفة عبد الملك بن مروان الذي قام بقتل ابن عمه عمرو بن سعيد الأشدق لما تمرد عليه وطالب بما اعتبره حقا له في الخلافة سنة 69هـ/688م، مُدَّعيا أن مروان بن الحكم وعده بتوليته الأمر من بعده نظير دعمه له في قتال الضحاك بن قيس الفهري في موقعة مرج راهط سنة64هـ/683م[1]، وتختلف الروايات في الشخص الذي قتله وطريقة قتله، حيث تذكر بعض الروايات أن عبد الملك بن مروان أمر مولاه "أبا الزعيزعة البربري" فضرب عنقه[2]، بينما تذكر روايات أخرى أن عبد الملك ذبحه بنفسه[3].

كانت هذه هي حالة القتل الوحيدة التي تعرض لها أحد أفراد البيت الأموي بسبب الصراع على تولي الخلافة منذ وصول معاوية بن أبي سفيان للخلافة سنة 41هـ/661م وحتى مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة 126هـ/743م أثناء أحداث الفتنة الثالثة، والتي أودت بحياة ابنيه ووليي عهده الحكم وعثمان أيضا؛ حيث قتلهما يزيد بن عبد الله القسري سنة 127هـ/744م خوفا من

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص58. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص140.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص62. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص145.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج6، ص64. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص145.

مبايعة مروان بن محمد لأحدهما وعملهما على الانتقام من قتلة أبيهما[1].

ولما تولى مروان بن محمد الخلافة سنة 127هـ/744م قتل عدة أمراء من البيت الأموي بذرائع مختلفة، حيث ابتدأ خلافته بقتل الوليد وخالد ابني يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما دخل دمشق في نفس السنة[2]، ويمكن أن يكون هذا الفعل من قبله هو انتقام لولدي الوليد بن يزيد الذين قتلا بعد ثورة يزيد بن الوليد على أبيهما. كما أمر مروان بن محمد بقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لدوره في قتل ابني الوليد بن يزيد[3]. وقتل أيضا بشر ومسرور ابني الوليد بن عبد الملك[4]، وكانا متحصنين بحلب ومعارضين لتوليه الخلافة.

ولما انضم أحد الأمراء الأمويين يدعى "أمية بن معاوية بن هشام" إلى شبيب الخارجي ضد مروان بن محمد أمر به مروان فضربت عنقه، وذلك سنة129هـ/746م[5]، وقد قتله مروان و"عمه سليمان وإخوته ينظرون إليه"[6]. كما قتل مروان أيضا كل من إبراهيم بن سليمان بن هشام بن عبد الملك[7]، وخالد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك[8]، وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان[9]، ومع أن الروايات لا توضح السبب الذي دفع مروان للأمر بقتلهم بالتحديد؛ إلا أن الراجح هو أنهم كانوا من المعارضين لتوليه الخلافة.

وهكذا فإن عمليات القتل التي تعرض لها الأمراء الأمويين كانت دوافعها سياسية بحتة، ووقع أغلبها في أواخر الدولة الأموية حين عارض العديد من أبناء البيت الأموي تولي مروان بن محمد الخلافة خاصة في ظل بروز العديد من الطامحين في الوصول إلى هذا المنصب.

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص222. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج57، ص329.

(2)– خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص244. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج16، ص315. ج63، ص349.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص201. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج36، ص270.

(4) – ابن أبي جرادة: **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج1، ص63.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص350. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج9، ص306.

(6) – الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص73.

(7) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج6، ص417.

(8) – **نفسه**، ج16، ص315.

(9) – **نفسه**، ج46، ص70، 71.

ثانيا– المعارضون والثوار

كان المعارضون والثوار أكبر فئة تعرضت للقتل خلال هذه الفترة بسبب الخطر الذي شكلوه على كيان الدولة الأموية، واستمرار حكم الأسرة الأموية، لذلك كان العنف الذي مارسه أغلب الحكام الأمويين خلفاء وولاة ضد هؤلاء المعارضين والثوار منفلتا من أي ضوابط شرعية أو أخلاقية، خاصة وأن العنف كان وسيلتهم في التعامل معها.

ابتدأت عمليات القتل منذ وقت مبكر في التاريخ الأموي، ففي سنة46هـ/666م خرج "سهم بن غالب الهجيمي" و"الخطيم الباهلي" بالأهواز، أما سهم فقد عاد إلى البصرة بعد تفرق أصحابه عنه واستخفى بها وطلب الأمان من زياد بن أبيه، فلم يؤمنه وقتله[1]. أما الخطيم فقد نفاه زياد إلى البحرين ثم أعاده وأمره بلزوم داره، فلما لم يمتثل لأوامر زياد أمر به فقتل وألقيت جثته في مساكن باهلة بالكوفة[2].

وفي سنة51هـ/671م أثناء حركة حجر بن عدي الكندي بالكوفة هرب عمرو بن الحمق الخزاعي وكان من أنصاره إلى الموصل فقبض عليه عاملها عبد الرحمن بن أم الحكم فأمر به فضربت عنقه[3]، وتذكر روايات أخرى أن عامل الموصل كتب إلى معاوية بخبر القبض عليه فكتب إليه معاوية: "إنه يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنا لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان"[4]، فلما فُعل به ذلك مات في الطعنة الأولى أو الثانية[5].

ويظهر من خلال كتاب معاوية لعامله محاولته إظهار نفسه بمظهر المقتص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهي مناورة سياسية غايتها تأكيد شرعية حكمه الذي اعتبره تواصلا لحكم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي الواقع لو لم يكن القصاص من قتلة الخليفة عثمان هو مجرد ذريعة كاذبة لقتال الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب رضي الله عنه لنشط معاوية في قتل قتلة الخليفة عثمان منذ توليه الخلافة سنة41هـ/661م ولم يتركهم ليعيشوا بسلام في ظل حكمه، ولما تأخر حتى

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص180. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص228.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص180. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص228.

(3) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص232.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص265.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص282. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص265.

سنة 51هـ/ 671م ليقتل عمرو بن الحمق الذي كان ممن دخلوا على الخليفة عثمان وقتلوه في داره، بل إن بعض القتلة سيتأخر القصاص منهم حتى عهد الحجاج بن يوسف.

أما حجر بن عدي وأصحابه الذين بعث بهم زياد بن أبيه إلى معاوية بالشام فقد أمر هذا الأخير بقتل عدة منهم، هم:

- حجر بن عدي: قتله الأعور بن فياض بالسيف(بمعنى ضربت عنقه)[1]. ويقال: "ذبحه ذبحا"[2]، وكان قتل حجر قد تم بأمر من معاوية بن أبي سفيان بعد إلحاح شديد من زياد بن أبيه؛ حيث كتب إليه كتابا شهد عليه جماعة من أشراف أهل العراق أورد فيه المبرر الكافي –حسبه– للتخلص من حجر وأصحابه حيث يقول: "...إن طواغيت[3] هذه الترابية السَّبئية رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا حربا فأظهَرَنا الله عليهم وأمْكَنَنا منهم"[4].

من وجهة نظر زياد باعتباره وال لإقليم العراق فإن حجر وأصحابه يشكلون تهديدا خطيرا لأمن واستقرار هذا الاقليم، فهم مجموعة من الضالين المضلين للناس، المنحرفين في عقائدهم حين اعتبرهم من غلاة الشيعة السبئية، وفوق هذا فإنهم خلعوا طاعة الخليفة معاوية، ونصبوا له الحرب، وفارقوا جماعة المسلمين وشتتوا وحدتهم ولهذا يجب التخلص منهم فورا ودون أي انتظار.

لكن ما حقيقة موقف حجر من الولاة الأمويين على العراق والخلافة الأموية عموما؟ وما هو موقفه من ادعاءات زياد؟ كان حجر يعتبر عهد معاوية عهد جور مقارنة بعهد العدل الذي تميز به عهد سلفه الخليفة علي بن أبي طالب، حيث خاطب الحسن بن علي لما تنازل عن الخلافة لمعاوية قائلا: "خرجنا من العدل ودخلنا في الجور، وتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا

---

[1] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص267. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص276.

[2] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص267. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص231. تورد بعض الروايات رثاء امرأة تعرف باسم هند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية لحجر بن عدي وفي القصيدة إشارة إلى أن حجر ذبح، حيث تقول:

ألا يا ليت حجرا مات موتا ولم يُنحر كما نُحر الجزور

البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص277. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص280.

[3] – "الطاغوت: ما عُبد من دون الله عز وجل، وكُل رأس في الضلال طاغوت...". ابن منظور: **لسان العرب**، ج8، ص444.

[4] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص272.

نذمه..."[1]، ولما أظهر المغيرة بن شعبة شتم علي بن أبي طالب في الكوفة بأمر معاوية بن أبي سفيان أصبح حجر بن عدي بسرعة أبرز أنصار العلويين الذين أظهروا تحديا صارما ضد هذه الممارسة[2].

غير أن موقف حجر المناهض لسياسات الأمويين ليس بسبب شتم علي بن أبي طالب فحسب؛ بل أيضا بسبب التضييق الممارس ضد شيعة علي بالعراق، حيث تم حرمانهم من أرزاقهم من قبل المغيرة بن شعبة وكان هذا سببا في احتجاج شديد من حجر بن عدي وجماعة الشيعة على والي الكوفة حيث خاطبه قائلا: "...أيها الإنسان مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها عنا وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحتَ مولعا بذم أمير المؤمنين وتقريض المجرمين"[3]. ومع ذلك فإن حجر بن عدي ظل يردد أنه على البيعة وأنه لم يفارق جماعة المسلمين حين تم القبض عليه[4].

أما بالنسبة لموقف الخليفة معاوية فإنه كان مترددا في البداية وممتنعا عن الانسياق وراء مطالب زياد[5]، حتى أنه عفا عن بعض أصحاب حجر ووهبهم لقبائلهم[6]، إلا أن شدة إلحاح زياد وتصميمه على ضرورة التخلص من حجر خاصة وأصحابه هو الذي دفعه لإصدار الأمر بقتلهم[7]، وهذا التردد من معاوية كان في الواقع نتيجة لإدراكه زيف ما رمي به حجر غير أن تخوفه من تطور حركة حجر التي كانت احتجاجية سلمية واستفحال خطرها في حال تحولها إلى حركة ثورية مسلحة تجمع شيعة أهل العراق هو الذي دفعه للاتجاه نحو حسم الأمور خوفا من الفتنة[8].

– أصحاب حجر وهم: شريك بن شداد الحضرمي، صيفي بن فسيل الشيباني، قبيصة ابن

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص365.

(2)– **نفسه**، ج5، ص252، 253. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص254، 255. Sean W. Anthony: **The Caliph and the Heretic Ibn Saba' and the Origins of Shi'ism,** p252.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص254.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص261. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص265.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص261، 265. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص272.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص265، 266. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص274، 275.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص275.

(8) – مراد لكحل: **رسائل الخلفاء الأمويين**، ص453.

ضبيعة العبسي، مُحرِز بن شهاب السعدي، كِدام بن حيان العنزي، وهؤلاء إضافة إلى حجر قتلوا في مرج عذراء بالشام[1].

– أما عبد الرحمن العَنَزي فإن معاوية أمر بتسييره إلى زياد بن أبيه بالعراق وكتب إليه قائلا: "أما بعد، فإن هذا العَنَزي شر من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها، واقتله شرَّ قِتلة، فلما قدم به على زياد بعث به إلى قُس الناطف[2] فدفن به حيا"[3]، فالتوصية بقتل عبد الرحمن العَنَزي أبشع قتل كانت من قبل الخليفة معاوية نفسه أما ابتكار طريقة القتل البشعة هذه فكانت من قبل زياد بن أبيه الذي لم يتوان في الأمر بدفنه حيا.

ولما أرسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما مسلم بن عقيل إلى العراق لجمع شيعته والمطالبة بحقه في الخلافة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، بلغ خبره عبيد الله بن زياد فقبض عليه ثم أمر به فأصعد فوق القصر في الجهة المشرفة على سوق الجزارين بالمدينة فضربت عنقه ثم أتبع رأسه جسده وذلك سنة 60هـ/679م[4]، وقد قتله رجل يعرف باسم بُكير بن حمران الأحمري[5].

في حين أورد صاحب كتاب الإرشاد أن عبيد الله بن زياد أمر بمسلم بن عقيل أن"...يُرمى من فوق القصر، فرموا به فتقطع"[6]، فلما فُعل به ذلك وقد كان مقيدا تكسرت عظامه وبقي به رمق من الحياة فجاء رجل يقال له عبد الملك بن عمر اللخمي فذبحه[7].

أما هانئ بن عروة المرادي الذي آوى مسلم بن عقيل وسانده فقد أمر به عبيد الله بن زياد

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص275-277.

(2) – موضع بالعراق، واسم الموضع الأصلي : الجسر في نواحي الحيرة بالعراق، وفيه كانت معركة بين المسلمين والفرس زمن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتُعرف بيوم قُس الناطف. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص140.

(3) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص276، 277.

(4) – **نفسه**، ج5، ص378. أما البلاذري فإنه ذكر الخبر غير أنه لا يشير إلى الموضع الذي قتل فيه بالتدقيق. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج2، ص340.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج2، ص340. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص378. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص69.

(6) – الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج2، ص71.

(7) – **نفس المصدر والصفحة**.

فأخرج إلى السوق "فضرب عنقه صبرا"[1].

وقد أورد الطبري –رواية أبي مخنف– خبره بالتفصيل فقال: "...فأخرج بهانئ حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وا مذحجاه ولا مذحج[2] اليوم، وا مذحجاه وأين مني مذحج، فلما رأى أن أحدا لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يُجاحِش[3] به رجل عن نفسه؟ قال: ووثبوا إليه فشدوه وثاقا ثم قيل له: أمدد عنقك فقال: ما أنا بها بمُجدٍ سخي، وما أنا بمعينكم على نفسي...فضربه مولى لعبيد الله...بالسيف فلم يصنع سيفه شيئا، فقال هانئ: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك، ثم ضربه أخرى فقتله"[4].

ويتضح من قتل كل من مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ما يلي:

– لم يكن اختيار مكان القتل عشوائيا بل تم اختياره بدقة بالغة، فالأول أُصعد إلى أعلى قصر الوالي في مركز المدينة مواجها الناس، خاصة وأنه واجه السوق حيث يكثر تجمع الناس، أما الثاني فقد تم قتله في مكان مفتوح يرتاده الكثير من الناس إذ كان سوقا للغنم في ذلك الموضع، والغاية من اختيار هاذين الموضعين هو إرهاب عامة الكوفة وخاصة الشيعة منهم وتذكيرهم بمصير كل من يروم الخروج عن سلطان الأمويين والثورة عليهم، كما يذكرهم بحضور السلطة وقدرتها على البطش بأي شخص يهدد كيانها ووجودها.

– ما يثير الانتباه أيضا هو موقف العامة السلبي من مشهد قتل هانئ بن عروة، فعلى الرغم من جرّه مشدود الوثاق أمام أنظار الناس وقبيلته تحديدا –وهو أحد ساداتها– إلا أنه لا أحد حرَّك ساكنا لمساعدته، وحتى لما نادى مُستجديا قبيلته النصرة وتخليصه من وثاقه وإنقاذه من مصيره إلا أنها سلَّمته لمصيره المحتوم مذعنة لقرار الوالي، وهو–هانئ– الذي سرعان ما أدرك أنه "لا مذحج اليوم"،

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج2، ص340. ج3، ص422. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص69

(2) – مِذْحِج بن أُدد(مالك بن أدد): بطن من كهلان من القحطانية، ويتفرع منه أفخاذ كثيرة منها: النخع، بنو الحارث بن كعب، مراد، سعد العشيرة...وكان أغلبهم يسكنون اليمن، كان لهم دور كبير في أحداث التاريخ الاسلامي مثل فتوح العراق، وحرب صفين مع علي رضي الله عنه وغيرها. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، ج3، ص1061، 1062.

(3) – "جاحش عن نفسه وغيرها جِحاشا : دافع". ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص271. (مادة: جحش).

(4) – **تاريخ الطبري**، ج5، ص378، 379.

فحضور سلطة الدولة ممثلة في شخص الوالي وأعوانه كانت فارضة لنفسها إلى الحد الذي طغت فيه على اعتبارات العصبية القبلية والحمَيَّة لنجدة أحد أشراف القبيلة، ونجاح السلطة في احتواء القبائل – هو نجاح نسبي في الواقع– ناتج عن نجاحها في تأطير أشراف القبائل خلفها والسير بهم بما يخدم مصالحها الخاصة ولو كانت على حساب حياة أحد الأشراف أيضا.

وبعد قتل مسلم بن عقيل وصاحبه أخذ عبيد الله بن زياد رسول الحسين إلى مسلم بن عقيل وهو قيس بن مسهر الصيداوي فأمر به أن يُرمى من فوق القصر فرمي به فمات[1]، كما أخذ عبيد الله جماعة ممن أعانوا مسلم أو أرادوا نصرته منهم: رجل يُعرف باسم "عبد الأعلى الكلبي" فأمر به قائلا: "انطلقوا بهذا إلى جبانة السبيع[2] فاضربوا عنقه بها...فانطُلق به فضربت عنقه"[3]. كما أمر برجل آخر يُعرف باسم "عمارة بن صلخب الأزدي" كان يريد نصرة مسلم بن عقيل قائلا: "انطلقوا به إلى قومه فضربت عنقه فيهم"[4].

مجددا كانت عملية اختيار مكان الإعدام مدروسة بدقة من قبل عبيد الله بن زياد، فعبد الأعلى الكلبي ضربت عنقه في "جبانة السبيع" لأنها تمثل مركزا مهما للقبائل اليمنية وتحديدا قبيلة همدان العريقة[5]، ولا أدري لما لم يأمر بقتله في جبانة كندة التي ينتمي إليها رغم شهرتها هي الأخرى،

---

[1] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص378. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص395. الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج2، ص70، 71. وفي روايات أخرى أنه بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر. **أنظر**: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص379. الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج2، ص70، 71. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج3، ص403.

[2] – حسب ياقوت الحموي فإن "الجبَّان" هي الصحراء، "وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها أهل البصرة مقبرة". وتقع جبانة السبيع هذه بالكوفة. **معجم البلدان**، ج2، ص99. ويرى لويس ماسينيون أن الجبانات تمثل مقابر للعشائر والبطون، وكانت تقع ضمن خطط القبائل، وكانت جبانة السبيع "أو الحشاشين" تنسب لبطن "السبيع" الذي يعتبر من بطون الرئاسة في قبيلة همدان، وكانت تعتبر محلا للاجتماعات المهمة، حتى أن الحجاج اتخذ مقر إقامته في هذه الجبانة. **خطط الكوفة وشرح خريطتها**، ص34، 35.

[3] – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص379.

[4] – **نفس المصدر والصفحة**.

[5] – يؤكد هشام جعيط على أهمية الجبانات في تشكيل فضاء الكوفة فيقول: "فالجبانة هو الفضاء الأول المحدد في الخطة والذي ينبغي أن يحتل منها المركز الهندسي، كما أن الجبانة قامت بدور المركز لتجميع القبيلة، فكانت النقطة الحساسة...وقلب الخطة النابض". ويقول في موضع آخر مبرزا تعدد وظائف الجبانة: "...إن الوظائف التي قامت بها هذه الأماكن كانت متعددة، كانت في البداية نقطة إشعاع ومركزية فضائية...ثم قامت بدور المقبرة، والمقر للتجمعات، ومركز العصب للحياة الاجتماعية عند القبيلة عندما تكتسي نبرة رسمية، وأخيرا فقد كان لها دور عسكري...". **الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية**، ص393. 405.

وهذا الفعل هو رسالة من الوالي لهذه القبائل بضرورة ضبط أبنائها ومنعهم من الدخول في صدامات مع السلطة الأموية ومساندة أعدائها، ثم إنها صدامات محسومة سلفا لصالحها، وهي نفس الرسالة التي بعث بها عبيد الله لقبيلة الأزد من خلال الأمر بضرب عنق "عمارة بن صلخب" في خطة قبيلته وأمام أنظارها.

لم يثن مقتل مسلم بن عقيل والتنكيل به الحسين بن علي عن مواصلة المسير صوب العراق رغم التحذيرات التي تلقاها من خذلان أهلها له وهو ما يؤكده قول الفرزدق له: "إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية"[1]، وبعد مقتله رضي الله عنه سنة61هـ/680م خطب عبيد الله بن زياد في أهل البصرة فقال: "الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي وشيعته"[2]، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي وكان من شيعة علي فقال: "يا ابن مرجانة، إن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين"[3].

كان هذا أول رد فعل من شيعة العراق على مقتل الحسين بن علي وآل بيته، لكن عبيد الله بن زياد لم يكن ليترك الأمر يمر دون أن يتخذ أي إجراء حسما لأي تطور لموقف الشيعة بعد مقتل الحسين، حيث أمر بالقبض عليه فخلصته قبيلته من أيدي حرس عبيد الله، فلما كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه[4]، وهكذا فإن عبيد الله لم يكن ليتجاوز عن أي تحد له في سلطانه، وإذا كانت قبيلة الأزد قد خلصت أحد أفرادها في أول الأمر مستفيدة من الكثرة العددية، فإنها لم تتمكن من حمايته أمام إصراره على التخلص منه.

ولم يكن رجال الشيعة هم ضحايا عبيد الله بن زياد فقط؛ بل قبض على أحد رجالات الخوارج يدعى "مالك بن نمير" فقتله[5]، كما قتل رجل آخر من رجالات الخوارج يقال له خالد بن

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص376.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص458.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص413. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص458، 459. الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج2، ص117.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص414. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص459. الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج2، ص117.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص417.

عُباد(عُبادة) السدوسي وكان من نُسَّاكهم[1]، وحسب الدينوري فإنه كان "...لا يدع بالبصرة أحدا ممن يتهم برأي الخوارج إلا قتله، حتى قتل بالتهمة والظنة تسعمائة رجل"[2]، ورغم تحفظنا على هذا العدد إلا أنه من المهم التأكيد أن ضحايا هذا الوالي من الخوارج يمكن أن يكون كبيرا للغاية خاصة في ظل الظروف المضطربة التي حكم فيها إقليم العراق.

ما يُلاحظ على سياسة عبيد الله بن زياد هو شدته في التعامل مع معتنقي الفكر الخارجي واضطهادهم وسجنهم وقتلهم، وتبريره لهذه السياسة المتشددة ضدهم هو قدرتهم على الاقناع واستمالة قلوب الناس إليهم حيث نُسب إليه أنه ردّ على من طلب منه العفو على أحد الخوارج قائلا: "أَقْمَع النِّفاق قبل أن يَنْجُم، لَكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليَراع[3]"[4]، فهو بموقفه هذا يريد أن يُحارب "الرأي وقوة المنطق" عند هؤلاء المخالفين للحكم الأموي بـ "منطق القوة"، وطريقة المعاملة هذه سوف يكون لها نتائج عكسية، إذ هي التي ستدفع هذا المخالف إلى الاستماتة في التشبث بآرائه ومواقفه، بل تدفعه بدوره إلى اللجوء إلى منطق القوة في التعامل مع السلطة حماية لنفسه ودفاعا عن وجوده[5].

وهكذا يمكن الحديث عن وجود ارتباط بين عنف الخوارج والعنف السلطوي المِمارَس ضدهم، ذلك أن عنف الخلفاء الأمويين وولاتهم أرهب قسما من الخوارج ودفعهم إلى السكينة والهدوء متخذين من "القعود" عقيدة لهم، لكنه في الوقت نفسه دفع قسما آخر إلى الرد على عنف السلطة بعنف أقوى منه تجسّد في تلك العمليات العسكرية التي قادوها ضد الأمويين، كما تجسّد في التنظير للاستعراض وقتل المخالفين وتبنّيه كشكل من أشكال النضال[6].

---

(1) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1201. الشماخي: **كتاب السير**، ج1، ص58.

(2) – **الأخبار الطوال**، ص247.

(3) – اليَراع: القصب. ابن منظور: **لسان العرب**، ج8، ص413. (مادة: يرع).

(4) – المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، ج3، ص1174.

(5) – ناجية الوريمي بوعجيلة: **الإسلام الخارجي**، ص110.

(6) – لطيفة البكاي: **حركة الخوارج**، ص309. تؤكد الباحثة من خلال دراستها لحركة الخوارج منذ نشأتها سنة 37هـ إلى نهاية العصر الأموي 132هـ، أن عنف الخوارج يرتبط بعوامل عدة هي: – انشغالهم المتواصل بالفتوحات عوّدهم على الموت، وزادتهم الفتنة بين المسلمين تعودا عليه واحتقارا للموت.– التأثر بالقرآن الكريم حيث وجدوا في الآيات التي تحث على الجهاد وترغب فيه وتمجد الشهداء ونعيم الجنة الذي ينتظرهم عاملا مشجعا لهم على اعتبار ثوراتهم "جهاد" في سبيل الله باعتبارهم "أهل الحق". –

إن ما تميزت به خلافة يزيد بن معاوية هو تجريد السيف ضد كل مخالفيه دون مراعاة لمكانتهم ورمزيتهم التاريخية والدينية أو قدسية المكان الذي يتمركزون به، فقد ابتدأ عهده بقتل سبط الرسول صلى الله عليه وسلم والكثير من أفراد بيته سنة 61هـ/680م، ثم تلاه باستباحة المدينة التي نقض أهلها بيعته متهمين إياه في دينه وذلك سنة 63هـ/682م[1]، وتذكر الأخبار التاريخية أن مسلم بن عقبة المري الذي قاد حملة إعادة المدينة لبيت الطاعة فرض على أهلها البيعة "...على أنهم خَوَل[2] ليزيد بن معاوية يحكم في أهليهم ودمائهم وأموالهم ما شاء"[3]. وبهذا المعنى يصبح جميع أهل المدينة رجالا ونساء غير مؤهلين للتصرف في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فهم الآن في مصاف العبيد حيث فقدوا جميع حقوقهم القانونية باعتبارهم أحرارا بسبب خروجهم عن طاعة الخليفة يزيد الذي سيصبح مالكا فعليا لهم يتصرف فيهم وفق ما يشاء.

بعدها جلس مسلم بن عقبة لأخذ البيعة من أهل المدينة والانتقام من أبرز رجالها، وكان أول ضحاياه هو يزيد بن عبد الله بن زمعة حيث أمره بالمبايعة للخليفة يزيد على أنه عبد قِنٌّ يحكم في ماله ودمه، فقال له يزيد بن عبد الله: "أبايعك له على كتاب الله وسنة نبيه وعلى أني ابن عمه" فقدمه فضرب عنقه[4]، وهكذا فالواقع الجديد الذي فرضه مسلم بن عقبة على أهل المدينة المهزومون لم يكن ليقبل بيعة على أساس الكتاب والسنة على غرار ما كان سائدا زمن الخلفاء الراشدين رضي

التحولات الاجتماعية الحاصلة مع تولي الأمويين الخلافة وفرض منطقهم بالقوة على الوحدات القبلية وهذا ما دفع عناصر من هذه القبائل إلى رفض هذه السياسة الأموية واعتناق الفكر الخارجي الثوري. كما تؤكد على رفض الفكرة القائلة أن عنف الخوارج مرتبط "بطبيعتهم وميلهم الغريزي إلى العنف"، كما ترفض دور "الطبيعة البدوية" للعناصر الخارجية الأولى. أنظر: **نفسه**، ص308-310. مع ذلك لا يمكن إغفال اجتهادات الخوارج واعتبارهم مخالفيهم "كفارا ومشركين" حلال دماءهم وأموالهم، والموقف المعادي للسلطة الأموية في أغلب فتراتها والجماعة الاسلامية لرجال هذه الحركة مما ساهم في تأجيج نار العداوة بين الطرفين.

[1] – **أنظر**: الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص482-495.

[2] – الخول: هم حشم الرجل وأتباعه ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل والتمليك. ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص225. (مادة: خول).

[3] – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص149. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص353. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص495. أما ابن عساكر فقد ذكر أنه خطبهم قائلا لهم: "تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين، ولمن استخلف بعده على أن أموالكم ودماءكم وأنفسكم خَوَل له، يقضي فيها ما يشاء". **تاريخ مدينة دمشق**، ج58، ص107. أما فيما يخص عدد القتلى فظهر أنه كبير جدا فالبلاذري ينقل عن أبي مخنف أن عدد القتلى تجاوز سبعمائة قتيل من قريش فقط دون احتساب قتلى الأنصار. **أنساب الأشراف**، ج5، ص350، 351.

[4] – الزبيري: **نسب قريش**، ص222. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص346. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص492.

الله عنهم؛ بل سيفرض نمط جديد للبيعة أساسه علاقة سيد–عبد، وهو ما يوضح طبيعة الفلسفة السياسية التي يتم فرضها تدريجيا بالقوة الغاشمة من قبل الحكام الأمويين بدءا من خلافة يزيد بن معاوية، وهي فلسفة قائمة على اعتبار الرعية خاضعة للخليفة الذي يقودها دون أن يكون لها مجال للمخالفة أو الاعتراض.

ولم يكن يزيد بن عبد الله بن زمعة هو الضحية الوحيد لعنف قائد الجيش الأموي، بل سيتعرض للقتل كل من "معقل بن سنان الأشجعي" الذي يُعد من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يطعن في خلافة يزيد بن معاوية، وخرج عليه مع أهل المدينة، فلما أتي به مسلم بن عقبة المري أمر به فضربت عنقه[1]، وقد علل مسلم بن عقبة قتله بقوله: "والله ما كنت لأدعك بعد كلام سمعته منك تطعن فيه على إمامك"[2]، وبهذا فعقوبة القتل هي مصير من يعارض الخليفة الأموي سواء كانت معارضته قولا بالطعن على الخليفة أو فعلا بالثورة عليه وحمل السلاح ضده. وكان هذا مصير "محمد بن أبي جهم"[3] الذي ضربت عنقه هو الآخر[4].

أما آخر ضحايا مسلم فقد كان "يزيد بن وهب بن زمعة"[5] الذي قتل هو الآخر[6]، ولا تحدد الرواية أسلوب قتله. وكان خلع طاعة الخليفة واشتراط البيعة على أساس الكتاب والسنة هو سبب مقتل هؤلاء الثلاثة، غير أن الملاحظ هو أن الروايات لا تذكر سوى هؤلاء الثلاثة الذين عارضوا مثل هذه البيعة وتحجم عن ذكر أي معارضة أخرى لها، كما لا تورد أي خبر فيما يتعلق ببقية أهل المدينة وقبولهم بالبيعة ليزيد على أساس أنهم عبيد له، لكن يمكن الافتراض أن هذا الشرط وضع على قادة الثورة وعناصرها البارزة فحسب.

---

(1) – ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج5، ص171. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص347. الطبري: **تاريخ الطبري**، ح5، ص492.

(2) - ابن سعد: **كتاب الطبقات**، ج5، ص171.

(3) – محمد بن أبي جهم بن غانم العدوي القرشي، كان والده أبو جهم من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن مشيخة قريش وعلماء النسب بها. ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مج4، ص1623.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص347. الطبري: **تاريخ الطبري**، ح5، ص492.

(5) – هو يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص118، 119.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص493.

ولما دخل مروان بن الحكم مصر بعد انتصاره في معركة مرج راهط قتل ثمانين رجلا من "المعافر"[1]، وسبب ذلك أنه دعاهم إلى البيعة فأبوا عليه إذ كانوا قد بايعوا عبد الله بن الزبير، فأمر بهم مروان فضربت أعناقهم[2]. كما أمر مروان بضرب عنق "الأكيدر بن حملة اللخمي" وكان ممن سار لقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[3].

وفي خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك اتجهت سياسة الدولة الأموية منحا أكثر عنفا في التعامل مع خصومها، واستفحلت عمليات القتل خاصة في ولاية العراق التي برز واليها الحجاج بن يوسف من خلال سياسته الدموية التي فرضها من أجل ضبط العناصر المتمردة والثائرة في هذا الاقليم المضطرب، وقد كانت عمليات القتل كثيرة جدا بحيث يصعب حصر عمليات القتل الفردي التي قام بها هذا الوالي، وقد عملنا على إحصاء ضحاياه اعتمادا على روايات البلاذري والطبري أساسا باعتبارهما المصدرين الأكثر أهمية في دراسة تاريخ هذه الفترة، وقد تمكنا من جرد القائمة التالية:

– عمير بن ضابئ البرجمي: أمر الحجاج بضرب عنقه وكان ممن ثار على عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك سنة 75هـ/694م بعد توليه ولاية العراق[4].

–كميل بن زياد النخعي: لما تولى الحجاج ولاية العراق تخفى كميل بن زياد النخعي وكان ممن ثار على عثمان بن عفان رضي الله عنه فطلبه الحجاج، ومنع "النخع"[5] أعطياتهم هم وعيالهم حتى يأتون بكميل بن زياد، فلما قدم عليه أمر به فضربت عنقه[6].

– مرة بن شراحيل الهمداني: كان ممن ثار على عثمان بن عفان رضي الله عنه فقتله الحجاج[7].

---

(1) – المعافر: قبيلة يمنية قحطانية، لهم خطة بمصر. النويري: **نهاية الأرب**، ج2، ص318، 319.

(2) – الكندي: **الولاة والقضاة**، ص45.

(3) – ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص07.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص207.

(5) – النخع: بطن من قبيلة مذحج القحطانية. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب**، ج3، ص1176.

(6) – الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج1، ص327. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج50، ص256.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص388.

– أمر بضرب عنق الهذيل بن عمران وعبد الله بن حكيم المجاشعي لانضمامهما لثورة عبد الله بن الجارود[1].

– خليفة بن خالد بن الهرماس: أتي به الحجاج فأمر فقتله، وسبب قتله حسبما تذكره الرواية هو خروجه عليه لكنها لا توضح متى خرج عليه ومع من[2]، والراجح أنه خرج مع ابن الجارود إذ ذكر خبره بعد خبر ثورة ابن الجارود.

ولما ظفر الحجاج بأصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث تذكر بعض الأخبار أنه "جلس لضرب أعناقهم عامة النهار"[3]، ولهذا كان أغلب ضحاياه هم من المنضمين لهذه الثورة العنيفة وهؤلاء الذين قتلهم بضرب أعناقهم هم:

مسعود بن قيس بن عطارد، وهو من ولد حاجب بن زرارة[4]، والهلقام بن نُعَيم بن القعقاع[5]، والفضل بن عبد الرحمن بن عياش[6]، وعمرو بن موسى بن عبيد الله التميمي وكان صاحب شرطة ابن الأشعث[7]، وأبو رهم شقيق بن ثور[8]، وعمر بن موسى بن عبد الله بن معمر[9]، وأيوب ابن القِرِيّة[10]، وسعيد بن جبير[11]، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص[12]، وعتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة[13].

---

(1) – **نفسه**، ج7، ص290.

(2) – **نفسه**، ج13، ص358.

(3) – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج2، ص39.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص29.

(5) – ابن الكلبي: **جمهرة النسب**، ص199 البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص350. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص374. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص233.

(6) – أبو العرب التميمي: **كتاب المحن**، ص176.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص373، 374. أبو العرب التميمي: **كتاب المحن**، ص176.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص297.

(9) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص، 374، 380. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص140.

(10) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص386. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص385، 386.

(11) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص364. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص490، 491.

(12) – ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص129.

(13) – **نفسه**، ص74.

وتذكر الأخبار ضحايا آخرين انضموا لهذه الثورة دون أن تحدد أسلوب قتلهم وهؤلاء هم: عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة[1]، وعياش بن الأسود بن عوف الزهري[2]، والمساور بن رئاب السليطي[3]. وعبد الله بن شريك الأعور[4]، وأبو العلج مولى عبيد الله بن معمر[5]، وسوَّار بن مروان[6]، ورجل من آل أبي عقيل الثقفيين لم تحدد رواية الطبري هويته[7]، ومعهم أيضا طلق بن حبيب العنزي الذي بعث به خالد القسري من المدينة إلى الحجاج بالعراق فقتله[8].

أما عطية بن عمرو العنبري وخرشة ابن عمرو التميمي فقد قبض عليهما عبد الرحمن بن سليم الكلبي عامل سجستان للحجاج بن يوسف ثم بعث بهما إلى الحجاج بواسط فقتلهما[9]. وأخيرا الفضيل بن بَزَوان العدواني الذي قتله الحجاج بعد ثورة ابن الأشعث مباشرة لذلك من الراجح أنه كان ممن انضم لها[10].

أما ضحايا الحجاج من الخوارج فهم:

– "آدم بن عبد الرحمن" أخ صالح بن عبد الرحمن الكاتب المعروف، قتله الحجاج بسبب اعتناقه آراء الخوارج[11].

– ملحان بن قيس الراسبي: "وكان شيخا كبيرا قد شهد مشاهد الحرورية"[12]، فأمر به الحجاج فضربت عنقه[13].

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص355. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص74.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص394.

(3) – **نفسه**، ج13، ص406، 407..

(4) – **نفسه**، ج7، ص391.

(5) – الطبري : **تاريخ الطبري**، ج6، ص374.

(6) – **نفس المصدر والصفحة**.

(7) – **نفس المصدر والصفحة**.

(8) – **البلاذري: أنساب الأشراف**، ج7، ص363.

(9) – **نفسه**، ج7، ص358.

(10) – **نفسه**، ج7، ص383.

(11) – **نفسه**، ج7، ص390.

(12) – النهرواني: **الجليس الصالح**، ج2، ص160.

(13) – **نفس المصدر والصفحة**.

– جوّاز الضبي: كان من رؤساء الخوارج الذين فروا من الحجاج واتخذ من الشام سكنا له فأمنه عبد الملك، وبعد وفاته طلبه الحجاج فبعث به الوليد إلى الحجاج فأمر به فضربت عنقه[1].

– خرج أحد ثوار الخوارج يدعى "سُكَين" بنواحي دارا[2]، فأخذه محمد بن مروان والي الجزيرة وبعث به إلى الحجاج بواسط فضرب عنقه[3].

– "ترملة": أمر به الحجاج فضربت عنقه[4]، ويبدو أنه كان من الخوارج[5].

– أتي الحجاج برجل من الخوارج فأمر به فقتل[6].

– أمر أيضا برجل من الخوارج فضربت عنقه[7].

أما ضحاياه من الشيعة فالمصادر لا تذكر سوى "قنبر" مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي أمر به فذبح بعد أن رفض البراء من علي بن أبي طالب رضي الله عنه[8]. ورجل آخر يدعى "همدان" كان مؤذنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله بعد أن طلب منه أن يتبرأ من علي بن أبي طالب فرفض هو الآخر[9].

أما الخليفة عبد الملك بن مروان فقد أمر بعبد الله بن إسحاق بن الأشعث وكان قد خرج مع ابن عمه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في ثورته فضرب عنقه[10]. كما ضرب عبد الملك عنق "المسور بن مخرمة بن عوف الكلبي" لنفس السبب[11].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك حاول عمر بن عبد العزيز التقليل من أعمال سفك الدماء التي

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص61-63.

(2) – دارا: بلدة تقع بنواحي الجزيرة الفراتية. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ص418.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص61-63.

(4) – أبو العرب التميمي: **المحن**، ص127، 128.

(5) – **نفسه**، ص 128.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف** ، ج13، ص393.

(7) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج12، ص179.

(8) – الشيخ المفيد: **الإرشاد**، ج1، ص328.

(9) – أبو العرب التميمي: **المحن**، ص142.

(10) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص373، 374.

(11) – **نفسه**، ج7، ص374.

يقترفها ولاة هذا الخليفة عبر توجيه نصيحة له تمثلت في ما يلي: "إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وإن عمالك يقتلون ويكتبون إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسؤول عنه، والمأخوذ به، فاكتب إليهم أن لا يقتل أحد منهم أحدا حتى يكتب إليك بذنبه ثم يشهد عليه، ثم تأمر برأيك على أمر قد وضح لك"[1]، وقد وجدت هذه النصيحة قبولا عند الوليد بن عبد الملك فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم بضرورة مراجعته في أمر الدماء[2].

لكن هذا الأمر الصادر عن الخليفة الوليد لم يلق ترحيبا من الحجاج بن يوسف خاصة وأنه جاء من قبل عمر بن عبد العزيز فعمل على نقضه وذلك بإرسال أحد رجالات الخوارج من صفته أنه "أعرابي حروري جاف"[3]، إلى الوليد بن عبد الملك، فلما أدخل هذا الحروري على الوليد وكان معه في مجلسه عمر بن عبد العزيز وأشراف الشام فقال له الوليد: "ما تقول فيَّ؟ قال: ظالم جائر جبار. قال: ما تقول في عبد الملك؟ قال: جبار عات[4]؟. قال: فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم."[5]. وأمام هذا الجواب أمر الوليد مولاه "أبا الريان" بقتله فقتله[6]. وهذا ما أدى إلى استياء عمر بن عبد العزيز من فعل الوليد ورجوعه عن الأخذ برأيه في أمر الدماء[7].

ما يمكن فهمه من هذه الواقعة هو ما يلي:

– كانت عمليات القتل التي يأمر بها الولاة كثيرة جدا إلى حد دفعت عمر بن عبد العزيز إلى التدخل عند الخليفة للعمل على إيقاف سيل الدماء خاصة وأنها كانت تتم دون مراعاة لأحكام الشرع فيها وإنما تخضع لأهواء هؤلاء الولاة الذين يأمرون بالقتل ثم ينسبون تهما مختلفة للضحية ويكتبون بها للخليفة لتبرير أعمالهم تلك.

---

(1) – ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص119.

(2) – **نفسه**، ص119، 120.

(3) – **نفسه**، ص120.

(4) – عتا: عتوا يعتوا عتوا وعِتيا، استكبر وجاوز الحد، والعاتي: الجبار، وهو أيضا الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة. ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص27. (مادة: عتا)

(5) – ابن عبد الحكم: **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص120.

(6) – **نفس المصدر والصفحة**.

(7) – **نفسه**، ص120، 121.

– منح الخليفة الوليد لعماله درجة كبيرة من الحرية للحكم في الدماء هو ما أدى إلى طغيان هؤلاء الولاة واستفحال عمليات القتل بشكل منفلت من أي ضابط خاصة في ولاية العراق، ولهذا طالب عمر بن عبد العزيز الخليفة بضرورة إصدار قرار بمراجعته في أمر الدماء وعدم الحكم بقتل أي شخص قبل العودة إليه في ذلك.

– إدراك الحجاج بن يوسف أنه هو المستهدف من نصيحة عمر بن عبد العزيز للوليد بن عبد الملك لذلك عمل على نقض تدبيره لقناعته العميقة أن تسيير شؤون العراق المضطرب دائما لا يكون إلا بالقوة والعنف وأن عنف الحركات المعارضة لا يمكن أن يواجه إلا بعنف أشد منه، وهذا نقيض فلسفة عمر بن عبد العزيز القائمة على محاورة المخالفين والعدل في التعامل معهم لأن عنف السلطة في التعامل مع معارضيها يؤدي إلى رد فعل عنيف من قبلهم وبهذا تغرق الدولة في دوامة من العنف يصعب الخروج منها، ولعل الحجاج أيضا كان يخشى تدبير عمر لعزله ومحاسبته بسبب سياسته الدموية في العراق.

– يظهر من خلال الحوار الذي دار بين "الحروري" والوليد بن عبد الملك تدرج العنف السلطوي–حسب رؤية هذا الحروري– من خلافة معاوية وصولا إلى خلافة الوليد، فإذا كان معاوية وصل للخلافة بالظلم وساس رعيته بالظلم فإن عبد الملك كان أظلم منه لرعيته، مستبد في حكمه ومتجبر في سيرته[1]، ويصل العنف الأموي مداه الأقصى مع الوليد بن عبد الملك الذي كان أسوأ من سابقيه في ظلمه وتجبره وجوره في أحكامه وسياسته.

– أخيرا، فإن المعارضين للحكم الأموي خاصة الخوارج منهم وجدوا في سياسة هؤلاء الخلفاء الجائرة ومعهم ولاتهم مبررا لهم للثورة عليهم ومحاولة إسقاط حكمهم غير الشرعي في نظرهم وهو ما قابله الأمويون بالبطش والعنف.

أما في خلافة سليمان بن عبد الملك فإن أخبار القتل كانت أقل بكثير من عهد سلفه الوليد ولعل ذلك راجع إلى سياسة العنف التي انتهجها عبد الملك ثم الوليد ومعهما ولاتهما والتي أرهقت

---

[1] – يقول الخليفة العباسي المنصور في وصف عبد الملك بن مروان: "أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما أقدم عليه". البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج8، ص379. وهذا ما تثبته أخبار سياسته وسيرته في حكمه ولو أن للظروف والأخطار المحيطة به وبدولته داخليا وخارجيا دورها في فرض هذه السياسة.

الحركات المعارضة واستنزفت كثيرا من قدراتها البشرية، وأيضا قصر مدة خلافة سليمان، وأخيرا التأثير المعتبر لعمر بن عبد العزيز عليه في سياسته، ومع ذلك ترد بعض الأخبار عن ضحاياه خاصة من عمال أخيه الوليد[1]، وأيضا بعض المعارضين أو الخارجين عليه، حيث يذكر ابن الجوزي أن سليمان أتي برجل من الخوارج ففسَّقه وفسَّق أباه عبد الملك فأمر به سليمان فضربت عنقه[2].

كما تنسب إليه الأخبار التدبير لقتل أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية لما أتاه إلى الشام، حيث "...استبرع بيانه وعقله وقال: ما أظن هذا إلا الذي يُحدث عنه"[3]، ثم وضع له في طريقه من سقاه لبنا مسموما فلما شربه مات، وكانت وفاته بالحميمة في بلاد الشام عند ابن عمه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[4].

وفي ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق قبض على صبيح الخارجي وكان خرج بنواحي سجستان فقتله[5]. وفي خراسان قبض عاملها أسد بن عبد الله القسري على جماعة من دعاة العباسيين فيهم "أبو عكرمة" و"جنان العطار" فضربت أعناقهما[6]. وكان مصير عمار بن يزيد "خداش" مشابها لما وجهه بكير بن ماهان سنة 118هـ/736م داعيا للعباسيين بمنطقة "مرو" حيث ظفر به أسد بن عبد الله القسري وقتله[7].

وفي سنة 119هـ/737م ثار "وزير السختياني" الخارجي بنواحي الكوفة فهزمته جيوش خالد القسري وقبض عليه، فحبسه خالد مدة ثم قتله بأمر هشام بن عبد الملك[8]، ويذكر المدائني أن

---

(1) – **أنظر مبحث التعذيب من هذا الفصل**.

(2) – **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص49.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص467.

(4) – **نفس المصدر والصفحة**. ابن حبيب: **أسماء المغتالين**، ص157، 158. الأصفهاني: **مقاتل الطالبيين**، ص124.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 9، ص7، 8. مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص108.

(6) – الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص307. Saleh Sa'id Agha: **The revolution which toppled the Umayyads**, p12,13. بينما تذكر روايات أخرى أنه مثل بهم ثم قتلهم. **ينظر مبحث المثلة من هذا الفصل**.

(7) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص109. Saleh Sa'id Agha: **The revolution which toppled the Umayyads**, p19.

(8) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص27. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص134.

هشام كتب إليه: "أتستحيي فاسقا مارقا قد قتل وحرق وفرق بيت المال فأحرِقه"[1]، فما كان من خالد القسري إلا أن أخرجه من الحبس هو وجماعة من أصحابه فربطهم في القصب وصب عليهم النفط وأشعلت فيهم النيران[2]. يبدو أن أفعال الخروج عن طاعة الخليفة والقتل والحرق وتفريق الأموال التي قام بها وزير السختياني ورجاله هي التي دفعت الخليفة هشام بن عبد الملك لإصدار أمر الاحراق رغم وجود حديث للرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن التعذيب بعذاب الله[3].

وفي العراق أيضا أتي يوسف بن عمر برجل من أصحاب زيد بن علي يدعى "القاسم بن عبد الله التنعي" فضرب عنقه على باب القصر بالكوفة وذلك سنة 122هـ/739م[4].

وأخيرا في عهد مروان بن محمد قتل هذا الخليفة خال لهشام بن عبد الملك يسمى "خالد بن هشام المخزومي" كان قد ثار عليه مع سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة127هـ/744م[5]. كما قتل إبراهيم الإمام العباسي؛ وتختلف الروايات في أسلوب قتله، بين قتله بالسم لما كان في سجن حران وذلك سنة132هـ/749م[6]، أو أن مروان بن محمد أمر به "فغطي وجهه بقطيفة حتى مات، وقيل: بل أدخل وجهه في جراب نورة[7] حتى مات"[8].

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص27.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص134.

(3) – أخرج البخاري في صحيحه أن الخليفة علي رضي الله عنه أحرق قوما فبلغ ذلك ابن عباس فقال: "لو كنت أنا لم أُحَرِّقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه". **صحيح البخاري**، ص743. (كتاب الجهاد والسير، باب لا يُعذَّب بعذاب الله).

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص438. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص182.

(5) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص325. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج16، ص284.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص165. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص437.

(7) – الجراب: الوعاء، وقيل المزود. ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص261. (مادة: جرب). أما النورة فهي: "من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس". **نفسه**، ج5، ص244.(مادة: نور). وبهذا يكون جراب نورة وعاء أو مزود محاط جوانبه بالكلس ويبدو أنه واسع نوعا ما ليغم الرجل ويخنقه .

(8) – اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص342.

ثالثا– الولاة والعمال

تعود أسباب قتل الولاة والعمال السابقين في الغالب إلى اختلاف التوجهات السياسية والدسائس والمؤامرات وأيضا إلى الضغائن الشخصية، وقد برزت هذه الظاهرة منذ خلافة سليمان بن عبد الملك[1] تحديدا واستفحلت في أواخر عمر الدولة الأموية، ومن بين ضحايا هذه الفئة يوسف ابن عمر الثقفي الذي سجن في خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك فلما قرب مروان بن محمد من الشام بعث يزيد بن خالد القسري مولاه "أبا الأسد" إلى السجن فضرب عنقه وذلك سنة 127هـ/ 744م[2]، ويبدو أن للانتقام الشخصي دورا بارزا في مقتل يوسف بن عمر الذي قتل خالد القسري ونكل بآل القسري، حتى أن الذهبي يعلق على مقتله قائلا: "نعوذ بالله من البغي وعواقبه"[3]، في إشارة إلى نهاية يوسف بن عمر الذي كان واليا ظلوما غشوما.

وكان مصير يزيد بن خالد القسري مماثلا لمصير يوسف بن عمر حيث أمر به مروان بن محمد فقتل بسبب قتله للحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد[4].

في الأخير تجدر الإشارة إلى أن ضحايا القتل من الولاة وغيرهم من الموظفين لا يقتصر على هؤلاء المذكورين هنا بل إن العديد منهم قتلوا في العذاب وقد تم ذكرهم في موضع منفصل.

رابعا– الأشراف

– عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: تذكر الروايات التاريخية أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان ضحية حسابات معاوية لولاية العهد من بعده، حيث تشير إلى أنه مات مسموما بتدبير من معاوية نفسه، وسوف نستعرض مجموع الروايات الواردة في مقتله عند الاخباريين القدامى ثم نناقشها؛ فالبلاذري –رواية محمد بن سعد عن الواقدي– ذكر أن عبد الرحمن كان يلي الصوائف

---

(1) – **أنظر مبحث التعذيب**.

(2) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص 374. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص443، 444.

(3) – **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص444.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص201. ابن حبيب: **كتاب المحبر**، ص485.

لمعاوية فيبلي ويحسن أثره، ونتيجة لذلك "عظم أمره بالشام"[1]، وهو ما دفع معاوية إلى أن دس إليه بشربة مسمومة مع طبيب يقال له "ابن أثال" "وجعل له خراج حمص، فسقاه شربة فمات"[2].

أما ابن حبيب فنقل عن ابن الكلبي عن خالد بن يزيد عن أبيه أن معاوية قال لأهل الشام لما أراد البيعة ليزيد: "إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ودنا من أجله، وقد أراد أن يولي الأمر رجلا بعده فماذا ترون؟ فقالوا: عليك بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد –وكان فاضلا– فسكت معاوية، وأضمرها في نفسه"[3]. فاستغل معاوية مرض عبد الرحمن فدعا بالطبيب "ابن أثال" وأمره بالتخلص من منه فدس إليه هذا الطبيب شربة مسمومة مات منها[4].

أما الطبري فقد أورد خبر مقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في حوادث عام 46هـ/ 666م، حيث يقول: "وكان السبب في ذلك ما حدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام، ومال إليه أهلها، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية، وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه"[5]، وهذا ما دفعه إلى التدبير للتخلص منه فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله، "وضمن له إنه هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفا من بلاد الروم دسَّ إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص، فوفى له معاوية بما ضمن له وولاه خراج حمص، ووضع عنه خراجه"[6].

أخيرا، أورد الجهشياري أيضا خبر مقتل عبد الرحمن بن خالد فقال: "وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عاملا على حمص فطالت إمرته، فخافه معاوية أن يبايع له أهل الشام بالخلافة، لما

---

(1) – **أنساب الأشراف**، ج5، ص118.

(2) – **نفس المصدر والصفحة**.

(3) – **أسماء المغتالين من الأشراف**، ص134، 135

(4) – **أسماء المغتالين من الأشراف**، ص 135. وقد أورد ابن حبيب نفس الرواية في كتابه المنمق في أخبار قريش لكن عن ابن الكلبي عن خالد بن سعيد عن أبيه عمرو بن سعيد بن العاص. **المنمق في أخبار قريش**، ص360-362.

(5) – **تاريخ الطبري**، ج5، ص227.

(6) – **نفس المصدر والصفحة**.

كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولقائه عن المسلمين في أرض الروم، فدس إليه ابن أوثال من سقاه سما فمات"[1].

من استعراض هذه الروايات نصل إلى ما يلي:

– اتفاق الروايات على بروز نجم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في بلاد الشام وشهرته بين أهلها بسبب كونه ابن خالد بن الوليد القائد الإسلامي الشهير الذي كان له مساهمة كبيرة جدا في فتوح الشام، وأيضا لدوره هو في محاربة الروم على الثغور الشامية.

– تتفق الروايات أيضا على أن معاوية بن أبي سفيان هو من دبر عملية قتل عبد الرحمن، غير أنها تختلف في السبب الذي دفعه لذلك، فرواية البلاذري تربط بين تعاظم شأن عبد الرحمن بالشام وتدبير مقتله دون إعطاء تفاصيل، أما رواية ابن حبيب فتذكر أن السبب هو اقتراح أهل الشام على معاوية تولية عبد الرحمن العهد من بعده لما سألهم عمن يرونه أهلا لخلافته في منصبه. أما في رواية الطبري فيظهر الأمر مرتبط بخوف معاوية على نفسه من تنامي نفوذ عبد الرحمن بالشام، وهو نفس ما أشار إليه الجهشياري.

–كما تتفق هذه الروايات أيضا على أن معاوية كلف الطبيب ابن أثال النصراني بالتخلص من عبد الرحمن لكنها تختلف في المقابل الذي دفعه له، فالبلاذري أورد أن معاوية جعل له خراج حمص مقابل تنفيذه ما طلب منه، أما ابن حبيب فلم يورد في روايته المقابل الذي دفعه معاوية لابن أثال، في حين ذكر الطبري أن معاوية ضمن له إسقاط الجزية عنه ما عاش وتوليته خراج حمص.

ما أذهب إليه أن هذه الرواية موضوعة ولا يمكن الأخذ بها لعدة اعتبارات هي: أن معاوية لا يمكن أن يكون قد طرح فكرة خلافته في ذلك الوقت المبكر جدا بعد حوالي خمس سنوات فقط من خلافته حتى وإن كان له رغبة في تولية ابنه يزيد العهد من بعده، كما أنه لا يمكن أبدا التصديق أن معاوية بصحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ودوره في الفتوحات الأولى ببلاد الشام وإنجازاته منذ توليه ولاية الشام ومقارعته الخليفة علي بن أبي طالب الند للند خلال الفتنة الكبرى ثم انفراده أخيرا بحكم دار الإسلام يخاف على نفسه من أحد ولاته مهما علا شأنه مثلما يذهب إلى ذلك كل من

---

[1] – **الوزراء والكتاب**، ص23.

الطبري والجهشياري، وحتى لو خشي معاوية على مشروعه في توريث الخلافة لابنه يزيد فإنه ما كان ليقدم على التخلص من عبد الرحمن بهذه الطريقة وفي هذا الوقت المبكر.

ثم كيف يجعل معاوية خراج حمص كلها لابن أثال وحده؟ وحتى ما ذكره الطبري من أنه أسقط عنه جزيته وولاه خراج حمص لا يستقيم؛ إذ كيف يوليه أعمال الجباية وهو لا علم له بتسيير الدواوين وضبط الأموال دخلا وخرجا، أخيرا؛ فإن عبد الرحمن لم تذكر المصادر أي رغبة له في تولي هذا المنصب بل لا نجد أي خبر عن طموح سياسي له خاصة وأن الحسن بن علي رضي الله عنهما لا يزال حيا وهناك من الصحابة وأبناء الصحابة من هم أشرف وأقدر منه على تولي أمور المسلمين.

– نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة: قتله بشر بن مروان في أيام ولايته على الكوفة بعد أن سعي به إليه[1]. وكان سبب قتله هو إيواءه رسول عبد الله بن الزبير لأهل العراق يدعوهم للزوم طاعته بعد مقتل أخيه مصعب بن الزبير[2].

– قيس بن هانئ العبسي: أمر مروان بن محمد بعد توليه الخلافة بقتله وكان قد خاطب يزيد بن الوليد قائلا: "يا أمير المؤمنين، اتق الله ودم على ما أنت عليه، فما قام مقامك أحد من أهل بيتك، وإن قالوا عمر بن عبد العزيز، فأنت أخذتها بحبل صالح وإن عمر أخذها بحبل سوء"[3]، وكان في كلامه هذا ذما لسلطة الأمويين وشرعيتهم في الحكم، فأرسل مروان بن محمد بمن يطلبه في مسجد دمشق، فلما أتي به إليه قتله[4].

– الأصبغ بن ذؤالة الكلبي: من أشراف الشام، قتله مروان بن محمد[5]، ويبدو أن ذلك بسبب دوره في مقتل الوليد بن يزيد[6].

– عمير بن هانئ العنسي: من أشراف الشام هو الأخر، قتله مروان بن محمد سنة 127هـ/

---

(1) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج12، ص43. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص233.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص137، 138.

(3) – **نفسه**، ج9، ص193. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص269.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص193. يذكر الطبري أنه أرسل إليه من قتله وهو يصلي في مسجد دمشق. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص269.

(5) – ابن حبيب: **كتاب المحبر**، ص484.

(6) – ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج4، ص1924.

744م[1]، وكان ممن يُحرض عليه[2].

-أمر حوثرة بن سهيل الباهلي[3] والي مصر من قبل مروان بن محمد بضرب أعناق جماعة من أشراف مصر رفضوا توليه ولاية مصر وثاروا عليه منهم: رجاء بن الأشيم وعمرو بن سليط وأيوب بن برغوث اللخمي[4]. وممن قتل أيضا محمد بن شريح بن ميمون المهري وذلك سنة 128هـ /745م[5].

خامسا- أصحاب المذاهب المخالفة

- **مَعْبد الجهني**: تذكر بعض الأخبار أنه أول من تكلم في القدر في الإسلام[6]، وتذكر أخبار أخرى أنه أول من تكلم في القدر بالبصرة تحديدا[7]، بينما يذهب الأوزاعي إلى أن أول المتكلمين في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، وعنه أخذ معبد[8]، ويذكر المقريزي أن معبد أخذ القول في القدر عن رجل من الأساورة[9] يقال له أبو يونس سنسويه ويُعرف بالأسواري[10]. وكان ظهور

---

(1) - ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج46، ص503، 504.

(2) - المزي: **تهذيب الكمال**، ج22، ص390.

(3) - حوثرة بن سهيل بن العجلان الباهلي، أبو المثنى القنسريني، من أهل قنسرين، كان أمير مصر لمروان بن محمد، قال عنه صاحب بغية الطلب: "وكان رجل سوء سفاكا للدماء"، ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج7، ص 2988.

(4) - الكندي: **الولاة والقضاة**، ص90. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج18، ص94. بينما يذكر ابن العديم أن سبب مقتلهم هو خلعهم طاعة مروان بن محمد فقتلهم حوثرة. **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج7، ص2854.

(5) - ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج53، ص245.

(6) - البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص35. الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1، ص41. الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ج4، ص141. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص 185. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص248. المقريزي: **الخطط المقريزية**، ج4، ص435.

(7) - البخاري: **التاريخ الكبير**، ج4، ص399. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص312. ابن كثير: **التكميل في الجرح والتعديل**، ج1، ص86.

(8) - الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص186، 187. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص245، 246. ابن كثير: **التكميل في الجرح والتعديل**، ج1، ص86، 87.

(9) - الإسوار من أساورة فارس وهو الجيّد الرمي بالسهام، وقيل: هو الحسن الثبات على ظهر الفرس. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص423. (مادة هبرز)

(10) - **الخطط المقريزية**، ج4، ص435.

القول بالقدر على لسان معبد الجهني في "آخر أيام الصحابة"[1]، أي في العقد السادس من القرن الأول الهجري أو بعده.

وقد استقدمه عبد الملك بن مروان ليبعثه رسولا إلى ملك الروم[2]، ولا تورد الروايات تاريخ استقدامه أو هل أرسله فعلا أم لا، لكنها تذكر محاوراتهما في أمور فقهية فقط، كما أن الخليفة عبد الملك جعله مؤدبا ومعلما لابنه سعيد[3]. وإن صحت هذه الرواية فمن المؤكد أنه استقدمه قبل أن يشتهر قوله في القدر، كما أن ذلك يدل على مكانته العلمية المرموقة.

أما مقتله فإن بعض الروايات تذكر أن معبد الجهني قتل بأمر الخليفة عبد الملك حوالي سنة 80هـ/699م[4]، بسبب كلامه في القدر[5]. بينما تذكر روايات أخرى أنه لما قامت ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج وعبد الملك انضم معبد الجهني إليها وشارك في المواقع كلها[6]، وبعد نهاية الثورة فرَّ إلى مكة واستقر بها[7]، ونتيجة لمشاركته في هذه الثورة قتله الحجاج بن يوسف بعد أن عذبه عذابا شديدا[8]، أو أنه قتله صبرا[9]، أما خليفة بن خياط فقد أورد أن معبد مات بعد سنة ثمانين

---

(1) – الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1، ص22.

(2) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص312. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص245. يذكر ابن عساكر في موضع آخر أن عبد الملك كتب إلى الحجاج: "أن ابعث إلي رجلا عالما أبعثه إلى ملك الروم، فبعث إليه مَعْبَداً". **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص313.

(3) – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص251. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص224. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج56، ص312. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص245.

(4) – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص187. ابن كثير: **التكميل في الجرح والتعديل**، ج1، ص87.

(5) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص325. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص248.

(6) – البخاري: **التاريخ الكبير**، ج4، ص399. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص324. الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ج4، ص141. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص 187. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص247.

(7) –البخاري: **التاريخ الكبير**، ج4، ص399. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج59، ص324. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص 187.

(8) – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص 187. ابن كثير: **التكميل في الجرح والتعديل**، ج1، ص87.

(9) – الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ج4، ص141.

وقبل سنة تسعين[1]، لكنه لم يشر إلى قتله سواء على يد الحجاج أو عبد الملك، كما أنه لم يذكره ضمن من شارك في ثورة ابن الأشعث.

إن إغفال الروايات التاريخية –خاصة المتقدمة منها– عن الإشارة إلى أي دور لمعبد في ثورة ابن الأشعث قد يشير إلى أن دوره كان طفيفا خلالها وأنه لم يكن ضمن الفاعلين الرئيسيين في الثورة، ومع ذلك فإنه وبالنظر إلى مكانة معبد فمن المدهش أنه لم يتم ذكر اسمه من قبل المصادر في الدائرة الداخلية للثورة أو على الأقل ضمن مؤيدي الثورة[2]، لذلك فمن الراجح أنه لم يشارك قط في ثورة ابن الأشعث، وإنما تم اختلاق خبر مشاركته في هذه الثورة لتبرير عملية قتله التي كانت بسبب أخذه بعقيدة القدر في نفس الوقت الذي كان فيه مقربا من الحجاج وعبد الملك.

فالحجاج هو من أرسله إلى عبد الملك، ولا شك أن اختياره له كان عن دراية جيدة بشخصيته وعلمه ومذهبه، ثم إن اختيار عبد الملك له ليكون مؤدب ولده سعيد لا يمكن أن يتم دون أن يكون قد اطلع على مذهبه وصحة عقيدته خاصة وأن الروايات تشير إلى مناقشات فقهية بينهما، لذلك من المحتمل أن معبد كتم عقيدته وقوله في القدر قبل أن يرسله الحجاج إلى عبد الملك، أو أن أفكار القدر قد اعتنقها في دمشق وليس في البصرة مثلما تدعيه الأخبار.

– **غيلان الدمشقي**: هو غيلان بن مسلم الدمشقي[3]، يقال أنه كان مولى لآل عثمان بن عفان رضي الله عنه[4]، وكان والده مسيحيا قبطيا، كان اسمه قبل دخوله الاسلام "يوناس" وسمى نفسه بعد ذلك "مسلما"[5]، وكان غيلان من أشهر القائلين بالقدر حيث أخذ هذا القول عن معبد الجهني[6].

---

(1) – **تاريخ خليفة بن خياط**، ص192.

(2) - Steven Judd : **Muslim Persecution of Heretics during the Marwānid Period (64–132/684–750)**, p6.

(3) – القاضي عبد الجبار: **طبقات المعتزلة**، ص229. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص25.

(4) – أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص371. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص25.

(5) – جوزيف فان أس: **علم الكلام والمجتمع**، ج1، ص110.

(6) – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص186، 187. المزي: **تهذيب الكمال**، ج28، ص245، 246. ابن كثير: **التكميل في الجرح والتعديل**، ج1، ص86، 87.

وقد استدعى الخليفة عمر بن عبد العزيز غيلان الدمشقي وناظره في قوله في القدر وحمله على الكف عن هذا القول[1]، وتذكر بعض الأخبار أنه استدعاه عنده لِمَا لمس فيه من الزهد والتقوى وقال له: "أعني على ما أنا فيه أعانك الله. فقال له غيلان: ولني بيع الخزائن ورد المظالم فولاه، فكان يبيعها وينادي عليها: هلم إلى متاع الخونة، هلم إلى متاع الظلمة، تعالوا إلى متاع من خلف الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته بغير سيرته وسنته، حتى كان فيما نادى عليه جوارب خز قيمتها ثلاثون ألف درهم، قد ائتكل بعضها فقال غيلان: من يعذرني ممن يزعم أن هؤلاء كانوا أئمة هدى وهذا يأتكل والناس يموتون جوعا"[2].

وهكذا فغيلان الدمشقي يرى في الحكام الأمويين خونة وظلمة، إذ خانوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته، باستباحتهم الأموال والدماء بغير حق وخالفوا سيرته وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده، لكن هذا الفعل من قِبَله لم يكن لِيَمُرَّ دون أية عواقب؛ فقد كان هشام بن عبد الملك يمر عليه ويقول: "أرى هذا يَعيبني ويَعيب آبائي والله لو ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه"[3]، وهذا ما فعله فعلا حين ولي الخلافة حيث أمر بحبسه هو وصاحبه صالح بن سويد وقطع أيديهما وأرجلهما[4].

لكن نقد غيلان لسياسة الأمويين لم يتوقف بمجرد التنكيل به إذ استمر في كشف مساوئهم وفضح تجاوزاتهم حتى "بكى الناس حوله ونبههم على ما كانوا غافلين عنه"[5]، عندها أمر هشام بقطع لسانه فلما قطع لسانه مات[6].

وإضافة إلى النقد اللاذع الذي وجهه غيلان للحكام الأمويين فقد كانت له آراء سياسية خاصة في مسألة الإمامة، حيث كان يرى "أن الإمامة يستحقها كل من قام بها إذا كان عالما

---

(1) – أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص371.

(2) – القاضي عبد الجبار: **طبقات المعتزلة**، ص231. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص25.

(3) – القاضي عبد الجبار: **طبقات المعتزلة**، ص231. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص25.

(4) – أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، ج1، ص370. القاضي عبد الجبار: **طبقات المعتزلة**، ص231. ابن المرتضى: **طبقات المعتزلة**، ص25.

(5) – القاضي عبد الجبار: **طبقات المعتزلة**، ص233. يقال أنه كان يقول: "قاتلهم الله كم من حق قد أماتوه، وكم من باطل قد أحيوه، وكم من ذليل في دين الله أعزوه، وكم من عزيز في دين الله أذلوه". **نفسه**، ص232.

(6) – **نفسه**، ص233.

بالكتاب والسنة، وإنه لا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها"[1]، وفي هذا القول نقض صريح لدعاوى الأمويين في الخلافة وعدم اعتراف بشرعيتهم كخلفاء لدار الاسلام، ولعل موقفه هذا كان مما زاد حنق هشام بن عبد الملك عليه والأمر بالتخلص منه بتلك الطريقة.

إن حياة غيلان الدمشقي –وحتى وفاته– ترتبط بإشكالية مهمة تتمثل في كونه شكَّل تحديا معقدا للعلماء المسلمين في العصور اللاحقة، ذلك أن صورته تطورت إلى صورة "زنديق نموذجي"، فبعد أن كانت التهم الموجهة إليه هي أخذه بعقيدة القدر، إلا أن الكُتَّاب اللاحقين نسبوا له مجموعة متنوعة من المعتقدات والمذاهب الفاسدة[2]، وهذه الملاحظة تنطبق على الروايات التاريخية التي حفظتها السرديات العربية وكتب التراجم، مثلما تنطبق على مصادر الفرق، فالنوع الأول(كتب التاريخ العام وكتب التراجم) تطورت رواياتها لاحقا لقمع الأوصاف الايجابية لتفاعلات غيلان الدمشقي مع من سيشكلون لاحقا رموز السنة وخاصة الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز وميمون بن مهران وحتى مكحول الشامي واستبدالها بروايات أخرى أقل وضوحا[3].

ومن جانب آخر فإن معالجة حياة غيلان الدمشقي –وآخرون غيره من أصحاب البدع– في مصادر الفرق تكشف أيضا عن تطور مماثل لحياة هذه الشخصية في هذه المصادر، وهو التطور القائم على عزل غيلان عن الشخصيات السُّنَّية الكبرى، وفي الوقت الذي قدمت فيه هذه المصادر تفاصيل ضئيلة عن حياة غيلان الشخصية، وخدمته الادارية، وتطور تفكيره العقائدي فإنها بدلا من ذلك انساقت وراء وصف العقائد الفاسدة وإنتاج قوائم من "المبتدعين في الدين" الذين لا يمكن اعتبارهم مسلمين حقيقيين[4].

لقد أيقن غيلان الدمشقي ومعه أصحاب مذهب الإرادة الحرة أن القوى السياسية هي التي تقذف في باطن مجتمعهم بتصورات قيود الجبر ونفي الاختيار، فإذا آمن المجتمع الاسلامي حينئذ بالمشيئة الالهية التي لا راد لها، وبالقدر المحتم الذي لا فكاك له سلب المجتمع الاختيار، ولم يعد له غير

---

[1] – النوبختي: **فرق الشيعة**، ص40.

[2] - Steven C. Judd: **Ghaylan al-Dimashqi: The Isolation of a Heretic in Islamic Historiography**, p163.

[3] - **Ibid**, p163, 164, 177, 178.

[4] - **Ibid**, p172. Steven Judd : **Muslim Persecution of Heretics during the Marwānid Period (64–132/684–750)**, p10.

طريق واحد، هو الطريق الذي أراده بنو أمية للمسلمين[1]، ثم إن هؤلاء القدريين من حيث قولهم بحرية الانسان في أفعاله وضرورة تحمله لتبعاتها يظهرون في نظر المعادين لهم وكأنهم دعاة فُرقة وفتنة، خاصة وأن نشوءهم كان في ظل ظروف سياسية لم تكن مهيأة لقبول حرية القول والنقد، وفي ظروف لم تكن فيها الخلافة الأموية مهيأة لقبول الإصلاح خاصة وأنها كانت خلافة متولدة عن السيف والدهاء وتعاني أزمة شرعية عميقة تهدد كيانها منذ تأسيسها[2].

ولهذا يمكن القول أن قتل غيلان الدمشقي لم يكن بسبب عقيدته فحسب وإنما للخطر الكبير الذي مثلته أفكاره على الدولة الأموية واستمرار حكم بنو أمية، هؤلاء الذين لم يكونوا مستعدين لقبول أي انتقاد لهم أو محاسبة لهم على سياساتهم.

وعلى العموم فإن الأفكار التي نشرها غيلان الدمشقي لم تمت بموته بل ظلت مستمرة بعده واستقطبت عددا مهما من جمهور المسلمين في الشام خاصة، وهذا ما دفع القاضي عبد الجبار إلى القول: "وله أصحاب كثير في نواحي الشام يقال لهم الغيلانية"[3]، وهذه الفرقة هي التي ستقود الثورة ضد الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعد أن نجحت في ضم أحد الأمراء الأمويين وهو يزيد بن الوليد ابن عبد الملك إلى صفها والإطاحة به–الوليد–، بل سيكون لها دور مهم في سقوط الدولة الأموية[4].

– **الجعد بن درهم**: لا نملك الكثير من المعلومات حول حياة الجعد بن درهم، سوى ما تذكره بعض الأخبار من أنه مولى للتابعي الكوفي سويد بن غفلة الجعفي[5]، وقيل: بل هو مولى لآل مروان[6].

---

(1) – علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام**، ج1، ص314.

(2) – عمار العشي: **الفتنة الثالثة**، منشورات الجمل، ص648.

(3) – **طبقات المعتزلة**، ص230.

(4) – عن دور فرقة الغيلانية والقدرية عموما في أحداث الفتنة الثالثة التي أدت لمقتل الوليد بن يزيد، ودورها في سقوط الدولة الأموية ينظر دراسة عمار العشي حول الفتنة الثالثة المشار إليها سابقا.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص135. ج8، ص379. السمعاني: **الأنساب**، ج2، ص66.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص135، 136. الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص31. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99. يشير ابن نباتة إلى أنه "مولى بني الحكم"، ولعله يقصد بنو مروان بن الحكم بن أبي العاص. ابن نباتة: **سرح العيون**، ص293.

أما ابن عساكر فقد ذكر أن أصله من خراسان[1]، وقيل أنه من حران[2]، وكان يسكن دمشق، وله بها دار[3]، وتخبرنا بعض الروايات أيضا أنه أول من قال بخلق القرآن[4]، بينما يذكر ابن نباتة أنه أول من قال بخلق القرآن في دمشق تحديدا[5].

أما مصدر قول الجعد بخلق القرآن فهو أبان(بيان) بن سمعان[6]، وأخذه أبان(بيان) عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذ طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لبيد هذا يقرأ القرآن ويقول بخلق التوراة[7]، ويذكر ابن نباتة أن لبيد كان يقول بخلق القرآن[8]، وهذا غير وارد.

ولما اشتهر أمر الجعد بن درهم وقوله بخلق القرآن شهد عليه ميمون بن مهران فطلبه هشام بن عبد الملك فهرب إلى حرَّان، فقبض عليه هناك وأرسل إلى هشام بالشام فأمر بإخراجه من الشام والجزيرة إلى العراق[9]، وتذكر روايات أخرى أنه بسبب انتشار قوله بخلق القرآن طلبه بنو أمية فهرب إلى الكوفة ومنه أخذ جهم بن صفون قوله بخلق القرآن[10]، لكن من غير الراجح أن تكون الأمور قد جرت على هذا النحو لأنه من غير المعقول أن يفر من الشام بسبب أفكاره ثم يجد مجالا خصبا لنشرها في العراق دون علم السلطة الأموية بنشاطه.

بعد القبض عليه والأمر بإرساله إلى العراق حبسه خالد بن عبد الله القسري والي العراق بأمر

---

(1) – **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99.

(2) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99.

(3) – **نفس المصدر والصفحة**. ابن نباتة: **سرح العيون**، ص293.

(4) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99.

(5) - ابن نباتة: **سرح العيون**، ص293.

(6) - (أبان)بيان بن سمعان التميمي النهدي، من غلاة الشيعة، وإليه تنسب الطائفة البيانية، علا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قال أنه حل فيه جزء إلهي، وبسبب أقواله ومعتقداته الفاسدة قتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج10، ص205، 206.

(7) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99، 100. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج11، ص67، 68.

(8) – ابن نباتة: **سرح العيون**، ص293.

(9) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص136.

(10) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج11، ص67. ابن نباتة: **سرح العيون**، ص293.

هشام بن عبد الملك مدة ثم أمره بقتله واختلف في سبب ذلك؛ فالبلاذري ذكر أنه نُسب إلى الزندقة أو الدهرية[1]، أو أنه معتزلي[2]، ومن غير الوارد أن يُقتل بسبب أخذه برأي المعتزلة، وتذكر روايات أخرى أن قتله راجع إلى أنه "زعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما"[3]، وهذا ما تعلل به خالد القسري حين همَّ بقتله[4]، في حين عدَّه صاحب الفهرست من الزنادقة[5]، لكنه لم يصرح أن عقيدته هي سبب قتله.

تتفق المصادر أن "الجعد" قتل يوم الأضحى بالكوفة، وتصف مشهد قتله حيث كان خالد القسري يخطب في الناس في عيد الأضحى سنة 119هـ/737م أو120هـ/737م ثم قال لهم: "أيها الناس انصرفوا إلى أضاحيكم فإني مُضَحٍّ بعدو الله الجعد بن درهم، فلما انصرفوا قتله"[6]، فيقال أنه ذبحه ويقال أنه ضرب عنقه[7].

ما يُلاحظ حول هذه الروايات المقتضبة والمتضاربة حول سيرة الجعد بن درهم أنه تم تغييب الأخبار الخاصة بنشاطه في بلاد الشام والجزيرة الفراتية رغم أنه كان مؤدبا لمروان بن محمد حتى أصبح يعرف باسم "مروان الجعدي"[8]، وقد كان مولد مروان بن محمد سنة 72هـ/691م[9]، ومعنى هذا أن الجعد كان متصلا بمحمد بن مروان بن الحكم والي الجزيرة وأرمينية في الفترة الممتدة بين العقدين الثامن والتاسع من القرن الأول الهجري، واختيار محمد بن مروان له ليكون مؤدبا لولده دليل على أنه

---

(1) – **أنساب الأشراف**، ج4، ص136.

(2) – **نفسه**، ج8، ص379.

(3) – الدارمي: **الرد على الجهمية**، ص176. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص100. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص466. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص67. ابن نباتة: **سرح العيون**، ص294.

(4) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص100. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج4، ص466. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج11، ص67.

(5) – ابن النديم: **الفهرست**، ص472. وينفي أحد الباحثين تهمة الزندقة عن الجعد بن درهم باعتبارها من نتائج السجال الدائر بين أصحاب الحديث والقائلين بخلق القرآن، حيث رمى المحدثون خصومهم الجهميين بالزندقة فتحول الجعد بن درهم إلى زنديق. **أنظر**: ملحم شكر: **الزندقة في دار الإسلام**، ص226، 227.

(6) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص136. **ينظر أيضا**: الدارمي: **الرد على الجهمية**، ص176. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص100. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج4، ص466. ابن نباتة المصري: **سرح العيون**، ص294.

(7) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج4، ص136.

(8) – **نفسه**، ج4، ص135.

(9) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج57، ص321.

كان يتمتع بثقافة عالية وسمعة طيبة وعقيدة صحيحة، وأفكار تلائم ما يريده الحكام وهذا ما مهد له الطريق ليصبح مؤدبا لأحد الأمراء الأمويين[1].

لكن ما يثير الاستغراب حقا هو ما ذكره ابن النديم حول أن الجعد كان مؤدبا لمروان ولولده[2]، فإذا كان فعلا قد اتخذه مروان لتأديب ولده فهذا يعني أن مكوثه في الجزيرة متصلا بآل محمد بن مروان وتحديدا بمروان بن محمد كان طويلا جدا، أو أنه سكن الجزيرة حين كان مؤدبا لمروان بن محمد ثم عاد إلى دمشق التي استقر بها مدة قبل أن يستدعيه مروان بن محمد مجددا ليكون مؤدبا لأولاده[3]، ومن المحتمل أن استدعاء مروان له لتأديب بَنيه كان قبل أن يتولى إمارة الجزيرة الفراتية سنة 114هـ/732هـ[4]، لكن هل كان هذا الأخير على علم بعقيدة الجعد بن درهم؟.

في هذا الصدد يذكر ابن النديم أيضا أن مروان تأثر بأفكار الجعد "فأدخله في الزندقة"[5]، لكن لا يمكن قبول فكرة أن يكون مروان قد اعتنق مذهبه أو تأثر بأفكاره لأنه ما كان للخليفة هشام بن عبد الملك أن يتسامح معه في أخذه بعقائد فاسدة وهو المتشدد في محاربة المبتدعين في الدين، كما أن مراسلات مروان بن محمد مع هشام بن عبد الملك حول غيلانية الجزيرة تثبت أن عقيدته كانت صحيحة[6]. وحتى إشارة بعض المصادر إلى أن الجعد كان هو الغالب على أمر مروان بن محمد[7]؛ فإنها تشير إلى نفوذ سياسي كان يتمتع به في ظل ولاية مروان على الجزيرة ولو لفترة محدودة.

في الواقع يبدو أن هناك تأثير على الروايات التاريخية لقطع أي ارتباط بين الجعد بن درهم ومدينة دمشق[8]، حتى أنه تم تغييب أي نشاط "لأتباع مفترضين" للجعد في بلاد الشام والجزيرة

---

(1) – خالد العسلي: **جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي**، ص50.

(2) – **الفهرست**، ص472.

(3) – خالد العسلي: **جهم بن صفوان**، ص50، 51.

(4) – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص223.

(5) – **الفهرست**، ص472.

(6) – أنظر هذه المراسلات في: إحسان عباس: **عبد الحميد الكاتب**، ص207.

(7) – سعيد بن البطريق، **تاريخ**، ج2، ص47. المقدسي: **البدء والتاريخ**، ج6، 54.

(8) - Steven Judd : **Muslim Persecution of Heretics during the Marwānid Period (64–132/684–750)**, p8.

خاصة وأن السمعاني يشير إلى أنه قد "أخذ برأيه جماعة" حين كان مستقرا بالجزيرة[1]، كما تم تغييب نشاطه في الكوفة وتاريخ تنقله لها وظروف التقائه بجهم بن صفوان الذي أخذ عنه القول بخلق القرآن. أما السبب الذي أدى إلى الربط بين أقوال الجعد بن درهم ولبيد بن الأعصم الساحر اليهودي فهو حسب أحد الباحثين- "لغة عند أصحاب الحديث" الذين دأبوا على نسبة كل ما عدوه زندقة إلى الشيطان والأصول الأجنبية[2].

أخيرا، فإن هناك إشكال آخر مرتبط بروايات قتل الجعد، ذلك أن هذه الروايات لا توضح السبب الذي دفع بالخليفة هشام إلى إرساله إلى العراق ليقتل على يد خالد بن عبد الله القسري والإحجام عن الأمر بقتله في الشام أو الجزيرة حيث بدأ نشاطه الفعلي في عرض أفكاره، مما كان سيسمح للخليفة بإظهار تصميمه على محاربة البدعة وتخويف أتباع الجعد في الشام إن وجدوا، ولماذا الجعد تحديدا من تم إرساله إلى العراق دون غيره من أصحاب البدع؟[3]. وإذا كان هشام قد أراد تحذير أهل العراق من تبني أفكار الجعد فإن هذا يدفع إلى الافتراض أنه كان للجعد نشاط معتبر في العراق. أخيرا فإنه مهما تكن حقيقة عقيدة الجعد بن درهم فإن خروجه عن العقيدة الصحيحة — نفي الصفات الالهية- يبدو أنه السبب الحقيقي لقتله وليس نشاط سياسي معاد للأمويين.

- **جهم بن صفوان:** يكنى بأبي محرز الراسبي السمرقندي[4]، وهو مولى لبني راسب الأزديين[5]، ولا نملك الكثير من المعلومات حول حياته وظروف نشأته سوى أنه قدم الكوفة واتصل بالجعد بن درهم حيث أخذ عنه القول بخلق القرآن[6]. وغير معلوم متى قدم بالضبط إلى الكوفة أو متى خرج منها إلى بلاد خراسان، وعدد الأشخاص الذين التقى بهم في العراق خلاف الجعد بن

---

(1) - **الأنساب**، ج2، ص66.

(2)- ملحم شكر: **الزندقة في دار الإسلام**، ص226.

(3) - Steven Judd : **Muslim Persecution of Heretics during the Marwānid Period (64–132/684–750)**, p8.

(4) - الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص335. الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ج1، ص426.

(5) - ابن حجر العسقلاني: **لسان الميزان**، ج2، ص500. الذهبي: **تاريخ الاسلام**، ج8، ص65. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص457.

(6) - ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج72، ص99.

درهم وأبي حنيفة، لكن هذا لا يعني الجزم بأنه لم يتصل بآخرين في الكوفة[1]، أو أنه ليس له متأثرين بأفكاره في مناطق أخرى.

كان جهم بن صفوان يقول بنفي الصفات عن الله عز وجل[2]، وظهرت دعوته في نواحي ترمذ[3]، وقد كان له نشاط سياسي وثوري كبير في خراسان حيث انضم إلى ثورة الحارث بن سريج على نصر بن سيار سنة128هـ/745م[4]، واتخذه الحارث كاتبا له[5]، ثم قبض عليه سلم بن أحوز المازني صاحب شرطة نصر بن سيار فقتله في نفس السنة[6].

أما عن أسباب قتله فالراجح أنها ليست متعلقة بانحرافه العقدي وإنما لأسباب سياسية خالصة حيث كان يقول: "إن الإمامة يستحقها كل من قام بها إذا كان عالما بالكتاب والسنة، وإنه لا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها"[7]. وهذا القول يعارض سياسة ولاية العهد الأموية المحصورة في أفراد الأسرة الأموية، كما أن هذا هو ما دفعه للانضمام إلى ثورة الحارث بن سريج وإباحته الخروج على الأمويين الفاقدين للشرعية باعتبار أن الأمة لم تجتمع على مبايعتهم والاعتراف بسلطانهم، وقد قال فيه البغدادي: "كان جهم مع ضلالاته...يحمل السلاح ويقاتل السلطان"[8].

ويبدو أن للعصبية القبلية دور أيضا في الانتقام من جهم بن صفوان وقتله على يد سلم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار ذلك أنَّ سلم خاطب جهم بن صفوان لما قبض عليه قائلا: "والله لا يقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت"[9]. وهكذا وعلى غرار سابقيه من دعاة التغيير السياسي–بصرف النظر عن عقيدته– كان مصير جهم بن صفوان القتل بسبب أفكاره السياسية

---

(1) – خالد العسلي: **جهم بن صفوان**، ص64.

(2) – البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص186.

(3) – الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1، ص73.

(4) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص330.

(5) – ابن حجر العسقلاني: **لسان الميزان**، ج2، ص500. الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص66.

(6) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج7، ص335. البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص186. الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1، ص73.

(7) – النوبختي: **فرق الشيعة**، ص40.

(8) – **الفرق بين الفرق**، ص186.

(9) – **تاريخ الطبري**، ج7، ص335. G. R. Hawting: **The First Dynasty of Islam**, p107, 108.

المعارضة للتوجه السياسي للأمويين.

سادسا– الشعراء

ارتبط قتل الشعراء بدورهم في الفتن والحروب والتشنيع بمخالفيهم وأعدائهم من الخلفاء والولاة وغيرهم من فئات المجتمع، وبالنسبة للحكام فإن خطر الشعراء المحرضين على الثورة لا يقل عن خطر قادتها وزعمائها، فهم لسان حال الثورة والمنافحين عن مبادئها، والفاضحين لسياسة الحكام وتجاوزاتهم، لذلك نرى هؤلاء الحكام يسعون جاهدين لاستمالتهم بالهبات والعطايا ورفع مكانتهم بتشريفهم حضور مجالسهم، وفي حال عجزوا عن استمالتهم إليهم فإنهم يحقدون عليهم أيما حقد ويحاسبونهم أشد حساب وينكلون بهم أشد تنكيل بسبب أشعارهم المحرضة، ويتشفون منهم بالقتل والنكال[1].

ومن أبرز الشعراء الذين قتلوا في هذا العصر أعشى همدان الذي انضم إلى ثورة ابن الأشعث وكان شاعرها بلا منازع، ولما انتهت الثورة قبض عليه الحجاج وأمر بضرب عنقه انتقاما منه على انضمامه لها ودوره الفعال فيها[2]. كما أمر الحجاج بعمران بن عصام العنزي الشاعر وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتل[3]. وتذكر بعض الأخبار أنه قتل صبرا[4]، وممن انضم إلى ثورة ابن الأشعث من الشعراء أيضا "النضر بن عبَّاد بن عائذ" وهو شاعر من أهل العراق فقتله الحجاج[5].

أما الشاعر أحمد بن سالم المري وهو أحد شعراء العصر الأموي، فقد نضم قصيدة فيها ذم لثقيف قبيلة الحجاج، وتشنيع عليه في نسبه، فطلبه الحجاج فلما أتي به "أمر به فأحرق ثم ذري في اليم"[6]. ومن غير المرجح أن يكون الحجاج قد أحرقه وهو حي ولعله يكون قد قتله ثم أمر بإحراق جثته وإلقاء رمادها في البحر.

---

(1) – أحمد مختار البرزة، **شعر الأسر والسجن**، ص205، 206.

(2) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص385. الطبري: **تاريخ الطبري**، ج6، ص378. الأصفهاني: **الأغاني**، ج6، ص27، 46، 47.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج7، ص388.

(4) – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص177.

(5) – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج62، ص76، 77.

(6) – **نفسه**، ج71، ص135. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق**، ج3، ص84. مما قاله في قصيدته:

وكان مصير الشاعر "وضاح اليمن" الدفن حيا بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك وهذا عقابا له على تشبيبه بزوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان[1]. أما مروان بن محمد فقد اتهم الشاعر "عطية بن الأسود الكلبي" بالتحريض على القيسية خلال ثورة ثابت بن نعيم الجذامي سنة 127هـ/744م فقبض عليه وقتله[2].

سابعا– النساء والأبناء

لم يسلم من القتل في هذا العصر حتى النساء والأبناء سواء لأسباب سياسية متعلقة بمعارضة السلطة الأموية والثورة ضدها، أو أسباب مذهبية، أو التعرض للقتل بجرائر الأزواج والآباء، فقد قتل زياد بن أبيه امرأتان من قبيلة باهلة أرادتا الخروج مع "الخطيم الباهلي" وهو من ثوار الخوارج[3].

وفي عهد ابنه عبيد الله بن زياد قتل عروة بن أدية الخارجي فجاءت ابنته "وجثته مطروحة بين يدي ابن زياد"[4]، فلما وقفت بين يديه سألها: "أنت على دينه؟" فكان جوابها: "كيف لا أكون على دينه وما رأيت قط خيرا منه، فأمر بها فقتلت مع أبيها"[5]، وهكذا فمجرد تصريح هذه المرأة بأنها على نفس معتقد أبيها كان سببا كافيا لعبيد الله بن زياد للحكم بقتلها حتى وإن لم تأت أي فعل يهدد سلطانه.

وفي موقعة الطف التي استشهد فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما كان عبد الله بن عمير الكلبي ممن قاتل مع الحسين، فلما قتل جعلت امرأته تبكي عند رأسه، فأمر "شمر بن ذي الجوشن" –وهو من قواد جيش عبيد الله بن زياد الذي قاتل الحسين وأصحابه– غلاما له فضرب رأسها بعمود فماتت في مكانها[6]. فلم يسلم من أفعال هذا الجيش لا الرجال الذين قاتلوا ولا النساء الذين يبكين

ثقيف بقايا من ثمود وما لها أبٌ ثابت في قيس عيلان ينسب
وأنت دعي يا ابن يوسف فيهم زنيم إذا ما حصَّلوا يتذبذب

(1)– البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 8، ص89. الأصفهاني: **الأغاني**، ج 6، ص157.

(2) – المرزباني: **معجم الشعراء**، ص197.

(3) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص181.

(4) – **نفسه**، ج5، ص416.

(5) – **نفس المصدر والصفحة**.

(6) – **نفسه**، ج3، ص401.

على أزواجهن.

وفي عهد الحجاج بن يوسف أمر بامرأة من الخوارج فقتلت[1]. ولا توضح الرواية إن كان قتلها مرتبط باعتناقها مذهب الخوارج فقط أم لأسباب أخرى، وأخيرا، في عهد يزيد بن عبد الملك أمر هذا الخليفة بغلام من آل المهلب نجى من القتل بقندابيل لما تتبع جيش الأمويين أفراد هذه الأسرة الفارين من البصرة فضربت عنقه[2].

ثامنا– العامة

لم تهتم المصادر التاريخية كثيرا بأخبار عامة الناس الذين يشكلون غالبية المجتمع بل انصب اهتمامها على طبقات الحكام والقادة ومن يدور في فلكهم من الوجهاء والأعيان والعلماء، فطغت أخبار السياسة والحرب على واقع عوام الناس وما يقع في حياتهم من حوادث وما يتعرضون له من تجاوزات في أرواحهم وممتلكاتهم من قبل الحكام وممثليهم، باستثناء إشارات محدودة في بطون الكتب، لذلك نذرت الأخبار عن قرارات القتل الفردي للعامة التي كان يصدرها الخلفاء والولاة، وهذا لا يعني الجزم بكثرة ضحايا السلطة من الأفراد المنتمين لأدنى الطبقات خاصة وأنها–يعني السلطة– نصبت سيفها على من يشكلون خطرا عليها ويهددون كيانها.

لما تولى زياد البصرة منع الخروج ليلا وهذا ضمن إجراءاته الهادفة لفرض الأمن في هذه المدينة، فقدم أعرابي بغنم له يريد بيعها فأخذه صاحب شرطة البصرة وقدمه إلى زياد فسأله عن قصته فأخبره فقال: "لا أراك إلا صادقا ولكن أكره أن أكذب نفسي في وعدي ووعيدي، اضربوا عنقه، فقتل"[3]، وهكذا وجد زياد مبرر إزهاقه لروح هذا الرجل في ضرورة التزامه بتنفيذ ما أصدره من قرارات دون أخذ الاعتبار بعلم الرجل بهذه القرارات أم لا.

أما في الكوفة فقد ذكر الشعبي أن أول رجل قتله زياد بها لما تولى أمرها سنة 50هـ/670م

---

[1] – ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج12، ص180.

[2] – مجهول: **العيون والحدائق**، ج3، ص75،76. بينما يذكر المسعودي أن هلال بن أحوز المازني الذي تبع المهالبة الفارين إلى قندابيل هو من أمر بضرب عنقه. المسعودي: **مروج الذهب**، ج3، ص211.

[3] – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج5، ص206، 207.

بعد وفاة المغيرة بن شعبة هو أوفى بن حصن الطائي؛ حيث بلغه عنه شيء فأمر به فقتل[1]، أما عن سبب قتله فهو راجع إلى انتقاده لسياسته في البصرة حيث سأله زياد عن رأيه في عثمان ومعاوية فقال فيهما خيرا، ثم سأله عن رأيه فيه فقال له: "بلغني أنك قلت بالبصرة: والله لآخذن البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، قال: قد قلتُ ذاك، قال: خبطتها عشواء..." فقتله زياد[2].

ويتضح من هذه الرواية أن "أوفى" لم يكن شيعيا ولا خارجيا إذ أثنى على كل من عثمان ومعاوية وإنما كان معارضا لإجراءات زياد الأمنية في البصرة والتي رآها مخالفة للشرع، إذ لم يكن هناك أي مسوغ لأخذ البريء بالمذنب والمطيع بالعاصي، لكن زياد لم يكن يقبل –في تلك المرحلة على الأقل– أي نقد لسياسته أو تحد له في سلطانه فكان العقاب الذي سلطه هو القتل مباشرة وواضح أن غايته من ذلك هي إيصال رسالة لأهل الكوفة أن سياسته في أهلها هي امتداد لسياسته في البصرة إن اقتضى الأمر ذلك.

وبعد وفاة زياد سنة 53هـ/672م وتولي سمرة بن جندب البصرة خلفا له أمر بضرب عنق رجل في المسجد[3]، وتذكر الرواية أنه قتل بعد تأديته لزكاة ماله للوالي ولكنها لا توضح سبب قتله.

ولما استنفر عبيد الله بن زياد الناس بالكوفة للخروج إلى عسكر عمر بن سعد بن أبي وقاص لقتال الحسين بن علي نادى في أهلها قائلا: "أيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفا عن العسكر برئت الذمة منه"[4]، ثم أمر رجاله بالتطواف في المدينة فوجدوا رجلا قدم الكوفة يطلب ميراثا له ولم يكن له علم بنداء ابن زياد فقتله "فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة"[5]، وهكذا، على غرار أبيه قتل عبيد الله هذا الرجل رغم عدم معرفته بقرار النفير للقتال، والراجح أن عبيد الله قام بهذا الفعل للضغط على أهل الكوفة وإلزامهم بالمسير لقتال الحسين.

أما مسلم بن عقبة المري الذي استباح مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر يزيد بن معاوية فقد أمر بقتل جماعة من المغنين اعترضهم في الطريق إلى المدينة فعرضوا عليه أن يغنوا له فأمر بهم

---

(1) – الطبري: **تاريخ الطبري**، ج5، ص235، 236.

(2) – **نفسه**، ج5، ص235، 236.

(3) – **نفسه**، ج5، ص292.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص486، 487.

(5) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص486.

فضربت أعناقهم[1]، صحيح أن الموقف ليس موقف غناء ولهو لكن الأمر بقتلهم بسبب هذا الطلب غير معقول بالمرة، لكن من يطلع على أخبار ما فعله بالمدينة وأهلها يدرك مدى هوان ما فعله بهؤلاء المغنين.

ولما بعث عبد الله بن الزبير برجل من الأنصار إلى أهل العراق بعد مقتل أخيه مصعب قبض عليه والي العراق بشر بن مروان فقتله[2]، أما الحجاج بن يوسف فقد مسَّ بطشه جميع فئات أهل العراق، وقد بدأ ولايته بقتل "شريك بن عمرو اليشكري" وهو رجل من أهل البصرة "وكان به فتق وكان أعور يضع على عينه قطنة"[3]، وسبب قتله هو طلب إعفائه من الخروج إلى جيش المهلب بن أبي صفرة المقاتل للخوارج، فأمر به الحجاج فضربت عنقه[4]، وبسبب عملية القتل هذه "لم يبق بالبصرة عاص إلا لحق بالمهلب وبمكتبه"[5].

كما أمر الحجاج بضرب عنق عمرو بن يزيد النهدي وكان مدح جود مصعب بن الزبير وانتقص ثقيف قبيلة الحجاج[6]. وبعد ثورة ابن الأشعث اشترى رجل يعرف باسم "دينار مولى بني قطيعة" أنقاض دار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعد هدمها من قبل الحجاج لما ثار عليه، فألزمه الحجاج ببنائها ثم أمر بذبحه فيها[7]. وأمر الحجاج واليه على جزيرة ابن كاوان والبحرين "ثولاء بن نعيم" بقتل "عدي بن خصفة العبدي" "وكان فاضلا"[8]، فذبحه[9]. ولا توضح الرواية سبب الأمر بقتله.

وانتهج عبد الملك بن مروان ومن بعده ابنه الوليد بن عبد الملك سياسة قائمة على رفض أي نصيحة تصدر من قبل الرعية للحاكم مهما كانت طبيعتها أو طبيعة خطأ الحاكم ويظهر ذلك حين

---

(1) – **نفسه**، ج5، ص353، 354.

(2) – **نفسه**، ج5، ص137، 138.

(3) – **نفسه**، ج7، ص279، 280.

(4) – **نفسه**، ج7، ص280.

(5) – **نفس المصدر والصفحة.**

(6) – **نفسه**، ج7، ص17.

(7) – **نفسه**، ج13، ص361.

(8) – **نفسه**، ج13، ص406.

(9) – **نفس المصدر والصفحة.**

جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يخطب يوم الجمعة فأخر الصلاة عن وقتها فقام إليه رجل منبها إياه عن تأخيره الصلاة فأمر بضرب عنقه[1]. ويذكر الثعالبي أن الوليد أمر بوطئ رجل حتى الموت بعد أن خاطبه باسمه مباشرة دون لقب الخليفة أو أمير المؤمنين[2]. واتباعا لهذه السياسة أمر الحجاج برجلان اعترضا على تأخيره صلاة الجمعة فضربت عنقيهما[3].

وفي أواخر العهد الأموي أمر يوسف بن عمر الثقفي بضرب عنق زوج إمرأة كان لها دور في دعم زيد بن علي في ثورته[4]، فكان هذا الرجل ضحية جريرة لم يقترفها، كما أتي لهذا الوالي برجل يدعى "عبد الله بن يعقوب السلمي" وكان زوج ابنته من يحي بن زيد فقال له ائتني بابنتك فرفض إتيانه بها فضرب عنقه[5].

إن قرارات القتل هذه التي أصدرها الخلفاء والولاة في حق عامة الناس هي دليل آخر على مدى استفحال العنف السلطوي واستباحة الدماء بمبررات واهية، كما تثبت أن العنف أصبح جزء لا يتجزأ من نظام الحكم الأموي الذي عجز عن إثبات شرعيته أمام الرعية بوسائل الحوار والإقناع فلجأ إلى أساليب القهر والبطش لفرض نفسه ومواجهة عنف الحركات المعارضة التي لم تكن ترى فيه سوى نظام حكم غير شرعي يجب إسقاطه.

أخيرا فإنه لا بد من الإشارة إلى أن هذه ليست عمليات القتل الوحيدة التي حدثت إبان الحكم الأموي، حيث تذكر المصادر الكثير من حالات القتل الناتجة عن التعذيب الذي تعرض له ضحايا العسف والقهر الأموي، وكان هؤلاء الضحايا ينتمون لطبقات مختلفة من المجتمع كما تعددت الأسباب التي أدت إلى تعذيبهم ومقتلهم، ولو أنه غلب عليها الطابع السياسي أساسا[6].

---

(1) – ابن عبد ربه الأندلسي: **العقد الفريد**، ج1، ص51.

(2) – الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص14.

(3) – **نفسه**، ج13، ص366.

(4) – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج3، ص448.

(5) – **نفسه**، ج3، ص448، 449.

(6) – عن ضحايا القتل بسبب التعذيب في العصر الأموي يُنظر **الملحق رقم: 09**.

تاسعا– دراسة إحصائية:

أ– عدد القتلى: من خلال عملية المسح التي تمت للمصادر وخاصة أنساب الأشراف للبلاذري وتاريخ الطبري، إضافة إلى مصادر أخرى متنوعة تم تسجيل 264 حالة قتل فردي أمر بها الخلفاء والولاة الأمويين، في العهد السفياني تم تسجيل 39 حالة قتل أي ما نسبته 14.77٪ من العدد الإجمالي، بينما كانت النسبة الكبرى في العهد المرواني حيث تم إحصاء 225 حالة وهو ما يمثل 85.22٪ من المجموع العام، وهذا راجع لأسباب هي:

- طول الفترة التي حكم فيها الخلفاء المروانيين مقارنة مع فترة الخلفاء السفيانيين.
- كانت سياسة الخلفاء السفيانيين لينة نوعا ما، خاصة مع معاوية وبدرجة أقل مع ابنه يزيد مقارنة مع سياسة أغلب الخلفاء المروانيين التي تميزت بالشدة والقسوة في تعاملهم مع الرعية رغبة منهم في ضبطها وفرض منطق الدولة عليها.
- تعامل الأمويين العنيف مع من يعارضهم بالقول أو الفعل ساهم في ارتفاع عدد الضحايا في عهدهم.
- كان للأخطار الداخلية(كثرة الثورات) والخارجية التي هددت كيان الدولة الأموية في العهد المرواني دورها الهام في ازدياد حالات القتل الفردي مما جعلها تبرز كظاهرة انتقامية تميزت بها هذه المرحلة خصوصا ضد المعارضين والثوار.

من جانب آخر يظهر من خلال المقارنة تباينا كبيرا في نِسب القتل بين الخلفاء والولاة، ففي عهد معاوية وابنه يزيد تم تسجيل سبعة(07) حالات قتل من أصل تسع وثلاثين(39) حالة مسجلة، وهي تمثل 17.94٪ من عدد حالات القتل، وهذه العمليات تمت على يد معاوية بن أبي سفيان فقط، وستة(06) من أصل سبعة(07) حالات قتل أمر بها معاوية كانت بإلحاح من واليه على العراق زياد بن أبيه الذي أصر على قتل حجر بن عدي وأصحابه. أما الولاة فتم تسجيل 32 حالة قتل قاموا بها أي ما نسبته 82.05٪.

وفي العهد المرواني نلاحظ ارتفاعا نسبيا في عمليات القتل التي أمر بها الخلفاء، حيث تم تسجيل 41 حالة قتل فردي أمروا بها، يُضاف لها ثمانين(80) ضحية أمر بقتلها مروان بن الحكم لرجال من قبيلة المعافر في مصر رفضوا مبايعته وظلوا على ولائهم لابن الزبير فأمر بضرب أعناقهم،

فيكون العدد الاجمالي 121 ضحية من أصل 225، وهو ما يمثل 53.77٪ من عمليات القتل، وكان أبرز الخلفاء الذين قاموا بعمليات القتل خلال هذه الفترة هم: عبد الملك بن مروان الذي كان عهده عهد فتن وثورات ما دفعه إلى الشدة في التعامل مع خصومه والخارجين عليه، كما سار ابنه الوليد على نفس سياسته في الحكم بالقوة والبطش، ويبرز في آخر العهد الأموي مروان بن محمد بعمليات القتل التي أمر بها حيث تم تسجيل 21 حالة تمت على يده، وهذا لأسباب وضحناها سابقا.

أما ولاة الأقاليم في هذا العهد فبلغت عمليات القتل التي تمت على أيديهم 104 حالة من أصل 225، وهي تمثل 46.22٪ من النسبة العامة، ويبرز منهم الحجاج بن يوسف خاصة الذي عرف بسياسته الدموية في العراق المضطرب على الدوام حيث تم تسجيل 60 حالة قتل أمر بها هذا الوالي، أي 57.69٪ من عمليات القتل التي قام بها الولاة وهي نسبة معتبرة خاصة وأنه قضى أزيد من عشرين سنة في منصب الولاية وساهم مساهمة فعالة في ترسيخ الحكم الأموي والقضاء على الحركات المعارضة للأمويين التي استفحل خطرها في عهد ولايته للعراق.

وإلى جانب الحجاج برز يوسف بن عمر الثقفي في أواخر الدولة الأموية حيث تم تسجيل 12 عملية قتل أمر بها هذا الوالي أي 11.53٪ من ضحايا ولاة هذا العهد، ويبدو أن تشبهه بابن عمه الحجاج في سياسته الغاشمة في إقليم العراق هو الذي أدى إلى كثرة ضحاياه، وكان هؤلاء أثناء ولايته على إقليم العراق للخليفة هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك، مع تسجيل حالة واحدة خلال ولايته على اليمن للخليفة هشام.

إن النسب المرتفعة لعمليات القتل التي قام بها الولاة الأمويون مقارنة مع الخلفاء يمكن تفسيرها بطبيعة نظام الحكم الأموي المعتمد على اللامركزية في التسيير ومنح صلاحيات واسعة للولاة في حكم أقاليمهم، وهو ما فتح المجال أمامهم لحرية التصرف في ولاياتهم-إلى حد ما- وتغاضي الخلفاء عن هذه الممارسات مقابل تحقق السيطرة على أقاليم الدولة وخاصة المضطربة منها، وضمان تدفق المداخيل منها، وأيضا الأوامر المباشرة التي يوجهها الخلفاء للولاة بقتل أشخاص معينين.

وقد تنبه عمر بن عبد العزيز لمدى إسراف الولاة في القتل فحاول جعل الحكم في الدماء بيد الخليفة وحده حين نصح الوليد بن عبد الملك أن يفرض على الولاة الرجوع إليه في أمر القتل، ثم

فرض هذا القرار على جميع ولاته حين تولى الخلافة فانعدمت عمليات القتل إلا في حدود الله، لكن سياسته لم تدم –مع الأسف– بعد وفاته حيث عادت عمليات القتل بشكل واسع في عهد خلفائه، يُضاف إلى ذلك شخصية بعض الولاة غير المتسامحة وفلسفتهم القائمة على أن العنف هو السبيل الوحيد في مواجهة المعارضين للحكم الأموي جماعات وأفراد، إضافة إلى دور العصبية القبلية في استفحال عمليات القتل.

ب– التوزيع الجغرافي لعمليات القتل:

الاقليم	العدد المسجل	النسبة المئوية
– الشام	48	٪18.18
– العراق	112	٪42.42
– مصر	85	٪32.19
– المدينة	7	٪2.65
– خراسان	11	٪4.16
– اليمن	01	٪0.37
المجموع العام	**264**	

_جدول التوزيع الجغرافي لعمليات القتل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

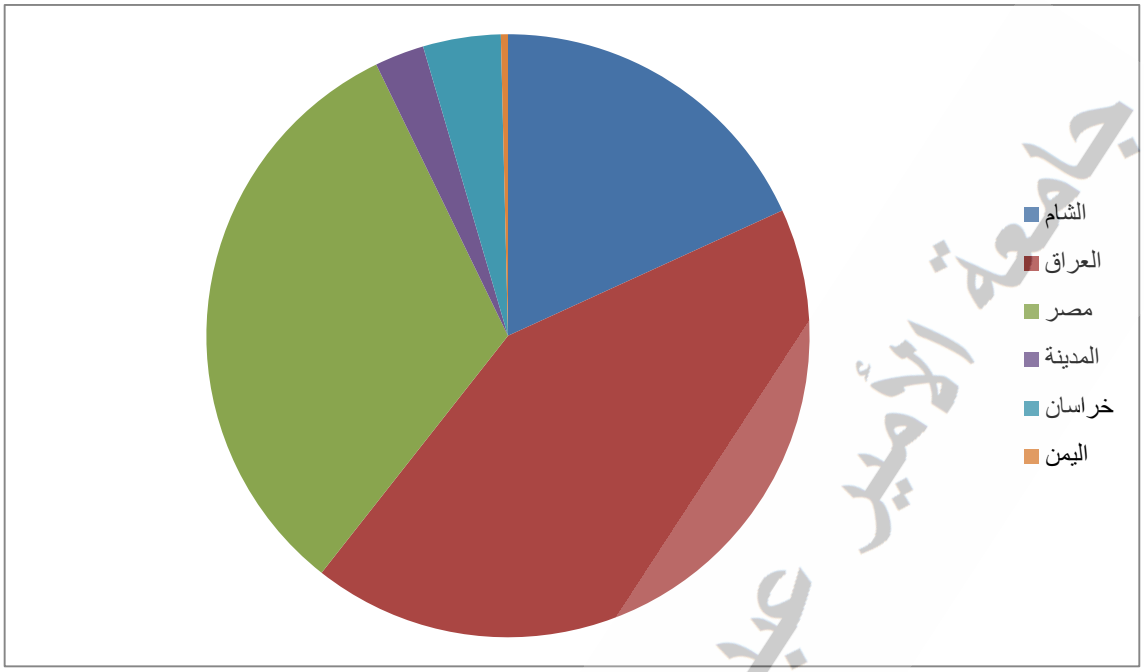

دائرة نسبية توضح التوزيع الجغرافي لعمليات القتل

من خلال الجدول والدائرة النسبية نلاحظ أن إقليم العراق قد وقعت فيه أغلب عمليات القتل الفردي التي تم تسجيلها حيث بلغت 112 حالة من أصل 264 حالة قتل، أي أن نسبة القتل في هذا الاقليم بلغت 42.42٪ من النسبة العامة؛ وهذا راجع لكونه شهد العديد من الثورات ضد الحكم الأموي، مثل ثورات الشيعة والخوارج وابن الزبير، وتولية شؤونه ولاة عرفوا بالشدة والقسوة على غرار زياد بن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف ويوسف بن عمر الثقفي، حيث برز هؤلاء الولاة الثقفيين بسياستهم المتشددة وولائهم المطلق للبيت الأموي واجتهادهم في فرض حكم هذا البيت، وبعد إقليم العراق يأتي إقليم مصر حيث تم تسجيل 85 حالة وهو ما يمثل نسبة 32.19٪، وقد قام بأغلب عمليات القتل في هذا الاقليم الخليفة مروان بن الحكم في إجراء انتقامي راح ضحيته ثمانون(81) شخصا، بينما كانت الحالات المتبقية في أواخر أيام الدولة الأموية على يد الحوثرة بن سهيل الذي تولى مصر للخليفة مروان بن محمد.

ثم يأتي في المركز الثالث من حيث عدد الضحايا إقليم الشام الذي تم إحصاء 48 حالة قتل وقعت به، وما يميز هذه الحالات أن غالبية أوامر القتل أمر بها الخلفاء بأنفسهم بسبب كونه الاقليم المركزي في الدولة حيث كان تحت التصرف المباشر للخليفة، كما كان أغلب الضحايا من أفراد البيت الأموي أو المعارضين والثوار.

أما أقاليم المدينة وخراسان واليمن فقد سجلت عمليات قتل متدنية نوعا ما إلى ضعيفة، ويمكن إرجاع هذا إلى نقص الأخبار الخاصة بعمليات القتل الفردي في هذا الأقاليم التي لم تعرف نشاط كبير للحركات المعارضة للحكم الأموي على غرار إقليم العراق الذي شكل مصدر التهديد الأول للأمويين، كما أن المصادر التاريخية وجهت اهتمامها إلى الأقاليم المركزية أكثر من الأقاليم البعيدة.

ج- أسلوب القتل:

_جدول أساليب القتل المتبعة من قبل الأمويين

أسلوب القتل	العدد المسجل	النسبة المئوية
- القتل في العذاب	42	٪15.90
- ضرب العنق	132	٪50
- الذبح	05	٪1.89
- أسلوب مجهول	61	٪23.10
- أساليب مختلفة	13	٪4.92
- الدفن حيا	03	٪1.13
- الضرب المفضي للموت	08	٪3.03
المجموع العام	**264**	

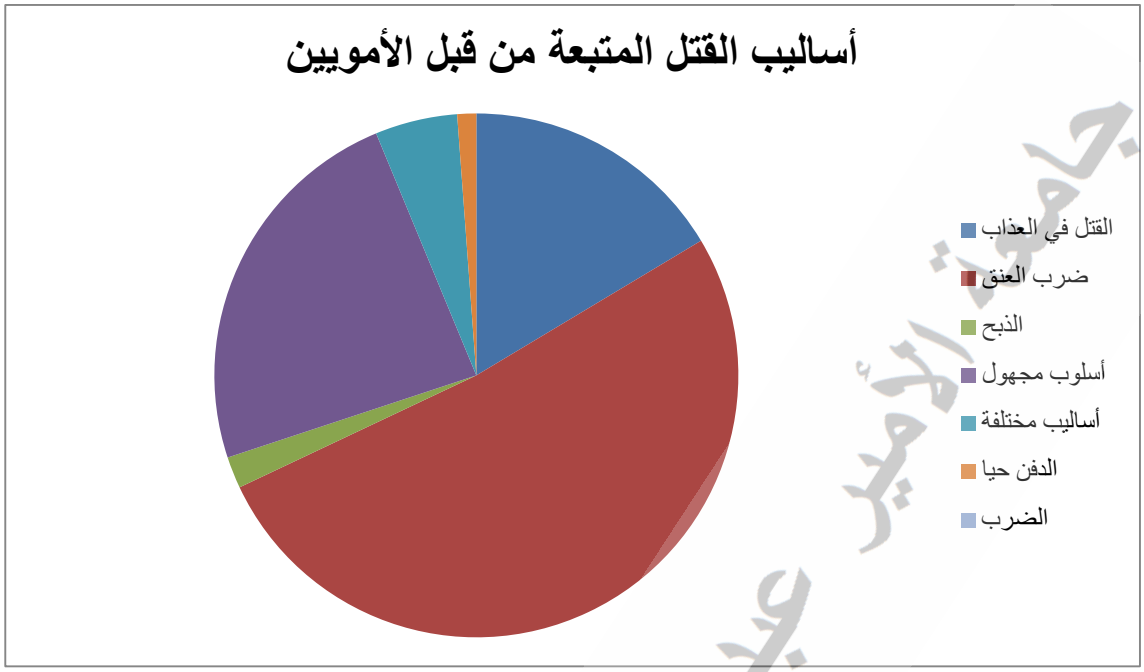

يمكن تقسيم عمليات القتل التي حدثت خلال العهد الأموي إلى قسمين، الأول هو القتل المباشر والثاني هو القتل كنتيجة للتعذيب الذي تتعرض له الضحية[1]، يتضح من خلال الجدول والشكل البياني أن ضرب العنق كان الأسلوب الأكثر ممارسة في العهد الأموي حيث مثل ما نسبته 50٪ من إجمالي عمليات القتل، وكان ضحايا هذا الأسلوب في الغالب من المعارضين والثوار، وتبرز أيضا عمليات الذبح كأسلوب آخر للقتل حيث تم تسجيل خمس ضحايا قتلوا بهذا الأسلوب وهي نسبة ضعيفة حيث تبلغ 1.89٪.

كما تم إحصاء ثلاث عشرة حالة قتل بأساليب مختلفة منها ثلاث حالات من عمليات الدفن حيا وهو أسلوب بشع للغاية في إنهاء حياة الضحايا، ولا يماثله سوى أسلوب القتل بالحرق الذي مارسه زياد بن أبيه وخالد بن عبد الله القسري فقط. أما أسلوب القتل بالسم فتم تسجيل حالتين فقط وهما لأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي تذكر الروايات أن سليمان بن عبد الملك قام بتسميمه لما التمس خطره على الحكم الأموي، وأيضا إبراهيم الامام العباسي الذي تختلف الروايات في أسلوب قتله حيث ذكرت البعض أنه تم تسميمه داخل سجن حران، يُضاف إلى ذلك أساليب أخرى لا تقل بشاعة من الأساليب السابقة على غرار القتل بمنع الماء عن الضحية، أو الرمي من فوق الأبنية العالية.

[1]– انظر الملحق رقم: 10. والملحق رقم: 11.

إلى جانب هذا تم إحصاء 61 حالة قتل دون أن تحدد لنا الروايات الأسلوب المتبع فيها وهو ما يمثل نسبة 23.10٪ من إجمالي عمليات القتل، وإن كنت أرجح أنها تمت من خلال ضرب أعناق الضحايا باعتبارها كانت -في الغالب- أوامر قتل مباشرة صادرة في حق الضحايا سواء من قبل الخلفاء أو الولاة.

أما أسلوب القتل خلال التعذيب -بشكل عام- فتم إحصاء 42 حالة قتل وهي تمثل 15.90٪ من إجمالي عمليات القتل، وفي هذا دليل على استفحال التعذيب خلال هذا العصر، ويجدر بنا الإشارة إلى أن المصادر ذكرت العديد من حالات التعذيب لكنها تسكت عن مصير هؤلاء الضحايا ويمكن القول أن العديد منهم قد ماتوا خلال التعذيب.

الملاحظ مما سبق أن الذريعة الأساسية التي اتخذها الأمويون مبررا لأوامر القتل هي الخروج عن الجماعة وخلع طاعة الخليفة وبالتالي نقض عهد الله وميثاقه، وفي المقابل لم يتم تسجيل أي استعمال مباشر لآيات الحرابة من قبل الخلفاء والولاة الأمويين في خطاباتهم أو أوامر القتل التي أصدروها[1]، ومع ذلك نجد إشارات عديدة إلى مبررات "الفساد في الأرض" و"مناصبة الحرب" وهي التهم التي كانت مرافقة للتهمة الأساسية وهي "الخروج عن طاعة الخليفة" أو "تفريق الجماعة"، أما أوامر القتل فكان يصدرها الخليفة مباشرة أو ولاة الأقاليم دون الرجوع للخليفة في غالب الأحيان، كما تم تغييب دور القضاء في الحكم على المتهمين حيث استفرد الحكام بإصدار أحكام القتل في حق المعارضين والثوار.

(1) - Andrew Marsham: **public execution in the Umayyad period: early Islamic punitive practice and its late antique context**, p105-108.

الخـــاتـــمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– اتخذ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من القصاص للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ذريعة لرفض خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحُكم بعدم شرعية خلافته متهما إياه في دم الخليفة عثمان، أما بالنسبة للخليفة علي بن أبي طالب فإن هذا الموقف من معاوية يمثل شقا لوحدة الجماعة الاسلامية خاصة وأن معاوية من الطلقاء الذين لم يكن لهم أي حق في اختيار الخليفة فضلا عن الوصول للخلافة وحكم دار الاسلام.

– تُمثل الرغبة في "السلطة" أساس القتال بين علي ومعاوية، فعلي –ومعه أنصاره– كان يقاتل من أجل السلطة التي اجتمعت له بفضل سابقته الاسلامية، أما معاوية —ومعه أنصاره– فكان يُقاتل من أجل الحفاظ على المكاسب السلطوية التي تمكن من تحقيقها في ظل خلافة عثمان بن عفان.

– نظرت الجماعة الاسلامية–خاصة الأنصار السابقين لعلي بن أبي طالب– إلى أن وصول معاوية للخلافة لا يعني في الواقع سوى انقلابها إلى ملك وأن معاوية ملك وليس خليفة، وهذا اعتمادا على مُحددات رئيسية ثلاث هي: نمط وصوله إلى الخلافة والقائم على القوة والتغلب، ونمط ممارسته لسلطته والقائم على تقديم السياسي على الديني والمظاهر الملكية التي بدأت بالبروز في خلافته، وأخيرا ابتداعه نمط جديد في نقل السلطة وهو التوريث ما جعل الخلافة محتكرة من قبل السلالة الأموية.

– تميزت سياسة الخليفة معاوية مع رعيته —في الغالب– باللين في غير ضعف والشدة في غير عنف، رغبة منه في كسب ولاء رعيته وتجنب دفعها للثورة عليه، وإذا كان قد تمكن من تحقيق نتائج مبهرة بفضل سياسته هذه فإن ابنه يزيد لم يتوان في توظيف العنف الدموي في أقسى صوره ضد معارضيه والثائرين عليه، وهذا من أجل الحفاظ على سلطانه.

– اتخذ الخلفاء الأمويين إيديولوجيا "خلافة الله" حيث الخلافة قضاء وقدر من الله عز وجل أساس من أسس شرعية خلافتهم مع ربطها بضرورة طاعة الخليفة ولزوم جماعة المسلمين، وقد خرج عن هذه القاعدة كل من الخليفة عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد بن عبد الملك اللذين اتخذا من رؤية "إمارة المؤمنين" أساسا لشرعية سلطتهم، مُعتبرين أنهم يحكمون بتفويض من الجماعة الاسلامية في محاولة منهم التصالح معها بعد التجاوزات الخطيرة التي قام بها الخلفاء الآخرون في حقها.

– عمل الحكام الأمويون على فرض الطاعة لهم باعتبارهم ولاة الأمر الواجب طاعتهم، وأن طاعتهم من طاعة الله عز وجل، وعصيانهم هو معصية له، وكان هذا الفهم مبرر أساسي من مبررات العنف الممارس ضد الخارجين عليهم، ومع ذلك فإنه لا يُمكن إنكار أن حرص الأمويين على ضرورة الطاعة ولزوم جماعة المسلمين نابع من رغبتهم أيضا في حفظ الجماعة الاسلامية من الفتن والاقتتال وضمان وحدة كلمتها خاصة في ظل الأخطار الداخلية والخارجية التي تُهددها.

– في سبيل قطع طريق الخلافة أمام الرافعين لشعار الشورى في الخلافة وأنها حق لكل مسلم يتوفر على الشروط اللازمة لها؛ أكد الأمويون أن الخلافة حق لقريش وحدها، وهو المبدأ الذي تم تكريسه منذ اجتماع السقيفة بين المهاجرين والأنصار، وأكدته الأحاديث النبوية، أما في مواجهة العشائر القرشية الأخرى وعلى رأسهم بنو هاشم فقد ادعى الأمويون أن الخلافة حق لهم دون غيرهم من العصبيات القرشية الأخرى باعتبارهم معدن الملك وأصحاب العصبية الغالبة في قريش حسب التعبير الخلدوني.

– إذا كان معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ مبدأ القصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان مُسوِّغا شرعيا لقتال الخليفة علي بن أبي طالب، ثم مبررا للمطالبة بحقه في الخلافة باعتباره ولي دم الخليفة المقتول، فإن هذا الادعاء استمر بعد تأسيس الخلافة الأموية سواء في العهد السفياني أو المرواني، بل تم توظيفه كآلية انتقامية ثأرية ضد بعض المعارضين والثائرين على الأمويين.

– كان للأحاديث النبوية —خاصة أحاديث الخلافة والطاعة ولزوم الجماعة– دور مهم في إسباغ الشرعية على حكم الأمويين وعدم جواز الخروج عليهم، وبالتالي نقض ادعاءات مخالفيهم والخارجين عليهم، الذين أصبحوا انطلاقا من هذه الأحاديث مُفرِّقين للجماعة الاسلامية وعصاة ليس للخليفة فحسب؛ وإنما لله عز وجل أيضا، كما مثلت تبريرا دينيا للعنف الممارس ضد المعارضين والخارجين على السلطة الأموية.

– مثَّل الشعراء ثم كُتَّاب الدواوين –في وقت متأخر من العصر الأموي– أداة دعائية وظفها الأمويون في تأكيد ادعاءاتهم في الخلافة أمام الجماعة الاسلامية، والناشرين لإيديولوجيا الخلافة والمدافعين عنها في وجه المعارضين لها.

– مثَّلت المعالم الأثرية المختلفة على غرار قبة الصخرة بفلسطين، والنقود المضروبة في البلاد الاسلامية، وسيلة أيضا من وسائل الدعاية السياسية وإثبات شرعية الخلافة الأموية في مواجهة ادعاءات المعارضين للحكم الأموي وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير.

– ساهمت نظرة أغلب الخلفاء الأمويين لطبيعة العلاقة القائمة بينهم وبين رعيتهم واعتبارها علاقة سيادة وتبعية وليس علاقة قائمة على تعاقد اجتماعي بين الطرفين في تحديد طبيعة تعامل هؤلاء الحكام مع الرعية وغلبة العنف على سياستهم.

– مع وصول عبد الملك بن مروان للخلافة وما رافقه من أخطار ايديولوجية وسياسية وعسكرية هددت الخلافة الأموية داخليا وخارجيا، بلغ العنف الأموي مداه الأقصى، ويجد هذا العنف ترجمته على مستوى الأقوال والأفعال؛ فعلى مستوى الخطاب السياسي تميز خطاب المروانيين بالقوة وتوظيف العبارات الحاملة لشحنات سيكولوجية عنيفة، أما على مستوى الأفعال فيجد ترجمته في عمليات القتل والمثلة والتعذيب التي استفحلت خلال هذا العهد.

– على الرغم من معرفة العرب السابقة للسجن فإن أول ظهور له كمؤسسة قائمة بذاتها تأخر حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أما قبل ذلك فكان يتم حبس الأسرى والمفسدين في البيوت والمساجد وغيرها.

– مع تحول السجن في العصر الأموي عن غايته الأصلية في الأخذ بيد المفسدين وإصلاحهم إلى مؤسسة يتلقى فيها السجناء شتى أصناف الممارسات العقابية القاسية والمهينة؛ عانى المساجين من آثار جسدية ونفسية صعبة حفظتها لنا أبيات الشعراء الذين قاسوا ويلات السجن وهي تُظهر طبيعة السلطة التي لا ترحم خصوصا إذا تعلق الأمر بما يهدد مصالحها ووجودها.

– إن ما يُمكن وصفه بالموقف العدائي الذي اتخذه بعض الولاة اتجاه رعيتهم لا يُمكن رده إلى عوامل سيكولوجية–شخصية مرتبطة بشخصية الوالي فحسب؛ ذلك أنها تمثل أيضا ترجمة واقعية لوجهة نظر سلطوية ترى أن الرعية لا يُصلحها إلا السيف، ولهذا نراهم يواجهون عصيان الرعية وفسادها بالعنف وحده، وهذا خلاف رؤية الخليفة عمر بن عبد العزيز وفلسفته السياسية القائمة على أن الرعية لا يُصلحها إلا العدل.

– كان للتكوين الفسيفسائي لمجتمعات الأمصار –البصرة والكوفة خاصة– حيث اختلطت القبائل العربية البدوية النازحة من صحرائها مع حركة الفتح بأخرى أكثر تحضرا، إضافة إلى العناصر السكانية الأصلية، ومع علاقات التأثير والتأثر، وطغيان الطباع البدوية خاصة مع الارتباك السلطوي الحاصل، كل هذا كان له أثره البالغ في تحديد طبيعة تعامل السلطة الحاكمة مع رعيتها ومحاولتها فرض تنظيم اجتماعي مديني أكثر تحضرا وضبطاً.

– ارتبط عنف الحكام الأمويين بعجزهم عن إقناع قسم معتبر من الجماعة الاسلامية بصحة خلافتهم وشرعية سلطتهم، فلم يكن أمامهم إلا العنف في فرض سلطانهم ومواجهة معارضيهم، خاصة وأن العنف كان وسيلة هؤلاء المعارضين في التعامل معهم والذين رأوا في الأمويين حكاما غير شرعيين ومغتصبين للخلافة، ولكن هذا لا يعني أن عنف الأمويين لم يخرج عن دائرة الفعل ورد الفعل، بل إن له أسباب وغايات متعددة فكرية واجتماعية وسياسية وحتى اقتصادية.

– اعتمد الأمويون أسلوب القتل المباشر وغير المباشر ضد مخالفيهم؛ فالأول غلب عليه ضرب العنق بالسيف، أما الثاني فكان بأساليب متعددة مثلتها مختلف طرق التعذيب التي أدت إلى موت الضحايا تحت وطأة جلاديهم، أما أصناف الضحايا فقد تعددت ولم يميز الخلفاء بين أفراد الأسرة الأموية أو عامة الناس خصوصا إذا تعلق الأمر بما يهدد سلطانهم.

– أخيرا، فيما يتعلق بمؤسسة القضاء فالملاحظ أنه تم تغييبها تماما في القضايا التي تمس الأمن ومعارضة الحكام والثورة عليهم، إذ لم نعثر على أي إشارة لدور القضاة في هذه المسائل، فانفرد الحكام الأمويين–ولاة وخلفاء– بمحاكمة المتهمين وإصدار الأحكام ضدهم والتي كثيرا ما كانت متعارضة مع حكم الشرع، ومع ذلك لم يتدخل القضاة من أجل الحد من هذه التجاوزات السلطوية.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم:01: ألقاب الخلفاء الأمويين من خلال الشعر الأموي:

الخليفة	اللقب	المصدر
ـ معاوية بن أبي سفيان	ـ الامام ـ أمير المؤمنين ـ خليفة الله	ـ ديوان الأخطل: ص339. ـ ديوان مسكين الدارمي: ص32. ـ الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص223.
ـ يزيد بن معاوية	ـ أمير المؤمنين	ـ ديوان مسكين الدارمي: ص33.
ـ مروان بن الحكم	ـ الامام	ـ ديوان الفرزدق: ص135.
ـ عبد الملك بن مروان	ـ خليفة الله ـ أمير المؤمنين ـ إمام / الامام ـ إمام عادل ـ أمين الله	ـ ديوان الفرزدق: ص206. ديوان الأخطل: ص97. ديوان ابن قيس الرقيات: ص73. ـ ديوان الفرزدق: ص25، 193، ديوان الأخطل : ص 24، 104، 114، 115. ديوان الراعي النميري: ص226. ديوان كثير عزة: 87، 241. ديوان عبد الله بن الزبير الأسدي: ص111. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص414. الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص413. ـ ديوان الفرزدق: ص135، 211 ديوان الأخطل: ص 25، 97، 117. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص414. ديوان نابغة بني شيبان: ص68، 106. ديوان الراعي النميري: ص63. ـ الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج1، ص156. ـ ديوان جرير: ص278. ديوان الراعي النميري: ص63.

	_ الأمين	_ ديوان جرير: ص278.
	_ المبارك	_ ديوان جرير: ص278.
	_ خير الملوك	_ ديوان الأخطل: ص39.
	_ ولي أمر الله	_ ديوان الراعي النميري: ص228، 229.
_ الوليد بن عبد الملك	_ خليفة الله	_ ديوان الأخطل: ص33. ديوان عدي بن الرقاع: تح: حمود القيسي، ص81. ديوان نابغة بني شيبان: ص28، 123.
	_ أمير المؤمنين	_ ديوان الفرزدق: ص14، 219، 250، 481. ديوان جرير: ص14، 302، 303. ديوان عدي بن الرقاع: تح: حمود القيسي، ص170، 207، 223. ديوان نابغة بني شيبان: ص28، 51. الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص507.
	_ المهدي	_ ديوان الفرزدق: ص15.
	_ الامام	_ ديوان الفرزدق: ص135. ديوان جرير: ص 303. ديوان الأحوص: ص247.
	_ الامام المصطفى	_ ديوان جرير: ص396.
	_ إمام الناس	_ ديوان الأخطل: ص 184.
	_ إمام المؤمنين	_ ديوان نابغة بني شيبان: ص123.
	_ إمام هدى	_ الأصفهاني: الأغاني، ج11، ص190.
	_ أمين الله	_ ديوان الفرزدق: ص250. ديوان الأخطل: 32.
_ سليمان بن عبد الملك	_ خليفة الله	_ ديوان الفرزدق: ص143، 255.

	_ أمير المؤمنين	_ ديوان الفرزدق: ص263.
	_ الامام	_ ديوان الفرزدق: ص231، 234، 255، 425، 446. ديوان جرير: ص34.
	_ المهدي	_ ديوان الفرزدق: ص231، 232، 425، 438، 446.
	_ جامع عصا الدين	_ ديوان الفرزدق: ص289.
	_ المبارك	_ ديوان جرير: ص346.
	_ خير خلق الله	_ الكامل للمبرد: ج2، ص840
_ عمر بن عبد العزيز	_ خليفة الله	_ ديوان جرير: ص210، 211.
	_ أمير المؤمنين	_ ديوان جرير: ص 235. ديوان عدي بن الرقاع: تح، حمود القيسي، ص129. ديوان كثير عزة: ص 336.
	_ المهدي سيرته	_ ديوان جرير: ص211.
	_ إمام	_ ديوان عدي بن الرقاع: تح، حمود القيسي، ص201.
	_ الإمام العادل	_ ديوان جرير: ص331.
	_ المبارك	_ ديوان جرير: ص211.
_ يزيد بن عبد الملك	_ خليفة الله	_ ديوان جرير: ص195.
	_ أمير المؤمنين	_ ديوان الفرزدق: ص 299، 338، 440، 647. ديوان كثير عزة: ص 334، 352.
	_ المهدي	_ ديوان الفرزدق: ص 378.

	_ أمين الله	_ الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص225.
	_ إمام	_ ديوان الفرزدق: ص191، 299.
	_ إمام الهدى	_ ديوان الفرزدق: ص299. ديوان جرير: ص186. ديوان كثير عزة: ص342.
	_ إمام العدل	_ ديوان جرير: ص195.
	_ يزيد الخير	_ ديوان نابغة بني شيبان: ص 49.
_ هشام بن عبد الملك	_ خليفة أهل الأرض	_ ديوان الفرزدق: ص129.
	_ أمير المؤمنين	_ ديوان الفرزدق: ص129، 601. ديوان جرير: ص121، 123، 409، 411. ديوان أبو النجم العجلي: ص82. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص180.
	_ المهدي	_ ديوان جرير: ص116، 410.
	_ أمين الله في الأرض	_ ديوان الفرزدق: ص371، 606.
	_ الامام	_ ديوان الفرزدق: ص371، 598. ديوان جرير: ص410.
	_ إمام العدل	_ ديوان جرير: ص409.
	_ إمام الناس	_ ديوان أبو النجم العجلي: ص 82.
	_ ولي الحق	_ ديوان جرير: ص412.
	_ الحَكَم المصفى	_ ديوان جرير: ص117.
	_ الملك الهُمام	_ ديوان جرير: ص409.
	_ هشام المِلك	_ ديوان جرير: ص117.

ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك	ـ أمين الله ـ إمام ـ إمام الهدى ـ إمام الناس ـ الملك المرجَّى	ـ الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص225. ـ ديوان نابغة بني شيبان: ص 50. ـ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص425. ـ ديوان نابغة بني شيبان: ص51. ـ ديوان ابن ميَّادة، ص60.
ـ المروانيين عموما	ـ أهل الملك ـ المتخَيَّرون أولو النهى ـ ولاة الحق ـ موالي حق ـ هداة ومهديين ـ أولياء الله ـ ولاة الله	ـ ديوان جرير: ص107. ـ ديوان جرير: ص142. ـ ديوان جرير: ص308. ـ ديوان الأخطل: ص42. ـ ديوان الفرزدق: ص59. ـ ديوان الفرزدق: ص211. ـ ديوان الفرزدق: ص562.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

الملحق رقم: 02. النقش التأسيسي لسد الطائف[1].

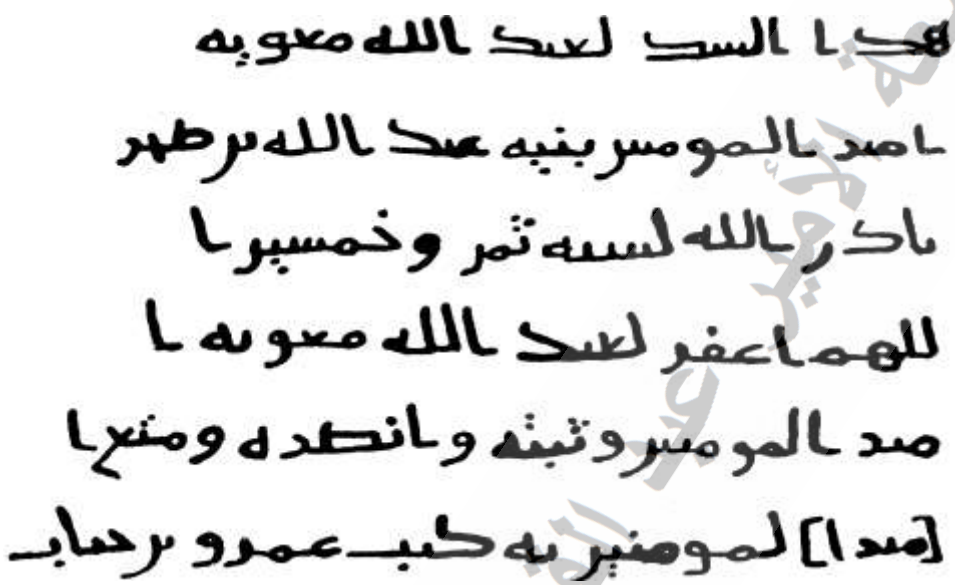

وقراءته:

١ – هذا السد لعبدالله معويه

٢ – أمير المؤمنين بنيه عبدالله بن صخر

٣ – باذن الله لسنة ثمن وخمسين ا

٤ – للهم اغفر لعبدالله معوية ا

٥ – مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا

٦ – [مير ا] لمؤمنين به كتب عمرو بن جناب

[1] – صلاح الدين المنجد: **دراسات في تاريخ الخط العربي**، ص102.

الملحق رقم: 03: النقش التأسيسي لسد وادي الخنق[2].

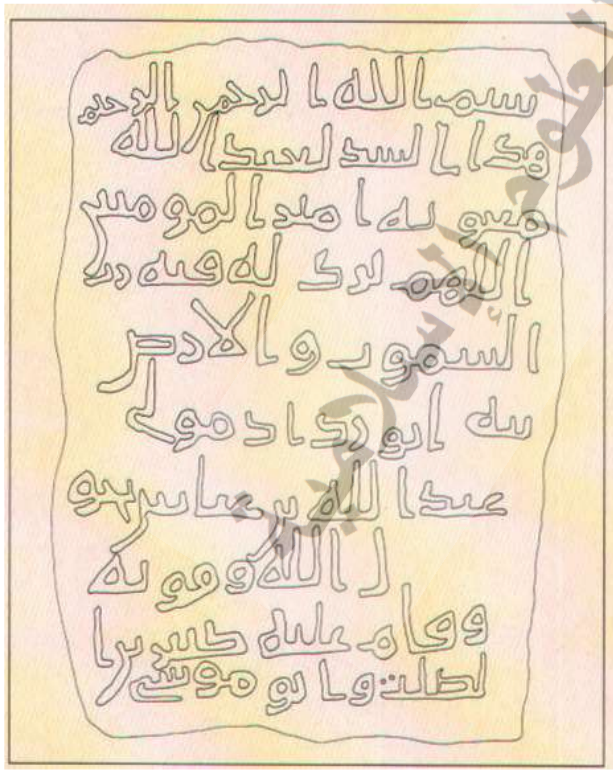

١- بسم الله الرحمن الرحيم (٤٣ سم)
٢- هذا السد لعبد الله (٤٠ سم)
٣- معويه[١] أمير المؤمنين (٤٣سم)
٤- اللهم برك[٢] له فيه رب (٤٤ سم)
٥- السموت[٣] والأرض (٣٨ سم)
٦- بنه[٤] أبو رداد مولى (٣٧)
٧- عبد الله بن عباس بحو (٤٠ سم)
٨- ل الله و قوته (٢٧ سم)
٩- وقام عليه كثير بن ا (٣٦ سم)
١٠- لصلت وأبو موسى (٣٥ سم)

[2] – سعد بن عبد العزيز الراشد: **دراسات في الآثار الاسلامية المبكرة بالمدينة المنورة**، ص45، 46.

ملحق رقم:04: ألقاب الخلفاء الأمويين من خلال الدرهم الأموي المضروب على الطراز العربي–الساساني:

الخليفة	اللقب	السنة	مكان الضرب	المصدر
معاوية بن أبي سفيان	Maawia Amir i-wruishnikan (معاوية أمير المؤمنين بالفهلوية)	41هـ	درابجِرد (فارس)	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p25, 26.
عبد الملك بن مروان	عبد الملك أمير وِرْويشْنيكان (عبد الملك أمير المؤمنين بالفهلوية)	65هـ	درابجرد	Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p53, 54.
عبد الملك بن مروان	عبد الملك أمير وِرْويشْنيكان (عبد الملك أمير المؤمنين بالفهلوية)	72هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص66.
عبد الملك بن مروان	Apdlmlik Amir i-wruishnikan (عبد الملك أمير المؤمنين بالفهلوية)	73هـ	أردشير خُرَّة (فارس)	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p27.
عبد الملك بن مروان	أمير المومنين/خلفت الله (خليفة الله)	75هـ	/	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p24, 25.
عبد الملك بن مروان	عبد الملك أمير المؤمنين	83هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص67.

ملحق رقم:05: ألقاب الخلفاء الأمويين من خلال الدينار الأموي في مراحله المختلفة:

الخليفة	اللقب	السنة	مكان الضرب	المصدر
عبد الملك بن مروان	خليفة الله/أمير المومنين	/	معرة مصرين	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p30,31.
//	خليفة الله/أمير المومنين	/	منبج	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p31.
//	بسم الله لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	بعلبك	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p32.
//	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	جبرين	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p33.
//	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	حلب	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p33.
//	لعبد...ملك امير المومنين	/	حلب	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p34, 35.
//	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	حمص	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p35.
//	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	دمشق	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p37.
//	عبد الله عبد الملك امير المومنين	/	عمَّان	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p38, 39.
//	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	قِنسرين	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-byzantine…, p39.

John Walker: A Catalogue of the Arab-byzantine…, p40.	قُورُس	/	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	//
Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p21, 22.	سَرْمين	/	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	//
Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p25.	منبج	/	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	//
Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p26.	سِراج	/	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	//
Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p27.	/	/	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	//
John Walker: A Catalogue of the Arab-byzantine…, p43.	/	/	بسم الله عبد الله عبد الملك امير المومنين	//
Miles George C: A unique Umayyad dinar of 91 H/A.D. 709-710, p264.	/	91هـ	معدن أمير المومنين	الوليد بن عبد الملك
Miles George C: Rare Islamic Coins, p20.	/	105هـ	معدن أمير المؤمنين بالحجاز	يزيد بن عبد الملك/ هشام بن عبد الملك

ملحق رقم:06: ألقاب الخلفاء الأمويين من خلال الفلوس في مراحلها المختلفة:

الخليفة	اللقب	السنة	مكان الضرب	المصدر
عبد الملك بن مروان	عبد الله عبد الملك أمير المومنين	75هـ	/	عيسى سلمان: درهم نادر للخليفة الأموي عبد الملك، ص165.
عبد الملك بن مروان	لعبد الله عبد الملك امير المومنين	/	قنسرين	Stanley lane-pool: Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the Khedivial Library in Cairo, p110.
الوليد بن عبد الملك	عبد الله الوليد امير المومنين	87هـ	دمشق	John Walker: *A Catalogue of the Arab-byzantine…, p253.*
هشام بن عبد الملك	امير المومنين	110هـ	طبرية	John Walker: *A Catalogue of the Arab-byzantine…, p270.*
مروان بن محمد	عبد الله مرون امير المومنين	/	الفسطاط	Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p396, 397.

ملحق رقم:07: ألقاب عبد الله بن الزبير من خلال النقود التي سكَّها:

الاسم	اللقب الذي اتخذه	السنة	مكان الضرب	المصدر
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	60هـ	جهرم(فارس)	محمود سلمان عبد الله: نقود الدولة الزبيرية، ص169.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	62هـ	اصطخر	محمود سلمان عبد الله: نقود الدولة الزبيرية، ص164، 165.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	63هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص69.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	63هـ	اصطخر	محمود سلمان عبد الله: نقود الدولة الزبيرية، ص163.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	64هـ	كرمان	محمد أبو الفرج العش: كنز أم حَجَرة الفضي، ص24.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	65هـ	سابور	محمود سلمان عبد الله: نقود الدولة الزبيرية، ص165، 166.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	65هـ	درابجرد	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p33.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	66هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص71.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	67هـ	أرَّجان	محمود سلمان عبد الله: نقود الدولة الزبيرية، ص171.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	67هـ	كرمان	محمود سلمان عبد الله: نقود الدولة الزبيرية، ص173-176.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	68هـ	درابجرد	Henri Lavoix: Catalogue des Monnaies musulmanes, p52.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	69هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص70.
عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	71هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص71.

عبد الله بن الزبير	عبد الله أمير المؤمنين بالفهلوية	72هـ	درابجرد	محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الاسلامية، ص72.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

ملحق رقم:08: ألقاب قطري بن الفجاءة من خلال النقود التي سكها:

الاسم	اللقب الذي اتخذه	السنة	مكان الضرب	المصدر
قطري بن الفجاءة	Apdula ktri Amir i-wruishnik–an (عبد الله قطري أمير المؤمنين بالفهلوية مع عبارة "بسم الله لا حكم إلا لله" بالعربية)	69هـ	بيشابور	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p112.
قطري بن الفجاءة	katrii Amir i-wruishnikan (قطري أمير المؤمنين بالفهلوية مع شعار الخوارج "لا حكم إلا لله" بالعربية)	75هـ	أردشير خرة	*John Walker:* A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p113.
قطري بن الفجاءة	Apdula ktri Amir i-wruishnik-an (عبد الله قطري أمير المؤمنين بالفهلوية مع شعار الخوارج " لا حكم إلا لله" بالعربية) (درهم)	75هـ	بيشابور	محمد أبو الفرج العش: كنز أم حجرة، ص25.

ملحق رقم:09: ضحايا القتل في العذاب خلال العهد الأموي

الضحية	الاقليم	زمان القتل (الخليفة أو الوالي)	أسلوب القتل	المصدر
-رجل مجهول	-العراق	-زياد بن أبيه	-الإغراق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص207.
-رجل مجهول	-العراق	-زياد بن أبيه	-الدفن حيا	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص207.
-رجل مجهول	-العراق	-زياد بن أبيه	-الإحراق بالنار	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص207.
-عبد الرحمن بن حسان العنزي	-العراق	-زياد بن أبيه	-الدفن حيا	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص276، 277.
-ابن مُكَعْبِر(كذا)	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-القتل في العذاب	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج 5، ص408.
-الشجاء(الثبجاء) الخارجية	-العراق	-عبيد الله بن زياد (زياد بن أبيه عند الجاحظ)	-القتل في العذاب	-ابن أبي الدنيا: الصبر، ص100. الجاحظ: الحيوان، ج5، ص288، 289. البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص189، 190.
-ميثم التمار	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-القتل في العذاب	-ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، ج2، ص294.
-رشيد الهجري	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-القتل في العذاب	-الطوسي: رجال الكشي، ص77.
-جويرية بن مسهر العبدي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-القتل في العذاب	-ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، ج2، ص291.
-عبد الرحمن بن أرطأة	-العراق	-بشر بن مروان	-الضرب المفضي للموت	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج6، ص315.
-حطيط الزيات	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-ابن أبي الدنيا: الصبر: 94.
-أم حطيط الزيات	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-ابن أبي الدنيا: الصبر، 91.

-فيروز حصين	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-المبرد: الكامل، ج3، ص1286.
-إبراهيم التيمي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-ابن الأثير: اللباب، ج1، ص190.
-عبيد الله بن كعب النميري	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص291.
-عروة بن المغيرة بن شعبة	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-الضرب المفضي الموت	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص404.
-الحارث بن كعب الشَنَّي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص151، 152.
-موسى بن يزيد الأسواري	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج11، ص370، 371.
-نافع كاتب الحجاج	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص394، 395.
-مسلم مولى مالك بن مسمع	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص293.
-راشد بن عوف	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص293.
-كراز بن كراز	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص293.
-ماهان الحنفي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-القتل في العذاب	-ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص549.
-خبيب بن عبد الله بن الزبير	-المدينة	-عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك	-صب الماء البارد على الرأس بعد الضرب	-البلاذري: أنساب، ج8، ص85. الزبير بن بكار: جمهرة، ص37. مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص4.
-رجل(مجهول النسب)	-الشام	-الوليد بن عبد الملك	-وطئ حتى مات	-الثعالبي: لطائف المعارف، 14.
-وضاح اليمن	-الشام	-الوليد بن عبد الملك	-الدفن حيا	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص89.
-الحكم بن أيوب الثقفي	-العراق	-صالح بن عبد الرحمن (يزيد بن المهلب)	-القتل في العذاب	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص287. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج13، ص69.
-محمد بن القاسم الثقفي	-العراق	-صالح بن عبد الرحمن	-القتل في العذاب	-البلاذري: فتوح البلدان، ص619.

-جهم بن زحر الجعفي	-خراسان	-سعيد خدينة	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص606.
-عبد العزيز بن عمرو الزبيدي	-خراسان	-سعيد خدينة	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص606.
-المنتجع بن عبد الرحمن الأزدي	-خراسان	-سعيد خدينة	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص606.
-صالح بن عبد الرحمن	-العراق	-عمر بن هبيرة	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص63.
-غيلان الدمشقي	-الشام	-هشام بن عبد الملك	-القتل في العذاب	-ابن المرتضى: طبقات، ص27.
-صالح بن سويد	-الشام	-هشام بن عبد الملك	-القتل في العذاب	-ابن المرتضى: طبقات، ص27.
-يحي بن عروة بن الزبير	-المدينة	-ابراهيم بن هشام المخزومي	-الضرب المفضي الموت	-الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص320.
-عمر بن يزيد الأسيدي	-العراق	-مالك بن المنذر بن الجارود	-الضرب المفضي الموت	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص87.
-وزير السختياني	-العراق	-خالد بن عبد الله القسري بأمر الخليفة هشام	-الاحراق بالنار	- الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص134.
-أبو محمد الصادق	-خراسان	-أسد بن عبد الله القسري	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص40.
-محمد بن خنيس	-خراسان	-أسد بن عبد الله القسري	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص40.
-عمار العبادي	-خراسان	-أسد بن عبد الله القسري	-القتل في العذاب	الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص43.
-عمار بن يزيد(خداش)	-خراسان	-أسد بن عبد الله القسري	-القتل في العذاب	-ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص186.
-وهب بن منبه	-اليمن	-يوسف بن عمر الثقفي	-الضرب المفضي للموت	- المزي: تهذيب الكمال، ج31، ص161.
-خالد بن عبد الله القسري	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص260.
-داود(مولى خالد القسري)	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-الضرب المفضي للموت	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص109، 110.
-صاحب طراز خالد القسري	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-الضرب المفضي للموت	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص102، 103.

-عبد الصمد بن عبد الأعلى	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-القتل بمنع الماء	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص116، 117.
-عبد الرحمن بن عبد الأعلى	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-القتل بمنع الماء	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص116، 117.
-همام بن يحي	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-القتل في العذاب	-الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص40.
-امرأة(مجهولة النسب)	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-الضرب المفضي للموت	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص448.
-محمد بن هشام المخزومي	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي بأمر الخليفة الوليد الثاني	-القتل في العذاب	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج73، ص260، 261.
-إبراهيم بن هشام المخزومي	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي بأمر الخليفة الوليد الثاني	-القتل في العذاب	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج73، ص260، 261.
-المقفع(عامل لخالد القسري)	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 110.
-الحسحاس الأزدي	-خراسان	-نصر بن سيار	-القتل في العذاب	- الطبري: تاريخ الطبري، ج 7، ص230.
-الوليد بن القعقاع	-الشام	-يزيد بن عمر بن هبيرة	-القتل في العذاب	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص122.
-عبد الملك بن القعقاع	-الشام	-يزيد بن عمر بن هبيرة	-القتل في العذاب	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص122.
-رجلان من آل القعقاع	-الشام	-يزيد بن عمر بن هبيرة	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص237.
-رفاعة بن ثابت بن نعيم	-الشام	-منصور بن جمهور	-البناء عليه	- الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص314.
-محمد بن سعيد الكاتب	-الشام	-مروان بن محمد	-القتل في العذاب	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص347.
-يزيد بن العقار الكلبي	-الشام	-مروان بن محمد	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص222.
-الوليد بن مصاد	-الشام	-مروان بن محمد	-القتل في العذاب	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص222.

ملحق رقم: 10. أساليب مختلفة للقتل

الضحية	الاقليم	زمان القتل (الخليفة أو الوالي)	أسلوب القتل	المصدر
-عمرو بن الحمق الخزاعي	-العراق	-عبد الرحمن بن أم الحكم بأمر معاوية بن أبي سفيان	-ضرب العنق	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص282.
-رجل(مجهول الاسم)	-العراق	-سمرة بن جندب	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص292.
-حجر بن عدي	-الشام	-معاوية بن أبي سفيان	-الذبح	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص267. 277.
-شريك بن شداد الحضرمي	-الشام	-معاوية بن أبي سفيان	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص275-277.
-صيفي بن فسيل الشيباني	-الشام	-معاوية بن أبي سفيان	/	-نفس المصدر والصفحة.
-قبيصة بن ضبيعة العبسي	-الشام	-معاوية بن أبي سفيان	/	-نفس المصدر والصفحة.
-مُحرِز بن شهاب السعدي	-الشام	-معاوية بن أبي سفيان	/	-نفس المصدر والصفحة.
-كِدام بن حيان العنزي	-الشام	-معاوية بن أبي سفيان	/	-نفس المصدر والصفحة.
-الخطيم الباهلي	-العراق	-زياد بن أبيه	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص228.
-امرأتان	-العراق	-زياد بن أبيه	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص181.
-أعرابي(مجهول الاسم)	-العراق	-زياد بن أبيه	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص206، 207.
-سهم بن غالب الهُجَيْمي	-العراق	-زياد بن أبيه	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص228.
-أوفى بن حصن الطائي	-العراق	-زياد بن أبيه	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص236.

-هانئ بن عروة المرادي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-ضرب العنق	
-مسلم بن عقيل بن أبي طالب	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-ضرب العنق/الذبح	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص422.
				-البلاذري: أنساب الأشراف، ج2، ص340. الشيخ المفيد: الإرشاد، ج2، ص71.
-عبد الله بن عفيف الأزدي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-ضرب العنق	
-عبد الأعلى الكلبي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-ضرب العنق	-الشيخ المفيد: الإرشاد، ج2، ص117.
-عمارة بن صلخب الأزدي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج2، ص341 .
-عروة بن أدية التميمي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص379.
-ابنة عروة بن أدية	-العراق	-عبيد الله بن زياد	/	-ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، ج4، ص132.
-مالك بن نمير	-العراق	-عبيد الله بن زياد	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص 313.
-قيس بن مسهر الصيداوي	-العراق	-عبيد الله بن زياد	-الرمي من فوق القصر	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص417.
				- البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص378.
-خالد بن عبادة	-العراق	-عبيد الله بن زياد	/	
-رجل(مجهول الاسم)	-العراق	-عبيد الله بن زياد	/	-المبرد: الكامل، ج3، ص1201.
-رجل(مجهول الاسم)	-العراق	-عبيد الله بن زياد	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص387.
-يزيد بن عبد الله بن زمعة	-المدينة	-مسلم بن عقبة المري	-ضرب العنق	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص415.
-معقل بن سنان الأشجعي	-المدينة	-مسلم بن عقبة المري	-ضرب العنق	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص346.
-محمد بن أبي الجهم	-المدينة	-مسلم بن عقبة المري	-ضرب العنق	-أبو العرب التميمي: المحن، ص150، 151.
-يزيد بن وهب بن زمعة	-المدينة	-مسلم بن عقبة المري	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص347.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

-الأكيدر بن حملة اللخمي	-مصر	-الخليفة مروان بن الحكم	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص493.
-ثمانين رجل من المعافر	-مصر	-الخليفة مروان بن الحكم	-ضرب العنق	-ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص7.
-عمرو بن سعيد الأشدق	-الشام	-عبد الملك بن مروان	-الذبح/ضرب العنق	- الكندي: الولاة والقضاة، ص45.
-عبد الله بن إسحاق بن الأشعث	-الشام	-عبد الملك بن مروان	-ضرب العنق	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج6، ص62. 64.
-المسور بن مخرمة الكلبي	-الشام	-عبد الملك بن مروان	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص373، 374.
-معبد الجهني	-الشام	-عبد الملك بن مروان	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص374.
-نعيم بن القعقاع	-العراق	-بشر بن مروان	/	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج59، ص325.
-رجل من الأنصار	-العراق	-بشر بن مروان	/	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص138.
-عمير بن ضابئ البرجمي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص138.
-محمد بن سعد بن أبي وقاص	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص207.
-أعشى همدان	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص350.
-مسعود بن قيس بن عطارد	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص378.
-الهلقام بن نعيم بن القعقاع	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج12، ص29.
-رجل من الخوارج	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص43.
-كميل بن زياد النخعي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص181.
-امرأة من الخوارج	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-الشيخ المفيد: الإرشاد، ج1، ص327.
-قنبر(مولى علي بن أبي طالب)	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-الذبح	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص180.
-ملحان بن قيس الراسبي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-الشيخ المفيد: الإرشاد، ج1، ص328.

-شريك بن عمرو اليشكري	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-النهرواني: الجليس الصالح، ج2، ص160.
-عمران بن عصام الضبعي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص279، 280.
-عمرو بن يزيد النهدي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-خليفة بن خياط: تاريخ، ص177، 178.
-عبد الله بن شريك الأعور	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص17.
-عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص391. -الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص380.
-عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص355.
-عتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-ابن حزم: جمهرة، ص74.
-الفضيل بن بزوان العدوي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	
-أيوب بن القريَّة	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص383.
-آدم بن عبد الرحمن	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص386.
-عياش بن الأسود الزهري	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص390.
-سعيد بن جبير	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص394.
-طلق بن حبيب العنزي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص490، 491.
-عطية بن عمرو العنبري	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص363.
-خرشة بن عمرو التميمي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص358.

-مرة بن شراحيل الهمداني	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص358.
-ترملة(مجهول النسب)	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص388.
-همدان(مؤذن علي بن أبي طالب)	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-أبو العرب التميمي: المحن، ص127، 128. -أبو العرب التميمي: المحن، ص142.
-الفضل بن عبد الرحمن بن عياش	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-أبو العرب التميمي: المحن، ص176، 177.
-عمرو بن موسى التميمي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	
-المساور بن رئاب السليطي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-أبو العرب التميمي: المحن، ص176، 177.
-الهذيل بن عمران	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج12، ص204.
-عبد الله بن حكيم المجاشعي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص290.
-خليفة بن خالد بن الهرماس	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص290.
-دينار مولى بني قطيعة	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-الذبح	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج13، ص358.
-عدي بن خصفة العبدي	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-الذبح	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج13، ص361.
-رجل من الخوارج	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج13، ص406.
-أبو رهم بن شقيق بن ثور	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج13، ص393.
-رجلان(مجهولان)	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص397.
-جوَّاز الضبي(خارجي)	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج13، ص366.
-سُكَيْن(خارجي)	-العراق	-الحجاج بن يوسف	-ضرب العنق	- البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص63.

-أبو العلج مولى عبيد الله بن معمر	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص63. -الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص347.
-سوّار بن مروان	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	
-رجل من آل أبي عقيل	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص374.
-النضر بن عباد بن عائذ	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج6، ص374.
-أحمد بن سالم المري	-العراق	-الحجاج بن يوسف	/	-ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج62، ص76، 77.
-رجل(مجهول النسب)	-الشام	-الوليد بن عبد الملك	-ضرب العنق	-ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج71، ص135.
-أبو بيهس الهيصم بن جابر	-المدينة	-الوليد بن عبد الملك	-ضرب العنق	-ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص51.
-رجل من الخوارج	-الشام	-الوليد بن عبد الملك	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص97، 98.
-عبد الله بن محمد بن الحنفية	-الشام	-سليمان بن عبد الملك	-القتل بالسم	-ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص120.
-رجل من الخوارج	-الشام	-سليمان بن عبد الملك	-ضرب العنق	ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص157، 158.
-غلام من آل المهلب	-الشام	-يزيد بن عبد الملك	-ضرب العنق	-ابن الجوزي: سيرة عمر، ص49.
-الجعد بن درهم	-العراق	-خالد بن عبد الله القسري بأمر الخليفة هشام	-الذبح	- مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص75،76. -ابن نباتة المصري: سرح العيون، ص294.
-صبيح الخارجي	-العراق	-خالد بن عبد الله القسري	/	
-أبو عكرمة السرّاج	-خراسان	-أسد بن عبد الله القسري	-ضرب العنق	-مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص108.
-جنان العطار	-خراسان	-أسد بن عبد الله القسري	-ضرب العنق	-الدينوري: الأخبار الطوال، ص307.
-القاسم بن عبد الله التنعي	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-ضرب العنق	-الدينوري: الخبار الطوال، ص307.

-رجل(مجهول النسب)	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص182.
-عبد الله بن يعقوب السلمي	-العراق	-يوسف بن عمر الثقفي	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص448.
-يوسف بن عمر الثقفي	-الشام	-يزيد بن خالد القسري	-ضرب العنق	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص448، 449.
-الحكم بن الوليد بن يزيد	-الشام	-يزيد بن خالد القسري	/	-الذهبي: سير، ج5، ص443، 444.
-عثمان بن الوليد بن يزيد	-الشام	-يزيد بن خالد القسري	/	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج57، ص329.
-عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج57، ص329. -البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص201.
-عطية بن الأسود الكلبي	-الشام	-مروان بن محمد	/	
-خالد بن يزيد بن الوليد	-الشام	-مروان بن محمد	/	-المرزباني: معجم الشعراء، 197.
-الوليد بن يزيد بن الوليد	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج16، ص315.
-مسرور بن الوليد الأول	-الشام	-مروان بن محمد	/	-خليفة بن خياط: تاريخ، ص244.
-بشر بن الوليد الأول	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن أبي جرادة: زبدة الحلب، ج1، ص63.
-قيس بن هانئ العبسي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن أبي جرادة: زبدة الحلب، ج1، ص63.
-أمية بن معاوية بن هشام	-الشام	-مروان بن محمد	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص269.
-إبراهيم بن محمد العباسي	-الشام	-مروان بن محمد	-القتل بالسم	-الأزدي: تاريخ الموصل، ص73.
-الأصبغ بن ذؤالة الكلبي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص165.
-يزيد بن خالد القسري	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن حبيب: المحبر، ص484.
-خالد بن هشام المخزومي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص201.

-ابراهيم بن سليمان بن هشام	-الشام	-مروان بن محمد	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص325.
-عمرو بن سهيل الأموي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج6، ص417.
-ثابت بن نعيم الجذامي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص70، 71.
-نعيم بن ثابت الجذامي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص314، 315.
-بكر بن ثابت الجذامي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص314، 315.
-عمران بن ثابت الجذامي	-الشام	-مروان بن محمد	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص314، 315.
-جهم بن صفوان	-خراسان	-سلم بن أحوز المازني	/	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص314، 315.
-رجاء بن الأشْيَم	-مصر	-الحوثرة بن سهيل	-ضرب العنق	-الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص335.
-عمرو بن سليط	-مصر	-الحوثرة بن سهيل	-ضرب العنق	-الكندي: الولاة والقضاة، ص90.
-أيوب بن برغوث اللخمي	-مصر	-الحوثرة بن سهيل	-ضرب العنق	-الكندي: الولاة والقضاة، ص90.
-محمد بن شريح بن ميمون	-مصر	-الحوثرة بن سهيل	/	-الكندي: الولاة والقضاة، ص90.
				-ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج53، ص245.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

الملحق رقم 11: درهم "المحراب والعَنزة"[1].

[1] - Luke Treadwell : **"Mihrab and ʿAnaza" or "Sacrum and Spear"? A Reconsideration of an Early Marwanid Silver Drachm,** p6.

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* قائمــة المصادر والمــراجع *

أولا: المصـــــادر:

* الأبشيهي، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور(ت854هـ/1450م):

المستطرف في كل فن مستظرف، تح: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م.

* الأحوص الأنصاري:

شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.

* الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(ت370هـ/980م):

تهذيب اللغة، تح: يعقوب عبد النبي، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د ت).

* الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بِشر(ت370هـ/980م):

المؤتَلَف والمُختَلَف في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلق عليه: ف، كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

* ابن أبي الحديد:

شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1965م.

* ابن أبي داود السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت316هـ/ 928م):

كتاب المصاحف، تح: محب الدين عبد السجان واعظ، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط2، 2002م.

* ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن سفيان(ت281هـ/894م):

الصبر والثواب عليه، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1997م.

* ـــــ . . ـــــ

الفرج بعد الشدة، تح: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1993م.

* ابن أبي جرادة، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد(ت660هـ/1261م):

زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م.

* ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم(ت235هـ/849م):

المصنف، تح: حمد بن عبد الله الجمعة، محمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004م.

* ابن أبي عاصم، أبو بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلَّد الشيباني(ت287هـ/900م):

كتاب السنة، المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 1980م.

* ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم(ت314هـ/926م):

كتاب الفتوح، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1991م.

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت630هـ/1232م):

أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2012م.

* ـــــ . . ـــــ

الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.

* ـــــ . . ـــــ

اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة القدس، القاهرة، 1938م.

* ـــــ . . ـــــ

النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي، المكتبة الاسلامية، (د ت).

* ابن البطريق، أفتيشيوس المكنى سعيد:

كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، باعتناء: لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ/1200م):

كتاب الموضوعات، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط1، 1966م.

* ـــــ . . ـــــ

زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

* ـــــ . . ـــــ

سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط1، 1984م. .

* ـــــ . . ـــــ

صفة الصفوة، تح: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م.

* ـــــ . . ـــــ

كَشف المُشكِل من حديث الصحيحين، تح: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

* ابن الطثرية:

شعر يزيد بن الطثرية، جمعه: حاتم صالح الضامن، مطبعة أسعد، بغداد، (د ت).

* ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا:

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د ت).

* ابن الطلاع، أبو عبد الله محمد بن الفرج القرطبي المالكي(ت497هـ/1103م):

أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: أبو عبد الله فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006.

* ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن أهارون الملطي(ت685هـ/1286م):

تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه، خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

* ابن المرتضى، أحمد بن يحيى:

كتاب طبقات المعتزلة، تح: سوسنة ديفلد-فِلز، بيروت، 1961م.

* ابن المقفع، ساويرس أسقف الأشمونيين(ق4هـ/10م):

تاريخ البطاركة، إعداد: الأنبا صموئيل، النعام للطباعة والتوريدات، (بلا، مك)، (د ت).

* ابن النديم:

الفهرست، الطبعة الرحمانية، مصر، (د ت).

* ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك:

شرح صحيح البخاري، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، (د ت).

* ابن بكار، الزبير(ت256هـ/869م):

الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، عالم الكتب، ط2، 1996م.

* ـــــ . . ـــــ:

جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1962م.

* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ/1469م):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، (د ت).

* ابن حبان البُستي، أبو حاتم محمد بن أحمد(ت354هـ/965م):

مشاهير علماء الأمصار، تح: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب الثقات، مطبعة مدلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ط1، 1973م.

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد(ت245هـ/859م):

أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب المُنَمَّق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب، ط1، 1985م.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب المحبر رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري عنه، اعتى به: إيلزه ليختن شتيتر، دار النوادر، سوريا، 2013م.

* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت852هـ/1448م):

لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط1، 2002م.

* ـــــ . . ـــــ

الاصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

* ـــــ . . ـــــ

تهذيب التهذيب، باعتناء: إبراهيم الزيبق، عادل مُرشِد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخران، المكتبة السلفية، (د ت).

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1063م):

جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، (د ت).

* ابن حماد المروزي، أبو عبد الله نعيم:

كتاب الفتن، تح: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، (د ت).

* ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي:

التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.

* ابن حنبل، أحمد(ت241هـ/855م):

مُسند الامام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 1999م.

* ابن خُرْداذْبَه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت حوالي 300هـ/912م):

المسالك والممالك، تح: دي خويه، مكتبة المثنى، بغداد، (د ت).

* ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري(ت311هـ/923م):

صحيح ابن خزيمة، تح: محمد مصطفى العظمي، المكتب الاسلامي، (د ت).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1405م):

مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، مصر، ط2، 2006م.

* ـــــ . . ـــــ

تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ/1282م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ت).

* ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري(ت240هـ/854م):

تاريخ خليفة بن خياط، تح: مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب الطبقات رواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري، تح: أكرم ضياء العمري، مطبعة

العاني، بغداد، ط1، 1967م.

* ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت230هـ/844م):

كتاب الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م.

* ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ/838م):

كتاب الأموال، تح: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1989.

* ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي(ت458هـ/1065م):

المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

* ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري(ت262هـ/875م)

كتاب تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، (بلا معلومات النشر).

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463هـ/1070م):

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

* ـــــ . . ـــــ

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، 1967م.

* ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله(ت214هـ/829م):

سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه، تح: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط6، 1984م.

* ـــــ . . ـــــ

فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد صبيح، (بلا معلومات النشر).

* ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد(ت328هـ/939م):

العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت571هـ/1175م):

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ومن حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة الغمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م.

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276هـ/889م):

الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تح: طه محمد الزيني، دار المعرفة للطباعة والنشر،

بيروت، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ:

الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصدر، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ:

المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.

* ـــــ . . ـــــ:

عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).

* ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت751هـ/1350م):

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تح: نايف بن أحمد الحَمَد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 2007م.

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء عمر(ت774هـ/1372م):

البداية والنهاية، تح: عماد زكي البارودي، خير سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مكتبة ابن عباس، مصر، ط1، 2011م.

* ـــــ . . ـــــ

تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ط1، (د ت).

* ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت275هـ/888م):

سُنن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، (د ت).

* ابن مفرغ، يزيد بن مفرغ الحميري:

ديوان يزيد بن مفرغ، جمع وتحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982.

* ابن مماتي، الأسعد(ت606هـ/1209م)

كتاب قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريّال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت711هـ/1311م):

لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

مختصر تاريخ دمشق، تح: روحية النحاس وآخرون، ط1، 1984م.

* ابن ميادة:

ديوان ابن ميادة، جمعه وحققه، حنَّا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1982م.

* ابن نباتة المصري، جمال الدين(ت758هـ/1356م):

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك:

السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخران، (بلا معلومات النشر).

* أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي(ت275هـ/888م):

سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قروبللي، دار الرسالة العالمية، سوريا، 2009.

* أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله(ت281هـ/894م):

تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تح: شكر الله بن نعمة الله القوجاني، (بلا معلومات النشر).

* أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني(ت316هـ/928م):

مسند أبي عوانة، تح: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1998م.

* أبو النجم العجلي، الفضل بن قدامة:

ديوان أبي النجم العجلي، جمعه وشرحه: محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 2006م.

* أبو يعلي، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي(ت307هـ/919م):

مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ط1، 1988م.

* أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم(ت182هـ/798م):

كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979م.

* الأخطل:

ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994.

* الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم(ت334هـ/945م):

تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، 1967م.

* الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد(ت250هـ/864م):

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط1، 2003م.

* الأسدي، عبد الله بن الزبير:

شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، جمع وتحقيق: يحي الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1974م.

* الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت330هـ/941م):

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تح: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط2، 2008م.

* الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت356هـ/976م):

كتاب الأغاني، تح: إحسان عباس وآخران، دار صادر، بيروت، ط3، 2008م.

* ـــــ . . ـــــ

مقاتل الطالبيين، تح: السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1987م.

* الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله(ت430هـ/1038م):

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م.

* الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم(ت328هـ/939م):

الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية العامية، بغداد، ط2، 1987م.

* بحشل، أسلم بن سهل الرزّاز الواسطي(ت296هـ/905م):

تاريخ واسط، تح: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986م.

* البخاري، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم(ت256هـ/869م):

كتاب التاريخ الكبير، (بلا معلومات النشر).

* ـــــ . . ـــــ

صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2002م.

* البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م):

الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الخِشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (د ت).

* البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت487هـ/1094م):

مُعجَم ما اسْتُعجَم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1949.

* البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر(ت278هـ/891م):

أنساب الأشراف، ج1، تح: محمد حميد الله، دائرة المعارف، مصر، 1959م.

جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.

* ـــــ . . ـــــ

فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م.

* البلخي، مقاتل بن سليمان(ت150هـ/767م):

الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تح: حاتم صالح الضامن، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 2006م.

* البلخي، أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي(ت389هـ/998م):

مقالات الإسلاميين–باب ذكر المعتزلة–، تح: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1986م.

* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت458هـ/1065م):

السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.

* ـــــ . . ـــــ

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وثق أصوله وعلق عليه: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1988م.

* البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ، دار صادر، بيروت، (د ت).

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت279هـ/892م):

الجامع الكبير، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1996م.

* التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم(ت333هـ/944م):

كتاب المحن، تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3، 2006م.

* التنوخي، القاضي أبو علي المحسِّن بن علي(ت384هـ/994م):

الفرج بعد الشدة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1978م.

* ـــــ . . ـــــ

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

* التوحيدي، علي بن محمد بن العباس(ت414هـ/1023م):

البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988م.

* الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد(ت429هـ/1037م):

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م.

* ـــــ . . ـــــ

لطائف المعارف، مطبعة بريل، 1867.

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255هـ/868م):

البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط4، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ:

المحاسن والأضداد، تح: فوزي عطوي، (بلا معلومات النشر)، 1969م.

* ـــــ . . ـــــ:

رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ:

كتاب التاج في أخلاق الملوك، تح: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1914م.

* ـــــ . . ـــــ:

كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (ج1، ج2، ط2، 1965م)، (ج5، ط1، 1943م).

* ـــــ . . ـــــ:

كتاب العثمانية، تح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1955م.

* جرير بن عطية الخطفي:

ديوان جرير، دار بيروت، بيروت، 1986م.

* الجمحي، محمد بن سلام(ت231هـ/845م):

طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د ت).

* الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(331هـ/942م):

كتاب الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة محمد البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1938م.

* الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت393هـ/1002م):

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت405هـ/1014م):

المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م.

* الحطيئة:

ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

* الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت626هـ/1229م):

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

* ـــــ . . ـــــ:

معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

* الخالديان، أبو بكر محمد(ت380هـ/990م) وأبي عثمان سعيد ت390-391هـ/999-1000م) ابني هاشم:

كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، تح: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965م.

* الخزاعي، علي بن محمد بن سعود(ت789هـ/1387م):

تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1985م.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت463هـ/1070م):

تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2001.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب الفقيه والمتفقه، تح: أبو عبد الرحمن، عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1996م.

* الخولاني، القاضي عبد الجبار:

تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الترقي، دمشق، 1950.

* الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل(ت255هـ/868م):

المسند الجامع، اعتنى به: نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري الباعلوي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط1، 2013م.

* الدارمي، الإمام عثمان بن سعيد(ت280هـ/893م):

الرد على الجهمية، تح: بدر البدر، الدار السلفية، تونس، ط1، 1985م.

* الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت286هـ/889م):

الأخبار الطوال، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، 1995م.

* الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي(ت333هـ/944م):

المجالسة وجواهر العلم، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن احزم، بيروت، ط1، 1998م.

* ديونوسيوس دي تلمحري:

الوقائع التاريخية السريانية من سنة587–774م، تر: الشمّاس بطرس قاشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2016م.

* الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ/1374م):

العبر في خبر من غبر، تح: صلاح الدين المنجد، الكويت، 1960م.

* ـــــ . . ـــــ

تهذيب تهذيب الكمال، تح: مسعد كامل وآخرون، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004م.

* ـــــ . . ـــــ

سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1996م.

* ـــــ . . ـــــ

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1990.

* الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا(ت330هـ/941م):

منافع الأغذية ودفع مضارها، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1888م.

* الراعي النميري:

ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه: راينهارت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1980.

* الراغب الأصفهاني(ت425هـ/1033م):

مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009م.

* الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني:

تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

* الزمخشري، جار الله محمود بن عمر(ت583هـ/1187م):

الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2، (د ت).

* السُبُكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت771هـ/1369م):

طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دار ʿحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ت).

* السمهودي، نور الدين علي بن أحمد(ت911هـ/1505م):

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1984.

* سهراب:

عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تح: هانز فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فيينا، 1929م.

* السهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف(ت427هـ/1035م):

تاريخ جرجان، عالم الكتب، بيروت، ط4، 1987.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م):

اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، دار المعرفة، بيروت، (د ت).

* الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد(ت388هـ/988م):

الديّارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.

* الشافعي، محمد بن إدريس(ت204هـ/819م):

الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1938م.

* الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت548هـ/1153م):

الملل والنحل، تح: محمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1992م.

* الشوكاني، محمد بن علي(1250هـ/1834م):

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

* ـــــ . . ـــــ

نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار من أحاديث سيد الأخيار، خرج أحاديث وعلق عليه: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1993م.

* الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العُكبُري البغدادي(ت413هـ/1022م):

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، بيروت، ط2، 2008م.

* الصابئ، أبو الحسن الهلال بن المحسن:

الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة العيان، (د ت).

* الصدر الشهيد، حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري(ت536هـ/1141م):

شرح أدب القاضي للخصاف المتوفى261هـ، تح: محيي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د ت).

* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1362م):

تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حمدان الضمام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000.

* الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همَّام(ت211هـ/826م):

المصنف، تح: حسيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، ط1، 1970م.

* الصولي، أبو بكر محمد بن يحي(ت225هـ/839م):

أدب الكتاب، تح: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، مصر، 1923م.

* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللُّخمي(ت360هـ/970م):

المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرومين، القاهرة، 1995م.

* ـــــ . . ـــــ

المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

مسند الشاميين، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت،(ج1، ج2، ط1، 1989م)، (ج4، ط1، 1996م).

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م):

المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

تاريخ الرسل والملوك تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د ت).

* ـــــ . . ـــــ

تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م.

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت460هـ/1067م):

اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تح: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط1، 2006م.

* طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت280هـ/893م):

كتاب بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام، شرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1908م.

* العاملي، عدي بن الرقاع:

ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي، جمع وتحقيق: نوري حمود القيسي، حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1987م.

* عبيد الله بن قيس الرقيات:

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تح: عزيزة فوال بابتي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

* العسكري، أبو هلال(ت395هـ/1004م):

الأوائل، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة والعلوم الاسلامية، مصر، ط1، 1987.

* عمرو بن كلثوم:

ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م.

* الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت505هـ/1111م):

إحياء علوم الدين، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011م.

* الغطفاني، ضرار بن عمرو(ت200هـ/815م):

كتاب التحريش، تح: حسين خانصو، محمد كسكين، شركة دار الارشاد، استانبول، ط1، 2014م.

* الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن عباس (ق3هـ/9م):

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط2، 1994م.

* الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت170هـ/786م):

كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

* الفرزدق، همَّام بن غلب:

ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.

* الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان(ت277هـ/890م):

كتاب المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط1، 1990م.

* القاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن بابه(ت510هـ/1116م):

رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الاسلام، تح: محمد عبد القادر خريسات، شركة أبو ضبي للطباعة والنشر، (د ت).

* القاضي الرشيد بن الزبير(ق5هـ/11م):

كتاب الذخائر والتحف، تح، محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، 1959م.

* القاضي عبد الجبار، أبو الحسن بن أحمد بن عبد الجبار(ت415هـ/1024م):

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تح: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1986م.

* القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض(ت544هـ/1149م):

شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المُعْلِمِ بفوائد مُسلم، تح: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1998م.

* القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي(ت356هـ/966م):

كتاب الأمالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م.

* القتال الكلابي:

ديوان القتال الكلابي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989.

* قدامة بن جعفر:

الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، 1981م.

* القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ/1272م):

الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م.

* القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم(ت656هـ/1258م):

المُفْهِم لما أَشكَلَ من تلخيص كتاب مسلم، تح: يوسف علي بدوي وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1996م.

* القزويني، زكريا بن محمد بن محمود.:

أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د ت).

* القلقشندي، أبو العباس أحمد:

كتاب صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

*ـــــ . . ـــــ

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، 1964م.

*ـــــ . . ـــــ

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م.

* الكتبي، محمد بن شاكر(ت764هـ/1362م):

فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د ت).

*كُثَيِّر عزة:

ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971م.

* الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب:

جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986.

* الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري:

كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

* الكوفي، أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي(ت283هـ/896م):

الغارات، تح: سيد جلال الدين المحدث.(بلا معلومات النشر).

* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ/1058م):

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000م.

* المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(ت285هـ/898م):

الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 2004.

* مجهول:

تاريخ سجستان، تر: محمود عبد الكريم علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

* مجهول:

العيون والحدائق، تح: ميكال يان دي خويه، بريل، ليدن، 1871م.

* المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى(ت384هـ/994م):

معجم الشعراء، تح: فاروق أسليم، دار صادر، بيروت، ط1، 2005.

* المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف(ت754هـ/1353م):

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983م.

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت346هـ/957م):

التنبيه والاشراف، تح: ميكال يان دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، 1984م.

* ـــــ . . ـــــ

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط5، 1973م.

* مسكين الدارمي:

ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه: عبد الله الجبوري، خليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصرى، بغداد، 1970.

* مسلم بن الحجاج، أبو الحسن(ت261هـ/874م):

صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط1، 2006م.

* المصعب الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب(ت236هـ/850م) :

كتاب نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت).

* مغلطاي، علاء الدين بن فليح بن عبد الله البكجري الحنفي(ت762هـ/1360م):

إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: عادل بن محمد، أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001.

* المقدسي، المطهر بن طاهر:

كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت).

* المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن محمد(ت845هـ/1441م):

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997م.

* ـــــ . . ـــــ

كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، (د ت).

* المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين(ق4هـ/10م):

المنتخب من تاريخ المنبجي، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، لبنان، ط1، 1986م.

* مؤلف من القرن الثالث الهجري:

أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تح: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1997م.

* ميخائيل السرياني الكبير:

تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، تر: مار غريغوريوس صليبا شمعون، منشورات دار الرها، ماردين، 1966.

* النابغة الشيباني:

ديوان نابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

* نصر بن مزاحم المنقري:

وقعة صِفّين، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط2، 1963م.

* النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري(ت390هـ/999م):

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993.

* النوبختي، الحسن بن موسى(ق3هـ/10م):

فرق الشيعة، منشورات الرضا، بيروت، ط1، 2012م.

* النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي(ت676هـ/1277م):

صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1930م.

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1332م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.

* الهَجَري، أبو علي هارون بن زكريا(ق4هـ):

التعليقات والنوادر دراسة ومُختارات، ترتيب: حَمَد الجاسر، (بلا معلومات النشر)، ط1، 1992.

* هدبة بن الخرم العُذري:

شعر هُدْبَة بن الخشرم العذري، جمع: يحي الجبوري، دار القلم، الكويت، ط2، 1986.

* الهيثمي، علي بن أبي بكر(ت807هـ/1404م):

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).

* وكيع، محمد بن خلف بن حيان(ت306هـ/918م):

أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، (د ت).

* اليافعي اليمني، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي(ت768هـ/1366م):

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(ت284هـ/897م):

تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د ت)

ثانيا: المراجع العربية والمُعرَّبة:

أ- المراجع العربية:

* إبراهيم، أيمن:

الاسلام والسلطان والملك دراسة تاريخية في العلاقة بين ظهور الاسلام وتأسيس الدولة العربية الاسلامية الأولى في مرحلة صدر الاسلام(1-60هـ/622-680م)، دار الحصاد، سوريا، ط1، 1998م.

* إبراهيم، عبد الله:

الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999م.

* أبو صفية، جاسر بن خليل:

برديات قرة بن شريك العبسي دراسة وتحقيق، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ط1، 2004م.

* أبو غدة، حسن:

أحكام السجن ومعاملة السجناء في الاسلام، مكتبة المنار، الكويت، ط1، 1987م.

* أحمد خليل، خليل:

جدلية القرآن، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994م.

* ـــــ . . ـــــ

العرب والقيادة بحث اجتماعي في معنى السلطة ودور القائد، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1981م.

* أرديني، صالح محمد حسن:

صورة الخليفة في الشعر الأموي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2012م.

* الأصيبعي، محمد إبراهيم:

الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، المكتب العربي الحديث، الاسكندري، (د ت).

* أمحزون، محمد:

تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الامام الطبري والمحدثين، دار السلام، القاهرة، ط2، 2007.

* بدران، عبد القادر:

تهذيب تاريخ ابن عساكر، المكتبة العربية، دمشق، 1911م.

* البرزة، أحمد مختار:

الأسر والسجن في شعر العرب(تاريخ ودراسة)، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط1، 1985م.

* بغورة، الزواوي:

مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.

* البكّاي، لطيفة:

حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي(37-132هـ)، دار الطليعة، بيروت، ط1، جانفي 2001م.

* بلقزيز، عبد الإله:

الدولة والسلطة والشرعية، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2013م.

* بن حسين، بثينة:

الدولة الأموية ومقوماتها الايديولوجية والاجتماعية، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية سوسة، تونس، ط1، (د ت).

* بن عاشور، محمد الطاهر:

تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

* بوعجيلة، ناجية الوريمي:

الإسلام الخارجي، دار الطليعة، بيروت، ط1، سبتمبر 2006م.

* بيضون، إبراهيم:

ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

* ـــــ . . ـــــ

تكوّن الاتجاهات السياسية في الاسلام الأول من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، دار إقرأ، بيروت، ط1، 1985م.

* الجابري، محمد عابد:

العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط7، 2010م.

* ـــــ . . ـــــ

فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994م.

* جدعان، فهمي:

المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د ت).

* جعيط، هشام:

الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية، جماعة الدراسات العربية في التاريخ والمجتمع، الكويت، ط1، 1986م.

* الجويلي، محمد:

الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس، دار مراس للنشر، تونس، 1992م.

* الحاج، عبد الرحمن:

الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012م.

* الحاوي، إيليا:

شرح ديوان الفرزدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1983م.

* الحداد، حميد:

السلطة والعنف في الغرب الاسلامي، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011م.

* حسين، طه:

الفتنة الكبرى–عثمان، دار المعارف، مصر، (د ت).

* الحسيني، الشريف عبد الحي بن فخر الدين:

الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى "نزهة الخواطر وبَهجة المَسامع والنواظر"، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1999م.

* خزنة كاتبي، غيداء:

الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الممارسات والنظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1997م.

* خليل، فؤاد:

الاقطاع الشرقي بين علاقات الانتاج ونظام التوزيع، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1996م.

* خماش، نجدة:

الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1980.

* ـــــ . . ـــــ

الشام في صدر الاسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية دراسة للأوضاع الاجتماعية والادارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987.

* الدوري، عبد العزيز:

التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1986م.

* ـــــ . . ـــــ

أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في التأريخ العربي الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2007م.

* ـــــ . . ـــــ

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1995م.

* ـــــ . . ـــــ

النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008.

* الراشد، سعد بن عبد العزيز:

دراسات في الآثار الاسلامية المبكرة بالمدينة المنورة، (بلا معلومات)، ط1، 2000م.

* الرواضية، صالح محمد:

زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الاسلام، (بلا معلومات النشر)، ط1، 1994م.

* رؤوف، وفيق:

العرب وطبائع السلطة كواليس الشرعية المتضاربة، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2013م.

* الزركلي، خير الدين:

الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

* زكريا، ماجدة فيصل:

عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط1، 1987م.

* سليم، رضوان:

نظام الزمان العربي دراسة في التاريخيات العربية الإسلامية دراسة في التاريخيات العربية الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، جانفي2006م.

* السيد، رضوان:

الأمة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر السياسي العربي الاسلامي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 2011م.

* ـــــ . . ـــــ

الجماعة والمجتمع والدولة سلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الاسلامي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، ط1، 2015م.

* ـــــ . . ـــــ

مفاهيم الجماعات في الاسلام دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الاسلامي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م.

* شعبان، محمد عبد الحي محمد:

صدر الاسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.

* شكر، ملحم:

الزندقة في دار الإسلام في القرن الثاني للهجرة، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2016م.

* الصغير، عبد المجيد:

المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م.

* صفوت، أحمد زكي:

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة–العصر الأموي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1933م.

* الطباطبائي، حسين المدرسي:

تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الأولى، دار الهادي، (د ت).

* ظاظا، حسن:

الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب، دار القلم، دمشق، ط2، 1990م.

* عباس، إحسان:

عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلا، دار الشروق، عمان، ط1، 1988م.

* عبد الفتاح، صفاء حامد:

ضياع بني أمية في عصر الخلافة41-132هـ/661-750م، (بلا معلومات النشر)، 1991م.

* عبد الكريم، خليل:

الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1990م.

* عبد اللطيف، كمال:

في الاستبداد بحث في التراث الاسلامي، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2011م.

* عبد الوهاب، محمد حلمي:

ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009م.

* عدنني، إكرام:

سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2013م.

* العروي، عبد الله:

مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط8، 2006م.

* العسلي، خالد:

جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي، المكتبة الأهلية، بغداد، 1965م.

* العش، محمد أبو الفرج:

كنز أم حجرة الفضي ساساني، عربي-ساساني، أموي، عباسي محفوظ في المتحف الوطني بدمشق، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ط1، 1972م.

* ـــــ . . ـــــ

النقود العربية الاسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط3، 2003م.

* العشي، عمار:

تاريخ بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري جذور الفتنة الثالثة وسقوط الدولة الأموية125–132هـ/743–750م، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2009م.

* ـــــ . . ـــــ

الفتنة الثالثة بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2016م.

* عطوان، حسين:

الأمويون والخلافة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م.

* ـــــ . . ـــــ

الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م.

* ـــــ . . ـــــ

نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

* علي، جواد:

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بلا معلومات النشر)، ط2، 1993م.

* العلي، صالح أحمد:

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1953م.

* ـــــ . . ـــــ

الكوفة وأهلها في صدر الاسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت، ط1، 2003م.

* ـــــ . . ـــــ

خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الاسلامية الأولى، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1986م.

* عمامو، حياة:

السلطة وهاجس الشرعية في صدر الاسلام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2014م.

* عيسى، رياض:

الحزبية السياسية منذ قيام الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية، (بلا معلومات النشر)، ط1، 1992.

* غليون، برهان:

نقد السياسة الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2007م.

* فرقاني، محمد:

رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز جمعا ودراسة وتحقيقا، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2016م.

* فوال بابتي، عزيزة:

معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1998م.

* القمودي، سالم:

سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999م.

* كحالة، عمر رضا:

أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1984م.

* ـــــ . . ـــــ

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م.

* الكيلاني، شمس الدين:

الجماعة وتحولاتها التجربة السياسية العربية–الإسلامية في فكر رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009م.

* لسمر، عروسي:

العنف والمقدس في الاسلام، الدار التونسية للكتاب، ط1، 2012.

* مجموعة مؤلفين:

الأمة والدولة والتاريخ والمصائر دراسات مهداة إلى الأستاذ رضوان السيد بمناسبة بلوغه الستين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2011م.

* مجموعة مؤلفين:

بلاغة الخطاب السياسي أعمال مهداة للدكتور سعيد بنكراد، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016م.

* مجموعة مؤلفين:

الشورى في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية، عمان، 1989.

* مجموعة مؤلفين:

العنف في تاريخ المغرب، منشورات ملتقى الطرق، الدار البيضاء، 2015م.

* محفوظ، فوزي:

عمارة الخلفاء، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس، ط1، 2013م.

* المرصفي، سيد بن علي:

رغبة الآمل من كتاب الكامل، مطبعة النهضة، مصر، ط1، 1927م.

* مروة، حسين:

النزعات المادية في الفلسفة العربية – الإسلامية(المعتزلة–الأشعرية–المنطق)، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2008م.

* مؤنس، حسين:

تاريخ قريش دراسة في تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الاسلام أعظم قبيلة في تاريخ البشر، دار المناهل، ط1، 2002.

* معروف، نايف:

الخوارج في العصر الأموي نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة، بيروت، ط5، 2004.

* مغاوري محمد، سعيد:

الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2، 2014م.

* المنجد، صلاح الدين:

دراسات في تاريخ الخط العربي من بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1979م.

* الموسوي، محمد كاظم أبو الفتوح بن سليمان اليماني(ق9هـ/):

النفحة العنبرية في أنساب خير البرية، تح: السيد مهدي الرَّجائي، (بلا معلومات النشر).

* نجمان ياسين، محمد:

أرض الصوافي الأرض الخاصة بالدولة في الاسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العصر الأموي دراسة تاريخية في الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م.

* النشار، علي سامي:

نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

* نصار، ناصيف:

منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج، بيروت، ط2، 2001م.

* الهواري، زهير:

السلطة والمعارضة في الاسلام بحث في الاشكالية الفكرية والاجتماعية 11-132هـ/ 612-750م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م.

* ولد ابَّاه، محمد المختار:

تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 2010م.

* ياسين، عبد الجواد:

السلطة في الاسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000م.

* يقطين، سعيد:

تحليل الخطاب الروائي(الزمن-السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997م.

* يوجه سوي، خير الدين:

تطور الفكر السياسي عند أهل السنة فترة التكوين: من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير، عمان، ط1، 1993م.

* يوسف خليف، مي:

تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت).

ب- المراجـع المعرَّبـة:

* أركون، محمد:

الفكر الاسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، مركز الانماء القومي، بيروت، ط2، 1996م.

* أرندت، حنة:

في العنف، تر: إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، ط1، 1996م.

* بولعابي، عبد الرؤوف:

السلطة في الاسلام مقاصد الشريعة وشرعية السلطة، تر: كميل داغر، دار البيروني، بيروت، ط1، 2014م.

* تيرنر، براين:

علم الاجتماع والإسلام دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، تر: أبو بكر أحمد باقادر، دار القلم، بيروت، ط1، 1987م.

* جب، هاملتون:

دراسات في حضارة الاسلام، تر: إحسان عباس وآخران، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1979م.

* جعيط، هشام:

الفتنة جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط4، 2000م.

* جيرار، رينيه:

العنف والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009م.

* الخالدي، طريف:

فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة، تر: حسني زينة، منشورات الجمل، بغداد، 2015م.

* دونر، فريد مكغرو:

الروايات السردية عن الأصول الاسلامية بدايات الكتابة التاريخية الاسلامية، تر: عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، ط1، 2019م.

* دي بريمار، ألفريد لويس:

تأسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ، تر: عيسى محاسبي، دار الساقي، بيروت، ط1، 2009م.

* روسو، جان جاك:

في العقد الاجتماعي، تر: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، (د ت).

* ستيتكيفيتش، سوزان بينكني:

القصيدة والسلطة الأسطورة، الجُنُوسة، والمراسيم في القصيدة العربية الكلاسيكية، تر: حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010م.

* شلحت، يوسف:

مدخل إلى علم اجتماع الإسلام من الأرواحية إلى الشمولية، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.

* شوشان، بواز:

شِعرية التأريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري، تر: حيدر الكعبي، منشورات الجمل، ط1، 2016.

* فان أس، جوزيف:

علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، تر: سالمة صالح، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2008م.

* فلهوزن، يولويوس:

تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1968.

* فوكو، ميشال:

حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1987م.

* ـــــ . . ـــــ

المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، تر: علي مقلد، مراجعة: مطاع صفدي، مركز الانماء القومي، بيروت، 1990.

* كرون، باتريشيا، مارتن هيندز:

خليفة الله: السلطة الدينية في العصور الاسلامية الأولى، تر: أحمد طلعت، جسور للترجمة والنشر، ط1، 2017م.

* كريستنسن، آرثر:

إيران في عهد الساسانيين، تر: يحي الخشاب، عبد الوهاب عزَّام، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت).

* لانغ، كريستيان:

العدالة والعقاب في المتخيل الإسلامي خلال العصر الوسيط، تر: رياض الميلادي، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط1، 2016.

* لويس، برنارد:

لغة السياسة في الإسلام، تر: إبراهيم شتا، دار قرطبة، ط1، 1993م.

* ليروك بيترسن، إيلرلينغ:

علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة دراسة في نشأة ونمو الكتابة التاريخية الاسلامية حتى نهاية القرن التاسع الميلادي– الثالث الهجري، تر: عبد الجبار ناجي، مطبعة الاعتماد، قم، ط1، 2008م.

* ماسينيون، لويس:

خطط الكوفة وشرح خريطتها، تر: تقي بن محمد المصعبي، دار الورَّاق، بغداد، ط1، 2009م.

* ميخائيل، حنا:

السياسة والوحي الماوردي وما بعده، تر: شكري رحيم، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1997م.

* هندس، باري:

خطابات السلطة(من هوبز إلى فوكو)، تر: ميرفت ياقوت، مراجعة: ياسر قنصوه، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م.

* هنس، فالتر:

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م.

ثالثا: المـراجع الأجنبيـة

* Anthony, Sean W.**:**

The Caliph and the Heretic Ibn Saba' and the Origins of Shī'ism, brill, Leiden. Boston, 2012.

* Crone, Patricia:

God's rule Government and Islam, Columbia university press, new york, 2004.

* Dabashi, Hamid:

Authority in Islam From the Rise of Muhammad to the Establishment of the Umayyads, Transaction Publishers New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.), 1989.

* Hawting, G. R.:

The First Dynasty of Islam The Umayyad Caliphate AD 661–750, Routledge, London, new york, 2000.

* Hoyland, Robert c.:

seeing Islam as others saw it A survey and evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian writings early Islam, the Darwin press, Princeton, new jersey, 1997.

* Lavoix, Henri:

Catalogue des Monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale khalifes orientaux, imprimerie nationale, paris, 1887.

* lane-pool, Stanley:

Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the Khedivial Library in Cairo, Bernard quaritch, London, 1897

* Marsham, Andrew**:**

Rituals of Islamic Monarchy Accession and succession in the first Muslim empire, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2009.

* Miles, George C:

Rare Islamic Coin, the American numismatic society, new york, 1950

* palmer, Andrew:

The seventh century in the West-Syrian chronicle, Liverpool University Press, Liverpool, 1993.

* Sa'id Agha, Saleh**:**

The revolution which toppled the Umayyads: neither Arab nor 'Abbasid, brill, Leiden, Boston, 2003.

* Walker, John:

A Catalogue of the Arab-byzantine and post-reform Umaiyad coins, the trustees of the British museum, London, 1956.

* ــــ . . ــــ

A Catalogue of the Arab-Sassanian Coins, the trustees of the British museum, London, 1941.

رابعا: الرسائــل الجامعيــة:

* الأسطي، علاء الدين محمد الفرجاني:

شعر السجن في العصر الأموي دراسة فنية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2014م.

* بن واز، مصطفى:

السجون في الدولة الأموية41–132هـ/661–750م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2014م.

* عبد الله، محمود سلمان:

نقود الدولة الزبيرية(خلافة عبد الله بن الزبير) في العصر الأموي 64–73هـ/683–692م، أطروحة دكتوراه، جامعة النيلين، الخرطوم، 2017م.

* الفيتوري، فتيحة الشعاب عمران سالم:

الظواهر الفنية في الشعر السياسي في العصر الأموي "دراسة أسلوبية"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2013م.

* لكحل، مراد:

رسائل الخلفاء الأمويين 41-99هـ/661-717م جمعا ودراسة وتحليلا، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2018م.

خامسا: المـقالات باللغـة العربيــة:

* أبو الوفا، أحمد:

دار الاسلام والنظام الدولي ومنظمة التعاون(المؤتمر) الإسلامي، التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، عدد33، السنة9، 2011م.

* إشيتي، فارس:

مفهوم السياسة عند العرب قبل الاسلام، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد 12، السنة3، صيف1991م.

* الأفغاني، سعيد:

معاوية في الأساطير، مجلة كلية الآداب، منشورات جامعة بنغازي، العدد السادس، 1974م.

* بلقزيز، عبد الإله:

العنف السياسي في الوطن العربي، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة19، العدد207، ماي 1996م.

* بن عاشور، أياد:

بنية الفكر السياسي الاسلامي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، عدد33.

* بولقطيب، الحسن:

نظام العقوبات والسجن في المغرب الوسيط: مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط، مجلة فكر ونقد، الرباط، العدد23، السنة3، نوفمبر1999م.

* جعيط، هشام:

بناء الدولة الإسلامية: الدولة النبوية، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد13، السنة الرابعة، خريف1991.

* الجوزو، مصطفى:

الأبعاد السياسية للأساطير العربية الجاهلية، الفكر العربي مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية، معهد الانماء العربي، بيروت، العدد22، السنة3، سبتمبر-أكتوبر1981م.

* خليل أحمد، خليل:

سوسيولوجيا العنف، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العددان 27 و28، خريف 1983م.

* الدوري، عبد العزيز:

نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد الأول، خريف1988م.

* دونر، فرد:

تكون الدولة الإسلامية، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد 13، السنة الرابعة، خريف1991م.

* الدويهي، شوقي:

الدولة والعشيرة في مجتمع محلي نقاط أولية لبحث أشكال مقاومة العشيرة لدخول الدولة، الفكر العربي مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية، معهد الانماء العربي، بيروت، العدد19، السنة3، جانفي-فيفري 1981.

* رانجون، فرانسوا:

السلطة والعنف بواكير النظرية المؤسسية عند هوبز، تر: بدر الدين عرودكي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، العددان 27، 28، خريف1983.

* الربيعو، تركي علي:

مدخل إلى ظاهرة العنف في الخطاب السياسي السلطوي، الوحدة مجلة فكرية ثقافية شهرية، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، عدد81، 1991م.

* رضا، محمد جواد:

ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة تفسير سوسيو-سايكولوجي، عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الثالث، أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر، 1974.

* روبين، أوري:

الأنبياء والخلفاء: الأسس التوراتية للسلطة الأموية، ضمن كتاب: مقالات في السياسة الشرعية، ترجمة وتحرير: فهد الحمودي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2014م.

* روزنتال، اروين:

دور الدولة في الإسلام: النظري والتطبيق في العصور الوسطى، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد12، السنة الثالثة، صيف1991.

* ريكور، بول:

الخيال الاجتماعي ومسألة الايديولوجيا واليوطوبيا، تر: منصف عبد الحق، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، عدد66-67، دويلية-أوت1989م.

* زنيبر، محمد:

مفهوم الدولة والأمة في العصر الوسيط، الوحدة: مجلة فكرية ثقافية شهرية، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، عدد42، 1988م.

* السريحي، عبد الله:

حديث افتراق الأمة: دراسة في السياق والأصول والنتائج، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد19، السنة5، ربيع1993م.

* سلمان، عيسى:

درهم نادر للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، مجلة سومر، مديرية الآثار العامة، بغداد، المجلد26، ج1، 1970م.

* السيد، رضوان:

السلطة في الاسلام دراسة في نشوء الخلافة، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام(بلاد الشام في صدر الاسلام)، المجلد الثالث، 1987م.

* ـــــ . . ـــــ

الكاتب والسلطان دراسة في ظهور كاتب الديوان في الدولة الاسلامية، مجلة الاجتهاد، ، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد الرابع، صيف 1989م.

* ـــــ . . ـــــ

مسألة الشورى والنزوع الإمبراطوري في ضوء التجربة التاريخية للأمة، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، العدد25، السنة السادسة، خريف1994،

* ـــــ . . ـــــ

المشروعية والشرعية والحقوق في التجربة التاريخية للأمة، التفاهم فصلية-فكرية-إسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، سلطنة عمان، السنة 11-شتاء2013-العدد39.

* شلق، الفضل:

الجماعة والدولة جدليات السلطة والأمة في المجال العربي الاسلامي، مجلة الاجتهاد، ، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد الثالث، ربيع 1989م.

* ـــــ . ـــــ

الخراج والاقطاع والدولة دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الاسلامية، ، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد الأول، خريف1988م.

* صقري، فريد:

الحكام والمحكومون: ابن خلدون وتناقضات المجتمع المتمدن، الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، عدد 17، جانفي1982م.

* طحان، محمد جمال:

ماهية الاستبداد(مقارنة أولية لتحديد المصطلح)، الوحدة: مجلة فكرية ثقافية شهرية، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، عدد22، 1992م.

* عبد الستار عثمان، محمد:

دلالات سياسية دعائية للآثار الاسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، لندن، المجلد الرابع، الجزء الثاني، جويلية1989م.

* العجمي، عبد الهادي:

المشهد السياسي بين المدينة المنورة والقدس وامتداده في العهد الأموي دراسة مقارنة، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد42، الجزء1، جانفي 2013م.

* العش، محمد أبو الفرج:

كتابات عربية غير منشورة في جبل أسيس، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، السنة17، الجزء3، سبتمبر 1964م.

* غولد شليغر، آلن:

نحو سيمياء الخطاب السلطوي، تر: مصطفى كمال، بيت الحكمة شهرية مغربية للترجمة في العلوم الانسانية، العدد5، السنة2، أفريل1987م.

* الفجاري، المختار:

تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد100-101، 1993م.

* القاضي، وداد:

مفهوم الفتنة وصورها في أدب عبد الحميد الكاتب، ضمن كتاب: فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة إلى ناصر الدين الأسد، تحرير: حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، 1993م.

* كرافولسكي، دوروتيا:

أهل السنة والجماعة: العقيدة السنية من خلال المصادر، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد التاسع عشر، السنة الخامسة، ربيع 1993م.

* لاغة، محي الدين:

تحول صورة معاوية في كتب الطبقات والتراجم، أعمال المؤتمر الدولي الأول: النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الاسلامي من خلال كتب الطبقات، تونس، 16-17-18 نوفمبر 2012، الأطلسية للنشر، تونس، جوان2014م.

* مجيطنة، عبد الحق:

مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية بين الطرح العلمي والطرح الأيديولوجي «قراءة إبستيمولوجية»، المجلة العلمية، جامعة الجزائر 3، المجلد6، عدد11، جانفي2018م.

* منيمنة، جميل:

نماذج من تطور المصطلح السياسي العربي(السلطان/الشورى/الأمة)، الفكر العربي مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية، معهد الانماء العربي، بيروت، العدد71، مارس1993م.

* منيمنة، حسن:

نشوء الإقطاع في الاسلام، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد الأول، خريف1988م.

* وطفة، علي أسعد:

بين السلطة والتسلط: دراسة تحليلية، الفكر السياسي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عدد3، 1998م.

سادسا: المقـالات باللغـة الأجنبيـة:

* Alajmi, Abdulhadi, Khaled Keshk:

Umayyad Ideology and the Recurrence of the Past Ideología omeya y el recurso al pasado, Anaquel de Estudios Árabes, vol. 24, 2013.

* Alajmi, Abdulhadi:

'Ulama and caliphs new understanding of the "God's caliph" term, Journal of Islamic Law and Culture, Vol. 13, No. l, April20ll.

* ▬ . . ▬

Ascribed vs. Popular Legitimacy: The Case of al -Walīd II and Umayyad 'ahd, journal of near eastern studies, vol72, n1, April2012.

* Al-Qadi, Wadad:

the religious foundation of late Umayyad ideology and practice, in: The Articulation of Early Islamic State Structures, edited by: Fred M. Donner, Routledge , New York, 2016.

* Anthony, Sean W.:

The Domestic Origins of Imprisonment: An Inquiry into an Early Islamic Institution, Journal of the American Oriental Society, Vol. 129, No. 4, October-December 2009.

* ▬ . . ▬

The Meccan Prison of ʿAbdallāh b. al-Zubayr and the Imprisonment of Muḥammad b. al-Ḥanafiyya, in: The Heritage of Arabo-Islamic Learning Studies Presented to Wadad Kadi, *Edited by:* Maurice A. Pomerantz, Aram A. Shahin, brill, Leiden, boston,2016.

* Bacharach, Jere L.:

signs of sovereignty: The Shahāda, Qur'anic verses, and the coinage of ʿAbd al-Malik, Muqarnas, Brill, Vol. 27, 2010.

* Barzegar, Abbas:

"Adhering to the Community" (Luzūm al-Jamāa): Continuities between late Umayyad Political Discourse and "Proto-Sunni" Identity, Review of Middle East Studies, Vol 49, Issue 02 , August 2015.

* Blair, Sheila S.:

what is the date of the dome of the rock?, in: Bayt al-Maqdis, 'Abd al-Malik's Jerusalem, parte one, edited by : Julian raby, Jeremy johns, oxford university press, oxford.

* Cytryn-Silverman, Katia:

The fifth mil from Jerusalem: Another Umayyad milestone from southern Bilad al-sham, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 70, No. 3, 2007.

* Dähne, Stephan:

Qur'anic Wording in Political Speeches in Classical Arabic Literature, Journal of Qur'anic Studies, Vol. 3, No. 2, 2001.

* Donner, Fred M.:

Fragments of Three Umayyad Official Documents, in: The Heritage of Arabo-Islamic Learning Studies Presented to Wadad Kadi, *Edited by*: Maurice A. Pomerantz, Aram A. Shahin, brill, Leiden, boston,2016.

* ــــ . . ــــ

Umayyad efforts at legitimation: the Umayyads' silent heritage, in Umayyad Legacies Medieval Memories from Syria to Spain, Edited by: Antoine Borrut, Paul M. Cobb, brill, Leiden, Boston, 2010.

* Foss, Clive**:**

Mu'āwiya's State, in: Money, Power and Politics in Early Islamic Syria A review of current debates, *Edited by*: John Haldon, Ashgate, England USA, 2010.

* Gaiser, Adam R.:

What Do We Learn About the Early Khārijites and Ibāḍiyya from Their Coins?, Journal of the American Oriental Society, Vol. 130, No. 2, April-June 2010.

* Hasson, Isaac:

Remarques sur l'inscription de l'époque de Mu'āwiya à Ḥammat Gader, Israël Exploration Journal , Vol. 32, No. 2/3, 1982.

* Helms, Svend:

A New Architectural Survey of Qasr Burquʿ, Eastern Jordan, The Antiquaires Journal, vol 71, 1991.

* Hoyland, Robert G:

Khanāṣira and Andarīn (Northern Syria) in the Umayyad Period and a New Arabic Tax Document, in: Power, Patronage and Memory in Early Islam: Perspectives from Umayyad history, Edited by: Alain George and Andrew Marsham **,** Oxford University Press , 2018.

* ⸺ . . ⸺

new documentary texts and the early Islamic state, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London ,Vol. 69, No. 3, 2006.

* Imbert, Frédéric:

Califes, princes et compagnons dans les graffiti de l'islam, in : ROMANO-ARABICA XV Graffiti, Writing and Street Art in the Arab World, Editura universităţii din bucureşti, 2015.

* ⸺ . . ⸺

L'Islam des pierres : l'expression de la foi graffiti arabes des premiers siècles, "REMMM" revue des mondes musulmanes et de la méditerranée, vol 129, juillet 2011.

* Johns, Jeremy:

Archaeology and History of early Islam: The first seventy years, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 46, No. 4, 2003.

* Judd, Steven C.:

Ghaylan al-Dimashqi: The Isolation of a Heretic in Islamic Historiography, International Journal of Middle East Studies, Vol. 31, No. 2, May, 1999.

* ــــ . . ــــ

Muslim Persecution of Heretics during the Marwānid Period (64–132/684–750), Al-Masaq, vol 23(1), April 2011.

* ــــ . . ــــ

Reinterpreting al-Walīd b. Yazīd, Journal of the American Oriental Society, Vol 128, No 3, Jul-Sep, 2008.

* Kessler, Christel:

'Abd Al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock : A Reconsideration, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No. 1, 1970.

* Marsham, Andrew:

Attitudes to the use of fire in executions in late antiquity and early Islam, Violence in Islamic Thought from the Qur'an to the Mongols, Edited by: István Kristó-Nagy , Robert Gleave**,** Edinburgh University Press**,** Edinburgh, 2015.

* ــــ . . ــــ

Public Execution in the Umayyad period: Early Islamic punitive practice and its late antique context, Journal of Arabic and Islamic Studies, vol 11, 2011.

* Miles, George C:

A unique Umayyad dinar of 91 H/A.D. 709-710, revue numismatique, 6 série, tome14, 1972.

* Mochiri, Malek Iradj:

Garmkirmān: a Sasanian and Early Islamic Mint in Kirmān Province, The Numismatic Chronicle, Vol. 145, 1985.

* Schindel, Nikolaus:

Sulaiman bin Khalifat Allah revisited, in: Oriental Numismatic Society Newsletter 172, 2002.

* Sharon, Moshe**:**

An Arabic inscription from the time of the caliph ʿAbd al-Malik, in**:** The Articulation of Early Islamic State Structures, edited by: Fred M. Donner, Routledge , New York, 2016.

* Sindawi, Khaled**:**

Mitham b. Yahiya al-tammar: An important figure in early shi'ism, AL-QANŢARA, XXIX 2, julio-diciembre, 2008.

* Weststeijn, Johan, Alex de voogt**:**

Sa'id b. jubayr: piety, chess and rebellion, Arabica, T. 49, Fasc. 3, Jul., 2002.

*Whitcomb**,** Donald**:**

Notes for an Archaeology of Muʿāwiya: Material Culture in the Transitional Period of Believers, in: Christians and others in the Umayyad state, edited by: Antoine Borrut and fred donner, the oriental institute of the university of Chicago, Chicago, 2016.

سابعا: الموسوعات:

* زيادة، معن وآخرون:

الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، ط1، 1986م.

* الشالجي، عبود:

موسوعة العذاب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (د ت).

* الكيالي، عبد الوهاب وآخرون:

موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993.

* لالاند، أندريه:

موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م.

ثامنا: المعاجم والقواميس:

* بدوي، أحمد زكي:

معجم مصطلحات العلوم الاجتماعي: انجليزي–فرنسي–عربي، مكتبات لبنان، بيروت، 1986م.

* دوزي، رينهارت:

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2012م.

* ـــــ . . ـــــ

تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1980م.

* عبد الباقي، محمد فؤاد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1945م.

* عبد الجواد ابراهيم، رجب:

المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002م.

* عمارة، محمد:

قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م.

الفهـــارس العامـــة

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأحاديث النبوية

3- فهرس الأعلام

4- فهرس الأماكن والبلدان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- فهرس الآيات القرآنية:

الآيـــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	الحجرات	13	27
﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾	يونس	68	95
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾	يوسف	40	95
﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾	النحل	99- 100	96
﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾	سبأ	21	96
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	الحجر	42	96
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾	النساء	144	96
﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾	النمل	24-23	98

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	الزخرف	51	99
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	القصص	4	99
﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾	النمل	34	99
﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾	الشعراء	29	99
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾	القصص	38	99
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة	247	99
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾	النساء	54	99
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾	ص	20	99
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	النساء	59	161
﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾	النساء	59	162
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾	آل عمران	103	175
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا...﴾	التغابن	16	195
﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾	المائدة	95	196

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾	فصلت	11	197
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	30	197
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	الحج	25	259
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾	البقرة	193	265
﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾	البقرة	191	265
﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾	آل عمران	7	265
﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾	التوبة	49	265
﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾	طه	40	265
﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	العنكبوت	2	265
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾	النحل	110	265
﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾	الذاريات	13	265
﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	النساء	101	265
﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾	يونس	83	265
﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾	الاسراء	63	265
﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾	الصافات	161-162	265
﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾	المائدة	41	266
﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾	الأنعام	23	266
﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	يونس	85	266

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾	القلم	6-5	266
﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾	الذاريات	13	266
﴿كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	النحل	112	270
﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾	المؤمنون	108	327
﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾	المعارج	22-19	393
﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	محمد	4	423
﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾	طه	97	428

2- فهرس الأحاديث النبوية:

متن الحديث	الراوي	الصفحة
"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يَرْفَعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها، ثم تكون خلافة على مِنهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها، ثم تكون مُلكا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها، ثم تكون مُلكاً جَبْرِيَّةً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يَرفعُها إذا شاء أن يرفَعَها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"	حذيفة بن اليمان	212
"...يَشربون الخمور، ويَلْبَسون الحرير، ويَسْتَحِلُّون الفُروج، ويُنصَرون، ويُرزَقون حتى يأتيهم أمر الله"	حذيفة بن اليمان	212
"الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم مُلك بعد ذلك"	سفينة مولى الرسول	213
"خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك -أو ملكه- من يشاء"	سفينة مولى الرسول	213
"حدثني سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان. ثم قال لي: أمسك خلافة علي. قال: فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم. قال: كذبوا بنوا الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك"	سعيد بن جُمهان عن سفينة مولى الرسول	213
"الخلافة بالمدينة والملك بالشام"	أبو هريرة	215
"رأيت عمود الكتاب اِنْتُزِع من تحت وسادتي فذُهِب به إلى الشام فأوَّلته المِلك"	عبد الله بن عمر	215
"قريش وُلاةُ هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تَبَعٌ لِبَرِّهِم، وفاجِرُهُم تَبَعٌ لِفاجرهم"	أبو بكر الصديق	216
"الناس تبع لقريش في الخير والشر"	جابر بن عبد الله	216

	الأنصاري	
"الناس تَبَعٌ لقريش في هذا الأمر، خِيارُهم تبعٌ لخيارِهم، وشِرارُهم تبع لِشرارِهم"	أبو هريرة	217
"الناس تبع لقريش في هذا الشَّأن، مُسلِمُهُم تَبَع لمسلِمِهم، وكافرهم تبع لكافرهم"	أبو هريرة	217
"...إنَّ الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مؤمنهم تبع مؤمنهم، وفاجرهم تبع فاجرهم"	أبو هريرة	217
"الناس تبع لقريش في هذا الأمر، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فَقُهوا..."	معاوية بن أبي سفيان	217
"الأئمة من قريش"	أنس بن مالك	218
"إذا استُرحِموا رحموا، وإذا عاهدوا وَفَوا، وإذا حَكَموا عدلوا"	أبو بَرزة	218
"إن هذا الأمر في قريش لا يُنازعهم أحد إلا أَكَبَّهُ الله على وجهه، ما أقاموا الدين"	معاوية بن أبي سفيان	218
"لايزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان"	عبد الله بن عمر	219
"قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة"	عمرو بن العاص	219
"لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة. قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش"	جابر بن سمرة	219
"لا يزال هذا الأمر عزيزا مُنيفا لا يضره من ناوأه حتى تقوم الساعة إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش"	جابر بن سمرة	220
"لا تزال هذه الأمة مستقيم أمرها ظاهرة على عدوها –أو على غيرها– حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش"	جابر بن سمرة	222
"...على السمع والطاعة في مَنْشَطنا ومَكْرَهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وَأَثَرة علينا، وأن لا نُنَازع الأمر أهله، إلا أن تَرَوا كُفْرا بَواحًا عندكم من الله فيه برهان"	عبادة بن الصامت	223
"من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"	معاوية بن أبي سفيان	223
"من خَلَعَ يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجَّةَ له، ومن	عبد الله بن عمر	225

مات وليس في عُنُقِه بيعة مات ميتة جاهلية"		
"...إن كان لله خليفة في الأرض، فضرب ظهرك، وأخذ مالك فَأَطِعْه، وإلا فَمُتْ وأنت عاضٌّ على جِذل شجرة"	حذيفة بن اليمان	225
"كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فَيَكْثُرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا بِبَيْعة الأوَّل فالأوَّل، أعطوهم حقهم، فإنَّ الله سائِلُهم عَمَّا اسْتَرْعاهُم"	أبو هريرة	226
"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"	أبو هريرة	226
"...إنما الطاعة في المعروف"	علي بن أبي طالب	226
"على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أَحَبَّ وَكَرِه، إلا أن يُؤْمَر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"	عبد الله بن عمر	226
: "إنها ستكون أمراء تعرفون وتُنْكِرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رَضي وتَابَع، قالوا: يا رسول الله أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صَلُّوا"	أم سلمة أم المؤمنين	227
"من خرج وعلى الناس إمام –والله ما قال عادل– لِيَشُقَّ عَصاهم، ويُفَرِّق جماعتهم، فاقتُلوه كائنًا من كان"	عبد الله بن عمير الأشجعي	227
"من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يَشُق عصاكم أو يُفَرِّق جماعتكم فاقتلوه"	عَرفجة	228
"افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وَتَفرَّقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"	أبو هريرة	228
"ألا إنَّ من قَبْلَكُم من أهل الكتاب افترقوا على ثْنَتَين وسبعين مِلَّة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة"	معاوية بن أبي سفيان	229
"لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين وإني لأرجو أن	زيد بن أرقم	230

تكونوا هم يا أهل الشام"		
لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل ظاهرون على الناس.	معاوية بن أبي سفيان	230
"اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعين في النار وواحدة في الجنة، واختلفت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة احدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة، وتختلف هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة، فقلنا: أَنْعِتْهُم لنا، قال: السواد الأعظم"	أبو أمامة الباهلي	231
"من كان على ما أنا عليه وأصحابي..."	أبو أمامة الباهلي	231
"ما أنا عليه وأصحابي"	عبد الله بن عمرو	231
"اللهم عَلِّمْه الكتاب والحساب وَقِهِ العذاب"	عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني	232
"اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به"	عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني	233
"اللهم علمه الكتاب ومكِّن له في البلاد وَقِهِ العذاب"	عمرو بن العاص	233
"أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا"	أم حرام زوجة عبادة بن الصامت	236
"إذا رأيتم معاوية يَخطُب على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون"	جابر بن عبد الله	238
"يا معاوية إن مَلَكْتَ فَأَسْجِح"	معاوية بن أبي سفيان	238
"يا معاوية إن وليت من أمور المؤمنين شيئا فاتق الله واعدل"	عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي	238
"...يا معاوية، إن ملكت فأحسن"	معاوية بن أبي سفيان	238
"لما كان يوم أم حبيبة من النبي صلى الله عليه وسلم دقَّ الباب داقٌّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انظروا من هذا؟ قالوا:	عائشة أم المؤمنين	239

معاوية، قال: ائذنوا له، ودخل وعلى أذنه قلم لم يخط به، فقال: ما هذا القلم على أذنك يا معاوية، قال: قلم أَعْدَدْتُه لله ورسوله، قال: جزاك الله عن نبيك خيرا، والله ما اسْتَكْتَبْتُك إلا بِوَحي من الله عز وجل، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله عز وجل، كيف بك لو قَمَّصَك الله قميصا-يعني الخلافة- ..."		
"أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحد في الحرم، ومُبتغ في الإسلام سُنَّة الجاهلية، ومطَّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه"	ابن عباس	259
"إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم"	صفية بنت حُيَيّ	269
"خالفوا المشركين، ووَفِّروا اللِّحى، واحفوا الشوارب"	عبد الله بن عمر	402
"جعله الله نُسكا وسنة وجعله الناس عقوبة"	عبد الله بن عباس	402

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام:

-أ-

أبان(بيان) بن سمعان: 09، 475.
أبان بن مروان: 313.
إبراهيم التيمي: 315، 317، 327، 330، 345، 363، 382، 427.
إبراهيم بن الأشتر: 426.
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك: 346.
إبراهيم بن سليمان بن هشام: 446.
إبراهيم بن عدي: 369.
إبراهيم بن محمد العباسي(إبراهيم الامام): 302، 329، 464.
إبراهيم بن هشام المخزومي: 361،371، 385، 386.
آدم بن عبد الرحمن: 386، 459.
ابن أبي الدنيا: 20، 390.
ابن أبي شيبة: 19، 214.
ابن أثال: 466.
ابن اسحاق: 288.
ابن أعثم الكوفي: 76، 78.
ابن الأثير: 343.
ابن البطريق:17.
ابن الجوزي: 222، 235، 463.
ابن الرهين العبدري: 116.
ابن الطثرية: 354.
ابن الطقطقا: 91.
ابن العبري: 17، 425.
ابن النديم: 477.
ابن تغري بردي: 389.
ابن حبيب: 17، 50، 422، 424، 466، 467.
ابن حجر: 236، 260، 287.
ابن خلدون: 65، 89، 101، 198، 248.
ابن سعد(محمد): 18، 341، 368، 466.
ابن سندر: 115.
ابن عبد الحكم: 307، 412.
ابن عبد ربه الأندلسي: 20، 76، 79، 82، 274.
ابن عساكر: 18، 108، 121، 176، 241، 475.
ابن قتيبة: 47، 76، 78، 79، 81، 87، 109، 326.
ابن قيم الجوزية: 288.
ابن كثير: 221.
ابن مكعبر: 398، 407.
ابن منظور: 95، 189، 340، 357،

440.
ابن نباتة: 475.
أبو الأعور السلمي: 116.
أبو الريان: 461.
أبو الزعيزعة البربري: 445.
أبو العرب التميمي: 16.
أبو العلج مولى عبيد الله بن معمر: 459.
أبو أمامة الباهلي: 183، 231.
أبو أيوب الأنصاري: 177.
أبو بردة بن عوف الأزدي: 122.
أبو بكر الصديق: 26، 27، 28، 29، 30، 34، 36، 37، 38، 39، 40، 44، 52، 72، 85، 86، 134، 135، 151، 152، 198، 199، 201، 211، 215، 216، 218، 224، 285، 290، 390، 391.
أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم: 335، 360.
أبو بكرة: 125.
أبو بيهس الهيصم بن جابر: 399.
أبو جعفر المنصور(عبد الله بن محمد): 112، 375.
أبو حمزة الخارجي: 126.
أبو حنيفة: 371، 479.
أبو داود: 213.
أبو ذر الغفاري: 36، 40.
أبو رهم شقيق بن ثور: 458.
أبو سعد البقال: 315.
أبو سعيد الخدري: 183.
أبو سفيان: 27، 50، 79، 81، 122، 349.
أبو طالب: 175.
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: 300.
أبو عزيز بن عمير بن هاشم: 288.
أبو عقيل الثقفي: 282، 353.
أبو عكرمة: 401، 463.
أبو محجن الثقفي: 291.
أبو محمد الصادق: 401.
أبو مخنف: 62، 451.
أبو مسعود الأنصاري: 175.
أبو مسلم الخراساني: 319، 328، 329.
أبو مسلم الخولاني: 49.
أبو مسهر: 179، 184، 185.
أبو موسى الأشعري: 43، 55، 61، 134، 180.
أبو هريرة: 206، 215، 217، 226، 228.
أبو يوسف: 336، 379، 380.
أحمد بن حنبل: 19، 212، 216، 234.
أحمد بن سالم المري: 480.
أحمد مختار البرزة: 22.
الأحنف بن قيس: 83، 199، 312.

الأحوص الشاعر: 369، 441.
الأخطل: 205، 209.
إدريس بن معقل العجلي: 308، 328.
أزاد مرد بن الهربد: 408.
أسامة بن زيد: 177، 183.
أسامة بن زيد التنوخي: 307، 411، 412.
اسحاق بن إبراهيم الحنظلي(ابن راهويه): 234، 236.
أسد بن عبد الله القسري: 116، 196، 302، 316، 373، 379، 1°4، 405، 407، 408، 433، 463، 464.
الاسكندرون الثاني(البابا): 316.
إسماعيل بن عبد الله القسري: 311.
إسماعيل بن يسار النسائي: 382، 442.
الأصبغ بن ذؤالة الكلبي: 435، 468.
الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان: 115.
الأصفهاني(أبو الفرج): 20.
الأصفهاني(أبو نعيم): 18.
أعشى بني ربيعة: 123.
أعشى همدان: 480.
أفلاطون: 191.
الأكيدر بن حملة اللخمي: 457.
أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان: 481.
أم حبيبة أم المؤمنين: 49، 133، 134، 238، 240.
أم حرام: 236.
أم سلمة أم المؤمنين: 227.
إمام بن أقوم: 313.
آمنة بنت الشريد: 309، 345، 414.
أمية بن معاوية بن هشام: 402، 446.
أندرو مارشام: 70.
أنس بن مالك: 183، 218، 272، 273، 274، 409، 410.
أوري روبن: 22، 147.
الأوزاعي: 183، 469.
أوفى بن حصن الطائي: 483.
أيمن إبراهيم: 07.
أيوب بن القرية: 458.
أيوب بن برغوث اللخمي: 469.
أيوب بن سليمان بن عبد الملك: 100.

-ب-

باتريشيا كرون: 22، 68.
بثينة بن حسين: 21.
البخاري: 19، 38، 223، 285.
البختري بن درهم: 371، 405.
البختري بن مجاهد: 317، 405.
بسر بن أبي أرطأة: 310.
بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي: 125.
بشر بن الوليد بن عبد الملك: 297، 446.
بشر بن مروان: 365، 376، 377،

468، 484.
بشر بن صفوان الكلبي: 421.
البعيث الشاعر: 369.
البكري: 341.
بكير بن حمران الأحمري: 450.
بكير بن ماهان: 401، 463.
البلاذري: 16، 18، 49، 290، 311، 329، 368، 386، 415، 431، 457، 467، 476، 486.
بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري: 308، 344، 372، 411.
بنفنست: 190، 192.
بول ريكور: 194.
بيان بن سمعان
بيسونس: 190.
البيهقي: 222، 416.

-ت-

تاوفانس: 304.
الترمذي: 213.
ترملة: 460.
توبة العنبري: 309، 320.

-ث-

ثابت بن نعيم الجذامي: 381، 401، 434، 481.
الثبجاء(الشجاء): 398، 407، 430.
الثعالبي: 485.
ثمامة: 214.
ثمامة بن أثال: 285.
ثور بن معن السلمي: 77.
ثولاء بن نعيم بن مسعود: 306، 484.

-ج-

جابر بن زيد الأزدي: 359، 441.
جابر بن سمرة: 219، 221.
جابر بن عبد الله الأنصاري: 216، 409.
الجاحظ: 20، 63، 101، 244، 262.
جاكبسون: 190.
جان كوران: 191.
جحدر اللص: 326.
جديع بن علي الكرماني: 302، 319، 329، 343، 346، 354، 435.
الجراح بن عبد الله الحكمي: 360.
جرير: 145.
الجعد بن درهم: 08، 316، 474، 475، 476، 477، 478، 479.
جعفر بن برقان: 333.
جعفر بن علبة: 324.
الجموح بن عمرو الفهمي: 364، 403.
جميل بن معمر العذري: 330.
جنان العطار: 463.
الجهشياري: 467، 468.
جهم بن زحر الجعفي: 307، 370.
جهم بن صفوان: 475، 478، 479،

480.
جواز الضبي: 460.
جورج سوريل: 03.
جويرية بن مسهر العبدي: 397، 430.
-ح-
حاجب بن زرارة: 458.
الحارث بن الحكم بن أبي العاص: 36.
الحارث بن سريج: 479.
الحارث بن سعيد الكذاب: 08.
الحارث بن عبيد المخزومي: 281.
الحارث بن كعب الشني: 399، 432.
حبيب بن أبي ثابت: 359.
حبيب بن المهلب: 300، 305، 306، 311.
حبيب بن مسلمة الفهري: 177.
الحجاج بن خزيمة بن الصمة: 50.
الحجاج بن يوسف: 94، 100، 111، 114، 125، 137، 165، 179، 186، 195، 196، 264، 267، 268، 269، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 282، 299، 300، 305، 306، 311، 315، 317، 318، 326، 327، 328، 330، 331، 340، 341، 345، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 359، 360، 363، 366، 367، 368، 375، 376، 377، 378، 382، 385، 386، 389، 390، 391، 392، 393، 398، 399، 400، 404، 406، 408، 409، 410، 418، 419، 420، 421، 424، 427، 430، 432، 437، 440، 441، 442، 448، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 470، 471، 480، 481، 482، 484، 485، 487، 489.
حجر بن عدي: 68، 181، 206، 258، 298، 299، 314، 345، 347، 358، 413، 440، 447، 448.
حذيفة بن اليمان: 37، 38، 212، 213، 214، 225، 315.
حرب بن أمية: 50.
الحريش بن عمرو بن داود: 374،
الحسحاس الأزدي: 401.
الحسن البصري: 62، 126.
الحسن بن علي بن أبي طالب: 02، 56، 57، 64، 65، 75، 76، 79، 81، 82، 133، 178، 179، 184، 199، 220، 310، 448.
الحسين بن علي: 74، 75، 78، 82، 85، 87، 88، 126، 128، 180،

182، 195، 208، 220، 237،
259، 276، 314، 359، 365،
366، 415، 416، 424، 426،
429، 430، 450، 452، 453،
481، 482، 483.
حسين عطوان: 84.
الحصين بن نمير السكوني: 427، 439.
حطيط الزيات: 389، 390، 391،
392، 393.
الحطيئة: 290.
حفص بن عمر بن سعيد الأزدي: 123.
حفصة أم المؤمنين: 38، 39.
الحكم بن أبي العاص: 37، 263.
الحكم بن أيوب الثقفي: 368، 386،
442.
الحكم بن الصلت الثقفي: 425.
الحكم بن المنذر بن الجارود: 316.
الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك:
196، 138، 139، 140، 160،
169، 295، 296، 317، 342،
346، 434، 445، 465.
حمادة الصفرية: 430.
حمال بن زحر الجعفي: 301.
حمزة بن المغيرة بن شعبة: 305.
حمزة بن عبد المطلب: 344.
حميد الحداد: 05، 06.
حنة أرندت: 05.
حنظلة بن صفوان: 400.
حوثرة بن سهيل الباهلي: 469.
حياة عمامو: 22، 160.
حيان النبطي: 112، 369، 404.
حيان بن ظبيان السلمي: 298.

-خ-

خالد بن إبراهيم: 302، 373.
خالد بن أسيد: 37.
خالد بن صفوان: 372.
خالد بن عباد السدوسي: 453.
خالد بن عبد الله القسري: 116، 137،
139، 166، 277، 308، 309،
311، 312، 313، 316، 319،
328، 330، 344، 345، 349،
351، 353، 355، 359، 360،
370، 372، 373، 387، 393،
394، 408، 409، 433، 439،
459، 463، 464، 465، 476،
478، 491.
خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد: 312،
365.
خالد بن معمر السدوسي: 128.
خالد بن هشام المخزومي: 464.
خالد بن يزيد بن المهلب: 301.
خالد بن يزيد بن معاوية: 115، 117.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خالد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك: 446.
خبيب بن عبد الله بن الزبير: 365، 368، 369.
خرشة بن عمرو التميمي: 432، 459.
الخطيم الباهلي: 440، 447، 481.
خليفة بن خالد الهرماس: 458.
خليفة بن خياط: 81، 422، 471.
خليل أحمد خليل: 04.
خولى بن يزيد الأصبحي: 415.
الخيبري: 402.
خيرة بنت ضمرة القشيرية: 125.

-د-

داذ به المقفع: 387.
داود بن طلحة الحضرمي: 360.
داود عليه السلام: 147.
داود مولى خالد القسري: 373،
دوجلاس والتون: 256.
دي سوسير: 199.
دينار مولى بني قطيعة: 484.
الدينوري: 454.
ديونوسيوس دي تلمحري: 17.

-ذ-

الذهبي: 235، 236.

-ر-

راشد بن عوف العبدي: 300.
رافع بن خديج: 183.
راينهارت دوزي: 439.
ربعي بن حراش العبسي: 298.
الربيع بن نافع: 233.
رتبيل: 420.
رجاء بن الأشيم: 469.
رشيد الهجري: 397، 406.
رضوان السيد: 21، 232.
روح بن زنباع الجذامي: 350.
رينيه جيرار: 211.

-ز-

زائدة بن قدامة الثقفي: 195.
الزبرقان بن بدر: 290.
الزبير بن العوام: 46، 176.
الزبير بن الماحوز: 156.
زحاف الخارجي: 255، 429.
زفر بن الحارث الكلابي: 185، 186، 299.
زميل بن سويد الكلبي: 314.
الزهري، 179،
زهير الهواري: 07.
الزواوي بغورة: 192.
زياد بن أبيه(أبي سفيان): 07، 80، 82، 96، 97، 102، 58، 75، 103، 122، 124، 129، 164، 181، 206، 244، 246، 249، 250،

252، 253، 254، 255، 258،
298، 304، 310، 314، 315،
331، 345، 348، 358، 364،
365، 375، 383، 384، 396،
403، 426، 428، 429، 436،
440، 447، 448، 449، 450،
481، 482، 483، 489، 491.
زياد بن عبد الله الأسوار: 295، 297،
346، 351.
زياد بن عمرو العتكي: 303، 350.
زيادة بن زيد بن عبد الملك: 310.
زيد بن أرقم: 230.
زيد بن تميم القيني: 319، 373.
زيد بن ثابت: 38، 39، 183.
زيد بن علي بن الحسين: 09، 176،
277، 374، 401، 409، 421،
425، 427، 428، 464، 485.

-س-

سالم النفاط: 373.
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب:
150.
ساويرس بن المقفع: 17.
السائب بن يزيد: 32.
ستوك: 191.
سديف بن ميمون: 302.
سعد بن أبي وقاص: 43، 48، 62،
177، 178، 183، 291.
سعد بن عبادة: 224.
سعد بن معاد: 287.
سعيد بن جمهان: 213.
سعيد بن العاص: 37، 38، 42، 44،
71، 78، 79، 180، 208، 227،
310، 330.
سعيد بن العاص(أبو أحيحة): 284.
سعيد بن المجالد: 277.
سعيد بن المسيب: 183، 299، 318،
367، 436، 438.
سعيد بن بيهس بن صهيب: 138، 166،
176، 317.
سعيد بن جبير: 186، 359، 427،
458.
سعيد بن عبد العزيز: 184، 307، 343،
370.
سعيد بن عبد الملك: 115، 123، 470.
سعيد بن عمرو الحرشي: 307، 343،
351، 370، 385.
سعيد بن مالك بن بحدل: 122.
سعيد بن هشام بن عبد الملك: 296،
346.
سعيد بن يحي بن سعيد بن العاص: 294،
349.
سفينة: 213، 214، 220، 221.

سكين الخارجي: 460.
سلم بن أحوز المازني: 479.
سلمان الفارسي: 128، 129.
سلمة بن هشام: 283.
سليمان بن حبيب بن المهلب: 375.
سليمان بن دينار الدارمي الجرجاني: 316.
سليمان بن صرد الخزاعي: 276، 416، 417.
سليمان بن عبد الملك: 100، 117، 123، 124، 138، 148، 157، 160، 186، 275، 276، 295، 306، 345، 349، 350، 353، 354، 360، 367، 369، 370، 386، 411، 441، 463، 465، 491.
سليمان بن كثير الخزاعي: 302.
سليمان بن هشام بن عبد الملك: 295، 346، 361، 374، 443، 446، 464.
سليمان عليه السلام: 147.
سمرة بن جندب: 483.
السمط الكندي: 435.
السمهري: 323، 328، 330.
سهل بن حنيف: 46.
سهل بن سعد بن مالك: 366، 409.
سهم بن غالب الهجيمي: 428، 429، 447.
سهيل بن عمرو: 286.
سوار بن مروان: 459.
سودة بنت زمعة أم المؤمنين: 286.
سويد بن غفلة الجعفي: 474.

-ش-

الشابشتي: 414.
الشافعي: 161.
شبيب الخارجي: 427، 446.
شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك: 297، 346، 354.
شراحيل بن معاوية الأموي: 329.
شرحبيل بن السمط الكندي: 47، 53.
شريح القاضي: 286، 318، 330.
شريك بن شداد الحضرمي: 449.
شريك بن عمرو اليشكري: 484.
شريح بن هانئ المرادي: 347.
الشعبي: 376، 377، 396.
الشماخي: 328.
شمر بن ذي الجوشن: 481.
شهاب بن الحصين الحارثي: 347.

-ص-

صالح بن سويد: 302، 371، 400، 407، 433، 472.

صالح بن عبد الرحمن: 306، 360، 385، 386، 387.
صبيح الخارجي: 433، 463.
صعصعة بن صوحان: 61، 64، 96.
صفوان بن أمية: 289.
صهيب بن سنان: 177.
صيفي بن فسيل: 299، 358، 364، 449.

-ض-

ضابئ بن الحارث البرجمي: 292.
الضحاك بن قيس: 73، 77، 181، 185، 402، 416، 423، 425، 445.
ضمام بن السائب: 300.

-ط-

طارق مولى خالد القسري: 373.
طالوت: 475.
طاووس: 403.
الطبري: 16، 27، 30، 32، 75، 76، 82، 87، 101، 138، 162، 164، 165، 282، 422، 425، 451، 459، 466، 467، 468، 486.
طريف الخالدي: 83.
طلحة الطلحات: 313.
طلحة بن رزيق: 302، 373.
طلحة بن عبيد الله: 46، 113، 124، 176.
طلق بن حبيب: 359، 459.
طواف بن علاق: 429.

-ع-

عاتكة بنت عثمان بن محمد: 140.
عاتكة بنت يزيد بن معاوية: 417.
عارم(زيد): 339، 340.
عاصم بن يونس العجلي: 302.
عامر بن سهلة الأشعري: 373.
عائشة أم المؤمنين: 46، 74، 239، 240.
عائشة بنت هشام بن عبد الملك: 124.
عباد بن الحصين: 365.
عباد بن زياد: 312، 313، 321، 365، 388.
عبادة بن أبراء: 323.
عبادة بن الصامت: 223، 227، 236.
العباس بن الوليد بن عبد الملك: 125، 129، 296، 346.
العباس بن جزء بن الحارث: 123.
عباس بن سهل الأنصاري: 366.
العباس بن عبد المطلب: 27.
عبد الأعلى الكلبي: 452.
عبد الجواد ياسين: 22.

عبد الحميد الكاتب: 168، 169، 170، 171، 173، 174، 266.
عبد الحميد بن عبد الرحمن: 400.
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: 301، 332، 334، 335.
عبد الحي شعبان: 52.
عبد الرحمن العنزي: 450.
عبد الرحمن بن أبي بكر: 66، 78، 82، 87، 99، 124.
عبد الرحمن بن أبي بكرة: 383، 384.
عبد الرحمن بن أبي ليلى: 366.
عبد الرحمن بن أم الحكم: 447.
عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث: 183، 365.
عبد الرحمن بن الحارث المخزومي: 38، 124.
عبد الرحمن بن الضحاك: 387.
عبد الرحمن بن حنبل الجمحي: 292.
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: 466، 467، 468.
عبد الرحمن بن زياد بن أبيه: 344.
عبد الرحمن بن سليم الكلبي: 459.
عبد الرحمن بن عبد الأعلى: 381.
عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي: 206.
عبد الرحمن بن عثمان الثقفي: 77.
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: 125، 165، 268، 300، 311، 315، 314، 345، 360، 366، 367، 378، 386، 392، 420، 432، 458، 460، 461، 470، 471، 480، 484.
عبد الرحمن بن ملجم المرادي: 56، 102.
عبد الرحمن بن نعيم: 317، 405.
عبد الرزاق الصنعاني: 19.
عبد الرؤوف بولعابي: 22.
عبد الصمد بن عبد الأعلى: 381.
عبد العزيز الدوري: 125.
عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك: 297، 434، 446.
عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك: 100، 295، 306.
عبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي: 307.
عبد العزيز بن مروان: 89، 100، 113، 121، 304، 316، 382، 383، 398، 417، 430.
عبد الله العروي: 65.
عبد الله بن أباض: 300.
عبد الله بن أبي أوفى: 249.
عبد الله بن إسحاق بن الأشعث: 460.
عبد الله بن الجارود: 300، 315، 359،

386، 398، 419، 432، 437، 458.
عبد الله بن الحارث بن نوفل: 314، 349.
عبد الله بن الزبير: 11، 39، 75، 78، 82، 86، 87، 88، 92، 112، 143، 144، 145، 155، 156، 157، 158، 160، 182، 185، 200، 220، 259، 260، 276، 299، 338، 339، 340، 358، 365، 366، 384، 409، 416، 417، 418، 419، 424، 430، 431، 457، 468، 484، 486، 489.
عبد الله بن الزبير الأسدي(الشاعر): 143.
عبد الله بن المبارك: 176.
عبد الله بن حكيم المجاشعي: 432، 458.
عبد الله بن خازم السلمي: 418.
عبد الله بن خالد بن أسيد: 36.
عبد الله بن خليفة الطائي: 314، 440.
عبد الله بن دراج: 110.
عبد الله بن ذكوان: 185.
عبد الله بن سباع الخزاعي: 344.
عبد الله بن سعد بن أبي سرح: 43.
عبد الله بن سهل: 443.
عبد الله بن شريك الأعور: 459.
عبد الله بن صفوان الجمحي: 418.
عبد الله بن عامر: 37، 43، 71، 249، 250، 348، 364، 403، 428، 429.
عبد الله بن عباس: 34، 74، 75، 82، 84، 226، 402.
عبد الله بن عضاة الأشعري: 77.
عبد الله بن عفيف الأزدي: 430، 453.
عبد الله بن عمر بن الخطاب: 39، 48، 78، 78، 82، 87، 128، 177، 183، 219، 225، 349.
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: 296، 346، 381.
عبد الله بن عمرو بن العاص: 218، 231.
عبد الله بن عمرو بن غيلان: 396.
عبد الله بن عمير الأشجعي: 227.
عبد الله بن عمير الكلبي: 481.
عبد الله بن عون: 372.
عبد الله بن فضالة: 300، 359، 437.
عبد الله بن كعب النميري: 300.
عبد الله بن محمد بن الحنفية: 300، 348، 463، 491.
عبد الله بن محيريز: 183.
عبد الله بن مسعود: 35، 36، 39، 40، 41، 176.
عبد الله بن مسلم: 369.
عبد الله بن مطيع العدوي: 225، 299.
عبد الله بن معاوية الطالبي: 325.

عبد الله بن موسى بن نصير: 421.
عبد الله بن نجي: 429.
عبد الله بن هاشم المرقال: 298، 358.
عبد الله بن همام السلولي: 89.
عبد الله بن يعقوب السلمي: 485.
عبد المجيد الصغير: 97.
عبد الملك بن القعقاع: 388.
عبد الملك بن المهلب: 305، 311، 351، 352، 386.
عبد الملك بن مروان: 07، 08، 89، 92، 95، 100، 101، 103، 105، 110، 111، 113، 117، 123، 137، 143، 144، 145، 146، 147، 154، 155، 157، 158، 160، 165، 166، 185، 186، 195، 196، 205، 207، 262، 263، 264، 272، 273، 274، 276، 294، 299، 300، 318، 331، 345، 349، 350، 359، 360، 365، 367، 392، 398، 409، 410، 417، 418، 419، 420، 426، 430، 438، 440، 445، 457، 460، 461، 463، 470، 471، 485، 487.
عبد الواحد بن الحارث بن الحكم: 115.
عبد الواحد بن عبد الله النميري: 442.
عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النصري: 387.
عبد يغوث بن وقاص: 280.
عبود الشالجي: 433.
عبيد الله بن زياد: 181، 182، 208، 255، 258، 259، 299، 312، 313، 314، 320، 321، 331، 342، 348، 349، 359، 365، 366، 379، 388، 389، 396، 397، 398، 406، 407، 414، 416، 424، 426، 429، 430، 436، 437، 450، 452، 453، 454، 481، 482، 483، 489.
عبيد الله بن زياد بن ضبيان: 417،
عبيد الله بن عباس: 127.
عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة: 459.
عبيد الله بن مسعدة الفزاري: 349.
عبيد بن شرية الجرهمي: 67.
عبيدة بن عبد الله بن عبد الرحمن: 404،
عتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة: 458.
عتبة بن غزوان: 214.
عتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك: 139.
عثمان بن الحويرث: 285.
عثمان بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

196، 138، 139، 140، 160، 169، 295، 296، 317، 342، 346، 434، 445، 465.
عثمان بن حنيف: 403.
عثمان بن حيان المري: 359، 360، 399.
عثمان بن سعيد بن هشام بن عبد الملك: 296.
عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام: 365.
عثمان بن عفان: 12، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 57، 59، 71، 73، 89، 94، 105، 108، 109، 121، 136، 138، 175، 176، 177، 184، 194، 198، 199، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 215، 224، 233، 237، 260، 261، 263، 268، 291، 292، 309، 378، 391، 404، 447، 448، 457، 471، 483.
عثمان بن محمد بن أبي سفيان: 109.
عدي بن أرطأة الفزاري: 306، 311، 332، 335.
عدي بن حاتم الطائي: 314.
عدي بن خصفة العبدي: 484.
عدي بن زيد: 284.
عراك بن مالك: 442.
العرجي الشاعر: 314، 346، 405، 439.
عروة بن أدية: 256، 397، 414، 429، 481.
عروة بن الزبير: 183، 239.
عروة بن محمد: 442.
عروة بن المغيرة بن شعبة: 366.
عطية بن الأسود الكلبي: 481.
عطية بن عمرو العنبري: 367، 404، 432، 459.
عقيل بن أبي طالب: 127.
عقيل بن معقل العجلي: 374.
عكرمة بن ربعي: 350.
العلاء بن شريك الهذلي: 123.
علي بن أبي طالب: 33، 44، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 58، 59، 60، 62، 64، 84، 93، 96، 101، 102، 122، 127، 128، 133، 135، 138، 176، 177، 178، 179، 180، 184، 194، 205، 207، 208، 209، 215، 220، 221، 224،

225، 226، 233، 234، 235، 236، 237، 259، 260، 261، 292، 293، 294، 298، 304، 309، 310، 335، 336، 343، 344، 358، 365، 367، 376، 379، 397، 403، 430، 448، 449، 460، 468.
علي بن الحسين: 195، 348، 359.
علي بن عبد الله بن عباس: 368، 438.
علي حرب: 191.
عمار العبادي: 401.
عمار العشي: 21.
عمار بن ياسر: 40.
عمار بن يزيد(خداش): 401، 407، 408، 434، 463.
عمارة بن تميم: 420.
عمارة بن صلخب الأزدي: 415، 452، 453.
عمارة بن عمرو بن حزم: 418.
عمر بن الخطاب: 28، 30، 31، 32، 33، 34، 36، 37، 38، 40، 44، 49، 52، 59، 65، 66، 72، 85، 86، 101، 104، 115، 128، 134، 135، 136، 150، 153، 178، 180، 199، 201، 207، 211، 214، 215، 222، 224، 225، 280، 289، 290، 291، 292، 338، 339، 376، 377، 390، 391.
عمر بن الوليد بن عبد الملك: 159.
عمر بن سعد بن أبي وقاص: 208، 259، 426، 483.
عمر بن شبة: 396.
عمر بن عبد العزيز: 08، 15، 89، 94، 100، 121، 124، 148، 149، 150، 151، 152، 186، 220، 221، 222، 241، 261، 295، 306، 307، 311، 330، 331، 332، 334، 335، 336، 342، 350، 352، 355، 360، 361، 363، 368، 369، 400، 402، 405، 412، 439، 441، 442، 443، 461، 462، 468، 472، 487.
عمر بن عبيد الله بن معمر: 312.
عمر بن علي الفهري: 123.
عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر: 458.
عمر بن هبيرة: 111، 113، 307، 308، 343، 351، 353، 354، 370، 371، 385، 387، 388، 419، 439.
عمر بن يزيد الأسيدي: 316، 372.

عمران بن عصام العنزي: 480.
عمرو بن الحمق الخزاعي: 206، 309، 345، 414، 415، 424، 447، 448.
عمرو بن الزبير: 339، 365، 384، 385.
عمرو بن العاص: 43، 53، 101، 102، 113، 122، 124، 134، 219،
عمرو بن جفنة: 284.
عمرو بن سعيد بن العاص(الأشدق): 123، 182، 186، 294، 314، 345، 349، 359، 365، 384، 417، 445.
عمرو بن سليط: 469.
عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان: 446.
عمرو بن شراحيل: 443.
عمرو بن عبيد: 151.
عمرو بن عتبة بن أبي سفيان: 122.
عمرو بن عثمان بن عفان: 404.
عمرو بن كلثوم: 98.
عمرو بن مسلم بن قتيبة الباهلي: 371.
عمرو بن موسى بن عبيد الله التميمي: 458.
عمرو بن يزيد النهدي: 484.
عمير بن الحباب السلمي: 299، 418.
عمير بن ضابئ البرجمي: 457.
عمير بن هانئ العنسي: 423، 469.
عنبسة بن سعيد بن العاص: 124.
عياش بن أبي ربيعة: 283.
عياش بن الأسود بن عوف الزهري: 459.
عياض بن مسلم: 308، 361، 372،
عيسى بن عمر الثقفي: 370.
عيسى بن معقل العجلي: 308، 319، 328.

-غ-

غضبان بن القبعثرى الشيباني: 300، 350.
الغمر بن يزيد بن عبد الملك: 115.
غيداء خزنة كاتبي: 108.
غيلان الدمشقي: 08، 301، 302، 371، 400، 407، 433، 471، 472، 473، 474.

-ف-

فاطمة بنت الحسين: 387.
الفاكهي: 339.
فرد دونر: 105، 106، 197.
الفرزدق: 143، 146، 147، 148، 209، 210، 311، 313، 322، 344، 345، 362، 348، 433، 453.
الفضل بن عبد الرحمن بن عياش: 458.
الفضل شلق: 22.

الفضيل بن بزوان العدواني: 459.
فيروز حصين: 378.
-ق-
القاشي: 64.
القاضي عياض: 221.
قبيصة بن ربيعة بن حرملة: 299.
قبيصة بن ضبيعة العبسي: 449.
القتال الكلابي: 325.
قتيبة بن مسلم الباهلي: 100، 125، 196، 305، 369، 404.
قرة بن شريك العبسي: 316، 380، 404.
قريب الخارجي: 255، 429.
قسطنطين بن قسطنطين: 129.
قطري بن الفجاءة: 155، 156، 158، 408، 419.
قطن بن زياد الحارثي: 316.
القعقاع الأزدي: 307.
القعقاع بن خليد بن جزء: 123.
القلقشندي: 64.
قنبر مولى علي بن أبي طالب: 460.
قيس بن الهيثم: 348، 364، 403.
قيس بن سعد العجلي: 305.
قيس بن مسهر الصيداوي: 452.
قيسبة بن كلثوم السكوني: 282.
قيس بن هانئ العبسي: 152، 468.
-ك-
كثير بن شهاب بن حصين الحارثي: 122، 304.
كدام بن حيان العنزي: 450.
كراز بن كراز العبدي: 300.
كريم بن عفيف الخثعمي: 298، 345، 347.
الكفوي: 364.
الكميت بن زيد الأسدي: 330، 364.
كميل بن زياد النخعي: 457.
-ل-
لاهز بن قرظ: 302، 373.
لبطة بن الفرزدق: 330.
لبيد بن الأعصم: 475، 478.
-م-
مارتن هيندز: 22.
ماكس فيبر: 05.
مالك بن أسماء بن خارجة: 305، 318.
مالك بن الأشتر النخعي: 42.
مالك بن المنذر بن الجارود: 313، 316، 330، 372.
مالك بن مسمع: 350.
مالك بن الهيثم: 302.
مالك بن نمير: 453.
مالك بن يخامر: 230.
ماهان الحنفي: 378، 432.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبرد: 20، 408.
مشجور بن غيلان بن خرشة: 399، 419.
محرز بن شهاب السعدي: 450.
المحسن بن علي التنوخي: 20.
محمد أركون: 56.
محمد الطاهر بن عاشور: 413.
محمد بن أبي الجهم: 456.
محمد بن الحنفية: 340.
محمد بن القاسم الثقفي: 306، 360، 367، 386.
محمد بن خنيس: 401.
محمد بن سعد بن أبي وقاص: 458.
محمد بن سعيد: 402، 407.
محمد بن سيرين: 175.
محمد بن شريح بن ميمون المهري: 469.
محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي: 433.
محمد بن عمار بن ياسر: 365.
محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: 80.
محمد بن مروان بن الحكم: 114، 460، 477.
محمد بن مسلمة: 177.
محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي: 313، 346، 361، 385، 386، 405، 439.
محمد بن يوسف الثقفي: 424، 442.
محمد صلى الله عليه وسلم: 18، 26، 27، 28، 39، 40، 41، 49، 51، 54، 56، 64، 65، 72، 85، 86، 88، 103، 121، 133، 134، 141، 142، 146، 147، 148، 149، 159، 161، 162، 163، 167، 169، 170، 175، 177، 178، 182، 183، 184، 197، 198، 199، 200، 201، 207، 209، 210، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 223، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 248، 259، 273، 274، 282، 285، 286، 287، 288، 290، 314، 364، 366، 369، 402، 403، 416، 421، 455، 456، 464، 468، 472، 475، 484.
محمد فرقاني: 335.
محمد مشبال: 256.
المختار الفجاري: 188.
المختار بن عبيد الثقفي: 11، 299، 349.

المدائني: 134، 136، 318، 339، 368، 396.
مرة بن أبي عثمان: 124.
مرة بن شراحيل الهمداني: 457.
مرداس بن أدية(أبو بلال): 256.
مروان بن الحكم: 36، 39، 44، 78، 79، 80، 81، 83، 113، 117، 121، 184، 185، 207، 220، 263، 298، 309، 310، 312، 292، 348، 349، 416، 417، 445، 486، 489.
مروان بن المهلب: 311.
مروان بن سعيد بن هشام بن عبد الملك: 296.
مروان بن عبد الملك: 100.
مروان بن محمد: 89، 114، 207، 171، 208، 296، 297، 302، 314، 329، 346، 347، 351، 354، 361، 375، 381، 401، 402، 407، 423، 425، 426، 434، 446، 457، 464، 465، 468، 469، 477، 487.
المساور بن رئاب السليطي: 459.
مسرور بن الوليد بن عبد الملك: 297، 446.
مسروق بن الأجدع: 61.
مسعود بن قيس بن عطارد: 458.
المسعودي: 17، 61، 76، 77، 79، 81، 103، 318، 339، 341.
مسلم(الإمام): 19، 223.
مسلم بن سعيد بن أسلم: 308، 371، 405.
مسلم بن زيمر: 429.
مسلم بن عقبة المري: 260، 404، 455، 456، 484.
مسلم بن عقيل بن أبي طالب: 181، 258، 259، 314، 342، 365، 415، 426، 429، 430، 450، 452، 453.
مسلم مولى مالك بن مسمع: 300، 398،
مسلمة بن عبد الملك: 114، 115، 119، 140، 354، 355، 432، 433، 435.
مسلمة بن مخلد: 183.
مسلمة بن هشام بن عبد الملك: 100.
مسمع بن مالك بن مسمع: 315، 350.
المسور بن مخرمة: 165، 183، 461.
المسيب بن نجبة الفزاري: 417.
مصطفى بن واز: 23.
مصعب بن الزبير: 112، 123، 186، 376، 377، 405، 417، 468، 484.

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف: 299، 339.
مطرف بن المغيرة بن شعبة: 305، 419،
معاذ بن جبل: 230.
معاوية بن أبي سفيان: 02، 10، 13، 18، 21، 36، 44، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78،79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 101، 102، 103، 104، 105، 108، 109، 110، 116، 121، 122، 124، 127، 129، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 143، 153، 154، 163، 164، 165، 177، 178، 179، 180، 183، 184، 185، 194، 198، 199، 200، 205، 206، 208، 211، 215، 216، 217، 218، 221، 223، 224، 229، 230، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 243، 244، 249، 250، 260، 263، 299، 304، 336، 342، 345، 347، 348، 349، 358، 364، 365، 383، 384، 388، 389، 396، 397، 414، 415، 424، 426، 429، 445، 448، 449، 450، 461، 465، 467، 468، 483، 486.
معاوية بن إسحاق الأوسي الأنصاري: 427.
معاوية بن قرة أبو اياس: 440.
معاوية بن هشام بن عبد الملك: 159.
معاوية بن يزيد: 89، 154، 207، 220.
معبد الجهني: 08، 386، 469، 470، 471.
معبد بن زرارة: 282.
معقل بن سنان الأشجعي: 456.
معن بن زائدة: 291.
المغيرة بن سعيد: 09، 433.
المغيرة بن شعبة: 71، 73، 74، 75، 96، 206، 256، 257، 258، 261، 291، 298، 383، 396، 448، 483.
المفضل بن المهلب: 305، 311، 349.
مقاتل بن سليمان البلخي: 265.
المقريزي: 412، 469.
ملازم بن قريب الحنفي: 315.

ملحان بن قيس الراسبي: 459.
المنبجي: 17، 111، 422.
المنتجع بن عبد الرحمن الأزدي: 307.
المنذر بن أسد القسري: 311.
المنذر بن الجارود العبدي: 313.
المنذر بن الزبير: 365.
منصور بن أبي الخرقاء السلمي: 317، 405.
منصور بن جمهور: 381، 382.
منظور بن جمهور: 382.
المهلب بن أبي صفرة: 125، 195، 268، 419، 484.
مهلهل مولى إبراهيم الإمام: 329.
موسى بن كعب: 302، 379.
موسى بن يزيد الأسواري: 399.
موسى عليه السلام: 428.
مياس الفقعسي: 409، 411.
ميثم التمار: 379، 397، 406، 430.
ميخائيل السرياني الكبير: 17، 422.
ميسون بنت بحدل الكلبية: 60.
ميشيل فوكو: 05، 192، 357.
ميمون بن مهران: 176، 177، 178، 316، 475.

-ن-

نافع بن الأزرق: 399، 432.
نافع بن خالد الطاحي: 304، 348.
نافع كاتب الحجاج: 399، 406.
النجاشي الشاعر: 291.
النسائي: 236.
نسطوس بن نسطوس: 129.
نصر بن جذيمة العبسي: 425، 427.
نصر بن سيار: 302، 317، 343، 346، 354، 371، 374، 401، 405، 421، 435، 479.
النضر بن عباد بن عائذ: 480.
النعمان بن المنذر: 284.
النعمان بن بشير الأنصاري: 182، 258.
نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة: 468.
نمران بن يزيد: 121.
نور الدين محمود: 241.

-هـ-

هارتمان: 191.
هارون الرشيد: 336، 379.
هاريس: 191.
هاملتون جب: 107.
هانئ بن عروة المرادي: 314، 342، 365، 415، 426، 429، 450، 451.
هدبة بن الخشرم: 310، 322، 330، 362.
الهذيل بن عمران: 432، 458.
هشام بن إسماعيل المخزومي: 299، 318،

367، 438.
هشام بن الكلبي: 254، 365.
هشام بن عبد الملك: 08، 100، 103، 104، 105، 111، 112، 116، 117، 124، 139، 140، 158، 159، 166، 176، 186، 277، 295، 301، 308، 346، 311، 312، 316، 353، 355، 361، 371، 372، 375، 381، 382، 387، 388، 393، 400، 405، 407، 409، 411، 421، 427، 433، 439، 442، 443، 464، 472، 473، 475، 476، 477، 487.
هشام بن عروة بن الزبير: 239.
هشام بن عمار الدمشقي: 235.
هشام جعيط: 46.
هلال بن أحوز المازني: 124، 311.
الهلقام بن نعيم بن القعقاع: 458.
هلمسلف:190.
همام بن عدي السدوسي: 419.
همام بن يحيى: 387.
همدان مؤذن علي بن أبي طالب: 460.

-و-

الواقدي: 466.
وداد القاضي: 266.
وردان: 124.
وزير الخارجي: 09، 464.
وضاح اليمن: 481.
ولادة بنت العباس بن جزء: 123.
الوليد بن القعقاع: 372، 387.
الوليد بن الوليد بن المغيرة: 283.
الوليد بن عبد الملك: 95، 100، 102، 104، 105، 111، 113، 114، 117، 123، 137، 138، 145، 146، 147، 148، 150، 158، 166، 186، 209، 263، 276، 295، 306، 299، 300، 301، 331، 342، 345، 348، 349، 367، 368، 369، 386، 399، 404، 410، 438، 457، 461، 462، 463، 481، 485، 487.
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: 79، 81، 87، 206، 299، 314.
الوليد بن عروة: 302.
الوليد بن عقبة بن أبي معيط: 35، 36، 41، 42، 43، 115.
الوليد بن مصاد: 375.
الوليد بن يزيد بن عبد الملك: 100، 101، 126، 196، 207، 210، 138، 139، 140، 141، 142، 151، 160، 167، 168، 169، 295،

296، 297، 308، 309، 317، 342، 346، 361، 371، 372، 375، 381، 385، 386، 387، 394، 421، 422، 424، 425، 427، 428، 443، 445، 446، 469، 474، 487.

الوليد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك: 446.

وهب بن منبه: 373.

-ي-

ياقوت الحموي: 342.

يحي بن زيد: 374، 421، 434، 485.

يزيد الضبي: 368.

يزيد بن أبي سفيان: 59.

يزيد بن أبي كبشة السكسكي: 360.

يزيد بن أبي مسلم: 360، 421.

يزيد بن خالد القسري: 312، 394، 434، 445، 465.

يزيد بن العقار الكلبي: 375.

يزيد بن المقنع الكندي: 73، 84.

يزيد بن المهلب: 113، 124، 129، 138، 301، 303، 305، 306، 307، 311، 342، 343، 346، 351، 352، 353، 354، 361، 370، 385، 386، 420، 424، 432، 433، 435، 439، 441.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك: 08، 112، 126، 148، 151، 152، 208، 278، 295، 296، 297، 309، 346، 351، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 428، 465، 468، 474.

يزيد بن عبد الله بن زمعة: 455، 456.

يزيد بن عبد الملك: 100، 103، 104، 111، 113، 124، 125، 139، 158، 301، 307، 311، 311، 343، 353، 351، 354، 370، 387، 412، 417، 420، 421، 424، 425، 432، 433، 482.

يزيد بن عثمان السفياني: 296.

يزيد بن عمر بن هبيرة: 296، 361، 372.

يزيد بن فروة: 422،421.

يزيد بن قيس الأرحبي: 64.

يزيد بن معاوية: 66، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 86، 87، 88، 89، 94، 102، 103، 110، 121، 122، 128، 136، 154، 155، 181، 182، 184، 195، 199، 207، 208، 220، 225، 236، 237، 257، 259، 263، 299،

314، 331، 342، 349، 358،
359، 396، 415، 416، 455،
456، 465، 468، 484.
يزيد بن مفرغ: 312، 313، 320،
348، 365، 388، 436، 437.
يزيد بن هشام بن عبد الملك: 295، 375،
406.
يزيد بن وهب بن زمعة: 456.
اليعقوبي: 17، 62، 64، 75، 82، 87،
108، 121، 127، 310، 315،
352، 431.
يوسف بن عمر الثقفي: 138، 166،
176، 186، 277، 302، 308،
309، 319، 320، 328، 344،
346، 273، 374، 381، 387،
393، 394، 401، 408، 409،
421، 423، 425، 427، 464،
465، 485، 487، 489.
يونس سنسويه: 470.

فهرس الأماكن والبلدان:

-أ-

الأبلة: 124.

أرّجان: 155.

أردشير خرة: 156.

الأردن: 111، 112، 114، 404.

أرمينية: 114، 477.

أريط: 105.

الاسكندرية: 382.

أصبهان: 187، 305، 308.

اصطخر: 155.

إفريقية: 36، 292، 421.

آمل: 433.

أندرين: 159.

الأهواز: 429.

إيلياء(بيت المقدس): 56، 105، 154.

-ب-

باذغيس: 304، 348.

بالس: 114.

البحرين: 306، 447، 440، 484.

بخارى: 343.

البصرة: 08، 37، 39، 43، 44، 50، 58، 75، 113، 123، 129، 176، 195، 232، 244، 246، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 258، 271، 290، 300، 306، 309، 310، 311، 312، 313، 316، 330، 332، 335، 348، 352، 364، 365، 368، 372، 396، 399، 403، 420، 424، 428، 429، 436، 447، 453، 454، 482، 483، 484.

البطيحة(البطائح): 110، 111، 112، 114، 124.

بغداد: 02.

بغراس: 114.

بلاد الروم: 75.

بلخ: 343، 371، 373.

البلقاء: 110، 313.

بوشنج: 304، 348.

بوصير: 407.

بيت الآبار: 122.

بئر السبع: 113.

-ت-

التنعيم: 431.

-ث-

ثنية المدنيين: 431.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثنية كداء: 431.

-ج-

الجبل: 122.

جبانة السبيع: 452.

جبانة كندة: 452.

جبل أسيس: 158.

جبل نفيع: 282.

جرجان: 138.

الجرعة: 42.

جزيرة ابن كاوان: 306، 484.

الجزيرة العربية: 26، 58، 59، 60، 198، 247، 281.

الجزيرة الفراتية: 21، 111، 114، 115، 207، 332، 333، 335، 418، 425، 460، 475، 477.

جسر بابل: 432.

جوزجان: 316، 434.

-ح-

الحجاز: 02، 60، 80، 82، 83، 84، 91، 109، 158، 230، 232، 443.

الحجون: 431.

حران: 115، 296، 297، 302، 329، 464، 475، 491.

حلب: 342، 352، 446، 420.

حلوان: 134.

حمص: 47، 111، 388، 466، 467، 468.

الحميمة: 463.

حيار بني القعقاع: 123.

الحيرة: 308، 312، 346.

-خ-

خراسان: 138، 307، 308، 313، 196، 206، 254، 302، 304، 305، 312، 316، 343، 348، 351، 360، 369، 370، 373، 374، 385، 397، 401، 403، 404، 405، 407، 421، 433، 434، 435، 463، 475، 479، 490.

الخريبة: 254.

الخليل: 113.

خوارزم: 196، 369.

خيبر: 192.

خيزان: 114.

-د-

دارا: 460.

داريا: 423.

درابجرد: 153، 155.

دستبا: 304.

دمشق: 02، 47، 58، 59، 76، 79، 84، 111، 115، 117، 154، 158، 181، 184، 185، 186، 294،

295، 304، 311، 342، 346،
347، 348، 371، 415، 417،
418، 420، 421، 422، 423،
424، 425، 434، 446، 468،
471، 475، 478.
دهلك: 441.
دير الجماجم: 268، 269.

–ذ–

ذي المروة: 113.
ذي خشب: 113.

–ر–

رأس كيفا: 124.
الراوية: 122.
الرخج: 420.
رستقباذ: 300، 351، 385، 432.
الرصافة: 117.
الرقة: 111، 112، 115، 123،
الرملة: 117، 157.
الري: 304.

–س–

سابور: 155، 156،
سجستان: 321، 351، 389، 419،
420، 433، 459، 463.
سلعوس: 111.
سمرقند: 343.
السغد: 196.
السند: 306، 311، 360، 367،
440.
السويداء: 113.

–ش–

الشام: 02، 21، 44، 46، 50، 51،
52، 53، 54، 55، 56، 58،57، 59
60، 64، 65، 66، 67، 73، 77،
78، 80، 82، 91، 93، 94، 97،
108، 110، 111، 129، 139،
154، 157، 158، 176، 180،
182، 185، 198، 207، 215،
230، 232، 235، 236، 237،
284، 291، 296، 306، 311،
312، 317، 348، 349، 351،
352، 358، 359، 374، 386،
393، 414، 415، 416، 418،
419، 420، 421، 422، 423،
424، 443، 460، 463، 464،
465، 467، 469، 473، 475،
476، 489.
شعب الجيف: 431.

–ص–

صنعاء: 32، 214، 424.
صور: 117.

–ط–

الطائف: 109، 112، 207، 282،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

طبرستان: 138.

-ع-

عباسان: 125.

العراق: 07، 50، 52، 53، 56، 57، 61، 68، 76، 78، 80، 83، 85، 94، 102، 111، 113، 116، 122، 124، 137، 138، 166، 176، 179، 181، 182، 185، 186، 195، 199، 206، 208، 230، 235، 236، 244، 250، 264، 268، 269، 276، 277، 296، 298، 299، 302، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 313، 314، 316، 317، 318، 319، 327، 330، 331، 342، 343، 344، 350، 353، 358، 359، 360، 364، 365، 366، 367، 370، 372، 377، 378، 379، 381، 385، 387، 389، 393، 394، 396، 397، 398، 416، 433، 443، 448، 450، 453، 454، 457، 459، 462، 463، 464، 469، 475، 476، 478، 479، 480، 484، 487، 489، 490.

عسقلان: 110.

عمّان: 295، 443.

عمواس: 111.

عين الرومية: 115.

عين السلور: 114.

-غ-

الغوطة: 110، 121، 123.

-ف-

فارس: 53، 155، 310، 343، 374، 367، 387.

فدك: 121.

فرنسا: 190.

فسا: 408.

فلسطين: 111، 113، 117، 153، 307، 434.

الفلوجة: 122.

-ق-

قادس:304، 348.

القاهرة: 02.

قبرص: 237.

القدس: 69.

قرقيسياء: 186.

القسطنطنية: 184، 236، 237.

قندابيل: 420.

قنسرين: 372، 387.

-ك-

كربلاء: 88.

كرمان: 155، 300.
الكوفة: 08، 35، 41، 42، 43، 44، 50، 56، 57، 58، 71، 75، 83، 110، 124، 125، 176، 180، 195، 206، 248، 251، 258، 264، 284، 291، 293، 298، 301، 310، 314، 332، 334، 335، 342، 344، 365، 383، 396، 400، 413، 415، 419، 421، 424، 426، 427، 429، 430، 433، 440، 447، 448، 451، 464، 468، 475، 476، 478، 479، 483.

-م-

ما وراء النهر: 53، 343، 371.
ماء مطلوب: 110.
ماه دينار: 387.
المدينة: 02، 26، 36، 37، 41، 42، 47،51، 58، 60، 68، 69، 78، 79، 80، 81، 88، 89، 109، 110، 117، 126، 132، 150، 154، 177، 188، 206، 207، 215، 225، 237، 243، 257، 262، 287، 290، 291، 299، 310، 313، 314، 318، 335، 336، 340، 344، 346، 348، 349، 351، 354، 355، 359، 360، 361، 365، 366، 368، 371، 384، 385، 387، 399، 404، 416، 418، 421، 438، 439، 442، 455، 456، 459، 490.
مرج راهط: 89، 445.
مرو: 307، 343، 370، 401، 435، 437، 463.
مصر: 43، 80، 111، 112، 113، 115، 121، 122، 181، 185، 241، 257، 304، 307، 412، 430، 457، 469، 486، 489.
المغرب: 150.
مكة: 26، 36، 51، 109، 112، 116، 117، 122، 128، 138، 143، 144، 229، 276، 282، 283، 289، 292، 299، 302، 338، 339، 340، 359، 360، 370، 378، 470.
الموصل: 206، 414، 447.

-ن-

نهر المبارك: 313.
نهر دجيل: 427.
نهر معقل: 122.
النهروان: 55.
نيسابور: 343.

-هـ-

هراة: 304، 348.

همدان: 305.

الهند: 430.

-و-

واسط: 94، 306، 308، 313، 326، 340، 341، 352، 353، 354، 361، 363، 419، 425، 459، 460.

-ي-

يثرب: 26.

اليمامة: 38، 110، 285.

اليمن: 67، 123، 280، 281، 282، 310، 371، 372، 440، 442، 487، 490.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة 2

تمهيد 26

الفصل الأول: بنو أمية من الخلافة إلى الملك 46-130

أولا– معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء الملوك 46

ثانيا– فرض المبدأ الوراثي كنمط جديد لانتقال السلطة 71

ثالثا– ماهية الحكم الأموي 90

رابعا– الارتباط بين صفة الملك والتوسع العقاري والمالي لبني أمية 108

1– التملُّك العقاري 108

1–1– الأراضي الزراعية 108

1–2– الدّور والقصور 116

2– إقطاع الأرض 121

3– الهِبات في العصر الأموي 127

الفصل الثاني: السلطة الأموية وخطاب الشرعية –إرساء مبادئ جديدة لشرعية الحكم– 132-241

أولا– رؤية الأمويين للخلافة: خلفاء لله أم خلفاء للرسول؟ 132

1– في الفترة السفيانية(41-64هـ/661-684م) 132

2– في الفترة المروانية(64-132هـ/684-749م) 137

2–1– رسالة الوليد بن يزيد إلى الأمصار 138

2–2– الشعر الأموي 143

3– رؤية إمارة المؤمنين عند عمر بن عبد العزيز ويزيد الثالث 148

4– ما الذي تقدمه المعطيات الأثرية؟ 152

ثانيا– الطاعة ولزوم الجماعة 161

1- الطاعة 161

1-1- ضرورة الطاعة في رسالة الوليد بن يزيد 167

1-2- الطاعة والمعصية في رسائل عبد الحميد الكاتب 168

2- لزوم الجماعة 175

ثالثا- الخطاب السياسي الأموي وهاجس الشرعية 188

1- مفهوم الخطاب 188

1-1- في الثقافة العربية 188

1-2- في الثقافة الغربية 190

2- توظيف النص المقدس: القرآن الكريم 194

3- الشرعية القرشية 197

4- ولاية دم الخليفة المظلوم عثمان بن عفان 205

رابعا- التوظيف السياسي للحديث النبوي 212

1- أحاديث انقلاب الخلافة إلى ملك 212

2- أحاديث القرشية 216

3- أحاديث الطاعة ولزوم الجماعة 223

4- حديث الفرقة الناجية 228

5- أحاديث فضائل معاوية بن أبي سفيان 232

5-1- أحاديث الفضائل الشخصية 232

5-2- أحاديث مُلك معاوية 237

الفصل الثالث: العنف في الخطاب السياسي الأموي 278-243

أولا- العنف ومبرراته في الخطاب السياسي السفياني 243

ثانيا- العنف ومبرراته في الخطاب السياسي المرواني 262

الفصل الرابع: السجن والسجناء 280-355

أولا– السجون في الجاهلية وصدر الإسلام 280

1– في العصر الجاهلي 280

2– في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه 285

3– في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما 289

4– في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه 293

ثانيا– السجناء وأصنافهم في العصر الأموي 294

1– أفراد الأسرة الأموية 294

2– المعارضون والثوار 298

3– الولاة والموظفون الاداريون 303

4– أفراد العائلة 309

5– الشعراء 312

6– أصناف أخرى 314

ثالثا– معاملة السجناء وأحوالهم 317

1– ظروف السجن 317

1–1– الطعام واللباس 317

1–2– المعاناة الجسدية والنفسية 319

1–3– ضيق المساحة والاكتظاظ 327

1–4– قلة النظافة داخل السجون 328

1–5– خدم في السجن 328

2– زيارة المساجين 329

3– إصلاحات السجون في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز 330

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا– تسيير السجون 337

1– مكان السجن 337

2– مدة السجن 344

3– الخروج من السجن 347

3–1– إطلاق السراح 347

3–2– الفرار من السجن 351

الفصل الخامس: مشاهد العنف واستباحة الأجساد 357-443

أولا– التعذيب 357

1– التقييد والتكبيل 358

2– الضرب والجلد 364

3– أشكال أخرى من التعذيب 376

3–1– تعذيب المتخلفين عن البعوث 376

3–2– التعذيب بالقصب والملح 378

3–3– الإلجام 379

3–4– الإيقاف في الشمس 379

3–5–التعذيب بغبار الجير والخل 380

3–6– البناء على المعذَّب 381

3–7– التعذيب بالماء 382

3–8– التعذيب بالكلاب 382

3–9– التهديد بالتعذيب بالجمر 382

3–10– أساليب مختلفة 383

4– نماذج من بعض المعذبين 388

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-1- تعذيب الشاعر يزيد بن مفرغ 388

4-2- تعذيب حطيط الزيات 389

4-3- تعذيب خالد القسري وعماله 393

ثانيا- المثلة بالأجساد والجثث 395

1- المثلة بالأجساد 395

1-1- قطع الأطراف 395

1-2- حلق اللحية والرأس 402

1-3- قطع اللسان 406

1-4- سمل العينين 407

1-5- كسر اليدين والرجلين 408

1-6- قلع الأضراس 409

1-7- ختم الأعناق 409

1-8- أشكال أخرى 411

2- المثلة بالجثث 413

2-1- حز الرؤوس ونصبها 413

2-2- الطواف بالأعضاء 424

2-3- نبش القبور 425

2-4- أشكال أخرى 426

ثالثا- الصلب والتشهير والنفي 428

1- الصلب 428

2- التشهير 436

3- الإبعاد والنفي 440

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السادس: القتل	492-445
أولا– أمراء البيت الأموي	445
ثانيا– المعارضون والثوار	447
ثالثا– الولاة والعمال	465
رابعا– الأشراف	466
خامسا– أصحاب المذاهب المخالفة	469
1– معبد الجهني	469
2– غيلان الدمشقي	471
3– الجعد بن درهم	474
4– جهم بن صفوان	478
سادسا– الشعراء	480
سابعا– النساء والأبناء	481
ثامنا– العامة	482
تاسعا– دراسة إحصائية	486
خاتمة	494
الملاحق	499
قائمة المصادر والمراجع	527
فهرس الآيات القرآنية	576
فهرس الأحاديث النبوية	580
فهرس الأعلام	585
فهرس الأماكن والبلدان	609
فهرس الموضوعات	616

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

اعتبرت الجماعة الاسلامية وصول الأسرة الأموية لحكم دار الإسلام انقلابا ملوكيا بعد عهد الخلافة الراشدة، وهذا اعتمادا على محددات رئيسية ثلاث تتمثل في نمط الوصول إلى السلطة، ونمط ممارسة السلطة، ونمط نقل السلطة.

وأمام هذا الوضع، ونتيجة العجز عن إقناع قسم معتبر من الجماعة الإسلامية بصحة خلافتهم وشرعية سلطتهم وجد الخلفاء الأمويون أنفسهم في "مأزق شرعية" خطير أمام رعيتهم، ما دفعهم إلى استحداث أسس جدية للشرعية تُمكنهم من مواجهة معارضيهم وإضعاف حججهم.

لكن حجم التحديات الايديولوجية والسياسية والأمنية –داخليا وخارجيا– التي واجهت الأمويين دفعتهم إلى اتخاذ العنف وسلة أساسية بل وضرورية للحفاظ على سلطتهم وحماية دولتهم.

لقد تجلت سياسة العنف السلطوي الأموي في مظهرين رئيسيين: عنف مادي يتمثل في أعمال التعذيب والقتل والمثلة والسجن وغيرها، وعنف رمزي قائم على إلحاق أذى نفسي بالآخر وهذا ما يتجلى في الخطاب السياسي الأموي وأعمال التشهير والنفي.

Résumé :

La société musulmane a considéré l'arrivée de la dynastie omeyyade à gouverner la Califat islamique (Dâr al-Islam) comme un coup d'état royal après l'ère des «califat râshida», et cela est appuyé sur trois principaux déterminants : le modèle d'accès au pouvoir, le modèle d'exercice du pouvoir, et le modèle de transfert du pouvoir.

Face à cette situation, et du fait de l'incapacité à convaincre une partie importante de la communauté musulmane de la justesse de leur califat et de la légitimité de leur autorité, les califes omeyyades se sont retrouvés dans un dangereux « dilemme de légitimité » devant leurs sujets, ce qui les a incités à créer des bases sérieuses de validité qui leur permettraient d'affronter leurs adversaires et d'affaiblir leurs arguments.

Mais l'ampleur des défis idéologiques, politiques et sécuritaires - internes et externes - auxquels sont confrontés les Omeyyades les a incités à adopter la violence comme moyen fondamental et même nécessaire pour préserver leur pouvoir et protéger leur État.

La politique autoritaire de violence omeyyade s'est manifestée sous deux formes principales : la violence physique représentée par des actes de torture, de meurtre, de mutilation, d'emprisonnement et autres, et la violence symbolique fondée sur le fait d'infliger un préjudice psychologique à l'autre, ce qui se reflète dans le discours politique omeyyade, et les actes de diffamation et d'exil.

Abstract

The Islamic group deemed the arrival of the Umayyad family to the rule of Dar al-Islam as a royal coup after the era of the «caliphate râshida», and this is based on three major determinants: the pattern of access to power, the pattern of exercising power, and the pattern of transferring power.

With this state of affairs, and as a result of their failure to convince a significant part of the Islamic group of the validity of their caliphate and the legitimacy of their authority, the Umayyad caliphs found themselves in a serious "legitimacy dilemma" in front of their subjects, which prompted them to devise new foundations for legitimacy which would enable them to confront their opponents and weaken their arguments.

However, the bulk of ideological, political and security challenges - both internally and externally- that faced the Umayyads pushed them to adopt violence as a basic and even necessary instrument to preserve their power and protect their state.

The policy of Umayyad authoritarian violence manifested itself in two main aspects: Physical violence represented in acts of torture, murder, punishment, imprisonment, etc., and symbolic violence based on inflicting psychological harm on others, which is reflected in the Umayyad's political discourse and acts of defamation and exile.

Democratic People 's Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Emir AbdelKader University for Islamic Sciences, Constantine
Faculty of Literatures and Islamic Civilization
Department of History

Power and violence

In the Islamic East in the Umayyad Era

41-132 AH/661-749 AD

Thesis submitted in candidacy for the degree of doctorate science In Islamic history

Specialty: Islamic Orient - History and Civilization -to the seventh century AH

By: Farid Foughalia

Supervisor: Ibrahim Benmehaia

Borad of Examiners

Name and Surname	Scientific level	Original University	Status
Allaoua amara	Professor	Emir Abdelkader University For Islamic Sciences, Constantine	Chairman
Ibrahim Benmehaia	Professor	Emir Abdelkader University For Islamic Sciences, Constantine	Supervisor
Abed youcef	Professor	Emir Abdelkader University For Islamic Sciences, Constantine	Examiner
Mourad lekhal	Lecturer class A	Mohamed Boudiaf University - M'Sila	Examiner
Rida bennia	Lecturer class A	Mohamed Lamine Debaghin University - Setif 2-	Examiner
Khemissi boulaaress	Lecturer class A	Mohamed Lamine Debaghin University - Setif 2-	Examiner

Academic Year: 2021-2022